فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله

(١٠٦)

الدين الخالص

١٣١١ھ

5802

طبع في المطبع الاحمدي الواقع في اقليم الهند

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد حمدا يليق بشانه العلي الرفيع سمكا واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له في الخلق والامر شهادة من لا يتخذ من دونه سبحانه معتكا واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي بعثه الى الخلق كافة وارسله للعالمين رحمة اكرم به مرسلا مبعوثا اعطي مقاما محمودا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وحملة علومه واولياء امته صلوة مباركة عليها ولها وفيها وسلاما مرضيا مشهودا **اما بعد** فيقول الانسان الضعيف المكلف الحنيف عبد الله ورقيقه ابن عبده وامته ورقيقته تجاوز الله عنه كل خطأ ونسيان وما استكره عليه من حمة اي انسان هذا الكتاب الناطق ببيان ما دلت عليه كلمة الاخلاص والتوحيد واقامته من رد انواع الضلال من الشرك والبدعة والتقليد وهي التي جعلها ابراهيم الخليل عليه السلام كلمة باقية في عقبه موصلة اصحابها الى دار السلام طالما كان يخطر لي بالبال ان احرر تلك الدلائل صحيحة كاملة وانجز لهذه المسائل رقيمة حافلة ولكن يعوقني الزمان الحاضر الحائر للفتى عن البلوغ الى هذا المرام ولا يساعدني الدهر الماشي على خلاف المراد على سلوك هذه السبل سبل السلام وكنت دائما بالمرصاد لانتهاز الفرص تحصيلا لهذه البغية على ما يراد الى ان وجدت بحمد الله و

حسن توفيقه فرصة نزرة اختطفتها من آيدب أثناء الليل والنهار وزمانا يسيرا اسرقته من حركات الفلك المحدد الدوار مع هجوم الاشغال وتشتت البال من كثرة الاسقام والاعتلال واختلال الرجال فجعلتها اوقاتا لزبر هذا المرقوم على سبيل الايجاز وجناح الاستعجال بالتفصيل والاجمال فجمعت حسبما تمكنت وقد رما تحصلت آيات بينات واحاديث شريفات وردت في اثبات التوحيد ونفي الاشراك واتباع السنة ورد البدعات مع تفسيرها الذي حرره العلماء الفحول وشرحها الذي اذعن له سلف الامة وائمتها بالتلقي والقبول ضاما اليها من مقالات اهل العلم المتقدمين منهم والمتاخرين ما وقفت عليها جامعا لاشتات هذه الابواب المتفرقة في الدواوين المؤلفة اليها فجاء بحمد الله اجمع ما جمع في هذا العلم وظني ان هذا المجموع مع كونه شذر مذر لفقد ترتيبه المتقن وعدم تهذيبه المستحسن عزيز الوجود في بابه خطيب الخطباء في صحبه التوحيد وضرابه يا هذا هذه صحائف العلماء المشهورين المختصرة منها والمطولة بين يديك و هاتيك السيانات العرينة والبطاقات الوجيزة بين ظهرانيك انظر فيها وارجع اليها تجدها لا تبلغ هذا الكتاب ولا ادنى مداه ولا تساوي شيئا منه بل لا تحكي اليسير هداه اذا تاملت في هذا الرقيم صدقت ما قلت لك واذا رقيت على سلم تحقيقه صعدت ان شاء الله تعالى الى اوج الفلك و قلت اني القي الي كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ان كنت ممن اختطى بايثار الحق على الخلق الباطل وعاد جيد فهمك الصحيح عن اغلال الضلال عاطلا فالا فكريني القران الكريم بين ربوعك وكم تدرس هذه السنة المطهرة في مطاوي اسبوعك وانت لا تبالي لها بالا ولا تخاف من غفلتك واعراضك عنها وبالا ولا تلين لها جلود احد من الاقربين والابعدين مع انهم يدعون الاسلام وظنوا انهم من زمرة المسلمين المؤمنين فيا لله العجب من قوم ضربوا كسبا للعلوم في الاغوار والانجاد اكباد المطايا والخيول وربما ادركوا من دقائق الفنون كل معروف ومجهول ومحسوس ومعقول لكنهم عن درك الحقائق القرانية العليا والدقائق الحديثية الحسنى بمعزل حيث يعترفون بجهلهم لها وعجزهم عنها وفي هذا عبرة بالغة للمعتبرين ممن يعرف مدارك الدين ويخاف يوما يقوم الناس فيه لرب العالمين ومن ثم تراهم قد وقعوا من الشرك في حيص بيص ولبسوا من البدع بنعم لابليس فهذا السفر جاءك نذيرا للمشركين وبشيرا للمسلمين يقود اهل

الايمان بل باخلاص التوحيد المفيد وتقديسه عن الاقدام في النار القائلة هل من مزيد ثم كان شحيحا بدينه حريصا على بقية نحليه ان يصرف ساعة يسيرة من اوقات الشريعة في الخوض في هذا الكتاب ومبانيه ويتخذه زادا لاولاه واخراه ثانيا لاخرته من محاسن معانيه فعسى الله ان يهديه الى اختيار الصراط المستقيم ويتغمده برحمته الواسعة عن التهافت في نار الجحيم وان اريد من جمع هذا الا الاصلاح واصلاح الاشباح التي فيها تلك الارواح وما توفيقي الا بالله اللهم اصلح لي شاني كله اولا وشان الخلائق ومن انتفع بهذا الكتاب ثانيا فانه لا مانع لما اعطيت ولا راد لما قضيت وهل يكن احد من السلامة من البلوى الا من وفقه الله بايثار الحق على الخلق واختيار التقوى ومن ذا الذي يوفق احد بالخير والطاعة الا الله سبحانه وتعالى فاجعل اللهم توفيقك الحق لنا رفيقا ولا تجعل هذا ولا ذلك علينا وبالا وحيث ان هذا المجموع اشتمل على نصيبين نصيب في بيان اثبات التوحيد ونفي الشرك بجميع انواعه والاصناف ونصيب في التحريض على اتباع السنة ورد البدعات باتساعها والاطراف وكان غاية في باب اخلاص التوحيد لله رب العالمين والاجتناب عن الاشراك والابتداع تمحيضا للدين عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين سميته **الدين الخالص** مقتبسا اسمه من قوله سبحانه الا لله الدين الخالص خلصنا الله وعقبنا وجميع المسلمين عن شوائب الاشراك وجعلنا اهل التوحيد الخالص المحض الصرف مع صحيح الادراك فما ذلك بعزيز عليه عز وجل

وخير الكلام ما قل ودل ؟

النصيب الاول في بيان اثبات التوحيد ونفي الاشراك

وهو معنى اشهد ان لا اله الا الله وفيه ابواب حقيقة لمن يريد الدخول فيها على وجه الصدق والصواب

باب في الآيات القرآنية الدالة على توحيد الله تعالى

وان كان اخلاص التوحيد لله عز وجل وقطع علائق الشرك كائنة ما كانت لا يحتاج الى ان ينقل فيه اقوال الرجال او يستدل عليه بالادلة فانه الامر الذي بعث الله لاجله رسله وانزل فيه كتبه وفي هذا الاجمال ما يغني عن التفصيل ومن شك في هذا فعليه بالتفكر في القرآن الكريم فانه يجده من اعظم مقاصده واكثر موارده فان عجز عن ذلك فلينظر في سورة من سوره فان قلت اريد منك مثالا لاقتدي به وامشي على طريقته واهتدي الى التفكر الذي ارشدتني اليه بتقدير النظر فيه

نقول هاهنا نقرب لك المسافة ونسهل عليك ما استصعبته ثم نذكر لك بعض آيات الكتاب العزيز على الترتيب القرآني ونبدا أولها بما بدأ الله به في كتابه فاعلم ان فاتحة الكتاب العزيز التي يكررها كل مسلم في كل صلوة مرات ويفتتح بها التالي لكتاب الله والمتعلم له فيها الارشاد الى اخلاص التوحيد في ثلثين موضعا **الاول** قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم فان علماء المعاني والبيان ذكروا انه يقدر المتعلق متاخرا ليفيد اختصاص البداية باسم الله تعالى لا باسم غيره وفي هذا المعنى ما لا يخفى من اخلاص التوحيد **الثاني والثالث** الاسم الشريف اعنى لفظ الله عز وجل فان مفهومه كما حققه علماء هذا الشان الواجب الوجود المختص بجميع المحامد فكانّ في هذا المفهوم اشارتين الى اخلاص التوحيد احدهما تفرده بوجوب الوجود وثانيهما اختصاصه بجميع المحامد فاستفيد من الاسم الشريف الذي اضيف اليه لفظ اسم هذان الامران **الرابع** تحلية الرحمن باللام فانها من ادوات الاختصاص سواء كانت موصولة كما هو شان ال التعريف اذا دخلت على المشتقات او لمجرد التعريف كما يكون اذا دخلت على غيرها من الاسماء والصفات وقد اوضح هذا المعنى اهل البيان بما لا مزيد عليه **الخامس** اللام الداخلة على قوله الرحيم والكلام فيها كالكلام في الرحمن **السادس** اللام الداخلة على قوله الحمد لله فانها تفيد ان كل حمد له ومقصور عليه لا يشاركه فيه غيره وفي هذا اعظم دلالة على اخلاص توحيده **السابع** لام الاختصاص الداخلة على الاسم الشريف فان مقتضى هذا انه لا حمد لغيره اصلا وما وقع منه لغيره فهو في حكم العدم وقد تقرر ان الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري لقصد التعظيم فلا ثناء الا عليه ولا جميل الا منه ولا تعظيم الا له وفي هذا من ادلة اخلاص التوحيد ما لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه وما ليس عليه مزيد **الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر** قوله رب العالمين فان لفظ الرب باعتبار معناه اللغوي مشعر اتم اشعار باخلاص توحيده هذا باعتبار معناه الافرادي دون الاضافي ثم في معناه الاضافي دلالة اخرى فان كونه رب العالمين يدل على ذلك ابلغ دلالة ثم في لفظ العالمين معنى ثالث فانه قد تقرر لغة وشرعا ان العالم هو اسم لمن عدا الله عز وجل وسواه فيدخل في هذا كل شيء غير الله سبحانه فلا رب غيره وكل من عداه فهو مربوب ثم في تعريفه باللام معنى رابع بمثل ما قدمنا فانها تفيد زيادة الاخلاص

وتقرر ذلك المفهوم في هذا الموضع ثم في صيغة الجمع معنى خامس زيادة تأكيد وتقرير فان العالم ان كان اسما لمن عدا الله لم يكن جمعه الا لمثل هذا المعنى وعلى فرض انه اسم بالعلام فهو لا يقتضي ذهاب هذا المعنى المستفاد من اصل الجمع **الثالث عشر والرابع عشر** قوله الرحمن الرحيم وتقرير الكلام فيهما كما سلف **الخامس عشر والسادس عشر** قوله مالك يوم الدين فان لفظ مالك ومعناه الافرادي من غير نظر الى معناه الاضافي يفيد استحقاقه باخلاص توحيده ويفيد انه لا مالك لغيره فلا ينفعه الا تصرفه ولا تصرف لاحد من خلقه من غير فرق بين نبي مرسل وملك مقرب وعبد صالح وهكذا معنى كونه ملك على القراءة الاخرى وهما السبعيتان فانه يفيد ان الامر امره والحكم حكمه ليس لغيره معه امر ولا حكم كما انه ليس لغير ملوك الارض معهم امر ولا حكم ولله المثل الاعلى ثم في معناه الاضافي الى يوم الدين معنى ثالث فان من كان له الملك في مثل هذا اليوم الذي هو يوم الجزاء لكل العباد وفيه يجمع العالم اولهم وآخرهم سابقهم ولاحقهم جنهم وانسهم وملائكتهم فهو المستحق لافراده بالعبادة وفيه اشارة الى استحقاقه اخلاص توحيده وقد فسر الله هذا المعنى الاضافي المذكور في فاتحة الكتاب هذه في موضع آخر من كتابه العزيز فقال وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله ومن كان يفهم كلام العرب ونكته واسراره كفته هذه الآية عن غيرها من الادلة واندفعت لديه كل شبهة **السابع عشر** ما يستفاد من نفس لفظ الدين من غير نظر الى كونه مضافا اليه **الثامن عشر** ما يستفاد من تعريفه فان في ذلك زيادة احاطة وشمول فان ذلك الملك اذا كان في يوم هو يوم الدين الذي يشتمل على كل دين كان من له هذا الملك حقيقا بان يخلص العباد توحيده ويفردوه بالعبادة كما يفرد ملك يوم له هذا الشأن فان قلت هذان المعنيان الكائنان في لفظ الدين باعتبار اصله وباعتبار تعريفه قد اخذا في معنى الاضافة في حسبما ذكرته سابقا قلت لا تزاحم بين المقتضيات ولا يستنكر النظر الى الشيء باعتبار معناه الافرادي تارة وباعتبار معناه الاضافي اخرى وليس ذلك بممنوع ولا بمحجور عند من يعرف العلم الذي يستفاد منه دقائق العربية واسرارها وهم اهل علم المعاني والبيان **التاسع عشر**

والموفي عشرين والحادي والعشرون قوله اياك نعبد فان تقدم الضمير معمولا للفعل الذي بعده قد صرح ائمة المعاني والبيان وائمة التفسير انه يفيد الاختصاص العبادة به سبحانه وتعالى ولا يشاركه فيها غيره ولا يستحقها ومن اختص بالعبادة فهو الحقيق باخلاص توحيده وقد تقرر ان الاستغاثة والدعاء والتعظيم والذبح والتقرب من انواع العبادة ثم مادة هذا الفعل اعني لفظ نعبد تفيد معنى آخر ثم الجمع بنون الجماعة لكون هذا الكلام صادرا عن كل من تقوم به العبادة من العابدين كذلك فكانت الدلالات في هذه الجملة ثلاثا الاولى في اياك مع النظر الى الفعل الواقع بعده الثانية ما تفيده مادة نعبد مع ملاحظة كونها واقعة لمن ذلك الضمير عبارة عنه واشارة اليه الثالثة ما تفيده النون مع ملاحظة الامرين المذكورين ولا تزاحم بين المقتضيات **الثاني والعشرون والثالث والعشرون والرابع والعشرون** قوله واياك نستعين فان تقديم الضمير ههنا معمولا لهذا الفعل له معنى وهو يقتضي انه لا يشاركه غيره في الاستعانة به في الامور التي لا يقدر عليها غيره ثم مادة هذا الفعل لمعنى آخر فان من كان لا يستعان بغيره لا ينبغي ان يكون له شريك بل يجب افراده بالعبادة والاخلاص توحيده اذ وجود من لا يستعان به كعدمه وتقرير الكلام في الثلث الدلالات كتقريره في اياك نعبد فلا نعيده وصيغ الحصر اذا تتبعتها من كتب المعاني والبيان والتفسير والاصول بلغت ثلاث عشرة صيغة فصاعدا ومن شك في هذا فليتتبع كشاف الزمخشري فانه سيجد فيه ما لم يذكر في كتب المعاني والبيان كالقلب فانه جعله من مقتضيات الحصر ولعله ذكر ذلك عند تفسير الطاغوت وغير ذلك مما لا يقتضي المقام بسطه ومع الاحاطة بصيغ الحصر المذكورة تكثر الادلة الدالة على اخلاص التوحيد وابطال الشرك بجميع اقسامه **الخامس والعشرون والسادس والعشرون والسابع والعشرون** قوله اهدنا الصراط المستقيم فان طلب الهداية منه وحده باعتبار كون هذا الفعل واقعا بعد الفعلين اللذين تقدم معمولهما فكان له حكمهما وان كان قد تغير اسلوب الكلام في الجملة حيث لم يقل نستهدي او نطلب الهداية حتى يصح ان يكون ذلك الضمير المتقدم المنصوب معمولا له تقديرا لكن مع بقاء المخاطبة وعدم الخروج عما يقتضيه لم ينقطع النظر عن ذلك الضمير الواقع على تلك الصورة لتوسطه بين هذا الفعل

اعني العبد نادبين من اسند اليه ثم في ضمير الجماعة معنى يشير الى استحقاقه سبحانه لاخلاص
التوحيد على الوجه الذي قدمناه في الفعلين السابقين ثم في كون هذه الهداية هي هداية
الصراط المستقيم التي هي الهداية بالحقيقة ولا اعتبار بهداية الى صراط لا استقامة فيه معنى
ثالث يشير الى ذلك المدلول **الثامن والعشرون** قوله صراط الذين انعمت عليهم
فان من يهدي الى هذا الصراط الذي هو صراط من انعم الله عليهم يستحق ان لا يشتغل بغيره ولا ينظر
الى سواه لان الايصال الى طرائق النعم هو المقصود من المشي والمراد بحركات السائرين وذلك
كناية عن الوصول الى النعم انفسها اذ لا اعتبار بالوصول الى طرائقها من دون وصول اليها فكان
وقوع الهداية على الصراط المستقيم نعمة بمجردها لان الاستقامة اذا تصورت عند تصور
الاعوجاج كان فيها راحة بعد الاتعاب فكيف اذا كان ذلك كناية عن طريق الحق فكيف اذا كان
حقا موصلا الى الفوز بنعيم الله سبحانه **التاسع والعشرون** قوله غير المغضوب عليهم
ووجه ذلك ان الوصول الى النعم قد يكون منغصا مكدرا بشيء من غضب المنعم سبحانه فاذا صفا
ذلك عن هذا الكدر وانضم الى الظفر بالنعمة الظفر بما هو احسن منها موقعا عند العارفين
واعظم قدرا في صدور المتقين وهو رضاء رب العالمين كان في ذلك من البهجة والسرور ما لا يمكن
التعبير عنه ولا الوقوف على حقيقته ولا تصور معناه واذا كان المولي لهذه النعمة والمتفضل
بها هو الله سبحانه ولا يقدر على ذلك غيره ولا يتمكن منه سواه فهو المستحق لاخلاص توحيده و
افراده بالعبادة **الموفي ثلاثين** قوله ولا الضالين ووجهه ان الوصول الى النعم مع الرضا
قد يكون مشوبا بشيء من الغواية مكدرا بنوع من انواع المخالفة وعدم الهداية وهذا باعتبار اصل
الوصول الى نعمة من النعم مع رضاء المنعم بها فانه لا يستلزم سلب كون المنعم عليه على ضلالة لا
باعتبار هذه النعمة الخاصة من هذا المنعم عز وجل ولما كان الامر في الاصل هكذا كان في وصول
النعم الى المنعم عليه من المنعم بها مع كونه راضيا عليه غير غاضب منه اذا كان ذلك الوصول محفوفا
بكون صاحبه على ضلالة في نفسه قصورا عن وصولها الى من كان جامعا بين كونه واصلا الى
المنعم فائزا برضاء المنعم عليه خالصا من كدر كونه في نفسه على ضلالة وتقرير الدلالة من هذا
الوجه على اخلاص التوحيد كتقريرها في الوجه الذي قبله فهذه **ثلثون** دليلا مستفادة

من سورة الفاتحة باعتبار ما يستفاد من تراكيبها العربية مع ملاحظة ما يفيده ما اشتملت عليه من تلك الدقائق والاسرار التي هي راجعة الى العلوم الآلية ودخلها فيما تقتضيه تلك الالفاظ بحسب المادة والهيئة والصورة مع قطع النظر عن التفسير بمعنى خاص قاله بعض السلف او وقف عنده من بعدهم من الخلف وهذه المواضع يفيد كل واحد منها اخلاص التوحيد مع ان فاتحة الكتاب ليست الا سبع ايات فما ظنك بما في سائر الكتاب العزيز وهذا كالبرهان على ان في الكتاب العزيز من ذلك ما يطول تعداده ويتعسر الاحاطة به فلو استعملت مثل هذا التدبر واعملت الفكر لمثل هذا التفكر في سائر الايات الدالة على اخلاص توحيده تعالى وافراده بالعبادة وقطع وسائل الشرك وعلائقه لفزت باكثر من هذا الذي ذكرناه ووجدت دقائق واسرار غير ما سقناه وستمر بك ايات في هذا الباب فادخل فيها بقلب سليم بالاخلاص والصواب تظهر عليك فوائدها وتعود اليك عوائدها ان شاء الله تعالى وهو المستعان وبيده التوفيق والاحسان وكتاب مدارج السالكين في شرح منازل السائرين الذي فسر فيه الماتن والشارح فاتحة الكتاب في مجلدين ضخيمين احسن ما جمع في باب الاخلاص والتوحيد السنّي الصافي عن اكدار الاراء وشوب الاهواء فعليك بها ان كنت تريد التوحيد المفيد وتعرف قدر هذا العلم الشريف الحميد وترجو لقاء الله تعالى يوم المزيد فان قلت هذه الادلة التي استخرجتها من هذه السورة المباركة وبلغت بها الى هذا العدد وجعلتها ثلاثين دليلا على مدلول واحد واستفدتها من كلام العلامة القاضي محمد بن علي الشوكاني اليماني قدس سره لم نجد لك فيها سلفا ولا سبقك بها غيرك قلت هذه شكاة ظاهر عنك عارها واعتراض غير واقع موقعه ولا مصادف محله فان القران عربي وهذا الاستخراج لما ذكرناه من الادلة هو على مقتضى اللغة العربية وبحسب ما تقتضيه علومها التي دونها الثقات ورواها العدول الاثبات الذين كانوا ائمة الدين وخدمة الشرع المبين وليس هذا من التفسير بالرأي الذي ورد النهي عنه والزجر لفاعله بل من الفهم الذي يعطاه الرجل في كتاب الله كما اشار اليه علي بن ابي طالب رضي الله عنه في كلامه المشهور وما كان من هذا القبيل فلا يحتاج فيه الى سلف والى دليل وكفى بلغة العرب العرباء وعلومها المدونة بين ظهراني الناس وعلى ظهر البسيطة سلفا وحيث انتهى الكلام بنا الى هذا المقام واشرنا الى ما يستفاد من بعض العلوم المحدثة لتفسير كتاب الله

فجعلوا الواحد ثلثة ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله تبكيت لمن اعتقد ربوبية المسيح و
عزير واشارة الى ان هؤلاء من جنس البشر وبعض منه وازراء على من قلد الرجال في دين الله فحلل
ما حللوه وحرم ما حرموه عليه فان من فعل ذلك فقد اتخذ من قلده ربا ومنه اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله **وقال تعالى** ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء هذا الحكم يشمل جميع طوائف الكفار من اهل الكتاب وغيرهم ولا خلاف بين المسلمين ان
المشرك اذا مات على شركه لم يكن من اهل المغفرة التي يتفضل الله بها على غير اهل الشرك حسبما
تقتضيه مشيئته واما غير اهل الشرك من عصاة المسلمين فداخلون تحت المشيئة يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء وظاهره ان المغفرة منه سبحانه تكون لمن اقتضته مشيئته تفضلا منه ورحمة
وان لم يقع من ذلك المذنب توبة وقيد ذلك المعتزلة بالتوبة والاول اولى ومع ذلك فلا
شك في ان التوبة محاء الذنوب وقد ورد الامر بها في ايات كثيرة واحاديث طيبة وهي ارجى
اية لاهل التوحيد فانه سبحانه لم يؤيسهم عن المغفرة عن علي عليه السلام ما في القران احب
الي من هذه الاية ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما **عن** جابر قال جاء اعرابي الى النبي
صلى الله عليه واله وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل
الجنة ومن مات يشرك به دخل النار اخرجه مسلم والمعنى اختلق ذنبا كبيرا غير مغفور ان
مات عليه **وقال تعالى** الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه هذه الاية
فيها بيان التوحيد نزلت في منكري البعث ومن اصدق من الله حديثا وقد نص على حشر الاموات
من القبور وجمعهم للحساب في يوم لا ريب في اتيانه ومن انكر البعث انكر التوحيد **وقال تعالى**
ولا تقولوا ثلثة اي لا تقولوا الهتنا ثلثة كما قالت النصارى وهم مع تفرق مذاهبهم متفقون على
التثليث ويعنون بالثلثة الثلثة الاقانيم فيجعلونه سبحانه جوهرا واحدا له ثلثة اقانيم ويعنون بها
اقنوم الوجود واقنوم الحياة واقنوم العلم ويعبرون عنها بالاب والابن وروح القدس يعنون بالاب الوجود وبالروح الحياة
وبالابن المسيح وقيل المراد بالالهة الثلاثة الله سبحانه وتعالى ومريم والمسيح وقد اختلط النصارى في هذا اختباطا طويلا
وقفنا على الاناجيل الاربعة التي يطلق عليها اسم الانجيل عندهم على اختلاف كثير في عيسى فتارة يوصف بانه ابن الانسان
وتارة يوصف بانه ابن الله واخرى بانه ابن الرب وهذا تناقض ظاهر وتلاعب بالدين والحق ما اخبرنا الله به

القرآن وما خالفه في التورية او الانجيل او الزبور فهو من تحريف المحرفين وتلاعب المتلاعبين ومن اعجب ما رأيناه ان الاناجيل الاربعة كل واحد منها منسوب الى واحد من اصحاب عيسى عليه السلام وحاصل ما فيها جميعا ان كل واحد من هؤلاء الاربعة ذكر سيرة عيسى من عند ان بعثه الله الى ان رفعه وذكر ما جرى له من المعجزات والمراجعات لليهود ونحوهم فاختلفت الفاظهم واتفقت معانيها وقد يزيد بعضهم على بعض بحسب ما يقتضيه الحفظ والضبط وذكر ما قاله عيسى عليه السلام وقيل له ليس فيها من كلام الله سبحانه شيء ولا انزل على عيسى من عنده كتابا بل كان عيسى عليه السلام يحتج عليهم بما في التورية ويذكر انه لم يأت بما يخالفها وهكذا الزبور فانه من اوله الى آخره من كلام داؤد عليه السلام وكلام الله اصدق وكتابه احق وقد اخبرنا ان الانجيل كتابه انزله على عبده ورسوله عيسى بن مريم عليهما السلام وان الزبور كتابه آتاه داود وانزله عليه انتهوا خيرا لكم اي عن التثليث انما الله اله واحد لا شريك له ولا صاحبة له ولا ولد سبحانه ان يكون له ولد لان الولد جزء من الاب وهو متعال عن التجزئة وصفات الحدوث ولكن جعل هؤلاء الكفار له من عباده جزءا ان الانسان لكفور **وقال تعالى** لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم اي ان الله حل في ذات عيسى وان مريم ولدت الها فرد الله عليهم بقوله وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اي فكيف يدعون الالهية لمن يعترف على نفسه بانه عبد مثلهم ودلائل الحدوث ظاهرة عليه و**قال تعالى** لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة القائل بهذا هم النصارى والمراد بالثلثة الله وعيسى ومريم كما يدل عليه قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين وهذا هو المراد بقولهم ثلثة اقانيم اقنيم الاب واقنيم الابن واقنيم روح القدس وقد تقدم الكلام على ذلك وهو كلام معلوم البطلان ولا ترى في الدنيا مقالة اشد فسادا ولا اظهر بطلانا من مقالة النصارى وما من اله الا اله واحد فيه بيان التوحيد اي ليس في الوجود اله لا ثاني له ولا شريك له ولا ولد له ولا صاحبة له الا الله سبحانه ولفظة من لتأكيد الاستغراق المستفاد من النفي قاله الزمخشري وان لم ينتهوا عما يقولون من الكفر وهذه المقالة الخبيثة ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اي شديد الالم وجيع في الآخرة **وقال تعالى** وجعلوا لله شركاء الجن اي فعبدوهم كما عبدوه وعظموهم كما عظموه اي اطاعوهم في عبادة الاوثان وقيل المراد بالجن هنا الملائكة لاجتنانهم

اي استتارهم وهم الذين قالوا الملائكة بنات الله وقيل نزلت في الزنادقة الذين قالوا ان الله تعالى وابليس اخوان فالله خالق الناس والدواب وابليس خالق الحيات والسباع والعقارب قاله الكلبي وابن السائب وابن عباس ويقرب من هذا قول المجوس للعالم صانعان هما الرب والشيطان وفي لغتهم الرب يزدان والشيطان اهرمن وهكذا القائلون بان كل خير من النور وكل شر من الظلمة وهم المانوية وخلقهم اي وقد علموا ان الله خلقهم او خلق ما جعلوه شركاء له وهذا كالدليل القاطع على ان المخلوق لا يكون شريكا لله وكل ما في الكون محدث مخلوق فامتنع ان يكون شريكا له وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون اي تباعد وارتفع عن قولهم الباطل الذي وصفوه به بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء جملة مقررة لما قبلها لان من كان خالقا لكل شيء استحال منه ان يتخذ بعض مخلوقاته ولدا وهذه الاية حجة قاطعة على فساد قول النصارى وهو بكل شيء عليم لا يخفى عليه من خلقه خافية ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اي مما سيكون كما خلق في الماضي ومن كانت هذه صفاته فهو الحقيق بالعبادة التي هي التوحيد الخالص والاسلام الساري عن كدر الشرك وشوب الكفر فاعبدوه ولا تعبدوا غيره ممن ليس له من هذه الصفات العظيمة شيء وهو على كل شيء وكيل اي رقيب حفيظ **وقال تعالى** لقد ارسلنا نوحا الى قومه وهو اول الرسل الى اهل الارض بعد آدم عليه السلام قال ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق وما قيل ان ادريس قبل نوح فقال ابن العربي انه وهم قال المازري فان صح ما ذكره المورخون كان محمولا على ان ادريس كان نبيا غير مرسل فقال يا قوم اعبدوا الله اي وحدوه بالعبادة والطاعة الخالصة عن الشرك ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم ان عبدتم غيره عذاب يوم عظيم فيه بيان دعاية الانبياء الى توحيد الرب والتخويف بالعذاب العظيم على عبادة غيره سبحانه وتعالى **وقال تعالى** والى عاد اخاهم هودا قال المفسرون سماه اخا لكونه ابن آدم مثلهم وهو قول الزجاج والعرب تسمي صاحب القوم اخاهم وفيه دلالة على حسن اطلاق لفظة الاخ على الرسل والانبياء بناء على المثلية في البشرية والصحبة حالا فالمن يتحرز في ذلك استحسانا للعرف ثم هذه الاية وهي عاد الاولى وعاد الثانية قوم صالح وكان بينه وبين نوح ثمانمائة سنة وعاش اربعمائة واربعا وستين سنة وكانت عاد ما بين اليمن

والشام مثل الذر وقيل كانت منازلهم بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذي عند عمان وحضرموت وكان الرجل من عاد ستين ذراعا بذراعهم وقيل كان اثني عشر ذراعا طولا وقال ابن عباس كان الرجل منهم ثمانين ذراعا قيل وكانت هامة الرجل مثل القبة العظيمة قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون اي تخافون ما نزل

بكم من العذاب الى قوله قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال اهل العلم هذا داخل في جملة ما استنكروه وهكذا يقول المقلدة لاهل الاتباع والمبتدعة لاهل السنة كانهم هم وقال تعالى والى ثمود اخاهم صالحا وكان اخاهم في النسب لا في الدين وبينه وبين هود مائة سنة وكانت مساكنهم بين الحجاز والشام الى وادي القرى وما حوله وعاش صالح مائتين وثمانين سنة قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده ولا تشركوا به شيئا ما لكم من اله غيره يستحق ان يعبد سواه وقال تعالى والى مدين اخاهم شعيبا عن عكرمة والسدي قالا ما بعث الله نبيا مرتين الا شعيبا مرة الى مدين فاخذتهم الصيحة ومرة الى اصحاب الايكة فاخذهم الله بعذاب الظلة وكان شعيب اعمى وكان قومه اهل كفر وبخس في المكيال والميزان قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره فيه دعاية الى التوحيد وتنبيه لهم على ذلك وقال تعالى قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة قال البغوي لم يكن ذلك شكا من بني اسرائيل في توحيد الله وانما المعنى اجعل لنا شيئا نعظمه ونتقرب بتعظيمه الى الله وظنوا ان ذلك لا يضر فيه بعد وقيل انهم توهموا انه يجوز عبادة غير الله فحملهم جهلهم على ذلك قال اي موسى انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل لانهم قد شاهدوا من ايات الله ما يزجر من له ادنى علم عن طلب عبادة غير الله ولكن هؤلاء القوم اعني بني اسرائيل اشد خلق الله عنادا وجهلا الى قوله قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين من اهل عصركم وقال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا

الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون اي ما امروا في الكتب القديمة المنزلة عليهم على السنة انبيائهم الا بعبادة الله وحده وفيه ما يزجر من كان له قلب او القى السمع وهو شهيد عن التقليد في دين الله وتأثير ما يقوله الاسلاف من العلماء والمشائخ والاساتذة والكبراء على ما في الكتاب العزيز والسنة المطهرة فان طاعة المتمذهب لمن يقتدي بقوله ويستن بسنته من علماء هذه الامة وائمتها وشيوخها مع مخالفته لما جاءت به النصوص وقامت به حجج الله وبراهينه ونطقت به كتبه وانبياؤه كاتخاذ اليهود والنصارى الاحبار والرهبان اربابا من دون الله للقطع بانهم لم يعبدوهم بل اطاعوهم وحرموا ما حرموا وحللوا ما حللوا وهذا صنيع المقلدين للائمة المجتهدين

من هذه الامة وخواصه مستنبطة مخصصة والتمرة بالتمرة والماء بالماء والكلام على هذا يطول جدا و
سيأتي بعضه في هذا الكتاب في موضعه ان شاء الله تعالى والمراد هنا بيان ان التوحيد هو المأمور
به والشرك هو المنهي عنه وفيه ان التقليد نوع من انواعه اعاذنا الله منه **وقال تعالى**
فان تولوا اي اعرضوا عنك ولم يعملوا بما حثثت به ولا تتلوه فقل يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم
حسبي الله اي كافي لا اله الا هو اي المتفرد بالالوهية عليه توكلت اي فوضت جميع اموري اليه
لا الى غيره وهو رب العرش العظيم فيه بيان التوحيد والثقة بالله تعالى **وقال تعالى** والى عاد
اخاهم هودا اي واحدا منهم في النسب لا في الدين وكانوا عبدة اوثان وقد تقدم مثل ذلك و
تقدم الكلام عليه قال يا قوم اعبدوا الله اي وحدوه ولا تشركوا معه شيئا في العبادة ما لكم من اله
غيره ان انتم الا مفترون اي كاذبون على الله بالشرك وفيه الارشاد الى عبادة الله وحده وانه لا
اله لكم سواه **وقال تعالى** والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره تقدم
الكلام عليه **وقال تعالى** والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره لما كان
الدعوة الى توحيد الله وعبادته اهم الاشياء دعاهم اليه وقد تقدم الكلام على ذلك **وقال تعالى**
يا صاحبي السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار استفهام انكار مع التوبيخ والتقريع
اورده يوسف عليه السلام هذه الحجة القاهرة على طريق الاستفهام لانهما كانا ممن يعبد الاصنام
ما تعبدون من دونه الا اسماء فارغة لا مسميات لها وهي الالهة التي تعبدونها من دون الله
قيل خطاب لاهل السجن جميعا لا لخصوص الصاحبين وهذا هو الاظهر وكذلك ما بعده من الضمائر
سميتموها انتم واباؤكم من تلقاء كم بحسب جهلكم وضلالتكم ليس لها من الالهية شيء الا مجرد الاسماء
لكونها جمادات لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم في العبادة
المتفرعة على تلك التسمية الا لله عز سلطانه لانه المستحق لها بالذات امر ان لا تعبدوا الا اياه حسب
ما تقتضيه قضية العقل ايضا ذلك ان عبادته وحده دون غيره هي دين الله الذي لا دين غيره ذلك
الدين القيم اي المستقيم الثابت العدل الذي تعاضدت عليه البراهين عقلا ونقلا ولكن اكثر
الناس لا يعلمون لجهلهم وبعدهم عن الحقائق او لا يعلمون ما يصيرون اليه من العذاب فيشركون
قال اهل العلم وهذا يدل على ان العقوبة تلزم العبد وان جهل اذا امكنه [illegible] انما بعثة الرسل

قل يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو ربي لا اله الا هو اي لا يستحق العبادة له والايمان به سواه عليه توكلت واليه متاب اي توبتي فيه تعريض بالكفار وحث على الرجوع الى الله والتوبة من الكفر والشرك والدخول في التوحيد والاسلام **وقال تعالى** قل انما امرت ان اعبد الله وحده ولا اشرك به بوجه من الوجوه الظاهرة والخفية وهذا امر اتفقت الشرائع عليه وتطابقت على عدم انكاره جميع الملل المقتدية بالرسل اليه ادعو اي الى الله وحده لا الى غيره واليه مآب اي مرجعي يوم القيامة للجزاء **وقال تعالى** وبرزوا لله الواحد القهار اي ظهروا من قبورهم ليستوفوا جزاء اعمالهم لله المتفرد بالالوهية والوحدانية الكثير القهر لمن عانده **وقال تعالى** هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد لا شريك له وليذكر اولوا الالباب اي اصحاب العقول السليمة والافهام الصحيحة **وقال تعالى** ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون اي مروهم بتوحيدي واعلموهم ذلك مع تخويفهم لان في الانذار تخويفا وتهديدا او هو تحذير لهم من الشرك بالله **وقال تعالى** الهكم اله واحد صرح بما هو الحق في نفس الامر وهو وحدانيته سبحانه وتعالى **وقال تعالى** وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين فيه رد على من يقول بالهين ويعبدهما من دون الله انما هو اله واحد في ذاته وصفاته فاياي فارهبون اي ان كنتم راهبين شيئا فارهبوني لا غيري فالتركيب افاد الحصر **وقال تعالى** وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه اي امر امرا جزما وحكما قطعا وحتما مبرما وقرأ ابن عباس ووصى مكان وقضى **وقال تعالى** هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا فيه اقرار بالوحدانية وانكاره للشرك الى قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا **وقال تعالى** وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا فيه نفي الشرك واثبات التوحيد **وقال تعالى** له غيب السموات والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه احدا فيه اثبات توحيد الربوبية ونفي الاشراك **وقال تعالى** قل انما انا بشر مثلكم اي آدمي حالي مقصور على البشرية لا يتخطاها الى الالهية ولا الى الملكية يوحى الي انما الهكم اله واحد لا شريك له في الالوهية والملك وفي هذا ارشاد الى التوحيد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا من خلقه سواه

كان صالحا او طالحا حيوانا او جمادا قال اهل العلم دخول الشرك الجلي الذي كان يفعله المشركون تحت هذه الآية هو المقدم على دخول الشرك الخفي الذي هو الرياء ولا مانع من دخول الخفي تحتها انما المانع من كونه هو المراد بهذه الآية وبالجملة ففيه الارشاد الى العمل الصالح وهو التوحيد المبني على الاسلام والنهي عن الشرك بالله شيئا كائنا ما كان **قال تعالى** الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى اي لا اله في الوجود الا هو وهو المستحق لها وهي التسعة والتسعون التي ورد الحديث الصحيح بها **وقال تعالى** انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني لان اختصاص الالوهية به سبحانه موجب لتخصيصه بالعبادة **وقال تعالى** انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما اي وسع علمه كل شيء وصفة علمه سبحانه امام ائمة الصفات **وقال تعالى** لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا اي لو كان في السموات والأرض آلهة معبودون غير الله لبطلتا بما فيهما من المخلوقات وخرجتا عن نظامهما المشاهد وهلك من فيهما لوجود التمانع من الآلهة على العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الشيء وعدم الاتفاق عليه لان كل امر صدر عن الاثنين فاكثر لم يجر على النظام ويدل العقل على ذلك قيل هذا دليل اقناعي بحسب ما يفهمه المخاطب وبحسب ما في ظنهم قاله البيضاوي والتفتازاني والصحيح ان الآية حجة قطعية الدلالة والقول بانها حجة اقناعية قول منكر والكلام على تفصيل هذا الاجمال يطول جدا واقول الادلة القرآنية والحجج الفرقانية على توحيد الله تعالى تغني عن البراهين الكلامية والمسائل العقلية والدلائل الفلسفية في هذا المقصد وليس وراء بيان الله بيان ودونه خرط القتاد قال الرازي القول بوجود الهين يفضي الى المحال ثم ذكر دلائل ذلك وقال هذه حجة تامة في مسألة التوحيد فالفساد لازم على كل التقديرات التي قدرناها واذا وقفت على هذا عرفت ان جميع ما في العالم العلوي والسفلي من المحدثات والمخلوقات الكائنات فهو دليل على وحدانيته تعالى واما الدلائل السمعية على التوحيد فكثيرة طيبة في القرآن وفي الاحاديث فسبحان الله رب العرش عما يصفون اي تنزه عما لا يليق به من ثبوت الشريك له وفيه ارشاد للعباد الى تنزيهه سبحانه عما لا ينبغي له ولا يليق به **وقال تعالى** وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون فيه تقرير لامر التوحيد الذي نطقت به الكتب الالهية واجمعت عليه الرسل وتكلم به دليل النقل ودليل العقل وقامت عليه حجة الله تعالى

وقال تعالى فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
هذا القول من يونس عليه السلام اعتراف بوحدانيته تعالى اوله قليل واوسطه تسبيح واخره
اقرار بالذنب وتوبة من الخطيئة قال ذلك وهو في بطن الحوت فاستجبنا له ونجيناه من الغم
وكذلك ننجي المؤمنين الداعين بهذا الدعاء المشتمل على خالص التوحيد المطلوب من العباد
وقال تعالى ان هذه امتكم امة واحدة اي ان هذا دينكم دين واحد لا اختلاف بين
الامم المختلفة في التوحيد ولا يخرج عن ذلك الا الكفرة المشركون بالله وانا ربكم فاعبدون
خاصة لا تعبدوا غيري كائنا ما كان **وقال تعالى** قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد اي
ان الذي يوحى الي هو ان وصفه تعالى مقصور على الوحدانية لا يتجاوزها الى ما يناقضها او يضادها
فهل انتم مسلمون اي منقادون مخلصون للعبادة ولتوحيد الله والمراد بهذا الاستفهام الامر
اي اسلموا **وقال تعالى** فالهكم اله واحد فله اسلموا اي انقادوا واخلصوا واطيعوا او
تقديم الظرف على الفعل للقصر **وقال تعالى** ذلك بان الله هو الحق اي ذو الحق فدينه
حق وعبادته حق ونصره لاوليائه على اعدائه حق ووعده حق ووعيده حق فهو عز وجل في
نفسه وافعاله وصفاته كلها حق وان ما يدعون من دونه هو الباطل اي ان الذي يدعونه الها
وهي الاصنام والاوثان ونحوها هو الباطل الذي لا ثبوت له ولا لكونه الها والمعدوم في حد ذاته
ع الا كل شيء ما خلا الله باطل + وعموم الاية ناص على ان كل معبود من دون الله تعالى كائنا ما
كان من حيوان وجماد ونبات ذاهب فان زائل ومن كانت هذه صفته فهو لا يستحق الدعاء الذي
هو العبادة التي هي التوحيد وقيل الباطل هو الشيطان ان الله هو العلي الكبير اي العالي على كل شيء
من خلقه بذاته المتقدس عن الاشباه والانداد المتصف بصفات الكمال ونعوت الجلال والجمال
المنزه عما يقوله الظالمون والمعطلون والمتكلمون الخائضون فيما لم يكن يصلح لهم الخوض فيه وهو
ذو الكبرياء الذي يصغر كل شيء سواه وهو عبارة عن كمال ذاته وعظيم قدرته وسلطانه وتفرده
بالالهية **وقال تعالى** ولقد ارسلنا نوحا الى قومه وهو ادم الثاني لانحصار النوع الانساني بعده
في نسله وعاش من العمر الف سنة وخمسين فقال يا قوم اعبدوا الله وحده واطيعوه ولا تشركوا
به شيئا ما لكم من اله غيره افلا تتقون تخافون ان تتركوا عبادة ربكم الذي لا يستحقها غيره وليس

لكم اله سواه **وقال تعالى** فارسلنا فيهم رسولا منهم من قومهم هو هود او ثمود او شعيب عليهم السلام ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون **وقال تعالى** فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم اي تنزه عن الشركاء والاولاد وهو الملك الذي يحق له الملك على الاطلاق ايجادا واعداما بدءا واعادة احياء واماتة عقابا واثابة وكل ما سواه مملوك له بالذات مقهور لمالكيته مالك بالعرض من وجه دون وجه وفي حال دون حال **وقال تعالى** ويعلمون ان الله هو الحق المبين انما سمي سبحانه الحق لان عبادته هي الحق دون عبادة غيره وقد سمي بالحق اي الموجود لان نقيضه الباطل وهو المعدوم **وقال تعالى** الله لا اله الا هو رب العرش العظيم خص العرش بالذكر لانه اعظم المخلوقات كما ثبت ذلك في المرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **وقال تعالى** ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله اي وحدوه فاذا هم فريقان يختصمون المراد بهما المؤمنون منهم والكافرون **وقال تعالى** ءاله مع الله الذي يوليكم هذه النعم الجسام قليلا ما تذكرون ما زائدة لتقليل القليل وهو كناية عن العدم بالكلية فالمراد نفي تذكرهم راسا **وقال تعالى** ءاله مع الله تعالى الله عما يشركون اي تنزه وتقدس عن وجود ما يجعلونه له شريكا **وقال تعالى** ءاله مع الله قل هاتوا برهانكم اي حجتكم عقلية او نقلية على ان معه سبحانه شريكا او على ان غيره يصنع كصنعه ان كنتم صادقين وفي هذا تبكيت لهم وتهكم بهم **وقال تعالى** وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة لانه المولي للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا والتحميد ثمة على وجه اللذة لا على وجه الكلفة اللهم اني احمدك على نعمك كلها التي لا احصيها كثرة على كثرة ذنوبنا فتب علينا انك انت التواب الرحيم وله الحكم اي القضاء النافذ في كل شيء فيقضي بين عباده بما شاء من غير مشارك واليه لا الى غيره ترجعون بالبعث والنشور والخروج من القبور **وقال تعالى** من اله غير الله اي هل لكم من اله برحمكم من الالهة التي تعبدونها ياتيكم بضياء ويرفع هذه الظلمة الدائمة عنكم افلا تسمعون هذا الكلام سماع فهم وقبول وتدبر وتفكر وهذا توبيخ لهم على ابلغ وجه **وقال تعالى** من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون هذه المنفعة ابصار متعظ متيقظ حتى تنزجروا عما انتم فيه من عبادة غير الله فاذا اقروا بانه لا يقدر على ذلك الا الله عز وجل فقد لزمتهم الحجة وبطل ما يتمسكون به من الشبهة

السافطة **وقال تعالى** لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه قال ابن عباس لما نزلت كل من عليها فان قالت الملائكة هلك اهل الارض فلما نزلت كل نفس ذائقة الموت قالت الملائكة هلك كل نفس فلما نزلت هذه الاية قالت الملائكة هلك اهل السماء والارض قال اهل العلم المستثنى من الهلاك والفنا ثمانية اشياء نظمها السيوطي رحمه الله تعالى في قوله ثمانية حكم البقاء يعمها + من الخلق والباقون في حيز العدم + هي العرش والكرسي ونار وجنة + وعجب وارواح كذا اللوح والقلم + وفي الاية نعي على اهل الشرك الذين يقولون بالهية دون الله بفناء كل ما سوى الله **وقال تعالى** وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله اي افردوه بالعبادة وخصوه بها ووحدوه واطيعوه وفيه اشارة الى اثبات الاله الواحد الفرد واتقوه ان تشركوا به شيئا وفيه اشارة الى نفي الغير لان من يشرك مع الملك غيره في ملكه فقد اتى باعظم الجرائم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون اي توحيد الله وعبادته وتقواه خير لكم من الشرك ولا خير في الشرك ابدا ولكنه خاطبهم باعتبار اعتقادهم **وقال تعالى** والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله اي افردوه بالعبادة وخصوه بها وارجوا اليوم الاخر اي توقعوه وافعلوا اليوم من الاعمال ما يدفع عذابه عنكم فيه اثبات التوحيد واثبات القيامة **وقال تعالى** والهنا والهكم واحد لا شريك له ولا ند ولا ضد ونحن له مسلمون مطيعون لخاصة لم نقل عزير ابن الله ولا المسيح ولد الله ولا اتخذنا احبارنا ورهباننا اربابا من دون الله **وقال تعالى** واذا غشيهم موج كالظلل اي كالجبال التي تظل من تحتها دعوا الله وحده مخلصين له الدين اي لا يعولون على غيره في خلاصهم لانهم يعلمون انه لا يضر ولا ينفع سواه ولكنه يغلب على طبائعهم العادات وتقليد الاموات فاذا وقعوا في مثل هذه الحالة اعترفوا بوحدانية الله تعالى واخلصوا دينهم له طلبا للخلاص والسلامة مما وقعوا فيه لزوال ما ينازع الفطرة الايمانية من الهوى والتقليد بما دهاهم من الشدائد فلما نجاهم الى البر صاروا قسمين فمنهم مقتصد اي عدل موف في البر بما عاهد عليه الله في البحر من اخلاص الدين له باق على ذلك بعد ان نجاه الله من هول البحر وما يجحد باياتنا الا كل ختار كفور اي ومنهم كافر لم يوف بما عاهد والختار الغدار والجاحد والكفور عظيم الكفر **وقال تعالى** الله ربكم له الملك فيه اثبات صفة الربوبية له سبحانه واثبات الملك له فهو الخالق المقدر والقادر المقتدر المالك للعالم والمتصرف فيه لا شريك له في هذا الحد كائنا من كان **وقال تعالى**

انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون عن القبول فيه بيان التوحيد الالهي ونعي على اهل الشرك **وعن** ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله وانزل الله في كتابه وذكر قوما استكبروا فقال انهم كانوا الآية **وقال تعالى** وما من اله يستحق العبادة الا الله الواحد القهار لكل شيء سواه رب السموات والارض وما بينهما العزيز الذي لا يغالبه مغالب الغفار لمن اطاعه **وقال تعالى** فاعبد الله مخلصا له الدين اي من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر والاخلاص ان يقصد العبد بعمله وجه الله سبحانه والدين العبادة والطاعة وراسها توحيد الله وانه لا شريك له وفي الآية دليل على وجوب النية واخلاصها من الشوائب لان الاخلاص من الامور القلبية التي لا تكون الا باعمال القلب وقد جاءت السنة الصحيحة بان ملاك الامر في الاقوال والافعال النية كما في حديث انما الاعمال بالنيات وحديث لا قول ولا عمل الا بالنية الا لله الدين الخالص اي الدين الخالص من شوائب الشرك وغيره هو لله سبحانه وتعالى وما سواه من الاديان فليس بدين الله الخالص الذي امر به قال قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وعن يزيد الرقاشي يرفعه ان الله لا يقبل الا ما اخلص له ثم تلا هذه الآية **وقال تعالى** هو الله الواحد القهار خلق السموات والارض بالحق اي هو المتوحد في ذاته فلا مماثل له القاهر لكل مخلوقاته فلا يستحق العبادة احد سواه **وقال تعالى** ذلكم الله ربكم له الملك الحقيقي في الدنيا والآخرة لا شركة لغيره فيه لا اله الا هو فانى تصرفون اي فكيف تنصرفون عن عبادته وتنقلبون عنها الى عبادة غيره او تصرفون عن طريق الحق بعد هذا البيان **وقال تعالى** قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين اي اعبده عبادة خالصة من الشرك والرياء وغير ذلك وامرت لان اكون اول المسلمين من هذه الامة قال علماء التفسير وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه اول من خالف دين آبائه ودعا الى التوحيد ومعنى الاولية السبق بحسب الزمان فالمراد بالسبق السبق بحسب الدعوة فان الافضل ان من يدعو الغير الى خلق كريم ان يدعو نفسه اليه اولا ويتخلق به حتى يترقى الغير كسمة الانبياء والصالحين لا الملوك والمتجبرين **وقال تعالى** وما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته وقال المبرد ما عظموه حق عظمته حين اتم كتابه

غيره وانما وصفهم بهذا لانهم عبدوا غير الله وامروا رسولهم بان يكون مثلهم في الشرك و **قال تعالى** لا اله الا هو اليه المصير اي مصير من يقول لا اله الا الله فيدخل الجنة ومصير من لا يقول لا اله الا الله فيدخل النار وذلك في اليوم الآخر **وقال تعالى** فادعوا الله مخلصين له الدين اي العبادة التي امركم بها ولو كره الكافرون ذلك فلا تلتفتوا الى كراهتهم ودعوهم يموتوا بغيظهم ويهلكوا بحسرتهم **وقال تعالى** لمن الملك اليوم قال المفسرون اذا اهلك كل من في السموات والارض يقول الرب تبارك وتعالى هذا القول فلا يجيبه احد فيجيب تعالى نفسه فيقول لله الواحد القهار قال الحسن هو السائل وهو المجيب حين لا احد يجيبه فيجيب نفسه وقيل غير ذلك وهذا اظهر واولى **وقال تعالى** ذلكم الله ربكم خالق كل شيء اي الفاعل المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية لا اله الا هو فانى تؤفكون اي فكيف تنقلبون عن عبادته و تنصرفون عن توحيده وتصرفون عن الايمان مع قيام البرهان **وقال تعالى** ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين اي كثر خيره وبركته هو الحي لا اله الا هو اي الباقي الذي لا يفنى المنفرد بالالوهية وهذا التركيب يفيد الحصر وفيه اشارة الى العلم التام والقدرة التامة الكاملة فادعوه اي اعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة والعبادة من الشرك الحمد لله رب العالمين اي احمدوه قاله الفراء و عن ابن عباس قال من قال لا اله الا الله فليقل اثرها الحمد لله رب العالمين وذلك قوله فادعوه مخلصين له الدين الاية **وقال تعالى** قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد قال اهل العلم معناه اي انا كواحد منكم لولا الوحي ولم اكن من جنس مغاير لكم حتى تكون قلوبكم في اكنة مما ادعوكم اليه وفي اذانكم وقر ومن بيني وبينكم حجاب ولم ادعكم الى ما يخالف العقل وانما ادعوكم الى التوحيد وقيل المعنى اني لا اقدر على ان احملكم على الايمان قسرا فاني بشر مثلكم ولا امتياز لي عنكم الا اني اوحي الي التوحيد والامر به فعلي البلاغ وحده فان قبلتم رشدتم وان ابيتم هلكتم وقيل المعنى اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم فصرت بالوحي نبيا ووجب عليكم اتباعي فاستقيموا اليه اي بالطاعة ولا تميلوا عن سبيله واستغفروه لما فرط منكم من الذنوب والشرك وما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل **وقال تعالى** ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا اي عبادة الله وحده والعمل بشرائعه صراط مستقيم وهذا تمام كلام عيسى عليه السلام **وقال تعالى** رب السموات

والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين بل هم في شك
يلعبون اضرب عن كونهم موقنين الى كونهم في شك من التوحيد والبعث وفي اقرارهم بان الله
خالقهم وخالق سائر المخلوقات وانما يقولونه تقليدا لآبائهم من غير علم وان ذلك منهم على طريقة
اللعب والهزو في دينهم بما يعن لهم من غير حجة **وقال تعالى** واذكر اخا عاد اذ انذر قومه
بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله وحده اني اخاف عليكم
عذاب يوم عظيم اي هائل بسبب شرككم **وقال تعالى** فاعلم انه لا اله الا الله اي اذا علمت
ان مدار الخير هو التوحيد والطاعة ومدار الشر هو الشرك والعمل بمعاصي الله فاعلم انه لا اله غيره ولا رب سواه
والمعنى اثبت على ذلك واستمر عليه ودم على ما انت عليه من العلم بالوحدانية فانه النافع يوم
القيامة لانه عليه السلام كان عالما بانه لا اله الا الله قبل هذا ويدل عليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم
من مات وهو يعلم انه لا اله الا الله دخل الجنة رواه مسلم **وقال تعالى** وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون قال مجاهد ليعرفوني قال الثعلبي هذا قول حسن لانه لو لم يخلقهم لما عرف
وجوده وتوحيده وقيل لآمرهم وانهاهم ويدل عليه قوله وما امروا الا ليعبدوا الله الها واحدا
لا اله الا هو سبحانه عما يشركون واختاره الزجاج وقال زيد بن اسلم هو ما جبلوا عليه من السعادة
والشقاوة فخلق السعداء من الجن والانس للعبادة وخلق الاشقياء للمعصية وقال الكلبي المعنى ليوحدون
فاما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء واما الكافر فيوحده في الشدة دون النعمة وقال جماعة ليخضعوا الي ويتذللوا ومعنى
العبادة في اللغة الذل والخضوع والانقياد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله متذلل لمشيئته منقاد
لما قدره عليه خلقهم على ما اراد ورزقهم كما قضى لا يملك واحد منهم لنفسه نفعا ولا ضرا وقال
ابن عباس اي ليقروا بالعبودية طوعا او كرها وعنه قال على ما خلقتهم عليه من طاعتي ومعصيتي و
شقوتي وسعادتي والمعاني متقاربة ولا مانع من الحمل على الجميع قيل هذه الآية في تخلف العبادة بالفعل
من بعضهم لان هذا البعض وان لم يعبد الله لكن فيه التهيؤ والاستعداد الذي هو الغاية بالحقيقة
ومد الحسن **وقال تعالى** ام لهم اله غير الله يحفظهم ويرزقهم وينصرهم ويكشف السوء عنهم
ويغيثهم ويعينهم وهذا الاستفهام انكاري على معنى نفي الحصول من اصله اي ليس لهم في الواقع
اله غير الله سبحان الله عما يشركون ما يحتمل وجهين احدهما ان تكون مصدرية معناه سبحانه عن اشراكهم

ثانيهما خبرية معناه عن الذين يشركون وعلى هذا فيحتمل ان يكون التنزيه عن الولد لانهم كانوا يقولون البنات لله فقال سبحان عن البنات والبنين او ان يكون عن مثل الالهة لانهم كانوا يقولون هو مثل ما يعبدونه فقال سبحان الله عن مثل ما يعبدونه **وقال تعالى** هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم فيه من بيان التوحيد وصفاته العليا واسمائه الحسنى ما لا يخفى على من له ادنى المام بمدارك الشرع الشريف والدين الحق الحنيف عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امر رجلا اذا اوى الى فراشه ان يقرأ آخر سورة الحشر وقال ان مت مت شهيدا اخرجه ابن السني وابن مردويه وعن ابي امامة يرفعه من قرأ خواتيم الحشر في ليل او نهار فمات من يومه او ليلته اوجب الله له الجنة اخرجه البيهقي في شعب الايمان وابن عدي وابن مردويه والخطيب

قال تعالى الله لا اله الا هو اي هو المستحق للعبادة دون غيره فوحدوه ولا تشركوا به شيئا **و قال تعالى** رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا اي اذا عرفت انه المختص بالربوبية فاتخذه قائما بامورك وعول عليه في جميع مهماتك وقيل كفيلا بما وعدك من الجزاء والنصر قال البقاعي وليس ذلك بان يترك الانسان كل عمل فان ذلك طمع فارغ بل بالاجمال في طلب كل ما ندب الانسان الى طلبه ليكون متوكلا في السبب منتظرا المسبب فلا يهمل الاسباب ويتركها طامعا في المسببات لانه حينئذ يكون كمن يطلب الولد من غير صاحبة وهو يخالف لحكمة هذه الدار المبنية على الاسباب **وقال تعالى** قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد هذه السورة لها اسماء كثيرة طيبة منها سورة الاخلاص وهي مصرحة بالتوحيد رادة على عباد غير الله تعالى كائنا ما كان وفي اي مكان كان وناعية على القائلة بالتثنية والتثليث وهي اربع او خمس آية عن ابي بن كعب ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم انسب لنا ربك فانزل الله هذه السورة وفي الباب روايات عن جماعة من الصحابة وعن انس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال اني احب هذه السورة فقال حبك اياها ادخلك الجنة رواه احمد والترمذي وابن الضريس والبيهقي وقد ورد من غير وجه انها تعدل ثلث القرآن وفيها ما هو صحيح

وما هو حسن وهذه السورة قد تجردت لبيان توحيد الالوهية وصفاته العليا وفيه دليل على شرف علم التوحيد وكيف والعلم يشرف بشرف المعلوم ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله سبحانه و ما يجوز عليه وما لا يجوز وما ظنك بذلك والله اعلم بما هنالك ومعنى الكفو المثل اي ليس كمثله شيء قاله ابن عباس ومن زعم ان نفي الكفو والمثل في الماضي لا يدل على نفيه في الحال والكفار يدعونه في الحال فقد تاه في غيه لانه اذا لم يكن فيما مضى لم يكن في الحال ضرورة وكذا في الاستقبال اذ الحادث لا يكون كفوا للقديم وحاصل كلام الكفرة يئول الى الاشراك والتشبيه والتعطيل والسورة الكريمة تدفع الكل بادل الدليل ومجال القول في تفسير هذه السورة واسع جدا لا ياتي عليه الحصر وقد افرده بعض اهل العلم بالتاليف المستقل وفيما ذكرناه مقنع وبلاغ **وقال تعالى** قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس قال ابن القيم رح في تفسير المعوذتين واما سورة الناس فقد تضمنت ايضا مستعاذا به ومستعاذا منه ومستعيذا فاما المستعاذ به فهو رب العالمين رب الناس ملك الناس اله الناس فذكر ربوبيته للناس وملكه اياهم والهيته لهم ولا بد من مناسبة في ذكر ذلك في الاستعاذة من الشيطان فاضافهم في الكلمة الاولى الى ربوبيته المتضمنة لخلقهم وتربيتهم وتدبيرهم واصلاحهم وحفظهم مما يفسدهم وهذا معنى ربوبيته لهم وذلك يتضمن قدرته التامة ورحمته الواسعة وعلمه بتفاصيل احوالهم واجابة دعواتهم وكشف كرباتهم واضافهم في الكلمة الثانية الى ملكه فهو ملكهم المتصرف فيهم وهم عبيده ومماليكه وهو المتصرف بهم المدبر لهم كما شاء النافذ القدرة فيهم فهو ملكهم الحق الذي اليه مفزعهم في الشدائد والنوائب فلا صلاح لهم ولا قيام الا به واضافهم في الكلمة الثالثة الى الهيته لهم فهو الههم الحق ومعبودهم المطلق الذي لا اله سواه ولا معبود لهم غيره فكما انه وحده ربهم ومليكهم لم يشاركه في ربوبيته ولا في ملكه احد فكذلك هو وحده الههم ومعبودهم فلا ينبغي ان يجعل معه شريكا في الالهية والمعبودية كما لا ينبغي ان يجعل معه شريكا في ربوبيته وملكه وهذه طريقة القرآن يحتج عليهم سبحانه وتعالى باقرارهم بهذا التوحيد على ما انكروه من توحيد الالهية والعبادة فاذا كان هو ربنا ومليكنا فلا مفزع لنا غيره فلا ينبغي ان يدعى الا اياه ولا يخاف ولا يرجى ولا يحب سواه ولا يذل لغيره ولا يخضع الا له ولا يتوكل الا عليه لان من ترجوه او تخافه او تدعوه اما ان يكون مربيك والقيم باموره فلا رب لك سواه او يكون ملكك ومعبودك الحق فهو ملك الناس حقا وكلهم مماليكه و

عبيده او يكون معبودك والهك الذي لا تستغني عنه طرفة عين بل حاجتك اليه اعظم من حاجتك
الى روحك وحياتك وهو اله الخلق واله الناس الذي لا اله لهم سواه فهم جديرون ان لا يستعيذوا
بغيره ولا يستنصروا بسواه فظهرت مناسبة هذه الاضافات الثلاث للاستعاذة من اعدى العدو
واعظمهم عداوة ثم انه سبحانه وتعالى كرر الاسم الظاهر ولم يوقع المضمر موقعه فيقول رب الناس و
ملكهم والههم تحقيقا لهذا المعنى فاعاد ذكرهم عند كل اسم من اسمائه ولم يعطف بالواو لما فيها من الايذان
بالمغايرة وقدم الربوبية لعمومها وشمولها لكل مربوب واخر الالهية لخصوصها لانه سبحانه انما هو اله من عبده
ووحده واتخذه الها دون غيره فمن لم يعبده ويوحده فليس بالهه وان كان في الحقيقة لا اله سواه ولا مستحق للعبادة
الا اياه لكنه ترك الهه الحق واتخذ الها غيره ووسط صفة الملك بين الربوبية والالوهية لان الملك هو المتصرف بقوله وامره
المطاع اذا امر فملكه لهم تابع لخلقه اياهم فملكهم من كمال ربوبيته وكونه الههم الحق من كمال ملكه فربوبيته تستلزم ملكه وملكه
يستلزم الهيته فهو الرب الملك الاله خلقهم بالربوبية وقهرهم بالملك واستعبدهم بالالوهية فتامل
هذه الجلالة وهذه العظمة التي تضمنتها هذه الاضافات الثلاث على جميع قواعد الايمان وتضمنت
معاني جميع اسمائه الحسنى اما تضمنها لمعاني اسمائه الحسنى فان الرب هو القادر الخالق البارئ المصور
الحي القيوم العليم السميع البصير المحسن المنعم الجواد المعطي النافع الضار المقدم المؤخر يهدي ويضل ويشقي
ويسعد ويعز ويذل الى غير ذلك من معاني الربوبية واما الملك فهو الامر الناهي المعز المذل الذي يصرف
امور عباده كما يحب ويقلبهم كيف يشاء فهو العزيز الجبار المتكبر الخافض الرافع القابض الباسط العظيم
الجليل الولي المتعال الملك القدوس المقسط الجامع الى غير ذلك من الاسماء العائدة الى معاني الملك
واما الاله فهو الجامع لجميع صفات الكمال الحاوي لتمام نعوت الجلال والجمال فيدخل في هذا جميع
الاسماء الحسنى ولهذا كان القول ان الله اصله الاله وان اسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الاسماء
الحسنى والصفات العليا واسرار احكام الله تعالى اعز واجل من ان تدركها عقول البشر وانما غاية
اولي العلم الاستدلال على ما يظهر منها على ما وراءه انتهى كلام ابن القيم رح ونحوه قد مر الكلام وحقق
المقام في تفسير سورة الفلق ايضا فراجعه

باب في الادلة الدالة على توحيد الله تعالى

ايضا وحكاية اقوال اهل العلم في بيان انواعه وما يتصل بذلك قال الله تعالى ولقد بعثنا

في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فيه الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك والأمر
حقيقة في الوجوب كما أن النهي حقيقة في التحريم على ما قرره علماء البيان والمعاني ومادة الطاغوت
من الطغيان وهو مجاوزة الحد قال عمر رضي الله عنه الطاغوت الشيطان وقال جابر الطواغيت الكهنة
كانت تنزل عليهم الشياطين وقال مالك الطاغوت كل ما عبد غير الله وقال ابن كثير الطاغوت
الشيطان وكل ما زينه من عبادة غير الله وقال ابن القيم الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود
أو متبوع أو مطاع فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله
أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة الله فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها
وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم ممن أعرض عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت وعن طاعته
ومتابعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم إلى طاعة الطاغوت ومتابعته ومعنى الآية أنه سبحانه أخبر
أنه بعث في كل طائفة من الناس رسولا بهذه الكلمة أن اعبدوا الله أي وحدوه وأخلصوا له العبادة
ولا تشركوا به شيئا أي شيء كان من أي شخص في أي مكان واجتنبوا الطاغوت أي اتركوا عبادة ما سواه
عن جلي أي عبادة كانت من التي هي سوى الله ورسوله ولم يأذن بها أحد كما قال سبحانه وتعالى فمن يكفر
بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها وهذا معنى لا إله إلا الله فإنها هي
العروة الوثقى قال ابن كثير في هذه الآية كلهم يدعو إلى عبادة الله وينهى عن عبادة ما سواه فلم يزل الله
تعالى يرسل الرسل إلى الناس بذلك منذ حدث الشرك في قوم نوح وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل
الأرض إلى أن ختمهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي طبقت دعوته الجن والإنس في المشارق
والمغارب وكلهم كما قال تعالى في هذه الآية فإن اعبدوا الله وحده فاتركوا عبادة غيره كائنا ما
كان فكيف يسوغ لأحد من المشركين بعد هذا أن يقول لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء فمشيئته
الشرعية عنهم منفية لأنه نهاهم عن ذلك على ألسنة رسله وأما مشيئته الكونية وهي تمكينهم من ذلك
قدرا فلا حجة لهم فيه لأنه تعالى خلق النار وأهلها من الشياطين والكفرة وهو لا يرضى لعباده الكفر وله
في ذلك حجة بالغة وحكمة قاطعة ولهذا قال فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليهم الضلالة
انتهى فكانت الحكمة في إرسال الرسل دعوتهم أممهم إلى عبادة الله وحده والنهي عن عبادة ما سواه
وأن هذا هو دين الأنبياء والمرسلين كلهم أجمعين أكتعين أبصعين كما أخبر بذلك رب العالمين

[illegible]

حيث قال وما ارسلنا قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وان اختلفت فيه شريعتهم كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا **وقال تعالى** واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا المراد بالعبادة هنا التوحيد مع اخلاص العمل لكونها واقعة في مقابلة النهي عن الاشراك والتوحيد نوعان توحيد في المعرفة والاثبات وهو توحيد الربوبية والاسماء والصفات وتوحيد في الطلب والقصد وهو توحيد الالهية والعبادة وسمي دين الاسلام توحيدا لان مبناه على ان الله واحد في ملكه وافعاله لا شريك له وواحد في ذاته لا ند له وواحد في الوهيته وعبادته والى هذه الانواع الثلثة ينقسم توحيد الانبياء والرسل الذين جاؤا به من عند الله وهي متلازمة لكل نوع منه لا ينفك عن الاخر فمن اتى بنوع منها ولم يأت بالاخر فما ذلك الا لانه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب قال ابن القيم الاول يعني توحيد المعرفة هو اثبات حقيقة الرب تعالى وصفاته وافعاله واسمائه وتكلمه بكتبه وتكليمه بمن شاء من عباده واثبات عموم قضائه وقدره وحكمته وقد افصح القران عن هذا النوع جد الافصاح كما في اول الحديد وطه واخر الحشر واول الم تنزيل السجدة واول ال عمران وسورة الاخلاص وغير ذلك والثاني يعني توحيد الطلب والقصد هو ما تضمنته سورة قل يا ايها الكافرون وقوله قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا واول سورة تنزيل الكتاب واخرها واول سورة المؤمن ووسطها واخرها واول سورة الاعراف واخرها وجملة سورة الانعام وغالب سور القران بل كل سورة فيه هي متضمنة لنوعي التوحيد شاهدة به داعية اليه فان القران اما خبر عن الله تعالى واسمائه وصفاته وافعاله واقواله فهو التوحيد العلمي الخبري واما دعوة الى عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الارادي الطلبي واما امر ونهي والزام بطاعته في كل ما يؤتى به ويذر فهو من حقوق التوحيد ومكملاته واما خبر عن اكرام اهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا ويكرمهم به في الاخرة فهو جزاء توحيده واما خبر عن اهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب والوبال فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد فالقران كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شان الشرك واهله وجزائهم انتهى قال شيخ الاسلام ابن تيمية رح التوحيد الذي جاءت به الرسل انما جاء يتضمن اثبات الالهية لله وحده بان يشهد ان لا اله الا هو ولا يعبد الا اياه ولا يتوكل الا عليه ولا يوالي الا له ولا يعادي الا فيه

ولا يعلم الا الا حاله وذلك يتضمن اثبات ما اثبته لنفسه من الاسماء والصفات قال تعالى واسئل
من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون واخبر عن كل نبي من الانبياء
انهم دعوا الناس الى عبادة الله وحده لا شريك له وقال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم
والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله وقال عن المشركين انهم كانوا
اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون وهذا في القرآن كثير وليس
المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية وهو اعتقاد ان الله وحده خلق العالم كما يظن ذلك من يظنه من
اهل الكلام والتصوف ويظن هؤلاء انهم اذا اثبتوا ذلك بالدليل فقد اثبتوا غاية التوحيد وانهم اذا
شهدوا هذا وفنوا فيه فقد فنوا في غاية التوحيد فان الرجل لو اقر بما يستحقه الرب من الصفات ونزهه
عن كل ما ينزه عنه واقر بانه وحده خالق كل شيء لم يكن موحدا حتى يشهد ان لا اله الا الله فيقر بان
الله وحده هو الاله المستحق للعبادة ولا يستحقها غيره ويلتزم بعبادته تعالى وحده لا شريك له والاله
هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة وليس هو الاله بمعنى القادر على الخلق فاذا فسر المفسر الاله بمعنى
القادر على الاختراع واعتقد ان هذا اخص وصف الاله وجعل اثبات هذا هو الغاية في التوحيد
كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمي الصفاتية وهو الذي يقولونه عن ابي الحسن واتباعه لم يعرفوا حقيقة
التوحيد الذي بعث الله به رسوله فان مشركي العرب كانوا مقرين بان الله وحده خالق كل شيء وكانوا
مع هذا مشركين قال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون قال طائفة من السلف تسألهم
من خلق السموات والارض فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره قال تعالى قل لمن الارض
ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون الى قوله فانى تسحرون فليس كل من اقر بان الله
رب كل شيء وخالقه يكون عابدا له دون ما سواه داعيا له دون ما سواه راجيا له خائفا منه دون ما
سواه يوالي له ويعادي فيه ويطيع رسله ويأمر بما امر به وينهى عما نهى عنه وعامة المشركين اقروا بان
الله خالق كل شيء واثبتوا الشفعاء الذين يشركونهم به وجعلوا له اندادا وفي القرآن الكريم آيات في
ذلك الباب كثيرة ولهذا كان من اتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها ويصوم
وينسك لها ويتقرب اليها ثم يقول ان هذا ليس بشرك وانما الشرك اذا اعتقدت انها المدبرة لي فاذا
جعلتها سببا وواسطة لم اكن مشركا ومن المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام ان ١٦٠ - [illegible]

ليس المراد بالتوحيد توحيد الربوبية

وحاصله ان الانسان لا يصير موحداً حتى يقر بتوحيد الالوهية كما يقر بتوحيد الربوبية وان كثيراً من الناس لا يهتدون سبيلاً الى هذا المقام فيقرون بالنوع الثاني ولا يقرون بالنوع الاول او ينكرونه جهلاً منهم فهم في الحقيقة مشركون وعليهم هذا النعي في الكتاب العزيز والسنة المطهرة وان رسل الله وانبياءه من اولهم الى آخرهم بعثوا للدعاء العباد الى توحيد الله تعالى بتوحيد العبادة واخلاص العمل له فكل واحد من الرسل اول ما يقرع به اسماع قومه قوله يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وان لا تعبدوا الا اياه وان اعبدوا الله واتقوه واطيعون ونحوه من الآيات التي سبقت في الباب الاول وهذا هو الذي تضمنه قول لا اله الا الله فانها دعت الرسل قومها الى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها لا مجرد قولها باللسان ومعناها هو افراده سبحانه بالالهية والعبادة والنفي لما يعبد من دونه والبراءة منه وهذا الاصل لا مرية فيما تضمنه ولا شك فيه وانه لا يتم ايمان احد حتى يعلمه ويعتقده ويعمل بمقتضاه فتحصل من هذا ان التوحيد قسمان توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها ومعناه ان الله وحده هو الخالق للعالم وهو الرب لهم والرازق لهم وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكاً بل هم مقرون به **قال تعالى** ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله **وقال تعالى** ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم **وقال تعالى** قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار الى ان قال فسيقولون الله فقل افلا تتقون **وقال تعالى** قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون **وقال تعالى** قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون **وقال تعالى** قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون وهذا فرعون مع غلوه في كفره ودعواه اقبح دعوى ونطقه بالكلمة الشنعاء حكى الله سبحانه فيه عن لسان موسى عليه السلام لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وقال ابليس اللعين اني اخاف الله رب العالمين وقال رب بما اغويتني وقال رب انظرني وكل مشرك مقر بان الله خالقه وخالق السموات والارض ورب ما فيهما ورازقهم ولهذا احتج عليهم الرسل بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق وبقوله ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له فاهل الشرك مقرون بذلك لا ينكرونه ولا يجحدونه وتوحيد العبادة ومعناه افراد الله

وحده جميع انواع العبادات فهذا هو الذي جعلوا لله فيه الشركاء ولفظ شريك يشعر بالاقرار بالله تعالى فالرسل عليهم السلام بعثت لتقرير الاول ودعاء المشركين الى الثاني مثل قولهم في خطاب المشركين افي الله شك هل من خالق غير الله ونهيهم عن شرك العبادة ولذا قال تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله اي قائلين لاممهم هذا القول فافاد قوله في كل امة ان جميع الامم لم ترسل اليهم الرسل ولم تبعث اليهم الانبياء الا لطلب توحيد العبادة لا للتعريف بانه الخالق للعالم وانه رب السموات والارض وما بينهما فانهم مقرون بهذا ولهذا اوردت الايات غالبا باستفهام التقرير نحو هل من خالق غير الله افي الله شك فاطر السموات والارض اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض اروني ماذا خلق الذين من دونه اروني ماذا خلقوا من الارض الى غير ذلك مما سبق في الباب الاول من الادلة الناطقة به وهذا الاستفهام تقرير لهم انهم مقرون بتوحيد الخالقية والربوبية تلك مسئلة مجمع عليها بين الامم كلها اولهم الى اخرهم لم يختلف فيه امة من الامم بل ولا واحد منهم ابدا الا من يكون معتوها او احمق وبهذا عرفت ان المشركين لم يتخذوا وانما اتخذوه معبودا لهم كالاوثان والاصنام والمسيح وامه عليهما السلام والملائكة والجن والشياطين لاجل انهم اشركوه في خلق شي من الاشياء وفي خلق انفسهم بل اتخذوهم الهة وعبدوهم بناء على انهم يقربونهم الى الله تعالى زلفى كما افصحوا بذلك وقالوا انهم مقرون بالله تعالى في نفس كلماتهم الكفرية ويقولون انهم شفعاؤنا عند الله قال تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون فجعل اتخاذهم الشفعاء شركا فيه ونزه نفسه المقدسة عنه لانه لا يشفع احد عنده الا باذنه والله لا ياذن لاولئك الشفعاء لهم في الشفاعة ولانهم اهل الشرك لا يغنون عنهم من الله شيئا فلا يجوز من احد لاحد منهم العبادة التي هي اقصى غايات الخضوع والتذلل ولم تستعمل الا في الخضوع لله تعالى لانه مولى النعم كلها جليلها ودقيقها كبيرها وحقيرها فكان حقيقا باقصى غاية الخضعان ومن هنا تقرر ان راس العبادات واساس الطاعات توحيد الله سبحانه التي افادته كلمته التي اليها كانت دعوة الرسل الكرام جميعهم وهو قول لا اله الا الله اي لا معبود بحق الا هو ومن ثم لم يقل لا خالق او لا رازق او لا رب الا الله فان هذا التركيب لا يفيد ما يفيده اسم الجلالة الذي هو بمعنى المالوه اي المعبود والمراد اعتقاد معناها من صميم الجنان لا مجرد قولها باللسان ومعناها افراد الله تعالى بالعبادة اي عبادة كانت مما ورد به الشرع والنفي والبراءة من كل معبود دونه انسانا كان او حيوانا او حجرا او جمادا او

نباتا او شيئا من الاشياء وقد علم الكفار هذا لانهم اهل اللسان العربي فقالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب قال الشيخ احمد بن علي المقريزي ان الله سبحانه هو رب كل شيء ومالكه والهه فالرب مصدر رب يرب ربا فهو راب فمعنى قوله رب العالمين اي رابهم وهو الرب الخالق الموجد لعباده القائم بتربيتهم واصلاحهم المتكفل لهم من خلق ورزق وعافية واصلاح دين ودنيا والالهية كون العباد يتخذونه مالوها معبودا محبوبا يفردونه بالحب والخوف والرجا والاخبات والتوبة والنذر والطاعة والطلب والتوكل ونحو هذه الاشياء فان التوحيد حقيقته ان ترى الامور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات عن الاسباب والوسائط فلا ترى الخير والشر الا منه وهذا المقام يثمر التوكل وترك شكاية الخلق وترك لومهم والرضا عن الله تعالى والتسليم لحكمه واذا عرفت ذلك علمت ان الربوبية منه تعالى للعباد والتاله من عباده له سبحانه كما ان الرحمة هي الوصلة بينه عز وجل وبينهم وان انفس الاعمال واجلها قدرا توحيد الله تعالى غير ان التوحيد له قشران الاول ان تقول بلسانك لا اله الا الله ويسمى هذا القول توحيدا وهو مناقض التثليث الذي تعتقده النصارى وهذا التوحيد يصدر ايضا من المنافق الذي يخالف سره جهره والثاني ان لا يكون في القلب مخالفة ولا انكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به وهذا هو توحيد عامة الناس ولباب التوحيد ان يرى الامور كلها لله تعالى ومنه سبحانه ثم يقطع الالتفات عن الوسائط وان يعبده سبحانه عبادة يفرده بها ولا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل من اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده **قال تعالى** افرايت من اتخذ الهه هواه واذا تاملت عرفت ان عابد الصنم لم يعبد الصنم انما عبد هواه وهو ميل نفسه الى دين ابائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس الى المالوفات احد المعاني التي يعبر عنها بالهوى ويخرج عن هذا التوحيد السخط على الخلق والالتفات اليهم فان من يرى الكل من الله كيف يسخط على غيره او يامل سواه وهذا التوحيد مقام الصديقين ولا ريب ان توحيد الربوبية لم ينكره المشركون بل اقروا بانه سبحانه وحده خالقهم وخالق السموات والارض والقائم بمصالح العالم كله وانما انكروا توحيد الالهية والمحبة كما حكى الله تعالى عنهم في قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله فلما سووا غيره به في هذا التوحيد كانوا مشركين كما **قال تعالى** ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اي يسوون غيره به و**قال تعالى** وهم بربهم يعدلون وقد علم الله عباده كيفية مباينة

الشرك في توحيد الالهية امر اده وليا وحكما وربا فقال تعالى قل اغير الله اتخذ وليا وقال
افغير الله ابتغي حكما وقال قل اغير الله ابغي ربا. فلا ولي ولا حكم ولا رب الا الله الذي من عدل به
غيره فقد اشرك في الوهيته ولو وحد ربوبيته فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها
وكافرها وتوحيد الالوهية مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين ولهذا كانت كلمة الاسلام لا اله
الا الله فلو قال لا رب الا الله لما اجزأه عند المحققين فتوحيد الالوهية هو المطلوب من العباد ولهذا
كان اصله الاله كما هو قول سيبويه وهو الصحيح وهو قول جمهور اصحابه الا من شذ منهم وهو الا عنايا
الذي قربانه الاله وانه المحبوب لاجتماع صفات الكمال فيه كان الله هو الاسم الجامع لجميع معاني الاسماء
الحسنى والصفات العليا وهو الذي ينكره المشركون وحجج الرب سبحانه عليهم بتوحيد ربوبيته على
توحيد الوهيته كما قال تعالى آلله خير اما يشركون امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء
ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون اي يسوون غير
الله تعالى بالله تعالى وكل ما ذكره الله تعالى من آياته في سورة النمل قال عقبها أإله مع الله فابان سبحانه بذلك
ان المشركين انما كانوا يتوقفون في اثبات توحيد الالهية لا الربوبية على ان منهم من اشرك في
الربوبية كما ياتي بعد ذلك وبالجملة فهو تعالى يحتج على منكري الالهية باثباتهم الربوبية وانه الملك الآمر
الناهي لا يخلق خلقا بمقتضى ربوبيته ويتركهم سدى معطلين لا يؤمرون ولا ينهون ولا يعاقبون بل هو الملك
المعطي المانع الضار النافع المثيب المعاقب ولذلك جاءت الاستعاذة في سورة الفلق وسورة
الناس بالاسماء الحسنى الثلاثة الرب والملك والاله فانه لما قال قل اعوذ برب الناس كان فيه اثبات
انه ربهم وخالقهم وفاطرهم وبارئهم فبقي ان يقال انه تعالى لما خلقهم هل كلفهم وامرهم ونهاهم قيل
نعم فجاء ملك الناس فاثبت الخلق والامر له الا له الخلق والامر فلما قال ذلك قيل فاذا كان ربا موجدا
وملكا مكلفا فهل يحب ويرغب اليه ويكون التوجه اليه غاية الخلق والامر فقيل نعم فجاء اله الناس اي
مألوههم ومعبودهم ويختص بهما الذي لا وجهة للعبد المخلوق المكلف العابد الا له فجاءت الالهية خاتمة
وغاية وما قبلها كالتوطئة لها فهاتان السورتان اعظم عوذة في القرآن وجاءت الاستعاذة فيهما وقت الحاجة
الى ذلك وهو حين سحر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخيل له انه يفعل الشيء وما فعله واقام على ذلك
اربعين يوما كما في الصحيح وكانت عقد السحر احدى عشر عقدة فانزل الله المعوذتين احدى عشر آية فحلت

بكل آية معقدة وتعلقت الاستعاذة في اوائل القرآن باسمه الاله الكامل ذي الاسماء الحسنى والصفات العليا المرغوب اليه في ان يستعيذ عبده الذي يناجيه بكلامه من الشيطان الحائل بينه وبين مناجاة ربه ثم استحب التعليق باسمه الاله الشريف في جميع المواطن التي يقال فيها اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لان اسمه الله هو الغاية لجميع الاسماء ولهذا كان اسم بعده لا يتعرف الا به فتقول الله هو السلام المؤمن المهيمن فالجلالة تعرف غيرها وغيرها لا يعرفها والذين اشركوا به تعالى في الربوبية منهم من اثبت معه خالقا آخر وان لم يقولوا انه مكافئ له وهم المشركون ومن ضاهاهم من القدرية وربوبيته سبحانه للعالم هي الربوبية الكاملة المطلقة الشاملة العامة تبطل اقوالهم لانها تقتضي ربوبيته لجميع ما فيه من الذوات والصفات والحركات والافعال وحقيقة قول القدرية المجوسية انه تعالى ليس ربا لافعال الحيوان ولا يتناولها ربوبيته اذ كيف يتناول ما لا يدخل تحت قدرته ومشيئته وخلقه وشرك الامم كله نوعان شرك في الالهية وشرك في الربوبية فالشرك في الالهية والعبادة هو الغالب على اهل الاشراك وهو شرك عباد الاصنام وعباد الملائكة وعباد الجن وعباد المشائخ والصالحين الاحياء منهم والاموات الذين قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهم يشفعون لنا عنده بسبب قربهم من الله كرامته لهم قرب كرامة كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكرامة والزلفى لمن يخدم اعوان الملك واقاربه وخاصته والكتب الالهية كلها من اولها الى آخرها تبطل هذا المذهب وترده وتقبح اهله وتنص على انهم اعداء الله تعالى وجميع الرسل صلوات الله عليهم متفقون على ذلك من اولهم الى آخرهم وما اهلك الله من الامم الا بسبب هذا الشرك ومن اجله واصله الشرك في محبة الله تعالى قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله فاخبر ان من احب مع الله تعالى شيئا غيره كما يحبه فقد اتخذ ندا من دونه وهذا على اصح القولين في الآية الشريفة انهم يحبونهم كما يحبون الله وهذا هو العدل المذكور في قوله سبحانه ثم الذين كفروا بربهم يعدلون والمعنى انهم يعدلون به غيره في العبادة فيسوون بينه وبين غيره في الحب والعبادة وكذلك قول المشركين في النار لاصنامهم تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ومعلوم قطعا ان هذه التسوية لم تكن بينهم وبين الله في كونه ربهم وخالقهم فانهم كانوا كما اخبر الله عنهم مقرين بان الله تعالى وحده هو ربهم وخالقهم وان الارض ومن فيها لله تعالى وحده وانه رب السموات السبع ورب العرش العظيم وانه سبحانه هو الذي بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه

ولما كانت هذه التسوية بينهم وبين الله تعالى في المحبة والعبادة فمن احب غير الله وخافه ورجاه وذل له وخضع كما يحب الله ويخافه ويرجوه ويخضع له فهو المشرك وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله فكيف بمن كان غير الله آثر عنده واحب اليه واخوف عنده وهو في مرضاته اشد سعيا منه في مرضاة الله فاذا كان المسوي بين الله وبين غيره في ذلك مشركا فما الظن بهذا فعياذا بالله من ان ينسلخ القلب من التوحيد والاسلام كانسلاخ الحية من قشرها وهو يظن انه مسلم موحد فهذا احد انواع الشرك والادلة الدالة على انه تعالى يجب ان يكون وحده هو المألوه تبطل هذا الشرك وتدحض حجج اهله وهي اكثر من ان يحيط بها الا الله بل كل ما خلقه الله تعالى فهو آية شاهدة بتوحيده وكذلك كل ما امر به وخلقه فهو امره وخلقه وما فطر عليه عباده وركبه فيهم من العقل شاهد بانه الله الذي لا اله الا هو وان كل معبود سواه باطل وانه هو الحق المبين تقدس وتعالى عن ظنون الظانين شعر فيا عجبا كيف يعصى الاله * ام كيف يجحده الجاحد * ولله في كل تحريكة * وتسكينة ابدا شاهد * وفي كل شي له آية * تدل على انه واحد

والنوع الثاني الشرك به تعالى في الربوبية كشرك من جعل معه خالقا آخر كالمجوس وغيرهم الذين يقولون بان للعالم ربين احدهما خالق الخير والآخر خالق الشر وكالفلاسفة ومن تبعهم الذين يقولون بانه لم يصدر عنه الا واحد بسيط وان مصدر هذا العالم عن العقل الفعال فهو رب كل ما تحته وهذا اشد من عباد الاصنام والمجوس والنصارى وهو اخبث شرك في العالم اذ يتضمن من التعطيل وجحد الالهية والربوبية واستناد الخلق الى غيره سبحانه ما لم يتضمنه شرك امة من الامم وشرك القدرية مختصر من هذا المطول وباب يدخل منه اليه ولهذا اشبههم الصحابة رضي الله عنهم بالمجوس كما ثبت عن ابن عمر وابن عباس وقد روى اهل السنن فيهم ذلك مرفوعا انهم مجوس هذه الامة وكثيرا ما يجتمع الشركان في العبد وقد ينفرد احدهما عن الآخر والقرآن الكريم بل الكتب المنزلة من عند الله تعالى كلها مصرحة بالرد على اهل هذا الاشراك كقوله اياك نعبد فانه ينفي شرك المحبة والالهية وقوله واياك نستعين فانه ينفي شرك الخلق والربوبية فتضمنت هذه الآية تجريد التوحيد لرب العالمين في العبادة والاستعانة وانه لا يجوز اشراك غيره معه لا في الافعال ولا في الالفاظ ولا في الارادات هذا آخر كلام المقريزي رحمه الله في كتابه تجريد التوحيد المفيد وانما اتيت به في هذا الباب ليقف الناظر فيه والمطلع عليه على حقيقة توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية بدرك ما ينافيهما من طرائق الاشراك بالله تعالى فان الاشياء

تفرقت باضدادها وسياتي الكلام على حقيقة الشرك وبيان انواعه في محله وبالجملة فاصل اصول البر وعمدة انواعه التوحيد وذلك لانه يتوقف عليه الاخبات لرب العالمين الذي هو اعظم الاخلاق الكاسبة للسعادة وهو اصل التدبير العلمي الذي هو افيد التدبيرين وبه يحصل للانسان التوجه التام تلقاء الغيب ويستعد نفسه للحوق به بالوجه المقدس وقد نبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على عظم امره وكونه من انواع البر بمنزلة القلب اذا صلح صلح الجميع واذا فسد فسد الجميع حيث اطلق القول فيمن مات لا يشرك بالله انه دخل الجنة او حرمه الله على النار او لا يحجب من الجنة ونحو ذلك من العبارات وحكى عن ربه تبارك وتعالى من لقيني بقراب الارض خطيئة لا يشرك بالله شيئا لقيته بمثلها مغفرة وما احق عدم الاشراك بالله ولو كانت معه ذنوب وخطايا صغائر او كبائر بان يدخل صاحبه الذي يعتقد التوحيدين اللذين سبق بيانهما الجنة ولا يحرم منها فان التوحيد راس الطاعات وليس وراءه عبادات قوية كما ان الشرك جليا كان او خفيا وان كانت معه عبادة كثيرة لا ينفع صاحبه ولا يغني عنه شيئا كما نطق به القرآن وليس وراء بيان الله بيان قال في حجة الله البالغة ان للتوحيد اربع مراتب احداها حصر وجوب الوجود فيه تعالى فلا يكون غيره واجبا والثانية حصر خلق العرش والسموات والارض وسائر الجواهر فيه تعالى وهاتان المرتبتان لم تبحث الكتب الالهية عنهما ولم يخالف فيهما مشركو العرب ولا اليهود ولا النصارى بل القرآن العظيم ناص على انهما من المقدمات المسلمة عندهم والثالثة حصر تدبير السموات والارض وما بينهما فيه تعالى والرابعة انه لا يستحق غيره العبادة وهما متشابكتان متلازمتان لربط طبيعي بينهما وقد اختلف فيهما طوائف من الناس معظمهم ثلاث فرق المنجمون ذهبوا الى ان النجوم تستحق العبادة وان عبادتها تنفع في الدنيا ورفع الحاجات اليها حق قالوا قد تحققنا ان لها اثرا عظيما في الحوادث اليومية وسعادة المرء وشقاوته وصحته وسقمه وان لها نفوسا مجردة عاقلة تبعثها على الحركة ولا تغفل عن عبادها فبنوا هياكل على اسمائها وعبدوها والمشركون وافقوا المسلمين في تدبير الامور العظام وفيما ابرم وجزم ولم يترك لغيره خيرة ولم يوافقوهم في سائر الامور وذهبوا الى ان الصالحين من قبلهم عبدوا الله وتقربوا اليه فاعطاهم الله الالوهية فاستحقوا العبادة من سائر خلق الله كما ان ملك الملوك يخدمه عبده فيحسن خدمته فيعطيه خلعة الملك ويفوض اليه تدبير بلد من بلاده فيستحق السمع والطاعة من اهل ذلك البلد وقالوا لا تقبل عبادة الله الا مضمومة بعبادتهم بل الحق في غاية التعالي فلا تفيد

عبادته تقربا منه بل لا بد من عبادة هؤلاء ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء يسمعون ويبصرون و
يشفعون لعبادهم ويدبرون امورهم وينصرونهم فنحتوا على اسمائهم احجارا وجعلوها قبلة عند توجههم
الى هؤلاء فخلف من بعدهم خلف لم يفطنوا للفرق بين الاصنام وبين من هي على صورته فظنوها
معبودات باعيانها ولذلك رد الله تعالى عليهم تارة بالتنبيه على ان الحكم والملك له خاصة وتارة
ببيان ان الجمادات الصم الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان
يسمعون بها والنصارى ذهبوا الى ان المسيح عليه السلام قرب من الله وعلا على الخلق فلا ينبغي ان يسمى
عبدا فيسوى لغيره لان هذا اسوء ادب معه واجمال لقربه من الله ثم مال بعضهم عند التعبير عن تلك
الخصوصية الى تسميته ابن الله نظرا الى ان الاب يرحم الابن ويربيه على عينيه وهو فوق العبيد فهذا
الاسم اولى به وبعضهم الى تسميته بالله نظرا الى ان الواجب حل فيه وصار داخله ولهذا يصدر منه
آثار لم تعهد من البشر مثل احياء الاموات وخلق الطير فكلامه كلام الله وعبادته هي عبادة الله فخلف
من بعدهم خلف لم يفطنوا لوجه التسمية وكادوا يجعلون البنوة حقيقة او يزعمون انه الواجب من
جميع الوجوه ولذلك رد الله تعالى عليهم تارة بانه لا صاحبة له وتارة بانه بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن
له صاحبة انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وهذه الفرق الثلث لهم دعاوي عريضة وخرافات كثيرة
لا تخفى على المتتبع وعن هاتين المرتبتين بحث القرآن العظيم ورد على الكافرين شبهتهم ردا مشبعا
انتهى كلام الحجة وهذه المراتب الاربعة للتوحيد اذا تاملت فيها وجدتها ترجع الى القسمين الذين سبقا
في اول هذا الباب قال في الفوز الكبير ان معاني القرآن المنطوقة لا تخرج عن خمسة علوم منها علم
المخاصمة والرد على الفرق الضالة الاربع من اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين والتصريح على
هذا العلم منوط بذمة المتكلم قال واختار سبحانه وتعالى في آيات المخاصمة الزام الخصم بالمشهورات
المسلمة والخطابيات النافعة لا تنقيح البراهين على طريق المنطقيين ولم يراع مناسبة في الانتقال
من مطلب الى مطلب كما هو قاعدة الادباء المتاخرين بل نشر كل ما اهم القاؤه على العباد تقدم او تاخر
وعامة المفسرين يربطون كل آية من آيات المخاصمة وآيات الاحكام بقصة ويظنون ان تلك القصة
سبب نزولها والمحقق ان القصد الاصلي من نزول القرآن تهذيب النفوس البشرية ودمغ العقائد
الباطلة ونفي الاعمال الفاسدة فوجود العقائد الباطلة في المكلفين سبب لنزول آيات المخاصمة

ووجود الاعمال الفاسدة وجريان المظالم فيما بينهم سبب لنزول آيات الاحكام قال قد وقع في القرآن المجيد المخاصمة مع الفرق الاربع الضالة المشركين والمنافقين واليهود والنصارى وهذه المخاصمة على قسمين الاول ان تذكر العقيدة الباطلة مع التنصيص على شناعتها ويذكر انكارها لا غير والثاني ان تقرر شبهاتهم ويذكر حلها بالادلة البرهانية او الخطابية اما المشركون فكانوا يسمون انفسهم حنفاء وكانوا يدعون التدين بالملة الابراهيمية وانما يقال الحنيف لمن تدين بالملة الابراهيمية والتزم شعارها وشعارها حج البيت الحرام واستقباله في الصلوة والغسل من الجنابة والاختتان وسائر خصال الفطرة وتحريم الاشهر الحرم وتعظيم المسجد الحرام وتحريم المحرمات النسبية والرضاعية والذبح في الحلق والنحر في اللبة والتقرب بالذبح والنحر خصوصا في ايام الحج وقد كان في اصل الملة الوضوء والصلوة والصوم من طلوع الفجر الى غروب الشمس والصدقة على اليتامى والمساكين والاعانة في نوائب الحق وصلة الارحام مشروعة وكان التمدح بهذه الافعال شائعا فيما بينهم ولكن جمهور المشركين كانوا يتركونها حتى صارت هذه الافعال كان لم تكن شيئا وقد كان تحريم القتل والسرقة والزنا والربا والغصب ايضا ثابتا في اصل الملة وكان انكار هذه الاشياء جاريا في الجملة واما جمهور المشركين فيرتكبونها ويتبعون النفس الامارة فيها وقد كانت عقيدة اثبات الصانع سبحانه وتعالى وانه هو خالق السموات والارضين ومدبر الحوادث العظام وانه قادر على ارسال الرسل وجزاء العباد بما يعملون وانه مقدر الحوادث قبل وقوعها وعقيدة ان الملائكة عباده المقربون المستحقون للتعظيم ايضا ثابتة فيما بينهم ويدل على ذلك اشعارهم وكان قد وقع لجمهور المشركين في هذه العقائد شبهات كثيرة ناشئة من استبعاد هذه الامور وعدم الفهم وكان ضلالهم الشرك والتشبيه والتحريف وانكار المعاد واستبعاد رسالته صلى الله عليه وآله وسلم وشيوع الاعمال القبيحة والمظالم فيما بينهم وابتداع الرسوم الفاسدة واندراس العبادات والشرك ان يثبت لغير الله سبحانه وتعالى شيئا من صفاته المختصة به كالتصرف في العالم بالارادة الذي يعبر عنه بكن فيكون او العلم الذاتي من غير اكتساب بالحواس ودليل العقل والمنام والالهام ونحو ذلك او الايجاد لشفاء المريض او اللعن لشخص والسخط عليه حتى يقدر عليه الرزق او يمرض او يشقى لذلك السخط او الرحمة لشخص حتى يبسط له الرزق ويصح بدنه ويسعد ولم يكن المشركون يشركون احدا في خلق الجواهر وتدبير الامور العظام ولا يثبتون لاحد قدرة على الممانعة اذا ابرم الله سبحانه وتعالى امرا وانما كان اشراكهم في الامور الخاصة ببعض العباد وكانوا يظنون ان الملك على الاطلاق جل

يجوزون شركة بعض العباد في خلعة الالوهية ويؤثر رضاهم وسخطهم في سائر العباد كما ان ملكا من الملوك
عظيم القدر يرسل عبيده المخصوصة الى نواحي الملك ويجعلهم متصرفين في الامور الجزئية الى ان يصدر
من الملك حكم صريح فلا يتوجه الى تدبير الامور الجزئية ويفوض اليهم امور سائر العباد ويقبل شفاعتهم
في باب من يخدمهم ويتوسل بهم فيقولون يجب التقرب بعباد الله سبحانه المخصوصين المذكورين
ليتيسر لهم قبول الملك المطلق وتقبل شفاعتهم المتقربين بهم في مجاري الامور فكانوا يجوزون
بملاحظة هذه الامور ان يسجد لهم ويذبح لهم ويحلف بهم ويستعان بهم في الامور الضرورية بقدرة
كن فيكون وكانوا ينحتون من الحجر والصفر وغير ذلك صورا يتخذونها قبلة التوجه الى تلك الارواح حتى
يعتقد الجهال شيئا فشيئا تلك الصور معبودة بذواتها فيتطرق بذلك خلط عظيم والتشبيه عبارة
عن اثبات الصفات البشرية لله تبارك وتعالى فكانوا يقولون الملائكة بنات الله وانه يقبل شفاعة
عباده وان لم يرض بها كما ان الملوك يفعلون مثل ذلك بالنسبة الى الامراء الكبار وكانوا يقيسون علمه
تعالى وسمعه وبصره الذي يليق بجناب الالوهية على علمهم وسمعهم وابصارهم لقصور اذهانهم فيقعون
في القول بالتجسيم والتحيز وبيان التحريف ان اولاد اسمعيل عليه السلام كانوا على شريعة جدهم الكريم
حتى جاء عمرو بن لحي فوضع لهم اصناما وشرع لهم عبادتهم واخترع لهم من بحيرة وسائبة وحام و
استقسام بالازلام وما اشبه ذلك وقد وقعت هذه الحادثة قبل بعثته صلى الله عليه وآله وسلم بثلاثمائة
سنة تقريبا وكان الجهلة يتمسكون في هذا الباب بآثار آبائهم وكانوا يعدون ذلك من الحجج القاطعة وقد
بين الانبياء السالفة الحشر والنشر لكن ليس ذلك البيان بشرح وبسط تضمنه القرآن العظيم ولذلك ما
كان جمهور المشركين مطلعين عليه وكانوا يستبعدونه وهؤلاء الجماعة وان اعترفوا بنبوة سيدنا ابراهيم
وسيدنا اسمعيل عليهما الصلوة والسلام بل بنبوة سيدنا موسى ايضا لكن كانت الصفات البشرية التي هي
حجاب لجمال الانبياء الكامل تشوشهم تشويشا ولم يدركوا حقيقة تدبير الله عز وجل الذي هو مقتضي بعثة
الانبياء فكانوا يستبعدون ذلك لما الفوا المماثلة بين الرسول والمرسل فكانوا يوردون شبهات واهية غير صحيحة
كما قالوا انهم كيف يحتاجون الى الشراب والطعام وهم انبياء وهلا يرسل الله سبحانه وتعالى الملائكة ولم
لا ينزل الوحي على كل انسان على حدة وعلى هذا الاسلوب وان كنت متوقفا في تصوير حال المشركين وعقائدهم
واعمالهم فانظر الى حال العوام والجهلة من اهل الزمان خصوصا من سكن منهم باطراف دار الاسلام كيف

يظنون الولاية وماذ المخيل اليهود منها ومع النصرانية يعترفون بولاية الاولياء المتقدمين يعدون وجود الاولياء في هذا الزمان من قبيل المحال ويذهبون الى القبور والآثار ويرتكبون انواعا من الشرك وكيف تطرق اليهم التشبيه والتحريف بحكم الحديث الصحيح لتتبعن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل وما من
اى سبيل ۱۲
آفة من هذه الآفات الا وقوم من اهل هذا الزمان واقعون في ارتكابها معتقدون مثلها عافانا الله سبحانه من ذلك وبالجملة فان الله تعالى برحمته بعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم في العرب وامره باقامة الملة الحنيفية وخاصمهم في القرآن العظيم وقد وقع التمسك في تلك المخاصمة بمسلماتهم من بقايا الملة الحنيفية ليتحقق الالزام فجواب الاشراك اولا طلب الدليل ونقض التمسك بتقليد الآباء وثانيا عدم التساوي بين هؤلاء العباد وبينه تبارك وتعالى واختصاصه عز وجل باستحقاق اقصى غاية التعظيم بخلاف هؤلاء العباد وثالثا بيان اجماع الانبياء على هذه المسألة وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ورابعا بيان شناعة عبادة الاصنام وسقوط الاحجار من مراتب الكمالات الانسانية فكيف بمرتبة الالوهية وهذا الجواب مسوق لقوم يعتقدون الاصنام معبودين لذواتهم وجواب التشبيه اولا طلب الدليل ونقض التمسك بتقليد الآباء وثانيا بيان ضرورة المجانسة بين الوالد والولد وهي مفقودة وثالثا بيان شناعة اثبات ما هو مكروه ومذموم عند انفسهم لله تبارك وتعالى الربك البنات ولهم البنون وهذا الجواب مسوق لاجل قوم اعتادوا المقدمات المشهورة والمتوهمات الشعرية واكثرهم على هذه الصفة وجواب التحريف بيان عدم نقله عن ائمة الملة وبيان ان ذلك كله اختراع وابتداع غير معصوم وجواب استبعاد الحشر والنشر اولا القياس على احياء الارض وما اشبه ذلك وتنقيح المناط الذي هو شمول القدرة وامكان الاعادة وثانيا بيان موافقة اهل الكتب الالهية في الاخبار به وجواب استبعاد الرسل اولا بيان وجودها في الانبياء المتقدمين وما ارسلنا من قبلك الا رجالا الى آخره وثانيا دفع الاستبعاد ببيان ان الرسالة ههنا عبارة عن الوحي قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي وتفسير الوحي بما لا يكون محالا وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب وثالثا بيان عدم ظهور المعجزات التي يقترحونها لمصلحة كلية يقصر علمهم عن ادراكها وكذلك عدم موافقة الحق لهم في تعيين شخص يوحى

بسوئه وكذلك لم يحمل الرسول مكانا لم يجئ الى كل واحد منهم وليس كل شيء من ذلك الا المصطلح الكلمة
ولما كان الاكثر من بعث اليهم مشركين اثبت هذه المضامين في سور كثيرة باساليب متعددة وتاكيدات
بليغة ولم يتحاش من اعادتها مرات كثيرة نعم يمكن ان يكون تخصيصه لتكثير المطلق بالنسبة الاذهان لا
بجهالة الكلام في معانيه فان المشركين بعد الاكثار ذلك بعد رأسه العليم وكان اليهود من امة التوراة
وكانت ضلالتهم تحريف احكام التوراة تحريفا لفظيا ومعنويا وكتمان آياتها والحاق ما ليس منها بها وترك
منهم والتساهل في اقامة احكامها والمبالغة في التعصب بمذهبهم واستبعاد رسالة سيدنا صلى الله عليه وآله
وسلم وسوء الادب والطعن بالنسبة اليه صلى الله عليه وآله وسلم بل بالنسبة الى حضرة الحق تبارك وتعالى
ايضا وابتلائهم بالبخل والحرص وغير ذلك اما التحريف اللفظي فانهم كانوا يرتكبونه في ترجمة التوراة وامثالها
لا في اصل التوراة هكذا النحو عند الفقير وهو قول ابن عباس التحرير والتحريف المعنوي تاويل فاسد بحمل الآية على
غير معناها تعكرا وتعمقا عن الصراط المستقيم ومن جملة ذلك انه قد بين الفرق بين الدين والفاسق والكافر
الجاحد في كل ملة واثبت العذاب الشديد والخلود للكافر وجوز خروج الفاسق من النار بشفاعة الانبياء
والظاهر ان المراد من هذا المعنى اسم المتدين في كل ملة بتلك الملة واثبت في التوراة هذه المرتبة لليهودي والعبري
وفي الانجيل للنصراني وفي القرآن العظيم للمسلمين ومناط الحكم الايمان بالله واليوم الآخر والانقياد للنبي بعث
اليهم والعمل بشرائع الملة واجتناب المنهيات من تلك الملة لا خصوص فرقة من الفرق لذا اعتقدت اليهود
ان اليهودي والعبري يدخلان الجنة البتة ويعيده شفاعة الانبياء من النار وقالوا لن تمسنا النار الا اياما
معدودة ولو لم يتحقق مناط الحكم ولو كان متمسكا بالله بوجه غير صحيح ولو لم يكن له حظ من الايمان بالآخرة ونبوة
النبي المبعوث اليه وهذا غلط صريح وجهل محض ولما كان القرآن العظيم مهيمنا على الكتب السالفة وتبيانا
لما صعب اشكاله فيها كشف الغطاء عن هذه الشبهة على وجه التدليل من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون ومن جملة ذلك انه قد بين في كل ملة احكاما تناسب مصالح ذلك العصر وقد
سلك في التشريع مسالك عادات القوم وامر بالاخذ بها وادامة الاعتقاد والعمل عليها تاكيدا لحصر الحكمية
فيها او المرادات الحقيقية محصورة فيها في ذلك العصر وذلك الزمان والمراد بذلك الادامة الظاهرية لا الادامة الحقيقية
يعني ما لم يأت نبي آخر ولم يكشف الغطاء عن وجه النبوة وهم حملوا ذلك على استحالة نسخ اليهودية ومعنى وصية الاخذ بالملة
في الحقيقة وصية بالايمان والاعمال الصالحة ولم تكن خصوصية تلك الملة لبقاء هؤلاء الاعتبار والخصوصية فطوبى لمن

عليه السلام وصى اولاده باليهودية ومن جملة ذلك ان الله عز وجل شرف الانبياء وتابعيهم في كل ملة
بلقب المقرب والمحبوب وذم الذين ينكرون الملة بصفة المغضوبية وقد وقع التكلم في هذا الباب بلفظ شائع
في كل قوم فلا عجب ان يكون قد ذكر لفظ الابناء مقام المحبوبين فظن اليهود ان ذلك التشريف دائر مع اسم
اليهودي والعبري والاسرائيلي ولم يعلموا انه دائر على صفة الانقياد والخضوع ومتابعة ما اراد الحق سبحانه
ببعثة الانبياء لا غير وكان ارتكز من هذا القبيل في خاطرهم كثير من التاويلات الفاسدة المأخوذة من
آبائهم واجدادهم فازال القرآن الكريم هذه الشبهات على وجه اتم واما كتمان الآيات فهو انهم كانوا يخفون
بعض الاحكام والآيات ليحافظوا على جاه شريف او لاجل رياسة يطلبونها وكانوا يحذرون ان يضمحل اعتقاد
الناس فيهم ويلاموا بترك العمل بتلك الآيات ومن جملة ذلك ان رجم الزاني مذكور في التوراة وكانوا يتركونه
لاجماع احبارهم على ترك الرجم واقامة الحد وتحمير الوجه مقامه ويكتمون ذلك مخافة الفضيحة ومن جملة
ذلك انهم كانوا يأولون آيات فيها بشارة هاجر واسمعيل عليهما الصلوة والسلام ببعثة نبي في اولادهما وفيها
اشارة بوجود ملة يكون ظهورها وشهرتها في ارض الحجاز وتتلئ بها جبال عرفة من التلبية ويقصدون ذلك الموضع
من اطراف الاقاليم وهي ثابتة في التورية الى الآن وكانوا يأولونها بان ذلك اخبار بوجود هذه الملة ليس فيه
امر بالاخذ بها وكانوا يقولون ملة ما كتبت علينا ولما كان هذا التاويل ركيكا فلا يسمعه احد ولا يكاد
يصح عند احد كانوا يتواصون باخفائه ولا يجيزون اظهاره لكل عام وخاص اتحدثونهم بما فتح الله عليكم
ليحاجوكم به عند ربكم وما اجهلهم كيف تحمل منة الله على هاجر واسمعيل بهذه المبالغة وذكر هذه الامة
بهذا التشريف على ان لا يكون فيه حث وتحريض على الاخذ بها وترغيب في التدين بها سبحانك هذا
بهتان عظيم واما الافتراء فالسبب فيه دخول التعمق والتشدد على احبارهم ورهبانهم والاستحسان يعني
استنباط بعض الاحكام لادراك المصلحة فيه بدون نص الشارع وترويج الاستنباطات الواهية فالحقوا
اتباعه بالاصل وكانوا يزعمون ان اتفاق سلفهم من الحجج القاطعة ليس لهم في انكار نبوة عيسى عليه السلام
مستند الا اقوال السلف وكذلك في كثير من الاحكام واما المساهلة في اقامة احكامها وارتكاب البخل
والحرص فظاهر انه مقتضى النفس الامارة ولا يخفى انها تغلب الناس الا من شاء الله ان النفس لامارة بالسوء
الا ما رحم ربي الا ان هذه الرذيلة قد تلونت في اهل الكتاب بكيفية اخرى كانوا يتكلفون تصحيحها بتاويل
فاسد وكانوا يظهرونه في صورة التشريع واما استبعاد رسالة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فسببه اختلاف

عادة الانبياء واخو السحر في اكثار الترجيح والاذلال وما اشبه ذلك واختلاف شرائعهم واختلاف سنة
الله في معاملة الانبياء من بني اسرائيل وامثال ذلك والاصل في هذه المسئلة ان النبوة بمنزلة اصلاح
نفوس العالم وتسوية عاداتهم وعباداتهم لا ايجاد اصل بر واثم ولكل قوم عادة في العادات وتدابير
المنزل والسياسة المدنية فاذا حدثت النبوة في اولئك القوم لا تغير تلك العادة بالمرة ولا تستانف ايجاد
عادة اخرى بل يميز الذي من العادات ما كان على القاعدة موافقا لما يرضى الله سبحانه وتعالى فيبقيه وما
كان منها بخلاف ذلك فيغيره بقدر الضرورة والتذكير بآلاء الله وبايام الله ايضا يكون على هذا الاسلوب
كما يكون شائعا فيما بينهم فالغرض انما اختلفت شرائع الانبياء لهذه النكتة ومثل هذا الاختلاف كمثل
اختلاف الطبيب اذا دبر امر المريضين فيصف لاحدهما دواء باردا وغذاء باردا ويامر الآخر بدواء
وغذاء حار وغرض الطبيب في الموضعين واحد وهو اصلاح الطبع وازالة المفسد لا غير وقد يصف في
كل اقليم دواء وغذاء على حدة بحسب عادة الاقليم ويختار في كل فصل تدبيرا مناسبا بحسب طبع الفصل
وهكذا الحكيم الحقيقي جل مجده لما اراد ان يعالج من ابتلى بالمرض النفساني ويقوي الطبع والقوة الملكية ويزيل
المفسد اختلفت المعالجة بحسب اختلاف اقوام كل عصر واختلاف عاداتهم ومشهوراتهم ومسلماتهم
وبالجملة فان شئت ان ترى انموذج اليهود فانظر الى علماء السوء من الذين يطلبون الدنيا وقد اعتادوا تقليد
السلف واعرضوا عن نصوص الكتاب والسنة وتمسكوا بتعمق عالم وتشدده واستحسانه فاعرضوا عن كلام
الشارع المعصوم وتمسكوا باحاديث موضوعة وتاويلات فاسدة كانت ديدنهم واما النصارى فكانوا يؤمنون
بعيسى عليه الصلوة والسلام وكان من ضلالتهم انهم يزعمون ان الله سبحانه وتعالى بثلاث شعب متغايرة
بوجه متحدة بآخر ويسمون الشعب الثلاثة اقانيم ثلاثة احدها الاب وذلك بازاء المبدئ للعالم والثاني الابن
وهو بازاء الصادر الاول وهو معنى شامل لجميع الموجودات والثالث روح القدس وهو بازاء العقول
المجردة وكانوا يعتقدون ان اقنوم الابن تدرع روح عيسى عليه السلام يعني تصور الابن بصورة روح
عيسى كما ان جبريل يظهر بصورة الانسان وقد يزعمون ان عيسى اله وانه ابن الله ايضا وانه بشر ايضا يجري
عليه الاحكام البشرية والالهية معا وكانوا يتمسكون في هذا الباب ببعض نصوص الانجيل حيث وقع
فيه لفظ الابن وقد نسب الى نفسه بعض الافعال الالهية وجواب الاشكال الاول على تقدير تسليم
انه كلام عيسى ليس فيه خفاء لان لفظ الابن كان في الزمان القديم بمعنى المحبوب والمقرب والمختار

كما يدل عليه كثير من القرائن فى الانجيل وجواب الاشكال الثاني انه على سبيل الحكاية كما يقول رسول ملك من الملوك يا فلان قد غلبنا الملك الفلاني وقد اخذنا قلعة كذا والمعنى فى الحقيقة راجع الى الملك وانما هو ترجمان محض وايضا يحتمل ان يكون طريق الوحي الى عيسى عليه السلام انطباع المعاني في لوح نفسه من قبل العالم الاعلى لا تمثل جبريل بالصورة البشرية والقاء الكلام فربما يجري بسبب هذا الانطباع منه عليه السلام كلام مشعر بنسبة تلك الافعال الى نفسه والحقيقة غير خفية وبالجملة فقد رد الله سبحانه وتعالى هذا المذهب الباطل وهو ان عيسى عبد الله وروحه المقدس نفخ في رحم مريم الصديقة و ايده الله سبحانه بروح القدس ونظر اليه بالعناية الخاصة المرعية في حقه ولو ظهر الله سبحانه وتعالى في الكسوة الروحية التي هي من جنس سائر الارواح وتدرع بالبشرية لا يطبق لفظ الاتحاد على هذا المعنى عند التعمق والامعان الا بتسامح واقرب الالفاظ لهذا المعنى التقويم ومثله تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وان شئت ان ترى انموذجا لهذا الفريق فانظر اليوم الى اولاد المشائخ الاولياء ماذا يظنون بآبائهم فتجدهم قد افرطوا في اجلالهم كل الافراط وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون وايضا من ضلالة اولئك انهم يجزمون انه قد قتل عيسى عليه السلام وفى الواقع انه وقع اشتباه في قصته فلما رفع الى السماء ظنوا انه قد قتل ويروون هذا الغلط كابرا عن كابر فازال الله تعالى هذه الشبهة فى القرآن العظيم وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وما ذكر فى الانجيل من مقتولية عيسى فمعناه اخبار بجرأة اليهود واقدامهم على قتله وان كان الله سبحانه وتعالى ينجيه من هذه المهلكة واما مقولة الحواريين فمنشاؤها وقوع اشتباه وعدم اطلاع على حقيقة الرفع الذي لا تألفه الاذهان والاسماع ومن ضلالتهم ايضا انهم يقولون ان فارقليط الموعود هو عيسى روح الله الذي جاءهم بعد القتل ووصاهم بالتمسك بالانجيل ويقولون انه وصى عيسى واخبرهم بان المتنبئين يكثرون فمن سماني فاقبلوا كلامه والا فلا فبين القرآن العظيم ان بشارة عيسى انما تنطبق على نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لا على الصورة الروحانية لعيسى لانه قال فى الانجيل ان فارقليط يلبث فيكم مدة من الدهر ويعلم العلم ويطهر الناس ويزكيهم ولا يظهر هذا المعنى في غير نبينا صلى الله عليه وآله وسلم واما تسمية عيسى عليه السلام فهو عبارة عن اثبات نبوته لا ان يسميه الله او ابن الله واما المنافقون فهم على قسمين قوم يقولون الكلمة الطيبة بالسنتهم وقلوبهم مطمئنة بالكفر و يضمرون الجحود الصرف في انفسهم قال تعالى في حقهم ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار وطائفة

حملوا اي الاسلام ضعف بسببهم من ينتسب ساده فهم ربما ارتدوا عن الاسلام ان امن القوم امرا

بان كفروا واكفروا سه وما انا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية ارشد، ومنهم

من هجم على قلوبهم ملذات الدنيا الدنية بحيث لم تترك في القلب محلا لمحبة الله ومحبة رسوله

او ملأت قلوبهم حرص المال والحسد والحقد ونحو ذلك بحيث لا يعطيهم بالهم حلاوة المناجاة ولا ارتكاب

العبادات سه اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى، فصادف قلبا خاليا فتمكنا، ومنهم من شغلوا

بامر المعاش واشتغلوا به بحيث لم يبق وجهة للاهتمام بامر المعاد وتفقهه وتفكره ومنهم من يخطر

ببالهم ظنون واهية وشبهات ركيكة في رسالة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فان لم يطلعوا وجه

حلها ضعفت عقيدتهم بالاسلام ويخرجون منه بالكلية ومنشأ تلك الشكوك جريان الاحكام الشبيهة على

حضرة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وظهور اهل الاسلام في صورة غلبة الملوك على اطراف الممالك

وما اشبه ذلك ومنهم من حملتهم محبة القبائل والعشائر على ان يبذلوا الجهد البليغ في نصرتهم وتقويتهم

وتأييدهم وان كان فيه خلاف اهل الاسلام ويتمادون في امر الاسلام عند هذه المقابلة وهذا

القسم من نفاق التسهل ونفاق الاخلاق ولا يمكن الاطلاع على النفاق الاول بعد حضرة الرسالة

صلى الله عليه وآله وسلم فان ذلك من قبيل علم الغيب ولا يمكن الاطلاع على ما استتر في القلوب

والنفاق الثاني كثير الوقوع لا سيما في زماننا هذا الزمان الاخير واليه الاشارة في الحديث ثلاث من كن

فيه كان منافقا خالصا اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا خاصم فجر الى غير ذلك من الاحاديث

قد بين الله سبحانه وتعالى اعمالهم واخلاقهم في القرآن العظيم وقد ذكر من احوال المنافقين اشياء

كثيرة ليحترز الامة منها فان شئت ان ترى انموذج المنافقين فانطلق الى مجالس الامراء وانظر

الى مصاحبيهم كيف يرجحون مرضاتهم على مرضاة الشارع لا فرق عند الانصاف بين من سمع

كلامه صلى الله عليه وآله وسلم بلا واسطة وسلك مسلك النفاق وبين من حدث في هذا الزمن

وعلم احكام الشارع بطريق اليقين ثم آثر خلاف ذلك واقتدى باهل مخالفته وعلى هذا القياس

جماعة من المعقوليين تمكنت في خواطرهم شكوك وشبهات حتى جعلوا المعاد نسيا منسيا فهؤلاء

انموذج المنافقين وبالجملة اذا قرأت القرآن فلا تحسبن المخاصمة كانت مع قوم انقرضوا ودرجوا

بل الواقع انه عام فلا يكن فيما سوى من الزمان الا وهو موجود اليوم بطريق الاتم فتذكر حديث

لتتبين حسن من تمسك بالحق الى ما شد اليه في هذا الكتاب من بيان عقائد الفرق الضالة المذكورة
وتقرير اجوبتها وهذا القدر كاف في فهم معاني آيات المخاصمة ان شاء الله تعالى انتهى كلام الفوز الكبير
في اصول التفسير للشيخ الاجل احمد ولي الله المحدث الدهلوي قدس سره وهو كالشرح لما سبق نقلت
كتابه حجة الله البالغة وبالجملة قال الشيخ الامام محمد بن ابي بكر بن القيم رحمه الله في كتابه الجواب الكافي
لمن سأل عن الدواء الشافي كشف الغطاء عن هذه المسألة ان يقال ان الله عز وجل ارسل رسله وانزل
كتبه وخلق السموات والارض ليعرف ويوحد ويعبد ويكون الدين كله لله والطاعة كلها له والدعوة له كما
قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق
وقال الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير و
ان الله قد احاط بكل شيء علما وقال جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي
والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم فاخبر سبحانه ان القصد
بالخلق والامر ان يعرف باسمائه وصفاته ويعبد وحده لا يشرك به شيء وان يقوم الناس بالقسط وهو العدل
الذي قامت به السموات والارض كما قال تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان
ليقوم الناس بالقسط فاخبر انه ارسل رسله وانزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل ومن اعظم
القسط التوحيد بل هو راس العدل وقوامه وان الشرك لظلم عظيم فالشرك
اظلم الظلم والتوحيد اعدل العدل فما كان اشد منافاة لهذا المقصود فهو اكبر الكبائر وتفاوتها في درجاتها
بحسب منافاتها له وما كان اشد موافقة لهذا المقصود فهو اوجب الواجبات وافرض الطاعات فتامل
هذا الاصل حق التامل واعتبر به تفاصيله تعرف به حكمة احكم الحاكمين واعلم العالمين فيما فرضه على
عباده وحرمه عليهم وتفاوت مراتب الطاعات والمعاصي فلما كان الشرك بالله منافيا بالذات لهذا المقصود
كان اكبر الكبائر على الاطلاق وحرم الله الجنة على كل مشرك واباح دمه وماله لاهل التوحيد وان يتخذوهم
عبيدا لهم لما تركوا القيام بعبوديته وابى الله ان يقبل من مشرك عملا او يقبل فيه شفاعة او يستجيب له في
الآخرة دعوة او يقبل له فيها عثرة فان المشرك اجهل الجاهلين بالله حيث جعل له من خلقه ندا وذلك
غاية الجهل به كما انه غاية الظلم منه وان كان المشرك لم يظلم ربه وانما ظلم نفسه انتهى قال الشيخ العلامة
محمد بن الموصلي في كتابه سيف السنة الرفيعة لقطع رقاب الجهمية والشيعة التوحيد الذي حقيقته

اثبات صفات الكمال له تعالى وتنزيهه عن اضدادها فقد اصطلح اهل الباطل على وضعه للتعطيل
المحض ثم دعوا الناس الى التوحيد فخدعوا من لم يعرف معناه في اصطلاحهم وظن ان ذلك هو التوحيد
الذي دعت اليه الرسل والتوحيد عندهم اسم لاربعة معان توحيد الفلاسفة وتوحيد الجهمية
وتوحيد الجبرية وتوحيد الاتحادية وهذه الاربعة الانواع من التوحيد جاءت الرسل بابطالها ودل
على بطلانها العقل والنقل اما توحيد الفلاسفة فهو انكار ماهية الرب الزائدة على وجوده وانكار صفات
كماله وانه لا سمع له ولا بصر ولا قدرة ولا حياة ولا ارادة ولا كلام ولا وجه له ولا يدين وليس فيه معنيان
متميز احدهما عن الآخر البتة قالوا لانه لو كان كذلك لكان مركبا وكان جسما مؤلفا لم يكن واحدا من
كل وجه فجعلوه من جنس الجوهر الفرد الذي لا يحس ولا يرى ولا يتميز منه جانب من جانب بل الجوهر
الفرد يمكن وجوده وهذا الواحد الذي جعلوه حقيقة رب العالمين يستحيل وجوده فلما اصطلحوا على
هذا المعنى في التوحيد وسمعوا قوله والهكم اله واحد وقوله ما من اله الا اله واحد نزلوا لفظ القرآن
على هذا المعنى الاصطلاحي وقالوا لو كان له صفة او كلام او مشيئة او علم او حياة او قدرة او سمع او بصر
لم يكن واحدا وكان مركبا مؤلفا فسموا اعظم التعطيل باحسن الاسماء وهو التوحيد وسموا اصح الاشياء و
احقها بالثبوت وهو صفات الرب تعالى شانه باقبح الاسماء وهو التركيب والتاليف فتولد من بين هذه
التسمية القبيحة للمعنى الباطل جحد حقائق اسماء الرب وصفاته بل وجحد ماهيته وذاته وتكذيب رسله
وكتبه ونشأ من نشأ على اصطلاحهم مع اعراضه من استفادة الهدى والحق من الوحي فلم يعرف سوى
الباطل الذي اصطلحوا عليه فجعله اصلا لدينه فلما رأى ما جاءت به الرسل معارضة قال اذا تعارض
العقل والنقل قدم العقل التوحيد الثاني توحيد الجهمية وهو مشتق من توحيد الفلاسفة وهو نفي صفات
الرب سبحانه وتعالى كتكلمه وكلامه وسمعه وبصره وحياته وعلوه على عرشه ونفي وجهه ويديه وقطب
رحى هذا التوحيد جحد حقائق اسمائه الحسنى وصفاته العليا التي جاءت بها الرسل واطبقت عليها كتبه
التوحيد الثالث توحيد الجبرية وهو اخراج العباد عن ان يكون فعل لهم وان يكون واقعا
بارادتهم وكسبهم بل هي نفس فعل الله تعالى فهو الفاعل لها دونهم ونسبتها اليهم وانهم فعلوها تنافي
التوحيد عندهم الرابع توحيد القائلين بوحدة الوجود وان الوجود عندهم واحد ليس عندهم وجودان
قديم وحادث وخالق ومخلوق وواجب وممكن بل الوجود عندهم واحد بالعين والذي يقال له المخلوق المشبه

وهو الحق المنزه والكل من عين واحد بل هو العين الواحد فهذه الانواع الاربعة سماها اهل الباطل توحيدا فاعتصموا بالاسم من انكار المسلمين عليهم وقالوا نحن الموحدون وسموا التوحيد الذي بعث الله به رسله تركيبا وتجسيما وتشبيها وتمثيلا وجعلوا هذه الالقاب لها سهاما وسلاحا يقاتلون بها اهله فتترسوا بما عند اهل الحق من الاسماء الصحيحة وقاتلوهم بالاسماء الباطلة وقد ورد في الحديث الصحيح في حجة الوداع عن جابر رضي الله عنه مرفوعا اهل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالتوحيد وقال لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك فهذا توحيد الرسول المتضمن لاثبات الصفات الكمالية التي يستحق عليها الحمد ولاثبات الافعال التي استحق بها ان يكون منعما ولاثبات القدرة والمشيئة والارادة والتصرف والغضب والرضى والغنى والجود الذي هو حقيقة ملكه وعدم نسبة ذلك اليه هو حقيقة قولهم فاي حمد لمن لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم ولا يتكلم ولا يفعل ولا هو في هذا العالم ولا خارج منه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا فوقه ولا تحته ولا من يمينه ولا من يساره واي نعمة لمن لا يقوم به فعل البتة واي ملك لمن لا وصف له ولا فعل فانظر الى توحيد الرسل وتوحيد من خالفهم ومن العجب انهم سموا توحيد الرسل شركا وتجسيما وتشبيها مع انه غاية الكمال وسموا تعطيلهم والحادهم ونفيهم توحيدا وهو غاية النقص ونسبوا اتباع الرسل الى تنقيص الرب وقد سلبوه كل كمال وزعموا انهم اثبتوا له الكمال وقد نزهوا عنه فهذا توحيد الملاحدة والجهمية والمعطلة واما توحيد الرسل فهو اثبات صفات الكمال له و اثبات كونه فاعلا بمشيئته وقدرته واختياره وان له فعلا حقيقة وانه وحده الذي يستحق ان يعبد ويخاف ويرجى ويتوكل عليه فهو المستحق لغاية الحب بغاية الذل وليس لخلقه من دونه وكيل ولا ولي ولا شفيع ولا واسطة بينه وبينهم في رفع حوائجهم اليه وفي تفريج كرباتهم واجابة دعواتهم نعم بينه و بينهم واسطة في تبليغ امره ونهيه واخباره فلا يعرفون ما يحبه ويرضاه وما يبغضه ويسخطه ولا حقائق اسمائه وصفاته ولا تفصيل ما يجب له ويمتنع عليه ويوصف به الا من جهة هذه الواسطة فجاء هؤلاء الملاحدة فعكسوا الامر وقلبوا الحقائق فنفوا كون الرسل وسائط في ذلك وقالوا يكفي توسط العقل ونفوا حقائق اسمائه وصفاته وسموا هذا التوحيد ويقولون نحن ننزه الله عن الاعراض والابعاض والحدود والجهات وحلول الحوادث فيه فيسمع الغر المخدوع هذه الالفاظ فيتوهم منها انهم ينزهون الله عما يفهم من معانيها عند الاطلاق ومن العيوب والنقائص والحاجة فلا يشك انهم يمجدونه ويعظمونه ويكشف الناقد البصير

ما تحت هذه الالفاظ فيرى تحتها اثباتا وتكذيب الرسل وتعطيل الرب عما يستحقه من كماله فتنزيههم
عن الاعراض هو جحد صفاته كسمعه وبصره وحياته وعلمه وكلامه وارادته فان هذه الاعراض عندهم
لا تقوم الا بجسم فلو كان متصفا بها لكان جسما وكانت اعراضا له وهو منزه عن الاعراض واما عند
اهل الحق فهذه التي سموها اعراضا هي الغاية والحكمة التي لاجلها يخلق ويفعل ويأمر وينهى ويثيب
ويعاقب وهي الغايات المحمودة المطلوبة له من امره ونهيه وفعله فيسمونها اغراضا وعللا ينزهونه
عنها واما الابعاض فمرادهم بتنزيهه عنها انه ليس له وجه ولا يدان ولا يمسك السموات على اصبع
والارض على اصبع والشجر على اصبع والملك على اصبع فان ذلك كله عندهم ابعاض والله منزه عن
الابعاض واما الحدود والجهات فمرادهم بتنزيهه عنها انه ليس فوق السموات رب ولا على العرش
اله ولا يشار اليه بالاصابع الى فوق كما اشار اليه اعلم الخلق به ولا ينزل منه شيء ولا يصعد اليه شيء ولا
تعرج الملائكة والروح اليه ولا رفع المسيح اليه ولا عرج برسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم اليه اذ لو كان
كذلك لزم اثبات الحدود والجهات واما حلول الحوادث فيريدون به انه لا يتكلم بقدرته ومشيئته
ولا ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا ولا يأتي يوم القيامة ولا يجيء ولا يغضب بعد ان كان راضيا ولا يرضى بعد
ان كان غضبان ولا يقوم به فعل البتة ولا امر مجدد بعد ان لم يكن ولا يريد شيئا بعد ان لم يكن مريدا له
فلا يقول له كن حقيقة ولا استوى على عرشه بعد ان لم يكن مستويا عليه ولا يغضب يوم القيامة غضبا لم يغضب
قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ولا ينادي عباده يوم القيامة بعد ان لم يكن مناديا لهم ولا يقول للمصلي
اذا قال الحمد لله رب العالمين حمدني عبدي فاذا قال الرحمن الرحيم قال اثنى علي عبدي فاذا قال مالك
يوم الدين قال مجدني عبدي فان هذه كلها حوادث وهو منزه عن حلول الحوادث * وقالت الجهمية
نحن نثبت قديما واحدا ومثبتو الصفات يثبتون عدة قدماء قالوا والنصارى اثبتوا ثلاثة قدماء مع الله
تعالى فكفروا فكيف من اثبت سبعة قدماء او اكثر فانظر الى هذا التدليس والتلبيس الذي يوهم السامع
انهم اثبتوا قدماء مع الله تعالى وانما اثبتوا قديما واحدا بصفاته وصفاته داخلة في مسمى اسمه كما انهم
اثبتوا الها واحدا ولم يجعلوا كل صفة من صفاته الها بل هو اله واحد بجميع اسمائه وصفاته وهذا بعينه
يتلقى من عباد الاصنام المشركين بالله المكذبين لرسوله قالوا ايدعو محمد الى اله واحد ثم يقول يا الله
يا سميع يا بصير فيرمونه بآلهة متعددة فانزل الله عز وجل قل ادعوا

فلله الاسماء الحسنى فاي اسم دعوتموه به فانما دعوتم المسمى بذلك الاسم فاخبر سبحانه انه اله واحد وان تعددت اسماؤه الحسنى المشتقة من صفاته العليا ولهذا كانت حسنى والا فلو كانت كما يقول الجاحدون لكماله اسماء محضة فارغة من المعاني ليس لها حقائق لم تكن حسنى ولكانت اسماء الموصوفين بالصفات والافعال احسن منها فدلت الآية على توحيد الذات وكثرة النعوت والصفات ومن ذلك قول هؤلاء اخص صفات الاله القديم فاذا اثبتم له صفات قديمة لزم ان تكون آلهة قديمة ولا يكون الاله واحدا فيقال لهؤلاء المدلسين الملبسين على امثالهم من اشباه الانعام ان المحذور الذي نفاه العقل والشرع والفطرة واجمعت الانبياء على بطلانه ان يكون مع الله آلهة اخرى لا ان يكون اله العالمين الواحد القهار حيا قيوما سميعا بصيرا متكلما آمرا ناهيا مستويا على العرش فوق السموات له الاسماء الحسنى والصفات العليا فلم ينف العقل والشرع والفطرة ان يكون للاله الواحد صفات كمال يختص بها لذاته واعلم ان لفظ الجسم لم ينطق به الوحي اثباتا فيكون له الاثبات ولا نفيا فيكون له النفي فمن اطلقه نفيا او اثباتا سئل عما اراد به فان قال اردت بالجسم معناه في لغة العرب وهو البدن الكثيف الذي لا يسمى في اللغة جسم سواه فلا يقال للهواء جسم لغة ولا للنار ولا للماء فهذه اللغة وكتبها بين اظهرنا فهذا المعنى منفي عن الله سبحانه عقلا وسمعا وان اردتم به المركب من المادة والصورة او المركب من الجواهر الفردة فهذا منفي عن الله تعالى قطعا والصواب نفيه عن الممكنات ايضا فليس الجسم المخلوق مركبا من هذه وان اردتم بالجسم ما يوصف بالصفات ويرى بالابصار ويتكلم ويكلم ويسمع ويبصر ويرضى ويغضب فهذه المعاني ثابتة للرب تعالى وهو موصوف بها فلا ننفيها عنه بتسميتكم للموصوف بها جسما كما لا نسب الصحابة لاجل تسمية الروافض لمن يحبهم ويواليهم نواصب ولا ننفي قدر الرب ونكذب به لاجل تسمية القدرية لمن اثبته جبريا ولا نرد ما اخبر به الصادق المصدوق من الله تعالى واسمائه وصفاته وافعاله لتسمية اعداء الحديث متبعيها حشوية ولا نجحد صفات خالقنا من علوه على خلقه واستوائه على عرشه لتسمية الفرعونية المعطلة لمن اثبت ذلك مشبها شعر

فان كان تجسيما ثبوت استوائه + على عرشه اني اذا لمجسم +
وان كان تشبيها ثبوت صفاته + فمن ذلك التشبيه لا اتلعثم +
وان كان تنزيها جحود استوائه + واوصافه او كونه يتكلم +

فمن ذلك التنزيه نزهت ربنا   بتوفيقه والله اعلى واعلم

ورحمة الله على الشافعي حيث فتح للناس هذا الباب في قوله المشهور + شعر

يا راكبا قف بالمحصب من منى   واهتف بقاعد خيفها والناهض
ان كان رفضا حب آل محمد   فليشهد الثقلان اني رافضي

وكان هذا كله مأخوذ من قول الشاعر الاول شعر

وعيرني الواشون اني احبها +   وذلك ذنب لست منه اتوب

ومن هذا الوادي قول مجنون بني عامر لما ذهب به ابوه الى بيت الحرام واراد ان يدعو عند الملتزم بزوال حب ليلى فالتزم بالملتزم وقال شعر

يا رب لا تسلبني حبها ابدا +   ويرحم الله عبدا قال آمينا

وان اردتم بالجسم ما يشار اليه اشارة حسية فقد اشار اعرف الخلق بالله تعالى اليه باصبعه رافعا لها الى السماء بمشهد الجمع الاعظم مستشهدا له لا للقبلة وان اردتم بالجسم ما يقال له اين فقد سأل اعلم الخلق به عنه باين منبها على علوه على عرشه وسمع السؤال باين واجاب منه ولم يقل هذا السؤال انما يكون من الجسم وانه ليس بجسم وان اردتم بالجسم ما يلحقه من والى فقد نزل جبريل عليه السلام من عنده تعالى وعرج برسوله صلى الله عليه وآله وسلم اليه واليه يصعد الكلم الطيب وعبده عيسى بن مريم المسيح رفع اليه وان اردتم بالجسم ما يتميز منه امر غير امر فهو سبحانه موصوف بصفات الكمال منعوت بنعوت الجلال والجمال جميعها من السمع والبصر والعلم والقدرة والحياة والارادة وهذه صفات متميزة متغايرة ومن قال انها صفة واحدة فهو بالمجانين اشبه منه بالعقلاء وقد قال اعلم الخلق به اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بعفوك من عقوبتك واعوذ بك منك والمستعاذ به غير المستعاذ منه واما استعاذته صلى الله عليه وآله وسلم به منه فباعتبارين مختلفين فان الصفة المستعاذ بها والصفة المستعاذ منها صفتان لموصوف واحد ورب واحد والمستعيذ باحدى الصفتين من الاخرى مستعيذ بالموصوف بهما منه وان اردتم بالجسم ماله وجه ويدان وسمع وبصر فنحن نؤمن بوجه ربنا الاعلى وبيديه وبسمعه وبصره وغير ذلك من صفاته التي اطلقها على نفسه المقدسة او اطلقها رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وان اردتم بالجسم ما يكون فوق غيره ومستويا على غيره فهو سبحانه فوق عباده

مستو على عرشه وكذلك ان اردتم بالتشبيه والتركيب هذه المعاني التي دل عليها الوحي والعقل فنفيكم لها بهذه الالقاب المنكرة خطأ في اللفظ والمعنى وجناية على الفاظ الوحي أما الخطأ اللفظي فتسميتكم الموصوف بذلك جسما مركبا مؤلفا مشبها بغيره وتسميتكم هذه الصفات تجسيما وتركيبا وتشبيها فكذب على القرآن وعلى الرسول وعلى اللغة ووضع لصفاته الفاظا منكم بدأت واليكم ترجع واما خطأكم في المعنى فنفيكم وتعطيلكم لصفات كماله بواسطة هذه التسمية والالقاب فنفيتم المعنى الحق وسميتموه بالاسم المنكر وكنتم في ذلك بمنزلة من سمع ان في العسل شفاء ولم يره فسأل عنه فقيل له مائع رقيق اصفر يشبه العذرة تتقيؤها الزنابير ومن لم يعرف العسل ينفر منه بهذا التعريف ومن عرفه وذاقه لم يزده هذا التعريف عنده الا محبة له ورغبة فيه ولله در القائل

تقول هذا جنى النحل تمدحه　　　وان تشا قلت ذا قيء الزنابير
مدحا وذما وما جاوزت وصفهما +　　　والحق قد يعتريه سوء تعبير

واشد ما جادل به اعداء الرسول من التنفير عنه هو سوء التعبير عما جاء به وضرب الامثال القبيحة له والتعبير عن تلك المعاني التي لا احسن منها بالفاظ منكرة القوها في مسامع المغترين المخدوعين توصلت الى قلوبهم فنفرت عنه واكثر العقول كما عهدت يقبل القول بعبارة ويرده بعبارة اخرى وكذلك اذا قال الفرعوني لو كان فوق السموات رب وعلى العرش اله لكان مركبا قيل له لفظ المركب في اللغة هو الذي ركبه غيره في محله كقوله تعالى في اي صورة ما شاء ركبك وقولهم ركبت الخشبة والباب او ما ركب من اخلاط واجزاء بحيث كانت اجزاؤه متفرقة فاجتمعت وركبت حتى صار شيئا واحدا كقولهم ركبت الدواء من كذا وكذا فان اردت بقولكم لو كان فوق العرش كان مركبا هذا التركيب المعهود او انه كان متفرقا فاجتمع فهو كذب وفرية وبهت على الله وعلى الشرع وعلى العقل وان اردت انه لو كان فوق العرش لكان عاليا على خلقه بائنا عن مخلوقاته مستويا على عرشه ليس فوقه شيء فهذا المعنى حق فكانك قلت لو كان فوق العرش لكان فوق العرش فنفيت الشيء بنفسه بتغيير العبارة عنه وقلبها الى عبارة اخرى وهذا شانكم في اكثر مطالبكم وان اردت بقولك كان مركبا انه يتميز منه شيء عن شيء فقد وصفته انت بصفات يتميز بعضها عن بعض فهل كان عندك هذا تركيبا فان قلت هذا لا يقال لي وانما يقال لمن اثبت شيئا من الصفات واما انا فلا اثبت له صفة واحدة فرارا من التركيب قيل لك العقل لم يدل

على نفي المعنى الذي سميته انت مركبا وقد دل الوحي والعقل والفطرة على ثبوته فنفيه لمجرد تسميتك الباطلة فان التركيب يطلق ويراد به خمسة معان الاول تركيب الذات من الوجود والماهية عند من يجعل وجودها زائدا على ماهيتها فاذا نفيت هذا التركيب جعلته وجودا مطلقا انما هو في الاذهان ولا وجود له في الخارج والاصطلاح الثاني تركيب الماهية من الذات والصفات فاذا نفيت هذا التركيب جعلته ذاتا مجردة من كل وصف لا يبصر ولا يسمع ولا يعلم ولا يقدر ولا يريد ولا حياة له ولا مشيئة ولا صفة له اصلا فكل ذات في المخلوقات اكمل من هذه الذات فاستفدت بنفي هذا التركيب كفرك بالله وجحدك لذاته وصفاته وافعاله الثالث تركيب الماهية الجسمية من الهيولى والصورة كما تقوله الفلاسفة الرابع تركيبها من الجواهر المفردة كما يقوله كثير من اهل الكلام الخامس تركيب الماهية من اجزاء متفرقة اجتمعت وتركبت فان اردت بقولك لو كان فوق العرش لكان مركبا كما يدعيه الفلاسفة والمتكلمون قيل لك جمهور العقلاء عندهم ان الاجسام المحدثة المخلوقة ليست مركبة لا من هذا ولا من هذا فلو كان فوق العرش جسم مخلوق محدث لم يلزم ان يكون مركبا بهذا الاعتبار فكيف يلزم ذلك في حق خالق المركبات الذي يجمع المتفرق ويفرق المجتمع ويؤلف بين الاشياء ويركبها كما يشاء والعقل انما دل على اثبات اله واحد ورب واحد لا شريك له ولا شبيه له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ولم يدل على ان ذلك الرب الواحد لا اسم له ولا صفة ولا وجه ولا يدين ولا هو فوق خلقه ولا يصعد اليه شيء ولا ينزل منه شيء فدعوى ذلك على العقل كذب صريح عليه كما هي كذب صريح على الوحي وكذلك تنزيهه عن الجهة ان اردت تنزيهه من جهة وجودية تحيط به وتحويه وتحصره احاطة الظرف بالمظروف فنعم هو اعظم من ذلك واكبر واعلى ولكن لا يلزم من كونه فوق عرشه هذا المعنى وان اردتم بالجهة امرا يوجب مباينة الخالق للمخلوق وعلوه على خلقه واستواءه على عرشه فنفيكم لهذا المعنى باطل وتسميته جهة اصطلاح منكم توسلتم به الى نفي ما دل عليه العقل والنقل والفطرة فسميتم ما فوق العالم جهة وقلتم منزه عن الجهات وسميتم العرش حيزا وقلتم ليس بمتحيز وسميتم الصفات اعراضا وقلتم الرب منزه عن قيام الاعراض به وسميتم حكمته غرضا وقلتم منزه عن الاغراض وسميتم كلامه ومشيئته ونزوله الى سماء الدنيا ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء وارادته المقارنة لمرادها وادراكه المقارن لوجود المدرك وغضبه اذا عصي ورضاه اذا اطيع وفرحه اذا تاب اليه العباد ونداءه لموسى حين اتى الشجرة ونداءه للابوين حين اكلا من الشجرة ونداءه

ثم بادر يوم القيامة ومحبته لمن كان يبغضه حال كفره ثم صار يحبه بعد ايمانه وربوبيته التي عمت كل مخلوق وكل يوم هو في شأن حوادث وقالوا هو منزه عن حلول الحوادث وحقيقة هذا التنزيه انه منزه عن الوجود ومن الماهية ومن الربوبية ومن الملك وعن كونه فعالا لما يريد بل عن الحياة والقيومية فانظر ما اذا الحقت تنزيه المعطلة النفاة بقولهم ليس بجسم ولا جوهر ولا مركب ولا تقوم به الاعراض ولا يوصف بالابعاض ولا يفعل بالاغراض ولا تحله الحوادث ولا تحيط به الجهات ولا يقال في حقه اين وليس بمتحيز كيف كسوا حقائق اسمائه وصفاته وعلوه على خلقه واستوائه على عرشه وتكليمه لخلقه ورؤيتهم له بالابصار في دار كرامته بهذه الالفاظ ثم توسلوا الى نفيها بواسطتها وكفروا وضللوا من اثبتها واستحلوا منه ما لم يستحلوا من اعداء الله اليهود والنصارى فالله الموعد واليه التحاكم وبين يديه التخاصم نحن واياهم نموت ولا افلح يوم الحساب من ندما وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون هذا اخر كلام سيف السنة وما احقه بان يكتب بماء ذهب الايمان على صفحات قلوب الانسان واذا وزنته مع ادلة الكتاب العزيز والسنة المطهرة الكثيرة الطيبة التي لا يسع لذكرها هذا المقام وجدته في ميزان العدل والانصاف ثقيلا ومتى تجنبت في الايمان به والتعويل عليه خفايا العصبية ورزايا الاعتساف صرت موحدا في الدنيا والاخرة

وكان الله لك ناصرا ودليلا

باب في بيان ان من حقق التوحيد دخل الجنة والدعاء الى كلمة الشهادة

قال الله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا الى قوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا دلت الاية الكريمة على ان تحقيق التوحيد في عدم الاشراك في عبادة الرب لما تقدم ان التوحيد قسمان توحيد العبادة لله تعالى وحده وتوحيد الربوبية فمن لم يشرك في عبادة الرب احدا فقد حقق التوحيد وكان له جنة الفردوس نزلا يخلد فيه ابدا وانما استحق هذه المنزلة للايمان والعمل الصالح الذي راسه عدم الشرك بالله تعالى لان من اشرك بالله شيئا في ربوبيته او عبادته فهو مشرك وليس له عمل صالح اصلا وان اتى باعمال يظنها صالحات ولا تنفعه تلك الاعمال مع الشرك وصاحب التوحيد وان قصر في الاعمال فقد جاء باكمل العمل وافضل الايمان وهو التوحيد الذي هو راس الطاعات واساس الصالحات قال الجنيد قدس سره التوحيد افراد القديم من المحدث وقال

ابو القاسم التيمي التوحيد مصدر وحد يوحد ومعنى وحدت الله اعتقدته منفردا بذاته وصفاته لا نظير له ولا شبيه وقيل معنى وحدته علمته واحدا وقيل سلبت عنه الكيفية والكمية فهو واحد في ذاته لا انقسام له وفي صفاته لا شبيه له وفي الهيته وملكه وتدبيره لا شريك له ولا رب سواه ولا خالق غيره وقد ثبت المبتدعة فرق اربع الجهمية ولم يردوا التوحيد وانما اختلفوا في تفسيره وقد عقد امير المؤمنين في الحديث الشيخ محمد بن اسماعيل البخاري في صحيحه كتاب التوحيد زاد المستملي الرد على الجهمية وغيرهم ولفظ ابن التين كتاب رد الجهمية وغيرهم التوحيد والمراد بقوله وغيرهم الرافضة وظاهره معترض لان الجهمية والقدرية والخوارج والرافضة لم يردوا التوحيد وقد سمى المعتزلة انفسهم اهل العدل والتوحيد وعنوا بالتوحيد ما اعتقدوه من نفي الصفات الالهية لاعتقادهم ان اثباتها يستلزم التشبيه ومن شبه الله بخلقه فقد اشرك وهم في هذا النفي موافقون للجهمية واما اهل السنة ففسروا التوحيد بنفي التشبيه والتعطيل اما الجهمية فلم يختلف احد ممن صنف في المقالات انهم ينفون الصفات حتى نسبوا الى التعطيل وثبت عن ابي حنيفة رحمه الله انه قال بالغ جهم في نفي التشبيه حتى قال ان الله ليس بشيء قال الكرماني الجهمية فرقة من المبتدعة ينتسبون الى جهم بن صفوان مقدم الطائفة القائلة ان لا قدرة للعبد اصلا وهم الجبرية بفتح الجيم وسكون الموحدة ومات مقتولا في زمن هشام بن عبد الملك انتهى قال الحافظ في الفتح وليس الذي انكروه على الجهمية مذهب الجبر خاصة وانما الذي اطبق السلف على ذمهم بسببه انكار الصفات حتى قالوا ان القرآن ليس كلام الله وانه مخلوق قال الاستاذ ابو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي في كتاب الفرق بين الفرق ان رؤس المبتدعة اربعة الى ان قال والجهمية اتباع جهم بن صفوان الذي قال بالاجبار والاضطرار الى الاعمال وقال لا فعل لاحد غير الله تعالى وانما ينسب الفعل الى العبد مجازا من غير ان يكون فاعلا او مستطيعا لشيء وزعم ان علم الله حادث وامتنع من وصف الله تعالى بانه شيء او حي او عالم او مريد حتى قال لا اصفه بوصف يجوز اطلاقه على غيره قال واصفه بانه خالق ومحيي ومميت وموحد بفتح الحاء المهملة الثقيلة لان هذه الاوصاف خاصة به وزعم ان كلام الله حادث ولم يسم الله متكلما به قال وكان جهم يحمل السلاح ويقاتل وخرج مع الحارث بن سريج وهو بمهملة وجيم مصغر لما قام على نصر بن سيار عامل بني أمية بخراسان فآل امره الى ان قتله سلم بن احوز وهو بفتح المهملة وسكون اللام وابوه بمهملة وزاي وزن اعور وكان صاحب شرطة نصر وقال البخاري في كتاب خلق افعال العباد بلغني ان جهما كان يأخذ عن الجعد بن درهم وكان

خالد القسري وهو امير العراق خطب فقال اني مضح بالجعد بن درهم لانه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم
خليلا ولم يكلم موسى تكليما قلت وكان ذلك في خلافة هشام بن عبد الملك فكان الكرماني انتقل ذهنه
من الجعد الى الجهم فان قتل جهم كان بعد ذلك بمدة ونقل البخاري عن محمد بن مقاتل قال قال عبد الله
بن المبارك ولا اقول بقول الجهم انه قول يضارع قول اهل الشرك احيانا وعن ابن المبارك انا لنحكي كلام اليهود
والنصارى ونستعظم ان نحكي قول جهم وعن عبد الله بن شوذب قال ترك جهم الصلوة اربعين يوما على
وجه الشك واخرج ابن ابي حاتم في كتاب الرد على الجهمية من طريق خلف بن سليمان البلخي قال كان جهم من
اهل الكوفة وكان فصيحا ولم يكن له نفاذ في العلم فلقيه قوم من الزنادقة فقالوا له صف لنا ربك الذي تعبده
فدخل البيت لا يخرج مدة ثم خرج فقال هو هذا الهواء مع كل شيء واخرج ابن خزيمة في التوحيد ومن طريقه
البيهقي في الاسماء قال سمعت ابا قدامة يقول سمعت ابا معاذ البلخي يقول كان جهم على معبر ترمذ وكان كوفي
الاصل فصيحا ولم يكن له علم ولا مجالسة اهل العلم فقيل له صف لنا ربك فدخل البيت لا يخرج كذا ثم خرج
بعد ايام فقال هو هذا الهواء مع كل شيء وفي كل شيء ولا يخلو منه شيء واخرج البخاري من طريق عبد العزيز بن ابي
سلمة قال كلام جهم صفة بلا معنى وبناء بلا اساس ولم يعد قط في اهل العلم وقد سئل عن رجل طلق قبل
الدخول فقال تعتد امرأته واورد اثارا كثيرة عن السلف بتكفير جهم وذكر الطبري في تاريخه في حوادث سنة
سبع وعشرين ان الحارث بن سريج خرج على نصر بن سيار عامل خراسان لبني امية وحاربه والحارث
يدعو الى العمل بالكتاب والسنة وكان جهم حينئذ كاتبه ثم تراسلا في الصلح وتراضيا بحكم مقاتل بن حيان
والجهم فاتفقا على ان الامر يكون شورى حتى تتراضى اهل خراسان على امير يحكم بينهم بالعدل فلم يقبل نصر
ذلك واستمر على محاربة الحارث الى ان قتل الحارث في سنة ثمان وعشرين ومأة في خلافة مروان الحمار فقيل
ان الجهم قتل في المعركة ويقال بل اسر فامر نصر بن سيار سلم بن احوز بقتله فادعى جهم الامان فقال له سلم
لو كنت في بطني لشققته حتى اقتلك فقتله واخرج ابن ابي حاتم من طريق محمد بن صالح مولى بني هاشم قال قال
سلم حين اخذه يا جهم اني لست اقتلك لانك قاتلتني انت عندي احقر من ذلك ولكني سمعتك تتكلم
بكلام اعطيت الله عهدا ان لا املكك الا قتلتك فقتله ومن طريق معتمر بن سليمان عن خلاد الطفاوي بلغ
سلم بن احوز وكان على شرطة خراسان ان جهم بن صفوان ينكر ان الله كلم موسى تكليما فقتله ومن طريق بكير
بن معروف قال رايت سلم بن احوز حين ضرب عنق جهم فاسود وجه جهم واسند ابو القاسم اللالكائي في

كتاب السنة له ان قتل جهم كان في سنة اثنين وثلاثين ومائة والمعتمد ما ذكره الطبري انه كان في سنة
ثمان وعشرين وذكر ابن ابي حاتم من طريق سعيد بن رحمة صاحب ابي اسحق الفزاري قصة جهم كانت
في سنة ثلاثين ومائة وهذا يمكن حمله على جبر الكسر او على ان قتل جهم تراخى عن قتل الحارث بن سريج
واما قول الكرماني ان قتل جهم كان في خلافة هشام بن عبد الملك فوهم لان خروج الحارث بن سريج الذي
كان جهم كاتبه كان بعد ذلك ولعل مستند الكرماني ما اخرجه ابن ابي حاتم من طريق صالح بن احمد بن
حنبل قال قرأت في دواوين هشام بن عبد الملك الى نصر بن سيار عامل خراسان اما بعد فقد نجم قبلك رجل
يقال له جهم من الدهرية فان ظفرت به فاقتله ولكن لا يلزم من ذلك ان يكون قتله وقع في زمن هشام وان
كان ظهور مقالته وقع قبل ذلك حتى كاتب فيه هشام والله اعلم وقال ابن حزم في كتاب الملل والنحل فرق المقرين
ملة الاسلام خمس اهل السنة ثم المعتزلة ومنهم القدرية ثم المرجئة ومنهم الجهمية والكرامية ثم الرافضة
ومنهم الشيعة ثم الخوارج ومنهم الازارقة والاباضية ثم افترقوا فرقا كثيرة فاكثر افتراق اهل السنة في الفروع
واما في الاعتقاد ففي نبذ يسيرة واما الباقون ففي مقالاتهم ما يخالف اهل السنة الخلاف البعيد والقريب
فاقرب فرق المرجئة من قال الايمان التصديق بالقلب واللسان وليست العبادة من الايمان وابعدهم الجهمية
القائلون بان الايمان عقد بالقلب فقط وان اظهر الكفر والتثليث بلسانه وعبد الوثن من غير تقية والكرامية
القائلون بان الايمان قول باللسان فقط وان اعتقد الكفر بقلبه وساق الكلام على بقية الفرق ثم قال واما
المرجئة فعمدتهم الكلام في الايمان والكفر فمن قال ان العبادة من الايمان وانه يزيد وينقص ولا يكفر مؤمنا
بذنب ولا يقول بانه يخلد في النار فليس مرجئا ولو وافقهم في بقية مقالاتهم واما المعتزلة فعمدتهم الكلام
في الوعد والوعيد والقدر فمن قال القرآن ليس بمخلوق واثبت القدر ورؤية الله تعالى في القيامة واثبت
صفاته الواردة في الكتاب والسنة وان صاحب الكبيرة لا يخرج بذلك من الايمان فليس بمعتزلي وان وافقهم
في سائر مقالاتهم وساق بقية ذلك الى ان قال واما الكلام فيما يوصف الله تعالى به فمشترك بين الفرق الخمس
من مثبت لها ونافٍ فرأس النفاة المعتزلة والجهمية فقد بالغوا في ذلك حتى كادوا يعطلون ورأس المثبتة
مقاتل بن سليمان ومن تبعه من الرافضة والكرامية فانهم بالغوا حتى شبهوا الله تعالى بخلقه تعالى الله
سبحانه عن اقوالهم علوا كبيرا ونظير هذا التباين قول الجهمية ان العبد لا قدرة له اصلا وقول القدرية انه
يخلق فعل نفسه قلت وقد افرد البخاري خلق افعال العباد في تصنيف وذكر منه اشياء بعدن اغموضا

يتعلق بالجهمية انتهى كلام فتح الباري وقد نجم في هذا العصر رجل جاهل سار في مقالاته مسير جهم وجعل
ديانته الدهرية مع بعده بامد من العلم واسبابه وسمى نفسه مثيلا وزادت فتنته بين ساكني الهند وهو
الى الان حي يسعى ويلبس عامة المسلمين وقد تصدى للرد عليه جماعة من المؤمنين نصرهم الله تعالى
عليه وافناه الله ومن تبعه وطهر هذه الارض من قاذورات كلامه وادناس بيانه انه على ما يشاء قدير
وبالاجابة جدير وهذا من اشراط الساعة لا ريب في ذلك **قال تعالى** ان ابراهيم كان امة قانتا لله
حنيفا ولم يك من المشركين قال اهل العلم وصف الله تعالى ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات التي هي
الغاية في تحقيق التوحيد الاول انه كان امة اي قدوة واماما معلما للخير وما ذلك الا لتكميله مقام اليقين
والصبر الذين تنال بهما رتبة الامامة في الدين الثاني كونه قانتا قال ابن تيمية رح القنوت دوام الطاعة
لله وحده والمصلي اذا اطال قيامه وركوعه وسجوده فهو قانت قال تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا
وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه انتهى الثالث كونه حنيفا قال ابن القيم رح الحنيف المقبل على الله
وحده والمعرض عن كل ما سواه انتهى الرابع نفي كونه من المشركين وهذه الصفة اخلاصه وكمال صدقه
في عبوديته معبوده وبعده عن الشرك المنافي لتحقيق التوحيد ويوضح هذا قوله تعالى قد كانت لكم اسوة
حسنة في ابراهيم والذين معه اي على دينه من اخوانه المرسلين اذ قالوا لقومهم انا برءاؤا منكم ومما
تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده وذكر
سبحانه عن خليله انه قال لابيه آزر واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربي الى قوله فلما اعتزلهم
وما يعبدون من دون الله فهذا هو تحقيق التوحيد وهو البراءة من الشرك واهله واعتزالهم والكفر
بهم وعداوتهم وبغضهم قال اهل العلم في هذه الآيات ابراهيم كان امة لئلا يستوحش سالك الطريق
من قلة السالكين قانتا لله لا للملوك ولا للتجار المترفين حنيفا لا يميل يمينا ولا شمالا كفعل العلماء السوء
المفتونين بالدنيا الدنية المقلدين للرجال وآرائهم مع مصادمتها لادلة الكتاب والسنة ولم يك من المشركين
بالله شيئا كائنا ما كان ولم يكن مقلدا للآباء والاحبار والرهبان خلافا لمن كثر سوادهم ويزعم انه من المسلمين
وهو مشرك في العبادة مقلد في الديانة وقد روى ابن ابي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى كان امة اي كان
على الاسلام ولم يكن في زمانه احد على الاسلام غيره قلت ولا منافاة بين هذا وبين ما تقدم من انه كان
اماما يقتدى به في الخير وقال تعالى والذين هم بربهم لا يشركون اثنى على المؤمنين السابقين الى الجنة

بالصفات التي استقلها الهية شركا بربه والتوكيد من له ما تقدح في اسلامه من الشرك الجلي والخفي
فمن ذلك عنه وهذا هو تحقيق التوحيد الذي حسب به اعمالهم وركب به بيانه حرواق الهم وكلمته
ابعالهم وبعهم وهذا باعتبار سلامتهم من الشرك الاصغر واما الشرك الاكبر فلا ايمان في تركه ولذلك
قال ابن كثير في الآية لا يشركون اي لا يعبدون مع الله غيره بل يوحدونه ويعلمون انه لا اله الا هو احد
صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وانه لا نظير له اهـ وعن عبادة بن الصامت الانصاري رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق
ادخله الله الجنة على ما كان من العمل اخرجه الشيخان والترمذي وفي اخرى لمسلم من شهد ان لا اله الا
الله وان محمدا رسول الله حرم الله تعالى عليه النار وفيه دلالة على تحقيق التوحيد وان مصير صاحبه الى الجنة
لا محالة بفضل الله تعالى ورحمته وان التوحيد هو الاقرار بالوهيته تعالى من دون شرك شيء به والاعتراف
بما ذكر وان التوحيد يهدم الذنوب ويذهب باهله الى الجنة ويبعدهم من النار وان النار حرام على من شهد
بالله وحده وبرسالة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ويوضحه حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وجبت له الجنة
اخرجه ابو داود وفيه بيان تحقيق توحيد الربوبية وورد عن معاذ بن جبل الانصاري رضي الله عنه انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة رواه ابو داود وفيه بيان
تحقيق توحيد الالوهية فاذا اجتمعا في رجل فقد استحق الجنة بلا ريب وشك وعدا من الله حقا ورسوله
صلى الله عليه وآله وسلم ويؤيده حديث ابي ذر جندب بن جنادة الغفاري رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وآله وسلم قال اتاني جبريل عليه السلام فبشرني انه من مات من امتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة
قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق ثم قال
في الرابعة على رغم انف ابي ذر اخرجه الشيخان والترمذي وآخره الدال على الرابعة وفيه دلالة واضحة على
ان التوحيد رأس الطاعات وان الذنوب وان كانت كبائر تضمحل عنده الى ان لا اثم ثم في هلاكه ان شاء
الله تعالى بل التوحيد الحقيقي ثبت ورسخ يوصل باهله الى الجنة ويدل لذلك حديث جابر بن عبد الله
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثنتان موجبتان فقال رجل يا رسول الله ما الموجبتان

قال من مات يشرك بالله شيئا دخل النار ومن مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة اخرجه مسلم فيه ان الشرك يحبط الاعمال كلها وان كانت صالحة وان التوحيد موجب لدخول الجنة وان كان صاحبه مقصرا في تكثير الاعمال الصالحات وما ابلغ هذه البشارة لو كانوا يعلمون وما اكثر نعي هذا الحديث على الذين هم بربهم يشركون في الربوبية او الالوهية وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه يرفعه اسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه اخرجه البخاري فيه ان شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تكون لمن يوحد الله بالاخلاص ولا يشرك به احدا فمن قال الكلمة باللسان ولم يعمل بموجبه مخلصا له الدين فلا تناله شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم بحال من الاحوال لان الشرك لا يغفره الله تعالى ويغفر ما دونه لمن يشاء ويبين ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال عرضت على الامم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه احد اذ رفع لي سواد عظيم فظننت انهم امتي فقيل لي هذا موسى وقومه فنظرت فاذا سواد اعظم فقيل لي هذه امتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في اولئك فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال بعضهم لعلهم الذين ولدوا في الاسلام فلم يشركوا بالله شيئا وذكروا اشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخبروه فقال هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم قال انت منهم ثم قام رجل آخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة اخرجه البخاري مختصرا ومطولا ومسلم واللفظ له والترمذي والنسائي وهذا الحديث يعرف بحديث عكاشة ح ما دل على خلاص اهل التوحيد من النار بل على سبقهم الى الجنة من دون عذاب ولا حساب وفيه بيان اوصاف الموحدين وان هذه الصفات تجعل صاحبها من اهل التوحيد المستحقين لدخول الجنان بفضل الرحيم الرحمن والرهط الجماعة دون العشرة وفي قوله معه الرجل والرجلان الرد على من احتج بكثرة اهل الضلال لان الاعتبار بالحق قل او كثر لا بالباطل والمراد بالسواد الشخص الذي يرى من بعيد والمراد بقوم موسى اتباعه على دينه من بني اسرائيل الذين لم يغيروا ولا حرفوا او كانوا على صراحة الايمان واخلاص العمل وصحة العقيدة وانما استحق سبعون الفا من هذه الامة المرحومة المحمدية الجنة بغير حساب ولا كتاب لتحقيقهم التوحيد وزاد في حديث ابي هريرة في الصحيحين تضيء وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر وروى احمد والبيهقي في حديث

او تزيده ما استردت . في ارادي مع كل الف سيئة الا قال الحافظ سنده حسن وهذا مقام الطامع
الحريص مثلي وليس على الله بعزيز ان يمحو ذنوبي التي بلغت عنان السماء وطبقت الارض مستاذنتها ومعادها
وان العبد مع توحيده متخلصا من ظلمه وقد سبقت رحمته على غضبه ووعد للموحدين نعم ان الذنوب
كاينا ما كانت لو اتى بقراب الارض خطايا وفي حرص الصحابة في هذا اللحظ النظر والمناظرة والمباحثة في نصوص
الشرع على وجه الاستفادة وبيان الحق وطلبه وفيه حرصهم على درك الخير وفي هذا الحديث عمل الصحيحين
لا يسترقون وهو كذلك وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه في مسند احمد وفي رواية لمسلم ولا يرقون
قال ابن تيمية وهذه الزيادة وهم من الراوي لم يقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا يرقون وقد قال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسئل عن الرقى من استطاع منكم ان ينفع اخاه فلينفعه وقال لا باس بالرقى
ما لم تكن شركا قال وايضا فقد رقى جبريل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورقى النبي اصحابه قال والفرق بين الراقي
والمسترقي ان المسترقي سائل مستعطف ملتفت الى غير الله بقلبه والراقي محسن قال وانما المراد وصف السبعين
بتمام التوكل فلا يسألون غيرهم ان يرقاهم ولا يكويهم وكذا قال ابن القيم رح وهكذا لا يسألون غيرهم
ان يكويهم كما لا يسألون غيرهم ان يرقاهم استسلاما للقضاء وتلذذا بالبلاء قلت والظاهر ان الاكتواء اعم من
ان يسألوا ذلك او يفعل هو ذلك باختيارهم واما الكي عند الضرورة فجائز كما في الصحيح عن جابر بن عبد الله
ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث الى ابي بن كعب طبيبا فقطع له عرقا وكواه وفي صحيح البخاري عن انس انه
كوى من ذات الجنب والنبي صلى الله عليه وآله وسلم حي وروى الترمذي وغيره عن ابن عباس وانا انهى
عن الكي وفي لفظ وما احب ان اكتوي قال ابن القيم قد تضمنت احاديث الكي اربعة انواع احدها فعله والثاني
عدم محبته والثالث الثناء على من تركه والرابع النهي عنه ولا تعارض بينها بحمد الله تعالى فان فعله يدل
على جوازه وعدم محبته لا يدل على المنع منه واما الثناء على تاركه فيدل على ان تركه اولى وافضل واما النهي فعلى
سبيل الاختيار والكراهة انتهى ومعنى لا يتطيرون لا يتشاءمون بالطيور ونحوها وسياتي باب الطيرة وما يتعلق
بها في بابه ان شاء الله تعالى والتوكل هو الاصل الجامع الذي تفرعت عنه هذه الخصال الحميدة والافعال الجيدة وهو التعلق
على الله وحده وصدق الالتجاء اليه والاعتماد بالقلب عليه الذي هو نهاية تحقيق التوحيد المثمر كل مقام شريف
وحال عظيم من المحبة والرجاء والخوف والرضا به ربا والها والرضا بقضائه والتسليم لقدره وليس في هذا
الحديث انهم لا يباشرون الاسباب اصلا فان مباشرة الاسباب وتدبير نوع الانسان في الجملة امر فطري

وشيء ضروري لا يكاد احد ان ينفك عنه بل نفس التوكل مباشرة لاعظم الاسباب كما قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي كافيه وانما المراد انهم يتركون الامور المكروهة مع حاجتهم اليها اعتمادا عليه سبحانه وتفويضا اليه فتركهم مثلا للاكتواء والاسترقاء مباشرة لسبب كاف لكونهما مكروهين لاسيما والمريض يتشبث فيما يظنه سببا لشفائه بخيط العنكبوت واما مباشرة الاسباب والتداوي على وجه لا كراهة فيه فغير قادح في التوكل فلا يكون تركه من هذا الوادي لما في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ما انزل الله من داء الا انزل له شفاء وقد جاءنا بهذا من جاء بحديث الباب فلا يحسن منا ان نؤمن ببعض ونكفر ببعض وزيادة ايضاحا ما روي عن اسامة بن شريك قال كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجاءت الاعراب فقالوا يا رسول الله انتداوى قال نعم يا عباد الله تداووا فان الله عز وجل لم يضع داء الا وضع له شفاء غير داء واحد قالوا وما هو قال الهرم رواه احمد قال ابن القيم رح هذه الاحاديث تضمنت اثبات الاسباب والمسببات وابطال قول من انكرها والامر بالتداوي وانه لا ينافي التوكل كما لا ينافي دفع الم الجوع والعطش والحر والبرد باضدادها بل لا تتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الاسباب التي نصبها الله تعالى مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا وان تعطيلها لا يقدح في نفس التوكل كما لا يقدح في الامر والحكمة ويضعفه من حيث يظن معطلها ان تركها اقوى في التوكل فان تركها عجزا ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه ودفع ما يضره فيهما ولا بد مع الاعتماد من مباشرة الاسباب والا كان معطلا للحكمة والشرع فلا يجعل العبد عجزه توكلا ولا توكله عجزا وقد اختلف العلماء في التداوي هل هو مباح وتركه افضل او مستحب او واجب فالمشهور عن احمد الاول لهذا الحديث وما في معناه والمشهور عند الشافعي الثاني حتى ذكر النووي في شرح مسلم انه مذهبهم ومذهب جمهور السلف وعامة الخلف واختاره الوزير ابو المظفر قال ومذهب ابي حنيفة انه مؤكد حتى يداني به الوجوب قال ومذهب مالك انه يستوي فعله وتركه فانه قال لا باس بالتداوي ولا باس بتركه وقال شيخ الاسلام ابن تيمية ليس بواجب عند جماهير الائمة وانما اوجبه طائفة قليلة من اصحاب الشافعي واحمد انتهى قلت والذي ترجح عندي بالنظر في الاحاديث الواردة في هذا الباب انه سنة يثاب فاعله ان نوى اتباع السنة ولا يلام تاركه ابدا ان قوي على تركه وطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم باب مستقل من ابواب الشرع واما عكاشة بن محصن فبضم العين وتشديد الكاف ومحصن بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الصاد ابن حرثان الاسدي من بني اسد بن خزيمة وفي حديثه هذا طلب الدعاء من الفاضل وفي رواية للبخاري

فقال اللهم اجعله منهم واما الرجل الآخر فقال القرطبي لم يكن عنده من الاحوال ما كان عند عكاشة فلذلك لم يجبه اذ لو اجابه لجاز ان يطلب ذلك كل من كان حاضرا فيتسلسل الامر فسد الباب بقوله ذلك انتهى يعني سبقك بها عكاشة وفيه استعمال المعاريض وحسن خلقه صلى الله عليه وآله وسلم وبالجملة هذه الادلة التي سيقت هنا من الكتاب والسنة تدل دلالة واضحة على ان من حقق التوحيد تحقيقا كاملا واتصف به اتصافا صادقا ادخله الله تعالى في جنته برحمته بغير حساب ولا كتاب ولا عذاب ولا عتاب ومن تحقق به وقصر في العمل واتى بالذنوب وارتكب الخطايا التي لم تبلغ به الى حد الكفر والشرك فالعفو في حقه مرجو ونجاته من النار متيقن ولو بعد حين ولا يخلد في النار ابدا مع المشركين ان شاء الله تعالى وأما الدعاء الى التوحيد الذي هو عبارة عن الشهادتين فقد دل الكتاب والسنة واقوال الائمة عليه دلالة هي اوضح من شمس النهار **قال تعالى** قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين قال ابن جرير الطبري يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم قل يا محمد هذه الدعوة التي ادعو اليها والطريقة التي انا عليها من الدعاء الى توحيد الله واخلاص العبادة له دون الآلهة والاوثان والانتهاء الى طاعة الله وترك معصيته سبيلي اي طريقي ودعوتي الى الله وحده لا شريك له على بصيرة بذلك ويقين وعلم مني انا ويدعو اليه على بصيرة ايضا من اتبعني وصدقني وآمن بي وقل تنزيها لله وتعظيما له من ان يكون له شريك في ملكه او معبود سواه في سلطانه وانا بريء من اهل الشرك به وا لست منهم ولا هم مني انتهى وفي الآية التنبيه على الاخلاص لان كثيرا ممن يدعو الى الحق فهو يدعو الى نفسه وفيها ان البصيرة من اعلى درجات العلم التي تكون نسبة العلوم فيها كنسبة المرئي الى البصر وهذه هي الخصيصة التي اختص بها الصحابة على سائر الامة وهي اعلى درجات العلماء فالآية تدل على ان اتباعه الداعين الى الله تعالى اهل البصائر ومن ليس منهم فليس من اتباعه على الحقيقة والموافقة وان كان من اتباعه على الانتساب بالدعوى ويوضحه قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن قال ابن القيم رحمه الله في معنى هذه الآية ذكر سبحانه مراتب الدعوة وجعلها ثلاثة اقسام بحسب حال المدعو فانه اما ان يكون طالبا للحق محبا له مؤثرا له على غيره اذا عرفه فهذا يدعى بالحكمة ولا يحتاج الى موعظة وجدال واما ان يكون مشتغلا بضد الحق لكن لو عرفه آثره واتبعه فهذا يحتاج الى الموعظة بالترغيب والترهيب واما ان يكون معاندا معارضا فهذا يجادل بالتي هي احسن فان رجع فيها والا يقل معه

في الجهاد ان امكن انتهى قال الحافظ في فتح الباري تحت قول البخاري باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم امته الى توحيد الله تعالى المراد بتوحيد الله الشهادة بانه اله واحد وهذا الذي يسميه بعض غلاة الصوفية توحيد العامة وقد ادعى طائفتان في تفسير التوحيد امرين اخترعوهما احدهما تفسير المعتزلة كما تقدم ثانيهما غلاة الصوفية فان اكابرهم لما تكلموا في مسألة المحو والفناء وكان مرادهم بذلك المبالغة في الرضا والتسليم وتفويض الامر بالغ بعضهم حتى ضاهى المرجئة في نفي نسبة الفعل الى العبد وجر ذلك بعضهم الى معذرة العصاة ثم غلا بعضهم فعذر الكفار ثم غلا بعضهم فزعم ان المراد بالتوحيد اعتقاد وحدة الوجود وعظم الخطب حتى ساء ظن كثير من اهل العلم بمتقدميهم وحاشاهم من ذلك وقد قدمت كلام شيخ الطائفة الجنيد وهو في غاية الحسن والايجاز وقد رد عليه بعض من قال بالوحدة المطلقة فقال وهل من غير ولهم في ذلك كلام طويل ينبو عنه سمع كل من كان على فطرة الاسلام والله المستعان انتهى كلام الفتح قلت مذهب الصوفية في مسألة التوحيد مذهبان الاول وحدة الشهود وعليه درج سلفهم وائمتهم وهو الذي رجحه جمع جم من السلف والخلف وعليه تنطبق ادلة الكتاب والسنة جميعا وان كانت على طريقة اشارة النص دون دلالته وبمثله قوله سبحانه وتعالى فاعتبروا يا اولي الابصار واياه عنى من خاض في هذه المسألة بعد العلم باقوال اهل الباطن من الصوفية والعلماء الجامعين بين الشريعة والطريقة والمعرفة والحقيقة وهو الحق البحت والصواب المحض الذي لا محيص عنه لمن يؤمن بالله واليوم الآخر ويخاف الله ويرجوه ويشح بدينه وايمانه والمذهب الثاني وحدة الوجود الذي احدثه المغلوبون السكارى او المجذوبون الحيارى وقال به جماعة من متأخري المشائخ الذين هم على مراحل من مدارك الشرع ومناهجه ومعاطفه وهو الذي اشار اليه الحافظ فيما سبق قريبا وقال فيه ينبو عنه سمع كل من كان على فطرة الاسلام وتقدم مثل ذلك الكلام منا نقلا عن سيف السنة الرفيعة فاياك ان تغتر باقوالهم وتصير مشركا خالصا بالتمسك بمقالاتهم المضادة لكتاب الله العزيز وسنة رسوله الكريم وبالاعتقاد بها والجمود عليها والذي سماه بعضهم توحيد العامة فهو الذي دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امته وندب اليه وحث عليه وليس وراء بيان الله ورسوله بيان ولا قرية بعد عبادان فمن اعتقد ان ما دل عليه الكتاب والسنة من بيان التوحيد المجمع عليه بين الانبياء والرسل هو توحيد العامة وتوحيد الخاصة هو وحدة الوجود او ما ذهب اليه الفلاسفة والملاحدة من الجهمية ومن اشبههم

في ذلك فقد خلع ربقة الإسلام عن رقبته ونابذ الله ورسوله وصار بصدد أن يصدق عليه ما أخبر الله
تعالى به في كتابه ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى
ونصله جهنم وساءت مصيرا. وقد ذكر البخاري في الباب الثاني له أربعة أحاديث في المعنى منها
حديث معاذ بن جبل في بعثه إلى اليمن وفيه فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله فإذا عرفوا
ذلك الحديث وفي رواية فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله ولكن أخرجه مسلم من الوجه
الذي أخرجه منه البخاري قال الحافظ في الفتح وقد تمسك به من قال أول واجب المعرفة كإمام الحرمين
واستدل بأنه لا يتأتى الإتيان بشيء من المأمورات على قصد الامتثال ولا الانكفاف عن شيء من المنهيات
على قصد الانزجار إلا بعد معرفة الآمر والناهي واعترض عليه بأن المعرفة لا تتأتى إلا بالنظر والاستدلال
وهو مقدمة الواجب فيجب فيكون أول واجب النظر وذهب إلى هذا طائفة كابن فورك وتعقب بأن النظر
ذو أجزاء يترتب بعضها على بعض فيكون أول واجب جزءا من النظر وهو محكي عن القاضي أبي بكر بن الطيب
وعن الأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني أول واجب القصد إلى النظر وجمع بعضهم بين هذه الأقوال بأن
من قال أول واجب المعرفة أراد طلبا وتكليفا ومن قال النظر أو القصد أراد امتثالا لأنه يسلم أنه وسيلة
إلى تحصيل المعرفة فيدل ذلك على سبق وجوب المعرفة وقد ذكرت في باب كتاب الإيمان من أعرض
عن هذا من أصله وتمسك بقوله تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها وحديث
كل مولود يولد على الفطرة فإن ظاهر الآية والحديث أن المعرفة حاصلة بأصل الفطرة وأن الخروج عن
ذلك يطرأ على الشخص لقوله صلى الله عليه وسلم فأبواه يهودانه وينصرانه وقد وافق أبو جعفر السمناني
وهو من رؤوس الأشاعرة على هذا وقال إن هذه المسألة بقيت في مقالة الأشعري من مسائل المعتزلة و
تفرع عليها أن الواجب على كل أحد معرفة الله بالأدلة الدالة عليه وأنه لا يكفي التقليد في ذلك انتهى وقرأت
في جزء من كلام شيخ شيخنا صلاح الدين العلائي ما ملخصه أن هذه المسألة مما تناقضت فيه المذاهب
وتباينت بين مفرط ومفرط ومتوسط فالطرف الأول قول من قال يكفي التقليد المحض في إثبات وجود الله
تعالى ونفي الشريك عنه وممن نسب إليه إطلاق ذلك عبيد الله بن الحسن العنبري وجماعة من الحنابلة
والظاهرية ومنهم من بالغ فحرم النظر في الأدلة واستند إلى ما ثبت عن الأئمة الكبار من ذم الكلام كما
سيأتي. والطرف الثاني قول من وقف صحة إيمان كل أحد على معرفة الأدلة من علم الكلام ونسب ذلك

لابي اسحق الاسفرائني وقال الغزالي اسرفت طائفة وكفروا عوام المسلمين وزعموا ان من لم يعرف العقائد الشرعية بالادلة التي حرروها فهو كافر فضيقوا رحمة الله الواسعة وجعلوا الجنة مختصة بشرذمة يسيرة من المتكلمين وذكر نحوه ابو المظفر بن السمعاني واطال في الرد على قائله ونقل عن اكثر الائمة الفتوى انهم قالوا لا يجوز ان يكلف العوام اعتقاد الاصول بدلائلها لان في ذلك من المشقة اشد من المشقة في تعلم الفروع الفقهية واما المذهب المتوسط فذكره وساذكره ملخصا بعد هذا وقال القرطبي في المفهم في شرح حديث ابغض الرجال الى الله الالد الخصم الذي تقدم شرحه في اثناء كتاب الاحكام وهو في اوائل كتاب العلم من صحيح مسلم هذا الشخص الذي يبغضه الله هو الذي يقصد بخصومته مدافعة الحق ورده بالاوجه الفاسدة والشبه الموهمة واشد ذلك الخصومة في اصول الدين كما يقع لاكثر المتكلمين المعرضين عن الطرق التي ارشد اليها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وسلف امته الى طرق مبتدعة واصطلاحات مخترعة وقوانين جدلية وامور صناعية مدار اكثرها على آراء سوفسطائية او مناقضات لفظية ينشأ بسببها على الآخذ فيها شبه ربما يعجز عنها وشكوك يذهب الايمان معها واحسنهم انفصالا عنها اجدلهم لا اعلمهم فكم من عالم بفساد الشبهة لا يقوى على حلها وكم من منفصل عنها لا يدرك حقيقة علمها ثم ان هؤلاء قد ارتكبوا انواعا من المحال لا يرتضيها البله ولا الاطفال لما بحثوا من تحيز الجواهر والالوان والاحوال فاخذوا فيما امسك عنه السلف الصالح من كيفيات تعلقات صفات الله تعالى وتعديدها واتحادها في نفسها وهل هي الذات او غيرها وفي الكلام هل هو متحد او منقسم وعلى الثاني هل ينقسم بالنوع او بالوصف وكيف تعلق في الازل بالمأمور مع كونه حادثا ثم اذا انعدم المأمور هل يبقى التعلق وهل الامر لزيد بالصلوة مثلا هو نفس الامر لعمرو بالزكاة الى غير ذلك مما ابتدعوه مما لم يأمر به الشارع وسكت عنه الصحابة ومن سلك سبيلهم بل نهوا عن الخوض فيها لعلمهم بانه بحث عن كيفية ما لا تعلم كيفيته بالعقل لكون العقول لها حد تقف عنده ولا فرق بين البحث عن كيفية الذات وكيفية الصفات ومن توقف في هذا فليعلم انه اذا كان حجب عن كيفية نفسه مع وجودها وعن كيفية ادراك ما يدرك به فهو عن ادراك غيره اعجز وغاية علم العالم ان يقطع بوجود فاعل لهذه المصنوعات منزه عن التشبيه مقدس عن النظير متصف بصفات الجلال ثم متى ثبت النقل بشيء من اوصافه واسمائه قبلناه واعتقدناه وسكتنا عما عداه كما هو طريق السلف وما عداه لا يأمن صاحبه من الزلل ويكفي في الردع عن الخوض في

طريق المتكلمين ما ثبت عن الائمة المتقدمين كعمر بن عبد العزيز ومالك بن انس والشافعي وقد قطع
بعض الائمة بان الصحابة لم يخوضوا في الجوهر والعرض وما يتعلق بذلك من مباحث المتكلمين فمن
رغب عن طريقهم فكفاه ضلالا قال وافضى الكلام بكثير من اهله الى الشك وبعضهم الى الالحاد
وبعضهم الى التهاون بوظائف العبادات وسبب ذلك اعراضهم عن نصوص الشارع وتطلبهم حقائق
الامور من غيره وليس في قوة العقل ما يدرك ما في نصوص الشارع من الحكم التي استاثر بها وقد رجع كثير
من ائمتهم عن طريقهم حتى جاء عن امام الحرمين انه قال ركبت البحر الاعظم وغصت في كل شيء نهى عنه
اهل العلم في طلب الحق فرارا من التقليد والان فقد رجعت واعتقدت مذهب السلف هذا كلامه
او معناه وعنه انه قال عند موته يا اصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت انه يبلغ بي ما بلغت ما تشاغلت
به الى ان قال القرطبي ولو لم يكن في الكلام الا مسئلتان هما من مباديه لكان حقيقا بالذم احداهما قول
بعضهم ان اول واجب الشك اذ هو اللازم من وجوب النظر او القصد الى النظر واليه اشار الامام
بقوله ركبت البحر الاعظم ثانيهما قول جماعة منهم ان من لم يعرف الله بالطرق التي رتبوها والابحاث التي
حرروها لم يصح ايمانه حتى لقد اورد على بعضهم ان هذا يلزم منه تكفير ابيك واسلافك وجيرانك
فقال لا تشنع علي بكثرة اهل النار قال وقد رد بعض من لم يقل بهما على من قال بهما بطريق من الرد النظري
وهو خطأ منه فان القائل بالمسئلتين كافر شرعا لجعله الشك في الله واجبا ومعظم المسلمين كفارا حتى
يدخل في عموم كلامه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وهذا معلوم الفساد من الدين بالضرورة
والا فلا يوجد في الشرعيات ضروري وختم القرطبي كلامه بالاعتذار عن اطالة النفس في هذا الموضع
لما شاع بين الناس من هذه البدعة حتى اغتر بها كثير من الاغمار فوجب بذل النصيحة والله يهدي من يشاء
انتهى وقال الامدي في ابكار الافكار ذهب ابو هاشم من المعتزلة الى ان من لا يعرف الله بالدليل فهو كافر لان
ضد المعرفة النكرة والنكرة كفر قال واصحابنا مجمعون على خلافه وانما اختلفوا فيما اذا كان الاعتقاد موافقا لكن عن
غير دليل فمنهم من قال ان صاحبه مؤمن عاص بترك النظر الواجب ومنهم من اكتفى بمجرد الاعتقاد
الموافق وان لم يكن عن دليل وسماه علما وعلى هذا فلا يلزم من حصول المعرفة بهذا الطريق وجوب النظر
وقال غيره من منع التقليد واوجب الاستدلال لم يرد التعمق في طرق المتكلمين بل اكتفى بما لا يخلو عنه
من نشأ بين المسلمين من الاستدلال بالمصنوع على الصانع وغايته انه يحصل في الذهن مقدمات ضرورية

تتالف تالفا صحيحًا وتنتج العلم لكنه لو سئل كيف حصل له ذلك ما اهتدى للتعبير به وقيل الاصل في هذا كله المنع من التقليد في اصول الدين وقد انفصل بعض الائمة عن ذلك بان المراد بالتقليد اخذ قول الغير بغير حجة ومن قامت عليه حجة بثبوت النبوة حتى حصل له القطع بها فمهما سمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان مقطوعا عنده بصدقه فاذا اعتقده لم يكن مقلدا لانه لم ياخذ بقول غيره بغير حجة وهذا مستند السلف قاطبة في الاخذ بما ثبت عندهم من آيات القرآن واحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيما يتعلق بهذا الباب فآمنوا بالمحكم من ذلك وفوضوا امر المتشابه منه الى ربهم وانما قال من قال ان مذهب الخلف احكم بالنسبة الى الرد على من لم يثبت النبوة فيحتاج من يريد رجوعه الى الحق ان يقيم عليه الادلة الى ان يذعن فيسلم او يعاند فيهلك بخلاف المؤمن فانه لا يحتاج في اصل ايمانه الى ذلك وليس سبب الاول الا جعل الاصل عدم الايمان فلزم ايجاب النظر المؤدي الى المعرفة والا فطريق السلف اسهل من هذا كما تقدم ايضاحه من الرجوع الى ما دلت عليه النصوص حتى يحتاج الى ما ذكر من اقامة الحجة على من ليس بمؤمن فاختلط الامر على من اشترط ذلك والله المستعان واحتج بعض من اوجب الاستدلال باتفاقهم على ذم التقليد وذكروا الآيات والاحاديث الواردة في ذم التقليد وبان كل احد قبل الاستدلال لا يدري ايّ الامرين هو الهدى وبان كل ما لا يصح بالدليل فهو دعوى لا يعمل بها وبان العلم اعتقاد الشيء على ما هو عليه من ضرورة او استدلال وكل ما لم يكن علما فهو جهل ومن لم يكن عالما فهو ضال والجواب عن الاول ان المذموم من التقليد اخذ قول الغير بغير حجة وليس من هذا حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان الله عز وجل اوجب اتباعه في كل ما يقول وليس العمل فيما امر به او نهى عنه داخلا تحت التقليد المذموم اتفاقا واما من دونه ممن اتبعه في قول قاله واعتقد انه لو لم يقله لم يقل هو به فهو المقلد المذموم بخلاف ما لو اعتقد ذلك في خبر الله ورسوله فانه يكون ممدوحا واما احتجاجهم بان احدا لا يدري قبل الاستدلال اي الامرين هو الهدى فليس بمسلم بل من الناس من تطمئن نفسه وينشرح صدره للاسلام من اول وهلة ومنهم من يتوقف على الاستدلال فالذي ذكروه هم اهل الشق الثاني فيجب عليه النظر ليقي نفسه النار لقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا ويجب على كل من استرشده ان يرشده ويبرهن له الحق وعلى هذا مضى السلف الصالح من عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعده واما من استقرت نفسه الى تصديق الرسول ولم تنازعه نفسه الى طلب دليل توفيقا من الله وتيسيرا فهم الذين قال الله تعالى

في حقهم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم الاية وقال فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام الاية وليس هؤلاء مقلدين لآبائهم ولا لرؤسائهم لانهم لو كفر آباؤهم او رؤساؤهم لم يتابعوهم بل يجدون النفرة عن كل من سمعوا عنه ما يخالف الشريعة وأما الآيات والاحاديث فانما وردت في حق الكفار الذين اتبعوا من نهوا عن اتباعه وتركوا الاتباع من امروا باتباعه وانما كلفهم الله تعالى الاتيان بالبرهان على دعواهم بخلاف المؤمنين فلم يرد قط انه اسقط اتباعهم حتى يأتوا بالبرهان وكل من خالف الله ورسوله فلا برهان له اصلا وانما كلف الاتيان بالبرهان تبكيتا وتعجيزا واما من اتبع الرسول فيما جاء به فقد اتبع الحق الذي امر به وقامت البراهين على صحته سواء علم هو بتوجيه ذلك البرهان ام لا وقول من قال منهم ان الله ذكر الاستدلال وامر به مسلم لكن هو فعل حسن مندوب لكل من اطاقه وواجب على من لم تسكن نفسه الى التصديق كما تقدم تقريره وبالله التوفيق وقال غيره قول من قال طريقة السلف اسلم وطريقة الخلف احكم ليس بمستقيم لانه ظن ان طريقة السلف مجرد الايمان بالفاظ القرآن والحديث من غير فقه في ذلك وان طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بانواع المجازات فجمع هذا القائل بين الجهل بطريقة السلف والدعوى في طريقة الخلف وليس الامر كما ظن بل السلف في غاية المعرفة بما يليق بالله تعالى وفي غاية التعظيم له والخضوع لامره والتسليم لمراده وليس من سلك طريق الخلف واثقا بان الذي يتأوله هو المراد ولا يمكنه القطع بصحة تأويله وأما قولهم في العلم فزادوا في التعريف عن ضرورة او استدلال وتعريف العلم انتهى عند قوله عليه فان ابوا الا الزيادة فليزدادوا عن تيسير الله له ذلك وخلقه ذلك المعتقد في قلبه والا فالذي زادوه هو محل النزاع فلا دلالة فيه وبالله التوفيق وقال ابو المظفر السمعاني تعقيب بعض اهل العلم قول من قال ان السلف من الصحابة والتابعين لم يعتنوا بايراد دلائل العقل في التوحيد بانهم لم يشتغلوا بالتفريعات في احكام الحوادث وقد قبل ذلك الفقهاء واستحسنوه فدونوه في كتبهم فكذلك علم الكلام ويمتاز علم الكلام بانه يتضمن الرد على الملحدين واهل الاهواء وبه تزول الشبهة عن اهل الزيغ ويثبت اليقين لاهل الحق وقد علم الكل ان الكلام لم تعلم حقيته والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يثبت صدقه الا بأدلة العقل وأجاب اما اولا فان الشارع والسلف الصالح نهوا عن الابتداع وامروا بالاتباع وصح عن السلف انهم نهوا عن الكلام وعدوه ذريعة للشك والارتياب واما الفروع فلم يثبت عن احد منهم النهي عنها الا من ترك النص الصحيح وقدم عليه القياس واما من اتبع النص وقاس عليه فلا يحفظ لاحد من ائمة السلف

انما ذلك لان الحوادث في المعاملات لا تنقضي وبالناس حاجة الى معرفة الحكم فمن ثم تواردوا على استحباب الاشتغال بذلك بخلاف علم الكلام واما ثانيا فان الدين كمل لقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم فاذا كان اكمله واتمه وتلقاه الصحابة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم واعتقده من تلقى عنهم واطمأنت به نفوسهم فاي حاجة بهم الى تحكيم العقول والرجوع الى قضاياها وجعلها اصلا والنصوص الصحيحة الصريحة يعترض عليها فتارة يعمل بمضمونها وتارة تحرف عن مواضعها واذا كان الدين قد كمل فلا تكون الزيادة فيه الا نقصانا في المعنى مثل زيادة اصبع في اليد فانها تنقص قيمة العبد الذي يقع به ذلك وقد توسط بعض المتكلمين فقال لا يكفي التقليد بل لا بد من دليل ينشرح به الصدر ويحصل به الطمانينة العلمية ولا يشترط ان يكون بطريق الصناعة الكلامية بل يكتفي في حق كل احد بحسب ما يقتضيه فهمه انتهى والذي تقدم ذكره من تقليد النصوص كان في هذا القدر وقال بعضهم المطلوب من كل احد التصديق الجزمي الذي لا ريب معه بوجود الله تعالى والايمان برسله وبما جاؤا به كيفما يحصل وباي طريق اليه يوصل ولو كان عن تقليد محض اذا سلم من التزلزل قال القرطبي هذا الذي عليه ائمة الفتوى ومن قبلهم من ائمة السلف واحتج بعضهم بما تقدم من القول في اصل الفطرة وبما تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم الصحابة انهم حكموا باسلام من اسلم من جفاة العرب ممن كان يعبد الاوثان فقبلوا منهم الاقرار بالشهادتين والتزام احكام الاسلام من غير التزام بتعلم الادلة وان كان كثير منهم انما اسلم لوجود دليل ما بسبب وضوحه له فالكثير منهم قد اسلموا طوعا من غير تقدم استدلال بل بمجرد ما كان عندهم من اخبار اهل الكتاب بان نبيا صلى الله عليه وآله وسلم سيبعث وينتصر على من خالفه فلما ظهرت لهم العلامات في محمد صلى الله عليه وآله وسلم بادروا الى الاسلام وصدقوه في كل شيء قاله ودعاهم اليه من الصلوة والزكوة وغيرهما وكثير منهم كان يؤذن له في الرجوع الى معاشه من رعاية الغنم وغيرها وكانت انوار النبوة وبركاتها تشملهم فلا يزالون يزدادون ايمانا ويقينا وقال ابو المظفر السمعاني ايضا ما ملخصه ان العقل لا يوجب شيئا ولا يحرم شيئا ولا حظ له في شيء من ذلك ولو لم يرد الشرع بحكم ما وجب على احد شيء لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله سبحانه لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ونحو ذلك من الآيات فمن زعم ان دعوة رسل الله عليهم الصلوة والسلام انما كانت لبيان الفروع لزمه ان يجعل العقل هو الداعي الى الله

دون الرسول ويلزمه ان يجحد الرسول ومن معه بالنسبة الى الاله الى الله سواء وكفى بهذا اضلالا ولهذا لا انكر ان العقل يرشد الى التوحيد وانما انكر انه يستقل بايجاب ذلك حتى لا يصح اسلام الا بطريقه مع قطع النظر عن السمعيات لكون ذلك خلاف ما دلت عليه آيات الكتاب والاحاديث الصحيحة التي تواترت ولو بالطريق المعنوي ولو كان كما يقول اولئك لبطلت السمعيات التي لا مجال للعقل فيها او اكثرها بل يجب الايمان بما ثبت من السمعيات فان عقلناه فبتوفيق الله تعالى والا اكتفينا باعتقاد حقيته على وفق مراد الله تعالى انتهى ويؤيد كلامه ما اخرجه ابو داود عن ابن عباس ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انشدك الله آلله ارسلك ان نشهد ان لا اله الا الله وان ندع اللات والعزى قال نعم فاسلم واصله في الصحيحين في قصة ضمام بن ثعلبة وفي حديث عمرو بن عبسة عند مسلم انه اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما انت قال نبي الله قلت آلله ارسلك قال نعم قلت باي شيء قال اوحد الله لا اشرك به شيئا الحديث وفي حديث اسامة بن زيد في قصة قتيله الذي قال لا اله الا الله فانكر عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي حديث المقداد في معناه وفي كتب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى هرقل وكسرى وغيرهما من الملوك يدعوهم الى التوحيد الى غير ذلك من الاخبار المتواترة التواتر المعنوي الدالة على انه صلى الله عليه وآله وسلم لم يزد في دعائه المشركين على ان يؤمنوا بالله وحده ويصدقوه فيما جاء به عنه فمن فعل ذلك قبل منه سواء كان اذعانه عن تقدم نظر ام لا ومن توقف منهم نبهه حينئذ على النظر او اقام عليه الحجة الى ان يذعن او يستمر على عناده قال البيهقي في كتاب الاعتقاد سلك بعض ائمتنا في اثبات الصانع وحدث العالم طريق الاستدلال بمعجزات الرسالة فانها اصل في وجوب قبول ما دعا اليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى هذا الوجه وقع ايمان الذين استجابوا للرسل ثم ذكر قصة النجاشي وقول جعفر بن ابي طالب له بعث الله الينا رسولا نعرف صدقه فدعانا الى الله وتلا علينا تنزيلا من الله لا يشبهه شيء فصدقناه وعرفنا ان الذي جاء به الحق الحديث بطوله وقد اخرجه ابن خزيمة في كتاب الزكاة من صحيحه من رواية ابن اسحق وحاله معروفة وحديثه في درجة الحسن قال البيهقي فاستدلوا باعجاز القرآن على صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم فآمنوا بما جاء به من اثبات الصانع ووحدانيته وحدث العالم وغير ذلك مما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن وغيره واكتفاء غالب من اسلم بمثل ذلك مشهور في الاخبار فوجب تصديقه في كل

شيء ثبت عنه بطريق السمع ولا يكون ذلك تقليدا بل هو اتباع انتهى وقد استدل من شرط النظر بالآيات والاحاديث الواردة في ذلك ولا حجة فيها لان من لم يشترط النظر لم ينكر اصل النظر وانما انكر توقف الايمان على وجود النظر بالطرق الكلامية اذ لا يلزم من الترغيب في النظر جعله شرطا واستدل بعضهم بان التقليد لا يفيد العلم اذ لو افاده لكان العلم حاصلا لمن قلد في قدم العالم ولمن قلد في حدوثه وهو محال لافضائه الى الجمع بين النقيضين وهذا انما ياتي في تقليد غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم واما تقليده صلى الله عليه وآله وسلم فيما اخبر به عن ربه فلا يتناقض اصلا واعتذر بعضهم عن اكتفاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه باسلام من اسلم من الاعراب من غير نظر بان ذلك كان لضرورة المبادي واما بعد تقرير الاسلام وشهرته فيجب العمل بالادلة ولا يخفى ضعف هذا الاعتذار والعجب ان من اشترط ذلك من اهل الكلام ينكرون التقليد وهم اول داع اليه حتى استقر في الاذهان ان من انكر قاعدة من القواعد التي اصلوها فهو مبتدع ولو لم يفهمها ولم يعرف ماخذها وهذا هو محض التقليد فآل امرهم الى تكفير من قلد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في معرفة الله والقول بايمان من قلدهم وكفى بهذا ضلالا وما مثلهم الا كما قال بعض السلف انهم كمثل قوم كانوا سفرا فوقعوا في فلاة ليس فيها ما يقوم به البدن من الماكول والمشروب ورأوا فيها طرقا شتى فانقسموا قسمين فقسم وجدوا من قال لهم انا عارف بهذه الطرق وطريق النجاة منها واحدة فاتبعوني فيها تنجوا فتبعوه وتخلفت عنه طائفة فاقاموا الى ان وقفوا على امارة وظهر لهم ان في العمل بها النجاة فعملوا بها فنجوا وقسم هجموا بغير مرشد ولا امارة فهلكوا فليست نجاة من اتبع المرشد بدون نجاة من اخذ بالامارة ان لم تكن اولى منها ونقلت من جزء الحافظ صلاح الدين العلائي يمكن ان يفصل فيقال من لا له اهلية لفهم شيء من الادلة اصلا وحصل له اليقين التام بالمطلوب اما بنشأته على ذلك او لنور يقذفه الله تعالى في قلبه فانه يكتفي منه بذلك ومن فيه اهلية لفهم الادلة لم يكتف منه الا بالايمان عن دليل ومع ذلك فدليل كل احد بحسبه وتكفي الادلة المجملة التي تحصل بادنى نظر ومن حصلت عنده شبهة وجب عليه التعلم الى ان تزول عنه قال فبهذا يحصل الجمع بين كلام الطائفة المتوسطة واما من غلا فقال لا يكفي ايمان المقلد فلا يلتفت اليه لما يلزم منه القول بعدم ايمان اكثر المسلمين وكذا من غلا ايضا فقال لا يجوز النظر في الادلة لما يلزم منه من ان اكابر السلف

لم يكن من أهل النظر اكتفى مطلقا فاستدل بقوله فادعهم إلى الله بأن معرفة الله بحقيقة كنهه ممكنة للبشر
فإن كان ذلك مفيدا إنما عرفوه بنفسه من وجوده وصفاته اللائقة من العلم والقدرة والإرادة مثلا
وتنزيهه عن كل نقيصة كالحدوث فلا بأس به وأما ما عدا ذلك فإنه غير معلوم للبشر وإليه الإشارة بقوله تعالى
ولا يحيطون به علما فإذا حمل قوله فادعهم إلى الله على ذلك كان واضحا مع أن الاحتجاج به يتوقف على الجزم
بأنه صلى الله عليه وسلم نطق بهذه اللفظة وفيه نظر لأن القصة واحدة ورواة هذا الحديث اختلفوا هل ورد
الحديث بهذا اللفظ أو بغيره ولم يقل صلى الله عليه وسلم إلا لفظا منها ومع احتمال أن تكون هذا اللفظ من تصرف
الرواة لا يتم الاستدلال وقد بينت في أواخر كتاب الزكاة أن الأكثر رووه بلفظ فادعهم إلى شهادة أن لا
إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك ومنهم من رواه فادعهم إلى أن يوحدوا الله فإذا
عرفوا ذلك ومنهم من رواه بلفظ فادعهم إلى عبادة الله فإذا عرفوا الله ووجه الجمع بينها أن المراد بالعبادة التوحيد
والمراد بالتوحيد الإقرار بالشهادتين والإشارة بقوله ذلك إلى التوحيد وقوله فإذا عرفوا الله أي عرفوا توحيد الله
والمراد بالمعرفة الإقرار والطواعية فبذلك يجمع بين هذه الألفاظ المختلفة في القصة الواحدة وبالله التوفيق
وفي حديث ابن عباس من الفوائد غير ما تقدم الاقتصار في الحكم بإسلام الكافر إذا أقر بالشهادتين فإن من لازم الإيمان بالله
ورسوله التصديق بكل ما ثبت عنهما والتزام ذلك فيحصل ذلك لمن صدق بالشهادتين وأما ما وقع من بعض المبتدعة من إنكار
شيء من ذلك فلا يقدح في صحة الحكم الظاهر لأنه إن كان مع تأويل فظاهر وإن كان عنادا فيقدح في صحة الإسلام
فيعامل بما يترتب عليه من ذلك كإجراء أحكام المرتد وغير ذلك وفيه قبول خبر الواحد ووجوب العمل به وتعقب بأن
مثل خبر معاذ حفته قرينة أنه في زمن نزول الوحي فلا يستوي مع سائر أخبار الآحاد وقد مضى في باب إجازة
خبر الواحد ما يغني عن إعادته وفيه أن الكافر إذا صدق بشيء من أركان الإسلام كالصلاة مثلا يصير بذلك مسلما
وبالغ من قال كل شيء يكفر به المسلم إذا جحده يصير الكافر به مسلما إذا اعتقده والأول أرجح كما جزم به الجمهور
وهذا في الاعتقاد أما الفعل كما لو صلى فلا يحكم بإسلامه وهو أولى بالمنع لأن الفعل لا عموم له فيدخله
احتمال العبث والاستهزاء هذا آخر كلام الحافظ رح في شرح البخاري مطولا بلفظه والحاصل أن النبي صلى
الله عليه وآله وسلم دعا الناس إلى توحيد الإلهية والتوحيد عبارة عن القول بالشهادتين والشهادة بأن
تدعوا إلى إخلاص العبادة لله تعالى ويكفي في ذلك اتباع الدعاة من الرسل واتباعهم تقليدا لهم ولا يجب النظر
والاستدلال على ثبوت الصانع القديم الواحد الأحد الوحيد ذي الصفات العليا والأسماء الحسنى

وان كان ولا بد فهذه ادلة الكتاب العزيز والسنة المطهرة تغني عن غير ما قال الغزالي في فطرة الانسان و
شواهد القرآن ما يغني عن اقامة برهان وقد ذكر صاحب الوظائف على مذهب السلف ان في القرآن
نحو خمسمائة آية تدل عليه وقد اجمع اهل الملل الدينية وسائر الفرق الاسلامية على ان الطريق الى معرفة
الله تعالى واضح والآيات الدالة على الصانع ووحدانيته وصفاته اكثر من ان تحصى ومن ابلغ من الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم في الاستدلال والنظر واصدق من الله قيلا فيا اهدى الناس اليه من الاعتبار
بخلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار وما بينهن واما نصب الادلة التي احدثها الطائفة
المتكلمة في الاسلام وجاؤا بها على نهج الفلاسفة الطغام وزادوا عليها من عند انفسهم ما نفوا عن الخوض
فيه والاتيان به ودعوا الناس اليه والزموهم العلم والاعتقاد به فليس من الشريعة الحقة في صدر ولا ورد
وليس عليه اثارة من علم وانما هو من الجهل البسيط والمركب بمكان لا يخفى على من له ادنى المام بالقرآن والحديث
وطريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين ويا لله العجب من قوم اذا سألت عنهم عن فضائل السلف
اقروا بمزيتهم في العلم والعمل عليهم وعلى غيرهم من كل احد واذا طالبتهم الى القول بما قالوا والعمل بما عملوا
والاعتقاد بمثل اعتقادهم الساذج عن اهواء المتكلمين وآراء المجادلين اشمأزت قلوبهم ونفرت طبائعهم
كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة وبالجملة فالحق الحقيق بالقبول الذي انزل الله تعالى لاجله كتبه و
دعا اليه كل رسول هو التوحيد الخالص من شوب الاكدار المصفى من قذرات الافكار وهو الاقرار
باللسان والتصديق بالجنان بوجود الصانع لهذا العالم بالفطرة التي فطر الله الخلق عليها من غير استدلال
بادلة نظرية مبنية على شفا جرف هار ومعرفته سبحانه بالصفات الواردة في كتابه وفي احاديث رسوله
والاكتفاء بمجمل الايمان على طريق السلف هذا صحيح البخاري تلو القرآن فيه كتاب التوحيد المشتمل على
بيان صفات الله تعالى التي ورد بها القرآن وصحت بها السنة المطهرة على لسان سيد ولد عدنان راجعه
تجد فيه من هذا الباب كثيرا طيبا قال الحافظ في الفتح تنبيهان احدهما الذي يظهر من تصرف البخاري
في كتاب التوحيد انه يسوق الاحاديث التي وردت في الصفات المقدسة فيدخل كل حديث منها
في باب ويؤيده بآية من القرآن للاشارة الى خروجها عن اخبار الآحاد على طريق التنزل في ترك الاحتجاج
بها في الاعتقادات وان من انكرها خالف الكتاب والسنة جميعا وقد اخرج ابن ابي حاتم
في كتاب الرد على الجهمية بسند صحيح عن سلام بن ابي مطيع وهو شيخ شيخ البخاري انه ذكر المبتدعة

تعالى وسلم ما ذا يريبكم من هذه الأحاديث وأنه ما في الحديث شيء إلا وفي القرآن مثله يقول إن الله
سميع بصير ويحذركم الله نفسه والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ما منعك
أن تسجد لما خلقت بيدي وكلم الله موسى تكليما الرحمن على العرش استوى ونحو ذلك فلم يزل من العصر
إلى مغرب الشمس أمس ولم يذكر الحافظ تنبيها ما في النسخة التي عندنا ولا أدري أهو سهو منه أو من الكاتب
وعلى كل حال فالذي قال إني أتبع من الحق الصريح والصدق الصحيح وإن كنت في ريب مما قلنا فهذا كتاب
الجوائز والصلات في بيان الأسامي والصفات لبعض أهل العلم الظاهرية ترى لكل صفة منفردة من صفات
الباري جل مجده بابا مستقلا وكل باب مصدر بآية من الكتاب العزيز الناطقة بالصفة التي عقد لها الباب
وهذا أيسر دلك شأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى والسنة المطهرة
تصدق الكتاب العزيز وكذلك الكتاب الكريم يصدق سنة النبي الرؤف الرحيم ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وتلك الصفات الثابتة للرحمن الذي استوى على العرش وتقدس عن المماثلة والتشبيه
والتعطيل والتكييف نمرها على ظاهرها من غير تأويل ونعلم أن التشبيه اللازم في بادي الأمر منها بكلمة إجمالية
ليس كمثله شيء وهكذا أتقول له تعالى ولم يكن له كفوا أحد ولو ذهبنا إلى تأويل كل صفة وكل لفظة منها وقعنا في
حيص بيص وكنا على مراحل شاسعة من أصل التوحيد المطلوب ولا وجه لقبول تأويل من عالم من علماء الإسلام
ونبذ تأويل من هو مثلهم مع أن الله تعالى لم يوجب على أحد أن يأول كلامه وكلام رسوله [illegible] صلى الله عليه
وآله وسلم أوجب على الأمة أن يتشبثوا بتأويل صفاته العليا إلى مكان بعيد أو قريب بل الذي ندب إليه الشارع
وحث عليه جميع الناس هو الأخذ بظاهر النصوص والإيمان بالظاهر مع تفويض علم المتشابهات [illegible]
ولهذا لا تجد أحدا من سلف الأمة وأئمتها أول شيئا من صفات الرحمن بل صرحوا بأن ذلك من اتباع
خطوات الشيطان فإن التأويل فرع ثبوت وأن صرف الكلام بلا برهان مرعي ودليل شرعي ضرب
من التحريف والخوض في ذلك قسم من البدعة والهذيان عصمنا الله تعالى عن ذلك والسير إلى توحيد الله
تعالى ومعرفة صفاته العليا وأسمائه الحسنى بالصعود على سلالم أهل الكلام سفيهة والصيحة في الدين وثلمة
بأيديه في حصن اليقين بل هدم للتوحيد الذي دعا إليه الرسول وندب إليه سبحانه كل جيل من الناس وقبيل
من سفهاء الخلق وإلا كيف يمكن من زعم أن الحق في كلام علماء الكلام والتوحيد هو الذي جاء به هؤلاء الطغام
والملاحدة والفلاسفة اللئام والقرآن لا يكفي في ذلك والحديث لا يغني عما هنالك فقد خرج عن دائرة

الاسلام وعليه دائرة السوء من الله العزيز العلام والكلام على هذا المقام طويل جدا ليستدعي مؤلفا بسيطا وليس من مقصودنا في هذا الكتاب انما الغرض بيان التوحيد الخالص واعتقاد الاله الموصوف بصفات التكمل المنعوت بنعوت الجلال والجمال دون الكلام على كل صفة صفة ودون بيان جميع العقائد التي حرروها في كتب اصول الدين لانا قد قضينا الوطر منها في كتب مستقلة ممتعة منتفعة بها من مؤلفات بعض الفحول الاعلام ومؤلفات غيره من علماء التوحيد وفضلاء الحق السديد فعليك بها ان كنت من اهلها والا فانت وصنيعك كما قيل كل غني في دينها وكل حزب بما لديهم فرحون وانما الموعد او الخصومة بين يدي الله سبحانه قال تعالى ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب وسيعلم الذين ظلموا اي اشركوا بالله ولم يوحدوه ولم يعبدوه خالصا مخلصا له الدين اي منقلب ينقلبون

ستعلم ليلى اي دين تداينت +
واي غريم في التقاضي غريمها +

باب في الكلام على معنى كلمة التوحيد والتحقق به وما يتصل بذلك

عن انس رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعاذ رديفه فقال يا معاذ قال لبيك وسعديك يا رسول الله قال يا معاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك قال يا معاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك قال ما من عبد يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا حرمه الله على النار قال يا رسول الله الا اخبر بها الناس فيستبشروا قال اذا يتكلوا فاخبر بها معاذ عند موته تأثما اخرجه الشيخان وعن عتبان بن مالك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله قد حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغي بها وجه الله اخرجه البخاري ومسلم وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة او ابي سعيد في قصة غزوة تبوك وفضل ازوادهم بدعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عنه الجنة وفي الصحيحين عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق قلت وان زنى وان سرق قالها ثلاثا ثم قال في الرابعة على رغم انف ابي ذر فخرج ابو ذر وهو يقول وان رغم انف ابي ذر وفي مسلم ايضا عن عبادة بن الصامت انه قال عند موته سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرم الله عليه النار وفي الصحيحين عن عبادة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من شهد ان لا اله الا الله

وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رح وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة يطول ذكرها وأحاديث هذا الباب نوعان أحدهما ما فيه أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة أو لم يحجب عنها وهذا ظاهر في أن النار لا يخلد فيها أحد من أهل التوحيد الخالص وقد يدخل الجنة ولا يحجب عنها إذا طهر من ذنوبه بالنار وحديث أبي ذر معناه أن الزنا والسرقة لا يمنعان دخول الجنة مع التوحيد وهذا حق لا مرية فيه ليس فيه أنه لا يعذب عليهما مع التوحيد وفي مسند البزار عن أبي هريرة مرفوعا من قال لا إله إلا الله نفعته يوما من دهره يصيبه قبل ذلك ما أصابه والثاني ما فيه أنه يحرم على النار وهذا حمله بعضهم على الخلود فيها أو على نار يخلد فيها أهلها وهي ما عدا الدرك الأعلى فإن الدرك الأعلى يدخله خلق كثير من عصاة الموحدين بذنوبهم ثم يخرجون بشفاعة الشافعين وبرحمة أرحم الراحمين وفي الصحيحين أن الله تعالى يقول وعزتي وجلالي لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله قالت طائفة من العلماء المراد من هذه الأحاديث أن لا إله إلا الله سبب دخول الجنة والنجاة من النار والمقتضي لذلك ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع وهذا قول الحسن ووهب بن منبه وهو الأظهر قال الحسن للفرزدق وهو يدفن امرأته ما أعددت لهذا اليوم قال شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة قال الحسن نعم العدة إن للا إله إلا الله شروطا فإياك وقذف المحصنات وروي عنه أنه قال للفرزدق هذا العمود فأين الطنب وقيل للحسن إن ناسا يقولون من قال لا إله إلا الله دخل الجنة فقال من قال لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة وقال وهب بن منبه لمن سأله أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة قال بلى ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك وهذا الحديث أن مفتاح الجنة لا إله إلا الله أخرجه أحمد بإسناد منقطع عن معاذ قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا سألك أهل اليمن عن مفتاح الجنة فقل شهادة أن لا إله إلا الله ويدل على صحة هذا القول أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رتب دخول الجنة على الأعمال الصالحة في كثير من النصوص كما في الصحيحين عن أبي أيوب أن رجلا قال يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة فقال تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رجلا قال يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة قال تعبد الله لا تشرك به

شيئا وتقيم الصلوة المكتوبة وتؤتي الزكوة المفروضة وتصوم رمضان فقال الرجل والذي نفسي بيده لا ازيد على هذا شيئا ولا انقص منه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من سره ان ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا وفي المسند عن بشير بن الخصاصية قال اتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابايعه فاشترط علي شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان اقيم الصلوة واوتي الزكوة وان احج حجة الاسلام وان اصوم رمضان وان اجاهد في سبيل الله فقلت يا رسول الله اما اثنتين فوالله ما اطيقهما الجهاد والصدقة فقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده ثم حركها وقال لا جهاد ولا صدقة فبم تدخل الجنة اذا قلت يا رسول الله انا ابايعك فبايعته عليهن كلهن ففي هذا الحديث ان الجهاد والصدقة شرط في دخول الجنة مع حصول التوحيد وكذا الصلوة والصيام والحج ونظير هذا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ففهم عمر وجماعة من الصحابة ان من اتى بالشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا بمجرد ذلك فتوقفوا في قتال مانعي الزكوة وفهم الصديق رضي الله عنه انه لا يمتنع قتاله الا باداء حقوقها لقوله صلى الله عليه وآله وسلم فاذا فعلوا ذلك منعوا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وقال الزكوة حق المال وهذا الذي فهمه الصديق قد رواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صريحا غير واحد من الصحابة منهم ابن عمر وانس وغيرهما وانه قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وقد دل على ذلك قوله تعالى فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين يعني على ان الاخوة في الدين لا تثبت الا باداء الفرائض فان التوبة من الشرك لا تحصل الا بالتوحيد ولا يتم التوحيد الا بالعمل الصالح وعليه رتب دخول الجنة ولما قررها ابو بكر رضي الله عنه هذا للصحابة رجعوا الى قوله ورأوه صوابا فاذا علم ان عقوبة الدنيا لا ترفع عمن ادى الشهادتين مطلقا بل يعاقب باخلاله بحق من حقوق الاسلام فكذلك عقوبة الآخرة وقد ذهب طائفة الى هذه الاحاديث المذكورة اولا وما في معناها وقالوا كانت قبل نزول الفرائض والحدود منهم الزهري والثوري وغيرهما وهذا بعيد جدا فان كثيرا منها كانت بالمدينة بعد نزول الفرائض والحدود وفي بعضها انه كان في غزوة تبوك وهو في آخر حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهؤلاء منهم من يقول في هذه الاحاديث انها منسوخة ومنهم من يقول هي محكمة ولكن ضم اليها شرائط ويلتفت هذا الى ان الزيادة على النص هل هي نسخ ام لا والخلاف في ذلك بين الاصوليين مشهور وقد صرح الثوري وغيره بانها منسوخة وانه نسخها الفرائض والحدود

وقد يكون مرادهم بالنسخ البيان والايضاح فان السلف كانوا يطلقون النسخ على مثل ذلك كثيرا و
يكون مقصودهم ان آيات الفرائض والحدود تبين بها توقف دخول الجنة والنجاة من النار على فعل
الفرائض واجتناب المحارم فصارت تلك النصوص منسوخة اي مبينة مفسرة ونصوص الفرائض
والحدود ناسخة اي مفسرة لمعنى تلك موضحة لها وقالت طائفة تلك النصوص المطلقة قد جاءت مقيدة
في احاديث اخر ففي بعضها من قال لا اله الا الله مخلصا وفي بعضها مستيقنا وفي بعضها يصدق قلبه
لسانه وفي بعضها يقولها حقا من قلبه وفي بعضها قد ذل بها لسانه واطمأن بها قلبه وهذا كله اشارة
الى عمل القلب وتحقيقه بمعنى الشهادتين وتحقيقه بقول لا اله الا الله ان لا يأله القلب غير الله حبا
ورجاء وخوفا وتوكلا واستعانة وخضوعا وانابة وطلبا وتحقيقه بان محمدا رسول الله ان لا يعبد الله بغير
ما شرعه الله على لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد جاء هذا المعنى مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وآله
وسلم صريحا انه من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل ما اخلاصها يا رسول الله قال ان تحجزك عما
حرم الله عليك وهذا يروى من حديث انس بن مالك وزيد بن ارقم ولكن اسنادهما لا يصح وجاء ايضا
من مراسيل الحسن نحوه وتحقيق هذا المعنى وايضاحه ان قول العبد لا اله الا الله يقتضي ان لا اله غير
الله والاله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له واجلالا ومحبة وخوفا ورجاء وتوكلا عليه وسؤالا منه
ودعاء له ولا يصلح ذلك كله الا لله عز وجل فمن اشرك مخلوقا في شيء من هذه الامور التي هي من خصائص
الالهية كان ذلك قدحا في اخلاصه في قول لا اله الا الله ونقصا في توحيده وكان فيه من عبودية المخلوق
بحسب ما فيه من ذلك وهذا كله من فروع الشرك ولهذا ورد اطلاق الكفر على كثير من المعاصي التي
منشؤها من طاعة غير الله وخوفه او رجائه او التوكل عليه او العمل لاجله كما ورد اطلاق الشرك على الرياء
وعلى الحلف بغير الله وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه وعلى من سوى بين الله وبين المخلوق في المشيئة
مثل ان يقول ما شاء الله وشاء فلان وكذا قوله ما لي الا الله وانت وكذلك ما يقدح في التوحيد وفي
تفرد الله سبحانه وتعالى بالنفع والضر كالطيرة والرقى المكروهة واتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون
وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قادح في تمام التوحيد وكماله ولهذا اطلق الشرع على كثير من
الذنوب التي منشؤها من اتباع هوى النفس انها كفر وشرك كقتال المسلم ومن اتى حائضا في دبرها ومن
شرب الخمر في المرة الرابعة وان كان ذلك لا يخرج عن الملة بالكلية ولهذا قال السلف كفر دون كفر

وشرك دون شرك وقد ورد اطلاق الاله على الهوى المتبع قال تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه قال الحسن هو الذي لا يهوى شيئا الا ركبه وقال قتادة هو الذي كلما هوى شيئا ركبه وكلما اشتهى شيئا اتاه لا يحجزه عن ذلك شرع ولا تقوى قال الشاعر من كل شيء لذ بذ احتسى قدحا + وكل ناطقة في الكون يطربني وقال آخر من راقب الناس مات غما + وفاز باللذة الجسور + ونعوذ بالله من جميع ما كرهه الله وروي من حديث ابي امامة مرفوعا باسناد ضعيف ما تحت ظل السماء اله يعبد اعظم عند الله من هوى متبع وفي حديث آخر لا تزال لا اله الا الله تدفع عن اصحابها حتى يؤثروا دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك ردت عليهم وقيل لهم كذبتم ويشهد لذلك الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة وانتكس واذا شيك فلا انتقش فدل هذا على ان كل من احب شيئا واطاعه وكان من غاية قصده ومطلوبه ووالى لاجله وعادى لاجله فهو عبده وذلك الشيء معبوده والهه ويدل عليه ايضا ان الله سمى طاعة الشيطان معصية وعبادة كما قال تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان وقال تعالى حاكيا عن خليله ابراهيم عليه السلام انه قال لابيه يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا فمن لم يحقق عبودية الرحمن وطاعته فانه يعبد الشيطان بطاعته له ولم يخلص من عبادة الشيطان الا من اخلص عبودية الرحمن وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فهم الذين حققوا قول لا اله الا الله واخلصوا في قولها وصدقوا قولهم بفعلهم فلم يلتفتوا الى غير الله محبة ورجاء وخشية وطاعة وتوكلا وهم الذين صدقوا في قول لا اله الا الله وهم عباد الله لان من قال لا اله الا الله بلسانه ثم اطاع الشيطان وهواه في معصية الله ومخالفته فقد كذب فعله قوله ونقص من كمال توحيده بقدر معصية الله في طاعة الشيطان والهوى ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فيا هذا كن عبد الله لا عبد الهوى فان الهوى يهوي بصاحبه في النار أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار وآخر الاول الهم وآخر الآخر النار والله ما ينجو غدا من عذاب الله الا من حقق عبودية الله وحده ولم يلتفت معه الى شيء من الاغيار

غیر حق هر چه دلت را ببرد — سد راه تو همان خواهد بود

من علم ان الله تعالى معبوده فرد فليفرده بالعبودية ولا يشرك بعبادة ربه احدا كان بعض العارفين يتكلم على بعض اصحابه على رأس جبل فقال في كلامه لا ينال احد مراده حتى ينفرد فردا بفرد فانزعج واضطرب

حتى رأى اصحابه ان النفس قد تركت وبقي على ذلك ساعة فلما افاق فكانه نشر من قبره فان قول لا اله
الا الله يقتضي ان لا يحب سواه فان الله هو الذي يطاع محبة وخوفا ورجاء ومن تمام التوحيد محبة ما يحبه وكراهة
ما يكرهه فمن احب شيئا مما يكرهه الله او كره شيئا مما يحبه الله لم يكمل توحيده وصدقه في قول لا اله الا الله وكان فيه من الشرك
الخفي بحسب ما كرهه مما يحبه الله وما احبه مما يكرهه قال الله تعالى ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا
رضوانه فاحبط اعمالهم قال الليث عن مجاهد في قوله تعالى لا يشركون بي شيئا اي لا يحبون غيري وفي صحيح الحاكم
عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه واله وسلم قال الشرك في هذه الامة اخفى من دبيب النمل
على الصفا في الليلة الظلماء وادناه ان تحب على شيء من الجور او تبغض على شيء من العدل وهل الدين الا الحب
والبغض في الله قال الله عز وجل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله واخرجه ايضا ابن ابي حاتم وابو نعيم
في الحلية وهذا نص على ان محبة ما يكرهه الله وبغض ما يحبه الله متابعة للهوى والموالاة على ذلك
والمعاداة عليه من الشرك الخفي وقال الحسن اعلم انك لن تحب الله حتى تحب طاعته وسئل ذو النون متى
احب ربي قال اذا كان ما يبغضه عندك امر من الصبر وقال بشر بن السري ليس من اعلام الحب ان تحب ما
يبغضه حبيبك وقال ابو يعقوب النهرجوري كل من ادعى محبة الله ولم يوافق الله في امره فدعواه باطل وقال
يحيى بن معاذ ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده وقال رويم المحبة الموافقة في جميع الاحوال
وانشد شعر ولو قلت لي مت مت سمعا وطاعة * وقلت لداعي الموت اهلا ومرحبا ويشهد لهذا المعنى
ايضا قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله قال الحسن قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه
واله وسلم انا نحب ربنا حبا شديدا فاحب الله ان يجعل لحبه علما فانزل الله هذه الاية ومن هنا يعلم انه لا
تتم شهادة ان لا اله الا الله الا بشهادة ان محمدا رسول الله فانه اذا علم انه لا تتم محبة الله الا بمحبة ما يحبه
وكراهة ما يكرهه ولا طريق الى معرفة ما يحبه وما يكرهه الا من جهة محمد المبلغ عن الله ما يحبه وما يكرهه
فصارت محبة الله مستلزمة لمحبة رسوله وتصديقه ومتابعته ولهذا قرن الله بين محبته ومحبة رسوله
في قوله قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله كما قرن بين طاعته وطاعة
رسوله في مواضع كثيرة وقال صلى الله عليه واله وسلم ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان ان يكون الله
ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر بعد ان انقذه الله منه كما
يكره ان يلقى في النار هذه حال السحرة لما سكنت المحبة في قلوبهم سمحوا ببذل نفوسهم وقالوا لا [illegible] فاقض

ما انت قاض ومتى تمكنت المحبة في القلب لم تنبعث الجوارح الا الى طاعة الله رب العالمين وهذا هو معنى الحديث الالهي الذي خرجه البخاري في صحيحه وفيه لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وقد قيل ان في بعض الروايات فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي والمعنى ان محبة الله اذا استغرق بها القلب واستولت عليه لم تنبعث الجوارح الا الى مراضي الرب وصارت النفس حينئذ مطمئنة بارادة مولاها عن مرادها وهواها يا هذا اعبد الله لمراده منك لا لمرادك منه فمن عبده لمراده منه فهو ممن يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ومتى قويت المعرفة والمحبة لم يرد صاحبها الا ما يريده مولاه وفي بعض الكتب السالفة من احب الله لم يكن عنده شيء احب من رضاه ومن احب الدنيا لم يكن شيء عنده آثر من هوى نفسه وروى ابن ابي الدنيا باسناده عن الحسن قال ما نظرت ببصري ولا نطقت بلساني ولا بطشت بيدي ولا نهضت على قدمي حتى انظر على طاعة او على معصية فان كانت طاعة تقدمت وان كانت معصية تأخرت هذه حال خواص المحبين الصادقين فافهموا رحمكم الله هذا فانه من دقائق اسرار التوحيد الغامضة والى هذا المقام اشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خطبته لما قدم المدينة حيث قال احبوا الله من كل قلوبكم وقد ذكرها ابن اسحق وغيره فان من امتلأ قلبه من محبة الله لم يكن فيه فراغ لشيء من ارادة النفس والهوى والى ذلك اشار القائل بقوله ...... ه

اروح وقد ختمت على فؤادي — بحبك ان يحل به سواكا
فلو اني استطعت غضضت طرفي — فلم انظر به حتى اراكا
احبك لا ببعضي بل بكلي — وان لم يبق حبك لي حراكا
ولاحباب مخصوص بوجد — وآخر يدعي معه اشتراكا
اذا سكبت دموع في خدود — تبين من بكى ممن تباكى
فاما من بكى فيذوب وجدا — وينطق بالهوى من قد تباكى

متى يبقى للمحب حظ من نفسه فما بيده من المحبة الا الدعوى انما المحب من يفنى عن هوى نفسه كله ويبقى بحبيبه فبي يسمع وبي يبصر القلب بيت الرب وفي الاسرائيليات يقول الله ما وسعني سمائي ولا ارضي ووسعني قلب عبدي المؤمن فمتى كان القلب فيه غير الله فالله اغنى الاغنياء عن الشرك وهو لا يرضى بمزاحمة اصنام الهوى

الحق غيور يغار على عبده المؤمن أن يسكن في قلبه سواه وأن يكون فيه شيء لا يرضاه سواه

أخذنا كرضينا الطلبا مرجعكم بعد قرب عند دار اللقا نكرعتا
وقلنا لكم لا تسكنوا القلب غيرنا فأسكنتم الأغيار ما أنتم منا

لا يصح عند الأمن لقي الله بقلب سليم ليس فيه سواه قال الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب
سليم هو الطاهر من أدناس المخالفات فأما الملطخ بشيء من المكروهات فلا يصلح لمجاورة حضرة القدس
إلا بعد أن يطهر في كير العذاب فإذا زال منه الخبث صلح حينئذ للمجاورة إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا
فأما القلوب الطيبة فتصلح للمجاورة من أول الأمر سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين الذين تتوفاهم الملائكة
طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة من لم يحرق اليوم بنار الأسف على ما سلف أو بنار الشوق
إلى لقاء الحبيب فنار جهنم أشد حرا إنما يحتاج إلى التطهير بنار جهنم الأمن لم يكمل تحقيق التوحيد والقيام
بحقوقه وأول من تسعر به النار من الموحدين العباد المراؤون بأعمالهم وأولهم العالم والمجاهد والمتصدق
للرياء لأن يسير الرياء شرك ما نظر المرائي بعمله إلا إلى معظمه الخالق والمرائي يرد التواضع على اسم الملك
ليأخذ المراطيل لنفسه ويوهمه أنه من خاصة الملك وهو ما يعرف الملك بالكلية نقش المرائي على الدرهم
الزائف اسم الملك ليروج والبهرج والبهرج ما يجوز إلا على غير الناقد وبعد أهل الرياء يحل النار أصحاب الشهوات
وعبيد الهوى الذين أطاعوا هواهم وعصوا مولاهم فأما عبيد الله حقا فيقال لهم يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي
إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي جهنم تطفى بنور إيمان الموحدين وفي الحديث تقول
النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي وفي المسند عن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يبقى
بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجا من بردهم
هذا ميراث ورثه المحبون من حال الخليل عليه السلام نار المحبة في قلوب المحبين تخاف منها نار جهنم
قال الجنيد قالت النار يا رب لو لم أطعك هل كنت تعذبني بشيء أشد مني قال نعم كنت أسلط عليك ناري
الكبرى قالت وهل نار أعظم مني وأشد قال نعم نار محبتي أسكنها قلوب أوليائي المؤمنين وكان بعض العارفين
يقول أليس عجبا أن أكون حيا بين أظهركم وفي قلبي من الاشتياق إلى ربي مثل شعل النار التي لا تطفى
ولم أر سوى نار الحب نارا تزيد ببعد موقدها اتقادا أما العارفون شغلهم مولاهم ولا لهم غيره وفي الحديث
من أصبح وهمه غير الله فليس من الله قال بعضهم من أحبك لشأن فليس له هم في غيره ولا قصد فمن كان

داود الطائي يقول في الليل همك عطل علي الهموم وخالف بيني وبين السهاد وشوقي الى النظر اليك اوبق مني اللذات وحال بيني وبين الشهوات فانا في سجنك ايها الكريم اذا فهمت هذا المعنى فهمت معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم من شهد ان لا اله الا الله صادقا من قلبه حرمه الله على النار فاما من دخل النار من اهل هذه الكلمة فلقلة صدقه في قولها فان هذه الكلمة اذا صدقت طهرت القلب من كل ما سوى الله ومتى بقي في القلب اثر لسوى الله فمن قلة الصدق في قولها من صدق في قول لا اله الا الله لم يحب سواه ولم يرج الا اياه ولم يخش احدا الا الله ولم يتوكل الا على الله ولم يبق له بقية من آثار نفسه وهواه وان الله عز وجل له عناية بمن يحبه من عباده فكلما زلق ذلك العبد في هفوات الهوى اخذ بيده الى النجا فيسبب له اسباب التوبة وينبهه على قبح زلته فيفزع الى الاعتذار ويبتليه بمصائب مكفرة لما جنى وفي الصحيح عن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الحمى تذهب الخطايا كما يذهب الكير خبث الحديد وفي المسند وصحيح ابن حبان عن عبد الله بن مغفل ان رجلا لقي امرأة كانت بغيا في الجاهلية فجعل يلاعبها حتى بسط يده اليها فقالت مه ان الله قد اذهب الشرك وجاء بالاسلام فتركها وولى فجعل يلتفت خلفه ينظر اليها حتى غابت فاتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاخبره بالامر فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم انت عبد اراد الله بك خيرا ثم قال ان الله اذا اراد بعبده شرا امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة فيا قوم قلوبكم على اصل الطهارة وانما اصابها رشاش من نجاسة الذنوب فرشوا عليها قليلا من دموع العيون وقد طهرت اعزموا على فطام النفوس عن رضاع الهوى فالحمية راس الدواء متى طالبت نفوسكم بمالوفاتها فقولوا كما قالت تلك المرأة لذلك الرجل قد اذهب الله الشرك وجاء بالاسلام والاسلام يقتضي الاستسلام والانقياد للطاعة وذكروها قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا لعلها تحن الى الاستقامة وعرفوها اطلاع من هو اقرب اليها من حبل الوريد لعلها تستحيي من قربه ونظره الم يعلم بان الله يرى وان ربك لبالمرصاد راود رجل امرأة في فلاة فابت فقال لها ما يرانا الا الكواكب فقالت فاين مكوكبها اكره رجل امرأة على نفسها وامرها بغلق الابواب فغلقت فقال لها هل بقي باب لم تغلقيه قالت نعم الباب الذي بيننا وبين الله تعالى فلم يتعرض لها رأى بعض العارفين رجلا يكلم امرأة فقال ان الله يراكما سترنا الله واياكما سئل الجنيد بما يستعان على غض البصر قال بعلمك ان نظر الله اليك اسبق من نظرك الى ما تنظره قال المحاسبي المراقبة علم القلب بقرب الرب كلما قويت المعرفة قوي الحياء من قربه ونظره سبحانه وتعالى قال بعضهم استحي من الله على قدر قربه منك و

خف الله على قدر قدرته عليك وكان بعضهم يقول لي منذ اربعين سنة ما خطوت خطوة لغير الله ولا نظرت الى شيء لغير الله حياء من الله عز وجل شعر

كأن رقيبا منك يرعى خواطري وآخر يرعى ناظري ولساني
فما ابصرت عيناي بعدك منظرا لغيرك الا قلت قد رمقاني
ولا بدرت من فيّ بعدك لفظة لغيرك الا قلت قد سمعاني
ولا خطرت من غير ذكرك خطرة على القلب الا عرجا بعناني

وبالجملة فالتوحيد الالهي عبارة عن ذل العبودية وعز الربوبية ومن استبدل ذلك بعبادة غير الله تعالى وخشيته فقد اشرك ولم يعرف قدر الله ولا قدر ربوبيته وعبادته وسيأتي بيان شرك المحبة في آخر هذا الكتاب وبيان آفاته وانواعه فكلمة التوحيد لها فضائل عظيمة وفواضل كريمة لا يمكن ههنا استقصاؤها فلنذكر بعض ما ورد فيها قال عمر وغيره من الصحابة هي كلمة التقوى وهي كلمة الاخلاص وشهادة الحق ودعوة الصدق وهي براءة من الشرك ونجاة من النار ولاجلها خلقت الخلائق قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي يوحدون ويعرفون ولاجلها ارسلت الرسل وانزلت الكتب كما قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقال ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وهذه الآية اول ما عدد الله على عباده من النعم في سورة النحل قال ابن عيينة ما انعم الله على عباده نعمة اعظم من ان عرفهم لا اله الا الله وان هذه الكلمة الطيبة لاهل الجنة كالماء البارد لاهل الدنيا ولاجلها اعدت دار الثواب ودار العقاب ولاجلها امرت الرسل بالجهاد فمن قالها عصم ماله ودمه ومن اباها فماله ودمه هدر وهي مفتاح دعوة الرسل وبها كلم الله موسى كفاحا وفي مسند البزار وغيره عن عياض الانصاري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان لا اله الا الله كلمة حق على الله كريمة ولها من الله مكان وهي كلمة جمعت وشرعت فمن قالها صادقا ادخله الله الجنة ومن قالها كاذبا احرزت ماله وحقنت دمه ولقي الله سبحانه فحاسبه وهي ثمن الجنة قاله الحسن وجاء مرفوعا من وجوه ضعيفة ومن كانت آخر كلامه دخل الجنة وهي نجاة من النار وسمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم مؤذنا يقول اشهد ان لا اله الا الله فقال خرج من النار خرجه مسلم وهي توجب المغفرة وفي المسند عن شداد بن اوس وعبادة بن الصامت ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لاصحابه يوما ارفعوا ايديكم وقولوا لا اله الا الله فرفعنا ايدينا

ساعة ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم قال الحمد لله اللهم ارسلتني بهذه الكلمة وبعثتني بها ووعدتني الجنة عليها وانك لا تخلف الميعاد ثم قال ابشروا فان الله قد غفر لكم وهي احسن الحسنات قال ابو ذر قلت يا رسول الله علمني بعمل يقربني من الجنة ويباعدني من النار قال اذا عملت سيئة فاعمل حسنة فانها عشر امثالها قلت يا رسول الله لا اله الا الله من الحسنات قال هي احسن الحسنات وهي تمحو الذنوب والخطايا وفي سنن ابن ماجة عن ام هانئ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا اله الا الله لا تترك ذنبا ولا يسبقها عمل ومن هنا قيل التوحيد راس الطاعات والاخلاص افضل العبادات رؤي بعض السلف بعد موته في المنام فسئل عن حاله فقال ما ابقت لا اله الا الله شيئا وهي تجدد ما درس من الاعمال في القلب وفي المسند ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه جددوا ايمانكم قالوا كيف نجدد ايماننا قال قولوا لا اله الا الله وهي التي لا يعدلها شيء في الوزن فلو وزنت بالسموات والارض لرجحت بهن كما في المسند عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان نوحا قال لابنه عند موته آمرك بلا اله الا الله فان السموات السبع والارضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا اله الا الله في كفة لرجحت بهن لا اله الا الله ولو ان السموات السبع والارضين السبع كن حلقة مبهمة لقصمتهن لا اله الا الله وفيه ايضا عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى قال يا رب علمني شيئا اذكرك وادعوك به قال يا موسى قل لا اله الا الله قال يا رب كل عبادك يقولون هذا قال يا موسى لو ان السموات السبع وعامرهن غيري والارضين السبع في كفة ولا اله الا الله في كفة لمالت بهن لا اله الا الله وكذلك ترجح بصحائف الذنوب كما في حديث السجلات والبطاقة وقد خرجه احمد والنسائي والترمذي ايضا من حديث ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم

مهما تفكرت في ذنوبي خفت على قلبي احتراقه
لكنه ينطفي لهيبي بذكر ما جاء في البطاقه

اللهم عبد لك هذا ليس له من الحسنات والخيرات شيء غير لا اله الا الله فتقبلها منه واغفر له برحمتك وارحمه عن معاصيك ظاهرها وباطنها فانك على ما تشاء قدير واما انا فان النفس لامارة بالسوء وان الشيطان وحزبه انما يدعون الى النار والياس من عفوك وحنانك وانت اكبر من كل شيء وانت تقضي ولا يقضى عليك فاصنع بنا ما نحن نرجوه ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به اللهم آمين وهي التي تخرق الحجب كلها حتى تصل الى الله عز وجل وفي الترمذي عن ابن عمرو يرفعه قال لا اله الا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تصل اليه وفيه ايضا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما قال عبد لا اله الا الله مخلصا الا فتحت له ابواب السماء حتى يفضي الى العرش

ما اجتنبت الكبائر وفي رواية عن ابن عباس مرفوعا ما من شيء إلا بينه وبين الله حجاب إلا قول لا إله إلا الله
كما أن شفتيك لا تحجبها كذلك لا يحجبها شيء حتى تنتهي إلى الله عز وجل وهي التي ينظر الله إلى قائلها وفي حديث أخرجه
النسائي في كتاب اليوم والليلة من حديث رجلين من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قال
لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مخلصا بها روحه مصدقا بها لسانه
إلا فتق الله له السماء فتقا حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض وحق للعبد من نظر الله إليه أن يعطيه سؤله
وهي الكلمة التي يصدق قائلها كما أخرجه النسائي والترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة وأبي سعيد
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر صدقه ربه وقال لا إله إلا أنا وحدي
وإذا قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي وإذا قال لا إله إلا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد قال الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي لي الملك ولي الحمد وإذا قال لا إله إلا
الله ولا حول ولا قوة إلا بالله قال الله لا إله إلا أنا وحدي ولا حول ولا قوة إلا بي وكان يقول من قالها في مرضه
ثم مات لم تطعمه النار وهي أفضل الذكر كما في حديث جابر المرفوع أفضل الذكر لا إله إلا الله وعن ابن عباس
قال أحب كلمة إلى الله لا إله إلا الله لا يقبل الله عملا إلا بها وهي أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفا وتعدل عتق الرقاب
وتكون حرزا من الشيطان كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قال لا إله إلا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له
مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك وفيهما أيضا
عن أبي أيوب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قالها عشر مرات كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل وفي
الترمذي عن ابن عمر مرفوعا من قالها إذا دخل السوق وزاد فيها يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو
على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحى عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وفي
رواية وبنى له بيتا في الجنة ومن فضائلها أنها أمان من وحشة القبر وهول الحشر كما في المسند وغيره عن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم قال ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم وكأني بأهل لا إله إلا
الله وقد قاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وفي حديث مرسل
من قال لا إله إلا الله الملك الحق المبين كل يوم مائة مرة كان له أمانا من الفقر وأنسا من وحشة القبر واستجلب
به الغنى واستقرع به باب الجنة وهي شعار المؤمنين إذا قاموا من قبورهم كما قال النضر بن عربي بلغني أن الناس

اذا قاموا من قبورهم كان شعارهم لا اله الا الله وقد خرج الطبراني حديثا مرفوعا ان شعار هذه الامة على الصراط لا اله الا الله ومن فضائلها انها تفتح لقائلها ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء كما في حديث عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيمن اتى بالشهادتين بعد الوضوء وقد خرجه مسلم وفي الصحيحين عن عبادة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق وان الله يبعث من في القبور فتحت له ثمانية ابواب الجنة يدخل من ايها شاء وفي حديث عبد الرحمن بن سمرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم في قصة منامه الطويل قال ورايت رجلا من امتي انتهى الى ابواب الجنة فاغلقت الابواب دونه فجاءته شهادة ان لا اله الا الله ففتحت له الابواب وادخلته الجنة ومن فضائلها ان اهلها وان دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها فانهم لا بد ان يخرجوا منها كما في الصحيحين عن انس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يقول الله عز وجل وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لاخرجن منها من قال لا اله الا الله وخرج الطبراني عن انس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان ناسا من اهل لا اله الا الله يدخلون النار بذنوبهم فيقول لهم اهل اللات والعزى ما اغنى عنكم قول لا اله الا الله فيغضب الله لهم فيخرجهم من النار فيدخلون الجنة ومن كان في سخطه محسنا فكيف يكون اذا ما رضي لا يسوي بين من وحده وان قصر في توحيده وبين من اشرك به وكان بعض السلف يقول في دعائه اللهم انك قلت عن اهل النار انهم اقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ونحن نقسم بالله جهد ايماننا ليبعثن الله من يموت اللهم لا تجمع بين القسمين في دار واحدة وكان يقول ابو سليمان ان طالبني ببخلي طالبته بجوده وان طالبني بذنوبي طالبته بعفوه وان ادخلني النار اخبرت اهل النار اني احبه ما اطيب وصله وما اعذبه وما اثقل هجره وما اصعبه وكان بعض العارفين يبكي طول ليله ويقول ان تعذبني فاني لك محب وان ترحمني فاني لك محب العارفون يخافون من الحجاب اكثر مما يخافون من العذاب قال ذو النون خوف النار عند خوف الفراق كقطرة في بحر لجي وكان بعضهم يقول الهي وسيدي ومولاي لو انك تعذبني بعذابك كله كان ما فاتني من قربك اعظم عندي من العذاب

وقيل لبعضهم لو طردك ما كنت تفعل فقال

انا ان لم اجد من الحب وصلا　　رميت في النار منزلا ومقيلا
ثم ازعجت اهلها بندائي　　بكرة في عرصاتها ومقيلا

معشر المشركين توحيدا + + على من يدعي انه محب الجليلا

لم يكن في الذي ادعاه محقا ضي اذاه العذاب الطويلا ١

هذا الحق كلام شيخ الاسلام مع تصرف يسير فيه بالنقص وبعض الزيادة واحلاه هذه الكلمة هي فارقة بين الكفر والاسلام وهي كلمة التقوى وهي العروة الوثقى وهي التي جعلها ابراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها فان المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في النار مع كونهم يصلون ويصومون ويتصدقون ولكن المراد معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة اهلها وبغض من خالفها ومعاداته قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا وفي رواية خالصا من قلبه وفي لفظ من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله دخل الجنة الى غير ذلك من الادلة الدالة على جهالة اكثر الناس بهذه الشهادة فاعلم ان هذه الكلمة نفي واثبات نفي الالوهية عما سوى الله تعالى من المرسلين حتى محمد صلى الله عليه وآله وسلم والملائكة حتى جبريل عليه السلام فضلا عن غيرهم من الاولياء والصالحين واثباتها لله وحده لا حق في ذلك لاحد من المقربين اذا فهمت ذلك فتأمل هذه الالوهية التي اثبتها كلها الله لنفسه المقدسة ونفى عن محمد وجبريل وغيرهما عليهم السلام ان يكون لهم مثقال حبة خردل منها فالالوهية التي تسميها العامة في زماننا الولاية والسر سر السر ويسمون اهلها الفقراء والمشائخ والاولياء واصحاب السر والسلوك واهل الباطن واشباه هذا ويظنون ان الله جعل لخواص الخلق منزلة يرضى ان العامي يلتجئ اليهم ويرجوهم ويخافهم ويستغيث بهم ويستعين منهم في قضاء حوائجه واسعاف مرامه والنجاح مقاصده ويجعلهم وسائطه بينه وبين الله تعالى هي الشرك الجلي الذي لا يغفره الله تعالى ابدا الذي يزعم اهل الشرك في زماننا انهم وسائطهم الذين سماهم الاولون الالهة وقال الناس ليقربونا الى الله زلفى يقول الرجل لا اله الا الله فيه ابطال الوسائط المسماة بالالهة فان اردت ان تعرف هذا واضحا فاعرف امرين تعرف ذلك الاول ان تعرف ان الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقتلهم ونهب اموالهم وسبى ذراريهم واستحل نساءهم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية وانه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الامر الا هو كما قال الله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض الآية الى غير ذلك من الآيات التي عددت في كتاب قد ذكر مسئلة جليلة عظيمة مهمة عرفت منها ان الكفار كانوا مقرين بهذا كله فما ادخلهم ذلك مع شدة الذين هذا هو ذلك في الاسلام ولم يحرم من الكفر ولم يحرم دماءهم ولا اموالهم وايضا كانوا يتعبدون

ويحجون ويعتمرون ويتصدقون ويكفون عن اشياء من المحرمات خوفا من الله تعالى فما اغنى عنهم ذلك شيئا ولكن الامر الثاني الذي كفرهم واحل دماءهم واموالهم انهم لم يشهدوا بتوحيد الالوهية وهي انه لا يدعى ولا يعبد ولا يخاف ولا يرجى ولا يستعان ولا يستغاث الا الله وحده لا شريك له ولا يذبح لغيره ولا ينذر لغيره لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا لغيرهما فمن استغاث بغيره في الشدائد ودعا غيره فيها فقد كفر ومن ذبح لغيره تقربا اليه او نذر لغيره فقد خالف الكلمة وفعل فعل الكفر وكذلك حكم ما اشبه ذلك ويوضحه ان المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يدعون الصالحين مثل الملائكة وعيسى وعزير وغيرهم من الاولياء فكفروا بهذا مع اقرارهم بان الله الخالق الرازق الرب المدبر فاذا تاملت هذا عرفت معنى لا اله الا الله وعرفت ان من دعا نبيا او ملكا او وليا او جنا او شيطانا او احدا من دون الله كائنا من كان من الصلحاء او من الطلحاء او نذر به او استغاث به فقد خرج من الاسلام وهذا هو الكفر والشرك الذي قاتلهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس المشركين والخلق الكافرين وعباد الاوثان والاصنام ومعتقدي الاسلاف والاباء الطغام فان قال قائل من المشركين نحن نعرف ان الله هو الخالق الرازق المدبر لكن هؤلاء الصالحون مقربون ونحن ندعوهم وننذر لهم وندخل عليهم ونستغيث بهم نريد بذلك الوجاهة والشفاعة والزلفى والنجاة عند الله من سخطه ولا نقول انهم الهة او مدبرون لما في السموات والارض او رازقوهم فقل كلامك هذا هو مذهب ابي جهل وابي لهب وامثالهما فان الكفار الذين يدعون عيسى وعزيرا والملائكة والاولياء يريدون ذلك كما قال تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فاذا تاملت هذا تاملا صحيحا جيدا عرفت ان الكفار يشهدون لله بتوحيد الربوبية وهي التفرد بالخلق والتدبير وكذلك النصارى منهم من يعبد الليل والنهار ويزهد في الدنيا ويتصدق بما دخل عليه معتزل في صومعته عن الناس وهو مع هذا عدو لله كافر مخلد في النار بسبب اعتقاده في عيسى او غيره من اولياء الله يدعوه ويذبح له وينذر له وكذلك من الناس من يعبد الظلمة والنور ومنهم من يعبد شيئا من الاشياء حتى ان كفار الهند عبدوا كل شيء غير الله ولم يعبدوا الله سبحانه والعابدون لغير الله من مخلوقاته ومكوناته من السموات الى الارض كثيرون لا يحصرهم العد والموحدون بتوحيد الربوبية ايضا اكثر من ان يحصوا بل كلهم مقرون به الا شرذمة قليلة وهم مع ذلك في توحيد العبودية قاصرون وعن صراط الهدى ناكبون فتبين لك بهذا ان التوحيد لا ينفع الا باخلاص الربوبية

والسعودية وهي في هذه الزمان الاخير بل من زمن كثير غريب جدا في اكثر الخلق وقال الناس بعد المصطفى صلى الله عليه وسلم بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء وهذا يرشدك الى قلة اهل التوحيد الذين حلت لهم نعمة وفيه ايضا اشارة للموحدين على قلة عددهم وكثرة مخالفيهم وذلتهم في الناس فالله الله يا ايها الناس تمسكوا باصل دينكم الذي ارتضاه الله تعالى لكم ودعا اليه نبيكم وقاتل المشركين عليه وبذل ماله وجاهد فيه حق جهاده واساس هذا الدين ورأسه وملاكه شهادة ان لا اله الا الله اي لا معبود الا الله واعرفوا معناها و استقيموا عليها وادعوا الناس تبعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اليها واجعلوها كلمة باقية في اسراتكم واحبوا اهلها المحبة الخاصة الحقيقية وكونوا من اهلها واحبوا اهلها واجعلوهم اخوانكم في الدين ولو كانوا بعيدين واكفروا بالطواغيت وعادوهم وابغضوهم وابغضوا من احبهم او جادل عنهم او من لم يكفرهم او قال ما علي منهم او قال ما كلفني الله بهم فقد كذب هذا على الله وافترى فقد كلفه الله بهم وفرض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا اخوانهم واولادهم فالله الله تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم وانتم لا تشركون به شيئا واذا احطت بما ذكرنا علما ادركت ان كفر المشركين من المؤمنين من امة رسولنا صلى الله عليه وسلم في العرب والعجم اعظم من كفر الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقد سمعت ان الله تعالى ذكر عن الكفار انهم اذا مسهم الضر تركوا ما عبدوا من السادة والقادة والطواغيت فلم يدعوا احدا منهم ولم يستغيثوا بهم بل اخلصوا لله وحده لا شريك له وانت ترى المشركين المدعين للايمان من المسلمين ومنهم من يدعي انه من اهل العلم والفضل وفيه الصلاح والزهد والاجتهاد في العبادة اذا مسه الضر ووقعه امر من امور الدنيا قام يستغيث بغير الله من الاولياء كمعروف الكرخي والشيخ عبد القادر الجيلاني وسائر من بعدهم واجل من هؤلاء مثل الخلفاء الراشدين والصحابة المكرمين اجمعين واجل منهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واشنع وانطع واقبح واعظم جرما واطم ضلالة انهم يستغيثون بالطواغيت والاجداث واهل القبور والمردة من الجن والشياطين ويصيحون لهم وينذرون لهم ويسافرون الى انصابهم ويرجعون الى احبارهم ورهبانهم تقليدا في الفروع والاصول المبنية على شفا جرف هار فانا لله وانا اليه راجعون اللهم توفنا مسلمين والحقنا بالصالحين ولا تشركنا يوم الدين مع المشركين رحم الله من نصح نفسه وعرف ان وراءه جنة ونارا وان الله تعالى جعل لكل منهما اهلا واعمالا فان سئل عن ذلك وجد ان اعمال اهل الجنة توحيد الله تعالى فمن اتى به يوم القيامة فهو من اهل الجنة قطعا لا ريب فيه ولو كان عليه من الذنوب مثل جبل رضوى بل بلغ به الى عنان السماء ومن

اعمال اهل النار الشرك بالله تعالى في اسمائه وصفاته كائنا ما كان فمن مات عليه جليا كان او خفيا علانية كان او سرا فهو من اهل النار قطعا لا شك ولا شبهة في ذلك ولو اتى بالعبادة ليلا ونهارا وبالصدقة سرا وجهارا كطوائف اهل الكتاب والمجوس والهنود ومن شاكلهم في شيء من ذلك ولكنه لمخالطته بالشرك بالله تعالى لم ينفعه شيء من هذا بل صارت عبادته لغير الله وبالا عليه وموجبة له النار قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال سبحانه وتعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد فرحم الله من انتدب لهذا الامر العظيم قبل ان يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا نسأل الله ان يهدينا و اخواننا المسلمين الى صراطه المستقيم ودينه القويم وان يجنبنا طريق المغضوب عليهم وهم الاحبار الذين لم يعملوا بما علموا وحرفوا كتاب الله لفظا ومعنى وطريق الضالين وهم الفرقة التي عملت بما لم تعلم واتبعت الهوى وضلت عن صراط الهدى فما اعظم هذا الدعاء الذي نطقت به فاتحة الكتاب وما احوج من دعا به ان يحضر قلبه فاذا اتى بها بين يدي الله ليهديه ويجيبه فان الله ذكر انه يستجيب هذا الدعاء الذي في سورة الفاتحة اذا دعا به الانسان من قلب حاضر فقول لا اله الا الله هي العروة الوثقى وكلمة الله العليا وهي الحنيفية السمحة السهلة البيضاء وهي ملة ابينا ابراهيم عليه السلام سيد الموحدين وامام المتقين وخليل رب العالمين وهي التي جعلها كلمة باقية في عقبه الى يوم الدين وهي التي لاجلها والتأهل لها خلقت المخلوقات وبها قامت الارضون السبع والسموات وبها انتظمت الموجودات ولاجلها انزلت الكتب وارسلت الرسل قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وان من شيء الا يسبح بحمده وقال تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت والمراد اعتقاد معنى هذه الكلمة الالهية والجملة القدسية بالقلب السليم من الشرك السقيم واما التلفظ بها باللسان مع الجهل بمرادها والعمل بمقتضاها فليس من اخلاص التوحيد في صدر ولا ورد ولا ينفع ذلك نفعا ولا يغني من عذاب الله شيئا ولا يكشف ضرا فان المنافقين يقولونها وقد قال تعالى فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار فهم تحت الكفار الساذجين عقوبة على عدم الفقه لما نطقوا به مرجحا نصرتها فتحققوا من عذاب الله تعالى ما لم يستحقه الكفار ومعنى هذه الكلمة كما تقدم قريبا هو النفي والاثبات نفي استحقاق الالوهية عما سوى الله تعالى واعتقاد اثباتها لله وحده لا شريك له ليس في ذلك حق لملك مقرب ولا لنبي مرسل فكيف بمن دونهما من صالحي عباد الله تعالى واعدائه قال تعالى ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا

وهذا الدليل على أن كل ملك ورسول ونبي وصالح وإن بلغ ما بلغ في علو الرتبة وسمو المكانة عبد لله وحده
ليس له شرب الألوهية المعبود المطلق الفرد الأحد ومن جعل منهم إلهاً من دونه فذلك الذي يحصر
ولم يقل أحد من عباد الله المخلصين هذا القول أبداً ولم يدع أحد منهم إلى عبادته وإشراكه بالله في شيء
من ذاته وصفاته العليا وإنما أحدثه أئمة هؤلاء المشركين الطاغوت وعبدوهم واعتقدوا فيهم ما لم
ينزل به الله بل نصوا في كتبهم ومقالاتهم ومواعظهم على كون هذه الأعمال شركاً خالصاً وكفراً بواحاً
وصرحوا بأن فاعلها مشرك بالله خارج عن الإيمان واقع في سعير النيران قال تعالى يوم يأتي كل نفس
تجادل عن نفسها وقال تعالى لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً فإذاً لا خالق إلا الله ولا
رازق ولا منعم ولا هو معبود لأنه لا خالق للخلق ولا يرزقهم ولا ينعم عليهم إلا الله ولا يشاركه في ذلك الحجة
لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد لهم مقبول ومحبوب له سبحانه فإن سئلت أيها عن معنى الكلمة الطيبة
كما تسئل عن معنى الخالق الرازق المدبر فاعلم أن معنى الإله هو المعبود هذا تفسير هذه اللفظة المشتركة
بإجماع أهل العلم سلفاً وخلفاً ومعناها أن من عبد شيئاً فقد اتخذه إلهاً من دون الله وجميع ذلك باطل
فإنه مخالف للدين الخالص الذي بعث لأجله الرسل وأنزلت الكتب ودل عليه لا إله إلا الله الأحد الذي لم يلد
ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد والعبادة أنواع كثيرة يأتي ذكرها في هذا الكتاب في مواضعها في أبواب مستقلة
كالسجود لغير الله والذبح له ودعاء غيره وما إلى غير ذلك مما يطول ذكره فتفكر رحمك الله وإيانا فيما أحدثه الناس
المشركون الناشطون من عبادة غيره في البر والبحر يستمدون ويستعينون بالشيخ عبد القادر الجيلاني
والسيد معين الدين الجشتي ونظام الأولياء وقطب الكاكي وأمثالهم من الصلحاء الأتقياء أن ينجوهم من شدائد
هذه الدار الفانية فقال لهذا الجاهل إذا كنت تعرف أن الإله هو المعبود وتعرف أن الإسلام إخلاص العبادة
فكيف تدعو مخلوقاً غائباً لا تعلم متى سمع وما دعائك به وتدرك الملاحاصرا ناظراً إليك فإذا قال
هذا المشرك إني لا أريد إلا الله ولكن هذا الصالح يشفع لي وينفعني شفاعته وجاهه فيظن أن هذا ليس
من الشرك فقال له المشركون الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستحل دماءهم وأموالهم
كانوا يقرون بذلك ويعتقدون أن الله هو الذي يدبر الأمر ويرب الخلق وإنما أرادوا من هؤلاء ما أرادوا
من القربة والشفاعة كما قال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ثم ما بعد هذا البيان من الله بيان ولا فرية وبرهان شاذان وإذا كان الله قد حكى عن الكفار الحرتوب

بذلك وانما ارادوا التقرب الى الله والشفاعة وما ضاهاها فاذا احتج بان اولئك يعتقدون في الاصنام
والاوثان وهي حجارة او خشب او نحوها ونحن انما نعتقد في الصلحاء فقل لهم ان الكفار الاولين ايضاً
منهم من كان يعتقد في الملائكة ومنهم من يعتقد في عيسى وعزير ومنهم من يعتقد في الجن ومنهم من يعبد
الاصنام والكفر ملة واحدة وقد قال تعالى فيمن يعتقد في الملائكة ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة اهؤلاء
اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون وقال
فيمن يعتقد في عيسى عليه السلام يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن
مريم وقال فيمن عبد الاصنام واعتقدها قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع
العليم ولفظة من دون تشمل كل شيء من حيوان وجماد ونبات وصالح وطالح فاذا كان عيسى من اولي العزم من
الرسل قيل فيه هذا فكيف بآحاد الاولياء من هذه الامة الاسلامية ان يملكى العابد به ضرا او نفعا وقد حكى
الله تعالى عن مثل هؤلاء الذين اعتقدوا في الاولياء بما تقدم في كتابه وقال اولئك الذين يدعون يبتغون الى
ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه قال طائفة من السلف كان قوم يدعون الملائكة و
وعزيرا فاخبر سبحانه بان هؤلاء عبيدي كما انتم عبيدي ويرجون رحمتي كما انتم ترجون رحمتي ويخافون عذابي
كما انتم تخافون عذابي فما احق هذه الآية بالتفكر فيها والتدبر لها وما في معناها من الآيات الاخرى الكثيرة
الطيبة وبما قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفرق بين الذين يعتقدون في الاحجار والاشجار والقبور ونحوها
وبين من يعتقدون في الملائكة والانبياء والصلحاء بل ساقهم مساقا واحدا وسلكهم مسلكا واحدا ونص
عليهم بالكفر والشرك من غير فرق بينهم وهذا واضح بين بحمد الله تعالى يعرفه كل من له ادنى دراية وايسر
عقل وانزر فهم وذلك شيء كثير ومن انواع الشرك اشياء ما عرفها الصحابة الا بعد سنين فمن انت حتى
تعرفه بغير تعلم وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وقال تعالى
ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فاذا كان هذا
في حق سيد الرسل وخاتمهم فما ظنك بغيره من الناس وفيه دلالة واضحة على ان الشرك محبط للاعمال
الصالحة كلها ولا ينتفع صاحبه منها بشيء ولو كان نبيا بل افضل الانبياء اعاذنا الله منه وهذا الخليل
ابراهيم عليه السلام يوصي بنيه وهم انبياء الله يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون
وقال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وقال ابراهيم الخليل ايضاً رب اجعل

هو الله الاسماء والحسنى • من ان نعبد الاصنام فاذا كان ابو الانبياء خاف على نفسه وعلى بنيه الاسبا •
فما يحري عن غيره من اتخاذ الناس الذين تسموا باسماء شيخان من طبع على قلوب كثير من سادة واصنام
واعمى ابصارهم فانت يا هذا اقدم من الله عليك بالاسلام وسماك ابراهيم مسلما ومن اماته امام من الله الا الله
الواحد القهار واعتصم بما استحق بالاسلام والرسل واحمده على ما اخرجهم من توحيد الالهية ودع عنك
القيل والقال وتصحيح السؤال بالاشكال وكن عبد الله وحده الذي لا شريك له كما قال تعالى مخبرا عن خليله
ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم
العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده وهكذا ينبغي لكل من يحقق الله ويرجو نجاته ويدين بالاسلام
ان يتبرأ من اهل الشرك والطغيان ولا يودهم حتى يؤمنوا بالله الواحد القهار العزيز الجبار فان الايمان هو الحب
والبغض فيه ومن احب غيره فقد اشرك واتخذ ندا ومن احب ال العلماء والمشائخ الذين يتكلمون على جهده
الاعمال والعقائد فهم من جهلة الخلق وسامه الناس الذين قال تعالى فيهم اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا
وقال ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون اي اعقبة تحامد ولا مشائخ بل هم من اهل ملة
بالله وما مرادهم بذلك الا الاكل بالباطل وهم شياطين في جثمان الانس وقد اخبر القرآن عنهم اصحا
واضحا لا ارتياب فيه لامن اعمى الله بصره وبصيرته قال سبحانه يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان
ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والمراد بالاحبار العلماء وبالرهبان المشائخ
والفقراء وهذا الآن واضح مكشوف لا حجاب عليه ولا غبار وقد يدل الحديث الصحيح لتتبعن سنن
من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع فانطق القرآن والسنة الصحيحة على بيان شيء لا من اللصوص في الدين
والمفسدين في الارض بالفساد في الشرع المبين من توحيد رب العالمين قد وجد هذا في الملة الاسلامية
مما لا يمكن انكاره لاحد ولا يستطيع منه شيء الا مكابر ان يجحد لا ترى كم السوالف الكفرية التي كانت
لا نافعة شيء معبود يعرفه من يعرف حالهم وقالهم وهم كما قال تعالى شاهدين على انفسهم بالكفر تأمل في
مقلدة المذاهب كيف شهدوا على انفسهم بتقليد الاموات من العلماء والاولياء واعتقدوا ان فهم
الكتاب والسنة كان خاصا بهم واستدلوا لاشراكهم في الصلحاء بعبارات القوم ومكاشفات الشيوخ
في النوم ورجحوا كلام الائمة على كلام الله تعالى ورسوله على بصيرة منهم وعلى علم بما ذكر باعلاهم
من ذلك سد ابواب الحساب والكتاب

عن الكفار انهم يخلصون الدين لله تارة ويشركون تارة واهل زماننا اليوم اذا جاءهم شدة تركوا الله ودعوا فلانا وفلانا واستغاثوا بهم في البر والبحر فهم اشنع شركا واكبر كفرا من اهل زماننا هذا رحم الله من يتفكر في قوله تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا ففي هذه الاية الكريمة عبرة عظيمة لمن اعتبر وفكرة واضحة لمن فكر وذكر ومثل هذه في الكتاب كثيرة ولكن الرجل اذا لم يرفع راسه الى القرآن ولم يتمكن يوما من الدراية من الفرقان فلا معالجة ومن صار اسيرا للتقليد وعبدا للعبيد وقنع من الاسلام بالاسم ومن الدين بالرسم واعتقد ان الايمان هو الذي في كتب المقلدة والمتكلمة وملفوظات الصوفية وصحائف الفروع الفقهية المختلقة التي لا سند لها من ادلة الحديث والكتاب فعلى نفسها براقش تجني نعم لا مهدي الا من هداه الله ومن من الله عليه بالعقل المستقيم والقلب السليم فليحمد الله على هدايته له الى الاسلام وان اشكل عليه شيء في الدين فليسأل اهل الذكر وهم العارفون بمعاني كتاب الله والشارحون لحديث رسوله كما قال تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون والذكر اسم من اسماء القرآن والسنة تلوه فشملت الاية علماء الحديث والتنزيل وينبغي ان لا يبادر بالانكار بل يعلم ان جحده ورده انما هو رد على الله وعلى رسوله المختار قال تعالى ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وحيث ان الشرك اخفى من دبيب النمل ابتلي به بعض من لم يتفطن له وافصح به في مقالاته على جهل منه كما وقع من صاحب البردة في قوله يا اكرم الخلق ما لي من الوذ به + سواك عند حلول الحادث العمم + وفي الهمزية من هذا الجنس شيء كثير وتبعه جم من الشعراء بالعربية والفارسية في دواوينهم وقصائدهم وغزلياتهم ونظمهم ونثرهم فتمادوا في بيان مدائح النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما تقشعر منه الجلود وتمنع عنه الصم الصخور وهو صلى الله عليه وآله وسلم بابي هو وامي لا يحتاج في كمالاته وثبوت اوصافه الشريفة التي لا تقبل حصرا ولا تحصى عددا الى مثل هذا القول من الزور والفجور بل يكفيه ثناء الله تعالى عليه في كتابه عن مثل جميع هذه الاطراء والامور قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وهو سيد ولد آدم واول شافع ومشفع باليقين كما ورد بذلك الحديث فاذا جاء بعض المشركين بمثالة هذا القائل وعمله وصلاح فقل له ان اصحاب موسى عليه السلام الذين اختارهم الله على العالمين كانوا اعلم منه واجل وقد قالوا لموسى اجعل لنا الها كما لهم الهة فاذا دخل هذا الشرك على بني اسرائيل فما ظنك بمن ليس في مرتبتهم من

بحاد هذه الامة وكذلك اصحاب محمد صلى الله عليه واله وسلم كانوا اعلم واصلح من الجميع ولما مروا بالشجرة قالوا
اجعل لنا ذات انواط كالهم ذات انواط وهذا فيه عبرتان الاولى ان النبي صلى الله عليه واله وسلم صرح ان من اعتقد في
شجرة او تبرك بها فقد اتخذها الها وقد كان الصحابة يعرفون انه لا ينفع ولا يضر الا الله وانما ظنوا ان النبي
صلى الله عليه واله وسلم اذا اذن لهم بها تصير فيها بركة والثانية ان الشرك قد يقع لمن هو اعلم الناس وافضلهم وهو
لا يدري فان الشرك اخفى من دبيب النمل والله اعلم وبالجملة فاول ما على العبد معرفة توحيد الله تعالى
ودرجاته وهو الحاجز بين العبد وبين النار وقد اخرج مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك معي فيه غيري تركته
وشركه قال البيهقي في كتاب الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد اول ما يجب على العبد معرفة الله لان
قال تعالى لنبيه صلى الله عليه واله وسلم فاعلم انه لا اله الا الله وقال له ولامته فاعلموا ان الله مولاكم
وقال فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون وقال تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل
الينا فوجب بالآيات قبلها معرفة الله وعلمه ووجب بهذه الآية الاعتراف به والشهادة له بما عرفه
ودلت السنة على مثل ما دل عليه الكتاب عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها
وحسابهم على الله وفي حديث طويل عنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال
يا ابا هريرة واعطاني نعليه اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد ان لا اله الا الله
مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
يقول من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة وعن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه واله وسلم
قال من كان آخر كلامه لا اله الا الله وجبت له الجنة هذه الاحاديث ساقها البيهقي باسناده وقال في
الحديث الاول بيان ما يجب على المدعو ان ياتي به حتى يحقن به دمه وفي الحديث الثاني بيان ما يجب
عليه من الجمع بين معرفة القلب والاقرار باللسان مع الامكان حتى يصح ايمانه وفي الخبر الثالث والرابع
شرط الوفاة على الايمان حتى يستحق دخول الجنان بوعد الله تعالى انتهى وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه
الذي سماه اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو الفرق المعطلة والجهمية ملاك السعادة والنجاة والفوز
بتحقيق التوحيدين اللذين عليهما مدار كتاب الله تعالى وبتحقيقهما بعث الله رسله واليهما دعت الرسل

من اولهم الى آخرهم احدهما التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي المتضمن اثبات صفات الكمال لله تعالى
وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل وتنزيهه عن صفات النقص والثاني عبادته وحده لا شريك له
وتجريد محبته والاخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه والرضا به ربا والها ووليا وان لا يجعل عدلا
له في شيء من الاشياء وقد جمع الله هذين النوعين من التوحيد في سورتي الاخلاص وهما سورة قل يا ايها
الكافرون المتضمنة للتوحيد العملي الارادي وسورة قل هو الله احد المتضمنة للتوحيد العلمي الخبري فسورة
قل هو الله احد فيها بيان ما يجب لله تعالى من صفات الكمال وبيان ما يجب تنزيهه عنه من النقائص والامثال
وسورة قل يا ايها الكافرون فيها ايجاب عبادته وحده لا شريك له والتبري من عبادة كل ما سواه
ولا يتم احد التوحيدين الا بالآخر ولهذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ بهاتين السورتين في
سنة الفجر والوتر اللتين هما فاتحة العمل وخاتمته ليكون مبدأ النهار توحيدا وخاتمته توحيدا فالتوحيد
العلمي الخبري له ضدان التعطيل والتشبيه والتمثيل فمن نفى صفات الرب وعطلها كذب تعطيله توحيده
ومن شبهه بخلقه ومثله بهم كذب تشبيهه وتمثيله توحيده والتوحيد الارادي العملي له ضدان الاعراض
عن محبته والانابة اليه والتوكل عليه والاشراك به في ذلك واتخاذ اوليائه شفعاء من دونه وقد جمع الله
تعالى بين التوحيدين في غير موضع من القرآن منها قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم
والذين من قبلكم لعلكم تتقون الى قوله فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ومنها قوله تعالى ذلكم الله ربكم
خالق كل شيء لا اله الا هو فانى تؤفكون الى قوله هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين
ومنها قوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم
من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره
الف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم تأمل ما في هذه الآيات من الرد على طوائف
المعطلين والمشركين فقوله خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام يتضمن ابطال قول الملاحدة القائلين
بقدم العالم وانه لم يزل وان الله سبحانه لم يخلقه بقدرته ومشيئته ومن اثبت منهم وجود الرب جعله
لازما لذاته ازلا وابدا غير مخلوق كما هو قول ابن سينا والنصير الطوسي واتباعهما من الملاحدة الجاحدين
لما اتفقت عليه الرسل عليهم الصلوة والسلام والكتب وشهدت به العقول والفطر وقوله تعالى ثم استوى
على العرش يتضمن ابطال قول المعطلة والجهمية الذين يقولون ليس على العرش شيء سوى العدم وان الله ليس

مستويا على عرشه ولا ترفع اليه الايدي ولا يصعد اليه الكلم الطيب ولا يرفع التسبيح اليه ولا عرج برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اليه ولا تعرج الملائكة والروح اليه ولا ينزل من عنده جبرائيل عليه السلام ولا غيره ولا ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا ولا يخاطبه عباده من الملائكة وغيرهم من فوقهم ولا يراه المؤمنون في الدار الآخرة عيانا بابصارهم من فوقهم ولا تجوز الاشارة اليه بالاصابع الى فوق كما اشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اعظم مجامعه في حجة الوداع اليه وجعل يرفع اصبعه الى السماء وينكبها الى الناس ويقول اللهم اشهد انتهى كلام ابن القيم رحمه الله تعالى الذي يلوح عليه من انوار الايمان وقوته ما لا يخفى على انسان قال الامام العلامة محمد بن الحاج احمد السفاريني في كتابه لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية التوحيد يطلق للنسبة كالتصديق والتكذيب لا للجعل فمعنى وحدت الله نسبت الوحدانية اليه لا جعلته واحدا فان وحدانية الله تعالى ذاتية له ليست بجعل جاعل قال في القاموس التوحيد ايمان بالله وحده انتهى اي التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الخبر الدال على ان الله تعالى واحد في الوهيته لا شريك له والتصديق بذلك الخبر ان نسبه الى الصدق ومطابقته الواقع بالقلب واللسان معا لا باحدهما فالتوحيد هنا الشرعي وهو افراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتا وصفاتا وافعالا فلا تقبل ذاته الانقسام بوجه ولا تشبه صفاته الصفات ولا تنفك عن الذات ولا يدخل افعاله الاشتراك فهو الخالق دون من سواه انتهى

باب في بيان درجات الصاعدين الى مقامات الموحدين

قال بعض العلماء هذه ثمانية درجات يرقى بها المستعين الى معارج علم التوحيد ويصعد بها السالك على مدارج حكم التجريد ويجاوز بها دركات الشرك والتعطيل الاولى ان اصل البعثة وراس الدعوة هو توحيد الالوهية الذي هو افراد الله بالعبادة ونفي الشريك منها والدليل على ذلك قوله تعالى والرجز فاهجر قال المفسرون الرجز الاوثان والهجر الترك وفي الحديث ما يدل على ان عبادة الشيء تصيره وثنا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وقال تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون قال البغوي اي مروهم بلا اله الا الله وقال تعالى لقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة قال اهل العلم الطاغوت اسم عام لما يعبد من دون الله وطاغوت كل قوم معبودهم من دون الله

او متبوعهم على غير بصيرة من الله او حاكمهم بغير ما انزل الله وقال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا
نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وهذه الادلة في دعوة كل رسول امته الى التوحيد مجملا واما مفصلة
فهذه ايات القرآن المتقدمة في الباب الاول من هذا الكتاب فيها ذكر الانبياء عليهم السلام اسما باسم
وفيها الامر لهم بانذار قومهم وفيها ان اعبدوا الله واتقوه والمراد بالانذار الامر بالعبادة التي هي التوحيد
والتقوى والطاعة وذكر الله تعالى في سورة نوح ما قال نوح وما قال له قومه حتى ذكر وقالوا لا تذرن آلهتكم
ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وهذه اسماء قوم صالحين ماتوا جميعا فحزنوا عليهم ونصبوا صورهم
وكانوا يعكفون عليها ويعبدون وعبدهم بعد طول المدة وكان ذلك اول شرك بني آدم وقع في الارض في سببه هو الغلو
في الصلحاء وتلك الصور هي اصول اصنام قريش ايضا وفي سورة العنكبوت ذكر دعوة ابراهيم عليه السلام و
كذلك ذكرها في سورة الشعراء وفيها ذكر عبادة الاصنام وهو عكوفهم عليها وفي سورة الممتحنة في قصته عليه
السلام ايضا ما يدل على وجوب البراءة منهم والكفر بهم وظهور العداوة والبغضاء حتى يؤمنوا بالله وحده
فالغاية التي ينتهي عندها هذه الامور هي الاخلاص في العبادة والتصديق والاذعان له وفي سورة الزخرف
واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وهذه الكلمة هي الباقية
في عقبه وهي معنى لا اله الا الله اذ قوله انني براء مما تعبدون معناه النفي وقوله الا الذي فطرني معناه الاثبات ذكر
هذا البيهقي في كتاب الاسماء والصفات وفي سورة النحل ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما
كان من المشركين والحنيف هو الموحد والخطاب يقتضي العموم فهذه ملته عليه السلام ايها السالكون و
هذه سنة رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم ايها المتبعون وقد وصى ابراهيم بنيه ويعقوب بذلك كما حكاه
سبحانه وتعالى عنه في الكتاب ومن اصدق من الله قيلا وفي سورة الانعام وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم
على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا
من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا
ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم
وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من
عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون هذا مقام سكب العبرات ان كنت يا هذا من اهل الاعتبار
لمعاني العبارات والحجة التي اوتيها ابراهيم الخليل على قومه هي قوله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم

أولئك لهم الأمن وهم مهتدون قاله مجاهد كما ذكر البغوي في تفسيره والظلم هنا هو الشرك كما ذكره البخاري في صحيحه في كتاب التفسير فقل هي التي احتج بها ابراهيم على قومه من افول الكواكب وغيرها فذلك أصدق القائلين في أصدق الكتب ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد هو وأمته جميعا وما أحوج هذا الكلام لمن له بالدين لحوق التام فإن الله تعالى إذا كان خاطب سيد الرسل بهذا الخطاب فما ظنك بغيره من الناس إن لم يكن أي مبلغ في الشرف والمكان ثم حكى سبحانه في سورة الأعراف دعوة نوح قومه إلى عبادة الله تعالى وكذا أخوه صالح وهود وشعيب ولوط وموسى إلى آخر ما قصه عن الرسل العظام في بيان هذا المرام من دعوتهم أقوامهم إلى توحيد الألوهية وإخلاص العبادة له سبحانه وتعالى وخص رسوله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وقال سبحانه قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال تعالى ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير وتفكر في هذه الدعوة من الرسل ما هي فقد قص الله علينا في كتابه العزيز دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم والله تعالى قال في سورة هود وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين قيل الحكمة حمد من حمد الله أي لا تزدحم ولا تعادم فانظر ما في أنباء الرسل من الفوائد العظيمة والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وفي البخاري عن ابن عباس اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم وفي صحيح مسلم عن حديث عمرو بن عبسة في قوله ما أرسلك الله به قال أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله ولا يشرك به شيئا فانظر إلى ما ذكر فيهما من معنى الدعوة والرسالة وأنه توحيد الألوهية وترك الشرك ورفض ما عليه الآباء المشركون وتفكر فيما كان عليه النبي وأصحابه بعد الهجرة وقبلها وما كانوا يدعون الناس إليه ويدعون بهديه والقرآن ينزل عليه عشر سنين ما بين مقبل ومدبر والموالاة والمعاداة قائمة بين المقر والمنكر ومكث على ذلك عشر سنين لم يشرع ولم يطلب منهم إلا ترك الشرك الهالك وليس إذ ذاك صلاة ولا صيام فضلا عن غيرهما من شرائع الإسلام ولا نهى عن شيء من الكبائر تقام فيه الحدود ودنا حكما ومات على ذلك كثير من الفريقين فريق في الجنة وفريق في السعير فإذا تفكرت ظهرت لك الغاية وعاد سليك النظر بحسن عاقبة وتبين لك الشأن الذي طلبه منهم توحيد الألوهية وإفراد الله تعالى بالعبادة

من الذبح والاعتماد والعكوف ونحوها وانهم متبركون بذلك ويعادونهم عليه ويحاربهم فيه من غير نظر
الى بقية المعاصي من الكبائر والصغائر وان اصحابه هم الذين يحدون بترك ذلك وصرفه لغيره دون غيره
بواليهم عليه ويدعونهم اليه من غير نظر الى غيره من الطاعات الواجبات والمندوبات وبهذا التقرير
يحصل التاثير وتنقشع ظلمة الجهل بهذا التنوير يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور
وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون اللمحة الثامنة ان
المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وهو الاقرار بافعال الله تعالى وصفاته واتصافه سبحانه بذلك دون
غيره كالخالقية والرازقية والمالكية وغيرها من صفات الربوبية وان غيره مربوب له ومخلوق ومرزوق
ومتصرف فيه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وقد اقروا بذلك ولكن ذلك
لم يدخلهم في الاسلام ولم يخرجهم من الكفر ولم يحرم دماءهم واموالهم لانتفاء شرطه وشطره من توحيد
الالوهية والدليل على ذلك ايات كثيرات من القران منها قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض
امن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله
فقل افلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون ويفهم من الاية تفريقهم
بين الالوهية والربوبية وانهما حيث اجتمعا افترقا وعلى هذا يكون سؤال القبر في قوله من ربك اي الهك
لان توحيد الربوبية لا يمتحن بها وكذلك قوله تعالى قل اغير الله ابغي ربا اي الها واما افتراقهما فقوله
تعالى قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس فاعرف هذا وقال تعالى في سورة المؤمنين
قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع
ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار
عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا
لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون وهذا الاستفهام للتقرير وقد
اخبرنا سبحانه بما يقولون فقال في سورة العنكبوت ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر
الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيى بها الارض من بعد
موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون وقال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
وتفسير هذه الاية ايمانهم بتوحيد الربوبية وشركهم في توحيد الالوهية وههنا اجتمع الشرك

والايمان اللغوي وقال تعالى في سورة الزخرف ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون
وقال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم وكانت دعوى فرعون
اقوى دعوى ومع ذلك قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام لقد علمت ما انزل هؤلاء الا
رب السموات والارض بصائر وقال ابليس اللعين اني اخاف الله رب العالمين فبعث الله النبي
محمدا صلى الله عليه وآله وسلم يدعو الناس الى الله تعالى بان يفردوه بالعبادة كما افردوه بالربوبية وان يوحدوه
كلمة لا اله الا الله معتقدين معناها عاملين بمقتضاها لا يدعون مع الله احدا ولم ينكر المشركون على
الرسول الا طلبه افراد العبادة لله ولم ينكروا الله ولا انه يعبد بل انكروا كونه يفرد وقالوا اجعلت الالهة الها
وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا وكانت عبادتهم العكوف عند معابدهم والهتف بها عند شدائدهم
والذبح لها مع اعتقادهم ان صفات الربوبية لله وحده ليس لشركائهم منها شيء وانما يريدون بذلك
التقرب والشفاعة منهم عند الله نبين لكم وشرك اهل زماننا هذا فاق على اربعة الاول انهم كانوا
لا يشركون في توحيد الربوبية الثاني انهم كانوا لا يشركون بالله في حالة الشدائد الثالث كانوا انما ارادوا
بذلك الشفاعة والقربة الرابع انهم كانوا لا يطلبون ذلك واستحيوا من الله ومشركو هذا الزمان ينادون غيره
في هذه الاربع يعني انهم يقولون يا شيخ فلان اعطني كذا او كن الى الله ادركني او نحو ذلك ويحتمون بالمخلوقين
عند الشدة كقولهم عند تموج البحر وتلاطمه يا فلان نجنا من الغرق ولك كذا او كذا من النذور ونيتهم
ارادة الفعل منهم من العطاء والنجاة بلا واسطة والدليل على الاول اي على انهم لا يشركون في الربوبية
ما مر من قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض الخ والدليل على الثاني اي على انهم لا يشركون
في الشدة قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم
اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون وقال تعالى واذا مسكم الضر
في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا وقال تعالى فاذا ركبوا في
الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف
يعلمون وهذه لام العاقبة عند النحاة اي عاقبة شركهم الكفر والتمتع والدليل على الثالث اي على انهم يطلبون
الشفاعة ويريدون القربة قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار وقال تعالى

ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما
لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون وهذه الادلة هي دليل المسئلة الرابعة
انهم يريدون ذلك من الله سبحانه لا منهم بل ارادوا الواسطة واتخاذها هو الشرك واذا
وازنت بينهم وبين مشركي هذا العصر في هذه الاربع عرفت انهم انما اشركوا في صفات الالوهية دون
الربوبية فان الفطرة السليمة والعقول المستقيمة تدل عليها واكثر اهل الزمان ظنهم ان الله بعيد عنهم
وان المخلوق كالنبي والولي قريب اليه من الله تعالى وهذا اعين الشرك بنص الكتاب والسنة واجماع ائمة
الامة بالضرورة الشرعية والعقلية لولا ان الشياطين اجتالت قلوب المشركين والطواغيت غيرت
الفطرة وهذا هو الواقع في الخارج والمشاهد لاهل البصائر وقد اشرقت بهذا البيان المطالع واسفر الصبح
للقارئ والسامع والله يقول وقوله الحق المبين ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر الدرجة الثالثة
ان الالوهية هي العبادة وان العبادة معناها التوحيد قال ابن عباس كل ما ورد في القرآن من العبادة
فمعناها التوحيد وقال تعالى في سورة الذاريات وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي يوحدون
وقال تعالى في فاتحة كتابه العزيز اياك نعبد واياك نستعين اي اياك نوحد ونطيع ونستعين وتقديم المعمول على
العامل يفيد الحصر والاختصاص كما صرح بذلك علماء المعاني والبيان ومثله قوله سبحانه واياي فاعبدون
اي وحدون وهذا تضمن الامر بالعبادة لله وحده والنهي عن الشرك فيها لان الضمير الظاهر المتقدم افاد
النهي عن الاشراك بالله في عبادته والامر افاد الوجوب ومثله قوله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا
وقال في سورة البقرة وهو اول اية ذكر فيها كلمة ايها التي هي للنداء يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم
والذين من قبلكم اي وحدوه كما قاله المفسرون وقال قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الى آخر
السورة وهي تسمى سورة الاخلاص كما تسمى سورة قل هو الله احد بذلك والعبادة المذكورة فيها هي التوحيد
وهو الدين المرضي وكرر النفي ليعم الماضي والمستقبل والتكرير يفيد التأكيد والمراد بها التوحيد العملي ويحتاج
الشرك العملي في نفيه الى مثل ذلك البيان والمراد هنا ان العبادة هي المختصة بالله تعالى وهي في اللغة غاية التذلل
ونهاية الخضوع وفي الشرع ما امر به الشارع من افعال العباد واقوالهم المختصة بجلال الله تعالى وعظمته وهي
اسم الجنس يشمل انواعا كثيرة واصل العبودية الخضوع والتذلل فالتعبد هو التذلل والعبادة هي الطاعة
ومنها الاستعانة والاستعاذة والذبح والنذر والدعاء والعكوف والطواف ونحوها والطاعة والعبادة

ونهيتم عنه وقد سمعت الآيات أن الحمد والتكبير والذبح والمعتقد إذا ورد في حق الأصنام والأحجار وكذلك للأوثان والأشجار ولسائر الطواغيت من الكهان أو الشيطان وغيرهما من الكفار فكذلك يكون ما ورد فيهم نحو ذلك من عبادة الملائكة المقربين والأولياء الصالحين والأنبياء والمرسلين لأن ما يعبد به الأصنام وغيرها من الدعاء والذبح والاعتقاد هو الذي يفعل للأولياء وغيرهم والذي يطلب منهم هو الذي يطلب من أولئك ففعل مشركي الأولين هو عين فعل المشركين الآخرين واستوت الكفتان وتشابهت الطائفتان شعر

رق الزجاج ورقت الخمر + فتشابها وتشاكل الأمر +
فكأنما خمر ولا قدح + وكأنما قدح ولا خمر +

وإذا استوى الأصل والفرع في العلة استويا في حكم العلة فكيف إذا وجد النص المقدم على القياس فإنه يرفع الإشكال والالتباس وإذا ورد الفرق العرفي بين عبادة الصالح والطالح فهاك الدليل البين الواضح الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان وأما الدليل العام على ذلك فقوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا وقال تعالى في سورة سبأ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له وفي هذه نفي كل ما تعلق به المشركون من الملك والشريك والظهير والشفاعة بغير إذنه وقال تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا وقد ذكر السلف أن هذه الآية نزلت في عابدي عزير والمسيح وفيها دلالة الذين من جميع العموم وأخبر أنه لا وسيلة إلى الله إلا الاعتراف بتوحيده والانقياد له إخلاصا مخلصا من صميم القلب مع اتباع رسوله في كل ما أمر به ونهى عنه صلى الله عليه وآله وسلم وأما الدليل الخاص فقوله تعالى في عبادة الملائكة ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون فإن قيل قد كانوا يعبدون الملائكة فكيف قال يعبدون الجن قيل معنى يعبدون يطيعون أي كانوا أطاعوا الجن في عبادة الملائكة وقال تعالى في عبد المسيح يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم وقال وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق وقال لقد كفر الذين قالوا إن الله

هو المسيح بن مريم وقال ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون
الدرجة الرابعة ان الاله هو المعبود باجماع اهل العلم والدليل على ذلك قوله تعالى في سورة الزخرف
وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله اي معبود واحد يعبد فيهما قاله قتادة وقال اهل العلم لا يعبد غيره
وقال في سورة الانعام وهو الله في السموات والارض اي الله معبود فيهما وقال في سورة الجاثية افرأيت
من اتخذ الهه هواه اي معبود النفسه وقال في سورة ص اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء
عجاب ذكر البغوي في تفسيره انه صلى الله عليه وسلم لما قال لقريش اتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب
وتدين لكم بها العجم قال ابو جهل والله وابيك لنعطينكها وعشر امثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا
لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقالوا اجعل الالهة الها واحدا وقال تعالى في الزخرف وقالوا ءالهتنا
خير ام هو وقال في سورة الطور ام لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون وقال وجاوزنا ببني اسرائيل
البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون
ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين وقال
تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما الهة اني اراك وقومك في ضلال مبين وقال في سورة
طه حكاية عن قول موسى عليه السلام للسامري وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم
لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما والمعنى لما عكف السامري على العجل
صار الها له بزعمه لان المعكوف عبادة لا يستحقها احد غير الله تعالى وقال سبحانه في سورة البقرة فلا تجعلوا
لله اندادا وانتم تعلمون اي شركاء في العبادة والمحبة وقال ابن مسعود وابن عباس اي اكفاء من الرجال
تطيعونهم في معصية الله وقال ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله قال مجاهد
في قوله سبحانه يعبدونني لا يشركون بي شيئا اي لا يحبون غيري وهذا يرشدك الى ان محبة غير الله من
الشرك وقال في سورة براءة اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا
ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون وفي تفسير هذه الاية عن عدي بن حاتم ان عبادتهم
هي طاعتهم في معصية الله قال ابو العالية ومنه قولهم لا نسبق علماءنا ما حللوه حل وما حرموه حرم ق
قال تعالى وان اطعتموهم انكم لمشركون وهذا لما حللوا لهم الميتة وقال تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى
كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله قال

ابن جرير معناه لا يطيع بعضنا بعضا في معصية الله وقال في سورة الذاريات ولا تجعلوا مع الله إلها آخر
إني لكم منه نذير مبين وقال في سورة المائدة لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال فيها أيضا
لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وقال فيها أيضا ما المسيح ابن مريم إلا رسول
قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون
قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم وقال في سورة الشعراء حكاية عن
فرعون قال لموسى عليه السلام لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين وهذه الدرجة فيها تعريف
الإله وأنه هو المعبود بحق وما سواه باطل ع أنه الحق وهو الباطل + ع ألا كل شيء ما خلا الله باطل + وقيل
الإله هو الذي يطاع محبة وخوفا ورجاء ونحو ذلك وهو اسم صفة لمن يعبد ومن عظيم أنواع العبادة الدعاء
والمحبة كحب الله والطاعة في المعصية والعكوف لغيره سبحانه وفيه أنه يكفر من سمى غيره تعالى إلها أو قال
ثالث ثلاثة فمن عبد غير الله تعالى ولو سماه الجاهل نبيا أو ملكا أو صالحا أو وليا أو إماما أو شجرا أو
حجرا أو مدرا أو قبرا أشرك بالله وخرج من دائرة الإسلام لأن الأسماء لا تغير المعاني عن حقيقتها كما لو سمى
خمرا كماء أو لبنا أو نبيذ الزبيب حلالا وكذلك لو سمى الربا منفعة أو وثيقة أو درهما أو سمى الرشوة بذلا لا حلالا
تأمل في قصة ذات أنواط فإن فيها البيان التام الشافي والدليل الوافي الكافي فإنهم لم يسموها إلا ذات أنواط
ولم يصرحوا بأن اجعل لنا إلها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلتم كما قال بنو إسرائيل اجعل لنا
إلها كما لهم آلهة رواه الترمذي وكذلك من عبد شيئا يسمى عابد الإله يدل عليه الحديث الصحيح تعس عبد الدينار
وعبد الدرهم الحديث وفيه إطلاق اسم العبودية بسبب التعلق بشيء وتصح الإضافة بأدنى ملابسة قال
ابن العربي المالكي إن الأحكام تتعلق بمسميات الأسماء لا بالمعاني ولا بالتسمية انتهى وهذا واضح بين
لمتمعن وقال تعالى في سورة الأنبياء أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا
فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسأل عما يفعل وهم يسألون أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم
هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون اللهم لا تجعلنا من المعرضين وثبت
قلوبنا على الدين الحق المبين **الدرجة الخامسة** أن الدعاء من العبادة بل هو مخها ورأسها وأصلها
وأساسها وفي الحديث الكريم ليس شيء أكرم على الله من الدعاء وورد أن أفضل العبادة الدعاء أخرجه الحاكم وصححه وورد
الدعاء هو العبادة رواه الترمذي وفيه دلالة على الحصر أي [illegible]

لتسميته بالتضمين ولفظ المدعو اذا قلنا بالنداء وقد سبق بيان ان معنى العبادة الحب غاية الخضوع والتوجه
فمن دعا غيره فقد اشرك لان دعا غيره سبحانه شرك لا شك فيه ومن الادلة على ذلك قوله تعالى
ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقوله وادعوه خوفا وطمعا يجمع ضربي الدعاء دعاء العبادة ودعاء المسألة وانه يختص
بالله وحده ولا ينبغي لاحد سواه وفي سورة البقرة واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع
اذا دعان وقد دل سبب نزول هذه الاية على ان الدعاء هو النداء والمسألة لانه قال ياهل ربنا قريب
فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت ذكره في تفسير الجلالين وقال سبحانه في سورة الاسراء قل ادعوا الله
او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى قال ابن عباس رضي الله عنهما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة ذات ليلة فجعل يقول يا الله يا رحمن فقال ابو جهل ان محمدا ينهانا عن الهتنا وهو يدعو الهين فانزل الله
هذه الاية وفي سورة نوح رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاءي الا فرارا واني كلما دعوتهم
لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا فهذه نصوص
صريحة واضحة محكمة المبنى والمعنى في ان الدعاء عبادة وانه نداء وانه المنهي عنه لغير الله وان المنادي اله
للمنادي وان ذلك شرك واضح وقد قال تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اي يسوون غيره به تعالى
في العبادة والدعاء وقال قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين والقران
يفسر بعضه بعضا وقال في سورة الاعراف فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين
فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما فتعالى الله عما يشركون فيه ان الدعاء هو قولهما لئن اتيتنا صالحا الخ
وهنا يقال ان الشرك وقع منهما في الطاعة لا في العبادة والقول الصحيح ان الشرك انما وقع من حواء فقط دون
ادم عليه السلام لانه نبي وخليفة والنبي لا يتأتى منه مثل هذا والعرب تخاطب الواحد بالتثنية وذلك
شائع ذائع في لغتهم ومحاوراتهم كما صرح بذلك في تفسير فتح البيان فارتفع الاشكال الذي حير العلماء
في كل زمان وفيما ذكرنا الاستدلال على ان الدعاء هو النداء لان المفسرين قد حملوا الدعاء على احد خمسة معان
بحسب المقام في كل اية واية والا فاصل الدعاء في اللغة الايمان قال في القاموس الدعاء رغبة الى الله وعرفت
بانه رفع الحاجات الى رفيع الدرجات وقد ورد الوعيد الشديد والنهي الاكيد فيمن سأل الناس من اموالهم
خاصة اذا كان معه ما يكفيه او ما يغنيه او ما يغديه فكيف بمن يسال الاموات قضاء الحوائج ولا
يسأل الله الذي خلق الارض والسموات او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد قال تعالى في سورة الجن

ان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا اي لا تعبدوا ولا تنادوا غيره كائنا من كان وايما كان وقال في
سورة الاحقاف ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون
واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وهذا نص في محل النزاع فقد ثبت بهذه
الاية ان الدعاء هو العبادة والعبادة هي الدعاء وقال في سورة يونس ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك
ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين فيه ايضا ان الدعاء هو العبادة وان عبادة غير الله تعالى هي
الظلم والظلم هو الشرك كما يدل عليه القران الكريم في غير موضع فمن دعا غير الله من لا يقدر على النفع والضر
فقد صار من الظلمة المشركين بالله تعالى وقال في سورة المؤمنين ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به
فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون فيه ان عبادة غيره تعالى مع عبادته سبحانه من الكفر والمحاسبة
يوم الحساب ومن نوقش في الحساب فقد هلك وقال في سورة العنكبوت فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين الاية وقد تقدمت فيهم منها ان دعاء غير الله تعالى ضلالة وظلم وشرك وكفر وصاحبها
كذلك واللام في اخر هذه الاية في قوله ليكفروا وليتمتعوا هي لام العاقبة اي عاقبة شركهم هو الكفر القبيح
الدليل الثاني فان قيل ان الداعي انما اراد التقرب الى الله بدعوة مدعوه والشفاعة اليه سبحانه لا عبادته
فالجواب ان هذا عين ما اراد المشركون الاولون بدليل قوله تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفي
اية شريفة اخرى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وختم الاية الاولى بقوله ان الله لا يهدي من هو كاذب
كفار وختم الاية الثانية بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون فان قيل انهم يظنون انهم على هدى ولا يظنون
انهم على ضلال فالجواب قال الله تعالى قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين
له الدين كما بداكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله
ويحسبون انهم مهتدون وهذا فيه دليل على ان الكافر الذي يظن انه في دينه على الحق هو والجاحد المعاند
سواء وقد فسر ابن عباس الحبر البحر ترجمان القران القسط هنا بلا اله الا الله وفسره الضحاك بالتوحيد وقال سبحانه
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون
وفي تفسير البغوي عند قوله تعالى في سورة يونس وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين اي اخلصوا
في دعاء الله ولم يدعوا احدا سواه انتهى وفي هذا ان الدعاء هو الدين والاخلاص فيه هو التوحيد وان دعوة
غير الله شرك ولا يقال ان هذا ان كان شركا فشرك اصغر لا اكبر والجواب ان الدعاء لغير الله على اعتقاد النفع

والضر من المدعو من دون الله في قضاء الحوائج واغاثة اللهفات وشفاء المرض وقضاء القرض ونحو ذلك هو الذي كان عليه مشركي العرب وكان هذا اعتقادهم وشركهم بالله تعالى والعكوف والذبح ونحوهما فروع لهذه المطالب ونتيجة أشكال دعوتهم الميت والغائب انهم يجعلونهم وسائط بينهم وبين الله تعالى وهي منتفية ههنا وفيها تشبيه الخالق بالمخلوق وهو شرك محض كما ان التعطيل جهل بحت ولم تكن بعثة الرسل ودعوتهم الا الى توحيد الالوهية التي هي عبارة عن العبادة الخالصة للرب تعالى وتقدس ليكون كلها له افرادا وتقربا وتعظيما لله وحده وهذا هو المراد من قول أهل العلم ان دعاء غير الله شرك اكبر ومن قال لا اله الا الله ودعا غير الله على ما تقدم ذكره فقد هدم مبناه ونقض ما قاله ونفاه ولم تصح بينته على دعواه والدعاوي ما لم تقم عليها بينات فابناءها ادعياء وهي على شفا جرف هار والله تعالى يقول في سورة العنكبوت ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم وقال في سورة يونس الا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون **الدرجة السادسة** في بيان ان عبادة غير الله كفر وشرك اكبر يحل الدم والمال ويخلد صاحبه في النار اذا بلغته الدعوة وقامت عليه الحجة وعاند مصرا على الشرك فيها معلنا بكفره فاما انها كفر وشرك فلان لفظ الشرك معناه ان يعبد غير الله مع الله وهذا هو الواقع ولفظ الكفر معناه الجحود والتكذيب والانكار على ما علم مجيء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم به ضرورة فهذه الاسماء وهذه المسميات بينهما كما بين الامهات والبنات وقد ذكر ابن هشام في السيرة انما كانت عبادة المشركين العكوف والدعاء ونحوهما من الذبح والطواف وفي زاد المسافرين لابن القيم في المغازي في فصل قدوم وفد خولان وهم عشرة انه قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما فعل عم انس وهو صنم خولان الذي كانوا يعبدونه قالوا ابشر بدلنا الله به ما جئت به وقد بقيت منا بقايا من شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به ولئن قدمنا عليه لنهدمنه ان شاء الله تعالى فقد كنا منه في غرور وفتنة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما اعظم ما رأيتم من فتنة قالوا لقد رأينا قحطنا حتى اكلنا الرمة فجمعنا ما قدرنا عليه وابتعنا به مائة ثور ونحرناها لعم انس قربانا في غداة واحدة وتركناها تردها السباع فيها ونحن احوج اليها من السباع فنزل الغيث من ساعتها ولقد رأينا العشب يواري الرجال ويقول قائلنا انعم علينا عم انس وذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كانوا يقتسمون لصنمهم هذا من انعامهم وحروثهم وانهم كانوا يجعلون من ذلك جزءا له وجزءا لله بزعمهم الى آخر القصة وفيها وكنا نتحاكم اليه وقد ذكر قطرب في

قوله تعالى ما دعي على المسلمين على معنى [illegible] ما دعت الحاجة [illegible] كما ذكر ابن عباس

فكان يقصد الامر الظاهر وعلى انه يتبين الشرك [illegible] من الايات كانت المتبرئة

[illegible] انما هم [illegible] وانما [illegible] ويسعى [illegible] معه [illegible] الارتياب

انه ساده [illegible] وعاد وعمر اما بالدعاء او بالتمسح او [illegible] من الساد [illegible]

[illegible] نقل العكس تكرما لا تعرف وتحت ما لا يدري وكذلك [illegible] العبادة [illegible] وصفا طيبا

[illegible] حلقا اليا ومستحقة لديه ان صرفها اليه [illegible] من الجاهلية وان صرفها لغيره

[illegible] من اشرك [illegible] الا من له ذلك باقسامها من الاعتقادية القولية والفعلية

والبدنية والمالية وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وما يبدئ الباطل وما يعيد وقد

بين الله سبحانه لنا الاحكام وفصل لنا الحلال والحرام واحاطت الشريعة المحمدية باتم العلوم واشتملت

على الاصول والفروع بالمنطوق والمفهوم وقد تركنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المحجة البيضاء الحنيفية

السمحة السهلة الغراء ليلها كنهارها وما طائر طار في الجو الا وجعل لامته منه ذكرا ورد في آداب السنة كيفية

الاستنجاء بالاحجار كيف يستعمل في سنن ابي داود في آداب الخلاء ثم [illegible]

[illegible] الانسان [illegible] العادة [illegible] الحمام للعادين [illegible]

ويصنعوا ويسجدوا [illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [illegible] ولم يترك شيئا من ذلك [illegible]

هذه كتب السنة [illegible] دلالة واضحة وان هذا الذي قاتل عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم

المشركين وجاهدهم [illegible] الاصنام ونحوها الا الدعاء لهم والتعلق والاعتقاد فيهم والالتجاء

اليهم والاستغاثة بهم والاستعانة بهم والتمسح عندهم واما الدليل على انه يخلد صاحبه في النار

فقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله الى قوله وما هم بخارجين من النار

وقوله تعالى ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار واما الدليل على القتال فقوله تعالى

فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا

واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم قال الحسين بن الفضل هذه الآية نسخت كل آية فيها ١٠

الاعراض والصبر على الاذى من الاعداء والمعنى ان تابوا من الكفر والشرك واما ما ذكر [illegible] اسلامهم وقال

تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله اي لا يعبد غيره وقيل اي [illegible] لا شرك فيه

وفي تفسير الجلالين ان الفتنة هي الشرك بالله تعالى وقال سبحانه وقاتلوا المشركين كافة وفي الصحيح حديث امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله قال النووي قال الخطابي معلوم ان المراد بهذا اهل الاوثان دون اهل الكتاب لانهم يقولون لا اله الا الله ثم يقاتلون ولا يرفع عنهم السيف ذكر عياض ان اختصاص عصمة النفس بمن قال لا اله الا الله تعبير عن الاجابة والايمان ومنه فائدة عظيمة استفدناها وهي ان في الاحاديث النبوية قيود وشروط لكلمة التوحيد وهي لا اله الا الله اذا تأملها الانسان خاف على نفسه فضلا عن اهل الشرك والكفر والطغيان منها ان لا يشك فيها ولا يرتاب ولا يستكبر ولا يأبى ولا يستخف بها وان يجتنب ذلك عن المعاصي وان يقولها مخلصا من قلبه وقد قال بعض الائمة احتفظوا العلم بقيوده بل ائمة المذاهب الاربعة قد صرحوا بوجوب قتال من منع الزكوة او ترك الصلوة بل ترك الاذان وصلوة العيد لانها من شعائر الاسلام بل نقل بعضهم الاجماع على قتال طائفة ممتنعة من فريضة من الفرائض المشهورة وذكر النووي في شرحه للاربعين ان حكم الواحد كذلك مع انه يدخل في اسم الطائفة وفي الحديث الشريف عن بريدة بن الحصيب في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اغزوا اغزوا باسم الله وقاتلوا من كفر بالله اخرجه ابو داود وانه يتناول الخبر الخلق اجمعين قال سبحانه ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين اللهم انا قد وجدنا كتابك كذلك وقبلنا بشراه على ما هنالك فاكتبنا مع الشاهدين واحشرنا في زمرة الصالحين الدرجة السابعة اذا قيل ان هذه الآيات قد وردت في حق المشركين عباد الاصنام والكفار العبيد الاوثان والمحادين الله ورسوله فلا ينبغي ان تكون في غيرهم ممن يؤمن ولا تشتمل على من سواهم فالجواب ان الجامع بين المشركين من الاولين والآخرين موجود ثابت مشترك وهو الشرك بالله فالحكم في ذلك واحد لا فرق فيه لعدم الفارق ووجود الجامع وقد تقرر في اصول الفقه عند العلماء الفحول ان العبرة بعموم الالفاظ لا بخصوص الاسباب وعليه مدار الشرائع والاحكام وفي الحديث الشريف حكمي على الواحد حكمي على الجماعة ويلزم من هذا الاعتراض ان يقال كل حكم نزل على سبب مخصوص في قصة سالفة فهو لا يتعداها الى غيرها وهذا من ابطل الباطلات واكذب الكذبات وفيه تعطيل لجريان الاحكام الشرعية على جميع البرية فان آيات الحدود والجنايات والمواريث والديات نزلت في قضايا خاصة وقد مضت ومضى اهلها الذين نزلت فيهم تلك الآيات والنصوص البينات وحكمها

فأما الدرجة السابعة فلأن لفظ العام لا يقصر على السبب وخطابات الشرع تتعلق بالمكلف المعدوم تعلقاً معنوياً وقد قال ابن عباس في مثل ذلك ما نزل على بني إسرائيل فهو علينا أسوتهم ما أشبه الليلة بالبارحة وقال بعضهم نعم الإخوة بنو إسرائيل إذا كان لكم الحلو ولهم كل مرة وفي أصول الفقه أن شرائع من قبلنا شرع لنا عند الثلاثة وعند الشافعي أنه شرع لنا إذا ورد تقريرها في شرعنا ولا ريب أن هذه المسائل قد ورد شرعاً تقريرها ونطق الكتاب والسنة بتكريرها وهذا المعنى جواب على السؤال والآيات نعى عنه صلى الله عليه وآله وسلم مشركي العرب ودانوهم عليه ونزل في القرآن منه آيات محكمات غير منسوخة نهياً للأولين والآخرين الآتيان المشار إليه ممن كان يتلقى من الأمم بأدلة بينا اعتبار العموم الألفاظ مع أن [illegible] نهى لنا صلى الله عليه وآله وسلم [illegible] وأنت وكيف وشئت وأذنت وأعادت وبتت [illegible] والمصلح [illegible] عن مصلح لله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم وفي تفسير [illegible] أكثر كلها من العمل ما لا نطيق فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتريدون أن تقولوا كما قال من كان قبلكم سمعنا وعصينا [illegible] من الكلام يقول من سلف كلاماً وعن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأى مخيلة تغير وجهه وأقبل ودخل وخرج وأقبل وأدبر وإذا مطرت السماء سري عنه قالت فذكرت الذي رأيت فقال وما يدريك يا عائشة لعله كما قال قوم عاد فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم أخرجه البغوي في مسنده ومثله في صحيح البخاري قال الإمام [illegible] ابن القيم رحمه الله في مبحث الشرك الأكبر الأول الذي في سورة سبأ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له الآية قال فالقرآن مملوء من أمثالها ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته ويظنونه في قوم قبلهم ولم يعقبوا وارثاً وهذا الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن كما قال عمر رضي الله عنه إنما ينقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية وقال تعالى والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ولم تجد أثر الدرجة الثامنة في ذكر من قال إن هذا شرك يحل الدم والمال ويوجب [illegible] والسؤال بعد قيام الحجة وبلوغ الدعوة ووصول العلم وظهور الكفر منه وهذه الأشياء إنما تريد شروط اطلعنا على بعد التعسف والتكسر بالظن أيضاً فإن الاستقصاء غير ممكن وليس بعد كلام الله سبحانه وكلام

رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام يطلب الاستدلال به فما ذا بعد الحق الا الضلال ومن اصدق من الله حديثا والسنة النبوية هي الحجة عند النزاع والمراد اذا تنازعت الاشياء فمن استدل بها واعتمد عليها فقد ظفر ومن استعملها ووزن بها تميز له الارجح وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد سمعت ما مر من الآيات البينات والاحاديث واذا لم تغن البينات شيئا فالتماس الهدى بمن عمي واذا اضلت العقول على علم فما ذا تقول له النصحاء ؎ آنكس كه بقرآن وخبر زو نرهي ٭ اين است جوابش كه جوابش ندهي ٭ لكن سنذكر من كلام العلماء ما يعلم به الفهم ورثة الانبياء ومصابيح الظلام فاولهم صديق هذه الامة ابو بكر رضي الله عنه فانه قال في قتال اهل الردة لاقاتلن من فرق بين الصلوة والزكوة بل لو منعوني عقالا كانوا يعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ولما كفر من كفر من العرب في خلافته قاتلهم واستحل دماءهم واموالهم بمحضر من الصحابة رضي الله عنهم فصار ذلك اجماعا واكبر شي في ردتهم على تنوعها انهم ان مسيلمة الكذاب نبي فكيف بمن قال ان غير الله يعبد او عبده واعتقد فيه الالوهية وجعله متصفا بها وان لم يقلها بلسانه ووافقه عمر الفاروق على قتال من فرق بين الصلوة والزكوة بعد ان توقف فيهم ثم ظهر الدليل فسلكوا سواء السبيل وقال بكفر تارك الصلوة جماعة من الصحابة والتابعين ففي كتاب الترغيب والترهيب للمنذري عن عمر بن حزم انه جاء كفر تارك الصلوة عن عمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وابي هريرة قال المنذري وقد ذهب جماعة من الصحابة ومن بعدهم الى كفر تارك الصلوة متعمدا حتى خرج وقتها منهم ابن مسعود وابن عباس وابن عمر ومن غير الصحابة احمد بن حنبل واسحق وابن المبارك هذا في تركها وقد صنف القسطي في ذلك مؤلفا وكتاب الصلوة للحافظ ابن القيم في هذه المسألة احسن مؤلف جمع فيها وقد طبع لهذا العصر في بعض بلاد الهند وفي كتاب هداية السائل الى ادلة المسائل بحث مستقل في اثبات كفر من ترك الصلوة متعمدا لانه صحيح سائغ في الشرع واما مجرد ما ذكرت ذلك كفرا مسئلة وفاق بين العلماء فكيف بمن ترك التوحيد وجحد حق الله تعالى على العبيد وجعل المخلوق في مرتبة الخالق وسبه بالشرك والتنديد وقد ورد الوعيد الشديد فيمن تكلم بكلمة من سخط الله لا يرى بها باسا وفي رواية لا يري بها باسا اي لا يظن انها تبلغ به ما بلغت فيحط لها في النار مدة بل في قصة تبوك ان الذين تكلموا بالكفر نزل فيهم قوله تعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم انهم اعتذروا بالمزح واللعب والخوض ولم يريدوه وقد نزل قوله سبحانه قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون وقد حكم الصحابة بكفر من استحل الخمر مثلا لا لقوله تعالى ليس على الذين

نسوا وبعض الصحابة ... أطلقوا ومن أولئك فإنه من مضمون تكفيرهم بإنكار جحود الزكاة ولي كان تعالى
في ملته بما ذكره الله في سورة المائدة وحكم عمر رضي الله عنه بقتله لولا ما ذكرنا من العذر ووقع الحكم
ابن مسعود رضي الله عنه بكفر الذين يتكلمون محمد في حنيفة في أكثره بأن مسيلمة مصيب في دعواه
وحكم علي كرم الله وجهه بكفر الذين غلوا فيه واعتقدوا فيه صفات الإلهية ثم حرقهم بالنار وهذه سنة
فعلها الراشدون المهديون فيمن كان يقول لا إله إلا الله ثم صدر منه ما ينافيها أو ينتقص شيئا منها فإن
كانوا أئمة مسجد ومسائل ... إنما النص التكفير فإن ذلك كفر وشرك وإن لم يكن أمس قبل مشركين
فأما مسلمة بعد الخلفاء فمن ذلك حكمهم بقتل الجعد بن درهم وجهم بن صفوان لتعطيلهما رب العالمين
عن الصفات التي نطق بها الكتاب ووردت بها الأحاديث الصحيحات ولقولهما إن القرآن مخلوق
وإن الأمر أنف حتى صار أهل الكلام من فرق الضلال ورأى الشافعي تعزيره فأما أتباع الأئمة الأربعة
فأقاويلهم في ذلك كثيرة وأهل كل مذهب أن يجعلوا بابا مستقلا يسمى باب الردة أو باب حكم المرتد
ويعرفونه بأنه المسلم الذي يكفر بعد إسلامه ثم يسردون المكفرات ويطيلون فيها المقالات ومن أوسعهم
في ذلك الحنفية وأما الحنابلة فحصرها بعضهم في أربعمائة مسألة كل واحدة تنقض الإسلام وتلحق صاحبها
بعبدة الأصنام والشافعية والمالكية لهم في ذلك مباحث طويلة مثل ذلك وكان ابن حجر الهيتمي المكي مؤلف
سماه الإعلام بقواطع الإسلام وفي كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر شيء من هذا وفي مشارق الأنوار
من كتب الشافعية بسط طويل من ذلك وكان للمقريزي مؤلفات نحوها وشراح منهاج النووي أوضحوا تلك
المهالك ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية والشوكاني الإجماع على كفر من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم
ويتوكل عليهم وبعض ما ذكروه في باب الردة فهو من مسائل وضعية وليست من القواعد الإسلامية ولا من
أصول السنة الإيمانية فما ظنك بمسألة توحيد الله سبحانه بالعبادة التي هي أصل الأصول ومركز دائرة
أهل المنقول والمعقول والقطب الذي يدور عليه الحاصل والمحصول والأساس الذي عليه بناء مدينة
العلم التي فيها النزول والحلول والصراط المستقيم الذي عليه السير والوصول فإن قيل كيف يقاتل من
يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ويأتي بكثير من شرائع الإسلام وقد ورد في الصحيح أمرت أن أقاتل
الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله الحديث فالجواب أنه قد ورد في صحيح البخاري أمرت أن أقاتل الناس حتى
يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني

دماءهم واموالهم الا بحقها فجملة الغاية التي ينتهي عندها القتال الامور الثلثة المذكورة في الحديث لان القول المجرد عن الاعتقاد والعمل غير مفيد والا فقد قال اليهود ذلك والمراد معناها لا مجرد لفظها وان يقولوها كما قاله صلى الله عليه وآله وسلم موقنين بمعناها من النفي والاثبات عاملين بمقتضاها غير فاعلين ما ينافيها من الشرك والكفران والطغيان فان قيل كيف اذا كانوا يأتون بالامور الثلثة المذكورة لكنهم يصرفون بعض العبادات لغير الله مثل الاعتقاد في المقبورين ونحو ذلك فالجواب ان القصص المذكورة آنفا يجري عليه القتل في زمن الخلفاء هو ممن كان يفعل الامور الثلثة المذكورة ويناقضها بما يوجب قتله فان قيل ان هؤلاء لم يعلموا ذلك انه ينافي احسن المسالك فالجواب ان المقصود انما هو تكفير من بلغته الدعوة وقامت عليه الحجة فابى وعاند بعد العلم مصرا على الشرك فمن حين ظهرت هذه الدعوة المحمدية الى توحيد الالوهية وجردت عليها السيوف فمن ردها وأباها فالكلام عليه واللوم متوجه اليه وهي الآن بحمد الله قد غارت وطارت والقرآن العظيم اكبر حجة على الخاص والعام فمثل توحيد الله بالعبادة وانه لا شريك له فيها يدل على هذا القرآن دلالة صريحة للتالي والسامع وفيه هداية للعقل اليه واقامة الحجة عليه واما فهم الحجة فغير لازم وللعلماء في هذا الموضع اقوال وقد نص القرآن العظيم على ذم قوم يحسبون انهم يحسنون صنعا واما الاموات فقد افضوا الى ما قدموا وقد ورد النهي عن ايذاء الاحياء بذكر مساوي الاموات وهذا الحكم عام على المشركين منهم وفعله فعل الكافرين واما من يعلم صلاحه وتوحيده فذلك الناجي سواء تقدم او تأخر واما من لا يعلم حاله فكف اللسان عنه حسن جدا لان تكفير المعين يحتاج الى ثبوت اقامة الحجة عليه وفي نجاة اهل الفترات مباحث واختلافات والشأن كل الشأن في امر اهل هذا الزمان فان علم التوحيد امر مستفاد وشيء معروف وانه فرض لازم وواجب متحتم وعلم الشرك مذموم وانه حرام محض وضلال بحت ولكنه حصلت فيه غلطات فاضحة وعادات شنيعة واعمال كفرية واقوال شركية وردة نطيحة وافعال قبيحة تابع فيه الآخر الاول وابتلى به كثير ممن قلد بعضهم بعضا الا قليلا من الناس ونبذها الاكياس وكادت آثار مباني الشريعة الحقة تنطمس واعيان معانيها المنيفة الرفيعة تندرس وما اوتي الناس الا من قبل الديانة والامانة وغربة الاسلام وضعف الايمان ولم يفسد الدين الا الاحبار والرهبان السوء فالى الله المشتكى من نفس اذا ابتلت وجهل اذا طغى وهوى اذا اعمى اللهم وفقنا لتوحيدك الخالص عن شائبة الاهواء واسلك بنا مسلك العمل الصالح الصواب الذي تحبه وترضاه ونجنا من الشرك وتطوراته في قلوب اهل الآراء وبالله التوفيق وهو المستعان

باب في الآيات الواردة في ذكر المشركين والمشركات من اهل الكتاب وغيرهم وذم الشرك بالله تعالى وبيان انواع شركهم

قال تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حيوة اي اليهود ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة هم مشركو العرب وقيل المجوس وعموم اللفظ هو المعتبر لا خصوص السبب وما هو بمزحزحه من العذاب اي ما التعمير مبعده عن النار ان يعمر طول عمره والله بصير بما يعملون لا يخفى عليه خافية من احوالهم وفي الآية دليل على ان حب طول العمر من عادة الكفار والمشركين واما المؤمنون فيحبون لقاء الله تعالى كما في الحديث من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه و **قال تعالى** ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم فيه بيان شدة عداوة الكفار للمسلمين حيث لا يودون انزال الخير عليهم من الله سبحانه اي خير كان كما يفيده وقوع النكرة في سياق النفي وتاكيد العموم بدخول من المزيدة عليها وان كان بعض انواع الخير اعظم من بعض فذلك لا يوجب التخصيص والله يختص برحمته من يشاء اي رحمة كانت من غير تعيين كما يفيد ذلك الاضافة الى ضميره تعالى والله ذو الفضل العظيم وكل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم فانه منه ابتداء تفضلا عليهم من غير استحقاق احد منهم بل له الفضل والمنة على خلقه **وقال تعالى** ولا تنكحوا المشركات اي لا تتزوجوهن والمراد بالنكاح العقد لا الوطء حتى يؤمن فيه النهي عن نكاح المشركات قيل المراد بهن الوثنيات وقيل انها تعم الكتابيات ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم من جهة كونها ذات جمال او مال او نسب او شرف ولا تنكحوا المشركين اي لا تزوجوا الكفار بالمؤمنات خطاب للاولياء حتى يؤمنوا قال القرطبي اجمعت الامة على ان المشرك لا يطأ المؤمنة بوجه لما في ذلك من الغضاضة على الاسلام ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك اشارة الى المشركين والمشركات يدعون الى النار اي الى الاعمال الموجبة لها فكان في مصاهرتهم ومعاشرتهم ومصاحبتهم من الخطر العظيم ما لا يجوز للمؤمنين ان يتعرضوا له ويدخلوا فيه والله يدعوا الى الجنة والمغفرة اي الاعمال الموجبة للجنة واعظمها اخلاص التوحيد لله تعالى كما ان اعظم الاعمال الموجبة للنار الشرك بالله سبحانه **وقال تعالى** ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب الناطق بالحق والحكم يعني الفهم والعلم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي

من دون الله اي هذه المقالة وهو متصف بتلك الصفة وفيه بيان من الله لعباده ان النصارى افتروا
على عيسى عليه السلام ما لا يجوز عنه ولا ينبغي ان يقوله ولكن يقول كونوا ربانيين قال المبرد هم ارباب العلم
واحدهم رباني اي العالم بدين الرب القوي المتمسك بطاعة الله بما كنتم تعلمون الكتاب التشديد يدل
على العلم والتعليم وبما كنتم تدرسون الدراسة مذاكرة العلم دلت الآية على ان العلم والتعليم والدراسة
توجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل بها لا لهذا المقصود فقد ضاع علمه وخاب سعيه ولا يأمركم
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا بل ينهى عنه أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون اي لا يقول هذا ولا يفعله
وقد استدل به من قال ان سبب نزول الآية استئذان من استأذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من
المسلمين في ان يسجد واله وهذا يرشد الى ان السجود لغير الله نبيا كان او ملكا كفر بعد الاسلام وقال
تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب اي الخوف والفزع بما اشركوا بالله اي بسبب اشراكهم به تعالى
ما لم ينزل به اي بجعله شريكا له سلطانا اي حجة وبيانا وبرهانا سميت الحجة سلطانا لقوتها على دفع الباطل
او لوضوحها وانارتها او لحدتها ونفوذها والنفي يتوجه الى القيد والمقيد اي لا حجة ولا انزال والمعنى ان
الاشراك بالله لم يثبت في شيء من الملل ومأواهم اي مسكنهم النار بيان لاحوالهم في الآخرة بعد بيان
احوالهم في الدنيا وبئس مثوى الظالمين الذي يستقرون فيه وفي جعلها مثواهم بعد جعلها مأواهم رمز الى خلودهم فيها فان
المثوى مكان الاقامة المنبئة عن المكث والمأوى المكان الذي يأوي اليه الانسان وقدم المأوى على المثوى
لانه على الترتيب الوجودي يأوي ثم يثوي وفي الآية دليل على ان عاقبة الشرك الخلود في النار وقال تعالى
لتبلون في اموالكم وانفسكم الابتلاء الامتحان والاختبار والمعنى لتمتحنن في اموالكم بالمصائب والانفاقات
الواجبة وسائر التكاليف الشرعية المتعلقة بها والابتلاء في الانفس بالموت والامراض وفقد الاحباب
والقتل في سبيل الله وفيه تسلية للامة الاسلامية بما سيلقونه من الكفرة الفسقة الفجرة ليوطنوا انفسهم
على الثبات والصبر على المكاره ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم هم اليهود والنصارى كان المسلمون
يسمعون من اليهود عزير ابن الله ومن النصارى المسيح ابن الله وهذه السماعة باقية الى الآن فان النصارى
في هذا الزمان في كل مكان يقولون بالوهية المسيح ويهتفون بذلك ويقرؤنه في كتبهم الجديدة التأليف
ويردون على المسلمين توحيدهم لله تعالى وشرائعهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ومن الذين
اشركوا من سائر الطوائف الكفرية من غير اهل الكتاب كالمجوس والهنود والصابئة والبابية اذى كثيرا

من الطعن في دينكم واعراضكم ومرادا بالسيء والتشبيب بنسائكم قال في الجمل هو ذكر اوصاف الجمال
وقد استطال الخوض والهجو والسخرية في هذا الزمان على المسلمين عموما وكثر الطعن في دين الاسلام
والاعراض من المسلمين ووجد مصداق هذه الآية وان تصبروا وتتقوا الصبر عبارة عن احتمال الاذى
والمكروه والتقوى عن الاحتراز عما لا ينبغي فان ذلك الصبر والتقوى من عزم الامور اي معزوماته
تكون عزمة من عزمات الله التي اوجب عليهم القيام بها وقال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء هذا الحكم يشمل جميع طوائف الكفار من اهل الكتاب وغيرهم ولا يختص
بكفار اهل الحرب لان اليهود قالوا عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالوا ثالث ثلاثة ولا خلاف
بين المسلمين ان المشرك اذا مات على شركه لم يكن من اهل المغفرة التي تفضل الله بها على غير اهل الشرك
حسبما تقتضيه مشيئته واما غير اهل الشرك من عصاة المسلمين فداخلون تحت المشيئة يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء قال ابن جرير قد ابانت هذه الآية ان صاحب كل كبيرة في مشيئة الله عز وجل ان
شاء عذبه وان شاء عفا عنه ما لم تكن كبيرته شركا بالله عز وجل وظاهره ان المغفرة منه سبحانه تكون
لمن اقتضته مشيئته تفضلا منه ورحمة وان لم يقع من ذلك المذنب توبة وقيد ذلك المعتزلة
بالتوبة وقد قال تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فهي تدل على انه سبحانه يغفر
سيئات من اجتنب الكبائر ويكون مجتنب الكبائر ممن قد شاء الله غفران سيئاته عن ابن عمر بسند صحيح قال كنا امسكنا عن
الاستغفار لاهل الكبائر حتى سمعنا من نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لا يغفر الآية وقال اني
ادخرت دعوتي وشفاعتي لاهل الكبائر من امتي فامسكنا عن كثير مما كان في انفسنا وعن ابن عباس
قال في هذه الآية ان الله حرم المغفرة على من مات وهو مشرك كافر وارجى اهل التوحيد الى مشيئته
فلم يؤيسهم عن المغفرة واخرج الترمذي وحسنه عن علي رضي الله عنه قال ما في القرآن احب الي
من هذه الآية وعن جابر قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان
قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار اخرجه مسلم ومن يشرك
بالله اي يجعل معه شريكا غيره اظهارا في موضع الاضمار لادخال الروع فقد افترى اي اختلق وافتعل
والافتراء كما يطلق على القول حقيقة يطلق على الفعل مجازا اشار اليه التفتازاني اثما عظيما اي ذنبا كبيرا غير مغفور
ان مات عليه وفيه دلالة على ان الشرك اعظم من جميع الآثام وانه لا يغفر في حال من الاحوال اعاذنا الله منه

وقال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به هذا النص صريح بان الشرك غير مغفور اذا مات صاحبه عليه ويغفر ما دون ذلك اي ما دون الشرك لمن يشاء من اهل التوحيد وهذه المشيئة فيمن لم يتب من ذنوبه من الموحدين فان شاء غفر له وان شاء عذبه واما من تاب منهم وانقلع عن الذنوب وندم على ما فعله من المعاصي وتاب الى الله تعالى فهو مغفور لقوله صلى الله عليه وآله وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له فالتوبة تمحو الذنوب كبيرها وصغيرها ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا اي ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله اذا مات على شركه لان الشرك اعظم انواع الضلال وابعدها من الصواب والاستقامة كما انه افتراء واثم عظيم ولذلك جعل الجزاء في هذه الشرطية فقد ضل وفيما سبق فقد افترى اثما عظيما حسبما يقتضيه سياق النظم الكريم وسباقه قال السمين ختمت الآية المتقدمة بقوله فقد افترى وهذه بقوله فقد ضل لان الاولى في شان اهل الكتاب فهم عندهم علم بصحة نبوته وان شريعته ناسخة لجميع الشرائع ومع ذلك فقد كابروا في ذلك وافتروا على الله وهذه في شان قوم مشركين ليس لهم كتاب ولا عندهم علم فناسب وصفهم بالضلال وايضا قد تقدم هنا ذكر الهدى وهو ضد الضلال انتهى وعن الضحاك ان شيخا من الاعراب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله اني شيخ منهمك في الذنوب والخطايا الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جرأة على الله ولا مكابرة له واني لنادم وتائب ومستغفر فما حالي عند الله فانزل الله تعالى هذه الآية اخرجه الترمذي وعن علي كرم الله وجهه قال ما في القرآن آية احب الي من هذه الآية رواه الترمذي وقال حسن غريب وقال تعالى ان يدعون من دونه الا اناثا اي اصناما لها اسماء مؤنثة كاللات والعزى ومناة قاله ابي بن كعب وقيل المراد بالاناث الاموات التي لا روح لها كالخشبة والحجر قاله ابن عباس وقيل المراد الملائكة لقولهم هم بنات الله قلت ولا مانع من الحمل على الجميع والكلام خارج مخرج التوبيخ للمشركين والازراء عليهم والتضعيف لعقولهم لكونهم عبدوا من دون الله نوعا ضعيفا قال الحسن كان لكل حي من احياء العرب صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان فانزل الله هذه الآية وان يدعون الا شيطانا مريدا وهو ابليس لعنه الله لانهم اذا اطاعوه فيما سول لهم فقد عبدوه وتقدم ان الدعاء هو العبادة قال ابن عباس لكل صنم شيطان يدخل في جوفه ويتراءى للسدنة والكهنة ويكلمهم وقال تعالى ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها وما في معنى ذلك قل لا اشهد

اي ما تشهدون به بل اجحد ذلك وانكره وذلك لكون هذه الشهادة باطلة ممتنعة ومثله
فلن يشهد فلا تشهد معهم قل انما هو اله واحد لا شريك له وبذلك اشهد وانني بريء مما تشركون
اي من اشراككم بالله تعالى وقال تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم
الاستفهام للتقريع والتوبيخ للمشركين واضاف الشركاء اليهم لانها لم تكن شركاء لله في الحقيقة بل لما سموها
شركاء اضيفت اليهم وهي ما كانوا يعبدونه من دون الله او مع الله الذين كنتم تزعمون انهم شركاء
ووجه التوبيخ ان معبوداتهم غابت عنهم في تلك الحال او كانت حاضرة ولكن لا ينفعون بوجه
من الوجوه فكان وجودها كعدمها ثم لم تكن فتنتهم اي معذرتهم قاله ابن عباس وانما سماه
فتنة لانه كذب او حجتهم والفتنة التجربة الا ان قالوا يعني المنافقين والمشركين قالوا وهم في النار
هلم فلنكذب فلعله ان ينفعنا والله ربنا ما كنا مشركين انتفوا من الشرك وحلفوا على نفيه وجاؤا بالكذب
في تلك الدار ايضا وقال تعالى في قصة ابراهيم عليه السلام في رؤيته الكواكب فلما افلت اي
غابت الشمس ووقعت عليهم الحجة ولم يرجعوا قال يا قوم اني بريء مما تشركون اي من الاشياء التي تجعلونها
شركاء لله وتعبدونها من الاصنام والاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث قال بعد ما ظهر له ان هذه
الاشياء مخلوقة لا تنفع ولا تضر مستدلا على ذلك بافولها الذي هو دليل حدوثها اني وجهت وجهي
اي قصدت بعبادتي وتوحيدي الله عز وجل للذي فطر السموات والارض اي خلقهما وابتدعهما حنيفا
اي مائلا الى الدين الحق وما انا من المشركين به تبرأ من الشرك الذي كان عليه قومه
وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله اي في كونه لا شريك له ولا ند ولا ضد وقد هدان الى توحيده والحق
تريدون ان اكون مثلكم في الضلالة والجهالة وعدم الهداية ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي
بان يلحقني شيئا من الضرر بسبب مخالفته فالامر اليه وذلك منه لا من معبوداتكم الباطلة التي لا تنفع و
لا تضر والمعنى على نفي حصول الضرر منهم على كل حال واثبات الضرر والنفع منه سبحانه وسع ربي كل شيء
علما افلا تتذكرون ان هذه الاصنام جمادات لا تضر ولا تنفع وان النافع الضار هو الذي خلق السموات
والارض وما بينهما وكيف اخاف ما اشركتم به ولا تخافون انكم اشركتم بالله يرد عليهم هذا الكلام
الالزامي الذي لا يجدون عنه مخلصا ولا متقى والاستفهام للانكار عليهم والتقريع لهم ما لم ينزل
به عليكم سلطانا اي حجة وبرهانا فاي الفريقين احق بالامن من العذاب وعدم الخوف يوم القيامة

الموحد ام المشرك ان كنتم تعلمون بحقيقة الحال وتعرفون البراهين الصحيحة وتميزونها عن الشبه الباطلة **وقال تعالى** الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي لم يخلطوه به والمراد بالظلم الشرك وقد فسره بذلك ابوبكر الصديق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب وحذيفة بن اليمان وسلمان الفارسي وابي بن كعب وابن عباس وجماعة من التابعين رض ويغني عن الجميع في تفسير الاية ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود قال لما نزلت هذه الاية شق ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس هو كما تظنون انما هو كما قال لقمان يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم والعجب من صاحب الكشاف حيث يقول في تفسير هذه الاية وابى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس وهو لا يدري ان الصادق المصدوق قد فسرها بهذا واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل وشيخ زاده على البيضاوي وذهب المعتزلة الى ان المراد بالظلم في هذه الاية المعصية لا الشرك بناء على ان خلط احد الشيئين بالآخر يقتضي اجتماعهما ولا يتصور خلط الايمان بالشرك لانهما ضدان لا يجتمعان وهذه الشبهة ترد عليهم بان يقال كما ان الايمان لا يجامع الكفر فكذلك المعصية لا تجامع الايمان عندكم لكونه اسما لفعل الطاعات واجتناب المعاصي فلا يكون مرتكب الكبيرة مؤمنا عندكم انتهى واقول لا استحالة في اجتماع الشرك بالايمان في مواضع خاصة الا ترى المشركين من المسلمين عابدي القبور والهاتفين باهلها الذابحين للاولياء والناذرين لهم في انجاح الحاجات وقضاء المرادات كيف يشركون بالله مع اعترافهم بالايمان وتفوههم بكلمة التوحيد وهذا الذي قلت دل عليه قوله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون اي موحدون في توحيد الربوبية ومشركون في توحيد الالوهية اولئك لهم الامن يوم القيامة من عذاب النار والاية دليل على ان من مات لا يشرك بالله شيئا كانت عاقبته الامن من عذاب جهنم وهم مهتدون الى الحق ثابتون عليه وغيرهم على ضلال **وقال تعالى** وتلك حجتنا اي ما تقدم من الحجج التي اوردها ابراهيم عليه السلام عليهم آتيناها ابراهيم على قومه اي اعطيناها اياه وارشدناه اليها نرفع درجات من نشاء بالهداية والعلم والفهم والعقل والفضيلة والارشاد الى الحق وتلقين الحجة او بما هو اعم من ذلك وفيه نقض للمعتزلة في الاصلح قال الضحاك للعلماء درجات كدرجات الشهداء ان ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحق ابنا لصلبه ويعقوب ولد الولد كلا هدينا الى سبيل الرشاد وطريق الحق وهو توحيد الله تعالى ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى

والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن اباءهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا هذا موضع الاستدلال اي لو اشرك هؤلاء المذكورون وهم ثمانية عشر رسولا بعبادة غير الله لحبط عنهم الحبط البطلان والذهاب ما كانوا يعملون من الطاعات قبل ذلك لان الله لا يقبل مع الشرك من الاعمال شيئا فيه عبرة عظيمة ونصيحة كريمة لان الشرك اذا احبط اعمال الرسل فما الظن بغيرهم وهذه الاية اخوف اية لمن له قلب او القى السمع وهو شهيد ولا بيان بعد بيان الرحمن ولا قرية وراء عبادان واي قول لاي المشركين من المؤمنين فلينظروا الى هذه الاية وليتاملوا فيها وفي سباقها وسياقها كيف يجعل الله تعالى على افاضل خلقه يحبط اعمالهم الصالحات وانعامهم الطيبات عند وجود الشرك منهم مع استحالة وقوعه عنهم فاستدلال بعض الجهلة بان ايراد الايات الدالة على ذم اهل الشرك في مقابلة المسلمين ليس كما ينبغي لانها وردت في حق الكفار وهؤلاء مؤمنون مردود عليه بنص هذه الاية الشريفة فان الاخبار فيها عن رسله سبحانه خاصة دون غيرهم من اهل الكفر والشرك ومن هو افضل منهم في قوة الايمان وصحة الاسلام ثم القاعدة التي يجمع عليها اهل الاصول من الفحول هي ان العبرة بعموم المباني لا بخصوص المعاني وهذا يرشدك الى ان الاحتجاج من اهل التوحيد على اهل الشرك بتلك الايات الناعية على المشركين صحيح واقع في محله لا اشتباه عليه ولا غبار فيه وانما يعرج على مثل هذه الشبه الضعيفة من لا عقل له ولا سمع ولا يستحق الخطاب ولا الجواب

قال تعالى وجعلوا لله شركاء الجن هذا نوع من جهالاتهم وضلالاتهم انهم جعلوا الجن شركاء لله سبحانه وعبدوهم كما عبدوه وعظموهم كما عظموه قال الحسن اطاعوا الجن في عبادة الاوثان وقال الزجاج فيما سولت لهم من شركهم وقيل المراد بالجن هنا الملائكة وقيل نزلت في الزنادقة الذين قالوا ان الله تعالى وابليس اخوان ويقرب من هذا قول المجوس ان للعالم صانعين هما الرب والشيطان وهكذا القائلون ان كل خير من النور وكل شر من الظلمة وهم المانوية اتباع ماني المصور المتنبي وخلقهم وهذا هو الدليل القاطع على ان المخلوق لا يكون شريكا لله وكل ما في الكون محدث مخلوق فامتنع ان يكون شريكا له في ملكه وخرقوا له بنين وبنات بغير علم اي شققوا له هذه لان المشركين ادعوا ان الملائكة بنات الله والنصارى ادعوا ان المسيح ابن الله واليهود ادعوا ان عزيرا ابن الله وكثر ذلك منهم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم لا يخفى عليه من مخلوقاته

خافية **وقال تعالى** واعرض عن المشركين هذا قبل نزول آية السيف فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولو شاء الله عدم اشراكهم ما اشركوا فيه ان الشرك بمشيئة الله سبحانه خلافاً للمعتزلة والكلام في تقرير هذا على الوجه الذي يتعارف به علماء الكلام والميزان معروف لا فائدة في ايراده ههنا قال ابن عباس يقول الله لو شئت لجمعتهم على الهدى اجمعين **وقال تعالى** سيقول الذين اشركوا قد وقع مقتضاه كما حكى عنهم سبحانه في سورة النحل وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا الخ لو شاء الله عدم شركهم وعدم تحريمهم ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ظنوا ان هذا القول يخلصهم عن الحجة التي الزمهم بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان ما فعلوه حق ولو لم يكن حقاً لارسل الله الى آبائهم الذين ماتوا على الشرك وعلى تحريم ما لم يحرمه الله رسلاً يأمرونهم بترك الشرك وبترك التحريم كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا وقد تمسك القدرية والمعتزلة بهذه الآية ولا دليل لهم في ذلك على مذهب الجبر والاعتزال لان امر الله بمعزل عن مشيئته وارادته ولا يلزم من ثبوت المشيئة دفع دعوة الانبياء عليهم السلام قل هل عندكم من علم اي دليل صحيح يعد من العلم النافع وحجة وكتاب يوجب اليقين بأن الله راض بذلك فتخرجوه لنا لننظر فيه ونتدبره والمقصود من هذا تبكيتهم لانه قد علم انه لا علم عندهم يصلح للحجة ويقوم به البرهان ثم اوضح لهم انهم ليسوا على شيء من العلم فقال ان تتبعون الا الظن الذي هو محل الخطأ ومكان الجهل وان انتم الا تخرصون اي تتوهمون مجرد توهم فقط كما يتوهم الخارص وتقولون على الله الباطل قل فلله الحجة البالغة على الناس اي التي تنقطع عندها معاذيرهم وتبطل شبههم وظنونهم وتوهماتهم والمراد بها الكتب المنزلة والرسل المرسلة وما جاؤا به من المعجزات قال الربيع بن انس لا حجة لاحد عصى الله او اشرك به على الله بل له الحجة التامة على عباده فلو شاء لهداكم اجمعين ولكنه لم يشأ ذلك ومثله قوله تعالى ولو شاء الله ما اشركوا وما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ومثله كثير فالمنفي في الخارج مشيئة هداية الكل والا فقد هدى بعضهم وعن ابن عباس انه قيل له ان ناساً يقولون ليس الشر بقدر فقال ابن عباس بيننا وبين اهل القدر هذه الآية والعجز والكيس من القدر وقال علي بن زيد انقطعت حجة القدرية عند هذه الآية قل فلله الحجة الى قوله اجمعين **وقال تعالى** قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئاً هذا نص ظاهر على تحريم الشرك وفي آخر هذه الآية ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون **وقال تعالى** قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم هو ملة ابراهيم عليه السلام ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفاً مائلاً الى الحق وفي القاموس الحنيف كامير الصحيح الميل الى الاسلام الثابت

حنيفا وكل من تبع اذ كان على دين ابراهيم وما انا من المشركين قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي
لله رب العالمين لا شريك له في العبادة والخلق والقصد وسائر اعماله لا يشاركه فيها احد من
خلقه وبذلك امرت وانا اول المسلمين اي السابقين من هذه الامة قل اغير الله ابغي ربا وهو رب
كل شئ فيه وحده لا شريك فيه **قال تعالى** انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير
الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا اي وان تجعلوا لله شريكا لم ينزل عليكم به حجة وتشركوا به في
العبادة والمراد التهكم بالمشركين لان الله لا ينزل برهانا بان يكون غيره شريكا له **وقال تعالى** فلما آتاهما
صالحا اي ما طلباه من الولد الصالح واجاب دعاءهما جعلا له شركاء فيما آتاهما قال كثير من المفسرين
جاء ابليس الى حواء وقال لها ان ولدت ولدا فسميه باسمي فقالت وما اسمك قال الحارث ولو سمى
له نفسه لعرفته فسمته عبد الحارث فكان هذا شركا في التسمية ولم يكن شركا في العبادة وقد روي هذا
من طرق والفاظ عن جماعة من الصحابة ومن بعدهم ويدل له حديث سمرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
قال لما ولدت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فانه يعيش فسمته
عبد الحارث فعاش فكان ذلك من وحي الشيطان وامره اخرجه احمد والترمذي وحسنه وابو يعلى
وابن جرير وابن ابي حاتم والروياني وابو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه وفيه دليل على ان الفاعل
شركاء لا آتاهما هو حواء دون آدم عليه السلام وقوله تعالى جعلا بصيغة التثنية لا ينافي ذلك لانه قد يسند
الفعل الى الواحد والاثنين بل الى الجماعة وهو شائع في كلام العرب وفي الكتاب العزيز من ذلك الكثير الطيب
وقد تصدى لبيانه صاحب تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن فراجعه فتعالى الله عما
يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا ولا تقدر على نفع لهم ولا دفع ضر عنهم وهم يخلقون الضمير يرجع الى
الشركاء اي وهؤلاء الذين جعلوهم شركاء من الاصنام والشياطين مخلوقون وجمعهم جمع العقلاء لاعتقاد
من جعلهم شركاء انهم كذلك ولا يستطيعون لهم اي لمن جعلهم شركاء نصرا ان طلبوه منهم ولا انفسهم
ينصرون ان حصل عليهم شيء من جهة غيرهم ومن عجز عن نصر نفسه فهو عن نصر غيره اعجز وان تدعوهم
الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون اي دعاؤكم لهم عند الشدائد وعدمه سواء
لا فرق بينهما لانهم لا يسمعون ولا يبصرون ولا ينصرون ولا يجيبون **وقال تعالى** ان الذين تدعون من
دون الله عباد امثالكم اخبرهم سبحانه بان هؤلاء الذين جعلتموهم آلهة هم عباد لله كما انتم عباد له

مع انكم اكمل منهم لانكم احياء تنطقون وتمشون وتسمعون وتبصرون وهذه الاصنام ليست كذلك ولكنها امثالكم في كونها مملوكة لله مسخرة لامره وهذا تقريع لهم بالغ وتوبيخ لهم عظيم قال مقاتل انها الملائكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدونها والاول اولى وانما وصفها بانها عباد مع انها جمادات تنزيلا لها منزلة العقلاء على وفق معتقدهم ولذلك قال فادعوهم فليستجيبوا لكم وهذا اللفظ ورد في معرض الاستهزاء بالمشركين ان كنتم صادقين فيما تدعونه لهم من قدرتهم على النفع والضر وانها آلهة ثم بين غاية عجزهم وفضل عابديهم عليهم فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها الاستفهام للتقريع والتوبيخ اي هؤلاء الذين جعلتموهم شركاء ليس لهم شيء من الآلات التي هي ثابتة لكم فضلا عن ان يكونوا قادرين على ما تطلبونه منهم فانكم كما ترون هذه الاصنام التي تعكفون على عبادتها ليست لهم ارجل يمشون بها الى نفع انفسهم فضلا عن ان يمشوا في نفعكم وليس لهم ايد يبطشون بها كما يبطش غيرهم من الاحياء وليس لهم اعين يبصرون بها كما تبصرون وليس لهم آذان يسمعون بها كما تسمعون فكيف تدعون من هم على هذه الصفة من سلب الادوات وبهذه المنزلة من العجز وما احسن ما قيل ؎

كافران از بت بيجان چه تمتع داريد　　بارے آن بت بپرستيد كه جانے دارد

قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون وليس بعد هذا التحدي لهم والتعجيز لاصنامهم شيء وقال تعالى والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون فيه اهانة للمشركين والتنقيص بهم واظهار سخف عقولهم وركاكة احلامهم وقال سبحانه يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس اي ذوو نجاسة لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجاسة وصفهم بذلك حتى كانهم عين النجاسة والقذر لخبث باطنهم مبالغة في وصفهم قال ابن عباس اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير قال قتادة ومعمر وغيرهما وصفوا بذلك لانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم وقيل اراد بالمشركين عبدة الاصنام دون غيرهم من اصناف الكفار وقيل بل جميع اصنافهم من اليهود والنصارى وغيرهم قال بعض الظاهرية ان المشرك نجس الذات استدلالا بهذه الآية وروي عن الحسن وابن عباس وابن صالح من مس مشركا فليتوضأ وذهب الجمهور من السلف والخلف ومنهم اهل المذاهب الاربعة الى ان الكافر ليس بنجس الذات لان الله سبحانه احل طعامهم وثبت عن

الذي اشتمل عليه الوحي وذلك من فعله وقوله ما يقصد عدم سماعه دون القصد كالذي في اجنبيهم ومن بينه
وبوصفه بانه لم يحرف بعده وهو الحق ولا تقربوا المسجد الحرام اي لا تدعوهم لا اقتراب المبالغة في المنع من
دخول الحرم وهذا النهي راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم من ذلك قاله ابو السعود لنهيهم من باب قولهم
لا ارينك ههنا او المراد بالمسجد الحرام جميع الحرم او المسجد نفسه واما غيره من المساجد فقد قال اهل المدينة
المنع كل مشرك من كل مسجد وقال الشافعي لا يمنع من دخول غير المسجد الحرام وهذا اولى قال اصحابنا
ان بلاد الاسلام في حق الكفار ثلاثة انواع احدها الحرم فلا يجوز لكافر ان يدخله بحال ذميا كان او
مستأمنا لظاهر هذه الاية وبه قال مالك والشافعي والثاني الحجاز وحده ما بين يمامة واليمن ونجد
والمدينة الشريفة قيل نصفها تهامي ونصفها حجازي وقيل كلها حجازي وقال ابن الكلبي حد الحجاز ما بين
جبلي طي وطريق العراق قال الحربي وتبوك من الحجاز فيجوز للكفار دخول ارض الحجاز بالاذن ولكن لا يقيمون
فيها اكثر من مقام المسافر وهو ثلاثة ايام لاحاديث صحيحة في هذا الباب منها ما روي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب
حتى لا ادع الا مسلما واجلاهم عمر في خلافته واجل لمن قدم منهم تاجرا ثلاثة ايام وجزيرة العرب من
اقصى عدن الى ريف العراق في الطول واما في العرض فمن جدة وما والاها من ساحل البحر الى اطراف
الشام والثالث سائر بلاد الاسلام فيجوز للكافر ان يقيم فيها بعهد وامان وذمة ولكن لا يدخلون المساجد
الا باذن مسلم لحاجة بعد عامهم هذا اي سنة تسع او سنة عشر **وقال تعالى** هو الذي ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله اي على سائر الاديان وهو ان لا يعبد الله الا به ولا دين
بعد الاسلام الا وقد نسخه المسلمون وظهروا عليه في بعض المواضع وان لم يكن كذلك في جميع المواضع
فقهر اليهود واخرجهم من جزيرة العرب وغلب النصارى على بلاد الشام وما والاها الى ناحية الروم
والغرب وغلب المجوس على ملكهم وغلب عباد الاصنام على كثير من بلادهم مما يلي الترك والهند وكذلك
سائر الاديان فثبت ان الذي اخبر الله عنه في هذه الاية قد وقع وحصل ولله الحمد وبقي الى سنة ستمائة
من الهجرة النبوية وكان ذلك اخبارا عن الغيب فكان معجزا واما اليوم فقد غلب النصارى على المسلمين في
كل قوم وملك وهذا من اشراط الساعة الكبرى وهي كلها اخبار عن الغيب فكانت معجزة ايضا ويحتمل ان
بعض عز الاسلام وقيل ذلك الظهور يكون عند نزول عيسى وخروج المهدي فلا يبقى اهل دين الا دخلوا

فى الاسلام ويدل له بعض الاحاديث منها حديث ابي هريرة يرفعه وتهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام والكلام على هذا يطول جدا وفي فتح البيان ما فيه مقنع وبلاغ ولو كره المشركون اي إبى الله الا ان يتم نوره ويعلي دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث به رسوله ولو كره ذلك اهل الشرك وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه **وقال سبحانه** وقاتلوا المشركين كافة فيه ان عموم الاشخاص يستلزم عموم الاحوال والازمنة والبقاع كما يقاتلونكم كافة فيه دليل على وجوب قتال المشركين وانه فرض على الاعيان ان لم يقم به بعضهم واعلموا ان الله مع المتقين اي ينصرهم ويثبتهم ومن كان الله معه فهو الغالب **وقال تعالى** ويوم نحشرهم جميعا الحشر الجمع من كل جانب وناحية الى موضع واحد والمعنى انذرهم يوم نحشرهم لموقف الحساب ثم نقول للذين اشركوا تقريعا لهم على رؤس الاشهاد وتوبيخا لهم مع حضور من يشاركهم في العبادة وحضور معبوداتهم مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا اي فرقنا وقطعنا ما كان بينهم من التواصل في الدنيا وذلك حين يتبرأ كل معبود عمن عبده وقال شركاؤهم الذين عبدوهم وجعلوهم شركاء لله سبحانه ما كنتم ايانا تعبدون في الحقيقة ونفس الامر انما عبدتم هواكم وضلالكم وشياطينكم الذين اغووكم لانها الآمرة لكم بالاشراك على حد قوله قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم الاية وهذا الجحد من الشركاء وان كان مخالفا لما قد وقع من المشركين من عبادتهم معناه انكار عبادتهم اياهم عن امرهم لهم بالعبادة فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين القائل لهذا الكلام هم المعبودون قالوا لمن عبدهم من المشركين والمراد بالغفلة هنا عدم الرضا بما فعله المشركون من العبادة لهم او عدم علمهم بها او كل من الامرين وفي هذا دليل على ان هؤلاء المعبودين غير الشياطين لانهم يرضون بما فعل المشركون من عبادتهم **وقال تعالى** قل للمشركين احتجاجا لحقية التوحيد وبطلان ما هم عليه من الشرك من يرزقكم من السماء بالمطر والارض بالنبات والمعادن فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية ام من يملك السمع والابصار خصهما لما فيهما من الصنعة العجيبة والخلقة الغريبة حتى ينتفعوا بهما هذا الانتفاع العظيم ويحصلون بهما من الفوائد ما لا يدخل تحت حصر الحاصرين ومن يخرج الحي من الميت اي الانسان من النطفة والطير من البيضة والنبات من الحبة او المؤمن من الكافر والاول اقرب الى الحقيقة ويخرج الميت من الحي اي النطفة من الانسان او الكافر من صاحب الايمان او البيضة من الطائر

ومن يدبر الامر بين الخلائق اي بقدرته وحكمته فسيقولون الله اي سيكون قولهم في جواب هذه
الاستفهامات المحض ان الفاعل لهذه الامور هو الله سبحانه ان انصفوا وعملوا على ما يوجبه الفكر
الصحيح والعقل السليم فقل افلا تتقون وتفعلون ما يوجبه هذا العلم من تقوى الله الذي يفعل هذه
الافعال وتعبدون من دونه الاموات والاصنام التي لا تقدر على شيء من هذه الامور بل ولا تعلم به
وقال تعالى قل هل من شركائكم من يبدء الخلق ثم يعيده اي التي تدعون انها الهة هل منهم من يقدر
على ان ينشئ الخلق من العدم على غير مثال سبق ثم يعيده بعد الموت في القيامة كهيئته اول مرة للجزاء
قال ابو السعود هذا احتجاج اخر على حقية التوحيد وبطلان الاشراك باظهار كون شركائهم بمعزل عن
استحقاق الالهية ببيان اختصاص خواصها من بدء الخلق واعادته بل الله يبدء الخلق ثم يعيده فانى
تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق الى قوله وما يتبع اكثرهم الا ظنا ولم يكن ذلك عن بصيرة
اي ظنا من ظنون سلفهم ان هذه المعبودات تقربهم الى الله وانها تشفع لهم ولم يكن ظنهم هذا مستندا
قط الا الى خيال مختل وحدس باطل وميل باتباعهم اباءهم ولعل تنكير الظن هنا للتحقير ان الظن لا يغني
من الحق شيئا **وقال تعالى** وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم
الا يخرصون الخرص التخمين والتقدير ويستعمل بمعنى الكذب لغلبته في مثله **وقال تعالى**
فلا تكونن من المشركين خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
فان فعلت فانك اذا من الظالمين فيه النهي عن عبادة غيره وان غيره تعالى لا يقدر على ايصال
النفع ودفع الضرر فان الشرك ظلم والمشرك من الظالمين **وقال تعالى** ولقد بعثنا في كل امة
رسولا ان اعبدوا الله وحده لا شريك له واجتنبوا الطاغوت اي اتركوا كل معبود دون الله كالشيطان
والكاهن والصنم وكل من دعى الى الضلال كائنا من كان وفي اي مكان وزمان كان وفي هذه الاية التصريح
بان الله امر جميع عباده بعبادته واجتناب عبادة الشيطان واطاعة كل من يدعو الى الضلال من نوع
الانسان **وقال تعالى** ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين هم قوم يعبدون النجوم وقيل
هم جنس من النصارى وليس ذلك بصحيح بل هم فرقة معروفة لا ترجع الى ملة من الملل المنتسبة الى
الانبياء والنصارى والمجوس هم الذين يعبدون النار ويقولون ان للعالم اصلين النور والظلمة
وقيل هم يعبدون الشمس والقمر وقيل هم يستعملون النجاسات وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوا

ولبسوا المسوح وقيل انهم اخذوا بعض دين اليهود وبعض دين النصارى والذين اشركوا الذين يعبدون الاصنام ان الله يفصل بينهم يوم القيامة الفصل هو ان يميز المحق من المبطل بعلامة يعرف بها كل واحد منهما **وقال تعالى** واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت وقد رفع البيت الى السماء ايام الطوفان فاعلم الله ابراهيم مكانه بريح ارسلها فكنست مكان البيت فبناه على اسه القديم الا تشرك بي شيئا اي اوحينا اليه ان لا تعبد غيري قال المبرد كانه قيل له وحدني في هذا البيت وقيل خطاب لنبينا صلى الله عليه واله وسلم وهذا ضعيف جدا **وقال سبحانه** يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله هم الاصنام التي كانت حول الكعبة وغيرها وقيل المراد بهم السادة الذين صرفوهم عن طاعة الله لكونهم اهل الحل والعقد فيهم وقيل الشياطين الذين حملوهم على معصية الله والاول اوفق بالمقام واظهر في التمثيل ويصح العموم لن يخلقوا ذبابا لن لتاكيد النفي في المستقبل وتاكيده هنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل وتخصيص الذباب لمهانته واستقذاره مع كونه صغير الجسم حقير الذات وهو اجهل الحيوانات لانه يرمي نفسه في المهلكات ولو اجتمعوا له اي ان اجتمعت الاصنام فهي لا تقدر على خلق ذبابة على ضعفها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودة وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه اي ان اخذ واختطف منهم هذا الخلق الاقل الارذل شيئا من الاشياء بسرعة لا يقدرون على تخليصه منه لكمال عجزهم وفرط ضعفهم واذا عجزوا عن هذا فهم عن غيره مما هو اكبر منه جرما واشد منه قوة اعجز واضعف ضعف الطالب والمطلوب الصنم كالطالب من حيث انه يطلب خلق الذباب او يطلب استنقاذ ما سلبه منه والمطلوب الذباب وهذا كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف فان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذلك مغلوب وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب الصنم وقال ابن عباس الطالب الصنم والمطلوب الذباب ثم بين سبحانه ان المشركين الذين عبدوا من دون الله آلهة عاجزة الى هذه الغاية في العجز ما عرفوا الله حق معرفته فقال ما قدروا الله حق قدره حيث جعلوا هذه الاصنام شركاء له مع كون حالها هذا الحال ان الله لقوي عزيز لا يغالبه احد بخلاف الهة المشركين فانها جماد لا يعقل ولا ينفع ولا يضر ولا يقدر على شيء **وقال تعالى** الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك يعني ان الغالب ان المائل الى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والزانية لا يرغب فيها الصلحاء قال ابن عباس ليس هذا بالنكاح ولكن

النكاح لا يرى بهما حين تزني الاعراب ان مشرك وحرم ذلك على المؤمنين اي الزنا او نكاح الزواني لما فيه
من التشبه بالفسقة والتعرض للتهمة والطعن في النسب وسوء المقالة وغير ذلك من المفاسد
ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب والمشركات بالله
على المؤمن ان لا يحمل نفسه تحت هذه الآية ويتحقق عنها وفي الآية اشارة الى ذم الشرك والى ان اهله
لا ينبغي التناكح معهم والمصاهرة معهم **وقال تعالى** في حق الصحابة الذين هم سلف هذه الامة وائمتها
يعبدونني لا يشركون بي شيئا اي غير مشركين بي في العبادة شيئا من الاشياء وقيل معناه لا يراؤن بعبادتي
لان المراد الرياء شرك وقيل لا يخافون احدا غيري قاله ابن عباس وقيل لا يحبون غيري ولا مانع من الحمل على
الجميع **وقال تعالى** وادع الى ربك اي الى الله والى توحيده والعمل بفرائضه واجتناب معاصيه
ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون
في جميع امور الكون الدنيا وعند البعث ليجزي المحسن باحسانه والمسيء باساءته لا الى غيره سبحانه وتعالى
وقال تعالى وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم اي ان طلبا والداك منك ان تشرك بالله
في شيء من الاشياء والزماك ان تشرك بي الها ليس لك علم بكونه الها فلا تطعهما في الاشراك واذا ارتفع
طاعة الابوين في هذا المطلب مع المجاهدة منهما له فعدم جوازها مع مجرد الطلب بدون مجاهدة منهما اولى
والحق بطلب الشرك منهما سائر معاصي الله لقوله صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق و
قال تعالى ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون قال الفراء والزجاج المبلس الساكت المنقطع في حجته الذي
أيس ان يهتدي اليها ولم يكن لهم اي للمشركين من شركائهم الذين عبدوهم من دون الله واشركوهم وهم
الاصنام شفعاء لهم يشفعون فيهم ليجيروهم من عذاب الله وكانوا في ذلك الوقت بشركائهم اي بالهتهم الذين
جعلوهم شركاء لله كافرين اي جاحدين لكونهم آلهة لانهم علموا اذ ذاك انهم لا ينفعون ولا يضرون **وقال
تعالى** واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين بالله اي ممن يشرك به غيره في العبادة **وقال تعالى**
ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون لتعيين احوالهم وما صاروا اليه من الامر ان
توحيدهم الله سبحانه عند نزول الشدة والرجوع الى الشرك عند رفع ذلك عنهم **وقال سبحانه وتعالى**
واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم نهاه ان يقع منه اشراك في المستقبل
وبدأ في وعظه بنهيه عن الشرك لانه اهم من غيره وانما كان ظلما عظيما لانه تسوية بين من لا نعمة الا وهي منه

وبين من لا نعمة له اصلا **وقال تعالى** وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم اي لا علم لك بشركته ولا مفهوم لهذا القيد اذ ليس لله شريك يعلم لانه مستحيل فلا تطعهما وجملة هذا الباب ان طاعة الابوين لا تراعى في ركوب كبيرة ولا ترك فريضة على الاعيان وتلزم طاعتهما في المباحات **وقال تعالى** ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات فيه تعجيل لعذاب اهل النفاق والشرك وقبول لتوبة اهل الايمان وهذا ارشدك الى ذم الشرك وثناء التوحيد **وقال تعالى** قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله وهم الاصنام وغيرها اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ام اتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا اذ ذلك قولهم ان هذه الالهة تنفعهم وتقربهم الى الله وتشفع لهم عنده وقيل غير ذلك **وقال سبحانه وتعالى** ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك من الرسل الكرام لئن اشركت يا محمد صلى الله عليه وسلم فرضا ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين قال مقاتل اي اوحي اليك والى الانبياء قبلك بالتوحيد والتوحيد مقدر ثم قال لئن اشركت وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة وفي الاية من التخويف ما لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه لان هذا الخطاب اذا كان لسيد المرسلين وافضل النبيين ومن ارسله الله رحمة للعالمين فكيف بمن عداه من الناس اجمعين اذا وقع منهم الاشراك بالله رب العالمين قيل هذا خاص بالانبياء عليهم السلام لان الشرك منهم اعظم ذنبا من الشرك من غيرهم والاول اولى قال في فتح البيان هذه الاية مقيدة بالموت على الشرك كما في الاية الاخرى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم بل الله فاعبد في هذا رد على المشركين ووجه الرد ما يفيده التقديم من القصر وكن من الشاكرين لانعامه عليك بما هداك اليه من التوحيد والدعاء الى دينه **وقال تعالى** ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار فيه ان الشرك موجب لدخول النار وان التوحيد موصل الى النجاة **وقال تعالى** ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله وهي الاصنام والاوثان وغيرها قالوا ضلوا عنا اي ذهبوا وغابوا فقدناهم فلا نراهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا ليس هذا انكارا منهم لوجود الالهة الباطلة التي كانوا يعبدونها بل اعتراف منهم بان عبادتهم اياها كانت باطلة كذلك يضل الله الكافرين حيث عبدوا هذه الاصنام التي اوصلتهم الى النار **وقال تعالى** ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين

الله عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا فيه بيان ما
من اهل النفاق واهل الشرك من سخط الله وغضبه ولعنه وطرده وابعاده النار لهم وسوء مصيرهم وان ذلك
مرتب على الاشراك **وقال تعالى** قل انما ادعو ربي ولا اشرك به في العبادة احدا قل اني لا املك لكم
ضرا ولا رشدا لان الضار والنافع هو الله وحده لا شريك له ووقوع النكرتين في سياق النفي يعم كل ضر
وكل رشد في الدنيا والآخرة قل اني لن يجيرني من الله احد اي لا يدفع عني احد عذابه ان انزله بي كقول
صالح عليه السلام فمن ينصرني من الله ان عصيته وهذا بيان لعجزه عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عن
شؤون غيره ولن اجد من دونه ملتحدا اي ملجأ ومعدلا وحرزا الجأ اليه واحترز به وفي هذه الآية
دلالة واضحة على ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يملك لاحد نفعا ولا ضرا وانه لا ملجأ ولا ملتحد
الا الله وحده فما ظنك ايها الانسان بغيره من الاولياء والمعتقدين **وقال تعالى** ان الذين كفروا من
اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية المراد بخلودهم الخلود الابدي الذي
لا ينقطع دون المكث الطويل [illegible] بعض [illegible] وظاهر الآية العموم وان
المشركين [illegible] عظيم [illegible] احد **وقال تعالى** قل يا ايها الكافرون لا
اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم
ولي دين هذه السورة مكية وقيل مدنية وفي الحديث انها تعدل ربع القرآن اخرجه الترمذي
عن ابن عمر [illegible] انها براءة من الشرك اخرجه احمد واهل السنن عن نوفل بن معاوية مرفوعا وعن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا ادلكم على كلمة تنجيكم من الاشراك بالله تقرؤون قل
يا ايها الكافرون عند منامكم اخرجه ابو يعلى والطبراني وفي الباب روايات وسبب نزول هذه السورة
ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا الهه سنة فامره الله
ان يقول [illegible] والمعنى لا افعل في الحال ما تطلبون مني من عبادة ما تعبدون من الاصنام
[illegible] المعنى المقصود هو انه لا اعبد ما تعبدون من المعبود الآن العبادة ومعنى ولا انا عابد ما عبدتم
ولا انتم عابدون في المستقبل ما اطلب منكم من عبادة الهي قال ابن القيم في بدائع الفوائد اشتمال سورة
على النفي المحض فهذه خاصية هذه السورة العظيمة فانها سورة براءة من الشرك كما جاء في وصفها فمقصودها الا
هو البراءة المطلقة [illegible]

انها متضمنة للاثبات صريحا فقوله لا اعبد ما تعبدون براءة محضة ولا انتم عابدون ما اعبد اثبات
ان له معبودا يعبده وانهم بريئون من عبادته فتضمنت النفي والاثبات فطابقت قول امام الحنفاء

اني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وطابقت قول الفئة الموحدين واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله
ولهذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ بها وبقل هو الله احد في سنة الفجر وسنة المغرب فان هاتين
السورتين سورتا الاخلاص وقد اشتملتا على نوعي التوحيد الذي لا نجاة لعبد ولا فلاح الا بهما وهما توحيد
العلم والاعتقاد المتضمن تنزيه الله عما لا يليق به من الشرك والكفر والولد والوالد وانه اله واحد صمد
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد والثاني توحيد القصد والارادة وهو ان لا يعبد الا اياه فلا يشرك
به في عبادته سواه بل يكون وحده هو المعبود وهذه السورة مشتملة على هذا التوحيد انتهى قلت وكما قد
ختمت باب الآيات الدالة على التوحيد على سورة قل هو الله احد وسورة الناس كما سبق من الباب المشتمل
على الآيات الدالة على بيان الشرك وذمه قد ختمته على سورة قل يا ايها الكافرون فالحمد لله على تمام الامر
على الاخلاص توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية ونفي الشرك بالله فيهما اللهم احينا مسلمين وتوفنا مسلمين
واحشرنا في زمرة الموحدين المتبعين آمين والذي تحصل من هذه الآيات هو ان الايمان بان العبادة
حق الله تعالى على عباده وواجب عليهم وفرض لازب لانه منعم عليهم مجاز لهم بالارادة قال في حجة الله البالغة
ان من اعظم انواع البر ان يعتقد الانسان بجامع قلبه بحيث لا يحتمل نقيض هذا الاعتقاد عنده ان العبادة
حق الله تعالى على عباده وانهم مطالبون بالعبادة من الله تعالى بمنزلة سائر ما يطالب به ذوو الحقوق من
حقوقهم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله
قال معاذ الله ورسوله اعلم قال فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا
يشرك به شيئا وذلك لان من لم يعتقد ذلك الاعتقاد جازما واستراح الى ان يكون سدى مهملا لا يطالب بالعبادة ولا يؤاخذ
بها من جهة رب مريد مختار كان دهريا لا تنفع عبادته وان باشرها لم يجئ موقع من قلبه ولا تفتح بابا بينه وبين ربه وكانت عبادة
كسائر عاداته والاصل في ذلك انه قد ثبت في معارف الانبياء وورثتهم ان موطنا من مواطن الجبروت ذي ارادة وقضاء بمعنى الاجتماع
على فعل مع صحة الفعل والترك بالنظر الى هذا الموطن وان كانت المصلحة الكلية لا تنبعث ولا تتشبح الا
او جب وجوده او اوجب عدمه لا وجود للحالة المنتظرة بحسب ذلك ولا عبرة بقوم من الحكماء يزعمون
ان الارادة بهذا المعنى فقد حفظوا شيئا وغابت عنهم اشياء وهم محجوبون عن مشاهدة هذا الموطن محجوبون

بادلة الآفاق والانفس امتحانا بهم [illegible] لم يهتدوا الى موطن من الظل الاعظم من الملأ الاعلى تسميه
بالسماع الدائم بالجوهرة ومن المثل الاعلى ففي هذا الموطن يتمثل الحجاج على من استوجبه علوم الملأ الاعلى ومما
بعد ما كان مستوى الفعل والترك في هذا الموطن وأما الحجة عليهم فهي ان الواحد منا يعلم بداهة ان يده
وسائر العالم مثلا ومن في ذلك مرتبة واحدة يستوى بالنسبة اليه الفعل والترك بحسب هذه القضية
وبحسب هذه القوى المستخدمة في نفسه وان كان كل شيء بحسب المصلحة العقلانية اما واجب الفعل او واجب
الترك لكن بالنظر الى كل ما نسبه مستعد استعدادا خاصا بمنزلة من بادئ الصور وتنزل الصور على المواد
المستعدة لها كالاستقبال بحسب الرجاء خاصة دخل المكون فحادث بوجه من الوجوه ولعلك تقول هذا
حال يوجب الشرع بحسب المصلحة النوعية فكيف يكون في موطن من مواطن الحق فاقول حاشا ان يكون
علم وانما هي هذا الموطن انما الحال ان هاهنا ليس واجب اصلا وقد بينت الشرائع الالهية هذا الجهل
حتى اثبتت الايمان بالقدر بان ما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك وأما اذا
قيل نعم والله ولكنه بحسب هذا الموطن يبو ملجئ لا محالة كما انك اذا رأيت الفعل من البهائم يفعل الارادة
العلمية ورأيت الآلات تفعل افعال الاناسي فان حكمت بان هذه الافعال صادرة بحركة الحجر في
بوجه كذبت وان حكمت بانها صادرة من غير علة موجبة لها فلا المزاج الجبلي يوجب هذه الهيئات ولا المزاج
الاموي يوجب ذلك كذبت وان حكمت بان الارادة المنبثة في اعضائها الحقيقي هو انها وحتمت عليه وانها لا بد
تعدانا اسعد لا يناكان لنفس وراء ذلك مرمى فقد كذبت تلك الحق اليقين امر بين الامرين وهو ان الاختيار
معلول لا يتخلف عن علته والفعل المراد موجب العلل ولا يمكن ان لا يكون ولكن هذا الاختيار من شأنه ان يتحير
دلنظر الى نفسه ولا ينظر الى ما فوقه ذلك فان اسمح هذا الموطن ويطلب احد ان يعني ان الفعل والترك
كانا مستويين وانا حين الفعل يكون الاختيار علة لفعله صدقت وبرزت بلحوقت الشرائع الالهية هي
هذه الارادة المنسوبة في هذا الموطن وبالجملة فقد ثبتت ارادة يفرد تعلقها وثبتت المجازاة في الدنيا
والآخرة وثبت ان هذا العالم الردي العالم باشياء سريه يستكمل بها المعنى انها كان الامر مستها بان السيد
استحكم عبده وطلب منهم ذلك ونهى عمن حذوه وسخط على من لم يعذرهم ونزلت الشرائع الالهية بصورة
العاملة لما ذكرنا ان الشرائع تنزل في الصفات وغيرها مما ليس هنالك الصعود ولا ان يتحقق معنا الا بت
حقيقة لغوية او مجازا استعارة فالحكمة الشرائع الالهية هذه المعرفة الغامضة من نفوسهم متلائما معالما

مسلمة عندهم جارية مجرى المشهورات البديهية بينهم احدها انه تعالى منعم وشكر المنعم واجب فالعبادة شكر له على نعمه والثاني انه يجازى المعرضين عنه التاركين لعبادته فى الدنيا اشد الجزاء والثالث انه يجازى فى الآخرة المطيعين والعاصين فانبسطت من هنالك ثلاثة علوم علم التذكير بآلاء الله وعلم التذكير بايام الله وعلم التذكير بالمعاد فنزل القرآن العظيم شرحا لهذه العلوم وانما عظمت العناية بشرح هذه العلوم لان الانسان خلق في اصل فطرته ميل الى بارئه جل مجده وذلك الميل امر دقيق لا يتشبح الا بخليقته ومظنته وخليقته ومظنته على ما اثبته الوجدان الصحيح الايمان بان العبادة حق الله تعالى على عباده لانه منعم عليهم مجازٍ على اعمالهم فمن انكر الارادة او ثبوت حقه على العباد او انكر المجازاة فهو الدهرى الفاقد سلامة فطرته لانه افسد على نفسه مظنة الميل الفطرى المودع في جبلته وتأشبه وخليقته والماخوذ مكانه وان شئت ان تعلم حقيقة هذا الميل فاعلم ان في روح الانسان لطيفة نورانية تميل بطبعها الى الله عز وجل ميل الحديد الى المغناطيس هذا امر مدرك بالوجدان فكل من امعن فى الفحص عن لطائف نفسه وعرف كل لطيفة بحيالها لا بد ان يدرك هذه اللطيفة النورانية ويدرك ميلها بطبعها الى الله تعالى ويسمى ذلك الميل عند اهل الوجدان بالمحبة الذاتية مثله كمثل سائر الوجدانيات لا يقتنص بالبراهين كجوع هذا الجائع وعطش هذا العطشان فاذا كان الانسان في غاشية من احكام لطائفه السفلية كان بمنزلة من استعمل مخدرا في جسده فلم يحس بالحرارة والبرودة فاذا هدأت لطائفه السفلية عن المزاحمة اما بموت اضطراري يوجب تناثر كثير من اجزاء نسمته ونقصان كثير من حواسها وقواها او بموت اختيارى وتمسك حيل نجيبة من الرياضات النفسانية والبدنية كان كمن زال المخدر عنه فادرك ما كان عنده وهو لا يشعر فاذا مات الانسان وهو غير مقبل على الله تعالى فان كان عدم اقباله جهلا بسيطا وفقدا ساذجا فهو شقى بحسب الكمال النوعى وقد ينكشف عليه بعض ما هنالك ولا يتم الانكشاف لفقد استعداده فيبقى حائرا مبهوتا وان كان ذلك مع قيام هيئة مضادة في قواه العلمية او العملية كان فيه تجاذب فانجذبت النفس الناطقة الى صقع الجبروت والنسمة بما كسبت من الهيئة المضادة الى السفل فكانت فيه وحشة ساطعة من جذر النفس منبسطة على جوهرها وربما اوجب ذلك تمثل وقائع هي اشباح الوحشة كما يرى الصفراوي فى منامه النيران والشعل وهذا اصل توجيه حكمة معرفة النفس وكان ايضا فيه لتحقيق غضب من الملأ الاعلى يوجب الهامات في قلوب الملائكة وغيرها من ذوات الاختيار ان تعذبه وتؤلمه

وهذا الاصل توجيه معرفة اسباب الخطرات والدواعي الناشئة في نفوس بني آدم وبالجملة فالميل الى
صقع الجبروت ووجوب العمل بما يليق به وتأثره من مزاحمة اللطائف السفلية والمؤاخذة على ترك هذا
العمل بمنزلة احكام الصورة النوعية وقواها وآثارها الناشئة في كل فرد من افراد النوع من بارئ الصور
ومفيض الوجود وفق المصلحة الكلية لا باصطلاح البشر والتزامهم على انفسهم وجريان رسومهم بذلك
فقط وكل هذه الاعمال في الحقيقة حق هذه اللطيفة النورانية المنجذبة الى الله تعالى وتوفير مقتضاها
واصلاح عوجها ولما كان هذا المعنى دقيقا وهذه اللطيفة لا تدركها الا شرذمة قليلة وجب ان ينسب الحق
الى ما اليه مالت واياه قصدت ونحوه انتحت كان ذلك تعيينا لبعض قوى النفس التي مالت من جهته و
كان ذلك اختصارا ولتاحق هذه اللطيفة من جهة ميلها الى الله فنزلت الشرائع الالهية كاشفة
عن هذا السر بعبارة يفهمها الناس بعلومهم الفطرية ويعطيها سنة الله من انزال المعاني الدقيقة
في صور مناسبة لها بحسب النشأة المثالية كما يتلقى واحدنا في منامه معنى مجردا في صورة شيء يلازمه
في العادة او ظنا وسميت تقبيل العبادة حق الله تعالى على عباده وعلى هذا ينبغي ان يقاس حق القرآن
وحق الرسول وحق المولى وحق الوالدين وحق الارحام فكل ذلك حق نفسه على نفسه لتكمل كمالها ولا تقف
على نقصها او لكن نسب الحق الى من معه هذه المعاملة ومنه المطالبة فلا تكن من الواقفين على الظواهر
بل من المحققين للامر على ما هو عليه **واما حقيقة الشرك** فبيانها ان العبادة هي التذلل الاقصى
وكون تذلل اقصى من غيره لا يخلو اما ان يكون بالصورة مثل كون هذا قياما وذلك سجودا او بالنية بان
يبعث هذا الفعل تعظيم العباد لمولاهم وذلك تعظيم الرعية للملوك او التلامذة للاستاذ لا الثالث ثبت لما اولها
سجود التحية من الملائكة لآدم عليه السلام ومن اخوة يوسف ليوسف عليه السلام وان السجود على صورة
التعظيم وجب ان لا يكون التمييز الا بالنية لكن الامر الى الآن غير منقح اذ المولى مثلا يطلق على معان والمراد
ههنا المعبود لا محالة فقد اخذ في حد العبادة والتفسير ان التذلل يستدعي ملاحظة ضعف في الذليل وقوة
في الآخر وخسة في الذليل وشرف في الآخر وانقياد واخبات في الذليل وتسخير ونفاذ حكم للآخر وكان
اذا دخل في نفسه ادرك لا محالة انه يقر للقوة والشرف والتسخير وما اشبهها مما يعبر به عن الكمال فلا بد ان
تقر لنفسه ولم يشبهه بنفسه وقدر لمن هو متعال عن وصمة الحدوث والامكان بالكلية ولم ينتقل
اليه شيء من خصوصيات هذا التعالي فالعلم بالمغيبات يجعله على درجتين علم بروية وترتيب مقدمات

او حدس او منام او تلقي الهام مما يجد نفسه لا يباشر ذلك بالكلية وعلم ذاتي هو مقتضى ذات العالم لا يتلقاه
من غيره ولا يتجشم كسبه وكذلك يجعل التأثير والتدبير والتسخير اي لفظ قلت على درجتين بمعنى المباشرة
واستعمال الجوارح والقوى والاستعانة بالكيفيات المزاجية كالحرارة والبرودة وما اشبه ذلك مما يجد
نفسه مستعدة له استعدادا قريبا او بعيدا او بمعنى التكوين من غير كيفية جسمانية ولا مباشرة شيء وهو قوله
انما امرنا اذا اردنا شيئا ان نقول له كن فيكون وكذلك يجعل العظمة والشرف والقوة على درجتين احدهما
كعظمة الملك بالنسبة الى رعيته مما يرجع الى كثرة الاعوان وزيادة الطول او عظمة البطش والاستاذ بالنسبة
الى ضعيف البطش والتلميذ مما يجد نفسه يشارك العظم في اصل الشيء وثانيتهما ما لا يوجد الا في المتعالي جلاله
لا تَنِ في تفتيش هذا الحق تستيقن ان المعترف بانصرام سلسلة الامكان الى واجب لا يحتاج الى غيره يضطر
الى جعل هذه الصفات التي يتمادحون بها على درجتين درجة لما هنالك ودرجة لما يشبهه بنفسه ولما
كانت الالفاظ المستعملة في الدرجتين متقاربة فربما يحمل نصوص الشرائع الالهية على غير محلها وكثيرا ما يطلع
الانسان على ارصاد من بعض افراد الانسان او الملائكة او غيرهما يستبعده من ابناء جنسه فيشتبه عليه
الامر فيثبت له شرفا مقدسا وتسخيرا الهيا وليسوا في معرفة الدرجة المتعالية سواء فمنهم من يحيط بقوى الانوار
المحيطة الغالبة على المواليد ويعرفها من جنسه ومنهم من لا يستطيع ذلك وكل انسان مكلف بما عنده
من الاستطاعة وهذا تاويل ما حكاه الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم من نجاة مسرف على نفسه
امر اهله بحرقه وتذرية رماده حذرا من ان يبعثه الله ويقدر عليه فهذا الرجل استيقن بان الله متصف
بالقدرة التامة لكن القدرة انما هي في الممكنات لا في الممتنعات وكان يظن ان جمع الرماد المتفرق نصفه في البر
ونصفه في البحر ممتنع فلم يجعل ذلك نقصا فاخذ بقدر ما عنده من العلم ولم يجد كافرا كان التشبيه والاشراك
بالنجوم وبصالحي العباد الذين ظهر منهم خرق العوائد كالكشف واستجابة الدعاء متوارثا فيهم وكل نبي بعث
في قومه فانه لا بد ان يفهمهم حقيقة الاشراك ويميز كلا من الدرجتين ويخص الدرجة المقدسة في الواجب
وان تقاربت الالفاظ كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لطبيب انما انت رفيق والطبيب هو الله
وكما قال السيد هو الله يشير الى بعض المعاني دون بعض ثم لما انقرض الحواريون من اصحاب مجددي دينهم خلف من بعدهم
خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فحملوا الالفاظ المستعملة المشتبهة على غير محلها كما حملوا المحبوبية
والشفاعة التي اثبتها الله تعالى في قاطبة الشرائع لخواص البشر على غير محلها وكما حملوا صدور خرق العوائد

والاشراقات على اشغال العلم والتعبد الانعكاسية ان هذا الذي يرى منه الخوارق ذلك كله يرجع الى قوى نفسية او روحانية تفضل الله بها ولكن السر بها الا على وجه وليس من الايجاد والامور المختصة بالواجب شيء والمرض بعد المرض على اصناف منهم من نسي جلال الله تعالى بالكلية فجعل لا يعبد الا الشركاء ولا يرجع حاجته الا اليهم ولا يلتفت الى الله اصلا وان كان يعلم بالنظر البرهاني ان سلسلة الوجود تنتهي الى الله ومنهم من اعتقد ان الله هو السيد وهو المدبر لكنه قد يخلع على بعض عبيده لباس الشرف والتاله ويجعله متصرفا في بعض الامور الخاصة ويقبل شفاعته في عباده بمنزلة ملك الملوك يبعث على كل قطر ملكا ويقلده تدبير تلك المملكة فيما عدا الامور العظام فيطلق لسانه ان يسميهم عباد الله فسواهم وغيرهم بعد الحرمات الى تسميتهم ابناء الله ومحبوبي الله وسمى نفسه عبد اولئك كعبد المسيح وعبد العزى وهذا امرض جمهور اليهود والنصارى والمشركين وبعض الغلاة من منافقي دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم يومنا هذا ولما كان مبنى التشريع على اقامة المظنة مقام الاصل عين اشياء محسوسة هي مظان الاشراك فحكم بحرمة الاصنام والذبح لها والحلف باسمها وامثال ذلك وكان اول فتح هذا العلم علي ان رجع لي قوم يتحدثون لي باصحاب مني لامر الخير ندمه واطرأه شبهة في قلبي هل شدد في خطة الشرك وهل احاطت الخطيئة بانفسهم كما احاطت بعبدة الاوثان قلت لا احدهما فيهم لا يصدق على الله بان قبلة ولم يعطوا درجة تدل الاحد قيل لقد هديت الى السر فيه وشرح الله قلبي بهذا العلم وصرت على بصيرة من الامر وعرفت حقيقة التوحيد والاشراك وما نصبه الشرع مظان لها وعرفت ارتباط العبادة بالتدبير والله اعلم وحقيقة الشرك ان يعتقد انسان في بعض المعظمين من الناس ان الآثار العجيبة الصادرة منه انما صدرت لكونه متصفا بصفة من صفات الكمال مما لم يعهد في جنس الانسان بل يختص بالواجب جل مجده لا يوجد في غيره الا ان يخلع هو خلعة الالوهية على غيره او يفني غيره في ذاته ويبقى بذاته او نحو ذلك مما يظنه هذا المعتقد من انواع الخرافات كما ورد في الحديث ان المشركين كانوا يلبون بهذه الصيغة لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك فيتذلل عنده اقصى التذلل ويعامل معه معاملة العباد مع الله تعالى وهذا المعنى له اشباح وقوالب والشرع لا يبحث الا عن اشباحه وقوالبه التي اتى بها الناس بنية الشرك حتى صارت مظنة للشرك ولازمة له في العادة كسنة الشرع في اقامة العلل المستلزمة للمصالح والمفاسد مقامها ونحن نريد ان ننبهك على امور جعلها الله تعالى في الشريعة المحمدية على صاحبها الصلوات والتسليمات

مظنات للشرك فنهى عنها فمنها انهم كانوا يسجدون للاصنام والنجوم فجاء النبي عن السجدة لغير الله وقال
الله تعالى لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن والاشراك في السجدة كان متلازما للاشراك
في التدبير كما اومأنا اليه وليس الامر كما يظن بعض المتكلمين من ان توحيد العبادة حكم من احكام الله تعالى
مما يختلف باختلاف الاديان لا يطلب بدليل برهاني كيف ولو كان كذلك لم يلزمهم الله تعالى بتفرده
بالخلق والتدبير كما قال عز من قائل قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير الى آخر خمس آيات
بل الحق انهم اعترفوا بتوحيد الخالق وبتوحيد التدبير في الامور العظام وسلموا ان العبادة متلازمة معهما
لما اشرنا اليه في تحقيق معنى التوحيد فلذلك الزمهم الله بما الزمهم ولله الحجة البالغة ومنها انهم كانوا
يستعينون بغير الله في حوائجهم من شفاء المريض وغناء الفقير وينذرون لهم ويتوقعون انجاح مقاصدهم
بتلك النذور ويتلون اسماءهم رجاء بركتها فاوجب الله تعالى عليهم ان يقولوا في صلاتهم اياك نعبد واياك
نستعين وقال تعالى فلا تدعوا مع الله احدا وليس المراد من الدعاء العبادة كما قاله بعض المفسرين بل هو
الاستعانة لقوله تعالى بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون ومنها انهم كانوا يسمون بعض شركائهم بنات
الله وابناء الله فنهوا عن ذلك اشد النهي وقد شرحنا سره من قبل ومنها انهم كانوا يتخذون احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله بمعنى انهم كانوا يعتقدون ان ما احله هؤلاء حلال لا باس به في نفس الامر
وان ما حرمه هؤلاء حرام يؤاخذون به في نفس الامر ولما نزل قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم الآية
سأل عدي بن حاتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فقال كانوا يحلون لهم اشياء فيستحلونها
ويحرمون عليهم اشياء فيحرمونها وسر ذلك ان التحليل والتحريم عبارة عن تكوين نافذ في الملكوت ان الشيء الفلاني
يؤاخذ به او لا يؤاخذ به فيكون هذا التكوين سببا للمؤاخذة وتركها وهذا من صفات الله تعالى واما نسبة
التحليل والتحريم الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فبمعنى ان قوله امارة قطعية لتحليل الله وتحريمه واما نسبتهما
الى المجتهدين من امته فبمعنى روايتهم ذلك عن الشرع من نص الشارع او استنباط معنى من كلامه واعلم
ان الله تعالى اذا بعث رسولا وثبتت رسالته بالمعجزة واحل على لسانه بعض ما كان حراما عندهم ووجد بعض
الناس في نفسه انحجاما عنه وبقي في نفسه ميل الى حرمته لما وجد في ملته من تحريمه فهذا على وجهين ان كان
لتردد في ثبوت هذه الشريعة فهو كافر بالنبي وان كان لاعتقاد وقوع التحريم الاول تحريما لا يحتمل النسخ لاجل
انه تبارك وتعالى خلع على عبد خلعة الالوهية او صار فانيا في الله باقيا به فصار رضاه عن فعل او كراهيته

له مستوجبا للحرمة في ماله واهله فذلك مشرك بالله تعالى مثبت لغيره غضبا وسخطا مقدسين وقبولا وتقربا مقدسين ومنها انهم كانوا يتقربون الى الاصنام والنجوم بالذبح لاجلهم اما بالاهلال عند الذبح باسمائهم واما بالذبح على الانصاب المخصوصة لهم فنهوا عن ذلك ومنها انهم كانوا يسيبون السوائب والبحائر تقربا الى شركائهم فقال تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة الاية ومنها انهم كانوا يعتقدون في اناس ان اسماءهم مباركة معظمة وكانوا يعتقدون ان الحلف باسمائهم على الكذب يستوجب حرما في ماله واهله فلا يقدمون على ذلك فلذلك كانوا يستحلفون الخصوم باسماء الشركاء بزعمهم فنهوا عن ذلك وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حلف بغير الله فقد اشرك وقد فسره بعض المحدثين على معنى التغليظ والتهديد ولا اقول بذلك وانما المراد عندي اليمين المنعقدة واليمين الغموس باسم غير الله تعالى على اعتقاد ما ذكرنا ومنها الحج لغير الله تعالى وذلك ان يقصد مواضع متبركة مختصة بشركائهم يكون الحلول بها تقربا من هؤلاء فنهى الشرع عن ذلك وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ومنها انهم كانوا يسمون ابناءهم عبد العزى وعبد شمس ونحو ذلك فقال الله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها الاية وجاء في الحديث ان حواء سمت ولدها عبد الحارث وكان ذلك من وحي الشيطان وقد ثبت في احاديث لا تحصى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير اسماء اصحابه عبد العزى وعبد شمس ونحوهما الى عبد الله وعبد الرحمن وما اشبههما فهذه اشباح وقوالب للشرك في الشارع عنها لكونها قوالب له والله اعلم هذا آخر كلام الحجة البالغة وهذا الذي ذكره انما الشرك هو اصل الشرك فقط واما انواعه فهي كثيرة وكذلك مظانه التي دلت عليها ادلة الكتاب والسنة وتنصيص العلماء بالله وسيأتي جميع ذلك في هذا الكتاب بابا بابا واما قول صاحب الحجة ليس المراد من الدعاء العبادة بل هو الاستعانة فاقول ان الاستعانة ايضا نوع من العبادة وقد ثبت كون الدعاء هي العبادة بادلة صحيحة واضحة لا تحتمل تاويلا ولا توجيها كما سيأتي في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى والحاصل كما قال في رد الاشراك ان الاشراك الذي نزل الكتب الالهية لابطاله وبعث الانبياء لمحقه ليس مقصورا على ان يعتقد احد ان معبوده مماثل الرب تبارك وتعالى في وجوب الوجود او احاطة العلم بجميع الكائنات او الخالقية لاصول العالم كالسماء والارض او التصرف في جميع الممكنات فان هذا الاعتقاد ليس من شأن الانسان ان يتلوث به اللهم ان كان ممسوخا كفرعون وامثاله وليس لاحد ان يدعي بان الكتب الالهية انما انزلت والانبياء انما ارسلت وبعثت لاجل اصلاح امثال هؤلاء الممسوخين فقط كيف ومشركو العرب الذين سماهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم

مشركين وقاتلهم واراق دماءهم وسبى ذراريهم ونهب اموالهم لم يكونوا منكرين بهذا الاعتقاد بل

قوله تعالى قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون وامثال هذه الاية الكريمة كثيرة جدا بل معناه ان يشرك احدا ممن سوى الله معه تعالى فى الالوهية او الربوبية ومعنى الالوهية ان يعتقد فى حق احد انه بلغ فى الاتصاف بصفات الكمال من العلم المحيط او التصرف بمجرد القهر والارادة مبلغا جل عن المماثلة والمجانسة مع سائر المخلوقين وذلك بان يعتقد انه ما من امر يحدث سواء كان من قبيل الجواهر او الاعراض من الاقوال او الافعال او الاعتقاد او العزائم والارادات والنيات الا وهو ممتنع ان يغيب عن علمه وهو شاهد عليه او يعتقد انه يتصرف فى الاشياء بالقهر اى ليس تصرفه فيها من جملة الاسباب بل هو قاهر على الاسباب ومعنى الربوبية انه بلغ فى رجوع الحوائج واستحلال المشكلات واستدفاع البلايا بمجرد الارادة والقهر على الاسباب مبلغا استحق به غاية الخضوع والاستذلال اى ليس للتذلل لديه والخضوع عنده حد محدود فما من تذلل وخضوع الا وهو مستحسن بالنسبة اليه وهو مستحق له فتحقق ان الاشراك على نوعين اشراك فى العلم واشراك فى التصرف ويتفرع منهما الاشراك فى العبادات وذلك بانه اذا اعتقد فى احد ان علمه محيط او تصرفه قاهر فلابد انه يتذلل عنده ويفعل لديه افعال التعظيم والخضوع ويعظمه تعظيما لا يكون من جنس التعظيمات المتعارفة فيما بين الناس وهو المسمى بالعبادة ثم يتفرع عليه الاشراك فى العادات وذلك بانه اذا اعتقد ان معبوده عالم بالعلم المحيط متصرف بالتصرف القهرى لاجرم انه يعظمه فى اثناء مجارى عاداته بان يميز ما ينتسب اليه كاسمه وبيته ونذره وامثال ذلك من سائر الامور بتعظيم ما وقد رده الله تعالى فى محكم كتابه اولا وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم آخرا على جميع انواع الشرك من اصوله وفروعه وذرائعه وابوابه ومجمله ومفصله اما الرد الاجمالى فهو الايات والاحاديث الواردة فى الاجتناب عن الاشراك على الاطلاق واما الرد التفصيلى فهو الادلة الواردة فى رد الاشراك فى العلم وفى التصرف وفى العبادة وفى العادة وفى الاجتناب عن البدعة الى غير ذلك من الرسوم المخالفة بالايمان بالله وبالقدر وسياتى ذلك كله فى ابواب مستقلة ان شاء الله تعالى

باب فى ما يجب تقديم ذكره اجمالا على بيان رد الاشراك تفصيلا

اعلم ان البشر كلهم عبيد لله تعالى وشان العبد ان يعبد الله فمن لم يعبده لا يكون له عبدا فاصل العبادة تصحيح الايمان وتقوية الايقان وتحقيق الاذعان لان من تطرق الى ايمانه خلل او وقع فيه زلل فلا تقبل منه

عبادة اصلا ومن اين بالايمان الصحيح بقبول الصادق منه فعلى كل انسان ان يصحح ايمانه ويسعى بغاية
ويجتهد في ذلك امكانه ويقدمه على كل شيء وقد صار الناس في هذا الزمان في امر الدين على طرائق شتى
ومذاهب لا تحصى الى حد حتى ان منهم من الحد رسوم الاسلام بترها ومنهم من اعتمد قصص الاكابر وتقلدها
مترددا ومنهم من استبد في طريقه بالسبيل الذي استنبطه العلماء واخذه الاحبار من تلقاء نفوسهم بمكائد
شيطانهم ومنهم من يستبد بعقله ويحكم بفضله ولا ريب ان الافضل والاحرى من جميع هذه ان يجعل كلام الله
تعالى وكلام رسوله اصلا وبه يستبد وعليه يعتمد ولا يعطي لعقله دخلا فيه وكل ما وافق من قصص الاكابر
واقوال العلماء فما يقبله وما خالفهما فلا يلتفت به بل يرده كائنا ما كان واياما كان وكذلك كل بحث ودلائلهم
لا يوافق الاصلين يتركه واما قول العامة ان كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم يشكل
فهمه ويعسر فقهه وينبغي لدركه علم كثير وفضل غزير فانى لنا ان نفهم ذلك او ندرك فما مآل السالك
على ذلك الصراط انما هو شأن الاكابر الفحول وصنيع العلماء الذين لا يخفى عليهم ولا يدل ومن نحن حتى نسلك
هذا المسلك او ندخل في هذا المقام بل يكفينا تقليدهم والتمسك باقوالهم فهذا القول من هؤلاء الجهلة مما
القرآن العربي فان الله سبحانه وتعالى قال في محكم كتابه ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون
وهذا يدل على ان آيات الله واضحة وبراهينه باهرة ولا اشكال في شيء منها انما الاشكال في السلوك عليها لان
النفس يسوءها امتثال الاوامر وطاعة الآمرين فالفاسق يستكبر ويأباها ويتبع هواه واما كلام الله سبحانه وكلام
رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فلا حاجة في فهمه الى مزيد علم لان النبي انما جاء لهداية السفهاء وارشاد الطغاة
الحمقة الجهلاء وتعليم الذين لم يكن لهم علم اصلا كما قال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو
عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين فكان من نعم الله تعالى
على عباده ان ارسل اليهم رسولا ملهم العلم فاذهب عنهم الجهل وطهرهم من الادناس وجعل السفهاء منهم
الاكياس والحمقاء العقلاء والضالين الهداة المهتدين فمن سمع آية من الكتاب العزيز او حديثا من السنة
المطهرة وقال ان كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يفهمهما الا العالمون ولا يسلك
مسلكهما الا الكبراء الفاضلون فقد انكر هذه الآيات ولم يعرف قدر نعم الله بل الذي ينبغي ان يقال
ان الجاهلين يصيرون عالمين بفهم كلامهما والضالين يهتدون بالسلوك على صراطهما ومثال ذلك ان يكون
طبيب حاذق ويكون رجل كثير المرض شديد السقم فيقول رجل لهذا المريض اذهب الى الطبيب للعلاج

و استعليه تشتفى فيجيب المريض ان الذهاب اليه والتداوي منه انما هو فعل الاصحاء الكاملين وانا مريض شديد المرض لا يمكنني ذلك فهذا الرجل ما احمقه ينكر حكمة الحكيم ويابى طب الطبيب الحاذق ولم يدر ان الطبيب انما هو يعالج المرضى خاصة ومن كان لا يعالج الا الاصحاء ولا ينفع علاجه الا لهم ولا يكون للمرضى فائدة منه فليس هو بطبيب اصلا والحاصل ان الجاهل الشديد الجهل ينبغي له مزيد رغبة في فقه كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فان العاصي الشديد العصيان ينبغي له مزيد اجتهاد في سلوك سبيل الله وسبيل رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فعلى كل عام وخاص ان يحقق معاني كلامهما ويفهمهما ويسلك على مسلكهما ويوثق ايمانه بمدلولهما من النصوص والظواهر ولا يخاف في الله لومة لائم من الاكابر والاصاغر فان الايمان له جزءان احدهما ان يعتقد الاله الها والآخر ان يعتقد الرسول رسولا ولا يكون الاعتقاد بكون الاله الها الا بان لا يشرك به شيئا ولا يتحقق الاعتقاد بكون الرسول رسولا الا بان لا يسلك الا سبيله فالامر الاول يقال له التوحيد وخلافه يسمى شركا والامر الثاني يقال له اتباع السنة ويسمى خلافه بدعة فعلى كل احد ان يعض على التوحيد واتباع السنة بنواجذه ويجتنب الشرك والبدعة بمجامع قلبه فان هذين الشيئين يوقعان الخلل في الايمان وينقصان التصديق والاذعان بخلاف سائر المعاصي والآثام فان الاخلال منها انما هو في فروع الاعمال دون اصل الايمان وما احق من كمل في التوحيد واتباع السنة وتنزه من الشرك والبدعة واثرت صحبته في ذلك ان يتخذ شيخا واستاذا ومعلما كذلك وقد عم الشرك في الناس وعز التوحيد لا يفهم كثير من الناس معنى الشرك والتوحيد وهم يدعون الايمان ويقولون نحن مؤمنون مع انهم واقعون في شبكة الاشراك ومصيدته فلا بد من ان يعلم معنى الشرك والتوحيد ويحقق معناهما على وجه التحقيق دون التقليد فاعلم رحمك الله تعالى ان كثيرا من الناس يدعون الانبياء والائمة والشهداء والملائكة والصلحاء والجنيات في الشدائد والمشكلات ويطلبون منهم انجاح المرادات واسعاف الحاجات وينذرون لهم ويوجبون نذورهم عليهم وينسبون ابناءهم واولادهم اليهم لينجوا بهذا التدبير من البلايا والرزايا عنهم فمنهم من يسمي ولده عبد النبي وعلي بخش وحسين بخش وحسن بخش وپير بخش ومدار بخش وسالار بخش وعبد فلان وغلام فلان كغلام محي الدين وغلام معين الدين وغلام نقشبند بمعنى الغلام شاع بمعنى العبد ومنهم من يبقي فرعا على راسه باسم عظيم من العظماء ويستعمل خيطا له ويلبس على اسمه ثوبا او يجعل كبل الحديد في رجله ومنهم من يذبح على اسمهم حيوانا كالدجاج والبقرة والشاة ومنهم من يستغيث بهم عند الشدائد ويناديهم للاعانة بقوله واغوثاه ونحوه

قيد ١٢

ومنهم من يطلع في اثر كلامه انه يجر الى عبودية الله من الاعمال الشركية [illegible] وتراه ان كل ما يفعله المشركون من السجود وغيره مع آلهتهم الباطلة من الاصنام وغيرها نعماه [illegible] المسلمون الآن مع الانبياء والاولياء والائمة والشهداء والملائكة والجن والصلحاء ومع هذا يعدون انفسهم في الاسلام سبحان الله وبحمده ومن ثم قال تعالى في سورة يوسف عليه السلام وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون يعني اكثر من يدعي الايمان اسير في الشرك واذا قيل لهم اتركوا عبادة الانبياء وتعظيم امثال الشرك فكيف تجعلون هذه السبيل سبيلا واحدا قالوا نحن لا نشرك انما نطلب [illegible] حاجة الانبياء والاولياء لانا لسنا من الاولياء والانبياء والشهداء والصالحين عند الله تعالى لكنا مسرين [illegible] ولكنا لا نعتقد مساواتهم مع الله سبحانه بل نعتقد انهم عبيد الله ومخلوقه وقدرة التصرف عندهم اعطاها الله تعالى اياهم فيتصرفون في العالم برضائه ودعاؤنا اياهم عين دعاء الله والاستعانة بهم عين الاستعانة به تعالى [illegible] بتعلق ما يشاؤن وهم شفعاؤنا ووكلاؤنا عند الله [illegible] الله في جاههم وحظه في حرم ويحصل لنا من دعائهم التقرب الى الله تعالى وكلما دعوناهم قربنا الله سبحانه اليه ذلك من الخرافات والهذيانات والسبب في هذه ان هؤلاء المشركين المدعين للايمان تركوا كلام الله تعالى وكلام رسوله لخبثهم وتمسكوا بالعقل وادخلوه في الدين واتبعوا القصص المختلقة والحكايات المشتملة على الصالحين واستندوا بالرسوم الشنيعة والمراسم القطيعة ولو فهموا كلام الله وكلام رسوله لم يتفوهوا بمثل هذه الخرافات ولم يأتوا الى الجواب [illegible] وكان الكفار يقولون مثل هذه الاقوال بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصادق لكن الله لم يقبل من مقالاتهم الا الاباطيل بل رد عليهم وكذبهم في مقالاتهم [illegible] كما قال في سورة يونس عليه السلام ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون يعني الذين [illegible] ويعتقدون انه لم يعطهم الله قدرة على الضر ولا على النفع وانما هم شفعاؤهم عند الله فلم يقل الله هذا انظر اتنبئون الله بما لا يعلم ومقتضى هذه الآية انه ليس في السموات والارض شفيع يشفع [illegible] ويتكلم على الشفيع [illegible] الاولياء والشفعاء الله سبحانه [illegible] لا يملكون شيئا [illegible] من دعى [illegible] وقال تعالى في سورة الزمر والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم

بينهم في ما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار يعني كان الامر الحق ان الله اقرب الى عبده من كل شيء فتركوا هذا الامر واختلقوا خرجاة لهم وستروا مرآتيه سبحانه وكان من نعم الله انه بفضله وصلاته يعطي المرادات ويقضي الحاجات ويدفع البليات فلم يعرفوا هذا الحق به ولم يشكروا الله على ذلك بل طلبوا هذا من غير الله وابتغوا قربه في هذا السبيل العوج فلا يصل بهم الله ابدا ولا يحصل لهم قربه ومتى سلكوا هذا السبيل بعدوا من الله والآية دلت على ان من اتخذ احدا حاميا له واعتقد انه ينفعه او يضره من دون ارادة الله سبحانه وعلم ان بحمايته يحصل التقرب منه تعالى فهو مشرك كاذب كفار لنعم الله قال تعالى في سورة المؤمنين قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون يعني اذا سألت عن الكفار لمن التصرف في العالم على وجه لا يقابله حاكم فانهم يقولون ان هذا الشأن هو لله فمن اين يتخبطون والآية افادت ان الله لم يعط احدا القدرة التصرف في العالم ولا يقدر احد على ان يحمي احدا دونه وفيها ان كفار زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكونوا يعتقدون ان اصنامهم مساوون لله بل يعتقدون ان كل ما سوى الله مخلوق له وعبيد له ولم يكونوا يثبتون لاحد قوة وتصرفا وطاقة في مقابلته سبحانه ولم يكن شركهم الا هذا الدعاء والنذر واعتقاد الوكالة والشفاعة فيهم فكان ذلك كفرهم وشركهم الذي رده عليهم في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فمن عامل احدا هذه المعاملة وان اعتقده عبدا او مخلوقا له تعالى فهو وابو جهل اللعين سواء في الشرك وليس الشرك موقوفا على ان يسوي احدا به ويجعله مقابلا له تعالى بل معنى الشرك ان الاشياء المختصة به تعالى التي جعلها امارة العبودية ودلالة على عبديته يفعله لغير الله كالسجدة والذبح والنذر والدعاء عند الشدة وانه حاضر ناظر وانه قادر وانه متصرف فمن اعتقد هذا في غيره تعالى فقد صار مشركا وثبت منه الشرك وان كان هذا الغير اصغر من الله ومخلوقه وعبده ولا فرق في هذا الامر يعني الشرك بين الانبياء والاولياء والجن والشياطين فاي شيء يعامل به هذه المعاملة انبياء كان او شيخا او شهيدا او الجنيات او الشياطين يكون مشركا ويصير فاعله مشركا كيف وقد رد الله على اليهود والنصارى كما رد على عابدي الاصنام لانهم كانوا يعاملون هذه المعاملة مع الانبياء والاولياء كما قال سبحانه في سورة براءة اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يعني انهم اتخذوا الله مالكا كبيرا وسواه مالكون آخرون صغيرون وهم الاحبار والرهبان اي العلماء

والمشائخ مع ان الله لم يكن لهم بهذا او ثبت الشرك عليهم بهذا الاعتقاد وهو مع انه وحده مالك لا شريك له صغيرا كان او مثيلا بل جميع الاكابر والاصاغر عبيد له عاجزون سواسية في العجز وعدم القدرة والتصرف في المملكة نعم مثل ذلك في سورة مريم عليها السلام ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا ۝ لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا وهذا يدل على ان احدا من الملائكة والبشر لا تزيد مرتبته على العبدية والرقية والمملوكية وكلهم عاجزون في قبضته ليس لهم قدرة اصلا وكل واحد منهم لا يأتيه فردا فردا لا يكون له احد عنده وكيلا ولا حاميا ولا شفيعا والآيات في هذا الباب في الكتاب العزيز كثيرة جدا فمن فهم معنى هذه الآيات العديدة التي ذكرناها فهم معنى الشرك وعلم مضمون التوحيد ولا بد في هذا الموضع من العلم بأن اي اشياء خصها الله تعالى لنفسه واستأثرها ولا ينبغي ان يشرك به فيها وهذه الاشياء كثيرة نذكر منها عدة يسيرة دل عليها الكتاب ونطقت بها الاحاديث فقس عليها الباقي فالشيء الاول ان يكون حاضرا ناظرا في كل مكان ويكون عالما بكل شيء في كل شان سواء كان ظاهرا او خفيا محسوسا او باطنا في ظلمة او نور في السموات او في الارض على قلل الجبال او في قعر البحار وهذا شان الله تعالى ليس لاحد هذا الشان فمن يذكر اسم احد عند القيام او القعود ويدعوه من قرب او بعد ويهتف به عند الشدائد وحلول البلايا وخوف الرزايا ويستعين باسمه في الحرب بالاعداء ويجعل اسمه وظيفة له او شغلا يشتغل به ويتصور صورته في حاسة خياله ويعتقد انه كلما اذكر اسمه بلساني او بقلبي او اتصور صورته او صورة قبره يطلع على ذلك ويعلمه ولا يخفى عليه شيء من اموري وكل ما يطرأ علي من الاحوال كالمرض والعافية والعسر واليسر والحياة والممات والاتراح والافراح فهو يعلمه ويسمع كل ما يصدر من الكلام من لساني او يخطر بالبال ويمر بالخيال فهو واقف على ذلك كله فهذا الاعتقاد شرك ويصير به صاحبه مشركا ويقال لهذا الاشراك في العلم لانه في ذلك اثبات العلم لغير الله كثبوته له تعالى فمن اعتقد هذا الاعتقاد لاحد صار مشركا سواء كانت هذه العقيدة في الانبياء او الاولياء او في المشائخ والشهداء او في الائمة او في اخلافهم او في الجن والشياطين وسواء يعتقد ان هذا الامر حاصل لهم من ذاتهم او من اعطاء الله لهم فالشرك ثابت بهذه العقيدة على كل حال الشيء الثاني ان التصرف في العالم بمحض الارادة اي من دون اسباب عادية كتصرفه تعالى بلفظ كن والقضاء بكل شيء والاحياء والاماتة وتوسعة الرزق وتقتيره والصحة والمرض والفتح والهزيمة والاقبال والادبار وانجاح المرام وقضاء الحوائج

ودفع البليات والاعانة في المشكلات والاغاثة عند حلول الآفات وفي اوقات المكروهات كل ذلك شأن الله تعالى ليس هذا الشأن لاحد من الاولياء والانبياء والمشائخ والشهداء والجن والشياطين والملائكة فمن اثبت مثل هذا التصرف لاحد غير الله ويطلب منه المرادات وينذر له على هذا التوقع ويوجب على نفسه النذر ويدعوهم عند المصائب والمصاعب فهو مشرك بالله الذي لا اله الا هو ولا حكم الا له وحده لا شريك له ويقال لهذا **الاشراك في التصرف** اي اثبات التصرف لغير الله كاثباته لله تعالى سواء اعتقد ان قدرة هذا التصرف حصلت له بنفسه او اعطاه الله اياها فالشرك ثابت على كل حال

والشيء الثالث ان الله تعالى خص بعض الامور التعظيمية لذاته المقدسة ويقال لها العبادات كالسجدة والركوع والقيام بوضع اليدين بين يديه وانفاق المال على اسمه والصيام له والاتيان الى بيته الحرام من كل فج عميق والسفر اليه على هيئة يعلم منها كل من رآهم ان هؤلاء زائرون له يلبون باسمه في طريق السفر مع الاجتناب فيها عن الرفث والفسوق والجدال والصيد ونحوها فاذا وصلوا مع هذه القيود الى بيته العتيق طافوا به وسجدوا اليه وبعثوا الهدي وسألوا عنده الحاجات والبسوه اللحاف والسرادق وقاموا عند باب الكعبة ودعوا الله والتجأوا اليه وطلبوا منه سبحانه حوائج الدارين وقبلوا الحجر الاسود والتزموا جدار الملتزم بالخد والصدر وتمسكوا بسرادقه داعين لله وايقاد السرج حواليه وتقديم الخدمة لديه بالمجاورة والاشتغال بقم المسجد الحرام وتمهيد الفرش في فنائه وسقاء الماء واعانة المسلمين على الوضوء والغسل باعداد اسبابه والتبرك بماء زمزمه واهدائه لاقاربه واحبابه من الحاضرين والغائبين ورجعة القهقرى عند الانصراف منه والتادب في صحراواته التي هي حواليه بعدم الاصطياد وعدم عضد الاشجار وقلع الكلأ الذي هنالك وقمعه وايحاش الحيوانات منها ونحو ذلك فان هذه الامور كلها جعلها الله تعالى عبادة مختصة به لعباده في الارض وكلفهم بها فمن فعل شيئا من هذه لاحد غير الله شيخا كان او انبياء او جنيات او شياطين او حيًّا وخبائث او بقبر صادق لاحد من اكابر الدين او ضريح كاذب او محل اربعين لاحد منهما او مكان له او معلق او يتبرك بآثاره او بعلم له او يسجد لمدفع او يركع او يصوم لاحد او يضع يديه بين يديه او يقوم له او يذهب الى امكنة لم يأذن الشرع بالسفر اليها فيقصدها او يلبس قبره ثوبا او ينصب له نصبا او يقبل مرقد الميت صالحا او طالحا او يسيب له سوائب او يذبح له حيوانا او يوقد هناك سرجا او يذب عنه بالمذبة او يلحف باللحاف او يلقي على قبره بردة او ينصب عليه مظلة او يرجع القهقرى عند الرخصة والانصراف من عنده

تمان ۱۲

مورچهل ۱۲

او جعل له قضيبا او يقبل حائطه واسكفته او يلتمس حاجته قائما امام بابه عنده او يجاوره بالعكوف في
مقبرته او يتادب بتحلي الى عمرانه وصيد اموره وقيامه وقيافته ونحو ذلك من الامور فالشرك يثبت عليه بهذا
ويقال له الاشراك في العبادة لان فيه تعظيم غير الله تعالى كتعظيمه سبحانه سواء اعتقد انهم لا يقوون
بهذه العظمة بانفسهم او ان الله تعالى يفرح بهذا التعظيم لهم ويكشف الضر ويدفع البلاء ويسهل المشكل
عليهم ببركة هذا الفعل بهم فالشرك ثابت على كل حال والنوع الرابع ان الله تعالى امر عباده ويكلفهم بان
يذكروه سبحانه في جميع امورهم الدنياوية ولا ينسوه ابدا ويعظموه دائما ليصلح ايمانهم ولا يدخله الشرك
وتحصل البركة في امورهم ويحل بذلك مشاكلهم وتنحل مصاعبهم في الاوقات المعضلة والحالات
الصعبة كالنذر له سبحانه ودعائه عند حلول البلية والبداية باسمه التشريف عند فعل كل فعل ذي اهمية
في كل امر ذي بال واذا ولد لاحد ذكر او انثى يذبح حيوانا على اسمه تعالى ويسميه عبد الله او عبد الرحمن
او خدا بخش او الله ديا او امة الله او الله دي ويجعل من الحرث والبستان شيئا له وكذا في تقطيعة الغنم
ومن الانعام وبعث الهدي الى بيته الحرام والائتمار بامره والانتهاء بنهيه في الماكل والمشارب والمناكح
والمساكن والمراكب وفي كل شيء فما امر به ياتي به وما نهى عنه ينتهي عنه ما استطاع وكل ما يحدث من
الخصب والجدب والصحة والسقم والعافية والمرض والفتح والهزيمة والاقبال والادبار والراحة والغم
والفرح والترح والعسر واليسر والثروة والحاجة ونقص الانفس والثمرات وحياة الاولاد ومماتهم فكلها
من الله تعالى وبارادته ومشيئته وقدره وقضائه ليس شيء من هذه بيد احد غيره كائنا من كان وفي اي
مكان كان وفي اي رتبة من مراتب الصلاح والتقوى او الفسوق والفجور فاذا اراد ان يفعل شيئا
فليقل ان شاء الله تعالى ليقدم ذكر ارادته تعالى على ارادة نفسه كيف وقد قال تعالى وما تشاؤن الا
ان يشاء الله فيقول عند ارادة شيء من الاشياء ان شاء الله افعل كذا او اعمل كذا او اصنع كذا او يسميه
على وجه يظهر منه تعظيم اسمه وذكره تعالى شانه ويفهم منه مالكيته وعبودية هذا القائل بذلك
كقوله ان شاء ربنا ومالكنا وخالقنا ورازقنا واذا حلف فليحلف به سبحانه لا بغيره لان من حلف بغير
الله فقد اشرك فمثل هذه الامور جعلها الله تعالى لتعظيمه واجلاله وتكريمه خاصة له فمن صنع هذا
باحد من الانبياء او الاولياء او الائمة والشهداء او الجن والطواغيت والشياطين والخبث والخبائث
كان ينذر لهم متوسلا عند الاشكال واعضال الحال او يغوث باسمه في شدائد الامور او يذبح على

نفسه النذر له عند ولادة الاولاد او يسميها بعبد النبي وعبد الرسول او عبد الحسن او عبد الحسين او امام بخش او پير بخش او يجعل شيئاً من حرثه وبستانه لهم او يقدم نصيبهم من الحرث والفواكه قبل الحصاد والجنى ثم يبذله في حاجته او يجعل شركا لهم في قطائع الاغنام والانعام ويسيبها على اسمائهم ويتأدب معها ولا يدفعها من الماء والحبوب ولا يضربها لا بالحجر ولا بالمدر ولا بالخشب ولا بالعصا او يستدل في المآكل والمشارب والملابس بالرسوم الواهية المنقولة عن الآباء والاجداد والاقارب والعشائر والشيوخ والاساتذة والعلماء الجامدين على تقليد الاسلاف ويقول لا يجوز لفلان اكل الطعام الفلاني وكذا الثوب الفلاني واللباس الفلاني كما يقال لا ياكل من القصعة التي هي على اسم حضرة الخاتون يعني فاطمة الزهراء رضي الله عنها الرجال ولا الاماء ولا المرأة التي نكحت ثانية ولا ياكل زاد شاه عبد الحق من يستعمل القليان وكل ما يعتري من الخير والشر في هذه الدنيا ينسبه اليهم فيقول جن فلان بلعنة الشيخ الفلاني و احتاج فلان لطرد الشيخ الفلاني وبلغ العلى فلان بعناية الشيخ الفلاني وحصل الفتح وجاء الاقبال بافضال الولي الفلاني وكان القحط من نوء كذا وكذا او كان الامر الفلاني بسبب الكوكب الفلاني وبتاثيره ولم يحصل الحاجة الفلانية لانها شرعت في ساعة كذا او وقت كذا او يقول ان شاء الله وشاء الرسول يكون كذا او ان شاء الشيخ الفلاني او الولي الفلاني يكون هذا الامر وان لم يشأ لا يكون او يقول في محاورته يا مالك الملك او يا ملك الملوك او يا رازق او ما في معنى هذا من الفاظ اللغة الفارسية والهندية كخداوند خدايگان وشاهنشاه وان داتا ومهاراج او يحلف عند الحاجة باسم نبي او ولي او ملك او سلطان او امام او شيخ او استاذ او باسم الوالد والجد او براس احد او بقبره ونحو ذلك فهذا كله شرك ويقال له **الاشراك في العادات** يعني يعظم غيره تعالى في مجاري عاداته ومجاري حالاته ومطاوي خطاباته تعظيمه تعالى فهذه الانواع الاربعة للشرك ورد الكتاب العزيز والسنة المطهرة بردها وسياتي ذكرها في ابواب مستقلة قال المقريزي في تجريد التوحيد المفيد الشرك به تعالى في الافعال كالسجود لغيره سبحانه والطواف بغير بيته المحرم وحلق الراس عبودية وخضوعا لغيره وتقبيل الاحجار غير الحجر الاسود الذي هو يمينه تعالى في الارض او تقبيل القبور واستلامها والسجود لها وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم من اتخذ قبور الانبياء والصالحين مساجد يصلي فيها فكيف من اتخذ القبور اوثانا تعبد من دون الله فهذا لم يعلم معنى قول الله تعالى اياك نعبد وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا

قبور انبيائهم مساجد وقوله ايضا عنه ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم احياء والذين يتخذون
القبور مساجد وفيه ايضا عنه الا من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد اني
انهاكم عن ذلك وفي مسند الامام احمد وصحيح ابن حبان عنه صلى الله عليه وآله وسلم لعن الله زوارات
القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج وقال اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال
ان من كان قبلكم كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اولئك
شرار الخلق عند الله والناس في هذه الايام اعني في هذه المائة الثالثة عشر قوم يردون الموتى يدعون لهم
وهذه من زيارة الشرعية وقوم يردونهم ليعبدوهم وهؤلاء شر المشركين في الالوهية والعبادة وقوم
يردونهم يسألونهم نفعهم وهؤلاء هم المشركون في الربوبية ووجه نهي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
حامى جانب التوحيد لعظم خطره منتهيا الى قوله تعالى الا انه نهى حتى عن الصلوة في هذين الوقتين ذريعة الى
التشبه بعباد الشمس الذين يسجدون لها في هاتين الحالتين وسد الذريعة بان منع من الصلوة بعد العصر
والصبح لاتصال هذين الوقتين بالوقتين اللذين يسجد المشركون فيهما للشمس واما السجود لغير الله فقد
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد الا لله ولفظة لا ينبغي في كلام الله وكلام رسوله انما تستعمل
للذي هو في غاية الامتناع كقوله تعالى وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا وقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي
له وقوله تعالى وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وقوله تعالى وما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك اولياء
ومن الشرك بالله تعالى المنافي لقوله سبحانه اياك نعبد الشرك به في اللفظ كالحلف بغير الله كما رواه احمد
وابو داود عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من حلف بغير الله فقد اشرك صححه الحاكم وابن حبان قال
ابن حبان اخبرنا الحسن بن سفيان ثنا عبد الله بن عمر الجعفي ثنا عبد الرحمن بن سليمان عن الحسن بن عبيد الله
النخعي عن سعد بن عبيدة قال كنت عند ابن عمر رضي الله عنهما فحلف رجل بالكعبة فقال ابن عمر ويحك
لا تفعل فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من حلف بغير الله فقد اشرك ومن الاشراك
قول القائل لاحد من الناس ما شاء الله وشئت كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال له رجل
ما شاء الله وشئت فقال اجعلتني لله ندا قل ما شاء الله وحده وهذا مع ان الله تعالى قد اثبت للعبد مشيئة
كقوله لمن شاء منكم ان يستقيم فكيف من يقول انا متوكل على الله وعليك وانا في حسب الله و
حسبك وما لي الا الله وانت وهذا من الله ومنك وهذا من بركات الله وبركاتك والله لي في السماء

وانت اذا وازنت بين هذه الالفاظ الصادرة من غالب الناس اليوم وبين ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قول ما شاء الله وشئت ثم انظر ايهما افحش يتبين لك ان قائلها اولى بالبعد من اياك نعبد وبالجواب من النبي صلى الله عليه واله وسلم لقائل تلك الكلمة وانه اذا كان قد جعل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ندًّا فهذا قد جعل من لا يداني الله ابدًا ندًّا وبالجملة فالعبادة المذكورة في قوله اياك نعبد هي السجود والتوكل والانابة والتقوى والخشية والتوبة والنذر والتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والاستغفار وحلق الراس خضوعًا وتعبدًا والدعاء وكل ذلك حق الله تعالى وفي مسند الامام احمد ان رجلا اتي به النبي صلى الله عليه واله وسلم قد اذنب ذنبا فلما وقف بين يديه قال اللهم اني اتوب اليك ولا اتوب الى محمد فقال صلى الله عليه واله وسلم عرف الحق لاهله واخرجه الحاكم من حديث الحسن عن الاسود بن سريع وقال صحيح واما الشرك في الارادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له وقل من ينجو منه فمن نوى بعمله غير وجه الله تعالى فلم يقم بحقيقة قوله اياك نعبد فان اياك نعبد هي الحنيفية ملة ابراهيم عليه السلام التي امر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من احد غيرها وهي حقيقة الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين اه فتمسك بهذا الاصل ورد ما اخرجه المبتدعة والمشركون اليوم يتحقق لك معنى الكلمة الالهية فان قيل ان المشرك انما قصد بذلك تعظيم جناب الله تعالى وانه سبحانه لعظمته لا ينبغي الدخول عليه الا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك والرؤساء الاغنياء فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية بل انما قصد تعظيمه وقال انما اعبد هؤلاء الوسائط ليقربوني الى الله ويدخلوني عليه فهو الغاية وهذه هي الوسائل فلم كان هذا القدر موجبا لسخط الله تعالى وغضبه ومخلدا في النار وموجبا لسفك دماء اصحابه واستباحة حريمهم واموالهم وهل يجوز في العقل ان يشرع الله تعالى لعباده التقرب اليه بالشفعاء والوسائط فيكون تحريم هذا انما استفيد بالشرع فقط ام ذلك قبيح في الشرع والعقل معا اذ العقل يمتنع ان ياتي بشريعة من الشرائع وما السر في كونه لا يغفر من بين سائر الذنوب كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قلنا الشرك شركان شرك يتعلق بذات المعبود واسمائه وصفاته وافعاله وشرك في عبادته ومعاملته وان كان صاحبه يعتقد انه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته واما الشرك الثاني فهو الذي فرغنا من الكلام فيه واشرنا اليه الان ونشبع الكلام فيه ان شاء الله تعالى واما الشرك الاول فهو نوعان احدهما شرك التعطيل وهو اقبح انواع الشرك كشرك فرعون في قوله وما

رب العالمين وقوله لهامان اجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه من الكاذبين فالشرك
والتعطيل متلازمان فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك لكن الشرك لا يستلزم اصل التعطيل بل قد يكون
المشرك مقرا بالخالق سبحانه وصفاته ولكنه معطل حق التوحيد واصل الشرك وقاعدته التي يرجع اليها هو
التعطيل وهو ثلاثة اقسام احدها تعطيل المصنوع من صانعه الثاني تعطيل الصانع عن كماله الثابت له
الثالث تعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد ومن اهل هذا الشرك اهل وحدة الوجود ومنه
شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وابديته وان الحوادث باسرها مستندة الى اسباب ووسائط اقتضت
ايجادها ويسمونها العقول والنفوس ومنه شرك معطلة الاسماء والصفات كالجهمية والقرامطة وغلاة
المعتزلة والنوع الثاني شرك التمثيل وهو شرك من جعل معه تعالى الها اخر كالنصارى في المسيح واليهود
في عزير والمجوس القائلين باسناد حوادث الخير الى النور وحوادث الشر الى الظلمة وشرك القدرية المجوسية
مختصر منه وهؤلاء اكثر مشركي العالم وهم طوائف عدة منهم من يعبد اجراما سماوية ومنهم من يعبد اجراما
ارضية ومن هؤلاء من يزعم ان معبوده اكبر الالهة ومنهم من يزعم انه اله من جملة الالهة ومنهم من يزعم
انه اذا خصه بعبادته والتبتل اليه اقبل عليه واعتنى به ومنهم من يزعم ان معبوده الادنى يقربه الى الاعلى
الفوقاني والفوقاني يقربه الى من هو فوقه حتى تقربه تلك الالهة الى الله سبحانه فتارة تكثر الوسائط وتارة
تقل فاذا عرفت هذه الطوائف وعرفت اشتداد نكير الرسل صلى الله عليه وآله وسلم على من اشرك مطلقا
في الافعال والاقوال والارادات كما تقدم ذكره انفتح لك باب الجواب على السؤال فنقول اعلم ان حقيقة
الشرك تشبيه المخلوق بالخالق والخالق بالمخلوق اما الخالق فان المشرك شبه المخلوق بالخالق في خصائص
الالوهية وهي التفرد بملك الضر والنفع والعطا والمنع فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق تعالى و
سوى بين التراب ورب الارباب فاي فجور اكبر واي ذنب اعظم من هذا ومن خصائص الالوهية الكمال
المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب ان تكون العبادة له وحده
عقلا وشرعا وفطرة فمن جعل ذلك لغيره فقد شبه الغير بمن لا شبيه له ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم
اخبر من كتب على نفسه الرحمة انه لا يغفره ابدا ومن خصائص الالوهية العبودية التي لا تقوم الا على
ساقي الحب والذل فمن اعطاهما لغيره سبحانه فقد شبهه بالله تعالى في خالص حقه وقبح هذا مستقر في
العقول والفطر لكن لما غيرت الشياطين فطر اكثر الخلق واجتالتهم عن دينهم وامرتهم ان يشركوا بالله

[illegible]

[illegible]

ما لم ينزل به سلطانا كما روى ذلك عن الله تعالى اعرف الخلق به وبخلقه فمن اعتقد قبح الشرك حتى ظن حسنا
ومن خصائص الالهية السجود فمن سجد لغيره فقد شبهه به ومنها التوكل فمن توكل على غيره فقد شبهه به
ومنها التوبة فمن تاب لغيره فقد شبهه به ومنها الحلف باسمه فمن حلف بغيره فقد شبهه به ومنها الذبح
له سبحانه فمن ذبح لغيره فقد شبهه به ومنها حلق الراس الى غير ذلك هذا في جانب التشبيه واما في
جانب التشبه فمن تعاظم وتكبر ودعى الناس الى اطرائه ورجائه ومخافته فقد تشبه بالله ونازعه في
ربوبيته وهو حقيق بان يهينه الله غاية الهوان ويجعله كالذر تحت اقدام خلقه وفي الصحيح عنه صلى الله عليه
واله وسلم انه قال يقول الله عز وجل العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما عذبته
واذا كان المصور الذي يصنع الصور بيده من اشد الناس عذابا يوم القيامة لتشبهه بالله سبحانه في مجرد
الصنعة فما الظن بالمتشبه بالله في الربوبية والالهية كما قال صلى الله عليه واله وسلم يقول الله عز وجل
ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة فنبه بالذرة والشعيرة على ما هو اعظم منهما
وكذلك من تشبه به تعالى في الاسم الذي لا ينبغي الا له سبحانه كملك الملوك وحاكم الحكام وقاضي القضاة
ونحوها وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال ان اخنع الاسماء عند الله رجل يسمى بشاهنشاه
ملك الملوك لا مالك الا الله وفي لفظ اغيظ رجل عند الله رجل تسمى بملك الاملاك وبالجملة فالتشبيه
والتشبه كلاهما حقيقة الشرك ولذلك كان من ظن انه اذا تقرب الى غيره بعبادة ما يقربه ذلك الغير اليه
تعالى فانه يخطئ لكونه شبهه به واخذ ما لا ينبغي ان يكون الا له فالشرك منعه سبحانه حقه فهو اقبح عقلا
وشرعا لذلك لم يشرع ولم يغفر فاعله واعلم ان الذي ظن ان الرب سبحانه لا يسمع له ولا يجيب له الا بواسطة
تطلعه على ذلك او تسأل ذلك منه فقد ظن بالله ظن السوء فانه ان ظن انه لا يعلم ولا يسمع الا باعلام غيره له
واسماعه ذلك فقد نفى علم الله وسمعه وكمال ادراكه وكفى بذلك ذنبا وان ظن انه يسمع ويرى ولكن يحتاج
الى من يلينه ويعطفه عليهم فقد اساء الظن بافضال ربه وبره واحسانه وسعة جوده وبالجملة فاعظم الذنوب
عند الله تعالى اساءة الظن به ولهذا ابتنى اعدهم في كتابه العزيز على اساءة الظن به اعظم وعيد كما قال تعالى
الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا وقال
سبحانه عن خليله ابراهيم عليه السلام أإفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين اي فما ظنكم
ان يجازيكم اذا عبدتم معه غيره وظننتم انه يحتاج في الاطلاع على ضروريات عباده لمن يكون بابا

الحوائج اليه ومن ذلك وهذا بخلاف الملوك فانهم محتاجون الى الوسائط ضرورة لحاجتهم وعجزهم
وضعفهم وقصور علمهم عن ادراك حوائج المضطرين فاما من لا يشغله سمع عن سمع ولا يتبرم من تضرع سبقت
رحمته غضبه وكتب على نفسه الرحمة فما تصنع الوسائط عنده فمن اتخذ واسطة بينه وبين الله تعالى
فقد ظن به اقبح الظن ومستحيل ان يشرعه لعباده بل ذلك ممتنع في العقول والفطر واعلم ان الخضوع والتأله
الذي يجعله العبد لتلك الوسائط قبيح في نفسه كما قررناه لا سيما اذا كان المجعول له ذلك عبد الملك
العظيم الرحيم القريب المجيب مملوكا له كما قال ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم
فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم اي اذا كان احدكم يأنف ان يكون مملوكه شريكه في رزقه فكيف
تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما انا منفرد به وهو الالهية التي لا تنبغي لغيري ولا تصلح لسواي فمن زعم ذلك
فما قدرني حق قدري ولا عظمني حق تعظيمي وبالجملة فما قدر الله حق قدره من عبد معه من ظن انه يوصل
اليه قال تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا
له الى ان قال ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز وقال وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا
قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون فما قدر القوي العزيز الجليل حق قدره من
اشرك معه الضعيف الذليل واعلم انك اذا تأملت جميع طوائف الضلال والبدع وجدت اصل ضلالهم
راجعا الى شيئين احدهما ظنهم بالله ظن السوء والثاني انهم لم يقدروا الرب حق قدره فلم يقدره حق قدره من
ظن انه لم يرسل رسولا ولا انزل كتابا بل ترك الخلق سدى وخلقهم عبثا ولا قدره حق قدره من نفى عموم
قدرته وتعلقها بافعال عباده من طاعاتهم ومعاصيهم واخرجها عن خلقه وقدرته ولا قدر الله حق قدره
اضداد هؤلاء الذين قالوا انه يعاقب عبده على ما لم يفعله بل يعاقبه على فعله هو سبحانه واذا استحال في
العقول ان يجبر السيد عبده على فعل ثم يعاقبه عليه فكيف يصدر هذا من اعدل العادلين وقول هؤلاء
شر من اشباه المجوس القدرية الاولين ولا قدره حق قدره من نفى رحمته ومحبته ورضاه وغضبه وحكمته
مطلقا وحقيقة فعله ولم يجعل له فعلا اختياريا بل جعل افعاله مفعولات منفصلة عنه ولا قدره حق قدره من
جعل له صاحبة وولدا او جعله يحل في مخلوقاته او جعله عين هذا الوجود ولا قدره حق قدره من قال انه رفع
اعداء رسوله واهل بيته وجعل فيهم الملك ووضع اولياء رسوله واهل بيته وهذا يتضمن غاية القدح والرب
تعالى عن قول الرافضة وهذا مشتق من قول اليهود والنصارى في رب العالمين انه ارسل ملكا ظالما

فادعى النبوة وكذب على الله ومكث زمنا طويلا يقول امرني بكذا ونهاني عن كذا ويستبيح دماء اولياء الله
واحبابه والرب تعالى يظهره ويؤيده ويقيم الادلة والمعجزات على صدقه ويقبل بقلوب الخلق واجسادهم
اليه ويقيم دولته على الظهور والزيادة ويذل اعداءه اكثر من ثلثمائة عام فاذن بين قول هؤلاء
وقول اخوانهم من الرافضة تجد القولين سواء وما قدروه حق قدره من زعم انه لا يحيي الموتى ولا يبعث من
في القبور ليبين لعباده الذي كانوا فيه يختلفون وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين وبالجملة فهذا
باب واسع جدا والمقصود ان كل من عبد مع الله غيره فانما عبد شيطانا قال تعالى الم اعهد اليكم يا بني
ادم ان لا تعبدوا الشيطان فما عبد احد احدا من بني ادم كائنا من كان الا وقعت عبادته للشيطان فيستمتع
العابد في تعظيمه له واشراكه مع الله تعالى وذلك غاية رضى الشيطان ولهذا قال تعالى ويوم نحشرهم جميعا
يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع
بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم
فهذه اشارة لطيفة الى السر الذي لاجله كان الشرك اكبر الكبائر عند الله وانه لا يغفر بغير التوبة وانه موجب
للخلود في العذاب العظيم وانه ليس تحريمه وقبحه بمجرد النهي عنه فقط بل يستحيل على الله سبحانه وتعالى
ان يشرع لعباده عبادة غيره كما يستحيل عليه ما يناقض اوصاف كماله ونعوت جلاله وجماله واعلم
ان الناس في عبادة الله تعالى والاستعانة به على اربعة اقسام اجلها وافضلها اهل العبادة والاستعانة
بالله عليها فعبادة الله غاية مرادهم وطلبهم منه ان يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها غاية قصدهم ولهذا كان
افضل ما يسأل الرب تعالى الاعانة على مرضاته وهو الذي علمه النبي صلى الله عليه واله وسلم معاذ بن جبل
فقال يا معاذ والله اني احبك فلا تدع ان تقول في دبر كل صلوة اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن
عبادتك فانفع الدعاء طلب العون على مرضاته تعالى ويقابل هؤلاء القسم الثاني المعرضون عن عبادته
والاستعانة به فلا عبادة لهم ولا استعانة بل ان سأله تعالى احدهم واستعان به فعلى حظوظه وشهواته
والله تعالى يسأله كل من في السموات والارض ويسأله اولياؤه واعداؤه فيمد هؤلاء وهؤلاء وابغض خلقه
اليه ابليس ومع هذا اجاب سؤاله وقضى حاجته ومتعه بها ولكن لما لم يكن عونا على مرضاته كانت زيادة
في شقوته وبعده وطرده وهكذا كل من سأله تعالى واستعان به على ما لم يكن عونا له على طاعته كان سؤاله
مبعدا له عن الله تعالى فليتدبر العاقل هذا وليعلم ان اجابة الله لسؤال بعض السائلين ليست لكرامته

عليه بل قد يسأله عبده الحاجة فيقضيها له ربما أهلكه ويكون منعه منها حماية له وصيانة والمعصوم من عصمه الله والإنسان على نفسه بصيرة وعلامة هذا أنك ترى من أعانه الله من ذلك وهو جاهل حقيقة الأمر إذا أعانه يقضي حوائج غيره بسخطه تعالى وقلبه محشو بذلك وهو لا يشعر أمارة ويتحمله على الأقدار وعتابه في الباطن لها ولقد كشف الله تعالى هذا المعنى غاية الكشف في قوله

فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلا أي ليس كل من أعطيته ونعمته وخولته فقد أكرمته وما ذاك لكرامته علي ولكنه ابتلاء مني وامتحان له أيشكرني فأعطيه فوق ذلك أم يكفرني فأسلبه وأحول له عنه لغيره وليس كل من ابتليته وضيقت عليه رزقه وجعلته بقدر لا يفضل عنه فذلك من هوانه علي وحقارته لدي بصغاره عندي ولكنه ابتلاء وامتحان مني أيصبر فأعطيه أضعاف ما فاته أم يتسخط فيكون حظه السخط فأخبر تعالى أن الإكرام والإهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وتقديره فإنه سبحانه يوسع على الكافر لا لكرامته ويقتر على المؤمن لا لهوانه عليه وإنما يكرم سبحانه من يكرم من عباده بأن يوفقه لمعرفته ومحبته وعبادته واستعانته فغاية سعادة العبد في عبادة الله والاستعانة به عليها القسم الثالث من له نوع عبادة بلا استعانة وهؤلاء نوعان أحدهما أهل القدر القائلون بأنه سبحانه قد فعل بالعبد جميع مقدوره من الألطاف وأنه لم يبق في مقدوره إعانة له على الفعل فإنه قد أعانه بخلق الآلات وسلامتها وتعريف الطريق وإرسال الرسل وتمكينه من الفعل فلم يبق بعد هذا إعانة مقدورة يسأله إياها وهؤلاء مخذولون موكولون إلى أنفسهم مسدودة عليهم طريق الاستعانة والتوحيد قال ابن عباس رضي الله عنه الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن آمن بالله وكذب بقدره نقض تكذيبه توحيده النوع الثاني من لهم عبادة وأوراد ولكن حظهم ناقص من التوكل والاستعانة لم تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب بالقدر وأنها بدون القدر كالموات الذي لا تأثير له وكالعدم الذي لا وجود له وأن القدر كالروح المحرك لها والمعول على المحرك الأول فلم تنفذ بصائرهم من السبب إلى المسبب ومن الآلة إلى الفاعل فقل نصيبهم من الاستعانة وهؤلاء لهم نصيب من النصر بحسب استعانتهم وتوكلهم ونصيب من الضعف والخذلان بحسب استعانتهم وتوكلهم ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه وكان مأمورا بإزالته لأزاله فإن قيل ما حقيقة الاستعانة عملا قلنا هي التي يعبر عنها بالتوكل وهي حالة للقلب تنشأ عن معرفة الله وتفرده بالخلق والأمر والتدبير والضر والنفع وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن حسبا

اعتمادا عليه وتفويضا اليه ثقة به فيصير نسبة العبد اليه تعالى نسبة الطفل الى ابويه فيما ينوبه من رغبة ورهبة فلو دهمه ما عسى ان يدهمه من الآفات لا يلتجئ الى غيرهما فان كان العبد مع هذا الاعتماد من اهل التقوى كانت له العاقبة الحميدة ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي كافيه القسم الرابع من له استعانة بلا عبادة وتلك حالة من شهد تفرد الله بالضر والنفع ولم يدر ما يحبه ويرضاه فتوكل عليه في حظوظه وشهواته فاسعفه بها وهذا لا عاقبة له سواء كانت اموالا او رياسات او جاها عند الخلق او نحو ذلك فذلك حظه من دنياه وآخرته واعلم ان العبد لا يكون متحققا بعبادة الله تعالى الا باصلين احدهما متابعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والثاني اخلاص العبودية والناس في هذين الاصلين اربعة اقسام اهل الاخلاص والمتابعة فاعمالهم كلها لله واقوالهم ومنعهم وعطاؤهم وحبهم وبغضهم كل ذلك لله تعالى لا يريدون من العباد جزاء ولا شكورا عدوا الناس كاصحاب القبور لا يملكون ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا فانه لا يعامل احدا من الخلق الا لجهله بالله وجهله بالخلق والاخلاص هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل عملا صوابا عاريا منه وهو الذي الزم عباده به الى الموت قال تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وقال انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا واحسن العمل اخلصه واصوبه فالخالص ان يكون لله والصواب ان يكون على وفق سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا هو العمل الصالح المذكور في قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا وهو العمل الحسن في قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن وهو الذي امر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد وكل عمل بلا متابعة فانه لا يزيد عامله الا بعدا من الله تعالى فان الله تعالى انما يعبد بامره لا بالاهواء والآراء الضرب الثاني من لا اخلاص له ولا متابعة وهؤلاء شرار الخلق وهم المتزينون باعمال الخير يراؤن بها الناس وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف عن الصراط المستقيم من المنتسبين الى الفقه والعلم والفقر والعبادة فانهم يرتكبون البدع والضلال والرياء والسمعة ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا وفي اضراب هؤلاء نزل قوله تعالى لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم الضرب الثالث من هو مخلص في اعماله لكنها من غير متابعة الامر كجهال العباد المنتسبين الى الزهد والفقر وكل من عبد الله على غير مراده والشان ليس الا في عبادة الله كما اراد الله ومنهم من يمكث في خلوته تاركا للجمعة والجماعات والاعياد ويرى ذلك قربة ويرى

من اصله وصوم النهار بالليل قربة وان صيام يوم الفطر قربة وامثال ذلك الضرب الرابع من اعماله على
متابعة الامر لكنها لغير الله تعالى كطاعات المرائين كالرجل يقاتل رياء وحمية وشجاعة وللمغنم وليقال
ويقرأ ليقال ونحو ذلك ليقال فهذه اعمال صالحة لكنها غير مقبولة قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين حنفاء فلم يؤمر الناس الا بالعبادة على المتابعة والاخلاص فيها والقائمون بها هم اهل اياك نعبد
واياك نستعين ثم اهل اياك نعبد لهم في افضل العبادة وانفعها واحقها بالايثار والتخصيص اربعة طرق
وهم في ذلك اربعة اصناف **الصنف الاول** عندهم انفع العبادات وافضلها اشقها على النفوس
واصعبها قالوا لانه ابعد الاشياء من هواها وهو حقيقة التعبد والاجر على قدر المشقة ورووا حديثا ليس له
اصل افضل الاعمال احمزها اي اصعبها واشقها وهؤلاء هم ارباب المجاهدات والجور على النفوس قالوا
وانما تستقيم النفوس بذلك اذ طبعها الكسل والمهانة والاخلاد الى الراحة فلا تستقيم الا بركوب الاهوال
وتحمل المشاق **الصنف الثاني** قالوا افضل العبادات وانفعها التجرد والزهد في الدنيا والتقلل منها
غاية الامكان واطراح الاهتمام بها وعدم الاكتراث بما هو منها ثم هؤلاء قسمان فعوامهم ظنوا ان هذا غاية
فشمروا اليه وعملوا عليه وقالوا هو افضل من درجة العلم والعبادة ورأوا الزهد في الدنيا غاية كل عبادة
ورأسها وخواصهم رأوا هذا مقصودا لغيره وان المقصود به عكوف القلب على الله تعالى والاستغراق
في محبته والانابة اليه والتوكل عليه والاشتغال بمرضاته فرأوا افضل العبادات دوام ذكره بالقلب واللسان
ثم هؤلاء قسمان فالعارفون اذا جاء الامر والنهي بادروا اليه ولو فرقهم واذهب جمعيتهم والمنحرفون منهم
يقولون المقصود من القلب جمعيته فاذا جاء ما يفرقه عن الله لم يلتفتوا اليه ويقولون يطالب بالاوراد
من كان غافلا فكيف بقلب كل اوقاته ورده ثم هؤلاء ايضا قسمان منهم من يترك الواجبات والفرائض
لجمعيته ومنهم من يقوم بها ويترك السنن والنوافل وتعلم العلم النافع لجمعيته والحق ان الجمعية حظ القلب
واجابة داعي الله حق الرب فمن آثر حظ نفسه على حق ربه فليس في شيء **الصنف الثالث** رأوا ان
افضل العبادات ما كان فيه نفع متعد فرأوه افضل من النفع القاصر فرأوا خدمة الفقراء والاشتغال
بمصالح الناس وقضاء حوائجهم ومساعدتهم بالجاه والمال والنفع افضل لقوله صلى الله عليه وآله وسلم
الخلق عيال الله واحبهم الى الله انفعهم لعياله قالوا وعمل العابد قاصر على نفسه وعمل النفاع متعد الى الغير
فاين احدهما من الآخر ولهذا كان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال

قال صلى الله عليه وآله وسلم لعلي كرم الله وجهه لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم
وقال من دعى الى هدى كان له من الاجر مثل اجر من تبعه من غير ان ينقص من اجورهم شيئا وقال ان الله
وملائكته يصلون على معلمي الخير وقال ان العالم يستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان
في البحر والنملة في جحرها قالوا وصاحب العبادة اذا مات انقطع عمله وصاحب النفع لا ينقطع عمله ما دام
نفعه الذي تسبب فيه والانبياء عليهم السلام انما بعثوا بالاحسان الى الخلق وهدايتهم ونفعهم في معاشهم
ومعادهم ولم يبعثوا لاجل الخلوات والانقطاع ولهذا انكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على اولئك النفر
الذين هموا بالانقطاع والتعبد وترك مخالطة الناس ورأى هؤلاء ان التفرغ لنفع الخلق افضل من الجمعية
على الله بدون ذلك قالوا ومن ذلك العلم والتعليم ونحو هذه الامور الفاضلة الصنف الرابع
قالوا افضل العبادة العمل على مرضاة الرب سبحانه واشتغال كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت و
وظيفته فافضل العبادات في وقت الجهاد الغزو في سبيل الله وان آل الى ترك الاوراد من صلوة الليل
وصيام النهار بل من ترك صلوة الفرض كما في حالة الامن والافضل في وقت حضور الضيف القيام بحقه
والاشتغال به والافضل في اوقات السحر الاشتغال بالصلوة والقرآن والذكر والدعاء والافضل في وقت
الاذان ترك ما هو فيه من الاوراد والاشتغال باجابة المؤذن والافضل في اوقات الصلوات الخمس الجد
والجهد في ايقاعها على اكمل الوجوه والمبادرة اليها في اول الوقت والخروج الى المسجد وان بعد والافضل في
اوقات ضرورة المحتاج المبادرة الى مساعدته بالجاه والمال والبدن والافضل في السفر مساعدة المحتاج
واعانة الرفقة وايثار ذلك على الاوراد والخلوة والافضل في وقت قراءة القرآن جمعية القلب والهمة
على تدبره والعزم على تنفيذ اوامره اعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك والافضل
في وقت الوقوف بعرفة الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر والافضل في ايام عشر ذي الحجة الاكثار من
التعبد لا سيما التكبير والتهليل والتحميد وهو افضل من الجهاد الغير المتعين والافضل في العشر الاواخر من
رمضان لزوم المساجد والخلوة فيها مع الاعتكاف والاعراض عن مخالطة الناس والاشتغال بهم حتى انه
افضل من الاقبال على تعليمهم العلم واقراء القرآن عند كثير من العلماء والافضل في وقت مرض الاخ
المسلم عيادته وحضور جنازته وتشييعه وتقديم ذلك على الخلوة والجمعية والافضل في وقت نزول
النوازل واذى الناس له الصبر مع المخالطة بهم والمؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم

انفع من اللازم الذي لا يتجاوز إلا ما ولا يتيسر على الدوام تخلقهم في الخير انفع من غيرهم فيه لا
عن التصدي لما انفع من تخلقهم فيه فان علم انه اذا اشتغل بهم دانوه وذلك بخلقهم حسن اعتزالهم
وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق في الأصناف التي قبلهم أهل التعبد المقيد فمتى خرج أحدهم عن النوع الذي
تعلق به من العبادة وفارقه يرى نفسه كأنه قد نقص ونزل عن عبادته فهو يعبد الله على وجه واحد
وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى
ان ناسب العلماء رايته معهم وكذلك في الذاكرين والمتصدقين واصحاب الجمعية وعكوف القلب على الله
فهذا هو العبد الجامع السائر الى الله تعالى في كل طريق وأخصهم بها حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه
وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخصوصيته هل منكم أحد أطعم اليوم مسكينا قال ابو بكر انا قال هل منكم
أحد أصبح اليوم صائما قال ابو بكر انا قال هل منكم أحد عاد اليوم مريضا قال ابو بكر انا قال هل منكم أحد
اتبع اليوم جنازة قال ابو بكر انا الحديث وهذا الحديث روي من طريق عبد الغني بن ابي عقيل قال
حدثنا نمير بن سالم عن انس بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في
جماعة من أصحابه فقال من صام اليوم قال ابو بكر انا قال من عاد اليوم قال ابو بكر انا قال من شهد اليوم جنازة
قال ابو بكر انا قال وجبت لك وجبت لك يعني الجنة ونمير بن سالم ان تكلم فيه لكن تابعه سالم بن ددا
وله أصل صحيح من حديث مالك عن ابن شهاب الزهري عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من انفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة
يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة نودي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من
باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب
الريان فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ما على من يدعى من هذه الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد
من هذه الأبواب كلها قال نعم وأرجو ان تكون منهم هكذا رواه عن مالك موصولا مسندا يحيى بن يحيى
ومعن بن عيسى وعبد الله بن المبارك رحمهم الله تعالى ورواه يحيى بن بكير وعبد الله بن يوسف عن مالك
عن ابن شهاب عن حميد مرسلا وليس هو عند القعنبي لا مرسلا ولا مسندا ومعنى قوله من انفق زوجين
يعني شيئين من نوع واحد نحو درهمين او دينارين او فرسين او قميصين وكذلك من صلى ركعتين
او مشى في سبيل الله خطوتين او صام يومين ونحو ذلك وانما اراد والله اعلم اقل التكرار واقل وجوه

المداومة على العمل من اعمال البر لان الاثنين اقل الجمع فهذا كالغيث اين وقع نفع صحب الله بلا خلق و
وصحب الخلق بلا نفس اذا كان مع الله عزل الخلق عن البين وتخلى عنهم واذا كان مع خلقه عزل نفسه
من الوسط وتخلى عنها فما اعذبه بين الناس وما اشد وحشته منهم وما اعظم أنسه بالله وفرحه به وطمأنينته
وسكونه اليه واعلم ان للناس في منفعة العبادة وحكمتها ومقصودها طرائق وهم في ذلك اربعة اصناف
الصنف الاول نفاة الحكم والعلل الذين يردون الامر الى نفس المشيئة وصرف الارادة فلا عندهم القيام بها ليس الا لمجرد الامر
من غير ان تكون سببا لسعادة في معاش او معاد او سببا للنجاة وانما القيام بها لمجرد الامر ومحض المشيئة كما قالوا في الخلق لم يخلق لغاية ولا
لعلة هي المقصودة به ولا لحكمة تعود اليه منه وليس في المخلوقات اسباب تكون مقتضيات لمسبباتها وليس في النار سببية الاحراق
ولا في الماء قوة الاغراق ولا التبريد وهكذا الامر عندهم سواء لا فرق بين الخلق والامر ولا فرق في نفس الامر
بين المأمور والمحظور ولكن المشيئة اقتضت امره بهذا ونهيه عن هذا من غير ان يقوم بالمأمور صفة تقتضي
حسنه ولا بالمنهي صفة تقتضي قبحه ولهذا الاصل لوازم وفروع كثيرة وهؤلاء غالبهم لا يجدون حلاوة العبادة
ولا لذتها ولا يتنعمون بها ولهذا يسمون الصلوة والصيام والزكوة والحج والتوحيد والاخلاص ونحو ذلك
تكاليف اي كلفوا بها ولو سمى مدع محبة ملك من الملوك او غيره ما يامره به تكليفا لم يعد محبا له واول من
صدرت عنه هذه المقالة الجعد بن درهم **الصنف الثاني** القدرية النفاة الذين يثبتون نوعا من
الحكمة والتعليل لا يقوم بالرب ولا يرجع اليه بل يرجع لمحض مصلحة المخلوق ومنفعته فعندهم ان العبادات
شرعت اثمانا لما يناله العباد من الثواب والنعيم وانها بمنزلة استيفاء الاجير اجرة قالوا ولهذا يجعلها
سبحانه عوضا كقوله تعالى ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون وقال انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وفي الصحيح انما هي اعمالكم احصيها عليكم ثم اوفيكم اياها قالوا وقد سماها جزاء واجرا
وثوابا لانه شيء يثوب الى العامل من عمله اي يرجع اليه قالوا ويدل عليه الموازنة فلولا تعلق الثواب بالاعمال
عوضا عليها لم يكن للموازنة معنى وهاتان الطائفتان متقابلتان فالجبرية لم تجعل للاعمال ارتباطا بالجزاء
البتة وجوزت ان يعذب الله من افنى عمره في طاعته وينعم من افنى عمره في مخالفته وكلاهما سواء بالنسبة اليه والكل راجع الى محض
المشيئة والقدرية اوجبت عليه سبحانه رعاية المصالح وجعلت ذلك كله بمحض الاعمال وان وصول
الثواب الى العبد بدون عمله فيه تنغيص باحتمال منة الصدقة عليه بلا ثمن فجعلوا تفضله سبحانه على
عبده بمنزلة صدقة العبد على العبد وان اعطاءه ما يعطيه اجرة على عمله احب الى العبد من ان يعطيه

فضلا منه بلا عمل ولم يجعلوا للأعمال تأثيرا في حصول الجنة والطائفتان منحرفتان عن الصراط المستقيم
وعرفوا الأعمال أسباب موصلة إلى الثواب والأعمال الصالحات من توفيق الله وفضله وليست قدرا
لجزائه ولا مثل غايتها إذا وقعت على أكمل الوجوه أن تكون شكرا على أحد الأجزاء القليلة من نعمه سبحانه
فلو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا من أعمالهم
وتأمل قوله تعالى وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون مع قوله صلى الله عليه وآله وسلم لن يدخل أحد
منكم الجنة بعمله فالآية تدل على أن الجنة بالأعمال والحديث ينفي دخول الجنة بالأعمال ولا تنافي
بينهما لأن توارد النفي والإثبات ليسا على محل واحد فالنفي باء الثمنية واستحقاق الجنة بمجرد الأعمال رد على
القدرية المجوسية التي زعمت أن للأعمال تأثيرا في حصول الجنة والباء المثبتة التي وردت في القرآن
هي باء السببية رد على القدرية الجبرية الذين يقولون لا ارتباط بين الأعمال وحصول الجنة ولا هي
أسباب لها وإنما غايتها أن تكون أمارة والسنة النبوية هي أن عموم مشيئة الله وقدرته لا تنافي ربط الأسباب
بالمسببات وارتباطها بها وكل طائفة من أهل الباطل تركت نوعا من الحق فإنها ارتكبت لأجله نوعا من الباطل
بل أنواعا فهدى الله أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم
الصنف الثالث الذين زعموا أن فائدة العبادة رياضة النفوس واستعدادها لفيض العلوم والمعارف
عليها وخروج قواها من قوى النفس السبعية والبهيمية ولو عطلت العبادة لالتحقت النفوس بنفوس السباع
والبهائم والعبادة تخرجها إلى مشابهة العقول فتصير قابلة لانتقاش صور المعارف فيها وهذا يقوله
طائفتان أحدهما من يتقرب إلى الإسلام والشرائع من الفلاسفة القائلين بقدم العالم وعدم الفاعل المختار
والثانية من تفلسف من صوفية الإسلام ويقرب إلى الفلاسفة فإنهم يزعمون أن العبادات رياضات
لاستعداد النفوس للمعارف العقلية ومخالفة العوائد ثم من هؤلاء من لا يوجب العبادة إلا بهذا المعنى وإذا
حصل لها ذلك بقي متحيرا في حفظ أوراده والاشتغال بالوارد عنها ومنهم من يوجب القيام بالأوراد و
عدم الإخلال بها وهم صنفان أيضا أحدهما من يقول نحن نحفظ بها الناموس ووسط الناموس والآخرون
يحفظون بها الوارد وخوفا من تدرج النفس بمفارقتها إلى حالتها الأولى من البهيمية فهذه نهاية أقدامهم
في حكمة العبادة وما شرعت لأجله ولا تكاد تجد في كتب المتكلمين على طريق السلوك غير طريق من هذه
الطرق الثلاثة أو مجموعها **الصنف الرابع** هم القائلون بالجمع بين الخلق والأمر والقدر والسنة وتعليلهم

ان سرّ العبادة وغايتها مبني على معرفة حقيقة الالهية ومعنى كونه سبحانه الها وان العبادة موجب الالهية
واثرها ومقتضاها وارتباطها بها كارتباط متعلق الصفات بالصفات وكارتباط المعلوم بالعلم والمقدور بالقدرة
والاصوات بالسمع والاحسان بالرحمة والعطاء بالجود فعندهم من قام بمعرفتها على الحق الذي فسرناها به لغة
وشرعا مصدرا وموردا استقام له معرفة حكمة العبادات وغايتها وعلم انها هي الغاية التي خلقت لها
العباد ولها ارسلت الرسل وانزلت الكتب وخلقت الجنة والنار وقد صرح سبحانه بذلك في قوله وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون فالعبادة هي التي ما وجدت الخلائق كلها الا لاجلها كما قال تعالى ايحسب الانسان
ان يترك سدى اي مهملا قال الشافعي رضي الله عنه اي لا يؤمر ولا ينهى وقال غيره اي لا يثاب ولا يعاقب
على الامر والنهي وهو طلب العبادة وارادتها وحقيقة العبادة امتثالها ولهذا قال تعالى ويتفكرون في
خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال سبحانه وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق وقال وخلق السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت فاخبر تبارك وتعالى انه خلق ذلك
كله بالحق المتضمن امره ونهيه وثوابه وعقابه فاذا كانت السموات والارض انما خلقت لهذا وهو غاية الخلق
فكيف يقال لا غاية له ولا حكمة مقصودة او ان ذلك لمجرد استيجار الاعمال حتى لا يتكدر عليهم الثواب بالمنة
او لمجرد استعداد النفوس للمعارف العقلية وارتباطها لمخالفة العوائد واذا تامل اللبيب الفرق بين هذه
الاقوال وبين ما دل عليه صريح الوحي من الله ذي الجلال علم ان الله تعالى انما خلق الخلق لعبادته الجامعة
لكمال محبته مع الخضوع له والانقياد لامره فاصل العبادة محبة الله تعالى بل افراده بالمحبة فلا يحب معه سواه
وانما يحب ما يحبه لاجله وفيه كما يحب انبياءه ورسله وملائكته فيه ولاجله لان محبتهم من تمام محبته تعالى
وليست كمحبة من اتخذ من دونه اندادا يحبهم كحبه واذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها
فهي انما تتحقق باتباع امره واجتناب نهيه فعند اتباع الامر والنهي تتبين حقيقة العبودية والمحبة ولهذا
جعل سبحانه اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم علما عليها وشاهدا لها كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله فجعل اتباع رسوله مشروطا بمحبتهم لله تعالى وشرطا لمحبة الله لهم ووجود المشروط بدون تحقق
شرطه ممتنع فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة للرسول ولا يكفي ذلك حتى يكون الله ورسوله احب اليه
مما سواهما ومتى كان عنده شيء احب اليه منهما فهو الاشراك الذي لا يغفره الله تعالى قال سبحانه قل
ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها و

ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين وكل من قدم قول غيره على قول الله او حكم به او حاكم اليه فليس ممن احبه لكن قد يشتبه الامر على من يقدم قول احد او حكمه او طاعته على قوله ظنا منه انه لا يامر ولا يحكم ولا يقول الا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيطيعه ويحاكم اليه ويتلقى اقواله كذلك فهذا معذور اذا لم يقدر على غير ذلك واما اذا قدر على الوصول الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعرف ان غير من اتبعه اولى به مطلقا او في بعض الامور كمسألة معينة ولم يلتفت الى قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا الى من هو اولى به فيدل الخائف عليه وكل ما يتعلل به من عدم العلم او عدم الفهم او عدم حصول آلة الفقه في الدين او الاحتجاج بالاشباه والنظائر او بان ذلك المتقدم كان اعلم مني بمراده صلى الله عليه وآله وسلم فهي كلها تعللات لا تفيد فهذا مع الاقرار بجواز الخطأ على غير المعصوم الا ان ينازع في شده الصادرة فيسقط مكالمته وهذا هو داخل تحت الوعيد فان استحل مع ذلك ثلب من خالفه وقدح عرضه ودينه بمسألة او استحل من هو الى حضرته او السعي في اذاه فهو من الظلمة المعتدين ونواب المفسدين

عدم تقديم قول على قول النبي صلى الله عليه وآله

واعلم ان العبادة اربع قواعد وهي التحقق بما يحبه الله ورسوله ويرضاه وقيام ذلك بالقلب واللسان والجوارح والعبودية اسم جامع لهذه المراتب الاربع واصحاب العبادة حقا هم اصحابها فقول القلب هو اعتقاد ما اخبر الله به عن نفسه واخبر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عن ربه من اسمائه وصفاته وافعاله وملائكته ولقائه وما اشبه ذلك وقول اللسان الاخبار عنه بذلك والدعاء اليه والذب عنه وتبيين بطلان البدع المخالفة له والقيام بذكره تعالى وتبليغ امره وعمل القلب كالمحبة له والتوكل عليه والانابة اليه والخوف والرجاء والاخلاص والصبر على اوامره ونواهيه واقداره والرضا به وله وعنه والموالاة فيه والمعاداة فيه والاخبات اليه والطمانينة ونحو ذلك من اعمال القلوب التي فرضها اكثر من فرض اعمال الجوارح واما اعمال الجوارح فكالصلاة والجهاد ونقل الاقدام الى الجمعة والجماعات ومساعدة العاجز الى الخلق ونحو ذلك فقول العبد في صلاته اياك نعبد التزام احكام هذه الاربعة واقرار بها وقوله اياك نستعين طلب الاعانة عليها والتوفيق لها وقوله اهدنا الصراط المستقيم متضمن للامرين على التفصيل والهام القيام بهما وسلوك طريق السالكين الى الله تعالى وتبارك والله المن بمنه وكرمه

ان للعبادة اربع قواعد

هذا آخر كلام المقريزي رحمه الله تعالى في كتابه تجريد التوحيد المفيد ولله دره وصلى الله على محمد وآله

هذا البيان وما اشد هدايه الى صراط الرحمن وسبيل الايمان وطريق الجنان وما اجمعه لبيان الشرك وانواعه واقسامه وحقائقه وطرائقه ولعلك لا تجد مثله في هذا الباب وما اولاه مع اختصاره في جامعيته بان يكتب بمداد ماء العيون الباكية على غربة الاسلام واهله على صفائح صدور المؤمنين بالله وباليوم الاخر. وسيأتي لهذه الانواع من الاشراك بالله سبحانه عما يشركون بيان واضح في مطاوي الابواب وفحاوى الكتاب ومعاطف الخطاب

باب في تفسير آيتي الشرك وعدم غفرانه

قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما قال صاحب الكشاف الوجه ان يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين الى قوله تعالى لمن يشاء كانه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على ان المراد بالاول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله فقد افترى اثما عظيما اي ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه انتهى ثم قال في موضع اخر في تفسير قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا تكرير للتاكيد وقيل كرر لقصة طعمة وروي انه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جرأة على الله ولا مكابرة له ولا توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت وهذا الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه انتهى وقال الرازي في مفاتيح الغيب تحت تفسير الآية الاولى ما نصه اعلم ان الله تعالى لما هدد اليهود على الكفر وبين ان ذلك التهديد لا بد من وقوعه لا محالة بين ان مثل هذا التهديد من خواص الكفر فاما سائر الذنوب التي هي مغايرة للكفر فليست حالها كذلك بل هو سبحانه قد يعفو عنها فلا جرم قال ان الله لا يغفر الخ وفي الآية مسائل المسألة الاولى هذه الآية دالة على ان اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع ويدل عليه وجهان الاول ان الآية دالة على ان ما سوى الشرك مغفور فلو كانت اليهودية مغايرة للشرك لوجب ان تكون مغفورة بحكم هذه الآية وبالاجماع هي غير مغفورة فدل على انها داخلة تحت اسم الشرك الثاني ان اتصال هذه الآية بما قبلها انما كان لانها تتضمن تهديد اليهود فلولا ان اليهودية

داخلة تحت اسم الشرك وإلا لم يكن الأمر كذلك فإن قيل قوله تعالى إن الذين آمنوا والذين هادوا إلى قوله
والذين أشركوا عطف المشرك على اليهودي وذلك يقتضي المغايرة قلنا المغايرة حاصلة بسبب المفهوم اللغوي
والاتحاد حاصل بسبب المفهوم الشرعي ولا بد من المصير إلى ما ذكرناه دفعا للتناقض إذا ثبتت هذه المقدمة
فنقول قال الشافعي رضي الله تعالى عنه المسلم لا يقتل بالذمي وقال أبو حنيفة رضي الله عنه يقتل حجة الشافعي
أن الذمي مشرك لما ذكرناه والمشرك مباح الدم لقوله تعالى فاقتلوا المشركين فكان الذمي مباح الدم على الوجه
الذي ذكرناه ومباح الدم هو الذي لا يجب القصاص على قاتله ولا يتوجه النهي عن قتله ترك العمل بهذا الدليل
في حق النهي فوجب أن يبقى معمولا به في سقوط القصاص عن قاتله المسألة الثانية هذه الآية من أقوى الدلائل
لنا على العفو عن أصحاب الكبائر واعلم أن الاستدلال بها من وجوه الوجه الأول أن قوله إن الله لا يغفر أن
يشرك به معناه لا يغفر الشرك على سبيل التفضل لأنه بالإجماع لا يغفر على سبيل الوجوب وذلك عندما يتوب
المشرك عن شركه فإذا كان قوله إن الله لا يغفر الشرك هو أنه لا يغفره على سبيل التفضل وجب أن يكون قوله
ويغفر ما دون ذلك هو أنه يغفره على سبيل التفضل حتى يكون النفي والإثبات متواردين على معنى واحد
ألا ترى أنه لو قال فلان لا يعطي أحدا تفضلا ويعطي زيدا فإنه يفهم منه أنه يعطيه تفضلا حتى لو صرح و
قال لا يعطي أحدا شيئا على سبيل التفضل ويعطي زيدا على سبيل الوجوب فكل عاقل يحكم بركاكة هذا الكلام
فثبت أن قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء على سبيل التفضل إذا ثبت هذا فنقول وجب أن يكون المراد
منه أصحاب الكبائر قبل التوبة لأن عند المعتزلة غفران الصغيرة وغفران الكبيرة بعد التوبة واجب عقلا
فلا يمكن حمل الآية عليه فإذا ثبت ذلك لم يبق إلا حمل الآية على غفران الكبيرة قبل التوبة وهو المطلوب
الثاني أن الله تعالى قسم المنهيات على قسمين الشرك وما سوى الشرك ثم إن ما سوى الشرك يدخل فيه الكبيرة
قبل التوبة والكبيرة بعد التوبة والصغيرة ثم حكم على الشرك بأنه غير مغفور قطعا وعلى ما سواه بأنه مغفور قطعا
لكن في حق من يشاء فصار تقدير الآية أنه تعالى يغفر كل ما سوى الشرك لكن في حق من شاء فلما دلت الآية
على أن كل ما سوى الشرك مغفور وجب أن تكون الكبيرة قبل التوبة أيضا مغفورة الثالث أنه تعالى قال
لمن يشاء فعلق هذا الغفران بالمشيئة وغفران الكبيرة بعد التوبة وغفران الصغيرة مقطوع به وغير معلق
على المشيئة فوجب أن يكون الغفران المذكور في هذه الآية هو غفران الكبيرة قبل التوبة وهو المطلوب
واعترضوا على هذا الوجه الأخير بأن تعليق الأمر بالمشيئة لا ينافي وجوبه ألا ترى أنه تعالى قال بعد

هذه الآية بل الله يزكي من يشاء ثم انا نعلم انه تعالى لا يزكي الا من كان اهلا للتزكية والا كان كذبا والكذب
على الله تعالى محال فكذا ههنا واعلم انه ليس للمعتزلة على هذه الوجوه كلام يلتفت اليه الا المعارضة بعمومات
الوعيد ونحن نعارضها بعمومات الوعد والكلام فيه على الاستقصاء مذكور في سورة البقرة في تفسير قوله
تعالى بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فلا فائدة في الاعادة
وروى الواحدي في البسيط باسناده عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات
الرجل منا على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الآية فامسكنا عن الشهادات وقال ابن عباس رض
اني لارجو كما لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب ذكر ذلك عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فسكت عمر وروي مرفوعا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اتسموا بالايمان واقروا به فكما لا يخرج احسان
المشرك المشرك من اشراكه كذلك لا تخرج ذنوب المؤمن المؤمن من ايمانه **المسئلة الثالثة** روى عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال لما قتل وحشي حمزة رض يوم احد وكانوا قد وعدوه بالاعتاق ان هو فعل ذلك ثم انهم ما وفوا له
بذلك فعند ذلك ندم هو واصحابه فكتبوا الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذنبهم وانه لا يمنعهم عن الدخول
في الاسلام الا قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها آخر فقالوا قد ارتكبنا كل ما في الآية فنزل قوله الا من تاب
وآمن وعمل صالحا فقالوا هذا شرط شديد نخاف ان لا نقوم به فنزل قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء فقالوا نخاف ان لا نكون من اهل مشيئته فنزل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم فدخلوا عند
ذلك في الاسلام وطعن القاضي في هذه الرواية وقال ان من يريد الايمان لا يجوز منه المراجعة على هذا الحد
لان قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا لو كان على اطلاقه لكان ذلك اغراء لهم بالثبات على ما هم عليه والجواب
عنه لا يبعد ان يقال انهم استعظموا قتل حمزة رض وايذاء الرسول الى ذلك الحد فوقعت الشبهة في قلوبهم ان ذلك
هل يغفر لهم ام لا فلهذا المعنى حصلت المراجعة وقوله هذا اغراء بالقبيح فهو انما يتم على مذهبه اما على قولنا
انه تعالى فعال لما يريد فالسؤال ساقط والله اعلم ثم قال ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما اي اختلق ذنبا
غير مغفور يقال افترى فلان الكذب اذا اعتمله واختلقه واصله من الفري بمعنى القطع انتهى وقال في تفسير
الآية الثانية اعلم ان هذه الآية مكررة في هذه السورة وفي تكرارها فائدتان الاولى ان عمومات الوعيد و
عمومات الوعد متعارضة في القرآن وانه تعالى ما اعاد آية من آيات الوعيد بلفظ واحد مرتين وقد اعاد
هذه الآية الدالة على العفو والمغفرة بلفظ واحد في سورة واحدة وقد اتفقوا على انه لا فائدة في التكرير الا التاكيد

فهذا يدل على انه تعالى يحصى جانب الوعد والرحمة مزيد التاكيد وذلك يقتضى ترجيح الوعد على الوعيد
والفائدة الثانية ان الايات المتقدمة انما نزلت في سارق الدرع وقوله ومن يشاقق الرسول الى اخر
الايات انما نزلت في ارتداده فهذه الاية انما يحسن اتصالها بما قبلها لو كان المراد ان ذلك السارق لو
لم يرتد لم يصر محروما عن رحمتي ولكنه لما ارتد واشرك بالله صار محروما قطعا عن رحمة الله تعالى ثم انه
اكد ذلك بان شرح ان امر الشرك عظيم عند الله تعالى فقال ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا
ومن لم يشرك بالله لم يكن ضلاله بعيدا فلا جرم لا يصير محروما عن رحمتي وهذه المناسبات دالة قطعا
على دلالة هذه الاية على ان ما سوى الشرك مغفور قطعا سواء حصلت التوبة او لم تحصل ثم انه تعالى
بين كون الشرك ضلالا بعيدا فقال ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله الى اخرها
معناه النبي ونظيره قوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويذكرون معنى يعبدون
لان من عبد شيئا فانه يدعوه عند احتياجه اليه الى اخرها انتهى وقال النسفي رحمه الله تعالى في
تفسيره مدارك التنزيل تحت تفسير الاية الاولى ان الله لا يغفر ان يشرك به ان مات عليه ويغفر ما
دون ذلك اي ما دون الشرك وان كان كبيرة مع عدم التوبة والحاصل ان الشرك مغفور عنه بالتوبة
وانه وعد ان ما دونه لمن يشاء اي لا يغفر لمن يشرك وهو مشرك ويغفر لمن يشاء وهو مؤمن قال
النبي صلى الله عليه وسلم من لقي الله تعالى لا يشرك به شيئا دخل الجنة ولم تضره خطيئته وتقييده بقوله لمن
يشاء لا يخرجه عن عمومه كقوله الله لطيف بعباده يرزق من يشاء قال علي رضي الله تعالى عنه ما في القران
اية احب الي من هذه الاية وحمل المعتزلة على التائب باطل لان الكفر مغفور عنه بالتوبة لقوله تعالى
قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فما دونه اولى ان يغفر بالتوبة والاية سيقت لبيان التفرقة
بينهما وذا ايضا ذكرنا ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما اكتسب كذبا عظيما استحق به عذابا اليما انتهى واما
الاية الثانية فما تكلم فيها بحث شيء بل احال تفسيرها على الاولى وقال في تفسيره في هذه السورة وقال
الامام الحجة العلامة علاء الدين علي بن محمد البغدادي الصوفي المعروف بالخازن في تفسيره لباب التاويل
تحت تفسير الاية الاولى قال ابن جرير الطبري معناه يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا ان الله لا يغفر ان
يشرك به فيغفر ما دون ذلك لمن يشاء على عبادة ويكون في الاية دلالة على ان اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع وقيل
ان الاية نزلت في وحشي واصحابه وذلك انه لما قتل حمزة رضي الله تعالى عنه ورجع الى مكة ندم هو واصحابه

فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا قد ندمنا على ما صنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك بمكة تقول والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى آخر الآيات وقد دعونا مع الله الها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه الآيات لاتبعناك فنزلت الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآيتين فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اليهم فلما قرؤها كتبوا اليه ان هذا شرط شديد ونخاف ان لا نعمل عملا صالحا فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا انا نخاف ان لا نكون من اهل المشيئة فنزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية فبعث بها اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقبل منهم ثم قال لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال ويحك غيب وجهك عني فلحق بالشام فكان به الى ان مات وقيل لما نزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية قام رجل فقال يا رسول الله والشرك فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلاثا فنزلت هذه الآية ومعنى الآية ان الله تعالى لا يغفر لمشرك مات على شركه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء يعني ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء من اصحاب الذنوب والآثام ففي الآية دليل على ان صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة فانه في خطر المشيئة ان شاء عفا عنه وادخله الجنة بمنه وكرمه وان شاء عذبه بالنار ثم ادخله الجنة برحمته واحسانه لان الله تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك فان مات على الشرك فهو مخلد في النار لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفي الآية رد على المعتزلة والقدرية حيث قالوا لا يجوز في الحكمة ان يغفر لصاحب كبيرة وعند اهل السنة الله تعالى يفعل ما يشاء لا مكره ولا حجر عليه ويدل على ذلك ايضا ما روي عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الآية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا امير المؤمنين الرجل يعمل من الصالحات لم يدع من الخير شيئا الا عمله غير انه مشرك قال عمر هو في النار فقال ابن عباس الرجل لم يدع شيئا من الشر الا عمله غير انه لم يشرك بالله شيئا فقال عمر الله اعلم قال ابن عباس اني لارجو له كما انه لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر عن علي بن ابي طالب قال ما في القرآن احب الي من هذه الآية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن جابر قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار ومن يشرك

بالله يعني يجعل معه شريكا غيره فقد افترى اي اختلق اثما عظيما يعني ذنبا عظيما غير مغفور ان مات
عليه انتهى ثم قال في تفسير الآية الثانية ان الله لا يغفر ان يشرك به نزلت في طعمة بن ابيرق ايضا لكونه
مات مشركا ثم ذكر قول ابن عباس انها نزلت في شيخ من الاعراب الخ ثم قال فهذا النص صريح بان الشرك غير
مغفور اذا مات صاحبه عليه لانه قد ثبت ان المشرك اذا تاب من شركه وآمن قبلت توبته وصح
ايمانه وغفرت ذنوبه كلها التي عملها في حال الشرك ويغفر ما دون ذلك يعني ما دون الشرك لمن يشاء
يعني لمن يشاء من اهل التوحيد قال العلماء لما اخبر الله انه يغفر الشرك بالايمان والتوبة علمنا انه يغفر ما دون
الشرك بالتوبة وهذه المشيئة فيمن لم يتب من ذنوبه من اهل التوحيد فاذا مات صاحب الكبيرة او الصغيرة
من غير توبة فهو على خطر المشيئة ان شاء غفر له وادخله الجنة بفضله ورحمته وان شاء عذبه ثم يدخله
الجنة بعد ذلك ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا يعني فقد ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير
كله اذا مات على شركه فان قلت لم كررت هذه الآية بلفظ واحد في موضعين من هذه السورة وما فائدة
ذلك قلت فائدة ذلك التاكيد او لان الآية المتقدمة نزلت في سبب ونزلت هذه الآية في سبب آخر وهو
ان الآية المتقدمة نزلت في سبب سرقة طعمة بن ابيرق ونزلت هذه الآية في سبب ارتداده وموته على
الشرك انتهى وقال العلامة المفتي ابو السعود رحمه الله تعالى في تفسيره ارشاد العقل السليم تحت تفسير الآية
الاولى ما نصه ان الله لا يغفر ان يشرك به كلام مستانف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد وتاكيد وجوب
الامتثال بالامر بالايمان ببيان استحالة المغفرة بدونه فانهم كانوا يفعلون ما يفعلون من التحريف ويطمعون في المغفرة
كما في قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى اي على التحريف ويقولون
سيغفر لنا والمراد بالشرك مطلق الكفر المنتظم لكفر اليهود انتظاما اوليا فان الشرع قد نص على اشراك اهل
الكتاب قاطبة وقضى بخلود اصناف الكفرة في النار ونزوله في حق اليهود كما قال مقاتل وهو الانسب
بسياق النظم الكريم وسياقه لا يقتضي اختصاصه بكفرهم بل يكفي اندراجه فيه قطعا بل لا وجه له اصلا
لاقتضائه جواز مغفرة ما دون كفرهم في الشدة من انواع الكفر اي لا يغفر الكفر لمن اتصف به بلا توبة
وايمان لان الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا ايمان مما يؤدي الى فتحه
لان ظلمات الكفر والمعاصي انما يسترها نور الايمان فمن لم يكن له ايمان لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي
ويغفر ما دون ذلك عطف على خبر ان وذلك اشارة الى [illegible]

في الذكر الايذان ببعد درجته وكونه في اقصى مراتب القبح اي ويغفر ما دونه في القبح من المعاصي صغيرة كانت او كبيرة تفضلا من لدنه واحسانا من غير توبة عنها لكن لا لكل احد بل لمن يشاء اي لمن يشاء ان يغفر له ممن اتصف به فقط لا بما فوقه فان مغفرتها لمن اتصف بهما سواء في استحالة الدخول تحت المشيئة المبنية على الحكمة التشريعية فان اختصاص مغفرة المعاصي من غير توبة باهل الايمان من متممات الترغيب فيه والزجر عن الكفر ومن علق المشيئة بكلا الفعلين وجعل الموصول الاول عبارة عمن لم يتب والثاني عمن تاب فقد ضل سواء الصواب كيف لا وان مساق النظم الكريم لاظهار كمال عظم جريمة الكفر وامتيازه عن سائر المعاصي ببيان استحالة مغفرته وجواز مغفرتها فلو كان الجواز على تقدير التوبة لم يظهر بينهما فرق للاجماع على مغفرتهما بالتوبة ولم يحصل ما هو المقصود من الزجر البليغ عن الكفر والطغيان والحمل على التوبة والايمان ومن يشرك بالله اظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لزيادة تقبيح الاشراك وتفظيع حال من يتصف به فقد افترى اثما عظيما اي افترى واختلق مرتكبا اثما لا يقادر قدره ويستحقر دونه جميع الآثام فلا تتعلق به المغفرة قطعا انتهى واما الثانية فقال قد مر تفسيره فيما سبق وهو تكرير للتاكيد والتشديد او لقصة طعمة وقد مر موته كافرا ثم ذكر رواية ابن عباس رضي الله عنهما ان شيخا من العرب جاء الخ ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة كما انه افتراء واثم عظيم و لذلك جعل الجزاء في هذه الشرطية فقد ضل الخ وفيما سبق فقد افترى اثما عظيما حسبما يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه انتهى وقال الشيخ العلامة علي المهائمي قدس سره في تفسيره تبصير الرحمن وتيسير المنان تحت تفسير الاولى ان الله لا يغفر ان يشرك به كما لا يغفر ملوك الدنيا من اشركهم في ملكهم ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فجاز ان يغفر لكم شرككم لو آمنتم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وكفرانكم لو جحدتم الى المنزل وكيف يغفر الشرك ومن يشرك بالله فقد افترى اي قصد اثما عظيما تقتضي الحكمة التعذيبية عليه باعظم الوجوه وهو التخليد في النار انتهى واما الآية الثانية فقال في تفسيرها ثم اشار الى ان وعيد مشاقة الرسول جازم دون مخالفة الاجماع لان مشاقة الرسول دليل تكذيبه وهو مستلزم للشرك بالله اذ خلق المعجزات لا يكون الا لكامل القدرة ولا يكون الا لاله فاذا نفاها عن الله فقد اثبت له شريكا ان الله لا يغفر ان يشرك به و مخالفة الاجماع يجوز ان تكون مغفورة لانه يغفر ما دون ذلك لمن يشاء اذ لا تنتهي الى الشرك وكيف يغفر ان يشرك به وهو اعظم وجوه الضلال فان من يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا افترك جزائه

يستلزم التسوية بينه وبين الهداية الكاملة انتهى وقال الشيخ اسمعيل حقي افندي رحمه الله تعالى في تفسيره روح البيان تحت تفسير الآية الاولى ان الله لا يغفر ان يشرك به اي لا يغفر الكفر لمن اتصف به بلا توبة وايمان لان الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا ايمان مما يؤدي الى فتحه ولان ظلمات الكفر والمعاصي انما يسترها نور الايمان فمن لم يكن له ايمان لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي ويغفر ما دون ذلك اي ويغفر ما دون الشرك في القبح من المعاصي صغيرة كانت او كبيرة تفضلا من لدنه واحسانا من غير توبة عنها لكن لا لكل احد بل لمن يشاء ان يغفر له ممن اتصف به فقط اي لا بما فوقه وقال تحت السين الثاني يعني جامع القرآن وهو المؤمن الذي اتقى من الاشراك بالله تعالى يغفر ما دون الاشراك من الصغائر والكبائر لعدم اشراكهم به ولا يغفر للمشركين ما دون الاشراك ايضا لاشراكهم به وكما ان اشراكهم لا يغفر فكذلك ما دون اشراكهم لا يغفر بخلاف المؤمنين فانه تعالى كما وقاهم من عذاب الاشراك وحط عنهم عقبة كذلك وقاهم من عذاب ما دونه بمغفرته لهم ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما اي من افترى واختلق مرتكبا اثما لا يقادر قدره ويستحقر دونه جميع الآثام فلا يتعلق به المغفرة قطعا وهذه الآية من ارجى الآيات التي كاسحنا لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وما غربت اعطيها لا يهولنك ان ما دون الشرك من الذنوب معفو بحسب المشيئة والوعد المعلق بالمشيئة من الكريم يحصل لا محالة خصوصا للعباد الموحدين المخلصين من المحسنين كما قال ثم ان الله يغفر الذنوب جميعا ثم ذكر قصة وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه قال ورأى ابو العباس شريح في مرض موته كأن القيامة قد قامت واذا الجبار سبحانه وتعالى يقول اين العلماء فجاؤا فقال ماذا عملتم فيما علمتم فقلنا يا رب قصرنا واسأنا فاعاد السؤال فكانه لم يرض به واراد جوابا آخر فقلت اما انا فليس في صحيفتي شرك وقد وعدت ان تغفر ما دونه فقال الله تعالى اذهبوا فقد غفرت لكم ومات شريح بعده بثلاث ليال وهذا من حسن الظن بالله تعالى انتهى ؎

کنونت که چشمست اشکی ببار — زبان در دهان است عذری بیار
کنون بایدت عذر تقصیر گفت — نه چون نفس ناطق ز گفتن بخفت
غنیمت شمار این گرامی نفس — که بی مرغ قیمت ندارد قفس

واعلم ان للشرك مراتب وللمغفرة مراتب فمراتب الشرك ثلاث الجلي والخفي والاخفى وكذلك مراتب المغفرة فالشرك الجلي للاعيان وهو للعوام وذلك بان يعبد شيء من دون الله تعالى كالاصنام والكواكب

وغيرها فلا يغفر الا بالتوحيد وهو اظهار العبودية في اثبات الربوبية مصدقا بالسر والعلانية والشرك الخفي بالاوصاف وهو للخواص وذلك شوب العبودية بالالتفات الى غير الربوبية في العبادة كالدنيا والعقبى وما سوى المولى فلا يغفر الا بالوحدانية وهي افراد الواحد للواحد بالواحد والشرك الاخفى وهو للاخص وذلك رؤية الاغيار والانانية فلا يغفر الا بالوحدة وهي فناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية ليبقى بالهوية دون الانانية فان الله لا يغفر بمراتب المغفرة ان يشرك به بمراتب الشرك ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اي لمن يشاء المغفرة فيستغفر الله تعالى من مراتب الشرك فيغفر له بمراتب المغفرة ومن يشرك بالله بمراتب الشرك فقد افترى اثما عظيما اي جعل بينه وبين الله حجابا من اثبات وجود الاشياء وانانيته وهي اعظم الحجب كما قيل ع

وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

نیستی چو لانگر اہل دل ست * شاہراہ عاشقان کامل ست
چون وجودت محو کردی از میان * نور وحدت چشم دل را شد عیان
شرک رہزن باشد ای دل در طریق   ذکر توفیق خدا را کن رفیق

انتهى واما الاية الثانية فذكر في تفسيرها قصة الشيخ ثم قال فالشرك غير مغفور الا بالتوبة عنه وما سواه مغفور سواء حصلت التوبة او لم تحصل لكن لا لكل احد بل لمن يشاء الله مغفرته ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة قال الحدادي اي فقد ذهب عن الصواب والهدى ذهابا بعيدا وحرم الخير كله والفائدة في قوله بعيدا ان الذهاب عن الجنة على مراتب ابعدها الشرك بالله تعالى انتهى فالشرك اقبح الرذائل كما ان التوحيد احسن الحسنات والسيئات على وجوه كاكل الحرام وشرب الخمر والغيبة ونحوها لكن اسوأ الكل الشرك بالله ولذلك لا يغفر وهو جلي وخفي حفظنا الله منهما وكذا الحسنات على وجوه ويجمعها العمل الصالح وهو ما اريد به وجه الله و واحسن الكل التوحيد لانه اساس جميع الحسنات وقامع السيئات ولذلك لا يوزن قال عليه السلام كل حسنة يعملها ابن ادم توزن يوم القيامة الا شهادة ان لا اله الا الله فانها لا توضع في ميزانه لانها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات والارضون السبع وما فيهن كان لا اله الا الله ارجح من ذلك انتهى وقال الخطيب الشربيني قدس سره في تفسيره السراج المنير عند تفسير الاولى ان الله لا يغفر ان يشرك به اي لا يغفر الاشراك به ثم ذكر رواية ابن عمر رضي الله عنهما في شان نزولها ثم قال ولما اخبر بعدله اخبر

تعالى بفضله تعالى ويغفر ما دون ذلك الامر الكبير العظيم من كل معصية سواء كانت صغيرة ام كبيرة سواء تاب فاعلها ام لا ورد بقوله ملاما بانه محال لا يجب عليه شيء لمن يشاء وقال الكلبي نزلت هذه الآية في وحشي الخ ومن يشرك بالله فقد افترى اي ارتكب اثما عظيما اي كبيرا فالافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذا الاختلاق ثم روي ان رجلا قال يا رسول الله ما الموجبات قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار ثم روي ابو ذر انه صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق الخ واما الآية الثانية فقال ان الله لا يغفر ان يشرك به اي وقوع الشرك به من اي شخص كان وباي شيء كان ويغفر ما اي كل شيء من دون ذلك اي من سائر المعاصي لكن لمن يشاء لان جميع الامور بمشيئته ثم ذكر قصة الشيخ انتهى وقال الشيخ جلال الدين رحمه الله تعالى في تفسيره الجلالين ان الله لا يغفر ان يشرك اي الاشراك به ويغفر ما دون سوى ذلك من الذنوب لمن يشاء المغفرة له بان يدخله الجنة بلا عذاب ومن شاء عذبه من المؤمنين بذنوبه ثم يدخله الجنة ومن يشرك بالله فقد افترى اثما ذنبا عظيما كبيرا انتهى واما الآية الثانية ولم يغفرها شيء الا انه بسط عن الحق انتهى وقال الشيخ السيد معين الدين رحمه الله تعالى في تفسيره جامع البيان ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لا يغفر لعبد لقيه مشركا ويغفر ما دون الشرك صغيرا او كبيرا لمن يريد تفضلا ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما تستحقر دونه الذنوب انتهى واما الثانية فقال ان الله لا يغفر ان يشرك به لمن لقيه مشركا ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء غفرانه ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا فانه اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب ثم ذكر قصة طعمة وقصة شيخ انتهى وقال القرطبي في تفسيره تحت تفسير الاولى ان الله لا يغفر ان يشرك به روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلا ان الله يغفر الذنوب جميعا فقال له رجل يا رسول الله والشرك فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وهذا من المحكم المتفق عليه الذي لا اختلاف فيه بين الامة ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من المتشابه الذي قد تكلم العلماء فيه فقال محمد بن جرير الطبري قد ابانت هذه الآية ان كل صاحب كبيرة في مشيئة الله عز وجل ان شاء عفا عنه ذنبه وان شاء عاقبه عليه ما لم تكن كبيرته شركا بالله جل وعز وقال بعضهم قد بين الله تعالى ذلك بقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم واعلم انه يشاء ان يغفر الصغائر

لمن اجتنب الكبائر ولا يغفرها لمن اتى الكبائر وقد ذهب بعض اهل التاويل الى ان هذه الآية ناسخة التي في آخر الفرقان فانه قال زيد بن ثابت نزلت سورة النساء بعد الفرقان بستة اشهر والصحيح ان لا نسخ لان النسخ في الاخبار مستحيل وسياتي بيان الجمع بين الآي في هذه السورة وفي الفرقان ان شاء الله تعالى وفي الترمذي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال ما في القرآن آية احب الي من هذه الآية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال هذا حديث حسن غريب انتهى واما الآية الثانية فقال وفي قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به رد على الخوارج حين زعموا ان مرتكب الكبيرة كافر وقد تقدم القول في هذا المعنى ثم ذكر قول علي المذكور قال ابن فورك واجمع اصحابنا على انه لا تخليد الفاسق وان الفاسق من اهل القبلة اذا مات غير تائب فانه ان عذب بالنار فلا محالة ان يخرج منها بشفاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم او بابتداء رحمة من الله تعالى وقال الضحاك ان شيخا من الاعراب جاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخ انتهى وقال الامام الشوكاني رحمه الله تعالى في تفسيره فتح القدير ما نصه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء هذا الحكم يشمل جميع طوائف الكفار من اهل الكتاب وغيرهم ولا يختص بكفار اهل الحرب لان اليهود قالوا عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالوا ثالث ثلاثة ولا خلاف بين المسلمين ان المشرك اذا مات على شركه لم يكن من اهل المغفرة التي تفضل الله بها على غير اهل الشرك حسبما تقتضيه مشيئته واما غير اهل الشرك من عصاة المسلمين فداخلون تحت المشيئة يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء قال ابن جرير قد ابانت هذه الآية ان كل صاحب كبيرة في مشيئة الله عز وجل ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه ما لم تكن كبيرته شركا بالله عز وجل وظاهره ان المغفرة منه سبحانه تكون لمن اقتضته مشيئته تفضلا منه ورحمة وان لم يقع من ذلك المذنب توبة وقيد ذلك المعتزلة بالتوبة وقد تقدم قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وهي تدل على ان الله سبحانه يغفر سيئات من اجتنب الكبائر فيكون مجتنب الكبائر ممن قد شاء الله غفران سيئاته اخرج ابن ابي حاتم والطبراني عن ابي ايوب الانصاري قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان لي ابن اخ لا ينتهي عن الحرام قال وما دينه قال يصلي ويوحد الله قال استوهب منه دينه فان ابى فابتعه منه فطلب الرجل منه ذلك فابى عليه فاتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاخبره فقال وجدته شحيحا على دينه فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء الآية واخرج ابن الضريس وابو يعلى وابن المنذر وابن عدي

بسند صحيح عن ابن عمر قال كنا نمسك عن الاستغفار لاهل الكبائر حتى سمعنا من نبينا ﷺ ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء وقال اني ادخرت دعوتي وشفاعتي لاهل الكبائر من امتي فامسكنا عن كثير مما كان في انفسنا واخرج ابن
جرير وابن المنذر عن ابن عمر لما نزلت يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية قام رجل فقال والشرك يا رسول الله فكره ذلك
النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء واخرج ابن المنذر عن ابي مجلز
[illegible] عن رجل [illegible] فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء واخرج ابن ابي د[illegible]
في ناسخه وابن ابي حاتم عن ابن عباس قال في هذه الآية ان الله حرم المغفرة على من مات وهو كافر
وارجى اهل التوحيد الى مشيئته فلم يؤيسهم من المغفرة واخرج الترمذي وحسنه عن علي عليه السلام
قال [illegible] في القرآن آية احب الي من هذه الآية [illegible] وتمام الآية [illegible] تعالى [illegible]
قد تقدم تفسير هذه الآية وكررها بلفظها للتأكيد وقيل كررها لاجل قصة بني ابيرق وقيل انها
نزلت [illegible] ذكره الثعلبي والقرطبي في تفسيرهما عن الضحاك عن ابن عباس
الاعرابي جاء [illegible] وقال الشيخ [illegible] المرحوم [illegible] رحمه الله تعالى في كتابه لتفسير آيات الاحكام [illegible]
هذه الآية الذي كررت في القرآن في هذه السورة مرتين عند اولهما [illegible] وقال في الثانية ومن يشرك بالله
فقد ضل ضلالا بعيدا وقيل في نزول الآية [illegible] جاء [illegible] وذكر قصته قال ولم [illegible] في نزول الآية
الاولى شيء وهي مع اشتمالها على [illegible] والعموم من كل [illegible] الشرك [illegible] دون التوبة [illegible]
وما دون ذلك من الذنوب موقوف على مشيئة الله حتى ان شاء عذب عليها وان شاء عفا عنها سواء كانت
صغيرة او كبيرة [illegible] فيغفر الله تعالى [illegible] لا وجه [illegible] عليه سواء كان [illegible]
الصغائر والكبائر هذا هو مذهب اهل السنة والجماعة وقال المعتزلة ان الرجل اذا اجتنب الكبائر كان الصغائر
مغفورة البتة متمسكا بقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما
اذ السيئات هي الصغائر المقابلة وحمل الكبائر على الكفر اذ هو الكامل منها وجمعه باعتبار انواع الكفر
او افراده المتعلقة بافراد المخاطبين على ما نص به في شرح العقائد والسيئات تطلق على الكبائر والصغائر
جميعا فيصير المعنى ان تجتنبوا الكفر نكفر عنكم ذنوبكم [illegible] الفضل والكرامة لاجل [illegible]
هذه الآية لان قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اعم من الكبيرة والصغيرة [illegible] الكبيرة
بالفضل وان [illegible] على [illegible] بالعدل [illegible] الآية حجة عليهم [illegible] المعتزلة [illegible]

لا يغفر ان يشرك به لمن يشاء اي لمن لم يتب ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اي لمن تاب على ما نص به
في الكشاف وغيره وهو باطل بالبداهة والعقل لان الكفر لما كان مغفورا عنه بالتوبة لقوله تعالى قل
للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فما دونه من الذنوب اولى ان يغفر بالتوبة والآية انما سيقت
لبيان التفرقة بين الكفر وسائر الذنوب وهو فيما ذكرنا لا فيما زعموا كما نص به في المدارك فاذا كان المقصود
التفرقة بينهما كانت الآية حجة ايضا على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في
النار كما نص في البيضاوي ولا يقال ان قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم يدل على ان الشرك ايضا مغفور لانا نقول قد صرح
الامام الزاهد ان المراد من قوله اسرفوا على انفسهم ان كان الاسراف بالشرك والذنوب جميعا كان معنى
ان الله يغفر الذنوب جميعا يغفرها اذا انتهوا وان كان الاسراف بالذنوب فقط فهو المطلوب ويكون
اضافة العباد الى الله على الاول اضافة التمليك وعلى الثاني اضافة التكريم والتقريب وذلك لان الآيات
الواردة في عدم مغفرة الشرك قطعية كالآيتين المذكورتين وكقوله ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه
الجنة وامثاله والآية المعارضة المذكورة محتمل المعاني فلا يستطيع ان يعارضها بل يجب حملها على معنى
يطابق تلك الآيات وذلك فيما ذكرنا وكلام غيره ايضا يدل على ان المراد غير الشرك ولكن يشكل بانه لم
يقيد المغفرة ههنا بالتوبة كما قيل في قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولكن لا باس به لانه لا يدل
على وجوب المغفرة البتة لكل واحد من غير توبة ومن غير عفو بتخصيصها في الوعيد بالتعذيب ويعني من التوبة
الاخلاص بالعمل بل على ان الذنوب كلها سوى الشرك تحت مشيته يمكن ان يعفو عنها عفوا ولو بعد
هكذا قال القاضي الاجل فكانه بدل صح الى معنى قوله لمن يشاء وصاحب الكشاف قيده بالتوبة رعاية
لمذهبه ان الكبائر لا تغفر بدون التوبة ولكنه خلاف الظاهر لا حاجة اليه وقد ذكروا في شان نزوله
اوجها متعددة لا نوردها لطول الكلام وكثرة الملال انتهى ثم قال القاضي البيضاوي رحمه الله تعالى في
تفسيره تحت تفسير الآية الاولى ما نصه ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه بت الحكم على خلود عذابه ولانه
ذنب لا ينمحي عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك اي ما دون الشرك صغيرا
كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا واول المعتزلة الفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء
وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الو

بالمحافظة اولى منه ونقص لدينهم فان تعليق الامر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح
بعدها لان الآية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في
النار ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الثاني
فيه وهو سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق اهـ قوله
الثانية ان الله لا يغفر الخ تعالى كرره للتأكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الخ ومن يشرك بالله الخ قال
واما ذكر في الآية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومشاركهم حكاية نوع افتراء وهنا
دعوى التبني على الله سبحانه وتعالى انتهى قال الشهاب الخفاجي في العناية قوله واول المعتزلة الخ يعني
الزمخشري فانه فسره هنا وتقريره كما قال النحرير انه لا خفاء في ان ظاهر الآية التفرقة بين الشرك وما دونه
بان الله لا يغفر الاول البتة ويغفر الثاني لمن يشاء وهو يقول بذلك عند عدم التوبة فحمل الآية عليه
تقريبا للآيات والاحاديث الدالة على قبول التوبة فيهما جميعا ومعصية يقصد بها الاخلاف من احد
الايمان حقيقة المغفرة الستر وترك اظهار الاثر والمؤاخذة على ما هو آت كالمعصية المتصف بها الشخص
تاب او لم يتب وهذا لا يتصور في الشرك الا على تقدير عدم التوبة عنه بالايمان اذ هو مع الايمان يزول
عنه بالكلية ولا يبقى حتى يغفر واما المغفرة بالنسبة اليه فتلك التعبير بما سلف منه وهما معنيان متغايران
لا يقع المفعول عليهما والحاجة في الآية الى التقييد بعدم التوبة اذ لا مغفرة للشرك التائب البتة بخلاف ما دونه
لمن يشاء لا بالقول الزائل بالايمان هو الكيفية الحاصلة في النفس والاعتقاد الباطل واما كونه دون الشرك
مساويا له فقد دفع واما المعتزلة فلا يقولون بالتفرقة بين الشرك وما دونه من الكبائر في انهما يغفران
بالتوبة ولا يغفران بدونها فحملوا الآية على معنى ان الله لا يغفر الاشراك لمن يشاء ان لا يغفر له وهو غير التائب
ويغفر ما دونه لمن يشاء ان يغفر له وهو التائب فقيد المنفي بما قيد به المثبت على قاعدة التنازع لكن
من يشاء في الاول المصروف بالانتفاء وفي الثاني الثابت فصار نحو المقابل وليس هذا من استعمال اللفظ
الواحد في معنيين متضادين لان المذكور انما تعلق بالثاني وقدر في الاول مثله والمعنى واحد لكن معموله
المشيئة يقدر في الاول عدم الغفران وفي الثاني الغفران تقريبه سبق الذكر فان قيل لا يخفى انه لا بد
في من يشاء من عائد على الموصول وهو في المثبت تقديره من يشاء الله ان يغفر له والمعنى لا يتجه انه
فلا بد من التوجه الى لفظ من يشاء بالحمل على ما يناسب من المعنى وعشرته توهم ان العائد الى الموصول

ضمير الفاعل كما قيل وليس كذلك ولقائل ان يقول بعد تسليم ما مر لا جهة لتخصيص كل من القيدين
بما ذكر لان الشرك ايضا يغفر للتائب وما دونه لا يغفر للمصر من غير فرق بينهما وسوق الآية ينادي على
التفرقة ويأخذ بكظم المعتزلة ثم ذهب البعض منهم الى ان ويغفر عطف على المنفي والنفي منسحب عليهما
فالآية للتسوية بينهما لا للتفرقة ومن تحريف كلامه تعالى قوله اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة لم يعد
انه ترك المفعول الاول للمحافظة على عمومه فان حذفه يفيد ذلك وذلك انه لا وجه للمحافظة عليه في
احدهما دون الآخر واما كونه من التنازع كما قرره النحرير فغير متوجه مع اختلاف متعلق المشيئة فيهما و
ما ذكره لتوجيهه تعسف لا يصلح ما افسده الدهر قوله ونقض لمذهبهم الخ ره صاحب الكشف فقال وما
قاله بعض الجماعة من ان التقييد بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة ووجوب الصفح بعدها لم يصدر
عن ثبت لان الوجوب بالحكمة يؤكد المشيئة عندهم وايضا فانه اشار بتمثيله بان الامير يبذل القنطار
لمن يشاء ولا يبذل الدينار لمن لا يشاء ان المشيئة بمعنى الاستحقاق وهي تقتضي الوجوب وتؤكده كما قاله
المدقق فلا يرد ما ذكره راسا ووجه الزام الخوارج يفهم من التقابل فافهم انتهى وقال في كتاب التمييز
لما اودعه الزمخشري من الاعتزالات في تفسير الكتاب العزيز ما نصه ان الله لا يغفر ان يشرك به
قال الزمخشري فيه ما مقتضاه ان مقصوده ان ينظر ويقابل قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به لمن لم
يتب من الشرك وانه يغفر له ان تاب منه على القطع ثم اشار ان ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لمن تاب
ايضا على القطع فان لم يتب لم يغفر له اصلا بناء منه على مقابلة آخر الكلام لاوله فخرج له من ذلك على
زعمه انه لا يغفر لمن مات مصرا من عصاة المؤمنين وهو اعتزال ملفق من النظر الى مواضع الكلام وتنظيره
ونزول نصه ووجه دليله على تحقيقه ولو سلمنا هذه المقابلة التي الاجماع على تركها لاجل نصه تعالى
على انه لا يغفر الشرك وان من عصى بما دون الشرك في المشيئة هذا نص الآية فترك هذا او مخالفته
لاجل مقابلة اول الكلام لآخره من عمى البصيرة فان النظير انما يرجع اليه مع عدم النص لانه كالقياس ولا
قياس مع وجود النص هذا ما اجمعت عليه الصحابة رضي الله عنهم على ما ذكره امام الحرمين في البرهان
على تقدير تسليم هذه المقابلة كما ذكرناه وان مقتضى ذلك ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لمن تاب
فمفهومه انه ان لم يتب فلا غفران له فالقول بهذا المفهوم وهو مفهوم المخالفة ضعيف لضعف دلالته
ومع ضعفه فالمعتزلة لا تقول به فكيف تحتج بما لا يقول به لا هو ولا شيعته ثم القائلون بدلالته

يشترط في ذلك ان لا يكون دليل آخر يدل على نقيضه فان كان ذلك بطلت دلالته ويكون ذلك
الخطاب لا عموم له البتة ومن التوضيح قد دلت الدلائل السمعية القطعية والعقلية على جواز العفو
للمصرين ويرجى ذلك لهم واجمعت الامة في ذلك على خلاف المعتزلة ثم ان عوقبوا فلا بد من خروجهم
بالشفاعة المتواترة معنا ولم يعبأ للزمخشري من تلفيقه لنصرة اعتزاله شيء وقوله في اثناء كلامه انه قد تبين
بما تلاه مما اشتبه ان تبين ضده وهو الحق ومتى تبين الاحتمال بطل دلالته داحضة وحجته ساقطة
بما نبأناه من الدلائل القطعية العقلية والشرعية انتهى وتمام الآية السابقة تعالى ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء ذكر فيه قصة الرجل الذي كثرت ذنوبه فاتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اخبره وتاب
فنزلت ثم قال وهذا الحديث يصرح قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه ولم يعلم الزمخشري من علم اصول
الفقه شيئا لانه لو درى صحة هذا الحصر في آحاد وقواعد العقائد مبناها القطعيات دون الظنيات
ومع ذلك فالحكم الشرعي قد يكون له سبب خاص يراد اعم من سببه كما سئل عليه الصلوة والسلام عن ماء البحر
فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته وكذلك وردت هذه الآية بصيغة من المقتضية للعموم وان كان السبب
على الخصوص فدخل هذا التائب في عموم من شاء الله تعالى ان يغفر له وهذا الذي نص عليه المحققون اهل
الحق كالقاضي ابي بكر رحمه الله تعالى ومن سلك مسلكه تحقيقه فبطل متمسك الزمخشري في آية وجوب
تخصيص السنة بالتائبين والقطع بالعفو ولهذا لم يقطع بالمغفرة لمن تاب من الكفر لقوله تعالى قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والاجماع على ذلك فكانت الدلائل هنا قطعية بخلاف من دلالته
فيكون المغفرة له على الرجاء وقد تقدم بيان هذا كله انتهى وقال الملا كمال الدين حسين الواعظ الكاشفي الهروي في
تفسيره المسمى بالمواهب العلية المعروف بالتفسير الحسيني ما نصه ان الله لا يغفر بدرستي كه خداي تعالى نمي آمرزد آنرا كه شرك آورد
به وي شريك گيرد در عبادت او ويغفر ما دون ذلك ومي آمرزد آن گناهي را كه غير از شرك بود لمن يشاء مر كسي را
كه خواهد از روي فضل واحسان يا بوسيله عبادت ويا شفاعت شيخ الامام زاهد فرموده كه مي آمرزد قبل العذاب هر كرا
خواهد وبعد العذاب جميع عصاة را خواهد آمرزيد ومن يشرك بالله وهر كه شرك آرد بخداي وانباز گيرد با او
فقد افترى پس بدرستي كه افترا كرده باشد و افترى اثما عظيما دروغ بزرگ را كه بدان مستحق عذاب بزرگ گردد انتهى
وقال في تفسير الآية الثانية ان الله لا يغفر بدرستي كه نيامرزد خداي ان يشرك به آنرا كه شرك آرد بخداي ويغفر ما
دون ذلك ويامرزد آنچه جز شرك است لمن يشاء هر كرا خواهد بعد و در شان نزول اين همان قصه شيخ ذكر كرده

ومن یشرک باللہ وہر کہ شرک آرد بخدای فقد ضل پس ہر آئینہ گمراہ شد از حق ضلالا بعیدا گمراہی دور یعنی در نہایت ضلالت مولانا شیخ عبد القادر صاحب رحمہ اللہ تعالی در موضح القرآن بزیر ترجمۂ آیت ثانیہ این فائدہ نوشتہ اند ف اوپر سے ذکر تھا منافقوں کا جو پیغمبر کے حکم پر راضی نہو اور جدی راہ چلے یہ آیت فرمائی کہ اللہ شرک نہیں بخشتا تو شرک فرمایا حکم میں شریک کرنیکو یعنے سوای دین اسلام کے اور دین پسند رکھے اور اوسپر چلے پس جو دین ہی سوای اسلام کے سب شرک ہی اگرچہ پوجنے مین شرک نہ کرتے ہون انتہی قال الشیخ العلامة الحافظ عماد الدین بن کثیر تحت تفسیر الآیة الاولی

ان اللہ لا یغفر ان یشرک به ای لا یغفر لعبد لقیه وهو مشرک به ویغفر ما دون ذلک لمن یشاء من الذنوب من عباده وقد وردت احادیث متعلقة بهذه الآیة الکریمة فلنذکر منها ما تیسر الحدیث الاول قال الامام احمد رضی اللہ عنه بسنده عن عائشة قالت قال رسول اللہ صلی اللہ علیه وآله وسلم الدواوین عند اللہ ثلاثة دیوان لا یعبأ اللہ به شیئا ودیوان لا یترک اللہ منه شیئا ودیوان لا یغفره اللہ اما الدیوان الذی لا یغفره اللہ فالشرک باللہ قال اللہ تعالی ان اللہ لا یغفر ان یشرک به الآیة وقال انه من یشرک باللہ فقد حرم اللہ علیه الجنة واما الدیوان الذی لا یعبأ اللہ به شیئا فظلم العبد نفسه فیما بینه وبین اللہ من صوم یوم ترکه او صلوة فان اللہ یغفر ذلک ویتجاوز ان شاء واما الدیوان الذی لا یترک منه شیئا فظلم العباد بعضهم بعضا لا محالة تفرد به احمد الحدیث الثانی قال البزار فی مسنده بسنده عن انس بن مالک عن النبی صلی اللہ علیه وآله وسلم قال الظلم ثلثة فظلم لا یغفره اللہ وظلم یغفره اللہ وظلم لا یترک اللہ منه شیئا فاما الظلم الذی لا یغفره اللہ فالشرک وقال ان الشرک لظلم عظیم واما الظلم الذی یغفره اللہ فظلم العباد لانفسهم فیما بینهم وبین ربهم واما الظلم الذی لا یترکه فظلم العباد بعضهم بعضا حتی یدین لبعضهم من بعض الحدیث الثالث قال احمد رحمه اللہ بسنده عن ابی ادریس قال سمعت معاویة رضی یقول سمعت رسول اللہ صلی اللہ علیه وآله وسلم یقول کل ذنب عسی اللہ ان یغفره الا الرجل یموت کافرا او الرجل یقتل مؤمنا متعمدا و رواه النسائی عن محمد بن المثنی عن صفوان به الحدیث الرابع قال احمد بسنده ان ابا ذر حدث ابن غنم عن رسول اللہ صلی اللہ علیه وآله وسلم قال ان اللہ یقول یا عبدی انک ان لقیتنی بقراب الارض خطایا ثم لقیتنی لا تشرک بی شیئا لقیتک بقرابها مغفرة تفرد به احمد من هذا الوجه الحدیث الخامس قال احمد رحمه بسنده ان ابا ذر حدث ابا الاسود الدیلی ان رسول اللہ صلی اللہ علیه وآله وسلم قال ما من عبد قال لا اله الا اللہ ثم مات علی ذلک الا دخل الجنة قلت وان زنی وان سرق قال وان زنی وان سرق قلت و

ان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق ثلاثا قال في الرابعة على رغم انف ابي ذر قال فخرج ابو ذر وهو يجر ازاره وهو يقول وان رغم انف ابي ذر واخرجاه ايضا من حديثه وقد بينا طريق اخرى لحديث ابي ذر قال الحميدي بسنده عن ابي ذر قال كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حرة المدينة عشاء ونحن ننظر الى احد فقال يا ابا ذر قلت لبيك يا رسول الله قال ما احب ان لي احدا ذهبا امسي ثالثة وعندي منه دينار الا دينار ارصده يعني لدين الا ان اقول به على عباد الله هكذا وهكذا وحثى عن يمينه وعن يساره وبين يديه قال ثم مشينا فقال يا ابا ذر ان الاكثرين هم الاقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا فحثى عن يمينه وبين يديه وعن يساره ثم مشينا فقال يا ابا ذر كما انت حتى آتيك قال فانطلق حتى توارى عني قال فسمعت لغطا واصواتا فقلت لعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عرض له قال فهممت ان اتبعه قال فذكرت قوله لا تبرح حتى آتيك فانتظرته حتى جاء فذكرت له الذي سمعت فقال ذاك جبريل اتاني فقال من مات من امتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق اخرجاه من حديث الاعمش به وقد روى البخاري ومسلم ايضا كلاهما عن قتيبة باسنادهما عن ابي ذر قال خرجت ليلة من الليالي فاذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمشي وحده ليس معه انسان قال فظننت انه يكره ان يمشي معه قال فجعلت امشي في ظل القمر فالتفت فرآني فقال من هذا فقلت ابو ذر جعلني الله فداك قال يا ابا ذر تعاله قال فمشيت معه فقال ان المكثرين هم المقلون يوم القيامة الا من اعطاه الله خيرا فجعل ينفح عن يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيرا قال فمشيت معه ساعة فقال اجلس ههنا قال فاجلسني في قاع حوله حجارة فقال اجلس ههنا حتى ارجع اليك فانطلق في الحرة لا اراه فلبث عني حتى اذا اطال اللبث ثم اني سمعته وهو مقبل وهو يقول وان زنى وان سرق قال فلما جاء لم اصبر حتى قلت يا نبي الله جعلني الله فداك من تكلم في جانب الحرة فاني سمعت احدا يرجع اليك قال ذاك جبريل عرض لي من جانب الحرة فقال بشر امتك انه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت يا جبريل وان سرق وان زنى قال نعم وان شرب الخمر الحديث السادس قال عبد بن حميد في مسنده بسنده عن جابر قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبات قال من مات لا يشرك بالله شيئا وجبت له الجنة ومن مات يشرك بالله شيئا وجبت له النار تفرد به من هذا الوجه وذكر تمام الحديث طريق اخرى قال ابن ابي حاتم بسنده عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من نفس تموت لا تشرك

باللّه شيئاً الا حلت له المغفرة ان شاء الله عذبها وان شاء غفر لها ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما
دون ذلك لمن يشاء ورواه الحافظ ابو يعلى في مسنده بسنده عن جابر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
قال لا تزال المغفرة على العبد ما لم يقع الحجاب قيل يا نبي الله وما الحجاب قال الاشراك بالله قال ما من نفس
لا تشرك بالله شيئاً الا حلت لها المغفرة ان شاء ان يعذبها وان شاء ان يغفر لها ثم قرأ نبي الله ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء الآية الحديث السابع قال احمد رح بسنده عن عبد الله
بن ناشر من بني سريع قال سمعت ابا رهم قاص اهل الشام يقول سمعت ابا ايوب الانصاري يقول ان رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج ذات يوم اليهم فقال ان ربكم عز وجل خيرني بين سبعين الفاً يدخلون
الجنة عفواً بغير حساب وبين الخبيئة عنده فقال بعض اصحابه ايخبأ ربك فدخل رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ثم خرج وهو يكبر فقال ان ربي زادني مع كل الف سبعين الفاً والخبيئة عنده قال ابو رهم يا ابا ايوب
وما تظن خبيئة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأكله الناس بافواههم فقالوا وما انت وخبيئة رسول الله
فقال ابو ايوب دعوا الرجل عنكم اخبركم عن خبيئة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما اظن كالمستيقن
ان خبيئة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقول من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان
محمداً عبده ورسوله مصدقاً لسانه قلبه الا ادخل الجنة الحديث الثامن قال ابن ابي حاتم بسنده عن ابي
سورة ابن اخي ابي ايوب الانصاري قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان لي ابن اخ لا ينتهي
عن الحرام قال وما دينه قال يصلي ويوحد الله قال استوهب منه دينه فان ابى فابتعه منه فطلب الرجل
ذلك منه فأبى عليه فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاخبره قال وجدته شحيحاً على دينه قال فنزلت
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء الحديث التاسع قال ابو يعلى بسنده عن انس رض
قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله ما تركت حاجة ولا داجة الا قد اتيت
قال اليس تشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ثلاث مرات قال نعم قال فان ذلك يأتي على ذلك كله
الحديث العاشر قال احمد رح بسنده ان جوشن اليماني قال قال لي ابو هريرة يا يماني لا تقولن لرجل لا يغفر الله
لك او لا يدخلك الجنة ابداً فقلت يا ابا هريرة ان هذه كلمة يقولها احدنا لاخيه وصاحبه اذا غضب قال
لا تقلها فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول كان في بني اسرائيل رجل يجتهد في العبادة والآخر
مسرفاً على نفسه وكانا متآخيين وكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على الذنب قال فيقول يا هذا اقصر فيقول له

على اوزاري ابعثت على رقيبا الى ان راه يوما على ذنب فقال له اقصر قال خلني وربي ابعثت علي رقيبا فقال الله لا يغفر الله لك
او لا يدخلك الجنة ابدا قال فبعث الله اليهما ملكا فقبض روحهما واجتمعا عنده فقال للمذنب ادخل الجنة وقال للاخر اكنت على ما في يدي
قادرا اذهبوا به الى النار قال والذي نفس ابي القاسم بيده انه لتكلم بكلمة اوبقت دنياه واخرته ورواه ابو داود من حديث عكرمة
بن عمار حدثني ضمضم بن جوس به الحديث الحادي عشر قال الطبراني بسنده عن ابن عباس عن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم قال قال الله عز وجل من علم اني ذو قدرة على الذنوب غفرت له ولا ابالي ما لم يشرك بي شيئا
الحديث الثاني عشر قال البزار وابو يعلى بسندهما عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من وعده الله
على عمل ثوابا فهو منجزه له ومن توعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار تفرد به وقال ابن ابي حاتم بسنده عن ابن عمر
قال كنا اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا نشك في قاتل النفس واكل مال اليتيم وقاذف المحصنات و
شهادة الزور حتى نزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فامسك اصحاب النبي صلى
الله عليه وآله وسلم عن الشهادة ثم رواه ابن جرير من حديث الهيثم بن حماد وقال ابن ابي حاتم بسنده عن ابن عمر
قال كنا لا نشك فيمن اوجب الله له النار في الكتاب حتى نزلت علينا هذه الاية ان الله لا يغفر الاية قال فلما
سمعناها كففنا عن الشهادة وارجينا الامور الى الله عز وجل وقال البزار بسنده عن ابن عمر قال كنا نمسك عن
الاستغفار لاهل الكبائر حتى سمعنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله لا يغفر الاية وقال اخرت
شفاعتي لاهل الكبائر من امتي يوم القيامة وقال ابو جعفر الرازي عن الربيع عن عبد الله بن عمر انه قال لما
نزلت يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قام رجل فقال والشرك بالله يا نبي الله فكره
ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك رواه ابن
جرير وقد رواه ابن مردويه من طرق عن ابن عمر ثم هذه الاية التي في سورة تنزيل مشروطة بالتوبة فمن تاب
من اي ذنب وان تكرر منه تاب الله عليه ولهذا قال ان الله يغفر الذنوب جميعا اي بشرط التوبة ولو لم يكن
كذلك لدخل الشرك فيه ولا يصح ذلك لانه تعالى قد حكم ههنا بانه لا يغفر الشرك وحكم بانه يغفر ما عداه لمن
يشاء اي وان لم يتب صاحبه فهذه ارجى من تلك من هذا الوجه والله اعلم وقوله ومن يشرك بالله فقد
افترى اثما عظيما كقوله ان الشرك لظلم عظيم وفي الصحيحين عن ابن مسعود انه قال قلت يا رسول الله اي الذنب
اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك وذكر تمام الحديث وقال ابن مردويه بسنده عن عمران بن حصين
ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اخبركم باكبر الكبائر الاشراك بالله ثم قرا ومن يشرك بالله فقد

افترى اثما عظيما وعقوق الوالدين ثم قرأ أن اشكر لي ولوالديك الي المصير انتهى وأما الآية الثانية فقال قد تقدم الكلام على هذه الآية الكريمة وهي قوله ان الله لا يغفر الآية وذكرنا ما يتعلق بها من الاحاديث في صدر هذه السورة وقد روى الترمذي عن علي انه قال ثم ذكر قوله المذكور وقوله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا اي فقد سلك عن طريق الحق وضل عن الهدى وبعد عن الصواب واهلك نفسه وخسرها في الدنيا والآخرة وفاتته السعادة انتهى وقال المولى الاعظم حسن بن محمد بن الحسين المشتهر بنظام النيسابوري رضي الله عنه وارضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه في تفسيره انوار التنزيل ما نصه ان الله لا يغفر في الآية دلالة على ان اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع لاتصالها بقصتهم ولانها دلت على ان ما سوى الشرك مغفور واليهودية غير مغفورة بالاجماع ومن هنا قال الشافعي رح المسلم لا يقتل بالذمي لان الذمي مشرك والمشرك مباح الدم ومباح الدم هو الذي لا يجب القصاص على قاتله ولا يتوجه النهي عن قتله الى ترك العمل بهذا الدليل في النهي فيبقى معمولا به في سقوط القصاص عن قاتله واستدلت الاشاعرة بالآية على غفران صاحب الكبيرة قبل التوبة لانها دون الشرك بمثله والمعتزلة خصص الثاني لمن تاب كما ان الاول مخصص بالاجماع لمن لم يتب قالوا ونظيره قولك ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء والمعنى لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله والمشيئة تكون قيدا في الكبيرة فيستوجب الغفران وروى الواحدي في البسيط باسناده عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات الرجل منا على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الآية فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس بحضرة عمر اني لارجو كما لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر وعن ابن عباس لما قتل وحشي حمزة يوم احد وكانوا قد وعدوه الاعتاق ان هو فعل ذلك ثم ما وفوا له بذلك فعند ذلك ندم هو واصحابه فكتبوا الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ندمهم وانه لا يمنعهم من الدخول في الاسلام الا قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها آخر فقالوا قد ارتكبنا كل ما في الآية فنزلت قوله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقالوا هذا شرط شديد نخاف ان لا نقوم به فنزل قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به فقالوا نخاف ان لا نكون من اهل مشيئته فنزل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم فدخلوا عند ذلك في الاسلام ومن يشرك بالله فقد افترى اختلق وافتعل اثما عظيما لانه ادعى ما لا يصح كونه انتهى وأما الآية الثانية فقال ثم انه كرر في السورة قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به للتاكيد وقيل لقصة طعمة واشراكه بالله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا لانه لا اجلى من وجود الصانع ووحدته

والمطلوب كلما كان اجل كان لقيته ابعد انتهى وقال القاضي ثناء الله الپاني پتي رحمه الله تعالى في تفسير المظهري ما نصه اخرج الطبراني وابن ابي حاتم عن ابي ايوب الانصاري قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان لي ابن اخ لا ينتهي عن الحرام قال وما دينه قال يصلي ويوحد قال استوهب منه دينه فان ابى فابتعه منه فطلب الرجل ذلك منه فابى عليه فاتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاخبره فقال وجدته شحيحا على دينه فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به تعالى في وجوب الوجود او العبادة اذا مات وهو مشرك واما اذا تاب عن الشرك وآمن فيغفر له ما قد سلف منه من الشرك وعليه الاجماع لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له يعني كانه لم يصدر عنه ذلك الذنب قط قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ويغفر ما دون ذلك يعني ما سوى الشرك من الذنوب صغيرة كانت او كبيرة صدرت عنه خطأ او عمدا وان مات من غير توبة لمن يشاء تعميم المغفرة لما دون الشرك وتقييدها بالمشيئة مبطل لمذهب المرجئة حيث قالوا بوجوب المغفرة لكل ذنب وقالوا لا يضر ذنب مع الايمان كما لا ينفع عمل مع الشرك ولمذهب المعتزلة حيث قيدوا مغفرة الذنوب بالتوبة فان الآية تدل على نفي التقييد بالتوبة لان مبنى الكلام للتفرقة بين حال الشرك والذنب والتقييد بالمشيئة يبطل القول بوجوب المغفرة للتائب ووجوب التعذيب لغيره فان قيل التقييد بالمشيئة لا ينافي الوجوب بل يستلزم وجوب المشيئة بعد ثبوت المغفرة قلنا فح لا فائدة في هذا التقييد ومذهب الخوارج حيث قالوا كل ذنب شرك لصاحبه مخلد في النار اخرج ابو يعلى وابن المنذر وابن عدي بسند صحيح عن ابن عمر قال كنا نمسك عن الاستغفار لاهل الكبائر حتى سمعنا من نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال اني ادخرت دعوتي شفاعتي لاهل الكبائر من امتي فامسكنا عن كثير مما كان في انفسنا ثم نطقنا بعد ورجونا قال البغوي ناقلا عن الكلبي ان الآية نزلت في وحشي بن حرب واصحابه ثم ذكر قصته المذكورة ثم قال فان قيل هذه القصة تدل على لحوق تقييد المغفرة بالمشيئة فيثبت مذهب المرجئة قلنا هذا التقييد لا يحتمل النسخ اذ لا يلزم وجود شيء من الاشياء مغفرة كانت او غيرها بدون مشيئة الله لكن نزول قوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا في شان الوحشي دل على كونه من اهل المشيئة والله اعلم وقال البغوي ناقلا عن ابي مجلز عن ابن عمر انه لما نزل قل يا عبادي الذين اسرفوا الآية

قام رجل فقال والشرك يا رسول الله فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلثا فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية وقال ايضا عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الاية فامسكنا عن الشهادات وقال حكي عن علي رض ان هذه الاية ارجى اية في القران ومن يشرك بالله فقد افترى يعني الافتراء الافساد والافتراء استعمل في الكذب والشرك والظلم كذا في الصحاح فالمعنى فقد افسد وكذب اثما منصوب على المصدرية يعني ارتكب الكذب والفساد كذبا وفسادا عظيما وجاز ان يكون منصوبا على المفعولية والمعنى على التجريد اختلق اثما عظيما يستحقر دونه الاثام وهذا وجه الفرق بينه وبين سائر الاثام وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثنتان موجبتان فقال رجل يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار رواه مسلم وعن ابي ذر رضي الله عنه قال اتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليه ثوب ابيض وهو نائم ثم اتيته وقد استيقظ فقال ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق الحديث متفق عليه وفي الباب احاديث كثيرة والله اعلم انتهى واما الاية الثانية فقال قال البغوي روي ان طعمة بن ابيرق نزل على رجل من بني سليم من اهل مكة يقال له الحجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع ان يدخله ولا ان يخرج حتى اصبح فاخذ ليقتل فقال بعضهم دعوه فانه قد لجأ اليكم فتركوه فاخرجوه من مكة فخرج مع تجار من قضاعة نحو الشام فنزلوا منزلا فسرق بعض متاعهم فهرب فطلبوه فاخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه فصار قبره تلك الحجارة وقيل انه ركب سفينة الى جدة فسرق فيها كيسا فيه دنانير فاخذ فالقي في البحر وقيل انه نزل في حرة بني سليم فكان يعبد صنما لهم الى ان مات فانزل الله تعالى فيه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك من الصغائر والكبائر بالتوبة وبلا توبة لمن يشاء مغفرته ومن يشرك بالله في وجوب الوجود وتاصله او في العبادة شيئا فقد ضل عن سبيل الحق ضلالا بعيدا لا يمكن وصوله الى النجاة والمغفرة وقال البغوي قال الضحاك عن ابن عباس رض ان هذه الاية السابقة نزلت في شيخ من الاعراب الى اخر القصة وكذا اخرج الثعلبي عنه والله اعلم انتهى قال بعض اهل العلم في تفسير اية سورة النساء المذكورة نسيان الله انما يكون بان لا يميز بين الحلال والحرام او يسرق او يزني او يترك الصلوة والصيام ويضيع حقوق الازواج والاولاد وسائر الانام ويسيء الادب مع الابوين ولكن من

وقع في شرك الشرك فيا سعي له لانه عصى عصيانا وان اثما لا يغفره الله ابدا وسائر المعاصي تحت امره
يغفرها ويعفو عنها رحمة منه ولطفا وكرما وفضلا الآية قد دلت على ان الشرك لا يغفر ولابد له من العقاب
الذي عليه بان كان الشرك اعظم درجة مما تصير به صاحبه كافرا ومجرما مخلدا فيها ابدا الآباد
الآباد ولا يتم فيها دهر الداهرين وان كان اصغر درجة يلقى صاحبه عقابا يليق له وسائر الذنوب باقي
الايام في مشيئة الله تعالى ان شاء عذب عليها وان شاء غفرها ومفهوم الآية ان الشرك من اكبر الكبائر
مثال ذلك ان رعايا الملك تقصيرهم في طاعته واتيانهم معصيته كالسرقة وقطع الطريق والنوم حين
الحراسة مثلا وعدم الحضور في المجالس والفرار عن معركة الحرب والضرب وعدم تادية الخراج ومحاصيل
الارض والزكوة اليه ونحوها انواع معصية عند الملك ولكنه ان شاء اخذ العاصي على ذلك
وان شاء عفا عنه وما تم اخر العصيان اشد من بغي العاصي على الملك مثل ان يجعل احدا من دونه
اميرا او وزيرا او زعيم علاقة او مقدم قرية او فقيرا كناسا او دباغا او حذاء او نياتا او واحدا من الخدم
والحشم مقام الملك ويهيئ له تاجا وسريرا ويخاطبه الظل السبحاني ويسلم عليه تسليم الرعية على السلطان
او يقرر له يوما للفرح وعيد السرور وموسم السرور او يسير له نذر الرعايا للملوك وولاة الامر فهذا
الذنب من هذا الانسان اكبر من جميع ذنوبه واعظم من كل معاصيه وفي هذا الموضع لابد للملك من ان يجازيه
على ذلك ما يليق من الجزاء على هذا الذنب ولا يغمض الطرف عنه وان اغمض ولم يعاقب على هذا ان
غفل عن مثل هذه الجريمة فلا ريب ان في سلطانه ثلمة وفي شانه نقصا ومثل هذا الملك عند اهل
العقل واولي النهى ذاهب الغيرة وفاقد الحياء اذا تقرر هذا فاعرف ان حال ملوك الدنيا اذا كان كذلك
فالله سبحانه اعلى واكبر مما هنالك لانه مالك الملوك ومالك الملك ولا شخص اغير منه ولا احد اشد
حياء منه وهو اقدر على كل شيء من كل احد فكيف يستقيم انه يغفل عن ذنوب المشركين ولا يعاقبهم
على ذنب الشرك الذي هو البغي عليه مثل ما تقدم وقد قال سبحانه وما الله بغافل عما يعملون وقد احاط
بكل شيء علما وعلى هذا فهذه الآية نص في محل النزاع ودليل قطعي على عدم العفو ونفي غفران الشرك
فكل شيء قولا كان او عملا اذا ثبت انه شرك سواء في ذلك الجلي منه والخفي وقد نص الكتاب والسنة
عليه بالشرك وقضى به نصهما عليه وانه لا يغفر ابدا الا شك فيه ولا شبهة اللهم الا ان يتوب فاعله
وفاعله منه توبة صحيحة ويقلع عن الاعتقاد به والعمل به ظاهرا وباطنا اللهم ارحم المشركين فانهم

عن افات المشركين قال صاحب الفتح المجيد تبين بهذه الاية ان الشرك اعظم الذنوب واكبر المعاصي
والعيوب لان الله تعالى اخبر انه لا يغفره لمن لم يتب منه واما ما دونه من الذنوب فهو داخل تحت مشيئة
الله ان شاء غفره لمن لقيه به وان شاء عذبه وذلك يوجب للعبد شدة الخوف من الشرك الذي هذا
شأنه عند الله لانه اقبح القبيح واظلم الظلم وتنقص لرب العالمين وصرف خالص حقه لغيره وعدل غيره
به كما قال تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ولانه مناقض للمقصود بالخلق والامر مناف له من كل
وجه وذلك غاية المعاندة لرب العالمين والاستكبار عن طاعته والذل له والانقياد لاوامره الذي
لا صلاح للعالم الا بذلك فمتى خلا منه خرب وقامت القيامة كما قال صلى الله عليه وآله وسلم لا تقوم
الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله رواه مسلم ولان الشرك تشبيه للمخلوق بالخالق تعالى وتقدس في
خصائص الالهية من ملك الضر والنفع والعطاء والمنع الذي يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء
والتوكل وانواع العبادة كلها بالله تعالى وحده فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق وجعل من لا يملك
لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا شبيها بمن له الخلق كله والامر كله وبيده الخير كله فازمة
الامور كلها بيده سبحانه ومرجعها اليه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع اذا
فتح للناس رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم فاقبح التشبيه تشبيه
العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات ومن خصائص الالهية الكمال المطلق من جميع الوجوه
الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب ان تكون العبادة كلها له وحده والتعظيم والاجلال
والخشية والدعاء والرجاء والانابة والتوكل والتوبة والاستعانة وغاية الحب مع غاية الذل كل ذلك
يجب عقلا وشرعا وفطرة ان يكون لله تعالى وحده ويمتنع عقلا وشرعا وفطرة ان يكون لغيره فمن فعل شيئا من ذلك لغيره سبحانه فقد
شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثل له ولا ند له وذلك اقبح التشبيه وابطله فلهذه الامور وغيرها
اخبر سبحانه انه لا يغفره مع انه كتب على نفسه الرحمة هذا معنى كلام ابن القيم رحه قال وفي الاية رد على
الخوارج المكفرين بالذنوب وعلى المعتزلة القائلين بان اصحاب الكبائر مخلدون في النار وليس هؤلاء
عندهم بمؤمنين ولا بكفار ولا يجوز ان يحمل قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء على التائب فان التائب
من الشرك مغفور له كما قال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر
الذنوب جميعا فهنا عمم واطلق لان المراد به التائب وهناك خص وعلق لان المراد به من لم يتب هذا

باب في اقرار بني ادم بالتوحيد في عالم الذر والاجتناب من الاشراك بالله تعالى والنهي عنه وما يليه

قال تعالى في سورة الاعراف واذ اخذ ربك من بني ادم وكذا من ادم فالاخذ منه لازم للاخذ منهم لان الاخذ منهم بعد الاخذ منه ففي الآية الشريفة اكتفاء بالملزوم عن اللازم من ظهورهم ذريتهم استدل اهل العلم على ان المراد بالماخوذين هاهنا ذرية بني ادم اخرجهم الله من اصلابهم نسلا بعد نسل على نحو ما يتوالد الابناء من الآباء ولذلك قال من ظهورهم ولم يقل من ظهر ادم لما علم انهم كلهم بنو ادم وقد ذهب الى هذا جماعة من المفسرين وقالوا معنى واشهدهم على انفسهم دلهم بخلقه على انه خالقهم فقامت هذه الدلالة مقام الاشهاد فتكون هذه الآية من باب التمثيل وقيل غير ذلك والمعنى الراجح الاصح ان الله لما خلق ادم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته واخذ عليهم العهد وهؤلاء هم عالم الذر وهذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه ولا المصير الى غيره لثبوته مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وموقوفا على غير واحد من الصحابة ولا ملجئ للمصير الى المجاز فاذا جاء نهر الله بطل نهر معقل وقد اخرج مالك في الموطا واحمد في المسند وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه وابو داود والترمذي وحسنه والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن حبان في صحيحه وابو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات والضياء في المختارة عن مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسئل عنها فقال ان الله خلق ادم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله النار ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر قد ذكر الطبري في بعض طرق هذا الحديث نعيم بن ربيعة بين مسلم وعمر وفي الحديث دلالة على ان المؤمن الذي يعمل عمل الشرك من اهل النار واختلف الناس في كيفية الاخراج على اقوال لا مستند لها والحق وجوب اعتقاد

اخراجهم من ظهر آدم كما شاء الله تعالى كان وحق صحيح قال العلامة المقبلي في الابحاث المسددة ولا يبعد دعوى التواتر المعنوي في الاحاديث والروايات الواردة في ذلك قال بعضهم الظاهر انه اخرجهم احياء لانه سماهم ذرية والذرية هم الاحياء لقوله انا حملنا ذريتهم في الفلك قال ابن عباس ان اول ما اهبط الله آدم الى الارض اهبطه بدهنا ارض الهند فاخرج منه كل نسمة هو بارئها الى يوم القيامة ثم اخذ عليهم الميثاق واشهدهم على انفسهم اي اشهد كل واحد منهم الست بربكم اي قائلا هذا القول فالكلام على ارادة القول وفي هذه الآية رد على اهل المعاني في قولهم ان الاعتراف غير معقول ما لم يقارن كذا ونحو هذا مما يشهد به الذوق السليم ويزكي شهادته الطبع المستقيم والآية ليست من هذا القبيل لاسنادها الى الله الذي ابرز المعدومات من ارحام العدم ولا يعصى قدرته شيء في القدم فما علينا الا الايمان بذلك وما لم نصل له افهامنا نكله اليه ونسأله ان يهدينا للوقوف عليه وكفى بهذا الاجمال في مثل هذه الحال وما بعد الحق الا الضلال قالوا بلى شهدنا اي على انفسنا بانك ربنا واختلفوا في الاجابة كيف كانت هل كانوا احياء فاجابوا بلسان المقال ام اجابوه بلسان الحال والظاهر الاول ونكل علم كيفيتها الى الله عز وجل وكان هذا القول على وفق السؤال لانه تعالى سألهم عن ربوبيته ولم يسألهم عن الوهيته فقالوا بلى فلما انتهوا الى زمان التكليف وظهر ما قضى الله في سابق علمه لكل احد منهم من وافق ومنهم من خالف وقيل تجلى للكفار بالهيبة وللمؤمنين بالرحمة فقالوا كلهم بلى قيل وكان ذلك قبل دخول الجنة بين مكة والطائف وقيل بعد الهبوط منها وقال علي في الجنة وقيل بسرنديب من ارض الهند وهو الموضع الذي هبط آدم فيه من الجنة وكل ذلك محتمل ولا يضرنا الجهل بالمكان بعد صحة الاعتقاد باخذ العهد والله اعلم اخرج احمد والنسائي وابن جرير والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله اخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان يوم عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه ثم كلمهم فقال الست بربكم الى قوله المبطلون واسناده لا مطعن فيه واخرج عبد بن حميد والحكيم الترمذي والطبراني وابو الشيخ عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لما خلق الله الخلق وقضى القضية واخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء فاخذ اهل اليمين بيده واخذ اهل الشمال بيده الاخرى وكلتا يدي الرحمن يمين فقال يا اصحاب اليمين فاستجابوا له فقالوا لبيك ربنا وسعديك قال الست بربكم قالوا بلى الحديث والاحاديث في هذا الباب كثيرة بعضها مفيد بتفسير هذه الآية وبعضها مطلق يشتمل على ذكر اخراج ذرية آدم من ظهره واخذ العهد عليهم كما في حديث

النبي مرفوعا في صحيحين وغيرهما وأما المروي عن الصحابة في تفسير هذه الآية بإخراج ذرية آدم من صلبه
في عالم الذر وأخذ العهد عليهم وإشهادهم على أنفسهم فهي كثيرة جدا وقد روي عن جماعة من بعد
الصحابة تفسير هذه الآية بإخراج ذرية آدم من ظهره وفيما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
في تفسيرها ما قدمنا ذكره ما يغني عن التطويل وقال أهل الكلام والنظر قولهم بلى شهدنا على المجاز لا
على الحقيقة وهو خلاف مذهب جمهور المفسرين من السلف الصالحين الذين عليهم المعول في فهم ما
الذر وقال ابن الأنباري مذهب أصحاب الحديث وكبراء أهل العلم في هذه الآية أن الله أخرج ذرية
آدم من صلبه وأصلاب أولاده وهم صور كالذر وأخذ عليهم الميثاق أنه خالقهم وأنهم مصنوعه فاعترفوا
بذلك وقبلوه وذلك بعد أن ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبال عقولا حتى خوطبوا
بقوله يا جبال أوبي معه وكما جعل للبعير عقلا حتى سجد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك الشجرة
حتى سمعت لأمره وانقادت وقولهم شهدنا إقرار له بالربوبية وقيل شهدنا على أنفسنا بهذا الإقرار وليس
في الآية ما يدل على بطلان ما ورد في الأحاديث وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وصحته [illegible] فيجب
المصير إليه والأخذ به جمعا بينهما وحكى الواحدي عن صاحب النظم أنه قال ليس بين قوله صلى الله عليه
وآله وسلم إن الله مسح ظهر آدم فأخرج منه ذريته وبين الآية اختلاف بحمد الله لأنه تعالى إذ أخرجهم
من ظهر آدم فقد أخرجهم من ظهور ذريته لأن ذرية آدم ذرية بعضهم من بعض قيل إنا لا نذكر ذلك العهد
لأن تلك البنية قد انقضت وتغيرت أحوالها بمرور الدهور عليها في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات و
نقض الأطوار الواردة عليها من العلقة والمضغة واللحم والعظم وهذه كلها مما يوجب النسيان وكان علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه يقول إني لأذكر العهد الذي عهد لي ربي وكذا كان سهل بن عبد الله التستري يقول ثم إنا
بالخطاب على ألسنة الرسل وأصحاب الشرائع فقام ذلك مقام الذكر ولو لم ينسوه لانتفت المحنة والتكليف
ولم يبلغنا في كون تلك الذوات مصورة دليل والأقرب إلى المعقول عدم الاحتياج إلى كونها بصورة الأناسي
والحكمة في أخذ الميثاق منهم إقامة الحجة على من لم يوف بذلك والظاهر أنه لما ردهم إلى الظهر فنيت ذواتهم
وما آل الأمر ولم أر من صرحت بعود تلك الذرات إلى الظهر فهذه مسألة غامضة لا يتطرق إليها النظر العقلي
والأكثر من يقال رجعت كما كانت عليه قبل حلولها في الذرات ودرجات كتاب العهد والميثاق مودع
في باطن الحجر الأسود ذكره الشعراني في رسالته القواعد الكشفية في الصفات الإلهية وذكر أهل هذا

اثنى عشر سوالا ان اجاب عنها والمحقق عندنا ان كل ما لم يرد فيه نص من كتاب ولا من سنة فالوقوف
عنده اولى وترك الخوض فيه احرى ان تقولوا اي كراهة ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا
عن كون الله ربنا وحده لا شريك له في العبادة واستحقاقها غافلين او تقولوا انما اشرك آباؤنا اي فعلنا
ذلك كراهة ان تعتذروا بالغفلة او تنسبوا الشرك في الربوبية الى آبائكم دونكم ولمنع الخلو دون
الجمع فقد يعتذرون بمجموع الامرين من قبل اي من قبل زماننا وكنا ذرية من بعدهم اي اتباعا لهم
فاقتدينا بهم في الشرك في الربوبية لا نهتدي الى الحق ولا نعرف الصواب افتهلكنا بما فعل المبطلون من
آبائنا ولا ذنب لنا لجهلنا وعجزنا عن النظر واقتفائنا آثار سلفنا بين الله سبحانه في هذه الآية المحكمة التي
لاجلها اخرجهم من ظهر آدم واشهدهم على انفسهم وانه فعل ذلك بهم لئلا يقولوا هذه المقالة يوم القيامة
ويحتجوا بهذه العلة الباطلة ويعتذروا بهذه المعذرة الساقطة ففي هذه الآية قطع لعذر المشركين
والكفار فلا يمكنهم ان يحتجوا بمثل ذلك والمعنى لا يمكنهم الاحتجاج بهذا مع اشهادهم على انفسهم بالتوحيد
والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في النفوس وكذلك اي مثل ذلك التفصيل البليغ
نفصل الآيات لهم ليتدبروها ولعلهم يرجعون الى الحق وهو التوحيد ويتركون ما هم عليه من الباطل
وهو الشرك في الربوبية وقيل يرجعون الى الميثاق الاول فيذكرونه ويعملون بموجبه ومقتضاه والمآل واحد
والآية الشريفة دلت على ان المشركين والكفار اعترفوا في عالم الارواح بتوحيد الربوبية وآمنوا به ثم اذا
انتهوا الى الدنيا نسوا ذلك الميثاق ولم يتذكروه مع تذكير الرسل اياهم ذلك وابتلوا في الاشراك في العبادة
وعبدوا غير الله واتخذوا من دونه آلهة شتى فكان هذا ردة منهم عن الاسلام فاستحقوا ما استحقوا به
من القتل والاسر والنهب وسبي الذراري في الدنيا والعذاب الاليم والخلود في النار في العقبى لا يخرجون
منها ابدا وقد تقدم مرارا ان توحيد الله تعالى هو الواجب على كل انسان وفاء للميثاق واتيانا بالعهد ومن لم
يوحد الله تعالى في الوهيته وربوبيته فهو مشرك حقا والحكم الحكم وسيأتي لذلك بيان تحت حديث ابي بن كعب
في هذا الباب ان شاء الله تعالى وقال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون فان قلت كيف اتصافهم
بالايمان في حال تلبسهم بالشرك لانه يستدعي الجمع بين النقيضين في حالة واحدة وهو باطل قلت الصحيح
ذلك يتوقف على بيان ما ذكره اهل العلم من السيرة وينحصر ذلك في وجوه اثني عشر وينضم الى ذلك
ما ذكرته انا فتكون الوجوه ثلاثة عشر **الاول** ان اهل الجاهلية كانوا يقرون بان الله سبحانه خالقهم

ورازقهم ويعتقدون غيره من اصنامهم وطواغيتهم فيه الا ان الصادق عليه السلام بان الله خالقهم وحافظهم
ورازقهم فهو يصدق عليه الايمان بالمعنى الاعم اي تصديق لا بالمعنى الاخص اعني ايمان المؤمنين فهذا
الايمان الصادر منهم واقع منهم في حال الشرك فقد آمنوا حال كونهم مشركين والى هذا الوجه ذهب جماعة
من المفسرين وغيرهم ولكنهم لم يذكروا ما ذكرناه فيما من تقرير كونه ايمانا بالمعنى الاعم ولا بد من ذلك حتى يستقيم
الكلام ويصدق عليه معنى الايمان **الوجه الثاني** ان المراد بالآية المنافقون فانهم كانوا يظهرون الايمان
ويبطنون الشرك فهم كانوا مؤمنين ظاهرا الا وهم مشركون باطنا روي هذا عن الحسن البصري **الوجه**
الثالث انهم اهل الكتاب يؤمنون بكتابهم ويعتقدون ان لله ولدا ويقولون المسيح ابن الله وعزير
ابن الله فهم مؤمنون بما انزل على انبيائهم حال كونهم مشركين **الرابع** ان المقصود بذلك ما كان يقع
في تلبية العرب من قولهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك فهم في هذه التلبية مؤمنون بالله وهم
هم مشركون روي هذا عن ابن عباس **الخامس** ان المراد بهذه الآية المراؤون من هذه الامة لان الرياء
هو الشرك الخفي المشار اليه بقوله صلى الله عليه وآله وسلم الشرك اخفى في امتي من دبيب النمل والمراؤون آمنوا بالله
حال كونهم مشركين بالرياء وفيه حديث سيجيء ذكره بعيد ذلك **السادس** ان المراد بالآية من ينسى
في الرخاء ويذكره عند الشدة روي ذلك عن عطاء وفيه انه لا يصدق على ذلك انه آمن بالله حال
كونه مشركا الا ان يجعل ترك لسان الذكر والدعاء عند ارتفاع الحاجة شركا اعتبارا لانه نسيانه وتركه للدعاء به
مستندا الى الشرك وهو بعيد على انه لا يمكن اجتماع الامرين في حال لم يذكر والدعاء عند وصف بالنسيان وترك
الذكر فلا يتم ان الحال يصدق عاملها الا ان يحمل ما كان عليه الشيء وان ذلك احد العلامات الصحيحة
للمعنى **السابع** ان المراد من اسلم من المشركين فانه كان مشركا قبل ايمانه حكى ذلك الحاكم في تفسيره وتقريره
انه ما يؤمن احدهم بالله الا وقد كان مشركا قبل ايمانه والكلام فيه كالكلام في الوجه الذي قبله والجواب
وايضا ليس ان يكون كل مؤمن في الحال كان مشركا في الماضي فان كل مولود يولد على فطرة الاسلام ومن ولد
عليها وابواه لم يهوداه وينصراه او يمجساه ونشأ على الاسلام ولا يصح فيه ان يقال انه كان مشركا من قبل
ثم ان كثيرا من الناس آمنوا بعد شيوع الاسلام ولم يعلموا فيه الى الحال **الثامن** ان المراد بالآية ما
يعرض من الخواطر للاحوال حال الايمان بالله الواسطي كما حكاه عنه الثعلبي وفيه ان هذه الخواطر الاخر
لا كما يصدق عليه الشرك الاكبر او الاصغر بالله وان كانت خارجة عن ذلك فهو ابعد

التاسع انهم الذين يشبهون الله بخلقه ذكره في الكشاف عن ابن عباس وتقريره انهم امنوا بالله حال تشبيههم له بما يكون شركا او يؤل الى الشرك العاشر هو ما يقوله القدرية من اثبات القدرة للعبد حكاه النسفي في المدارك وتقريره انهم امنوا بالله حال اثباتهم ما هو مختص به لغيره وهو شرك او منزل منزلة الشرك الحادي عشر ما قاله محي الدين بن عربي في تفسيره ان اكثر الناس انما يؤمنون بغير الله ويكفرون بالله دائما ففي بعض الاحيان يشركون الله سبحانه مع ذلك الاله الذي يؤمنون به فلا يؤمن اكثرهم بالله الا حال كونه مشركا وفيه ان ظاهر النظم القراني ان الايمان بالله والشرك به بتشريك غيره معه كالتشريك مع غيره وبين المعنيين فرق واضح الثاني عشر ذكره ابن كثير في تفسيره وهو ان ثم شركا خفيا لا يشعر به غالب الناس ممن يفعله كما روي عن حذيفة انه دخل على مريض يزوره فرأى في عضده سيرا فقطعه او انتزعه ثم قال وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وفي الحديث الذي رواه الترمذي وحسنه عن ابن عمر مرفوعا من حلف بغير الله فقد اشرك واخرج احمد وابو داود من حديث ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الرقى والتمائم والتولة شرك وفي لفظ لهما الطيرة شرك وما منا الا ولكن الله يذهبه بالتوكل وروى احمد في المسند عن عيسى بن عبد الرحمن قال دخلت على عبد الله بن حكيم وهو مريض فقيل له لو تعلقت شيئا فقال اتعلق شيئا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تعلق شيئا وكل اليه وروى النسائي عن ابي هريرة واحمد في المسند عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من علق تميمة فقد اشرك وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه غيري تركته وشركه وروى احمد من حديث غيره ايضا في المسند من ردته الطيرة عن حاجة فقد اشرك قالوا يا رسول الله ما كفارة ذلك قال ان يقول احدهم اللهم لا خير الا خيرك ولا طير الا طيرك ولا اله غيرك واخرج احمد من حديث ابي موسى قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم فقال ايها الناس اتقوا هذا الشرك فانه اخفى من دبيب النمل قالوا كيف نجتنبه وهو اخفى من دبيب النمل قال قولوا اللهم انا نعوذ بك ان نشرك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه وقد روي من حديث غيره اذا عرفت ما تضمنته كتب التفسير من الوجوه التي ذكرناها وعرفت تقريرها على الوجه الذي قررناه فاعلم ان هذه الاقوال انما هي اختلاف في سبب النزول واما النظم القراني فهو صالح لحمله على كل ما يصدق عليه مسمى الايمان

مع وجه حسن الشرك والاشارة ايضا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو مقرر في موضعه فيقال مثلا في اهل الشرك انه ما يؤمن
اكثرهم بالله من انه الخالق الرازق الا وهو مشرك بالله بما يتخذه من الاصنام ويقال فيمن كان ايضا في شرك من الشرك الخفي ومن
من المسلمين انه ما يؤمن بالله الا وهو مشرك به ذلك الشرك الخفي ويقال مثلا في سائر الوجوه نحو هذا لعلى القطر والذي
ويراه ساقطا وهذا يصلح ان يكون وجها مستقلا وهما وجهان وادرجها فيما احسب وان لم يذكره احد
من المفسرين والقول بانه يشكل وجود ايمانهم بالايمان في حال تلبسهم بالشرك اشكال واقع موقعه
وسؤال المحال محله وجوابه قد علم مما سبق فانه يقال مثلا ان اهل الجاهلية كان ايمانهم الجامع للشرك
هو مجرد الاقرار بان الله الخالق الرازق وهو لا ينافي ما هم عليه من الشرك وكذلك يقال ان اهل الاسلام
كان شرك من وقع منهم في شيء من الشرك الخفي الاكبر مما ينافي توحيد الايمان منهم لان الشرك الاصغر
لا يخرج به فاعله عن مسمى الايمان ولهذا كان كما روي ان يتعوذ بالله من ان يشرك به وان يقول في الطيرة
اللهم لا طير الا طيرك ولا اله غيرك وقد علم بهذا انه اجتمع الايمان الحقيقي والشرك الخفي في بعض
المؤمنين واجتمع الايمان بالمعنى الاعم والشرك الجلي في اهل الجاهلية وكذا يقال في اهل الكتاب انه
اجتمع فيهم الايمان بما انزل الله على انبيائهم والاشراك بجعل المخلوقين ابناء له عز وجل وهكذا الى
بقية الوجوه انتهى كلام الشوكاني رح في تفسير هذه الاية ويحتمل ان يكون المعنى وما يؤمن اكثر المشركين
من طوائف الناس بالله تعالى بالتكلم بكلمة الاخلاص والتوحيد والاقرار به لسانا وجنانا الا وهم
مشركون بسبب الرسوم الجاهلية اللازمة للشرك فانها لا تنفك عنهم ابدا اصلا الا ترى ان الهنود يسلمون
والنصارى واليهود والمجوس يسلمون ويعتقدون بحقية الاسلام ويتوبون من دينهم الذي كانوا عليه
هو واباؤهم من قبل ويصلون ويصومون ثم يأتون برسوم قومهم كلها او بعضها ولا يرون ذلك منافية
للاسلام ولا مستلزمة للشرك اباء او تقليدا لابائهم فيحسبونها او شرطا من الايمان ويفرون عن اسم
الشرك ولا يخلص الى قلوبهم حلاوة الايمان فهم يصدق عليهم الاية الشريفة وهذا واقع كثيرا في اقوام
او انتحل ضد الاسلام حديثي العهد بالايمان ولا ريب ان الامر اعم في معنى الاية ان اكثرهم او كلهم يؤمنون
بالله بانه سبحانه خالقهم وخالق العالم كله ورازقهم ورازق جميع العباد بل الكائنات وهو مدبر الكل
يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يشركون به في انواع العبادات فمنهم من يدعو الاموات ويفعل بقبورهم
ما يؤدي الى الشرك من النذور والطواف وطلب الحاجة منهم ودعوتهم في الشدائد والنذر لاحد منهم

مع ايقاد السرج والقاء الرداء وما اشبه ذلك ومن الشرك قد عم وطم في الناس حتى لا ينجو منه اهل العلم
والسلوك ايضا وان كانوا اماما ولين لافعالهم ولمن القصد فالمراد بالاية الشريفة ان التوحيد الرباني حاصل
لهم واما التوحيد الالهي يعني اخلاص العبادة على كثرة انواعها لله تعالى لا يحصل الا لافراد قليلة منهم
وهذا صحيح ثابت ويدل له الايات القرانية والاحاديث النبوية تصدق على مثل هؤلاء انهم مؤمنون بالله
بتوحيد الربوبية ومشركون به سبحانه في توحيد الالوهية وليس النزاع في وحدة الرب تعالى في رد الشرك
انما النزاع في توحيد الالوهية التي هي تحقيق العبادة مع الاخلاص له سبحانه في كل نوع منها جلي وخفي نفيا
الافة العظمى والبلية الكبرى ولا حول عن الفراق منها ولا قوة على التوحيد فيها الا بالله تعالى قال السيد الامام
عبد الرحمن بن سليمان رح ان توحيد الربوبية هو اعتقاد العبد ان لا رب الا الله اي لا خالق ولا رازق ولا
ضار ولا نافع ولا معطي ولا مانع ولا محيي ولا مميت الا هو وهذا التوحيد يقر به المشركون قال الله تعالى
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والايات القرانية في مثل هذا كثيرة وان توحيد الالوهية
هو اعتقاد العبد ان لا اله الا الله اي لا معبود بحق الا الله والمعبود بحق معناه من يستحق العبادة وليس ذلك
الا الله تعالى والعبادة هي التذلل بما شرعه الله من الصلوة والزكوة والصوم والحج والحلف والنذر والذبح
والخوف والرجاء والمحبة والتوكل وغير ذلك من انواع العبادات التي لا يستحقها الا الله تعالى فمن اعتقد
ان مخلوقا من ملك او نبي او رسول او ولي او غير ذلك يستحق شيئا من هذه العبادة التي لا تكون الا لله
فهو كافر ولا بد من اخلاص التوحيدين فلا ينفع احدهما بدون الاخر وان توحيد الربوبية من الدليل على
توحيد الالوهية وما بعث الله عز وجل الانبياء وارسل الرسل وانزل عليهم الكتب وختمهم بنبينا صلى الله
عليه وآله وسلم الا لتعريف الخلق توحيد الالهية علما وعملا والله اعلم انتهى وقال سبحانه وتعالى واذ قال لقمان
لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم كان الله تعالى اعطى لقمان عقلا سليما وفكرا صحيحا
وحكمة مستقيمة فعلم ونصح ان الظلم انما هو ان يعطى حق احد احدا ويضع شيئا في غير موضعه فمن اعطى
حق الله تعالى مخلوقه فهو قد اعطى حق اكبر الكبراء اذل ذليل كما يضع احد تاج الملك على راس الدباغ ولا
ظلم ازيد من ذلك وعلمت ان المخلوق كبيرا كان او صغيرا هو في جناب الله سبحانه اذل من الدباغ واحقر
من الذباب كما في المثل السائر ما للتراب ورب الارباب والاية تدل بفحوى الخطاب على ان الشرك كما
هو من العيوب الكبار شرعا وهو الحق فكذلك هو عيب عند العقل ايضا لان اكبر العيوب في الادمي ان يسوي

الادب مع اكابرنا فالله سبحانه لا اكبر منه ولا اعلى فالشرك به في شيء اساءة ادب معه تعالى وقال
تعالى في سورة الانبياء وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون يعني
كل رسول جاء من عند الله فقد جاء واتى بهذا الحكم ان العبادة ينبغي ان تكون له لا لغيره فكانت
مسئلة التوحيد والمنع من الاشراك مجمعا عليها في جميع الشرائع على السنة جميع الرسل عليهم السلام فهذا
هو سبيل النجاة وجملة السبل غيره طريق الهلاك وقال تعالى حكاية عن ابراهيم الخليل عليه السلام
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام جمع صنم وهو ما كان منحوتا على صورة والوثن ما كان موضوعا على غير ذلك
ذكره الطبري وقد يسمى الصنم وثنا ويقال ان الوثن اعم منه وهو قوي والمعنى اجعلني واياهم في جانب
عن عبادتها وباعد بيننا وبينها والاية دليل على ذم الشرك وعلى الاجتناب منه وقد استجاب الله دعاءه
عليه السلام وجعل بنيه انبياء وجنبهم عن عبادة الاصنام وقد بين ما يوجب الخوف من ذلك بقوله
رب انهن اضللن كثيرا من الناس وهذا هو الواقع في كل زمان فمنهم من يعبد الاصنام ومنهم من يعبد
الاوثان والقبور المعبودة داخلة في ذلك واذا عرف الانسان ان كثيرا وقعوا في الشرك الاكبر وضلوا
بعبادة الاصنام اوجب ذلك خوفه ان يقع فيما وقع فيه الكثير من الشرك الذي لا يغفره الله تعالى قال
ابراهيم التيمي ومن يامن البلاء بعد ابراهيم رواه ابن جرير وابن ابي حاتم عنه فلا يامن من الوقوع في الشرك
الا من هو جاهل به وبما يخلصه من العلم بالله تعالى وبما بعث به رسله من توحيده والنهي عن الشرك به
وقد سرى هذا الشرك في هذا الزمان بل من زمن كثير في اكثر الناس في غالب الاقطار وابتلي به من هو
معدود في اهل العلم في قبائله وبلاده وقل من نجى منه ومن انواعه الخفيات بل اقسامه الجليات
وللابليس اللعين في ايقاع الخلق في طرائقه تطورات لا يحصرها العدد ولا يبلغ مداها ولا يعرفها الا من حقق
الكتاب والسنة حق العرفان وتادب بمنطوقهما ومفاهيمهما وآثارهما فهؤلاء قليل ما هم ناجين الا من رحم الله
وكتبه في الصالحين وفي الحديث القدسي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم قال الله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه وانا منه بريء
اخرجه مسلم يعني كما ان الناس يقسمون شيئا مشتركا فيما بينهم فاني لا افعل ذلك لاني غني اشد الغنى
فمن عمل لي عملا اشرك فيه غيري فاني اترك نصيبي منه واتركه كله وابرء منه فهذا الحديث دل على
ان من عمل عملا لله تعالى ثم جعل ذلك العمل لغيره سبحانه فقد ثبت الشرك عليه وان عمله لاجله

به لا يقبلها الله اصلا بل يتبرأ منه ثم اخرج الامام احمد عن ابي بن كعب رضي الله عنه في تفسير قول الله عزوجل واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين قال جمعهم فجعلهم ازواجا ثم صورهم فاستنطقهم فتكلموا ثم اخذ عليهم العهد والميثاق واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى قال فاني اشهد عليكم السموات السبع والارضين السبع واشهد عليكم اباكم ادم ان تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا اعلموا انه لا اله غيري ولا رب غيري ولا تشركوا بي شيئا اني سارسل اليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي وانزل عليكم كتبي قالوا شهدنا بانك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك ولا اله لنا غيرك ذكره صاحب المشكوة في باب الايمان بالقدر والمراد ان الله تعالى قال هكذا في سورة الاعراف وفسره ابي بن كعب الانصاري كاتب الوحي من قراء الصحابة بما تقدم وهو في حكم المرفوع وان لم يرفعه لان مثل هذا لا يقال من قبل الرأي والاجتهاد وحاصل القصة ان الله جمع جميع اولاد ادم في موضع واحد وجعلهم ازواجا فاقام الانبياء في مكان والاولياء في مكان والصلحاء في مقام والطلحاء في مقام والمطيعين في محل والعاصين في محل وفرقهم جماعات فجعل النصارى في موضع واليهود في موضع والهنود في مكان والمجوس في مقام اخر مثلا وصور كل واحد كما هو في الدنيا من حسن وقبيح وبصير واعمى وابكم واصم ونحوها ثم اعطاهم القدرة على التكلم ثم قال لهم الست بربكم فاقر الجميع بانك ربنا واعترفوا بربوبيته سبحانه فاخذ عنهم الميثاق ان لا يعبدوا الا اياه ولا يعتقدوا احدا الحاكم والمالك سواه وان لا يؤمنوا الا به فاعترفت الذرية كلها بذلك واشهد الله تبارك وتقدس السموات كلها والارضين كلها وادم اباهم على هذا الميثاق تقوية للعهود وتوثيقا للاقرار وقال لهم ان رسلنا يأتونكم بالكتب من جهتنا لتذكير هذا الاعتراف منكم فاقرت كل جماعة على حدة بتوحيد الالوهية والربوبية وانكرت الشرك به تعالى فهذا دليل على ان لا ينبغي ان يستدل احد باحد في امر الشرك سواء كان شيخا او استاذا او ابا او جدا او ملكا او حبرا او راهبا فان قال احد او تخيل انا نسينا ذلك الميثاق لما جئنا في الدنيا فاي حجة علينا في امر نسيناه ولا نذكره فهذا القول والخيال منه غلط وباطل لان امورا كثيرة لا تبقى للانسان في الذكر لكن لما يقولها الناس المعتبرون والاشخاص المعتمدون يتيقن بها اليس ان الانسان لا يتذكر ولادته من بطن امه معين ولا زمنه ثم اذا يقول الناس له انك ولدت من امك الفلانية ويذكرونه يتيقن ويتذكر فيقر بذلك ويعترف ويعلم امه انها امه ولا يقول لغيرها انها امه فاذا اضاع حق امه واتخذ غيرها امه

بحيث الناس ويستقيمونه يحتج به وان قال اني لا اذكرها الى وانها ولدتني حتى اعلمها في يوم الناس
انه احمق شديد الحماقة ويكون مسيئ الادب فهاهنا فاذا الحصل اليقين بقول عامة الناس ان العلانية
امه وان الامر كذلك فاذا كانت كذلك فكيف لا يحصل اليقين بقول الانبياء والمرسلين ولا يحصل
التصديق بخبرهم وهم اعلى رتبة من جميع الناس واصدقهم قولا وسواس والحديث دال على ان حكم
اصل التوحيد والمنع من الشرك قاله الله تعالى لكل احد فان لم الله ولا ارسلوا الانبياء كلهم لحصن
بنائه التاكيد وبذكره ونزلت الكتب السماوية جميعها لبيانه وقد قيل ان الانبياء جاءت مائة الف
واربعة وعشرين الفا والكتب كانت اربعمائة فكيف يظن ان هذا القدر الكثير من الرسل والكتب
المخبر بهذه القصة ليس بصادق هل يقول بذلك احد ممن له ادنى ملابسة بالعقل والفهم واقل
معرفة بالحال وايسر تفقه في المقال بل هذه النكتة الواحدة تكفي في تقرير التوحيد والتبعيد من الشرك
القبيح فيجب ان لا نعلم احدا حاكما سوى الله سبحانه ولا نعتقد التصرف لاحد في شيء ولا يتخذ احدا ربا
الا اياه ويطلب منه حاجته ويريد منه انجاح مرامه وليستعين به في كشف الكربات ويستغيثه
في قضاء الحاجات وقد تقدم تفسير هذه الاية الكريمة في هذا الباب فراجعه وقد اخرج امام اهل
السنة والجماعة على الاطلاق احمد بن حنبل الشيباني الامام رح عن معاذ بن جبل رضي الله عنه كما
في باب الكبائر من المشكوة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تشرك بالله شيئا وان قتلت
وحرقت اي لا تعتقد ضرا ولا نفعا ولا اعطاء ولا منعا في احد غير الله ولا تعبد الا اياه ولا تنظر الى جنيا
او شيطانا ياتي ذلك بل يجب على المسلم ان يصبر على البلايا الظاهرة ولا يفسد دينه من خوفهم لكن
عليه ان يصبر على اذى الشياطين والجنيات والخبيثات ولا يؤمن بهم خوفا من اضرارهم بل يثق بان الامر
كله بيد الله تعالى وتحت مشيته وقضائه وقدره ولكنه سبحانه قد يمتحن بعض عباده بايصال الضرر
من بعض الاشرار الى الاخيار ليبلوهم ايهم احسن عملا وامتيازا اي تفرقة الحق من الباطل وليميز الله
المؤمن من المنافق والخبيث من الطيب فكما ان المتقين يصل اليهم من الاشقياء اذية وان المسلمين يؤذون
من ايدي الكفار المشركين بارادة الله تعالى وهم يصبرون على ذلك ولا يجحدون بالله ولا يفسدون
دينهم به فكذلك يصل اليهم الاذى من ايدي اولئك الاشرار من الجنيات والخبائث والشياطين
تارة وتارة فيجب على المؤمن الصادق ان يصبر على تلك الحال ولا يظن نفعهم اصلا فانهم لا تصرف

لهم ولا قدرة على شيء الا ان يشاء الله رب العالمين فمالنا وللايمان بهم والخوف منهم والاطاعة والنذر لهم وقد دل هذا الحديث على ان الرجل البريء من الشرك لو انكرهم وترك نذورهم ومحاربتهم ونصر الدين وخذل المشركين ثم وصل اليه نقص في المال او الاولاد او الانفس او كلفه شيطان او جن او خبيث باسم شيخ او شهيد او صالح او ولي واذاه فعليه بالصبر الجميل والقيام على حاله وينبغي ان يعلم ان الله مبتليه بهذا ليختبر في ذلك وانه سبحانه كما ياخذ الظلمة على التدريج ويمهلهم الى حين قريب او مديد ويخلص المظلومين من ايديهم فهكذا امهل ظلمة الجنيات والشياطين والخبث والخبائث والابالسة الى حين ثم ياخذهم وينجي المؤمنين الصلحاء من ايذائهم وايصال تكاليفهم لاشك في ذلك ومن شك فيه فلا حاجة لله فيما هنالك فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ان الله غني عن العالمين

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رجل يا رسول الله اي الذنب اكبر عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك اخرجه البخاري ومسلم كما في باب الكبائر من المشكوة والمعنى انهم كما يرون ان الله تعالى هو الحاضر الناظر كل وقت والامر كله بيده ويدعونه عند كل مشكل فكذلك لا ينبغي ان لا يدعو غيره على هذه الطريقة والاعتقاد فان ذلك اثم عظيم بل هذا الامر غلط من راسه لان احدا لا يقدر على قضاء حاجة ولا يحضر ولا ينظر في كل موضع ثم لما ثبت ان خالقنا هو الله وحده لا شريك له وهو الذي خلقنا وفطرنا وجب علينا ان ندعوه في حاجاتنا ولا ندعو ولا نعبد الا اياه ومالنا ولغيره الا ترى ان من كان مملوكا للسلطان الواحد فانه لا يتعلق في امره الا به ولا يرفع راسه الى غيره ملكا كان او ما كان فضلا عن ان يلتفت الى احد من الكناسين والدباغين والند هو المساوي لغيره في الذات والصفات المخالف له في الافعال والاحكام والضد هو المخالف لغيره في جميع الامور والله سبحانه وتعالى لا ند له ولا ضد فمن اتخذ ندا له و دعاه فقد اشرك به تعالى وهذا اعظم الذنب واكبرها عند الله ولهذا لا يغفر هذا الذنب وفي رواية اخرى عنه رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من مات وهو يدعو لله ندا دخل النار رواه البخاري قال ابن القيم رحمه الله الند الشبيه يقال فلان ند فلان ونديده اي مثله وشبيهه قال تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون والمعنى من مات وهو يجعل لله ندا في العبادة يدعوه ويسأله ويستغيث به دخل النار وفيه من الوعيد ما لا يقادر قدره واتخاذ الند على قسمين الاول ان يجعل لله شريكا في انواع العبادة وهو شرك اكبر والثاني ما كان من نوع الشرك الاصغر كقول الرجل ما شاء الله وشئت

ولولا الله وانت لكسر الالتفات فقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له رجل ما شاء الله وشئت اجعلتني
لله ندا بل ما شاء الله وحده رواه احمد وابن ابي شيبة والبخاري في الادب المفرد والنسائي وابن
ماجة وفيه بيان ان دعوة غير الله فيما لا يقدر عليه الا الله شرك وعلى كطلب الشفاعة من الاموات داخل
تحته بيده وليس بيده شيء منها وهو الذي يأذن للشفيع ان يشفع فيمن اتى الله بالاخلاص والتوحيد
من اهل الكبائر والله اعلم واخرج الترمذي وحسنه عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك
ولا ابالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن آدم انك لو لقيتني بقراب
الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة ذكره في المشكوة في باب الاستغفار وقد
روى الامام احمد حديث ابي ذر بمعناه ولفظه ومن عمل قراب الارض خطايا ثم لقيني لا يشرك بي شيئا جعلت
له مثلها مغفرة ورواه مسلم واخرجه الطبراني من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
والقراب بضم القاف وقيل بكسرها والضم اشهر وهو ملؤها او ما يقارب ملأها والمعنى ان العصاة كلهم
قد عصوا في الدنيا كان فرعون كان في هذه الدار الفانية وكذلك هامان بل الشيطان اللعين وكالذين
الحقوا بعصاة الدنيا فكل ذنب صدر من شيء لو فعله احد من الناس ولم يكن مشركا بل كان موحدا
فالله يغفره لا محالة ان دعوه به هذه كلها وفي الحديث دليل على ان الذنوب كلها تغفر ببركة التوحيد كما ان الاعمال
الصالحة كلها تصير باطلة بشؤم الشرك وهذا هو الحق لان الانسان اذا طهر من الشرك ولم يعتقد
احدا مالكا ولم يعلم له ملجأ وثبت عنده من صميم الفؤاد ان ناصيته بيد ربه لا مهرب له منه ولا معاذ
ولا يقدر احد في مقابلته ولا ينفع جاهه احد عنده ولا يستطيع احد ان يشفع لاحد باختياره وارادته
فكل ذنب يصدر منه عند هذا العلم والعقيدة يصدر من مادة البشرية ومن النسيان والخطا
والحمق قد احاط قلبه وهو يندم منه ويلوم عليه ويضيق صدره من تصورها ورحمة الله تعالى تدارك
مثل هذا الادمي فكلما وقع منه ذنب تزيل حالته هذه ذلك ولعل قدر هذه الحالة تنزل رحمة الله عليه
وعفو ذنبه وغفرانه له وبكمال ذلك الموحد الكامل يعمل ما لا يعمله عابد غيره فالعاصي الموحد
افضل من التقي المشرك الف درجة والعاصي الخاطئ المذنب المقصر في الطاعة اعلى رتبة من العابد
الزاهد المداهن المطمئن لان هذا نادم على تقصيراته ومعاصيه وهو معترف بذنبه ويكبره ولا ادري من هذا

الحديث في هذا الباب لان فيه بشارة عظمى لاهل التوحيد الذين لا يشركون بالله شيئا في السر
والعلانية وهم عن الشرك بعد وعلى مراحل شاسعة منه ولكن الشأن كل الشأن في انتهاء الانسان عن الشرك
بالرحمن فانه اصعب الامور والعقبة الكئود في هذه الدهر درب ناس يظنون انهم موحدون وليسوا
بمشركين لتركهم الاشراك في الظاهر وهم واقعون في شركه في الباطن كما قال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا
وهم مشركون لان الاتصاف بتوحيد الربوبية والخالقية سهل يتصف به اكثر الخلق من المؤمن والكافر واما
الاتصاف بتوحيد الالهية فامر عسير لا يتصف به الا من وفقه الله واعطاه فهما صحيحا وقلبا سليما وفطرة
اسلامية فان الشرك اخفى من دبيب النمل وقد يتطرق في افعال القلوب والجوارح والاعمال والنيات
بحيث لا يشعر به ولا يدري ولا ينجو منه كل احد الا من حقق التوحيد وتمسك به وحقق الشرك وطرائقه
وحقائقه ولا يبلغ العبد هذه الرتبة الا بالاعتصام بكتاب الله سبحانه وبسنة رسوله المطهرة صلى الله عليه
وآله وسلم فان فيهما بيان ذلك وليس بعد هذا البيان بيان ولا قرية بعد عبادان ومن ظن ان الاطلاع
على الشرك وانواعه يحصل بالاشتغال بغير هذين الاصلين من كلام الاحبار والرهبان لا سيما اهل الدنيا
منهم فهو مغرور ولا يهتدي الى الحق سبيلا ؎ وهل افسد الدين الا الملوك + واحبار سوء ورهبانها
قال في فتح المجيد قوله ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا شرط ثقيل في الوعد بحصول المغفرة وهو السلامة من الشرك
كثيره وقليله وصغيره وكبيره حقيره وجليله ولا يسلم من ذلك الا من سلمه الله وذلك هو القلب السليم
كما قال سبحانه الا من اتى الله بقلب سليم قال ابن رجب رح من جاء مع التوحيد بقراب الارض خطايا لقيه الله
بقرابها مغفرة الى قوله فان كمل توحيد العبد واخلاصه لله تعالى فيه وقام بشروطه بقلبه ولسانه وجوارحه
او بقلبه ولسانه عند الموت اوجب ذلك مغفرة مع ما سلف من الذنوب كلها ومنعه من دخول النار
بالكلية فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه اخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيما واجلالا ومهابة وخشية
وتوكلا وح تحرق ذنوبه وخطاياه كلها وان كانت مثل زبد البحر قال العلامة ابن القيم في معنى هذا الحديث
ما لفظه ويعفى لاهل التوحيد المحض الذي لا يشوبه الشرك ما لا يعفى لمن ليس كذلك فلو لقي الموحد الذي
لم يشرك بالله شيئا البتة ربه بقراب الارض خطايا اتاه الله بقرابها مغفرة ولا يحصل هذا لمن نقص
توحيده فان التوحيد الخالص هو الذي لا يشوبه شرك ولا يبقى معه ذنب ولو كانت قراب الارض فالنجاسة
عارضة والدافع لها قوي انتهى وبالجملة راس الطاعات التوحيد وراس الخطايا الشرك ولا تخفى مزية التوحيد

ولا نقمة اشد من الشرك فعليك ان تعلم جميع انواع الاشراك بالله تعالى وتجتنب منه ما استطعت فانك تفوز حينئذ ان شاء الله تعالى بالدرجات العلى في اعلى الفردوس وتنجو من دركات النار التي لا عذاب فوقها اللهم ثبت قلوبنا على دينك ولا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا قال في فتح المجيد وفي هذا الحديث كثرة ثواب التوحيد وسعة كرم الله وجوده ورحمته والرد على الخوارج الذين يكفرون المسلم بالذنوب وعلى المعتزلة القائلين بالمنزلة بين المنزلتين وهي الفاسق يقولون ليس بمؤمن ولا كافر ويخلد في النار والصواب قول اهل السنة انه لا يسلب عنه اسم الايمان ولا يعطاه على الاطلاق بل يقال هو مؤمن عاص او مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته وعلى هذا يدل الكتاب والسنة واجماع سلف الامة وائمتها وفي حديث الاسراء عن ابن مسعود يرفعه وغفر لمن لا يشرك بالله من امته شيئا المقحمات رواه مسلم وفي حديث انس عند احمد والترمذي وابن ماجة والنسائي قال قرء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية هو اهل التقوى واهل المغفرة فقال قال ربكم انا اهل ان اتقى فلا يجعل معي اله فمن اتقى ان يجعل معي الها كان اهلا ان اغفر له ولمسلم عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار قال القرطبي اي من لم يتخذ معه شريكا في الالهية ولا في الخلق ولا في العبادة ومن المعلوم من الشرع بالضرورة وهو المجمع عليه عند اهل السنة ان من مات على ذلك فلا بد له من دخول الجنة وان جرت عليه قبل ذلك انواع من العذاب والمحنة وان من مات على الشرك لا يدخل الجنة ولا يناله من الله رحمة ويخلد في النار ابد الآباد من غير انقطاع العذاب ولا تصرم الآماد قال النووي اما دخول المشرك النار فهو على عمومه فيدخلها ويخلد فيها ولا فرق بين الكتابي اليهودي والنصراني وبين عبدة الاوثان وسائر الكفرة ولا فرق عند اهل الحق بين الكافر عنادا او غيره ولا بين من خالف ملة الاسلام وبين من انتسب اليها ثم حكم بكفره بجحده وغير ذلك واما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به لكن ان لم يكن صاحب كبيرة مات مصرا عليها دخل الجنة اولا وان كان صاحب كبيرة مات مصرا عليها فهو تحت المشيئة فان عفا عنه دخل الجنة اولا والا عذب في النار ثم اخرج الى الجنة وقال غيره اقتصر على نفي الشرك لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء واستدعائه اثبات الرسالة باللزوم اذ من كذب رسول الله صلعم فقد كذب الله ومن كذب الله فهو مشرك وهذا كقولك من توضأ صحت صلاته اي مع سائر الشروط فالمراد من مات حال كونه مؤمنا بجميع ما يجب الايمان به اجمالا في الاجمال وتفصيلا في التفصيل انتهى وعن محمود بن لبيد ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول
الله يوم القيامة اذا جزى الناس باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم
جزاءً رواه احمد والطبراني والبيهقي وهذا لفظ احمد قال المنذري محمود بن لبيد رأى النبي صلى الله عليه
وآله وسلم ولم يصح له منه سماع فيما ارى وذكر ابن ابي حاتم ان البخاري قال له صحبة ورجحه ابن عبد البر
والحافظ وقد رواه الطبراني باسانيد جيدة عنه عن رافع بن خديج مات محمود سنة ٩٦ وقيل ٩٧ وله
٩٩ سنة وهذا الحديث من وادي شفقته بامته ورحمته ورأفته بهم فلا خير الا دلهم عليه وامرهم به
ولا شر الا بيّنه لهم واخبرهم به ونهاهم عنه كما قال صلى الله عليه وآله وسلم فيما صح عنه ما بعث الله من
نبي الا كان حقا عليه ان يدل امته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم فاذا كان الشرك
مخوفا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع كمال علمهم وقوة ايمانهم وغاية علمهم وصحبتهم نبيهم
فكيف لا يخاف منه من هو دونهم في العلم والايمان والعمل والنية بمراتب خصوصا اذا عرفت ان اكثر
علماء الامصار وفضلاء الاقطار من العرب والعجم والاحمر والاسود والابيض لا يعرفون من التوحيد
الا ما يقر به المشركون وما عرفوا معنى لا اله الا الله الذي نفته كلمة الاخلاص عما سوى الله واخرج ابو يعلى
وابن المنذر عن حذيفة بن اليمان عن ابي بكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الشرك فيكم اخفى من
دبيب النمل قال ابو بكر يا رسول الله وهل الشرك الا ما عُبِد من دون الله او ما دُعي مع الله قال ثكلتك
امك الشرك فيكم اخفى من دبيب النمل الحديث ومنه ان تقول اعطاني الله وفلان والند ان يقول الانسان
لولا فلان قتلني فلان انتهى من الدر المنثور قال الشوكاني في الدر النضيد اعلم ان الله تعالى لم يبعث رسله ولم
ينزل كتبه لتعريف خلقه بانه الخالق لهم والرازق لهم ونحو ذلك فان هذا يقر به كل مشرك قبل بعثة
الرسل ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله الى غير ذلك من الآيات التي سأقتها ثم قال ولهذا تجد كلما
ورد في الكتاب العزيز في شان خالق الخلق ونحوه في مخاطبة الكفار ورد معنونا باستفهام التقرير هل من
خالق غير الله أفي الله شك أغير الله اتخذ وليا بل بعث الله رسله وانزل كتبه لاخلاص توحيده وافراده
بالعبادة يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ونحو هذا من الآيات واخلاص التوحيد لا يتم الا بان يكون
الدعاء كله لله والنداء والاستغاثة والرجاء واستجلاب الخير واستدفاع الشر له ومنه لا لغيره ولا من غيره
ولا تدعوا مع الله احدا له دعوة الحق وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين ونحوها من الآيات قال وقد تقرر

ان شرك المشركين الذين بعث الله اليهم خاتم رسله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن الا باعتقادهم
ان الانداد التي اتخذوها تنفعهم وتضرهم وتقربهم الى الله وتشفع لهم عنده مع اعترافهم بان الله
سبحانه خالقها وخالقهم ورازقها ورازقهم ومحييها ومحييهم ومميتها ومميتهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ثم ما ثم من ذكرهم
بانه الا انهم مشركون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكانوا يقولون في تلبيتهم لا شريك لك الا شريكا هو
لك تملكه وما ملك واذا تقرر هذا فلا شك ان من اعتقد في ميت من الاموات او حي من الاحياء
انه يضر او ينفع استقلالا او مع الله او ناداه او توجه اليه او استغاث به في امر من الامور التي لا يقدر
عليها المخلوق فلم يخلص التوحيد لله ولا افرده بالعبادة اذ الدعاء بطلب وصول الخير اليه ودفع الضر
عنه نوع من انواع العبادة ولا فرق بين ان يكون هذا المدعو من دون الله او معه حجرا او شجرا او
ملكا او شيطانا كما كان يفعل ذلك الجاهلية وبين ان يكون انسانا من الاحياء او الاموات كما يفعل
الآن كثير من المسلمين المشركين وكل عالم يعلم هذا ويقر به فان العلة واحدة وعبادة غير الله تعالى
وتشريك غيره معه يكون للحيوان كما يكون للجماد وللحي كما يكون للميت فمن زعم ان ثم فرقا بين من اعتقد
في وثن من الاوثان انه يضر وينفع وبين من اعتقد في ميت من بني آدم او حي منهم انه يضر او ينفع او
يقدر على امر لا يقدر عليه الا الله تعالى او يقف رحله معه فقد غلط غلطا بينا واقر على نفسه بجهل
كبير فان الشرك هو الدعاء غير الله في الاشياء التي تختص به او اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه
سواه او التقرب الى غيره بشيء مما لا يتقرب به الا اليه ومجرد تسمية المشركين لما جعلوه شريكا بالصنم والوثن
والاله ليس زيادة على التسمية بالولي والقبر والمشهد كما يفعله كثير من المسلمين المشركين بل الحكم
واحد اذا حصل لمن يعتقد في الولي والقبر ما كان يحصل لمن كان يعتقد في الصنم والوثن اذ ليس الشرك
هو مجرد اطلاق بعض الاسماء على بعض المسميات بل الشرك هو ان يفعل لغير الله شيئا يختص به سبحانه سواء
اطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية او اطلق عليه اسما آخر ولا اعتبار بالاسم قط ومن لم
يعرف هذا فهو جاهل لا يستحق ان يخاطب بما يخاطب اهل العلم وقد علم ان عبادة الكفار للاصنام
لم يكن الا بتعظيمها واعتقاد انها تضر وتنفع والاستغاثة بها عند الحاجة والتقرب لها في بعض الحالات
بجزء من اموالهم وهذا كله قد وقع من المعتقدين في القبور فانهم قد عظموها الى حد لا يكون الا لله سبحانه

بل ربما يترك العاصي منهم فعل المعصية اذا كان في مشهد من يعتقده او قريبا منه مخافة تعجيل العقوبة من ذلك الميت وربما لا يتركها اذا كان في حرم الله او في مسجد من المساجد او قريبا من ذلك وربما حلف بعضهم بالله كاذبا ولم يحلف بالميت الذي يعتقده واما اعتقادهم انها تضر وتنفع فلولا اشتمال ضمائرهم على هذا الاعتقاد لم يدع احد منهم ميتا او حيا عند استجلابه لنفع او استدفاعه لضر قائلا يا فلان افعل لي كذا وكذا وعلى الله وعليك وانا بالله وبك واما التقرب للاموات فانظر ما يجعلونه من النذور لهم وعلى قبورهم في كثير من المحلات ولو طلب الواحد منهم ان يسمح بجزء من ذلك لله تعالى لم يفعل وهذا معلوم يعرفه من عرف احوال هؤلاء. انتهى كلام الدر النضيد

باب في رد الاشراك في العلم

قال تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو المفاتح جمع مفتح بالفتح وهو المخزن جعل للامور الغيبية مخازن تخزن فيها على طريق الاستعارة او جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح والمعنى عنده خاصة مخازن الغيب او المفاتح التي يتوصل بها الى المخازن اي لا علم لاحد من خلقه بشيء من الامور الغيبية التي استاثر بعلمها ويستوي في ذلك الملائكة والانبياء والرسل والاولياء والجن والشياطين وغيرهم كما يدل عليه هذا الجملة المستثناة فان هذه الآية الشريفة بيان لاختصاص المقدورات الغيبية به تعالى من حيث العلم اثر بيان اختصاص كلها من حيث القدرة وفي هذه الآية الكريمة ما يدفع اباطيل الكهان والمنجمين والرمالين وغيرهم من مدعي الكشف والالهام ما ليس من شأنهم ولا يدخل تحت قدرتهم ولا يحيط به علمهم ولقد ابتلى الاسلام واهله بقوم سوء من هذه الاجناس الضالة والانواع المخذولة ولم يربحوا من اكاذيبهم واباطيلهم بغير خطة السوء المذكورة في قول الصادق المصدوق من اتى كاهنا او منجما فقد كفر بما انزل على محمد وقال ابن مسعود اوتي نبيكم كل شيء الا مفاتح الغيب قال ابن عباس انها الاقدار والارزاق وقال الضحاك خزائن الارض وعلم نزول العذاب وقال عطاء هو ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وقيل هي انقضاء الآجال وعلم احوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم اعمالهم وقيل هي علم ما لم يكن بعد ان يكون اذ يكون كيف يكون وما لم يكن ان لو كان كيف يكون واللفظ اوسع من ذلك ويدخل فيه ما ذكروه دخولا اوليا وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله تعالى لا يعلم ما يكون في غد الا الله ولا يعلم احد ما يكون في الارحا

الا الله ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا ولا تدري نفس بأي ارض تموت ولا يدري احد متى يجيء المطر
اخرجه البخاري وله الفاظ في رواية ولا يعلم احد متى تقوم الساعة الا الله وليس في هذه الروايات حصر
الامور الغيبية في تلك الاشياء بل فيها انها اصول الغيب قال بعض اهل العلم في تفسير هذه الآية الشريفة
ان الله تعالى كما هدى عباده لدرك الامور الظاهرة الى سبل كالعين للبصر والسمع للسماع والانف للشم
واللسان للذوق واليد للاخذ والعقل للفهم وهذه السبل في اختيار العباد يستعملونها على وفق ارادتهم
ويصرفونها حسب مرادهم مثلا اذا اراد العاقل ان يبصر شيئا فتح العين واذا لم يرد اغلقها وكذا
اذا اراد ان يذوق شيئا القاه في الفم وكذا اذا لم يرد دفعه فلا يأكله فكأنه سبحانه اعطاهم مفاتيح
ادراك هذه الاشياء وكل من يكون في يده مفتاح يكون الاقفال في اختياره يفتحها متى شاء ويغلقها
متى شاء فالامور الظاهرة ادراكها الى العباد ان شاؤا ادركوا وان لم يشاؤا لم يدركوا ولكن لدرك
الامور الغيبية فان الله تعالى ليس باختيار احد من العباد لا ولي ولا نبي ولا جن ولا ملك ولا شيخ ولا
شهيد ولا امام ولا ولد الامام ولا خبيث ولا حسنة فان الله تعالى لم يعط احدا القدرة على ادراك الغيب
بحيث متى شاء ادركه وعلم به بل اذا اراد ان يخبر احدا الشيء يخبره على قدر الارادة منه له لا على تلك ارادة
المريد له وعلى حسب اقتراحه وقد اتفق لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرات انه اراد ان يعلم شيئا
ويدركه فلم يعلم به ولا ادركه واذا اراد الله ان يعلمه به اخبره صلى الله عليه وآله وسلم في آن واحد مثاله
ان المنافقين قذفوا عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانت هو صلى الله
عليه وآله وسلم في هم عظيم من هذا الامر وكان يحققه الى ايام معدودة ولم يشعر بحقيقة الحال
[illegible] الملل من القلق والهم ولكن لما اراد الله ان يطلعه على ذلك اخبره ان المنافقين كاذبون
وعائشة بريئة من ذلك فعلم بهذا ان مفاتيح الغيب عند الله تعالى لم يضعها في يد احد
من الخلق ولم يجعل احدا خازنا لها بل هي في يده الكريمة يفتح بها ويرزق من يشاء ما شاء
لا يعطي لاحد ان يمسك بيده فهذه الآية الشريفة دلت على ان من ادعى ان عنده علما يعلم به امرا غيبيا
متى شاء وفي قدرته ان يعلم الامور المستقبلة الآتية فهو اكذب الكاذبين يدعي له الالوهية التي اختص
بها رب العالمين فمن اعتقد في نبي او ولي او جن او ملك او امام او ولد الامام او شيخ او شهيد او منجم
او رمال او جفار او فاتح فال او برهمن او راهب او جنية او خبيث ان له مثل هذا العلم وهو يعلم الغيب

بعلمه ذلك فهو مشرك بالله وعقيدته هذه من ابطل الباطلات واكذب المكذوبات وهو منكر لهذه
الآية القرآنية وجاحد بها ولا تغتر بان في بعض الاحوال والاوقات يطابق خبر المنجم والرمال والبرهمن
وفاله وطيره الواقع ويكون الامر كما اخبر فان ذلك غلط بحت ووسواس صرف ووهم خالص ولا يثبت
من هذا علم الغيب لهم الا ترى ان كثيرا من اخبارهم يقع على خلاف حكمهم وخبرهم فلو كانوا يعلمون الغيب
لم يكن خبرهم غلطا ابدا والحال انهم يقولون ما يقولون خرصا وظنا فتارة يصح واخرى لا يصح بل يكون غلطا
فاين هذا من ذلك وهكذا شان الاستخارة المستحدثة والكشف وفال القرآن المجيد نعم وحي الانبياء عليهم
السلام لا يتطرق اليه الخطأ والغلط وهو ليس في اختيارهم فما ظنك بغيرهم من احاد الخلق بل يخبرهم
الله تعالى بما يشاء لا على حسب ارادتهم ويدل لذلك قوله سبحانه قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا
ان تتبعون الا الظن اي الذي هو محل الخطأ ومكان الجهل وان انتم الا تخرصون اي تتوهمون مجرد توهم
فقط كما يتوهم الخارص وتقولون على الله الباطل وقال تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب
الا الله وما يشعرون ايان يبعثون اي لا يعلم احد من المخلوقات الكائنة الثابتة الساكنة المستقرة
فيهن وهم الملائكة والانس ومنهم الرسل والجن وغيرهم الغيب الذي استاثر الله بعلمه ولكنه سبحانه
يعلم ذلك والاستثناء على هذا منقطع ورفع ما بعد الا على اللغة التميمية وقيل لا يعلم غيب من فيهما
ولا يعلم الاشياء التي تحدث فيهما الا الله وقيل هو استثناء متصل من مَن والاول اولى لان الاتصال
يقتضي ان الله تعالى من جملة من فيهما مع انه سبحانه بائن عنهما فوق كل شيء مستو على عرشه اخرج البخاري
ومسلم وغيرهما من حديث عائشة قالت ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد اعظم على الله الفرية وقالت
في آخره ومن زعم انه يخبر الناس بما يكون في غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم
الآية ومعنى آخر الآية ما يشعر الكفار متى ينشرون من القبور لان الشعور بوقت النشر وزمان البعث
من الامور الغيبية التي لا علم بها لاحد الا لله بل الابرار ايضا لا يعلمون بذلك فضلا عن الفجار والكفار
والاشرار قال بعض اهل العلم في هذه الآية ان الله امر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يقول للناس
ان علم الغيب لا يعلمه غير الله لا ملك ولا جن ولا آدمي ولا نبي ولا غير هؤلاء من البررة والفجرة وليس
باختيار احد ان يعلم امرا غائبا والدليل على ذلك ان الصلحاء يعلمون بان الساعة تاتي يوما ويؤمنون
بذلك ولكنهم لا يعلمون متى تاتي فلو كان العلم بكل شيء في قدرتهم لعلموا بذلك ايضا ولم يكونوا اغبياء

شيء من ذلك ثبت ان العلم بوقت البعث وحين النشر خاصة لله تعالى لا يشركه فيه احد من الخلق و

كذلك بغيره من الامور المخفية الغيبية التي لم يطلع احدا عليها او قال تعالى إن الله عنده علم الساعة
اي علم وقتها الذي تقوم فيه قال الفراء معنى هذا الكلام النفي اي ما يعلمه الا الله وقال النحاس وانما
صار فيه معنى النفي لما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال في قوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها
الا الله انها هذه وينزل الغيث اي في الاوقات المضروبة له وفي الامكنة التي جعلها معينة لانزاله
ولا يعلم ذلك غيره فرقى من التنزيل والانزال وفيه رد على من يقول بنزوله في كذا او كذا في وقت كذا
وكذا في مكان كذا وكذا نحو ذلك ويعلم ما في الارحام من الذكورة والانوثة والصلاح والفساد وما يتصل
بهذا من المقدرات وما تدري نفس من النفوس كائنة ما كانت من غير فرق بين الملائكة والانبياء
والجن والانس والشياطين ماذا تكسب غدا من كسب دين او كسب دنيا خيرا وشرا فرح او ترح ببسط او
قبض عسر او يسر فيهما من كل شيء وما تدري نفس باي ارض تموت اي لا تعلم نفس باي مكان يقضي الله
عليها بالموت من الارض في بر او بحر في سهل او جبل وربما اقامت بارض وضربت اوتادها وقالت لا
ابرحها فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها ذلك وروي ان ملك الموت مر على سليمان
عليه السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت قال كأنه يريدني
وسأل سليمان عليه السلام ان يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان
كان دوام نظري اليه تعجبا منه لاني امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك ذكره النسفي في
المدارك ورأى المنصور في منامه صورة ملك الموت وسأله عن مدة عمره فاشار باصابعه الخمس فعبرها
المعبرون بخمس سنوات وبخمسة اشهر وبخمسة ايام فقال الامام ابو حنيفة نعمان بن ثابت رضي الله عنه
هو اشارة الى هذه الاية الشريفة فان هذه العلوم الخمسة لا يعلمها الا الله قال الكرخي اضاف في الاية
العلم الى نفسه في الثلاثة الاول من الخمسة المذكورة ونفى العلم عن العباد في الاخيرتين منها مع ان الخمسة
سواء في اختصاص الله تعالى بعلمها وانتفاء علم العباد بها لان الثلاثة الاول امرها اعظم وافخم فخصت
بالاضافة اليه تعالى والاخيرتان من صفات العباد فخصتا بالاضافة اليهم مع انه اذا انتفى عنهم علمهما
كان انتفاء علم ما عداهما من الخمسة اولى ان الله عليم بهذه الاشياء وبغيرها من الغيوب جميعها خبير بما
كان وبما يكون وببواطن الاشياء كلها ليس علمه محيطا بالظاهر فقط قال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها

ملك مقرب ولا نبي مرسل فمن ادعى انه يعلم شيئا من هذه فانه كفر بالقران وفيه رد على المنجم
والكاهن الذين يخبران بوقت الغيث والموت وغيرهما اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر رضي الله
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله لا يعلم ما في غد الا الله
ولا متى تقوم الساعة الا الله ولا ما في الارحام الا الله ولا متى ينزل الغيث الا الله وما تدري نفس باي ارض
تموت الا الله وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابي هريرة في حديث سؤاله عن الساعة وجوابه باشراطها
ثم قال في خمس لا يعلمهن الا الله ثم تلى هذه الاية اي لا يدري احد متى تقوم الساعة في اي سنة واي شهر
واي يوم واي ساعة ليلا او نهارا وفي الباب احاديث وعن مجاهد قال جاء رجل من اهل البادية
فقال ان امرأتي حبلى فاخبرني ما تلد وبلادنا مجدبة فاخبرني متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت
فاخبرني متى اموت فانزل الله هذه الاية وعن عكرمة نحوه وزاد وقد علمت ما كسبت فماذا اكسب غدا
وزاد ايضا انه سأل عن قيام الساعة وقيل نزلت في الحارث بن عمرو بن حارثة من اهل البادية واللفظ
اوسع من التخصيص والاية نص في محل النزاع وفيها ادل دليل على نفي علم الغيب عنه صلى الله عليه وآله وسلم
فضلا عن غيره من الرسل والامم قال بعض اهل العلم في هذه الاية ان العلم بالامور الغيبية هو شأن الله تعالى
ليس باختيار احد من الخلق هذه القيامة اتيانها مشهور بلغ حد التواتر لا ريب فيها ولكن لا يعلم وقت مجيئها
الا هو فضلا عن اشياء اخرى ليست في هذه المثابة من الشهرة واليقين كفتح احد وهزيمة آخر او صحة احد
ومرض آخر او حياة احد وموت آخر فان هذه لا تساوي القيامة في الشهرة ولا في اليقين مثلها وكذلك
لا علم لاحد بنزول المطر مع ان موسمه متعين ووقته معروف ويمطر غالبا في تلك المواسم والاحيان فكلهم
من نبي وولي وسلطان وحكيم وطبيب وعالم وجاهل وبدوي وقروي يحتاج اليه فلو كان للعلم الى وقت
نزوله سبيل فلابد ان يعلم به احد واذ ليس فليس فكيف بالاشياء التي لا موسم لها ولا يحتاج اليها جميع الناس
كموت احد وحياته وولادة احد وكونه غنيا او فقيرا او فتح احد وهزيمته في الحرب وعند الالتحام فانى
لهم التناوش من مكان بعيد وكذلك ما في ارحام الامهات فانه لا يعلم احد اهو ذكر ام انثى مادة كاملة او
ناقصة حسن الصورة او قبيح الشكل مع ان الاطباء يحكون الاسباب والعلامات لذلك ولكن لا يقدرون
على العلم بحال احد مخصوص به واذا لم يعلموا ذلك فما ظنك بما هو مستور في الآدمي من الخيالات والارادات
والنيات والايمان والنفاق فانهم لا يتمكنون منها اصلا وكذلك اذا لم يعلم احد بحال نفسه انه ماذا

يعمل غداً أو ماذا يكسب من خير أو شر وكيف يعلم الغائب غيره وإذا لم يدر بمكان موته فكيف يدري بمكان موت أحد بوقته وبالجملة فلا يقدر أحد على أن يعلم أمراً أو شيئاً سيكون باختياره وإرادته سوى الله الواحد الذي لا شريك له ولا ند ولا ضد وهذه الآية قد دلت على أن هؤلاء الذين يدعون العلم بالغيب بكشف أو استخارة أو نظر في تقويم من حجر أو ودعة أو رمل أو قرعة أو أزلام أو كتابة الفال فأولئك هم الكاذبون المفترون لا ينبغي لأحد أن يقع في شركهم ومصائدهم بل الذي يجب أن يكون على حذر منهم وأنهم لصوص أكابر طواغيت ثم الذي لا يدعي لنفسه العلم بالغيب ولا يراه في قدرته واختياره بل يقول إنه يعلم تارة شيئاً من جهة الله سبحانه وتعالى وهو ليس في قدرته ولا يمكن من العلم به متى شاء بل الله يمن بذلك عليه متى أراد فهذا الأمر يمكن لعل قائله صدق أو كاد والله أعلم وقال تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة أي لا أحد أضل منه ولا أجهل فإنه دعا من لا يسمع فكيف يطمع في الإجابة فضلاً عن جلب نفع أو دفع ضر فتبين بهذا أنه أجهل الجاهلين وأضل الضالين والاستفهام للتوبيخ والتقريع وذكر يوم القيامة غاية لعدم الاستجابة والمراد بها التأكيد كقوله تعالى وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين قاله الشهاب وقال في الانتصاف في هذه الغاية نكتة وهي أنه تعالى جعل عدم الاستجابة مغياً بيوم القيامة فأشعرت الغاية بانتفاء الاستجابة في يوم القيامة على وجه أبلغ وأتم وأوضح مصرحاً بالحقيقة بالشيء الذي لا يتعرض لكونه إذ هنالك تتجدد العداوة والمباينة بينها وبين عابديها والضمير في قوله وهم عن دعائهم غافلون الأول للأصنام والثاني لعابديها والمعنى أن الأصنام التي يدعونها غافلون عن ذلك لا يسمعون ولا يعقلون لكونهم جمادات والغفلة مجاز عن عدم الفهم فيهم وأجرى على الأصنام ما هو للعقلاء لاعتقاد المشركين فيها أنها تعقل قاله المفسرون وقيل الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالآية شاملة لكل من يدعو من دون الله من كل داع حياً كان أو ميتاً والدعاء هو العبادة فمن عبد غير الله دخل في هذه الآية ومعبوده غافل عن عبادته هذه ولا يستجيب له يوم البعث أيضاً قال بعض أهل العلم في هذه الآية يعني أن هؤلاء المشركين هم أشد حماقة في حالهم تركوا الله القادر العليم ويدعون غيره مما لا يقدر على شيء ولا يعلم شيئاً وبيان الحماقة أولاً أنهم لا يسمعون دعاء هؤلاء أصلاً ولا يعقلونه وثانياً لا قدرة لهم على شيء لو دعاهم داع إلى يوم القيامة لا يمكن من شيء من دعائه ولا الاستجابة له فهذه الآية قد علم منها أن بعض المشايخ الذين يدعوهم الناس من أمد بعيد ومرحلة شاسعة وأمكنة قصوى ولا يعرفون بدعائهم إلا أنى لهم هدايا ولا الحضرة

ادع الله تعالى يقضي بقدرته حاجتي الفلانية ويرون ان هذا ليس من الشرك في شيء لانهم لم يدعوه ولم يعبدوه بل طلبوا منه الدعاء في جناب الباري تعالى شانه فهذه اغلاط منهم وهفوة لا يعبأ بها الا انا سلمنا ان الشرك لم يثبت من قبل دعاء الله تعالى في هذا الامر ولكن ثبت من جهة نداء غير الله فانه لم يدعهم الا بعد ان اعتقد انهم يسمعون نداءه ودعاءه من قريب وبعيد سواسية فكلما ندعوهم يسمعون دعاءنا ونداءنا وهذا هو الشرك المحض وقد قال تعالى في هذه الاية ان كل من دون الله لا يستجيب للداعي النادي بل هو عن صنعه هذا في غفلة فاذا ثبت كونهم غافلين فدعاؤهم لا ياتي الا من المشركين الجاهلين وفيه الشرك وهو المنهي عنه ولاجله ارسلت الرسل وانزلت الكتب وقال تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا قال ابن جرير يعني الهدى والضلالة وهذه الجملة متضمنة لتاكيد ما تقدم قبلها من عدم علمه صلى الله عليه وآله وسلم بالساعة ايان تكون ومتى تقع لانه اذا كان لا يقدر على جلب نفع له او دفع ضر عنه الا ما شاء الله سبحانه من النفع له والدفع عنه فبالاولى ان لا يقدر على علم ما استاثر الله بعلمه وفي هذا من اظهار العبودية والاقرار بالعجز عن الامور التي ليست من شان العبيد والاعتراف بالضعف عن انتحال ما ليس له صلى الله عليه وآله وسلم ما فيه اعظم زاجر وابلغ واعظ لمن يدعي لنفسه ما ليس من شانها وينتحل علم الغيب بالكهانة او الرمل او الطرق بالحصى او الزجر قال النسفي اي انا عبد ضعيف لا املك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضر كالمماليك الا ما شاء مالكي من النفع لي والدفع عني والاستثناء منقطع وبه قال ابن عطية وهو ابلغ في اظهار العجز ثم اكد هذا وقرره بقوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير اي لو كنت اعلم جنس الغيب لتعرضت لما فيه الخير فجلبته الى نفسي وتوقيت ما فيه السوء حتى لا يمسني ولكني عبد لا ادري ما عند ربي ولا ما قضاه في وقدره لي فكيف ادري غير ذلك واتكلف علمه وقيل المعنى لو كنت اعلم ما يريد الله عز وجل مني من قبل ان يعرفنيه لفعلته وقيل لو كنت اعلم متى يكون لي النصر في الحرب لقاتلت فلم اغلب وقيل لو كنت اعلم الغيب لاجبت عن كل ما اسأل عنه وقيل لو كنت اعلم وقت الموت لاستكثرت من العمل الصالح وقيل لاعددت من الخصب للجدب وقيل غير ذلك والاولى حمل الاية على العموم فيندرج هذه الامور وغيرها تحتها وما مسني السوء اي لو علمت الغيب ما مسني السوء ولحذرت عنه وقال ابن جريج لا صابني الفقر وقال ابن زيد لاجتنبت ما يكون من الشر قبل ان يكون وقال الكرخي اي ما مسني سوء يمكن التفصي عنه

بالتبري عن مرجحاته والمدافعة بمبالغة لا سوء فان منه ما لا مدفع له ان انا الا نذير وبشير اي ما انا
الا مبلغ عن الله لاحكامه لقوم يؤمنون اي الذين كتب في الازل انهم يؤمنون فانهم المنتفعون به فلا
ينافي كونه بشيرا ونذيرا للناس كافة قال في فتح البيان والذي اخبر به صلى الله عليه وآله وسلم عن المغيبات
وقد جاءت بها احاديث في الصحيح فهو من قبيل المعجزات ومن قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال ذلك على سبيل التواضع والادب فقد ابعد النجعة بل الحق ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قاله
معترفا بذلك وان الله هو المستأثر بعلم الغيب والمعجزات مخصصة من هذا العموم كما قال تعالى الا من ارتضى
من رسول انتهى فالآية على هذا نص في عدم علمه صلى الله عليه وآله وسلم بالامور الغيبية ومن هو اعلى
درجة واكمل علما واعرف بالله تعالى من رسوله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يعلم الغيب ويدعي دركه
قال بعض اهل العلم ان الانبياء والاولياء افضلهم خاتم الرسل والناس قد رأوا المعجزات العظمى ومنهم تعلموا
اسرار الامور وباتباعه صلى الله عليه وآله وسلم حصلت الكرامة لكل احد فلما كان صلى الله عليه وآله وسلم
كذلك خاطبه الله تعالى في هذه الآية وامره ان يقول للناس ما تقدم ليعلم حاله في عدم ادراك الغيب
فامتثل الامر وبلغ الناس عدم قدرته على دراك المغيبات وبين انه غير قادر على نفع نفسه ولا يملك شيئا
منه ومن ضره فكيف يملكهما للآخرين ولو كان العلم بالغيب في قدرته وتحت طاقته وكان يعلم عاقبة الامر
لنفع نفسه وصانها عن الضر ومس السوء ولم يات الا بما ينفعه لا بما يضره وبالجملة لا قدرة لي ولا علم لي
بالغيب ولا ادعي الالهية انما انا نبي مرسل وشان النبي ان ينذر ويبشر ولا ينفع انذاره وتبشيره الا لمن
يؤمن ويتيقن وليس القاء الايمان في القلوب من شاني بل هو في قدرة الله وارادته واختياره ومشيئته
فهذه الآية دليل على ان الانبياء والاولياء الذين اكرمهم الله وشرفهم وعظمهم في خلقه انما اكرامهم
انهم يهدون الناس الى سبيل الله وينذرونهم عن عاقبة السيئات ويبشرون بحسنها اهل الايمان
بالحسنات لانهم عارفون بالمحاسن والقبائح مطلعون على الفضائل والرذائل فيعلمون الناس ما هم
عاملون به من الخيور والشرور وان الله تعالى بارك في كلامهم فيسلك الناس بهم الصراط المستقيم
ويهتدون الى السبيل السوي واما انهم لا يقدرون على التصرف في العالم فلا يستطيعون على اماتة احد
ولا على اعطاء ولد ولا حل مشكل وكشف معضل وقضاء حاجة وعلى الفتح والهزيمة والغنى والفقر وجعل
احد ملكا او وزيرا او اميرا او رئيسا او على شفاء مريض او اقامة ثانية لاحد او سلب هذه الامور من

احد اوالقاء ايمان في قلب او انتزاعه منه فهذا ليس بنقص فيهم لان الناس جميعهم في هذه الامور سواء كانوا اكابر او اصاغر سواسية وكلهم عاجزون غير قادرين على شيء من ذلك وكذلك لا نقص فيهم على ان الله لم يمكنهم من علم الغيب حتى يعلموا احوال القلب متى شاؤا وهل هو حي ام ميت او في البلد الفلاني آنا في الحال الفلاني وهل يولد له ام لا وهل يربح في التجارة ام لا وهل يغلب في المعركة ام ينهزم فان هذه الامور يستوي فيها العباد العظماء والصغراء وكلهم عن ذلك غافلون وجاهلون فكما ان الناس جميعا قد يقولون شيئا بالعقل والقرينة فيوافق الواقع تارة ويخطأون فيه اخرى فهكذا ما يقوله هذه الكبراء الفضلاء بعقلهم وبالقرائن قد يقع وقد لا يقع وقد يصيب وقد يغلط فالحال واحد والشان واحد اللهم الا ما كان من طريق الوحي او الالهام الالهي فهذا امر اخر ولكن ليس ذلك ايضا في قدرتهم وامكانهم حتى يشاء الله تعالى وقال تعالى الم اقل لكم يا ملائكتي اني اعلم غيب السموات والارض يعني ما كان وما سيكون وذلك انه سبحانه علم احوال ادم قبل ان يخلقه قال في فتح البيان وفي اختصاصه بعلم غيب السموات والارض رد لما يتكلفه كثير من العباد من الاطلاع على شيء من علم الغيب كالمنجمين والكهان واهل الرمل والسحر والشعوذة انتهى ومنهم جهلة المتصوفة المدعية له بالكشف والالهام واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون اي ما تظهرون وما تسرون كما يفيده معنى ذلك عند العرب ومن فسره بشيء خاص فلا يقبل منه الا بدليل وقال تعالى ذلك من انباء الغيب اي من اخبار ما غاب عنك نوحيه اليك اي نعلمك به ونظهرك والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفيه ان الغيب مختص علمه به تعالى ولا يعلمه احد نبيا كان او غيره وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون وقد استدل بهذا من اثبت القرعة والخلاف في ذلك معروف وقد ثبت احاديث صحيحة في اعتبارها ووردت في خمسة مواضع ذكرها الشوكاني رح في النيل وعددها والمراد هنا بهذه الاية اثبات علم الغيب لله سبحانه وانه لا يشركه فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب وقال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول لهم ماذا اجبتم اي ما الذي رد عليكم قومكم حين دعوتموهم في دار الدنيا الى توحيدي وطاعتي وتوجيه السؤال الى الرسل لقصد توبيخ قومهم واممهم المشركة قالوا بصيغة الماضي للدلالة على التحقق لا علم لنا هذا تفويض منهم واظهار للعجز وعدم القدرة ورد الامر الى علمه تعالى وقيل معناه لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وقيل لا علم لنا بما اشتملت عليه بواطنهم وقيل لا علم لنا بعاقبة امرهم وقيل غير ذلك واللفظ اوسع من هذه التاويلات

علام الغيوب يعني انك تعلم ما غاب عنا من باطن الامور ونحن نعلم ما شاهدنا ولا نعلم ما في الغيب ليس يخفى عليك خافية وفي الآية دليل على نفي علم الانبياء بالغيب اجماعا منهم واعترافا به في جناب الرب تعالى واذا لم يعلم الرسل والانبياء الغيب ونفاه عنهم سبحانه فمن ذا الذي يدعيه لنفسه او لاحد منهم مضادا لاخبار الله تعالى وقال تعالى واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق اما مر به الى ان اتخاذهما الهين شريك لجامعك في الالوهية لا افرادهما بذلك اذ لا شبهة في الوهيتك وانت منزه عن الشريك فضلا ان يتخذ الهان دونك مثل ما يشعر به ظاهر العبارة نبه عليه السعد التفتازاني ان كنت قلته فقد علمته وهذا نهاية الادب واظهار المسكنة لعظمة الله تعالى وتفويض الامر الى علمه وقد علم انه لم يقله فثبت بذلك عدم القول به تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك قال ابن عباس اي تعلم ما في غيبي ولا اعلم ما في غيبك انك انت علام الغيوب تعلم ما كان وما سيكون وفي الآية دليل على اختصاص الله تعالى بعلم الغيب ورد على كل من يدعيه من الناس او يثبته لاحد من الخلق سواء كان رسولا او غيره فانهم كلهم في عدم العلم بالغيب اي غيب كان سواسية ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم اي ما امرتهم الا بان وحدوا الله ولا تشركوا به شيئا وفيه رد على النصارى في دعواهم ان المسيح ابن الله وانه عليه السلام اعترف شاهدا بتوحيده وربوبية الله له ولهم اجمعين وقال تعالى قل لا اقول لكم عندي خزائن الله المراد خزائن قدرته التي تشتمل على كل شيء من الاشياء امره صلى الله عليه وآله وسلم بان يخبرهم بذلك وامره ان يقول لهم ايضا لا ادعي اني اعلم الغيب من افعاله حتى اخبركم به واعرفكم بما سيكون في مستقبل الدهر ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي فيه نفي علم الغيب عن خاتم الرسل صلى الله عليه وآله وسلم صريحا لا يتطرق اليه شك ولا شبهة وهو الحق الذي لا محيص عنه وقال تعالى وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة قال المفسرون صفة للذي خلق السموات والارض او هو عالم ما غاب عن عباده وما يشاهدونه فلا يغيب عن علمه شيء

اشارة الى انه خبر لمبتدأ محذوف او صفة ١٢

ولا يعلم احد غيره سبحانه شيئا من الغيب فمن اثبت علم شيء من المغيبات لغير العالم به على الاطلاق فقد اتى بالعظيم من الشرك وقال تعالى ان الله يعلم سرهم ونجواهم اي جميع ما يسرونه من النفاق وما يتناجون به فيما بينهم من الطعن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى اصحابه وعلى دين الاسلام وان الله علام الغ

اي ما غاب عن العيان فلا يخفى عليه شيء من الاشياء المغيبة كائنا ما كان وهذا يدل بفحواه على اختصاصه سبحانه بعلم الغيب واذا كان هذا العلم مختصا به فادعاؤه لغيره شرك به سبحانه ويدل له قوله تعالى فقل انما الغيب لله اي انه هو المختص بعلمه المستأثر به لا علم لي ولا لكم ولا لسائر مخلوقاته وقوله تعالى وما يعزب عن ربك اي ما يغيب عن علمه من مثقال ذرة اي نملة حمراء التي هي خفيفة الوزن جدا في الارض ولا في السماء اي في دائرة الوجود والامكان وانما عبر عنهما بهما مع انه سبحانه لا يغيب عنه شيء لا فيهما ولا فيما هو خارج عنهما لان الناس لا يشاهدون سواهما وسوى ما فيهما من المخلوقات وقدم الارض على السماء لانها محل استقرار العالم فهم يشاهدون ما فيها من قرب وقال تعالى ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب اي ولا ادعي اني اعلم بغيب الله فيه انكار عن علمه صلى الله عليه وآله وسلم بالغيب وهو نص في موضع النزاع وقد تقدم مثله قريبا وقال تعالى تلك اي قصة نوح عليه السلام من انباء الغيب اي من جنسها والانباء جمع نبأ وهو الخبر نوحيها اليك والمجيء بالمضارع لاستحضار الصورة ما كنت يا محمد تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا اي الوحي او القرآن فاصبر ان العاقبة للمتقين فيه نفي علم الغيب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن العرب وغيرهم مثلهم في ذلك وقال تعالى ولله غيب السموات والارض اي علم جميع ما هو غائب عن العباد فيهما وخص الغيب مع كونه يعلم بما هو مشهود كما يعلم بما هو مغيب لكونه من العلم الذي لا يشاركه فيه غيره قاله في فتح البيان واليه يرجع الامر كله اي امر الخلق كلهم في الدنيا والآخرة يوم القيامة فيجازي كلا بعمله فاعبده ولا تعبد غيره فان عبادة الغير واثبات علم الغيب له شرك به تعالى وتوكل عليه قيل هذا الخطاب له صلى الله عليه وآله وسلم ولجميع خلقه مؤمنهم وكافرهم وفي تأخير الامر بالتوكل عن الامر بالعبادة اشعار بانه لا ينفع دونها قال كعب الاحبار فاتحة التوراة فاتحة الانعام وخاتمتها خاتمة هود يعني هذه الآية ولله الخ وقال تعالى ذلك الذي ذكر من امر يوسف عليه السلام من انباء الغيب اي اخباره نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون فيه نفي علم الغيب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما اكثر الناس ولو حرصت على هدايتهم وبالغت في ذلك بمؤمنين بالله لتصميمهم على الشرك الذي هو دين آبائهم وعلى الكفر وقد وجد ما ذكره الله تعالى ههنا من عدم ايمانهم بتوحيد الالهية في كل زمان سيما في هذا الزمان الاخير الذي ظهر فيه الفساد في البر والبحر وقال تعالى الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال عما يقول المشركون

فيه بيان احاطته سبحانه بالعلم وعلمه بالغيب هذا يرشد الى نفيه عن الغير قال تعالى الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم
قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم اي لا يحصي عددهم ومقاديرهم ولا يحيط بهم علما الا الله وعدم العلم من غير الله
بهم ما هو راجع الى صفاتهم واحوالهم واخلاقهم ومدد اعمارهم والى ما هو راجع الى ذواتهم اي لا يعلم ذلك كله الا الله سبحانه
لانه هو المستأثر بذلك ولا يشاركه احد في علم ما هنالك قال ابو سعود في هذه الاية كذب النسابون وعن عمرو
بن ميمون مثله وعن ابي مجلز قال قال رجل لعلي كرم الله وجهه انا النسابة قال انك لا تنسب الناس فقال بلى فقال
له علي ارأيت قوله عادا وثمودا واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا قال انا انسب ذلك الكثير قال ارأيت
قوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله فسكت وقال تعالى ولله غيب السموات والارض قال في فتح البيان
اي يختص ذلك به لا يشاركه فيه غيره ولا يستقل به وما امر الساعة الا كلمح البصر اي كرجع طرف من اعلى
الحدقة الى اسفلها او هو اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة والساعة المذكورة هي التي هي
اعظم ما وقعت فيه المماراة من الغيوب المختصة به سبحانه وهي اماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين
والاخرين وتبديل صور الاكوان اجمعين وقال تعالى له غيب السموات والارض ابصر به واسمع ما لهم
من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه احدا افاد هذا التعجب ان شأنه سبحانه في علمه بذلك خارج عما
عليه ادراك المدركين وقرئ ولا تشرك بالتاء على انه نهي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يجعل لله شريكا
في حكمه والمراد بحكم الله ما يقضيه او علم الغيب والاول اولى ويدخل علم الغيب في ذلك دخولا اوليا
فان علمه سبحانه من جملة قضائه تعالى وقال تعالى قال فما بال القرون الاولى كقوم نوح وهود ولوط وصالح
في عبادتهم الاوثان فانها لم تقر بالرب بل عبدت الاوثان ونحوها من المخلوقات فاجابه موسى عليه
السلام وقال علمها عند ربي اي هو من علم الغيب الذي استأثر الله به لا تعلمه انت ولا انا في كتاب لا يضل
ربي ولا ينسى اضاف موسى هذا العلم الى الله سبحانه ونفى ذلك عن نفسه فدل على ان الانبياء لا يعلمون
منه شيئا الا ما يخبرهم به سبحانه اياهم وقال تعالى عالم الغيب والشهادة اي هو مختص بذلك وهذا دليل آخر
على الوحدانية فتعالى الله عما يشركون اي انه سبحانه متعال عن ان يكون له شريك في الملك وفي علم الغيب
وقال تعالى يسألونك الناس عن الساعة اي عن وقت حصولها ووجودها وقيامها قل انما علمها عند الله
يعني انه سبحانه استأثر به ولم يطلع عليه نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا
قال في فتح البيان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبيان انها اذا كانت مخفية عنه

لا يعلم وقتها وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف بغيره من الناس قال وفي هذا القدر بلاغ عظيم للمستعجلين واسكات للمخمنين والمشركين ولمن يثبت علم المغيبات للانبياء والصالحين وغيرهم من الخلق اجمعين وقال تعالى عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين فيه رد على من يقول من الفلاسفة وغيرهم من ان الله يعلم الاشياء علما كليا ولا يعلمها علما جزئيا فهذه الاية الشريفة نص قاطع في محل النزاع وحجة بالغة الى الاعداء والاحباء في كونه سبحانه عالما بالعلم الجزئي الشامل لكل ذرة من الخلق فمن جحده فقد كفر وقال تعالى فلما خر تبينت الجن اي ظهر لهم وانكشف ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين اي لو صح ما يزعمونه من انهم يعلمون الغيب لعلموا بموته ولم يلبثوا بعد موته مدة طويلة في العذاب اي العمل الذي امرهم به والطاعة له وهو اذ ذاك ميت قال الواحدي قال المفسرون كان الناس في زمن سليمان يقولون ان الجن تعلم الغيب فلما مكث سليمان قائما على عصاه حولا ميتا والجن تعمل تلك الاعمال الشاقة التي كانت تعمل في حياة سليمان لا يشعرون بموته حتى اكلت الارضة عصاه فخر ميتا فعلموا بموته وعلم الناس ان الجن لا تعلم الغيب وفي الباب روايات بطرق والفاظ ذكرها في فتح البيان والاية دلت دلالة واضحة على ان الغيب لا تعلمه الجن ولا غيرهم من الانس وغيرهم بل هو خاصة الله سبحانه وخصيصة لا يشاركه فيه انس ولا جن ولا ملك ولا غيرهم من الخلق ومثبته لغيره سبحانه مشرك بالله في صفاته الخاصة به وقال تعالى قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب ومن قذفه بالحق تنصيصه سبحانه في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى بان علم الغيب مختص به تعالى وهو مستأثر به لا شريك له في ذلك احد من السعداء والاشقياء وقال تعالى ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور اثبت سبحانه لذاته هذا العلم اشارة الى عدم شريك له فيه وهو الحق الواضح الثابت بادلة الكتاب والسنة عند كل فقيه ونبيه وقال تعالى فاطر السموات والارض اي مبدعهما وخالقهما عالم الغيب والشهادة اي ما غاب وشوهد انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون قبل هذه محاكمة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمشركين الى الله تعالى عن ابن المسيب لا اعرف اية قرئت فدعي عندها الا اجيب سواها وقال تعالى وما كنت بدعا من الرسل اي ما انا باول رسول قاله ابن عباس وما ادري ما يفعل بي فيما يستقبل من الزمان ولا ادري ما يفعل بكم ان اتبع الا ما يوحى الي فيه نفي العلم عنه صلى الله عليه وآله وسلم بالامور المستقبلة

به وبغيره من الناس ثم الآية تدل بحسب الخطاب على اختصاص ذلك العلم به سبحانه وتعالى وهو انما
هنا وقد تقدم تفسيرها في الثلث الاول من هذا الكتاب وقال تعالى قال اي هود عليه السلام انما العلم
بوقت مجيء العذاب عند الله لا عندي ولا مدخل لي فيه فاستعجل به وامكنكم اي وانما انا وظيفتي
التبليغ ما ارسلت به اليكم من ربكم ولكني اراكم قوما تجهلون فيه نفي علم الغيب عن هود النبي عليه
السلام واختصاصه بالله تعالى وان القوم المشركين جاهلون مصرون على كفرهم وشركهم بالله في هذه
الناحية التي من جملتها العلم بالغيب وقال تعالى ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون
فيه بيان علمه تعالى بالغيب ولازمه ان لا يعلمه غيره اصلا كائنا من كان ثم قال تعالى الله الذي لا اله الا هو
اي المعبود الذي لا تنبغي العبادة والالوهية الا له عالم الغيب والشهادة قدم الغيب على الشهادة لكونه
متقدما وجودا والمعنى عالم ما غاب عن الاحساس وما حضر وقيل عالم السر والعلانية وقيل ما كان
وما يكون وقيل الدنيا والآخرة وقيل المعدوم والموجود ولا مانع من الحمل على الجميع لان اللفظ اوسع من ذلك
والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص الاسباب وقال تعالى ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي يوم القيامة فينبئكم
بما كنتم تعملون من الاعمال الغيبية ويجازيكم عليها وفيه وعد ووعيد وقال تعالى عالم الغيب والشهادة
العزيز الحكيم اي الغالب القاهر ذو الحكمة الباهرة في الاخبار عن الغيوب وقال تعالى قل انما العلم اي
ان وقت قيام الساعة علمه عند الله لا يعلمه غيره ومثله قوله انما علمها عند ربي وانما انا نذير مبين انذركم
واخوفكم عاقبة شرككم وكفركم وابين لكم ما امر الله ببيانه باقامة الادلة حتى يصير ذلك كأنه مشاهد وقال
تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الفاء لترتيب عدم الاظهار على تفرده سبحانه بعلم الغيب اي لا يطلع
على الغيب الذي يعلمه الا من ارتضى من رسول اي من اصطفاه من الرسل او من ارتضاه منهم لاظهاره
على بعض غيبه ليكون ذلك دالا على نبوته قال القرطبي ليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر
في الكف ويزجر الطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه بل هو كافر بالله مفتر عليه
بحدسه وتخمينه وكذبه انتهى وقال الواحدي وفي هذا دليل على ان من ادعى ان النجوم تدله على ما يكون
من حادث فقد كفر بما في القرآن قال الزمخشري في ابطال الكهانة والتنجيم والتعبير لان اصحابها ابعد شيء
من الارتضاء وادخله في السخط قال الرازي وعندي ان الآية لا دلالة فيها على شيء مما قالوه اذ لا صيغة عموم
في غيبه فيحمل على غيب واحد وهو وقت القيامة لانه واقع بعد قوله اقريب ما توعدون الآية فان قيل

فما معنى الاستثناء ج قلنا لعله اذا قربت القيامة يظهره وكيف لا وقد قال يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا فتعلم الملائكة ج قيام الساعة او هو استثناء منقطع اي من ارتضاه من رسول يجعل بين يديه ومن خلفه حفظة يحفظونه من شر مردة الجن والانس ويدل على انه ليس المراد انه لا يطلع احدا على شيء من المغيبات الا الرسل انه ثبت كما يقارب التواتر ان شقا وسطيحا كانا كاهنين وقد عرفا بحديث النبي صلى الله عليه واله وسلم قبل ظهوره وكانا مشهورين بهذا العلم عند العرب حتى رجع اليهما كسرى فثبت ان الله قد يطلع غير الرسل على شيء من المغيبات وايضا اطبق اهل الملل على ان معبر الرؤيا يخبر عن امور مستقبلة ويكون صادقا فيها وايضا قد نقل السلطان سنجر بن ملك شاه كاهنة من بغداد الى خراسان وسألها عن امور مستقبلة فاخبرته بها فوقعت على وفق كلامها قال واخبرني ناس محققون في علم الكلام والحكمة انها اخبرت عن امور غائبة بالتفصيل فكانت على وفق خبرها وبالغ ابو البركات في كتاب التعبير في شرح حالها وقال فحصت عن حالها ثلاثين سنة فتحققت انها كانت تخبر عن المغيبات اخبارا مطابقا وايضا فانا نشاهد ذلك في اصحاب الالهامات الصادقة وقد يوجد ذلك في السحرة ايضا وقد نرى الاحكام النجومية مطابقة وان كانت قد تتخلف فلو قلنا ان القرآن يدل على خلاف هذه الامور المحسوسة لتطرق الطعن الى القرآن فيكون التاويل ما ذكرنا انتهى كلامه بمعناه قال محمد بن علي الشوكاني رحمه الله تعالى اما قوله اذ لا صيغة عموم في غيبه فباطل فان اضافة المصدر واسم الجنس من صيغ العموم كما صرح به ائمة الاصول وغيرهم واما قوله او هو استثناء منقطع فمجرد دعوى يأباه النظم القرآني واما قوله ان شقا وسطيحا الخ فقد كانا في زمن تسترق فيه الشياطين السمع ويلقون ما يسمعونه الى الكهان فيخلطون الصدق بالكذب كما ثبت في الحديث الصحيح وفي قوله الا من خطف الخطفة ونحوها من الايات فباب الكهانة قد ورد بيانه في هذه الشريعة وانه كان طريقا لبعض الغيب بواسطة استراق الشياطين حتى منعوا ذلك بالبعثة النبوية على صاحبها الصلوة والسلام والتحية وقالوا انا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا فباب الكهانة في الوقت الذي كانت فيه مخصوص بادلته فهو من جملة ما يخصص به هذا العموم فلا يرد ما زعمه من ايراد الكهانة على هذه الاية واما حديث المرأة الذي اورده فحديث خرافة ولو سلم وقوع شيء مما حكاه عنها من الاخبار لكان من باب

ما ورد في الحديث ان في هذه الامة محدثين وان منهم عمر يكون كالتخصيص لعموم هذه الآية ايضا

وأما ما احتج به رحمه الله على كون من هو له في آخر كلامه فلو قلنا ان القرآن دل على حلاوة هذه

الامور الحسية لتطرق الطعن الى القرآن فيقال له ما هذه الا دلالة من دلالاتك وسقطة من سقطاتك

وكونها لا يليق من اشباه وامثال معن بها عرق فلسفتك وركض بها الشيطان الذي صار يتخبطك في

مباحث تفسيرك يا ليت شعري ايكون ما بلغك من حمرة هذه المرآة وحلوه مرجحا لتطرق الطعن الى القرآن

وما احسن ما قاله بعض ادباء عصرنا ـه واذا امت الذبابة للشمس + بغطاء ملت عليها جناحه

وقلت من ابيات منها ـه فهب بريح سده شخاخ + وقائل بالمصباح صبح مصباح + فان قلت اذا

حمل تقرير هذا الدليل القرآني ان الله يظهر من ارتضى من رسله على ما شاء من غيبه فهل للرسول الذي

اظهره الله على ما شاء من غيبه ان يخبر به بعض امته قلت نعم ولا مانع من ذلك وقد

ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا ما لا يخفى على عارف بالسنة المطهرة

فمن ذلك ما صح انه قام مقاما اخبر فيه بما سيكون الى يوم القيامة وما ترك شيئا مما يتعلق بالفتن

ونحوها حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه وكذلك ما ثبت من ان حذيفة بن اليمان كان قد اخبره

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما يحدث من الفتن بعده حتى سأله عن ذلك اكابر الصحابة ورجعوا

اليه وثبت في الصحيح وغيره ان عمر بن الخطاب سأله عن الفتنة التي تموج كموج البحر فقال ان بينك وبينها

بابا فقال عمر هل يفتح او يكسر فقال بل يكسر فعلم عمر انه الباب وان كسره قتله كما في الحديث الصحيح المعروف

انه قيل لحذيفة هل كان عمر يعلم ذلك فقال نعم كما يعلم ان دون غد الليلة وكذلك ما ثبت من اخباره

لابي ذر بما يحدث له مما حدث له وبشارته لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه بخبر ذي الثدية ونحو هذا مما

يكثر تعداده ولو جمع لجاء مصنفا مستقلا واذا تقرر هذا فلا مانع من ان يختص بعض صلحاء هذه الامة

بشيء من اخبار الغيب التي اظهرها الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم واظهرها رسوله صلى الله عليه وآله

وسلم لبعض امته واظهرها هذا البعض من الامة لمن بعدهم فتكون كرامات الصالحين من هذا القبيل

والكل من الفيض الرباني بواسطة الجناب النبوي انتهى كلامه رحمه الله تعالى ومن الادلة الدالة على ورود

الاشتراك في العلم ما روي عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدخل

حين بني علي فجلس على فراشي كمجلسك مني فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي

يوم بدر اذ قالت احداهن وفينا نبي يعلم ما في غد فقال دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين رواه البخاري كذا في باب اعلان النكاح من المشكوة قال على القاري في المرقاة انما منع لقولها وفينا نبي الخ لكراهة نسبة علم الغيب اليه لانه لا يعلم الغيب الا الله وانما يعلم الرسل من الغيب ما اخبر اي معجزة لهم قال بعض العلماء ان الربيع كانت امرأة من الانصار فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عرسها وجلس عندها وكانت للانصار جوارٍ اخذن في الغناء فقلن في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه يعلم الامر المستقبل فمنعهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقلن هذا او امرهن ان يقلن القول السابق فدل هذا على ان لا ينبغي ان يعتقد في احد من الانبياء والاولياء والائمة والشهداء وغيرهم انهم يعلمون الغيب ويدركون ما هو كائن بعد غد بل لا يحسن هذه العقيدة في حقه صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو سيد المرسلين وخاتم النبيين فضلا عن غيره ولا يحسن ان يمدحه بمثل ذلك واما هؤلاء الشعراء الذين يبالغون في مدائح الانبياء والرسل واهل الكرامة والشيوخ والاساتذة والملوك ويأتون باطراء فيهم ويتجاوزون الحدود فيصفونهم باوصاف لا تليق الا لله ويرون ان المبالغة والاغراق يجوز في الشعر فهذا من ابطل الباطلات واسوء المقالات لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يجوز مثل هذا المدح في شعر الجويريات الانصارية له فاي عاقل يرضى بان يسمع مثل هذا النظم او يكتبه في بياضه وديوانه او ينشده في مجالسه ويتواجد عليه واخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت من اخبرك ان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم يعلم الخمس التي قال الله تعالى ان الله عنده علم الساعة فقد اعظم الفرية المراد بهذه الخمس هي الايات التي في اخر سورة لقمان وقد تقدم تفسيرها قال بعض العلماء المعنى ان كل شيء من الامور المغيبة داخل في هذه الخمس فمن قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم هذه الخمس التي شملت كل امر غيبي فقد اتى بالفرية العظمى فكيف بمن يعتقد هذا في حق امام او كبير ويقول ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انما ابى عنه ادبا بالشريعة فان القائل بذلك اكذب القائلين فانه لا يعلم الغيب كائنا ما كان وفي اي شان الا الله رب العالمين وعن ام العلاء الانصارية قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا ادري والله لا ادري وانا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم رواه البخاري كذا في باب البكاء على الميت من المشكوة وقال تعالى ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الي وما انا الا نذير مبين نقل على القاري في المرقاة عن الطيبي

وجها في معنى هذا الحديث ثم قال والحاصل انه يريد نفي علم الغيب عن نفسه وانه ليس مطلع عليه
وانه غير واقف ولا مطلع على المقدر له ولغيره والمكنون من امره وامر غيره الا انه متردد في امره غير
متيقن بنجاته لما صح من الاحاديث الدالة على خلاف ذلك انتهى قال بعض اهل العلم ان معاملة الله
بعباده في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة شيء لا يعلم به احد من الناس لا النبي ولا الولي لا بالنسبة الى نفسه
ولا بالنسبة الى غيره ولو سلم ان الله اخبر بعض المقبولين بشيء على طريقة الوحي والالهام واعلمه ان
عاقبة فلان بخير او بشر فهذا امر مجمل والعلم بالزيادة عليه ودرك تفصيله خارج عن دائرة قدرتهم
قال في فتح البيان في تفسير الآية المذكورة اي ما ادري ما يفعل بي فيما يستقبل من الزمان هل ابقى
في مكة او اخرج منها وهل اموت او اقتل كما فعل بالانبياء قبلي وما ادري ما يفعل بكم يعني هل تعجل
لكم العقوبة كالمكذبين قبلكم ام تمهلون وهذا انما هو في الدنيا واما في الآخرة فقد علم انه وامته في الجنة
وان الكافرين في النار وقيل ان المعنى ما ادري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة قيل فلما نزلت فرح
المشركون وقالوا كيف نتبع نبيا لا يدري ما يفعل به ولا بنا وانه لا فضل له علينا فنزل قوله تعالى ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر والاول اولى لما ثبت في صحيح البخاري وغيره من حديث ام العلاء قالت
لما مات عثمان بن مظعون قلت رحمك الله يا ابا السائب شهادتي عليك لقد اكرمك الله فقال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم وما يدريك ان الله اكرمه اما هو فقد جاءه اليقين من ربه واني لارجو له الخير
وما ادري وانا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم قالت ام العلاء فوالله لا ازكي بعده احدا انتهى وهذا يرشدك
الى ان القول بنسخ هذه الآية ضعيف جدا والمراد نفي علم الغيب عنه وبيان ان الله مستأثر به دون
خلقه وهذا حق لا يتطرق اليه النسخ والله اعلم وفي حديث عمر يرفعه في قصة جبريل عليه السلام
قال فاخبرني عن الساعة قال ما المسئول عنها باعلم من السائل فيه نفي علم الغيب عن الانبياء والملائكة
وفي رواية ابي هريرة في خمس لا يعلمهن الا الله ثم قرأ ان الله عنده علم الساعة الآية والحديث متفق
عليه وله دلالة على نفي علم الغيب عن الخلق وفي حديث ابن مسعود ان من العلم ان تقول لما لا تعلم الله
اعلم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وما انا من المتكلفين متفق عليه وعن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا
عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة

اعين متفق عليه هذا الحديث فيه دليل على نفي العلم بالغيب عن البشر والرسول ايضا بشر فلا علم لنا ايضا بهذا كسائر البشر واخباره صلى الله عليه وآله وسلم بما في الجنة من النعيم وانواعه وما في النار من النقم واقسامها فانما هو امر اخبره الله تعالى بها انذارا وتبشيرا للعباد فكان ذلك معجزة له صلى الله عليه وآله وسلم لا علما بالغيب واثبات العلم بما كان وما يكون لاحد من الكرام من مذهب الرافضة فانهم يثبتون هذا للائمة افتراء منهم عليهم ولو كانوا عالمين بذلك لاستكثروا من الخير ولما مسهم السوء الذي اصابهم من ايدي بني امية وبني العباس ولكن الامر الصواب انهم كانوا كسائر العباد في عدم العلم بالمغيبات وشانهم ارفع من ان يدعوا لهم هذا الامر ويتفوهوا به على خلاف ملة الاسلام الحقة. فقد دلت الادلة القرآنية والنصوص الحديثية على ان الله سبحانه مستأثر بعلم الغيب لا شريك له في ذلك احد من خلقه ومن ادعى هذا فكانه ادعى الالوهية ونعوذ بالله منها وصفة العلم له سبحانه امام ائمة الصفات والآيات في هذا الباب كثيرة طيبة جدا لا يحصيها المقام ولا تخفى على من له بالتلاوة ادنى المام

باب في رد الاشراك في التصرف

قال الله تعالى قل من بيده ملكوت كل شيء الملكوت الملك وزيادة التاء للمبالغة نحو جبروت ورحموت ورهبوت ورغبوت وقال مجاهد يعني خزائن كل شيء وهو يجير اي يغيث غيره اذا شاء ويمنعه ولا يجار عليه اي لا يمنع احد احدا من عذاب الله ولا يقدر على نصره واغاثته يقال اجرت فلانا اذا استغاث بك فحميته واجرت عليه اذا حميت عنه والمعنى يحمي ولا يحمى عليه ان كنتم تعلمون فاجيبوا سيقولون لله قل فانى تسحرون اي تصرفون عن الحق وتخدعون والمعنى كيف يخيل اليكم الحق باطلا والصحيح فاسدا والخادع لكم هو الشيطان او الهوى او كلاهما قال بعض العلماء يعني ان كل من سألته من الذي شانه ان يكون كل شيء في قدرته وقبضته يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يقدر احد على ان يقبض على يده ويمسكها او يلقي يده في حطه ولا يجير مذنبا ملتجئا اليه ولا تنفع حماية احد في مقابلته فيجيب كل مسئول عن هذا ان ذلك هو شان الله وحده لا شريك له واذا تقرر هذا اعرفت ان طلب الحاجة من غير الله خبط محض وخلل في العقل صرف وهوى متبع وهذه الآية دلت على ان كفار زمنه صلى الله عليه وآله وسلم كانوا قائلين بانه لا ند لله تعالى في هذا الامر والتصرف ولا يستطيع احد ان يقابله وانما كانوا

يرون الاصنام والاوثان وكلاءهم عند الله فيعبدونها فصاروا بذلك كفارا مشركين فمن اثبت
لمخلوق تصرفا في العالم وعبده وكيلا له عنده سبحانه فقد ثبت بهذا الشرك عليه وان لم يبق ويأبه
ولا يثبت له قدرة في مقابلته والوكيل هو من يقضي حاجة احد من تلقائه من دون ارادة الموكل له
فلا تمشي تلك الوكالة في حضرة الله ابدا ومن ثم اطلق سبحانه لفظ الوكيل على نفسه المقدسة في مواضع
من القرآن لان شأن الله تبارك وتقدس اجل وارفع من ان يجار عليه وقال تعالى قل اني لا املك
لكم ضرا ولا رشدا اي لا اقدر ان ادفع عنكم غيا ولا اسوق اليكم خيرا لان الضار والنافع هو الله سبحانه
وقيل الضر الكفر والرشد الهدى والاول اولى لوقوع النكرتين في سياق النفي فيعمان كل ضر ونفع
ورشد في الدنيا والدين قل اني لن يجيرني من الله احد اي لا يدفع عني احد عذابه ان انزله بي كقول
صالح عليه السلام فمن ينصرني من الله ان عصيته وهذا بيان لعجزه عن شؤون نفسه بعد بيان
عجزه عن شؤون غيره ولن اجد من دونه ملتحدا اي ملجأ ومعدلا وحرزا الجأ اليه واحترز به والملتحد
معناه في اللغة المال اي موضعا اميل اليه وهو الملجأ قال قتادة مولى وقال السدي حرزا وقال الكلبي
مدخلا في الارض مثل السرب وقيل مذهبا ومسلكا والمعنى متقارب قال بعض اهل العلم ان الله امر
رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقول للناس ويبلغهم اني لا املك لكم شيئا من نفع ونقصا ولا تغتروا بان
المنتسبين بي نصرتي امتي فتجاوزوا الحد على ان كفتكم ثقيلة ووكيلكم قوي بطل وشفيعكم محبوب الله
فنفعل ما نشاء يجيبنا هو من عذاب الله فان هذا الخيال مختل لاني اخاف على نفسي ولا اجد من دون الله
ملجأ الجأ اليه فكيف انجي غيري ومفهوم الآية الشريفة ان نسيان الناس بشؤم اعتبار آبائهم الكرام والشهداء
والمشايخ واعتمادا على حمايتهم عند الله وهم تاركون عظمة احكامه نابذون لاوامره ونواهيه ضلالة
محضة وغواية صرفة فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بابي هو وامي شيخ الشيوخ اجمعين
وكان يخاف الله ليلا ونهارا ولا يجد غير رحمته سبحانه منجأ فما ظنك بغيره والذي له ملتجأ من دونه عنه
مخالفة حكمه الحكيم وقضائه المبرم وقال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات
والارض شيئا يعني ان هؤلاء الكفار يعبدون معبودات لا تملك لهم رزقا اي شيئا كائنا منهما
هذا انكار منه سبحانه عليهم حيث اختاروا عبادة ما لا يسمع ولا يبصر ولا يستطيعون الفائدة في نفي
الاستطاعة عنهم ان من لا يملك شيئا قد يكون موصوفا باستطاعة التملك بطريق من الطرق فبين سبحانه

انه لا يملك اصلا و لا يستطيع ابدا قال بعض العلماء المعنى انهم يعظمون غير الله مثل تعظيم الله
مع ان ذلك الغير لا قدرة له في ترزيقهم و لا بد لهم عليه لا في السماء حتى يمطروا و لا في الارض حتى
ينبتوا و لا قدرة لهم على ذلك اي قدرة كانت و مفهوم الآية ان قول العامة ان الانبياء و الاولياء
اسم ان ۱۲
و الشهداء و الائمة لهم تصرف في العالم و قدرة عليه و لكنهم ساكتون لتقدير الله تعالى راضون
بقضائه و لا يقولون شيئا و لا يفعلون امرا ادبا منهم و لو شاؤا لغيروا الامور في آن و سكوتهم
انما هو تعظيما للشرع الشريف غلط فاضح و كذب واضح لانهم لا يستطيعون شيئا لا حالا و لا استقبالا
خبر ان ۱۲
و لا حول لهم على ذلك اصلا و هذه العقيدة فيهم شرك بالله سبحانه لانه ليس في الدار غيره ديار
و قال تعالى و لا تدع من دون الله اي على حال من الاحوال ما لا ينفعك و لا يضرك بشيء من النفع
و الضر ان دعوته و دعاء من كان هكذا لا يجلب نفعا و لا يقدر على ضر ضائع لا يفعله عاقل على
تقدير انه لا يوجد من يقدر على النفع و الضر غيره فكيف اذا كان موجودا فان العدول عن دعاء
القادر الى دعاء غير القادر اقبح و اقبح فان فعلت فانك اذا من الظالمين هذا جزاء الشرط اي فانك
في عدادهم و ان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو اي ان الله سبحانه هو الضار النافع فان انزل
بعبده ضرا لم يستطع احد ان يكشفه كائنا من كان بل هو المختص بكشفه كما اختص بانزاله و ان يردك
بخير اي خير كان لم يستطع احد ان يدفعه عنك و يحول بينك و بينه كائنا من كان قال النيسابوري
في تخصيص الارادة بجانب الخير و المس بجانب الشر دليل على ان الخير يصدر عنه سبحانه بالذات
و الشر بالعرض قلت و فيه نظر لان المس هو امر وراء الارادة فهو مستلزم لها فلا راد لفضله اي لا
دافع لرزقه و وضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق
لهم عليه و لم يستثن لان مراد الله تعالى لا يمكن رده و ارادة الله قديمة لا تتغير بخلاف مس الضر
فانه صفة فعل يصيب به اي بفضله او بكل واحد من الخير و الضر من يشاء من عباده و هو الغفور
الرحيم عن عامر بن قيس قال ثلث آيات في كتاب الله اكتفيت بهن عن جميع الخلائق اولهن ان يمسسك
الله الخ و الثانية ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها و ما يمسك فلا مرسل له و الثالثة
و ما من دابة في الارض الا على الله رزقها و يعلم مستقرها و مستودعها اخرجه البيهقي في الشعب
و اخرج ابو الشيخ عن الحسن نحوه و بالجملة فالآية الشريفة دليل على رد الاشراك في التصرف

قال بعض اهل العلم دعاء من لا يسمع ولا يبصر وهو عالم مع وجود القادر العزيز ظلم وعدول عن
الحق الى الباطل وفيه اعطاء مرتبة الكبير للعاجز الحقير الفقير وفيه خطاب لرسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ونهي له عن دعاء غيره وان دعاء من دون الله يجعل الداعي من الظالمين لانهم
وان النفع والضر ليس الا بيد الله تعالى وهو المختص بارادتهما لمن شاء قال تعالى قل ادعوا الذين
زعمتم من دون الله هذا خطاب وامر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بان يقول لكفار قريش او
للكفار على الاطلاق قال مقاتل يقول ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع ثم
اجاب عنهم فقال لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض اي ليس لهم قدرة على خير ولا شر ولا على جلب نفع ولا دفع
ضر في امر من الامور وذكر السموات والارض لقصد التعميم لكونهما ظرف الموجودات الخارجية وما لهم فيهما من شرك اي ليس للآلهة
الباطلة في السموات والارض مشاركة لا بالخلق ولا بالملك ولا بالتصرف وما له منهم من ظهير اي وما لله تعالى من تلك الآلهة معين
يعينه على شيء من امور السموات والارض ومن فيهما لا في الموجود بالايجاد ولا بالابقاء فهو الذي يعبد و
عبادة غيره تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تنفع
الشفاعة في حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له ان يشفع من الملائكة والنبيين ونحوهم من اهل العلم
والعمل ومعلوم ان هؤلاء لا يشفعون الا لمن يستحق الشفاعة لا للمشركين والكافرين ولا يستحقها الا من عرف الله
وحده لا شريك له وكان عاصيا لا مشركا ولا مبتدعا ملتحقا به البدعة الى حد الكفر وقيل المعنى لا تنفع
الشفاعة من الشفعاء المتأهلين لها في حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له اي لاجله وفي شأنه من
المستحقين للشفاعة لهم لا من عداهم من غير المستحقين لها وقيل المراد بقوله لا تنفع الشفاعة انها لا توجد
اصلا الا لمن اذن له وانما علق النفي بنفعها لا بوقوعها تصريحا بنفي ما هو غرضهم من وقوعها ومثل هذه
الآية قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقوله سبحانه ولا يشفعون الا لمن ارتضى وفي هذا
تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقد ثبت بهذا ان الشفاعة لا تكون الا باذن الله ولا تكون
الا لمن ارتضى ولا يعلم احد هل هو ممن ارتضى له ام لا اخبر الله سبحانه عن حال هؤلاء الشفعاء
والمشفوع لهم فقال حتى اذا فزع عن قلوبهم الفاعل هو الله سبحانه وقرئ مبنيا للفاعل وفاعله
ضمير يرجع اليه سبحانه وكلتا القراءتين بتشديد الزاي ومعناه السلب والتفزيع ازالة الفزع
وقرئ مخففا قال قطرب معنى فزع اخرج ما فيها من الفزع وهو الخوف وقال مجاهد كشف عن

قلوبهم الفزع يوم القيامة وقال ابن عباس فزع جلي والمعنى ان الشفاعة لا تكون من احد من
هؤلاء المعبدين من دون الله من الملائكة والانبياء والاصنام ثم من كان الا ان ياذن الله للملائكة
والانبياء ونحوهم في الشفاعة لمن يستحقها وهم على غاية الفزع من الله كما قال تعالى وهم من خشيته
مشفقون فاذا اذن لهم في الشفاعة فزعوا لما يقترن بتلك الحالة عن الامر الهائل والخوف الشديد
من ان يقع في تنفيذ ما اذن لهم فيه تقصير او يحدث شيء من اقدار الله فاذا سري عنهم قالوا
للملائكة فوقهم وهم الذين يوردون عليهم الوحي بالاذن ماذا قال ربكم اي ماذا امر الله به قالوا
اي يقولون لهم قال القول الحق وهو قبول شفاعتكم للمستحقين لها دون غيرهم وهو العلي الكبير
فله ان يحكم في عباده بما يشاء ويفعل ما يريد ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وان
يشفع الا لمن ارتضى وقيل هذا الفزع يكون للملائكة في كل امر يامر به الرب والمعنى لا تنفع الشفاعة
الا من الملائكة الذين هم فزعون اليوم مطيعون لله دون الجمادات والشياطين وقيل ان الذين
يقولون ماذا قال ربكم هم المشفوع لهم والذين اجابوهم هم الشفعاء من الملائكة والانبياء وقال الحسن
وابن زيد ومجاهد معنى الاية حتى اذا كشف الفزع عن قلوب المشركين في الاخرة قالت لهم
الملائكة ماذا قال ربكم في الدنيا قالوا الحق فاقروا حين لا ينفعهم الاقرار وقيل انما يفزعون حذرا
من قيام الساعة وقيل كشف الفزع عن قلوبهم عند نزول الموت اخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما اوحى الجبار الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم دعا الرسول من
الملائكة ليبعثه بالوحي فسمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحي فلما كشف عن قلوبهم سألوا
عما قال الله فقالوا الحق وقد علموا ان الله لا يقول الا حقا قال ابن عباس وصوت الوحي كصوت الحديد
على الصفا فلما سمعوا خروا سجدا فلما رفعوا رؤسهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير
واخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن ابي حاتم ايضا عنه قال ينزل الامر الى السماء الدنيا له
وقعة كوقعة السلسلة على الصخرة فيفزع له جميع اهل السموات فيقولون ماذا قال ربكم ثم
يرجعون الى انفسكم فيقولون الحق وهو العلي الكبير واخرج البخاري وابو داود والترمذي
وابن ماجة وغيرهم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان

ينفذهم ذلك فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير قال
الترمذي هذا حديث حسن صحيح وعن ابن مسعود اذا تكلم الله بالوحي سمع اهل السموات صلصلة
كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى ياتيهم جبريل فاذا جاءهم فزع عن قلوبهم
فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك فيقول الحق اخرجه ابو داود والصلصلة صوت الاجرام الصلبة
بعضها على بعض وفي معناه احاديث هذا تفسير الاية على وفق ما ذكره المفسرون وفيه بيان اشياء
منها نفي مشاركة مخلوق بالخالق في شيء ومنها عدم نفع الشفاعة عنده تعالى الا لمن اذن له ومنها فزع
الخلق من الملائكة والانبياء وغيرهم عند نزول الامر منه سبحانه ومنها كيفية نزول الوحي في الاحاديث
المذكورة في تفسير هذه الاية ومنها ان للوحي صوتا يسمع ومنها علوه سبحانه على خلقه وكونه فوقه
كما قال في اية اخرى الرحمن على العرش استوى الى غير ذلك والمراد بايرادها في هذا الموضع هو رد
الاشراك في التصرف فقط قال بعض اهل العلم في تفسير هذه الاية يعني ان من يسأل مراده عن احد
او يدعوه عند مشكل فلابد ان يكون ذلك المسئول او المدعو مالكا بنفسه او شريكا للمالك في ملكه او
تكون شوكته على المالك كما يقبل السلطان قول الامراء والوزراء لشوكتهم وشانهم الرفيع ومكانهم
المنيع لانهم عضد له وركن لسلطنته وفي سخطهم تفسد السلطنة عليه او يشفع احد عنده مالك الامر
فيقبل شفاعته طوعا او كرها كقبول شفاعة ازواج الملوك وابنائهم فان الملوك لا يردون شفاعتهم لحبه لهم
فهو وان لم يرض قلبه بما يقبل منهم الشفاعة على رضى او سخط فالذين يدعونهم هؤلاء ويسألونهم
المرادات ليسوا مالك لذرة في السموات ولا في الارض ولا هم شريك فيهما ولا ركن في سلطنته تعالى
ولا عضد له سبحانه حتى يقبل منه ما يقول رعاية لشوكته ومكانته بل لا يقدرون على الشفاعة من
دون اذن الله له بها حتى يقبلها منه طوعا او كرها بل المسئولون والمدعون المذكورون مع مالهم في
حضرته تعالى شانه انهم اذا قضى الله امرا وحكم حكما يفزعون ويدهشون ويرعبون ومن غاية الرعب
ونهاية الدهشة لا يستطيعون ان يسألوه عنه مرة اخرى ماذا قال وحكم وانما يسأل بعضهم عن بعض
عن شان ذلك القضاء والامر فاذا تحقق انه سبحانه قال كذا وامر كذا قالوا امنا وصدقنا فمن له
ان يرد عليه ويتأخر عن امره ولا قدرة لاحد ان يصير وكيلا وحاميا لاحد قال رضي الله عنه
وهذا كلام نافع استعماله وكن على ذكر منه وهو ان اكثر الناس عيال على شفاعة الانبياء والاولياء

ومعولون عليها وهم ناسون الله غلطا منهم في المعنى المراد فعليك ان تفقه معنى الشفاعة فاعلم ان
الشفاعة عبارة عن السعي في حق احد بالخير وهو في الدنيا على انحاء منها ثبوت السرقة مثلا على ذمة
احد عند السلطان فيشفع له امير او وزير او كبير فيعفو عنه ولا يحده ويبقى سليما من العذاب ففي هذه
الصورة فيها ان السلطان يريد بقلبه الاخذ عليه ومن سرق مستحق بالجزاء الذي هو معين في قانونه
وديوانه ولكن قبل السلطان شفاعة ذلك الامير نظرا الى شوكته وشانه وعفا عن تقصير السارق لكونه
الشافع فيه ركنا من اركان سلطنته وناصحا لمملكته فيظن السلطان ان كظم الغيظ في موضع واحد والعفو
عن سارق خير من ان يسخط على امير كبير يخرب المملكة وتفسد السلطنة بسخطه ويذهب رونق
الدولة باغتضابه فمثل هذه الشفاعة يقال لها شفاعة الوجاهة يعني قبلت هذه الشفاعة بناء على
وجاهة ذلك الامير او الكبير ونحوهما ولولا هذه الوجاهة لم تقبل فمثلها من الشفاعة لا تمشي في
حضرة الواحد القهار ولا تقبل ولا يقدر احد ان يشفع مثل هذه الشفاعة عنده سبحانه ابد الآباد
ومن اعتقد ان احدا من الانبياء والاولياء والائمة والشهداء والملائكة والكبراء والكرماء يشفع عنه
الله مثل هذه الشفاعة فهو مشرك على الحقيقة وجاهل عظيم لم يفهم معنى الالهية وما قدر مالك الملك
حق قدره بل الله هو مالك الملوك وشانه الرفيع ان يشاء خلق الالاف والوفا من الاولياء والجن والملائكة
ومثل جبريل عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم بلفظة كن في آن واحد ويقلب العالم كله من
العرش الى الفرش في ساعة واحدة ويقيم عالما آخر مقامه كيف واذا اراد شيئا يقول له كن فيكون لا يحتاج
في صفة تكوينه الى اسباب وآلات ومواد ولو فرض ان الاولين والآخرين من الجن والانس اجمعين يصيرون
كجبريل ومحمد عليهما السلام والصلوة لا يزيد رونق في سلطنة هذا المالك مالك الملك وملك الملوك
وان صاروا كلهم اجمعون كالشيطان والدجال لا ينقص في ملكه ومملكته شيء ولا يذهب رونقه اصلا
فانه تعالى شانه اكبر الكبراء واعظم العظماء وسلطان السلاطين ومالك المالكين واحكم الحاكمين
ليس لاحد ان يفسد شيئا منه او يصلح امر اله الصورة الثانية ان يشفع في ذلك السارق محبوب السلطان
ومعشوق له ويمنعه عن عقابه فيقبل السلطان شفاعته حبا للشفيع وكرامة له ويعفو عن ذنب السرقة
بهذا الجرم وهذه الشفاعة يقال لها شفاعة المحبة يعني ان السلطان قبل هذه الشفاعة بناء على حب
الحبيب وظن ان كظم الغيظ مرة واحدة والعفو عن السارق حفظ الحب خير من هم وغم يلحقه من هجر المحبوب

من عنده تمثل هذه الشفاعة ايضا لا تعلق بحضرته المقدسة ومن زعم ان مثلها يحصل في جناب
الله وتشفع احد على ملجاه فيه نوع شرك بالله وجاهل به سبحانه كما تقدم سواء نسبه بالله تعالى
وان اكرم احدا من عباده واتخذه حبيبا له او خليلا او كليما او روحا او وجيها او خاطبه
بالرسول الكريم او الروح الامين او روح القدس او المكين فالمالك مالك والمملوك مملوك الشان الالهية
ورب الارباب سبحانه الربوبيات ولن يدرك والعبد عبد وان ارتقى لا يستطيع احد ان يضع قدمه خارجا عن دائرة العبودية
ويعلو عن حد المملوكية والرقية لكمال رقيته في كل امر العجز والسلطة فكذلك تشفع كبيره من جنسه في كل حال
وبيان الصورة الثالثة ان السرقة ثبتت على السارق لكن ليست السرقة شيمته العرفية وانه لم يجعل السرقة حرفة لنفسه ولكن
وقع منه الارتكاب بشؤم النفس الامارة بالسوء فهو عليه نادم ويخاف منه ليلا ونهارا ويقبل قانون السلطان في
حقه بالراس والعين ويرى ذاته ذات خطأ ونفسه مستحقة للعقاب والجزاء ولا يلتجئ ويلوذ احدا
من الامراء والوزراء فرارا من جناب السلطان ولا يعول على حماية احد منهم في مقابلته بل يرنو
وجه الملك ليله ونهاره ماذا الحاكم في حقه وماذا يقضي عليه فيترحم عليه السلطان ويلين له قلبا
ولكن لا يتجاوز عنه لقانون سلطنته بلا سبب صحيح ووجه سائغ لئلا يخف قدر هذا القانون في اعين
الناس ويتفطن به منه ذلك امير او وزير مرضاته في العفو عن ذلك السارق فيتشفع له وليعفو منه
والسلطان يعفو عنه زيادة في عزة ذلك الامير في الظاهر باسم الشفاعة وذلك الامير لم يشفع
فيه لكونه من ذوي قرباه او صديقا له او حماية عنده تعالى بل انما شفع بعد ما وجد مرضاة الملك
فيه كيف وهو امير السلطان ليس حاكم للسارق فلو شفع فيه حماية لصار سارقا بنفسه لا شفيعا
في عزة وهذه الشفاعة يقال لها الشفاعة بالاذن يعني تكون هذه الشفاعة باذن من مالك الحضرة
الله سبحانه تكون منها مثل هذه الشفاعة وكل نبي وولي وصالح جاء ذكر شفاعته في القرآن والحديث
فالمراد بها هي هذه فالامر على كل عبد ان يدعو الله وحده في كل آن ومنه يخاف واليه يلتجئ
في حضرته بسوء الاثام ويعترف بالذنوب ويؤمن بانه تعالى هو المالك له والحامي اياه وكيلا ويشيع
حاله شافعه اليه لا يجد ملجأ ولا ملاذا ومنجا الا هو سبحانه ولا يعول على حماية احد كائنا من كان
لله دنية وراء عباده كيف وان الله سبحانه هو الغفور الرحيم يحل المشكلات ويسهل المعضلات
وييسر المعسورات بفضله وكرمه ومنه ولطفه واحسانه وهو غافر الذنوب بالخاصة رحمته على المذنبين

ويجعل من شاء شفيعا لاي مشفوع باذنه ايضا لغفرانه واعلاما برضوانه وبالجملة كما ينبغي ان يفوض
كل حاجته اليه فكذلك يفوض هذه الحاجة اليه ايضا حتى يجعل من شاء شافعا ومشفعا له لا
ان يعتمد على حماية احد غيره ويدعوه لعونه ونصره ويبتغي الله القادر العزيز ويستخف باحكام الملة
وشرعه الشريف ويقدم سلوك سبل حماته ويقلدهم فيما يأتي به ۔ ينحرف فان هذا ابتهج او كل الانبياء
والاولياء بريئون منه ساخطون عليه لا يكونون له شفعاء ابدا ولا يسعون له اصلا بل اولئك
يغتاظون عليه ويكونون له اعداء كيف وكان همهم في الدنيا والدين هي تقديم مرضاة الله على
مرضاة جميع الخلائق من المريدين والتلامذة والاجيرين والمماليك والاحباب والاصحاب وكانوا
اذا رأوا من احد خلاف مرضاة الله شيئا صاروا له اعداء في الدنيا فمن اين انهم يكونون شفعاء
لهؤلاء الدعاة لهم ويجادلون فيهم عند الله على خلاف مراد الله سبحانه بل ان فعلوا مثل ذلك يسخط
عليهم ربهم ولم تبق كراماتهم وشرافتهم التي حصلت لهم والحق الحقيقي بالقبول ان الحب لا حد لله والبغض
لله شان اولياء الله الكرام فكل من استقر ارادة الله في حقه ان يدخله في النار فهم حاضرون بلا دفعه
فيها مرارا ومن تعلقت مشيئة الله تعالى بنجاته من النار وعرفوا مرضاته في شفاعته فاستعدوا
للشفاعة تحصيلا لرضاء الواحد الجبار قال الرازي في تفسيره الكبير لا يملك احد في يوم القيامة شيئا
فلا يقدر احد على الشفاعة الا باذن الله تعالى فيكون الشفيع في الحقيقة هو الذي ياذن في تلك
الشفاعة فكان الاشتغال بعبادته اولى من الاشتغال بعبادة غيره وقال القسطلاني في الفصل
الثاني من المقصد الخامس من المواهب اللدنية اما ما يغتر به الجهال من انه لا يرضى ان يدخل احد
من امته النار فهو من غرور الشيطان لهم ولعبه بهم فانه صلى الله عليه وآله وسلم يرضى بما يرضى به
تبارك وتعالى وهو سبحانه يدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة ثم يحد لرسول الله صلعم حدا
يشفع فيهم الى ان قال الله تعالى ياذن له في الشفاعة فيشفع فيمن شاء ان يشفع فيه ولا يشفع في غير من
اذن له ورضيه قال في لباب التاويل تحت قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه اي
بامره وهذا استفهام انكار والمعنى لا يشفع عنده احد الا بامره وارادته وذلك ان المشركين
زعموا ان الاصنام يشفعون لهم فاخبر انه لا شفاعة لاحد عنده الا ما استثناه بقوله الا باذنه
يريد بذلك شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشفاعة الانبياء والملائكة وشفاعة المؤمنين

نعم لبعض امتي قال عياض جاء في حديث انس وحديث ابي هريرة ابتداء النبي صلعم بعد سجوده وحمده والاذن له بالشفاعة
بقوله عليه السلام امتي امتي وقد وقع في حديث حذيفة وابي هريرة ما لفظه فياتون محمدا فيقوم صلعم
ويؤذن له في الشفاعة وقال النووي في قوله صلى الله عليه وآله وسلم فآتي فاستأذن على ربي
فيؤذن لي قال عياض معناه فيؤذن لي في الشفاعة الموعود بها وقال الخازن تحت قوله سبحانه
قل لله الشفاعة جميعا اي لا يشفع احد الا باذنه فكان الاشتغال بعبادته اولى لانه هو الشفيع في
الحقيقة وهو يأذن في الشفاعة لمن يشاء من عباده انتهى والحاصل ان الامة اجمعت على جواز الشفاعة
ووقوعها من الانبياء والاولياء والعلماء والملائكة وغيرهم يوم القيامة بعد الاذن من الله لمن شاء
الله العفو عن ذنبه والمغفرة له لا لكل مذنب ولا من دون اذن وهذه المسألة من الوضوح بمكان لا يخفى
الا على من اعمى الله بصيرته وابتلاه بالشرك وهوى به الهوى في مكان سحيق وقال تعالى ايشركون ما لا يخلق
شيئا الاستفهام للتقريع والتوبيخ اي كيف يجعلون لله شريكا لا يخلق شيئا ولا يقدر على نفع لهم ولا دفع
عنهم وهم يخلقون اي وهؤلاء الذين جعلوهم شركاء من الاصنام والشياطين مخلوقون وجمعهم
جمع العقلاء لاعتقاد من جعلهم شركاء انهم كذلك ولا يستطيعون لهم اي لمن جعلهم شركاء نصرا
اي ان طلبه منهم ولا انفسهم ينصرون ان حصل عليهم شيء من جهة غيرهم ومن عجز عن نصر نفسه
فهو عن نصر غيره اعجز وان تدعوهم الى الهدى هذا خطاب للمشركين بطريق الالتفات المنبئ عن مزيد
الاعتناء بامر التوبيخ والتبكيت وبيان لعجزهم عما هو ادنى من النصر المنفي عنهم وايسر وهو مجرد الدلالة
على المطلوب من غير تحصيله للطالب اي وان تدعوا هؤلاء الشركاء الى الهدى والرشاد بان تطلبوا منهم
ان يهدوكم ويرشدوكم لا يتبعوكم ولا يجيبوكم الى ذلك وهو دون ما تطلبونه منهم من جلب النفع و
دفع الضر والنصر على الاعداء سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون اي دعاؤكم لهم عند الشدائد
وعدمه سواء لا فرق بينهما لانهم لا ينفعون ولا يضرون ولا يسمعون ولا يجيبون ان الذين تدعون
من دون الله عباد امثالكم مع انكم اكمل منهم لانكم احياء تنطقون وتمشون وتسمعون وتبصرون
وهذه الاصنام ليست كذلك ولكنها امثالكم في كونها مملوكة لله مع قوم كانوا يعبدونها والاول اولى
وانما وصفها بانها عباد مع انها جماد تنزيلا لها منزلة العقلاء على وفق معتقدهم ثم قال فادعوهم
فليستجيبوا لكم اي ادعوا هؤلاء الشركاء ايها المشركون فان كانوا كما تزعمون فليستجيبوا لكم اذا دعوتموهم

في معرض الاستهزاء بالمشركين ان كنتم صادقين فيما تدعونه لهم من قدرتهم على النفع والضر
وانها آلهة ثم بين غاية عجزهم وفضل عابديهم عليهم فقال ألهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد
يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها الاستفهام للتقريع والتوبيخ اي هؤلاء
الذين جعلتموهم شركاء ليس لهم شيء من الآلات التي هي ثابتة لكم فضلا عن ان يكونوا قادرين على
ما تطلبونه منهم فانهم كما ترون هذه الاصنام التي تعكفون على عبادتها ليست لهم ارجل
يمشون بها في نفع انفسهم فضلا عن ان يمشوا في نفعكم وليس لهم ايد يبطشون بها كما يبطش غيرهم
من الاحياء وليس لهم اعين يبصرون بها كما تبصرون وليس لهم آذان يسمعون بها كما تسمعون فكيف
تدعون من هم على هذه الصفة من سلب الادوات وبهذه المنزلة من العجز قل ادعوا شركاءكم
الذين تزعمون ان لهم قدرة على النفع والضر واستعينوا بهم في عداوتي حتى يتبين عجزها ثم كيدون
انتم وهم جميعا بما شئتم من وجوه الكيد فلا تنظرون اي فلا تمهلوني ولا تؤخروا انزال الضرر
بي من جهتها الكيد المكر وليس بعد هذا التحدي لهم والتعجيز لاصنامهم شيء وهذه الآية وان
نزلت في من يشرك بالله بعبادة الاصنام ولكنها تشمل بعمومها كل من عبد من دون الله لان العبرة
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وكل من هو دون الله عاجز عن ايصال النفع ودفع الضر مطلقا
وفيه نفي تصرف غير الله في العالم ويؤيده قوله تعالى في آخر هذه الآية والذين تدعون من دونه
لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون كرر سبحانه هذا لمزيد التأكيد والتقرير ولما في تكرار
التوبيخ والتقريع من الاهانة للمشركين والتنقص بهم واظهار سخف عقولهم وركاكة احلامهم
وقيل الاولى على جهة التقريع والتوبيخ والاخرى على جهة الفرق بين من تجوز له العبادة وبين هذه
الاصنام وان تدعوهم اي المشركين قاله الحسن وقيل اي الاصنام الى الهدى لا يسمعوا دعاءكم لان
آذانهم قد صمت عن سماع الحق فضلا عن المساعدة والامداد وهذا ابلغ من نفي الاتباع وتراهم
الرؤية بصرية ينظرون اليك اي يقابلونك كالناظر وهم اي حال كونهم لا يبصرون اي الاصنام
يشبهون الناظرين ولا اعين لهم يبصرون بها وقيل المراد بذلك المشركون اخبر الله عنهم بانهم
لا يبصرون حين لم ينتفعوا بابصارهم وان ابصروا بها غير ما فيه نفعهم وقال تعالى ويعبدون من
دون الله اي متجاوزين الله سبحانه الى عبادة غيره لا بمعنى ترك عبادته بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء

بها وضم عبادة الغير اليها للتقرب والشفاعة ما لا يضرهم ولا ينفعهم اي ما ليس من شانه الضر ولا النفع ومن حق المعبود ان يكون مثيبا لمن اطاعه معاقبا لمن عصاه ونفى الضر والنفع هنا عن الاصنام ونحوها باعتبار الذات واثباتهما لها في الحج في قوله يدعو لمن ضره اقرب من نفعه باعتبار السبب فلا تنافي بينهما ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله اي يزعمون انهم يشفعون لهم في الاخرة فلا يعذبهم الله بذنوبهم قاله ابن جريج وهذه غاية الجهالة منهم حيث ينتظرون الشفاعة في المآل ممن لا يوجد منه نفع ولا ضر في الحال وقيل ارادوا بهذه الشفاعة اصلاح احوال دنياهم قاله الحسن اي لانكارهم البعث وما يترتب عليه ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه واله وسلم بان يجيب عنهم فقال قل لهم تبكيتا اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض اي اتخبرون الله ان له شركاء في ملكه يعبدون فيه يعبدون كما يعبد او تخبرونه ان لكم شفعاء بغير اذنه والله سبحانه لا يعلم لنفسه شريكا ولا شفيعا بغير اذنه من جميع مخلوقاته الذين هم في سمواته وفي ارضه وهذا الكلام حاصله عدم وجود من هو كذلك اصلا وفي هذا من التهكم بالمشركين والكفار ما لا يخفى سبحانه وتعالى عما يشركون نزه الله سبحانه نفسه عن اشراكهم والاية دليل على نفي قدرة الضر والنفع لشركاء الله في زعم المشركين سواء كانت اصناما او غيرها لعموم اللفظ وتحقق مصداق ذلك في غيرها من معتقدي الاموات وعابدي القبور وقال تعالى قل من رب السموات والارض اي خالقهما ومتولي امورهما امر الله سبحانه رسوله ان يسأل الكفار عن ذلك سؤال تقرير لما كانوا يقرون بذلك ويعترفون به كما حكاه الله سبحانه في قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم وقوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله امر رسوله صلى الله عليه واله وسلم ان يجيب فقال قل الله فكأنه حكى جوابهم وما يعتقدونه لانهم ربما تلعثموا في الجواب حذرا مما يلزمهم ثم امره بان يلزمهم الحجة ويبكتهم فقال قل افاتخذتم والاستفهام للانكار اي اذا كان رب السموات والارض هو الله كما تقرون بذلك وتعترفون به كما حكاه سبحانه عنكم بقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله فما لكم اتخذتم لانفسكم بعد اقراركم هذا من دونه اولياء عاجزين لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا يضرون به غيرهم او يدفعونه عن انفسهم فكيف ترجون منهم النفع والضر وهم لا يملكونهما لانفسهم ثم ضرب الله لهم مثلا وامر رسوله صلى الله عليه واله وسلم ان يقول لهم

فقال قل هل يستوي الاعمى في دينه وهو المشرك والكافر والبصير فيه وهو الموحد المؤمن فالاول
جاهل لما يجب عليه وما يلزمه والثاني عالم بذلك ام هل تستوي الظلمات اي الشرك والكفر
والنور اي التوحيد والايمان اي كيف يكونان مستويين وبينهما من التفاوت ما بين الاعمى والبصير
وما بين الظلمات والنور وجمع الظلمات ووحد النور لان طريق الحق واحد وطرائق الباطل كثيرة
غير محصورة ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه اي مثل خلق الله يعني سموات وارضا وشمسا وقمرا
وجبالا وبحارا وجنا وانسا فتشابه الخلق عليهم وهذا كله في حيز النفي كما علمت اي ليس الامر كذلك
حتى يشتبه الامر عليهم بل اذا فكروا بعقولهم وجدوا الله هو المتفرد بالخلق وسائر الشركاء لا يخلقون
شيئا والمعنى انهم لم يجعلوا لله شركاء متصفين بانهم خلقوا كخلقه فتشابه بهذا السبب الخلق عليهم
حتى يستحقوا بذلك العبادة منهم بل انما جعلوا له شركاء الاصنام والاوثان والعباد الصلحاء ونحوها
بمحض سفه وجهل وهي بمعزل ان تكون كذلك لانه لم يصدر عنها فعل ولا خلق ولا اثر البتة ثم
امره سبحانه بان يوضح لهم الحق ويرشدهم الى الصواب فقال قل الله خالق كل شيء كائنا ما كان ليس
لغيره في ذلك مشاركة بوجه من الوجوه فلا شريك له في العبادة وهو الواحد اي المتفرد بالربوبية
القهار لما عداه فكل ما عداه مربوب مقهور مغلوب لا يقدر على شيء من التصرف في امور العالم
اصلا وقال تعالى والذين يدعون اي الالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله سبحانه صفتهم
هذه الصفات الثلاثة الآتية المنافية للالوهية وهي انهم لا يخلقون شيئا من المخلوقات اصلا
لا كبيرا ولا صغيرا ولا جليلا ولا حقيرا وهم يخلقون اي فكيف يتمكن المخلوق من ان يخلق غيره وفي
هذه الآية زيادة بيان لانه اثبت لهم صفة النقصان بعد ان سلب عنهم صفة الكمال بخلاف
قوله سبحانه افمن يخلق كمن لا يخلق فانه اقتصر على مجرد سلب صفة الكمال ثم ذكر صفة اخرى من
صفاتهم فقال اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون قيل المعنى لا تشعر هذه الجمادات من الاصنام وغيرها ايان يبعث
عبدتهم من المشركين الكفار ويكون هذا على طريقة التهكم بهم لان شعور الجماد مستحيل بما هو من الامور الظاهرة فضلا عن الامور
التي لا يعلمها الا الله وقيل معناه ما تشعر هذه الاصنام ايان تبعث ومتى يبعثها الله وبه بدأ القاضي تبعا للكشاف ويؤيد ذلك
ما روي ان الله يبعث الاصنام ويخلق لها ارواحا معها شياطينها فيؤمر بكلها الى النار ويدل على هذا
قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقيل الضمير للكفار وعلى القول بان الضمير

او لعلها الاصنام يكون المصير سحقا مع كونها لا تعقل فاهل العلم جروا على اعتقاد من يعتقد فيها انها تعقل والاصح ان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالآية تشمل كل عابد غير الله من كوكب وصنما او نبيا او وليا او ملكا او وثنا او نبيا او شيخا او كبيرا من الصلحاء او الطلحاء فان النذر لغيره تعالى والذبح له وتعظيمه كتعظيم الله ودعاءه عند الشدائد وطلب الفضل منه للحوائج والاستغاثة به والسجود له والطواف حول قبره والتذلل له واعتقاد التصرف له في العالم كل ذلك من جنس اتخاذ غير الله الذي لا يقدر على خلق شيء وهو مخلوق لله تعالى وهذا هو الشرك في الالوهية وفي التصرف وقال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه واذا لم يقدر احد ان يمنع من ذلك فلا اله الا الله ولا رب ولا معبود غيره ولا يستحق العبادة احد سواه ولو كان المسيح الها لكان له من الامر شيء ولقدر ان يدفع عن نفسه اقل حال ولم يقدر على ان يدفع امر الموت عند نزوله بها وتخصيصها بالذكر مع دخولها في عموم ومن في الارض جميعا لكون الدفع منه عنها اولى واحق من غيرها فهو اذا لم يقدر على الدفع عنها اعجز عن ان يدفع عن غيرها وذكر من في الارض للدلالة على شمول قدرته وانه اذا اراد شيئا كان لا معارض له في امره وقضائه ولا مشارك له في تصرفه في خلقه فمن اعتقد التصرف لاحد من دونه فهو مشرك به بلا شك ولا ريب ومن هو المتصرف غيره اذ لم يكن للانبياء تصرف ولا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا وقال تعالى قل اتعبدون من دون الله متجاوزين اياه ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا اي من عند نفسه وما جرى على يده من النفع او دفع من الضر فهو باقدار الله وتمكينه منه واما هو فهو يعجز عن ان يملك لنفسه شيئا من ذلك فضلا عن ان يملكه لغيره ومن كان لا يسمع ولا يبصر فكيف تتخذونه الها تعبدونه واي سبب يقتضي ذلك والمراد هنا المسيح عليه السلام وآثر ما على من لتحقيق ما هو المراد من كونه بمعزل عن الالوهية رأسا ببيان انتظامه عليه السلام في سلك الاشياء التي لا قدرة لها على شيء اصلا وقدم سبحانه الضر على النفع لان دفع المفاسد اهم من جلب المنافع وهذا دليل قاطع على ان امره مناف للربوبية والالهية حيث لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب والاله ان يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته وهذا في حق عيسى النبي فما ظنك بولي من الاولياء او صالح من الصلحاء حيا كان او ميتا فانه ادنى من ذلك والله هو السميع العليم

ومن كان كذلك فهو القادر على الضر والنفع لاحاطته بكل مسموع ومعلوم ومن جملة ذلك مضاركم
ومنافعكم وقيل ان الله هو المستحق للعبادة لانه يسمع كل شيء ويعلمه واليه ينحو كلام الزمخشري
وبالجملة الآية الشريفة نص في نفي الملك والتصرف عن غير الله وانه لا يملك احد سواه نفعا ولا
ضرا سواء كان ذلك الاحد من الرسل والاولياء والملائكة والصلحاء والشهداء ام من الجن
والشياطين والخبث والخبائث واذا لم يقدر احد من الانبياء كعيسى المسيح عليه السلام وغيره
على ذلك وهم من افضل خلق الله تعالى واحبهم اليه واكرمهم عليه فما ظنك بغيرهم من اعداء الله
واشرار الخلق فانهم اذل واحقر من ان يملكوا شيئا او يتصرفوا في خلق الله ذرة وقال تعالى الا له الخلق
والامر الخلق المخلوق والامر كلامه وهو كن او المراد بالامر ما يأمر به على وجه التفصيل والتصرف
في مخلوقاته قال ابن عيينة الخلق ما دون العرش والامر فوق ذلك وفي الآية دليل على انه لا خالق
ولا متصرف الا الله وفيها رد على من يقول ان للشمس والقمر والكواكب تاثيرات في هذا العالم
فاخبر انه هو الخالق المدبر لهذا العالم لا هو وله الامر المطلق وليس لاحد غيره امر فهو الآمر والناهي
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد من خلقه عليه تبارك الله رب العالمين اي كثرت بركته
وعمت ربوبيته للعوالم وقال تعالى وان يمسسك الله بضر اي ينزل بك ضرا من فقر او مرض او
شدة وبلية فلا كاشف له الا هو اي فلا قادر على كشفه ولا متصرف يصرفه عنك سواه وان يمسسك
بخير من رخاء او عافية ونعمة والخير اسم جامع لكل ما ينال الانسان من لذة وفرح وسرور ونحو ذلك
فهو على كل شيء قدير ومن جملة ذلك المس بالخير والشر وهذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم
فهو عام لكل واحد والآية الشريفة نص لامع ودليل ساطع على حصر ذلك في ذات الله واذا اثبت
حصر النفع والضر فيه وافادته الكريمة فمن ذلك الذي يقدر على ايصال النفع اليهم ودفع الضر
عنهم وفي الحديث الشريف عن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما فقال
لي يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله تجده تجاهك الحديث وسيأتي وهو القاهر فوق عباده
وهو الحكيم الخبير اي القاهر المتعبد خلقه العالي عليهم ذو الحكمة في امره وصاحب الخبرة باحوال
عباده ومفهومه انه لا قاهر غيره وكلهم مقهور دون تحت حكمه وقضائه فمن ترك عبادة القاهر
رأسا او اشرك فيها غيره ممن هو مقهور مجبور عاجز ذليل حقير فهو عن العقل بمراحل وعن الفقه

يماثل وهو مشرك بالله تعالى ما ليس من شأنه ان يشاركه في شيء وقال تعالى فكذلك القى السامري
فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار اي صوت يسمع اي ضخم كالخوار الذي من العجول والخوار صوت البقر
قيل خواره كان بالريح لانه كان عمل فيه خروقا فاذا دخلت الريح في جوفه خار ولم تكن فيه حياة
قلت وقد كثر مثله في هذا الزمان من اشياء كثيرة فيها اصوات تحصل بالريح وبالنفخ بالافواه
اوجدها النصارى وجاؤا بها للتجارة الى بلاد الهند وغيرها وهذه عجلتهم النارية الدخانية
قد تصوت عن المشي وقد عبدها بعض الهنود في ابتداء ظهورها اذ رأوها جسدا عظيما له خوار
وسيرها فوق من مسيرة شهر في يوم وليلة مثلا وما احمق هؤلاء المشركين والكفار في امر ديانتهم اشد
سفاهة فيه تراهم من اعقل الناس في امر المعاش وابعدهم عن الشعور والفهم في امر الدين عبدوا
كل شيء من الاشياء الظاهرة في هذا العالم الفاني ولم يتركوا منها مثقال ذرة ولم يعبدوا الله الذي
خلقهم وخلقها سبحانه وبحمده وقال تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف اي شك يعني متزلزلا
لانه على غير يقين من وعده ووعيده بخلاف المؤمن الموحد فانه يعبده على يقين وبصيرة
فلم يكن على حرف وقيل الحرف الشرط والشرط هو له فان اصابه خير دنيوي من رخاء وصحة وعافية
وسلامة وخصب وكثرة مال اطمأن به اي ثبت على دينه واستمر على عبادته او اطمأن قلبه
بذلك الخير الذي اصابه وسكن اليه وان اصابته فتنة اي شيء يفتتن به من مكروه يصيبه
في اهله وماله او نفسه ومعيشته كالجدب والمرض وسائر المحن انقلب على وجهه اي ارتد
ورجع الى الوجه الذي كان عليه من الكفر والشرك خسر الدنيا والاخرة اي ذهبا منه وفقدهما
فلا حظ له في الدنيا من الغنيمة والثناء الحسن وصون المال والدم ولا في الاخرة من الاجر وما
اعده الله للصالحين ذلك هو الخسران المبين اي الواضح الظاهر الذي لا خسران مثله فانه اذا لم
ينضم اليه الاخرى او بالعكس لم يتمحض خسرانا فلم يظهر كونه كذلك ظهورا تاما فاقصر الخسران
المبين فيه على ما دل عليه الاتيان بضمير الفصل قاله الكرخي وفي سبب ورود هذه الاية روايات
ذكرها في فتح البيان وههنا فائدة نفيسة لا يجوز ان تهمل وهي ان نوع البشر على اربع طبقات الاول
صالح الدارين وفائز الكونين وله يدل قوله تعالى في ابراهيم عليه السلام وآتيناه في الدنيا حسنة
وانه في الاخرة لمن الصالحين وهذا افضل المراتب واكملها ولا يتصور درجة فوقها كان الخير اليه

ورب سبحانه بعظيم كرمه وتمام رحمته امته صلى الله عليه وآله وسلم واخبر عن اهله فقال ومنهم
من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار اللهم اجعلنا من هؤلاء
الثاني خاسر الدارين ومردود الشأنين وهو الذي ذكره سبحانه في هذه الآية ونعوذ بالله من
ذلك الثالث من سعد في الاخرة وخسر في الدنيا اي باعدام اسبابها وآلاتها الفانية وايثار
المحن والمشاق في سبيل الله تعالى على اللذات الحسية المتلاشية عن قريب وهذه المرتبة ليست
بدون من الرتبة الاولى واليه الاشارة في قوله تعالى انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ومن هؤلاء
من ترك الدنيا طلبا للاخرة وقدم العلم على الجهل والعمل على العجز والفقر على الغنى والترح على
الفرح والاخلاص على الرياء والتسليم والرضاء بقضاء الله ونحو ذلك الرابع فائت الدنيا وخاسر
العاقبة ونعوذ بالله منه وهم الاكثرون الخارجون عن الحصر والعد واليه الاشارة في قوله
سبحانه فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق يدعو اي يعبد هذا الذي
انقلب على وجهه ورجع الى الكفر من دون الله ما لا يضره ان ترك عبادته وعصاه وما لا ينفعه
ان عبده واطاعه لكون ذلك المعبود جمادا لا يقدر على ضر ولا نفع وفي حكمه كل من عبد من
دون الله جريا على القاعدة المقررة في اصول علم الفقه من ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
ذلك اي الدعاء المفهوم من يدعو هو الضلال البعيد عن الحق والرشد يدعو اي يقول هذا
المشرك الكافر يوم القيامة لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير والمولى الناصر
والعشير الصاحب وبالجملة الآية الشريفة دليل على نفي قدرة النفع والضر لاحد غير الله فمن اثبت
النفع والضر لمن دونه سبحانه فقد اشرك بالله وصار بذلك من المشركين وقال تعالى الذين
يدعون من دونه اي يعبدونهم من دون الله لا يقضون بشيء لانهم لا يعلمون شيئا ولا يقدرون
على شيء فكيف يكونون شركاء لله وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة كالجماد ونحوه لا يقال
فيه يقضي او لا يقضي ان الله هو السميع البصير فلا يخفى عليه من المسموعات والمبصرات خافية
ان الذين تدعون من دون الله اي الاصنام او السادة الذين صرفوهم عن طاعة الله لكونهم
اهل الحل والعقد فيهم وقيل الشياطين الذين حملوهم على معصية الله لن يخلقوا ذبابا واحدا مع
ضعفه وصغره وقلته قال في فتح البيان وتخصيص الذباب لمهانته واستقذاره والمعنى لن يقدروا

على حمله مع كونه صغير الجسم حقير الذات وهو اجهل الحيوانات لانه يرمي بنفسه في الهلكات ولو
اجتمعوا له اي لخلق الذباب فكانه قال ان هذه السادة او الاصنام او الشياطين ان اجتمعت
على خلق ذباب بعجزها على ضعفها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا كما اشار اليه في التقرير وان يسلبهم
الذباب شيئا لا يستنقذوه منه اي اذا اخذ واختطف منهم هذا الخلق الاذل الاقل الا
الاجهل شيئا من الاشياء بسرعة لا يقدرون على تخليصه منه لكمال عجزهم وفرط ضعفهم فا
عجزوا عن خلق هذا الحيوان الضعيف وعن استنقاذ ما اخذه منهم فهم عن غيره مما هو اكبر
جرما واشد منه قوة اعجز واضعف ضعف الطالب والمطلوب فالصنم والسيد والشيطان كالطالب
من حيث انه يطلب خلق الذباب او يطلب استنقاذ ما سلبه والمطلوب الذباب فهذا كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف
ولو حققت وجدت الطالب اضعف فان الذباب حيوان والصنم جماد وهو غالب وذاك مغلوب وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب
الصنم قال ابن عباس الطالب الصنم والمطلوب الذباب وفي الجملة الآية بعمومها شاملة لكل معبود باطل ودليل على
نفي تصرف غير الله في شيء من امور العالم سواء كان ذلك الغير جمادا او حيوانا من انس او جن او شيطان
او ولي او نبي او عظيم او كبير وقال الله تعالى واتخذوا من دونه الضمير للكفار والمشركين اي المشركون
لانفسهم متجاوزين الله آلهة قال قتادة هي الاوثان التي تعبد من دون الله والوثن كل شيء عبد من
دون الله غير الاصنام فيدخل فيه مكان اربعين اهل الاربعين وقبور الانبياء والصالحين وآثارهم
لا يخلقون شيئا اي لا يقدرون على خلق شيء من الاشياء وغلب العقلاء على غيرهم لان في معبودات
الكفار الملائكة وعزيرا والمسيح وهم يخلقون اي يخلقهم الله سبحانه قال قتادة اي هو الله الخالق
الرازق وهذه الاوثان تخلق ولا تخلق شيئا ولا تضر ولا تنفع وقيل عبر عن الآلهة بضمير العقلاء جريا
على اعتقاد الكفار انها تضر وتنفع ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا اي لا يقدرون على ان يجلبوا
لانفسهم نفعا ولا يدفعوا عنها ضرا وقدم ذكر الضر لان دفعه اهم من جلب النفع واذا كانوا بحيث
لا يقدرون على الدفع والنفع فيما يتعلق بانفسهم فكيف يملكون ذلك لمن يعبدهم وهذا ادل على
غاية عجزهم ونهاية ضعفهم ثم زاد في بيان عجزهم فنص على هذه الامور فقال ولا يملكون موتا ولا حياة
ولا نشورا اي لا يقدرون على اماتة الاحياء ولا احياء الموتى ولا بعثهم من القبور لان النشور هو
الاحياء بعد الموت وفي الآية بيان التوحيد وتزييف مذاهب المشركين المثبتين التصرف لغير الله تعالى

في الخلق ورد عليهم بالحجة الساطعة والبرهان القطعي الذي لا يمكن ان يدفع ويرفع وقال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ان عبدوه ولا يضرهم ان تركوه وكان الكافر على ربه ظهيرا اي المعاون عليه بالشرك والعداوة والمظاهرة على الرب هي المظاهرة على رسوله وعلى دينه قال الزجاج لانه يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الله لان عبادتهم لغير الله من الاصنام والسادة معاونة للشيطان وقال تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير اي لا يقدرون عليه ولا على خلقه والقطمير القشرة الرقيقة التي تكون بين التمرة والنواة وتصير على النواة كاللفافة لها وقيل غير ذلك ان تدعوهم اي ان تستغيثوا بهم في النوائب لا يسمعوا دعاءكم لكونها جمادات واموات لا تدرك شيئا من المدركات ولو سمعوا فرضا وتقديرا ما استجابوا لكم لعجزهم عن ذلك قال قتادة المعنى ولو سمعوا لم ينفعوكم وقيل المعنى لو جعلنا لهم سماعا وحياة فسمعوا دعاءكم لكانوا اطوع لله منكم ولم يستجيبوا لكم الى ما دعوتموهم اليه من الشرك والكفر ويوم القيامة يكفرون بشرككم اي يتبرؤن من عبادتكم لهم ويقولون ما كنتم ايانا تعبدون قال في فتح البيان ويجوز ان يرجع والذين يدعون من دونه وما بعده الى من يعقل ممن عبدهم المشركون والكفار وهم الملائكة والجن والشياطين والمعنى انهم يجحدون ان يكون ما فعلتموه حقا وينكرون انهم امروكم بعبادتهم كما اخبر الله تعالى عن عيسى عليه السلام بقوله ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق قال القرطبي ويجوز ان يندرج فيه الاصنام ايضا اي يحييها الله حتى تخبر بانها ليست اهلا للعبادة انتهى واقول اللفظ اوسع من ذلك والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيدخل في الآية كل من يعقل ومن لا يعقل من المعبودين الباطلين ولا ينبئك مثل خبير اي لا يخبرك ايها المفتون باسباب الغرور والشرك بالله غيره في التصرف في الامور مثل من هو خبير بالاشياء عالم بخفايا الامور وهو الله سبحانه فانه لا احد اخبر بخلقه واقوالهم وافعالهم منه سبحانه وهو الخبير بكنه الامور وحقائقها وقال تعالى قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا اي انزال ما يضركم من ضياع الاموال وهلاك الاهل والقتل والهزيمة والعقوبة على التخلف او اراد بكم نفعا اي نصرا وغنيمة وهذا رد عليهم حين ظنوا ان التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدفع عنهم الضر ويجلب لهم النفع وفي الآية دليل على نفي التصرف عن الغير في خلق الله وقال تعالى افرأيتم ما تمنون اي ما تقذفون وتصبون في ارحام النساء من النطف

اانتم تخلقونه ام نحن الخالقون اي المقدرون المصورون له وفي الاية دليل على شرك من يطلب
الولد من الاولياء وغيرهم فان خلق المني وخلق الولد منه في رحم المرأة مما استأثر الله به لا يشاركه فيه
احد من مخلوقاته فمن طلبه من غير الله فقد وقع في شراك الشرك ومثله قوله تعالى افرايتم ما
تحرثون اانتم تزرعونه ام نحن الزارعون اي المنبتون له والجاعلون له زرعا وقوله سبحانه افرايتم
الماء الذي تشربون اانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون دون غيرنا فاذا عرفتم ذلك فكيف
لا تقرون بالتوحيد وتصدقون بالبعث ولا تتركون الشرك به في التصرف في العالم وقوله تعالى
افرايتم النار التي تورون اانتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون لما يقدح ويتأدى بكم واذا ثبت ان الخالق
للكل والجاعل له والمتصرف في الخلق هو الله سبحانه وهو مستأثر به فالمثبت للتصرف لغيره مشرك
بالله تعالى وقال تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ما يمسكهن الا الرحمن اي ما يمسكهن في الهواء
عن الوقوع عند الطيران الا الله القادر على كل شيء والا فالثقيل يتسفل طبعا ولا يعلو وكذا الامساك
حفظه وتدبيره عن العالم لتهافتت الافلاك وبالجملة الاية الشريفة دليل على كمال قدرته سبحانه
وعلى انه هو المتصرف في الكائنات جميعها لا قدرة لاحد ولا اختيار في ان يتصرف في شيء من الاشياء
وقال تعالى قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا اي ماؤكم في الارض بحيث لا يبقى له وجود فيها او صار
ذاهبا في الارض الى مكان بعيد بحيث لا تناله الدلاء فمن ياتيكم بماء معين اي ظاهر تراه العيون و
تناله الدلاء ومن الادلة الدالة على رد الاشتراك في التصرف ما اخرجه الترمذي واحمد عن ابن عباس
رضي الله عنه قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما فقال يا غلام احفظ الله اي
حقه يحفظك من مكاره الدنيا والاخرة احفظ الله تجده تجاهك اي مقابلك واذا سألت فاسأل الله
اي فاسأله وحده فان خزائن العطايا عنده ومفاتح المواهب والمزايا بيده وكل نعمة او نقمة دنيوية
او اخروية تصل الى العبد او تندفع عنه برحمته من غير شائبة غرض وضميمة علة لانه الجواد المطلق
والغني الذي لا يفتقر فينبغي ان لا يرجى الا رحمته ولا يخشى الا نقمته ويلتجأ في عظائم الامور اليه ويعتمد
في جميع الامور عليه اي ولا يسأل غيره لان غيره غير قادر على العطاء والمنع ودفع الضر وجلب النفع فانهم
لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وفي دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم
اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا راد لما قضيت ولا ينفع ذا الجد منك الجد واذا

استعنت فاستعن بالله ويدل له قوله سبحانه اياك نعبد واياك نستعين واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان تنفعك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على ان يضروك بشئ لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك هذا نص جلي على عدم اقتدار احد على ايصال النفع الى احد ودفع الضر عنه وكم من آيات بينات في القرآن لها دلالة على هذا المرام فاشدد يديك على هذه العقيدة فانه ليس بعد بيان الله وبيان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بيان ومن لم يستشف بالقرآن و بالحديث فلا شفاه الله رفعت الاقلام وجفت الصحف وهذا كناية عن معنى القضاء وثبوت القدر وانهما لا يتغيران ولا يتبدلان قال بعض العلماء في شرح هذا الحديث ان الله سبحانه وان كان مالك الملوك وسلطان السلاطين واحكم الحاكمين واقدر القادرين لكنه ليس كغيره من الملوك متكبرا لان الملوك لا يلتفتون الى احاد الرعايا من غاية الغرور ونهاية الكبر وان اطال ذلك الرعوي في الالتجاء واتى بكل خضوع فتلتجئ الرعايا حينئذ الى الامراء والاركان ويبتغون عندهم الوسائل ليقبل الملك عرضهم ويسمع التجاءهم واما الله سبحانه فهو الرحيم الكريم لا حاجة في حضرته الى وكالة احد وسعي شخص فمن ذكره فالله يذكره شفع له احد او لم يشفع وكذلك وان كان هو سبحانه عليا كبيرا واحد اوذا رفيع الدرجات ذا العرش العظيم فليس حضرته كحضرة السلاطين لا يصل اليه احد من الرعايا وانما يحكم عليهم امراء الملك ووزراء الدولة والرعايا منقادون لهم طوعا وكرها ولا يجدون بدا من ذلك ولا يمكن لهم الحضور الا في حضرات الامراء بل الله سبحانه اقرب من عباده من كل قريب كل عبد ذليل له ادنى رتبة اذا توجه بقلبه الى جنابه العلي يجده تجاهه فالغفلة منا والا فليس هناك حجاب ولا غطاء والبعيد منه تعالى بعيد لغفلته والا فهو قريب من كل عبد يريده وعلى هذا كل من يدعي نبيا او وليا على انه يقربه من الله فانه على جهل من ان ذلك النبي او الولي بعيد من هذا الداعي والله تعالى قريب منه ومثال هذا ان يكون احد من الرعايا حاضرا عند السلطان ويكون السلطان ملتفتا الى سماع عرضه فيدعو هذا الرعوي احدا من الامراء والوزراء ويستدعي منه ان يبلغ الامر الفلاني منه الى السلطان فهذا الداعي اما اعمى واما مجنون لانه خلا وحده بالسلطان وتوجه السلطان الى اصغاء حاجته فلم يعرض عليه حاجته تلك وطلبها بوسائط ووسائل من دون ضرورة داعية اليها فاسخط السلطان عليه ولم يعرف قدر توجهه اليه

بلا شك في كونه مستقلا امانا نبي وامانا محمود تأكد ذلك امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
في هذا الحديث بسؤال كل مراد منه سبحانه والاستعانة به تعالى في حل كل اشكال ودفع كل داء
فسأل على كل حال وفي كل حال واحيان قلم القدر والقضاء لا يبدل ولا يتغير فان اجتمع اهل العالم
كلهم كبيرهم وصغيرهم وعزيزهم وذليلهم واميرهم وفقيرهم وشريفهم ووضيعهم وصالحهم و
طالحهم وبرهم وفاجرهم وارادوا ان ينفعوا احدا او يضروه لم يستطيعوا ولا يقدرون ما قدره
وقضيه تعلم من هذا الحديث ان ما يقوله عوام الناس من ان الله تعالى اعطى الاولياء قدرة
لو شاؤا في التقدير وغيره والقضاء فيعطى من ليس في تقديره ولد ولدا او يزيد في عمر من
انقضى عمره وان اجله بعد لا يصح وليس من الايمان بتوحيد الله تعالى وعدم الاشراك به شيئا بل
صدر ذلك ورد وليس عليه اثارة من علم بل الذي ينبغي التعويل عليه والاستناد اليه ان الله تعالى
هو الذي قد يقبل دعاء عباده ويقبل دعاء الانبياء والاولياء كثيرا بالنسبة الى احاد الناس لكن
التوفيق للدعاء بيده سبحانه وقبوله ايضا الى اختياره كما قال الشاعر ~ هم دعا از تو اجابت هم ز تو
ایمنی از تو مهابت هم ز تو ؛ وبالجملة فكل من عند الله من الدعاء للداعي وحصول المراد له بهما
من القضاء والقدر وليس امر خارجا عنهما ولا قدرة لاحد ولا قوة له على ان يفعل شيئا او ينقص شيئا
ويبدل شيئا باشياء كان او ولما كبيرا كان او صغيرا لا يقدر دون على شيء غير ان يدعو الله وحده لا شريك
له ويلتجئ اليه ويطلب منه المرادات فان شاء اعطى بلا تأخير وان شاء قبل دعاءهم وان شاء
رده لحكمته فالمرجع اليه والتعويل في الامور كلها عليه وما احسن ما قيل ~ از خدا خواهم دار عمر
نخواهم عبدا که بیم شده دیگر بصدای دگرست ؛ وادلت رفعت الاقلام وجفت الصحف وهذه المقالة
لا احد على السمع والبصر والعطاء والمنع كما نطق بهذا الحديث الباب فالحذر كل الحذر من الشرك بالله تعالى
في طلب المرادات وقضاء الحاجات واعتقاد التصرف في العالم واموره في حق الاحياء والاموات
من الانبياء والاولياء والاعداء فان ذلك شرك محض وكم بحث يعني به صاحبه في النار ان لم
هذا الاعتقاد الى الله وكان السفل من الجحيم اعاذنا الله تعالى منه ؛ اخرج ابن ماجة عن عمرو بن العاص
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان قلب ابن ادم بكل واد شعبة اي قطعة قال
في النهاية الشعبة الطائفة من كل شيء والمعنى ان القلب واحد واودية الهموم متعددة ومختلفة

لرجل من قلبين في جوفه قال الطيبي لابد فيه من تقدير اي في كل واد له شعبة فمن اتبع قلبه الشعب
كلها اي من جعل قلبه تابعا للشعب الهموم لم يبال الله باي واد هلك ومن توكل على الله كفاه الشعب
اي كفاه مؤن حاجاته المتشعبة المختلفة قال بعض اهل العلم رضي الله عنه يعني اذا كان في قلب
الآدمي طلب شيء او يعتريه امر مشكل فانه يذهب خياله الى كل جهة ويريد ان يدعو نبيا او وليا
او اماما او يستعين بشيخ او شهيد او ينذر لفلان وفلان او يسأل عن منجم او رمال او يتفاءل من
كتاب ومصحف فمن اتبع قلبه الشعب واقتفى اثر كل خيال وظن فالله تعالى لا ينظر اليه نظر القبول
ولا يعده في عباده الصادقين الفحول وقد ضل هو عن سبيل هدايته سبحانه وطريق تربيته وتاه
عقب خيالاته في وادي ضلالته حتى يهلك فمنهم من يصير دهريا ومنهم من يصير ملحدا او مرتدا
ومنهم من يصير مشركا ومنهم من ينكر الكل واما من توكل على الله عز وجل ولم يتبع قلبه الاودية والشعاب
ولم يقتف الخيال فالله تعالى يجعله من المقبولين المرحومين ويفتح عليه ابواب سبل الهداية واليقين
ويعطي قلبه من السكينة والطمانينة ما لا يتيسر لمن يتبع الخيالات والظنون والاوهام وكل ميسر لما
خلق له وقدر وقضى وصاحب الخيالات لا يزال في عناء ومشقة بلا فائدة والمتوكل على الله يجد
مراده في راحة وسكينة من دون جهد وعناء واخرج الترمذي عن انس رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليسأل احدكم ربه حاجته كلها اي جميع مراداته وكل مقصوداته
كائنة ما كانت قال ابو علي الدقاق من علامات المعرفة ان لا تسأل حوائجك كلها قلت او كثرت
الا من الله سبحانه حكاه عنه في اللمعات حتى يسأل شسع نعله اي شراكه قال اهل العلم الشسع
احد سيور النعل وهو الذي يدخل بين الاصبعين ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النعل
المشدود في الزمام والزمام السير الذي يدخل فيه الشسع قاله الطيبي اذا انقطع زاد في رواية عن
ثابت البناني مرسلا حتى يسأله الملح وحتى يسأله شسعه اذا انقطع معنى هذا الحديث ان لا يرى
ان الله شانه كملوك الدنيا وسلاطينها يصنعون الامور العظام والافعال المهام بانفسهم ويتركون
صغار الامور ومحقرات الاشياء على ملازميهم ويحيلونها عليهم فيحتاج الناس فيها الى التجائهم
بل معاملة الله سبحانه ليست كذلك لانه قادر مطلق يصدر في آن واحد الافا والوفا من امور
الكبائر والصغائر لا دخل في سلطنته العالية لاحد ممن سواه فالحق سؤال الشيء الحقير والكبير منه تعالى

ولا يقدر احد على ان يعطي شيئا لاحد حقيرا كان او جليلا قليلا كان او كثيرا فمن ترك السؤال
عنه وسأل غيره يفضي الى الشرك بجامع قلبه وقالبه لان الدعاء هو العبادة وعبادة غير الله تعالى
شرك فالسؤال عن غيره من حيث انه عبادة مختصة به تعالى شرك بلا شك وبهذا يرد الحديث
حديث انس عند الترمذي بلفظ قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء مخ العبادة والمخ
بالضم هو نقي العظم والدماغ وشحمة العين وخالص كل شيء وهذا الاخير هو المراد في هذا الحديث
قال في اللمعات انما كان الدعاء كذلك لان حقيقة العبادة هي الخضوع والتذلل وهو حاصل في الدعاء
اشد الحصول انتهى وفي حديث ابي هريرة يرفعه ليس شيء اكرم على الله من الدعاء رواه الترمذي
وحسنه وابن ماجة وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الدعاء ينفع
مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء رواه الترمذي واستغربه ورواه احمد عن معاذ بن
جبل وفي حديث ابن مسعود يرفعه سلوا الله من فضله فان الله يحب ان يسأل رواه الترمذي و
قال حديث غريب وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لم
يسأل الله يغضب عليه رواه الترمذي فتأمل في هذا الحديث فاذا كان السؤال شيئا اذا جاء به احد
الى الله وسأله يغضب عليه ولا يقضي حاجته الا ان يدعو وهذا الله الكريم الوهاب اذا لم يسأله
يغضب على عدم السؤال فثبت ان بين السؤالين والمسؤولين بون بين وبعد بعيد وهذا معلوم عادة الاحياء
والسنة ان لا يسأل من يغضب على عدم السؤال بل يتركه ويميل الى سؤال من لا يقدر على العطاء
والمنع ولا يستطيع النفع والضر بل يعبس ويسخط ويغضب على السائل وينظر اليه بنظر الحقارة والذلة
ولكن الذين حرموا من فضيلة السؤال من الله وسألوا غيره ودعوه لقضاء حاجاتهم فما احقهم بان يعيروا
اولا بالسؤال من غيره ويعدوا في المشركين ثانيا ولا يسألوا الله حتى يصيروا من المخلصين الذين رحمهم ارحم الراحمين وفتح
مرامهم واسعاف مرامهم والاحاديث في باب الدعاء وذكر من يقبل دعاؤه ولا يقبل وكيفية قبوله وآدابه والعلامة لقبوله
كثيرة جدا لا يحصيها اهل العلم واخرج الشيخان البخاري ومسلم رضي الله عنهما عن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما
نزلت وانذر عشيرتك الاقربين دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قريشا فاجتمعوا فعم وخص فقال يا بني كعب بن لؤي انقذوا
انفسكم من النار يا بني مرة بن كعب انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد شمس انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد مناف
انقذوا انفسكم من النار يا بني هاشم انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد المطلب انقذوا انفسكم من النار

يا فاطمة انقذي نفسك من النار فاني لا املك لكم من الله شيئا غير ان لكم رحما سابلها ببلالها
في الدنيا بما تقتضي القرابة ولكن لا اغني عنكم من الله شيئا رواه مسلم وفي المتفق عليه قال يا معشر قريش
اشتروا انفسكم اي خلاصها بالايمان بالله وحده لا شريك له من النار بانك لا اشرك به في العبادة
والتصديق في الكائنات لا اغني عنكم من الله شيئا يا بني عبد مناف لا اغني عنكم من الله شيئا يا عباس
بن عبد المطلب لا اغني عنك من الله شيئا ويا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لا اغني
عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا اغني عنك من الله شيئا معنى هذا
الحديث ان قرابة الكرام تتوكل على حمايتهم ويغترون بكرامتهم وحقهم فيهم فلما امر الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وآله وسلم ان ينذر عشيرته وذا قرباه فجمعهم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وعم وخص
حتى قال لبنته انقذي نفسك من النار اي من عذاب الله القهار الجبار الذي لا يغالبه مغالب
ولا يشاركه في شيء من الاشياء مشارك وقال ان اداء حق القرابة انما يكون فيما هو في الاختيار وداخل
تحت الاقتدار فهذا مالي مبذول عليك سلي منه ما شئت لا بخل لي فيه ولكن معاملة الله تعالى
في دار الآخرة معاملة اخرى ليست بيدي ولا تحت قدرتي لا اقدر ان احمي احدا هنالك اي اكون وكيلا
لك او لغيرك فعلى كل احد ان يصلح معاملته التي تقع هنالك ويتقي من النار باي تدبير يمكن ويستطاع
فهذا الحديث يدل على عدم نفع قرابة احد كائنا من كان لاحد كائنا من كان وانها لا تنفع عنده سبحانه اصلا
فلا فائدة لاحد حتى يصلح طويته ويصفي معاملته بالله الكريم فمن يزعم انه من اولاد الانبياء عليهم السلام
او من نسل الاولياء او من اعقاب الائمة او من اخلاف الشهداء او من تلامذة الشيخ الفلاني والكبير
الفلاني وانهم ينفعونه في النجاة من عذاب الله في اليوم الآخر ويشفعون له في الخلاص من الحساب
والكتاب والعقاب وانه يغفر له ذنبه ويعفى عنه زلاته لوجاهة هؤلاء الكرام وقرابتهم نسلا او
صهرا فهو مغرور يتجاهل عن مدارك الشرع محروم من فقه الاحكام بل هو مشرك بالله تعالى في التصرف
في العالم التي هي مختصة به سبحانه لا يشاركه فيها احد من العالمين صالحهم وطالحهم الا ان يشاء الله
رب العالمين شفاعة احد لاحد فيشفع بعد وجدان الرضاء منه والاذن منه تعالى وذلك بيد الله
لا بيده وقدرته فاني لنا التوكل على نفع القرابة بالانبياء والاولياء والمشائخ والشهداء نعم لو اردنا
ان يشفع الله لنا احدا منهم ويجعله شفيعا لنا فلا بد من ان نتأهل لذلك ونجيء باعمال الصالحات

ورضا الله تعالى مع الخوف والهيبة والإكرام اما المؤمن بالله وحده حال العبادة لشأنه الدين
ولا يشرك بعبادته شيئاً فما يأتي بعبادة المشركين لأن الإيمان بين الخوف والرجاء والإحسان
الرجاء مع الخوف وما الكمال الروحي مع صحة العزم والنية وإصلاح القلب والعمل البدني سواء قبلها
من الله وحده فيعمل لله ويرجو ويرضى بشفاعة الشافعين بإذنه وكرمه انهم عند ربنا إلا ما أعطاها

ربنا اغفر لنا وإسرافنا في امرنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم

باب في رد الإشراك في العبادات

والمراد بالعبادة هنا ما يستحق عليها الله تعالى عبادة لتعظيمه وتكريمه وجعلها علامة العبودية فمن أشرك غيره به فقد خالف التوحيد وجاء بنقيضه قال الله تعالى ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم المعنى نهيتكم عن عبادة غيره لأني أخاف عليكم تقدم تفسير هذه الآية في الباب الأول من هذا الكتاب والذي ذكره بعض أهل العلم في هذا المقام هو أن التنازع بين المسلمين والكافرين إنما شرع من زمن نوح عليه السلام الذي كان أول نبي للأنام من ذلك الزمان جاء هذا النزاع بين الإنسان ومن ذلك العصر قال العباد المعولين عند الله إنه لا يجوز تعظيم أحد من دون الله كتعظيم الله تعالى وأن كل ما يعمل تعظيماً وإجلالاً وتكريماً لا يجوز أن يعمل لغيره كائناً من كان لأن الإتيان بمثله لغير الله تعالى هو الذي يسمى بالإشراك في العبادة وقد تقرر أن العبادة لا تجوز إلا لله وأنه هو المستحق لها فكل ما يسمى في الشرع عبادة ويصدق عليه مسماها فإن الله يستحقه ولا استحقاق لغيره فيها وإن كان مثقال ذرة في السموات والأرض ومن أشرك فيها أحداً من دون الله فقد جاء بالشرك وكتب اسمه في ديوان الكفر ومن هذا الذي يستحق العبادة غير الله وهو مخلوق له سبحانه وأنى للمخلوق أن يسجد دون الخالق هذا شأن الصانع القدير الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ولعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون وبالجملة فالآية الشريفة دالة على توحيد الألوهية على الإطلاق وعلى أن المعبود الحق هو الله ومن هنا كان نوح دعا أمته إليه وكذا سائر الرسل قال تعالى لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لأنهما مخلوقان من مخلوقاته وإن كثرت منافعهما فلا يجوز أن يكونا شريكين له دونه واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون قيل كانوا يسجدون لهما كالصابئين في عبادتهم

الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لها السجود لله فنهوا عن ذلك فهذا وجه تخصيص ذكر السجود بالنهي عنه وقيل وجه النهي انه اقصى مراتب العبادة قال بعض اهل العلم في تفسير هذه الآية ان من اراد ان يكون عبدا لله خالصا فلا يسجد الا لله سبحانه ولا يسجد للشمس والقمر نبه بهما على غيرهما من المخلوق العلوي فالسفلي من الاحجار والاشجار والضرائح ونحوها بالاولى وقد دلت هذه الآية على ان ديننا هو ان السجود حق الخالق فلا يسجد لمخلوق اصلا كائنا ما كان فان المخلوقية يساوي فيها الشمس والقمر والولي والنبي والحجر والمدر والشجر ونحوها ولا يقال ان السجدة كانت في الملل الخالية لبعض المخلوقين كما سجد الملائكة لآدم ابي البشر عليه السلام وسجد يعقوب النبي عليه السلام ليوسف النبي عليه السلام فان سجدنا لكبير او كريم لا مضايقة فيه لانا نقول ان هذا القول ارجاف باطل وغلط محض وجهل صرف فان ناسا في زمن آدم كانوا ينكحون اخواتهم فعلى المحتجين بمثل هذه الحجج ان ينكحوا اخواتهم ايضا مع انهم لا يجوزون ذلك ولا يأتون بما هنالك واصل الامر ان على العبد ان ينقاد لحكم الخالق ولا يستعمل عقله في اوامره ونواهيه بل كل ما امر به الرب يقبله بالقلب واللسان ويأتي به بالاركان في كل شان وزمان ولا يعارضه بان هذا الحكم لم يكن على من قبلنا فليت امرنا به او نهانا عنه فان الاحتجاج بمثل هذه الحجج والاستدلال بنحو هذا التعارض يكفر المحتج المستدل ومثال هذا ان ملكا من الملوك اجرى حكما في مملكته الى امد ثم رفعه واجرى حكما آخر فان قال احد انا نعمل بالحكم الاول السابق ولا نأتي بالحكم الآخر اللاحق فهو باغ وحكم الباغي معلوم بالضرورة الدينية فتقرر بهذا ان السجدة هي من العبادات التي اختصت به تعالى في شرعنا هذا ولا يجوز هذه العبادة لغير الله اي غير كان وفي اي زمان ومكان كان قال تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا من خلقه كائنا من كان هذا توبيخ للمشركين في دعائهم مع الله غيره في المسجد الحرام قال مجاهد كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم اشركوا بالله فامر الله نبيه والمؤمنين ان يخلصوا لله الدعوة اذا دخلوا المساجد كلها يقول فلا تشركوا فيها صنما او غيره مما يعبد وقيل المعنى افردوا المساجد بذكر الله تعالى ولا تجعلوا لغير الله تعالى فيها نصيبا وفي الصحيح من نشد ضالة في المسجد فقولوا لا ردها الله عليك فان المساجد لم تبن لهذا وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ولم يقل نبي الله او رسول الله لانه من احب الاسماء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولانه لما كان
واقعا في كلامه صلى الله عليه وآله وسلم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع او لان عبادة عبد الله
المستفادة من قوله يدعوه ليست بمستبعدة ومعنى لبدا يركب بعضهم بعضا قل انما ادعو ربي ولا
اشرك به احدا اي قل يا رسول الله مجيبا للكفار انما اعبد ربي وحده ولا اشرك به في العبادة احدا
من خلقه قال بعض اهل العلم في تفسير هذه الآية ان عبد الله اذا دعاه بخلوص قلبه يظن الناس
الجاهلون السفهاء انه صار عظيما كبيرا يعطي من شاء ما شاء ويمنع عما شاء من شاء فيجيئون عليه بناء على هذا
الخيال المختل والظن المعتل فينبغي لذلك العبد ان يظهر الامر الحق وهو ان الدعاء عند الاشكال حق الله
تعالى ورجاء النفع وخوف الضر انما يليق به سبحانه لا بغيره وفي هذه المعاملة مع غيره شرك به وانا بري
من الشرك فمن عامل بهذه المعاملة ارادة لرضائي فليس مني وقد دلت هذه الآية الكريمة
على ان القيام ادبا وذكره سرمدا انما خصه الله لتعظيمه والاتيان به لغير الله شرك يصير به صاحبه مشركا
وقال تعالى واذن في الناس بالحج اي وناد هم بدعوة الحج والامر به والخطاب لابراهيم عليه السلام
وقيل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والاول اظهر وعن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فقال يا ايها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا اخرجه مسلم يأتوك رجالا اي مشاة جواب الامر
وعده الله اجابة الناس الى حج البيت ما بين راجل وراكب وعلى كل ضامر اي بعير والضامر البعير المهزول
الذي اتعبه السفر يأتين من كل فج عميق الفج الطريق الواسع والعميق البعيد ليشهدوا اي ليحضروا
منافع لهم وهي تعم منافع الدنيا والآخرة وقيل المراد بها المناسك وقيل المغفرة وقيل التجارة ويذكروا
اسم الله عند ذبح الهدايا والضحايا وقيل ان هذا الذكر كناية عن الذبح لانه لا ينفك عنه تنبيها
على ان المقصود مما يتقرب به الى الله تعالى ان يذكر اسمه في ايام معلومات هي ايام النحر كما يفيد ذلك
قوله الآتي على ما رزقهم من بهيمة الانعام وبه قال ابن عمر والصاحبان وقيل عشر ذي الحجة وهو
قول اكثر المفسرين والشافعي وابي حنيفة على ما رزقهم من بهيمة الانعام البهيمة مبهمة في كل ذات
اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضان والمعز التي تنحر في يوم العيد وما بعده
من الهدايا والضحايا فكلوا منها اي من لحومها والامر هنا للندب عند الجمهور وذهبت طائفة
الى ان الامر للوجوب وهذا التفات من الغيبة الى الخطاب واطعموا البائس الفقير البائس

ذو البؤس وهو شدة الفقر فذكر الفقير بعده لمزيد الايضاح وقال ابن عباس البائس الزمن الذي
لا شيء له والامر هنا للوجوب وقيل للندب ثم اي بعد حلهم وخروجهم من الاحرام وبعد الاتيان بما
عليهم من النسك ليقضوا تفثهم المراد بالقضاء هنا هو التأدية اي ليؤدوا ازالة وسخهم لان
التفث هو الوسخ والدرن والشعث والقذارة من طول الشعر والاظفار وليوفوا نذورهم اي ما
ينذرون به من البر في حجهم والامر للوجوب وقيل المراد بالنذر هنا اعمال الحج او الهدايا والضحايا
وليطوفوا بالبيت العتيق هذا الطواف هو طواف الافاضة الواجب ووقته يوم النحر بعد الرمي والحلق
قال ابن جرير لا خلاف في ذلك بين المتأولين والعتيق القديم قال بعض اهل العلم يعني ان الله تعالى
جعل بعض الامكنة لاظهار عظمته وكرامته كالكعبة وعرفات والمزدلفة ومنى والصفا والمروة
ومقام ابراهيم والمسجد الحرام كله بل سائر مكة المكرمة والقى في قلوب الناس شوقا اليه فيقصدونها
من اقصى الغايات رجالا وركبانا على مطايا مهزولة وانعام ضامرة في اعياء ومشقة من السفر
وتفث وشعث كثير ويذبحون هناك على اسمه بهيمة الانعام ويوفون نذورهم ويطوفون بالبيت العتيق
ويظهرون تعظيم ربه الذي امتلأت به قلوبهم كما هو حق الاظهار فمنهم من يقبل اسكفته ومنهم من
يدعو حيال بابه ومنهم من يلتزم ستر الكعبة ملتجئا اليه سبحانه ومنهم من ينوي اعتكاف البيت فيشتغل
بذكر الله ليلا ونهارا ومنهم من ينظر اليه قائما في نهاية الادب فمثل هذه الافعال مختصة بتعظيم
الله سبحانه والله تعالى راض عنهم وهم يستفيدون هناك فوائد الدنيا والدين فلا ينبغي ان يؤتى بمثل
هذه الافعال في تعظيم من دون الله ولا مع قبر احد وضريحه وانصابه فيقصده من اقصى امياد و
يسافر اليه في عناء وكلفة ولباس رث وصورة هي تفث وشعث فيرد هناك ويذبح حيوانا او ينذر
له نذرا ويطوف بقبره او مكانه ويتأدب لواديه ولا يصطاد صيده ولا يعضد شجره ولا يختلي خلاه
ونحوها من الافعال او يتوقع منه نفعا في الدنيا او في الدين فان هذا كله شرك يجب الاجتناب عنه لان
هذه المعاملة لا يليق الا بالله وليس هذا الشأن لاحد من المخلوق حتى يعامل ذلك به وقال تعالى
او فسقا اهل لغير الله به اي ذبح على الاصنام ورفع الصوت على ذبحه باسم غير الله وسمي فسقا
لتوغله في باب الفسق وقيل اهل به لغير الله فسقا وهو تكلف لا حاجة اليه وقيل ذا فسق اي معصية
فهذا من قبيل المبالغة على حد زيد عدل وفي زيادة جعل العين المحرمة عين الفسق مبالغة في كون

تناولها فسقا قيل الا ان يكون فسقا او فسقا اهل به لغير الله فيه ان ما ذبح لغير الله فهو حرام قال بعض اهل العلم يعني كما ان الخنزير والدم والميتة حرام فكذلك الحيوان الذي ظهر في صورة عين المسمى حلالا نجس اهل به لغير الله تعالى كائنا ما كان فدلت الآية على قبح تخصيص الحيوان باسم مخلوق من دون الله وانه نجس حرام وليس في الآية ان يسمي مخلوقا عند ذبحه فيصير حراما بل فيها ان تسمية حيوان باسم مخلوق يصير حراما نجسا لا يحل اكله كالبقرة المسماة الى السيد احمد الكبير احد اجداد المؤلف وكالغنم المعزية الى الشيخ سدو والديك المنسوب الى زين خان فمن رفع الصوت على حيوان باسم احد من المخلوقين فقد حرم اكل ذلك الحيوان وسواء كان ديكا او بعيرا او حيوانا آخر وسواء كان ذلك المذبوح له نبيا او وليا او ابا او جدا او روحا خبيثا او جنيا فكل ذلك حرام نجس وصاحبه مشرك لان ذبح الحيوان تقربا يختص باسم الله سبحانه وتعالى ولا يجوز لغيره ابدا سرمدا قال في فتح البيان في تفسير قوله تعالى وما اهل لغير الله اي ما رفع الصوت به سواء كان صنما او وثنا او نصبا او روحا خبيثا من جن او روحا طيبا من انبياء او ولي او صالح حيا كان او ميتا فهو حرام وقد ورد في الحديث ملعون من ذبح لغير الله اي سواء سمى الله عند ذبحه او لم يسم لان ما اشتهر من الحيوان على اسم غيره سبحانه وتعالى ورفع الصوت به باسم الفلاني فلا ينفع بعد ذلك ذكر اسمه تعالى عند ذبحه لان هذا الحيوان قد انتسب الى ذلك الغير وحدث فيه من الخبث ما زاد على خبث الميتة فانها لم يذكر عليها اسم غير الله وهذا الحيوان قد صار روحه لغير خالقه ثم ذبح له وهو الشرك بعينه وحين سرى هذا الخبث واثره فيه لا يحل اكله بحال وان ذكر اسم الله عليه كما لو ذبح الكلب او الخنزير مثلا على اسمه سبحانه لا يحل والسر في ذلك ان نذر الروح لغير خالق الروح لا يجوز وان كان حكم جميع المأكولات والمشروبات والاموال المنذورة المتقرب الى غير الله سبحانه هكذا فانها حرام وشرك ولكن ثوابها الذي كان يعود الى الناذر جاز جعله للغير كما جاز للانسان ان يعطي ماله من شاء بخلاف روح الحيوان فانه ليس بمملوك للانسان حتى ينذره لاحد غير الله وانما وجب الاجر في اعطاء المال لان المال شيء ينتفع به في الحال ولما كان الموتى لا ينتفعون بعين المال جعل طريق ايصال النفع اليهم ان تجعل الاموال المعطاة اهل الاستحقاق ثم يعود ثوابها اليهم واما روح الحيوان فلا يصلح للانتفاع بحياة الانسان فكيف بعد مماته ومضي الازمان واما الاضحية فمن المسائل التي ورد بها الحديث فمعناها ان الاجر الذي كان يثبت في انهاق الروح لله سبحانه وتعالى يعطى ويبذل لذلك الميت

لا انما تذبح لاجله ويرفع به الصوت للتقرب اليه ولا يخفى ان هذه الآية الكريمة جاءت في اربعة مواضع من التنزيل ومعناها ما رفع به الصوت لغير الله لا ما ذبح باسم غير الله وان قال جمهور المفسرين او اكثرهم فمن رفع الصوت بحيوان لغيره تعالى واهل به ثم ذكر اسم الله عند ذبحه فلا ينفع له هذا الذكر شيئا ولا ياتي بفائدة ولا يعود بعائدة فان الاعمال بالنيات والله تعالى لا ينظر الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم ولا يحل اكله بناء على هذا الذكر والتسمية عند الذبح واما الاهلال في لغة العرب بمعنى رفع الصوت بشيء فقط لا بمعنى الذبح كيف ولم يرد به عرف ولا وقع في شعر فهذه كتب اللسان العربي ودفاتر اللغات على وجه البسيطة ليس في احد منها الاهلال بمعنى الذبح وانما يقال الاهلال لرؤية الهلال ولبكاء الطفل وللتلبية بالحج لا للذبح فليس معنى اهللت لله ذبحت له في القاموس استهل الصبي رفع صوته بالبكا كاهل وكذا كل متكلم رفع صوته او خفض واهل نظر الى الهلال والملبي رفع صوته بالتلبية وقال الجوهري استهل الصبي اي صاح عند الولادة واهل المعتمر اذا رفع صوته بالتلبية واهل بالتسمية على الذبيحة وقوله تعالى وما أهل به لغير الله اي نودي عليه بغير اسم الله واصله رفع الصوت انتهى ولو سلم ان معناه ذبح لغير الله فاين هذا من معنى ذبح باسم غير الله حتى تنتهض به الحجة فالقول بان الاهلال في هذه الآية ونظائرها بمعنى الذبح وغير الله بمعنى اسم غير الله يرهب بتحريف كلامه سبحانه وتعالى حاشاه عن ذلك وقد حكى النظام النيسابوري في تفسيره اجماع اهل العلم على ان ذبيحة مسلم التي قصد بذبحها التقرب الى غير الله ذبيحة مرتد وقد صار هو مرتدا ايضا وكان الكفار في الجاهلية اذا اخرجوا من ديارهم رفعوا الاصوات باسماء الاصنام في الطرق والشوارع واذا وصلوا الى مكة المكرمة طافوا الكعبة مع ان طوافهم هذا لم يكن يقبل عند الله ولهذا انزل قوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فكذلك فيما نحن فيه اذا رفع احد الصوت بحيوان انه لفلان او لاجله او يذبح له ثم ذكر عليه اسم الله عند الذبح فههنا لا تترتب عليه الحلة اصلا نعم ان يغير النية ويبدل الامنية ويزيل قصد التقرب به الى غير الله ويرفع به الصوت خلاف ما رفع به اولا ويتوب وينيب عنه ثم يذبح ويذكر عليه اسم الله تعالى يحل اكله واذا انقرر لك ان الاهلال بمعنى رفع الصوت في اللغة لا بمعنى الذبح علمت ان الذي فسره بالذبح قد غلط غلطا بينا او تجوز ولا يصار الى المجاز الا عند تعذر الحقيقة او تاول رفع الصوت بالذبح بناء على سبب النزول وانما العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فقد فسرنا

للإهلال في البقرة والمائدة والأنعام بما فسر به جمهور المفسرين فهو تسامح سبق به القلم وأما الحق
في المقام فتفسيره برفع الصوت وإلغاء قيد الذبح ليتناول النظم الكريم كل حيوان رفع به الصوت لغير الله
سبحانه وتعالى سواء ذبح باسم الله أو باسم غيره وعليه تدل اللغة العربية وهي الأصل المقدم في تفسير
كلام الله العزيز على الجميع ما لم يعارضه نص مقدم أو تأول مرجح أو دليل مساو والذي فسرنا به الآية
هو ما نبه عليه الشيخ عبد العزيز المحدث الدهلوي رحمه الله تعالى في تفسيره وهو الصواب وبالله التوفيق
وقال الله تعالى يا صاحبي السجن جعلهما مصاحبين للسجن لطول مقامهما فيه وقيل المراد يا صاحبيّ
في السجن لأن السجن ليس بمصحوب بل مصحوب فيه وإن ذلك من باب يا سارق الليلة وعلى الأول يكون من
باب الإضافة إلى الشبيه بالمفعول به والمعنى يا ساكني السجن كقوله أصحاب الجنة وأصحاب النار
قال قتادة لما عرف يوسف أن أحدهما مقتول دعاهما إلى حظهما من ربهما وإلى نصيبهما من آخرتهما
فقال أأرباب متفرقون الاستفهام للإنكار مع التوبيخ والتقريع ومعنى التفرق هنا هو التفرق في الذوات
والصفات والعدد أي هل الأرباب المتفرقون في ذواتهم المختلفون في صفاتهم المتنافون في
عددهم خير لكما يا صاحبي السجن أم الله الواحد القهار الذي لا يغالبه مغالب ولا يعانده معاند قيل
استفهام تقرير أي طلب الإقرار بجواب الاستفهام أي أقروا واعلموا أن الله هو الخير والأول أولى أورد
يوسف عليهما هذه الحجة القاهرة على طريق الاستفهام لأنهما كانا ممن يعبد الأصنام وقد قيل إنه كان بين
أيديهما أصنام يعبدونها عند أن خاطبهما بهذا الخطاب ولهذا قال لهما ما تعبدون من دونه إلا أسماء
فارغة لا مسميات لها وإن كنتم تزعمون أن لها مسميات وهي الآلهة التي تعبدونها لكنها لما كانت
لا تستحق التسمية بذلك صارت الأسماء كأنها لا مسميات لها وقيل المعنى ما تعبدون من دونه
إلا مسميات أسماء وقيل خطاب لأهل السجن جميعا لا لخصوص الصاحبين وهذا هو الأظهر وكذلك
ما بعده من الضمائر لأنه قصد خطاب صاحبي السجن ومن كان على دينهم سميتموها أنتم وآباؤكم من
تلقائكم بمحض جهلكم وضلالكم وليس لها من الإلهية شيء إلا مجرد الأسماء لكونها جمادات لا تسمع
ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر والتقدير سميتموها آلهة من عند أنفسكم ما أنزل الله بها أي بتلك التسمية
المستتبعة للعبادة من سلطان من حجة تدل على صحتها أي ما الحكم في أمر العبادة المتفرعة على
تلك التسمية إلا لله عز سلطانه لأنه المستحق لها بالذات إذ هو الذي خلقكم وخلق هذه الأصنام التي

جعلتموها معبودة بدون حجة ولا برهان امر ان لا تعبدوا الا اياه حسبما تقتضي به قضية العقول
ايضا والجملة مستانفة او حالية والاول هو الظاهر والمعنى انه امركم بتخصيصه بالعبادة دون
غيره مما تزعمون انه معبود تقربون لهم ان عبادته وحده دون غيره هي دين الله الذي لا دين غيره
فقال ذلك اي تخصيصه تعالى بالعبادة الدين القيم اي المستقيم الثابت العدل الذي تعاضدت
عليه البراهين عقلا ونقلا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك دينه القويم وصراطه المستقيم لجهلهم
وبعدهم عن الحقائق او لا يعلمون ما يصيرون اليه من العذاب فيشركون وهذا يدل على ان العقوبة
تلزم العبد وان جهل اذا امكن له العلم بطريقه قال بعض اهل العلم في تفسير هذه الآية فيها وجوه
الاول ان كون مالكين متعددين لمملوك واحد يضر كثيرا انما يكفيه ان يكون له مالك واحد قوي
قادر يقضي حاجاته كلها ويصلح جميع اموره الثاني انه لا حقيقة لهؤلاء المالكين وانهم ليس في الحقيقة
بشيء انما تخيلهم المشركون في خيالهم فظنوا ان الامطار في يد احدهم وانبات الحب في يد آخر واعطاء الاولاد
في اختيار آخر وشفاء المريض في يد آخر فيسمونهم باسماء من عندهم ويقولون ان اسم مالك الشيء الفلاني
كذا او الفلاني كذا ويعتقدونهم ويدعونهم عند ارادة انجاح تلك المرادات وقضاء تلك الحوائج
فتجري هذه الرسوم بعد مدة عموما في الناس كلهم مع انها خيالات محضة لهؤلاء المشركين لا حقيقة
لها في نفس الامر ولا معبود هنالك غير الله ولا مالك ولا اسم لاحد ولا دخل له في شيء من افعال الباري
تعالى انما ذلك خيال بحت ليس هنالك مالك ومختار مسمى بهذا الاسم المنحوت المتخيل بل الذي هذه الافعال
في يده اسمه الشريف الجليل الله لا محمد ولا علي واما من اسمه محمد او علي فليس مختارا الشيء فمحمد او علي الذي
تكون امور العالم بيده لا وجود له حقيقة ولا شخص مسمى بهذا الاسم في نفس الامر يكون له هذه القدرة
بل هذا خيال صرف ولم يأذن الله بهذه الخيالات لاحد من عباده ولا اعتبار بحكم احد وقد منع الله
سبحانه من مثل هذه التخييلات ومن ذلك الذي يعتبر قوله في هذا الباب واصل الدين ان يمتثل
امر الله ولا يمتثل امر احد في مقابلة حكمه ولكن اكثر الناس لا يسلكون هذا المسلك انما يسلكون
رسوم كبرائهم ويقدمونها على حكم الله سبحانه والآية قد دلت على ان قبول رسم احد والاستناد
بحكمه مما خصه الله تعالى لتعظيمه وجعله شعار حرماته فمن عامل مع مخلوق هذه المعاملة فالشرك
يثبت عليه وطريق وصول حكم الرب الى العباد هو بعثة الرسول اليهم واخباره اياهم فمن فعل هذا

إمام او شهيد او عميد او صوفي او درويش حي او غوث او قطب او ابدال او اوتاد او رجل ولي او شيخ او نبي
او كامل او حاج او دراويش او ارباب او حبر او سلطان او دربار او استاذ او رئيس او زعيم او كاهن او منجم
او ساحر وتقدم رسوم هؤلاء ومراسمهم وتقاليدهم وتعظيمهم ويجد بأن يقدم على ارشادات الرسول صلى الله عليه وآله
وسلم وملفوظاته المدونة في دواوين السنة المطهرة وعلى آية من الكتاب العزيز واستند في معاملته
مرشد له او شيخ او استاذ او معلم او حكيم فلسفي او متكلم نظاري او مانع فاسد او رأي كاسد او تقليد الجاهلية
وظن ان الشرع نفسه هو حكم الرسول والنبي فقط وليس من جهة الله تعالى بل هو يشرع من تلقاء نفسه
ما يريد ويقول ما يشاء سلم بذلك على امه فهذه الامور والاعتقادات مثبتة للشرك جلي والعياذ بالله
بل الحاكم على الحقيقة والشارع في نفس الامر هو الله تعالى وحده لا شريك له كما قال تعالى ان الحكم
الا لله وما شأن الرسول أي رسول كان وفي أي عصر كان الى حامل الرسل الا الابلاغ حكم الله سبحانه
الى عباده فقط ودعوتهم اليه بالقلب واللسان واستعمال الاركان فمن كان قوله من هؤلاء
الشارع اليهم من تلقاء الحكم الرسل ووحيه سبحانه وتعالى فهو الحقيق بالقول ومن خالف فليعلم ان الله
تعالى وحديث رسوله براء منه كجدى مردود عليه مضروب به في وجهه وان بلغ في الرتبة والمكانة
الى غاية فان الحق اكبر من كل كبير انما هذه الكبرياء الرفيعة تأمل فيما نقلنا هنا تصادف نفي الارباب المتفرقة
وفي ان هذه الاسماء لا مسميات لها في الواقع وان الله لم ينزل بها سلطانا ولم تقم عليها حجة ولا برهان
وليس لاحد في العالم الحاضر والآتي حكم الا الله وحده لا شريك له في خلقه وامره ولا معبود الا هو
وحده وذلك هو الدين القيم والصراط السوي والشرع القويم ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيشركون
بالله تعالى في الحكم والامر والتصرف في الخلق وذلك هو السلوك الجلي الواضح الذي لا يغفره سبحانه
الله ان يغفره ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من عباده فتأمل ايها المسكين في حالك ومآلك وفي نفسك من
عذاب الله الاليم ومن عقابه الشديد ودامت ما دمت حيا يمكنك الخلاص من هذه الورطة المهلكة
واذا مت وذهبت من الدنيا وكنت مشركا وكان في اعتقادك شيء من هذه الامور ولم تعرف الله
ولم تدرك ما جاء به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من النهي عن الشرك وانواعه فيا حسرتا
حسرة دائمة ولا علاج لك بعد ذلك واعلم انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وان كل ذنب
يرجى عفوه الا الشرك فان دخول المشرك في النار خالدا مخلدا مقطوع به بنص القرآن ودليل السنة

ولا ينفعك منه الجد والآيات القرآنية في ذلك كثيرة طيبة جدا لا يحصرها العدد ومن لم يستشف بالقليل لم ينفعه الكثير هذا القرآن الشريف معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم باهرة باقية دائمة الى نفخ الصور وقيام الساعة فيه شفاء ورحمة للمؤمنين فعليك به حتى تخرج من سبيل الشرك الى صراط العزيز الحميد وهذه دواوين السنة المطهرة على وجه البسيطة منتشرة في ايدي المسلمين باقية ان شاء الله تعالى الى آخر الدهر فيها كل هداية والنهي عن كل ضلالة فمن تمسك بها فقد رشد واهتدى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وذلك ان النصارى عبدوا غير الله وهو المسيح واشركوا به وهو قولهم اب وابن وروح القدس فجعلوا الواحد ثلاثة وقد اخرج البخاري ومسلم والنسائي عن ابن عباس قال حدثني ابو سفيان ان هرقل دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الى قوله بانا مسلمون واخرج الطبراني عن ابن عباس ان كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الكفار تعالوا الى كلمة الآية واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابن جريج قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا يهود المدينة الى ما في هذه الآية فابوا عليه فجاهدهم حتى اقروا بالجزية وعن قتادة قال ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا يهود اهل المدينة الى الكلمة السواء ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله تبكيت لمن اعتقد ربوبية المسيح وعزير واشارة الى ان هؤلاء من جنس البشر وبعض منهم وازراء على من قلد الرجال في دين الله فحلل ما حللوه وحرم ما حرموه عليه فان من فعل ذلك فقد اتخذ من قلده ربا ومنه اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال ابن جريج اي لا يطيع بعضنا بعضا في معصية الله ويقال ان تلك الربوبية ان يطيع الناس سادتهم وقادتهم في غير عبادة وان لم يصلوا لهم وعن عكرمة قال يسجد بعضهم بعضا فان تولوا اعرضوا عن التوحيد فقولوا اي انت والمؤمنون اشهدوا بانا مسلمون موحدون لما لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون وقال تعالى واعبدوا الله يعني وحدوه واطيعوه و عبادة الله عبارة عن كل فعل يأتي به العبد لمجرد الله سبحانه ويدخل فيه جميع اعمال القلوب وافعال

ابن ابج ولا تشركوا به شيئا اما مفعول به اي شيئا من الاشياء من حجر وشجر حي وميت ونحوه
وحيوان واما مصدر اي شيئا من الاشراك من غير فرق بين الشرك الاكبر والاصغر والواضح والخفي
وقال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله
ربي وربكم اي والحال ان قد قال المسيح هذه المقالة فكيف يدعون الالهية لمن يعترف على نفسه
بانه عبد مثلهم ودلائل الحدوث ظاهرة عليه انه اي الشان من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة
فيه بيان ان الشرك يوجب حرمان دخول الجنة اذا مات صاحبه على شركه وقيل هو من قول عيسى
ومأواه النار اي مصيره اليها في الاخرة وما للظالمين من انصار اي المشركين فيصرفهم من دخول
الجنة او يخلصهم من النار وجمع صيغة الجمع هنا للاشعار بان نصرة الواحد امر غير محتاج الى
التعرض لنفيه لشدة ظهوره وانما نفي التعرض لنفي نصرة الجمع لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة
وهم النصارى والمراد بالثلاثة الله سبحانه وعيسى ومريم كما يدل عليه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين قال في فتح البيان ولا ترى في الدنيا مقالة اشد فسادا ولا اظهر بطلانا من مقالة النصارى
وما من اله الا اله واحد اي ليس في الوجود الا الله لا ثاني له ولا شريك له ولا ولد له ولا صاحبة له الا الله
سبحانه وان لم ينتهوا عما يقولون من الكفر ومن هذه المقالة الخبيثة ليمسن الذين كفروا منهم عذاب
اليم اي نوع شديد الالم من العذاب وجيع في الاخرة وقال تعالى وجعلوا لله شركاء الجن فعبدوهم
كما عبدوه وعظموهم كما عظموه قال الحسن اي اطاعوا الجن في عبادة الاوثان وقال الزجاج اطاعوهم
فيما سولت لهم من شركهم وقيل المراد بالجن هنا الملائكة لاستتارهم وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير
علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض على غير مثال سبق انى يكون له ولد ولم تكن له
صاحبة والصاحبة اذا لم توجد استحال وجود الولد وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم لا يخفى عليه من
مخلوقاته خافية وهذه الاية حجة قاطعة على فساد قول النصارى وقال تعالى وقالوا اجئتنا لنعبد الله
وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا من الاصنام والاوثان ونحوها وهذا داخل في جملة ما استنكروه وهكذا
يقول المقلدة لاهل الاتباع والمبتدعة لاهل السنة والمشركون لاصحاب التوحيد فأتنا بما تعدنا ان كنت
من الصادقين هذا استعجال منهم بالعذاب الذي كان هود عليه السلام يعدهم به لشدة تمردهم
على الله ونكوصهم عن طريق الحق وبعدهم عن اتباع الصواب وقال تعالى [illegible]

واحدا اي والحال انهم ما امروا في الكتب القديمة المنزلة عليهم على السنة انبيائهم الا بعبادة الله
وحده لا اله الا هو سبحانه عما يشركون اي تنزيها له عن الاشراك في طاعته وعبادته وقال تعالى قالوا يا
صالح قد كنت فينا مرجوا اي كنا نرجو ان تكون فينا سيدا مطاعا ننتفع برأيك ونسعد بسيادتك لما نرى
فيك من مخائل الرشد والسداد قبل هذا اي الذي اظهرته من دعوتك الى التوحيد اتنهانا ان نعبد ما
يعبد اباؤنا وانا لفي شك مما تدعونا اليه من عبادة الله وحده مريب يعني انا مرتابون في عبادة الله وحده
وترك عبادة الاوثان فالاية الشريفة فيها دلالة على رد الاشراك في العبادة وقال تعالى قل انما امرت ان اعبد الله
ولا اشرك به بوجه من الوجوه اي قل لهم ذلك الزاما للحجة وردا للانكار انما امرت فيما انزل الي بعبادة الله
وحده من دون شرك به في شيء منها وهذا امر اتفقت عليه الشرائع وتطابقت على عدم انكاره جميع الملل
المقتدية بالرسل اليه اي الى الله وحده لا الى غيره ادعو واليه مآب لا الى غيره قال قتادة اليه مصير كل
عبد وقال تعالى فاصدع بما تؤمر من الشرائع واظهره وقيل اقصد وقيل فرق جمعهم وكلمتهم بان تدعوهم
الى التوحيد واعرض عن المشركين اي لا تبال بهم ولا تلتفت اليهم انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون
مع الله الها اخر اي لم يكن ذنبهم مجرد الاستهزاء بل لهم ذنب اخر وهو الشرك بالله سبحانه ثم توعدهم
فقال فسوف يعلمون كيف عاقبتهم في الاخرة وما يصيبهم من عقوبة الله فيه انهم كانوا مشركين به سبحانه
في العبادة فاستحقوا هذا الوعيد وقال تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله وحده واجتنبوا
الطاغوت اي اتركوا كل معبود من دون الله كالشيطان والكاهن والمنجم والساحر والصنم والوثن وكل من
دعا الى الضلال فمنهم من هدى الله اي ارشده الى دينه وتوحيده وعبادته واجتناب الطاغوت
فامن ومنهم من حقت عليه الضلالة اي وجبت وثبتت بالقضاء السابق في الازل لاصراره على الشرك
والكفر والعناد فلم يؤمن قال في فتح البيان وفي هذه الاية التصريح بان الله امر جميع عباده بعبادته واجتناب
الشيطان وكل ما يدعو الى الضلال وانهم بعد ذلك فريقان فكان في ذلك دليل على ان امر الله لا يستلزم
موافقة ارادته فانه يامر الكل بالايمان ولا يريد الهداية الا للبعض اذ لو ارادها للكل لم يكفر احد انتهى
والاية على هذا شاملة لكل داع الى الضلالة كائنا من كان واينما كان وفي اي وقت وزمان كان وعلى
ان الداعي اليها داخل في مفهوم الطاغوت فهؤلاء الكذابون الدجالون الداعون الى مذهب الدهرية انكار
المعاد ووجود الملائكة والشياطين والجن جميعهم طاغوت يجب الاجتناب عنهم والامر للوجوب وقال تعالى

وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه أي أمر أمرا دينيا وحكم حكما قطعيا وقال في الاحتجاج بها وهذا نهي عن
عبادة غير الله تعالى ووجوب عبادة الله وكالمنع من عبادة غيره وهذا هو الحق الذي جاءت به الرسل وأنزل
لأجله الكتب ولا يصح الشرك مطلقا إلا في العبادات وقال تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما
تدعوا فله الأسماء الحسنى فيه الأمر بدعائه سبحانه والدعاء هو العبادة والعبادة لا تكون ولا تصح إلا له
وحده وقال تعالى إن الله ربي وربكم فاعبدوه ولا تعبدوا غيره فتكونوا من المشركين به هذا صراط مستقيم
لا اعوجاج فيه ولا يضل سالكه ومن عبد غيره سبحانه فقد ضل عن سواء الطريق وقال تعالى إذ قال لأبيه
يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا من الأشياء ولا يجلب لك نفعا ولا يدفع عنك
ضرا نهى إبراهيم عليه السلام أباه آزر عن الشرك في العبادة إلى قوله يا أبت لا تعبد الشيطان أي لا تطعه
فإن عبادة غير الله من الأصنام ونحوها من طاعة الشيطان وهو الشرك الواضح وقال تعالى وأعتزلكم وما
تدعون من دون الله وأدعو ربي وحده عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا كما شقيتم بعبادة الأوثان و
صرتم مشركين بالرحمن وقال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا قيل هم مشركو قريش وقيل اليهود قال في
فتح البيان ويصح حمل الآية على كل من جعل لله ولدا وقد قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح
ابن الله وقالت طائفة من العرب الملائكة بنات الله سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم
بأمره يعملون أي المطيعون لربهم ولا يخالفونه قولا ولا عملا إلى قوله ولا يشفعون إلا لمن ارتضى أن يشفع له
وهو من رضي عنه وقال هم أهل لا إله إلا الله يعني الموحدين المخلصين له الدين وهم من خشيته مشفقون
والخشية الخوف مع التعظيم ومن يقل منهم أي من الملائكة إني إله من دونه قال المفسرون عنى
بهذا إبليس لأنه لم يقل أحد من الملائكة إني إله إلا إبليس وذلك على سبيل التمثيل والتقدير إذ هم معترفون
بالعبودية وإبليس من رحمة الله وكونه من الملائكة باعتبار أنه كان مغمورا وداخلا فيهم وقيل الضمير
للملائكة مطلقا وقيل الإشارة إلى جميع الأنبياء والعموم أولى وألصق بظاهر النظم القرآني أي لأن العبرة
به لا خصوص الأسباب نجزيه جهنم أي بسبب هذا القول الذي قاله كما نجزي غيره من المشركين
كذلك نجزي الظالمين الواضعين الإلهية والعبادة في غير موضعها والمراد بالظلمة المشركون في عبادة
وقال تعالى في قصة نوح عليه السلام وأهلك إلا من سبق عليه القول أي الوعد بالإهلاك لأمثاله
منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا أي أشركوا في عبادة الله غيره [illegible]

اي مقضي عليهم بالاغراق لظلمهم وهو الشرك بالله تعالى في عبادته فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين اي المشركين وقال تعالى ومن يدع مع الله الها اخر يعبده مع الله او يعبده وحده ولا يعبد الله لا برهان له به اي الحجة الواضحة والدليل المبين فانما حسابه عند ربه اي فهو مجازٍ له بقدر ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون الذين كفروا بربهم واشركوا به بعبادة غيره سبحانه وتعالى وهذا نص في عدم غفران المشركين وقال تعالى انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة اي مكة خصها لكون بيت الله الحرام فيها ولكونها احب البلاد الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى قل يا محمد انما امرت ان اخصص الله بالعبادة وحده لا شريك له الذي حرمها وله كل شيء من الاشياء خلقا وملكا وتصرفا وامرت ان اكون من المسلمين الموحدين المنقادين لامر الله تعالى ونهيه بالطاعة واجتناب الطاغوت وقال تعالى يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون نزلت الاية الشريفة في مسلمي اهل مكة يقول الله ان كنتم في ضيق فيها من اظهار التوحيد والايمان فاخرجوا منها لتتيسر لكم عبادتي وحدي وتتسهل عليكم قال الزجاج امروا بالهجرة من الموضع الذي لا يمكنهم فيه عبادة الله وحده وكذا يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى حيث يتهيأ له ان يعبد الله وحده حق عبادته ولا يشرك به شيئا وعلى الجملة فالاية دليل على اخلاص العبادة لله وعدم الشرك فيها وقال تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم العهد هي الوصية والتقدم بامر فيه خير ومنفعة والمراد هنا ما كلفهم الله به على السنة الرسل من الاوامر والنوا ومن جملتها ان لا تعبدوا الشيطان اي لا تطيعوه في ترك عبادة الله وحده وعبادة غيره وقيل المراد بالعهد هنا الميثاق المأخوذ عليهم حين اخرجوا من ظهر ادم عليه السلام وانما عبر عن طاعة الشيطان بعبادته لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادة الله تعالى انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا اي عبادة الله وحده وتوحيده او دين الاسلام صراط مستقيم اي بليغ في الاستقامة ولا صراط اقوم منه ولقد اضل منكم جبلا كثيرا اي ان الشيطان قد اغوى خلقا كثيرا عن التوحيد وعن عبادة الله وحده افلم تكونوا تعقلون عداوته لكم في ايقاعه اياكم في الشرك به سبحانه في العبادات وقال تعالى انهم اي المشركين كانوا اذا قيل لهم قولوا لا اله الا الله يستكبرون عن القبول اي لا يقبلون القول بعبادة الله وحده بل كانوا يشركون به سبحانه غيره في العبادة والدعاء وقد اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم

وابن مردويه والبيهقي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله وعن ابن عباس قال كانوا اذا لم يشرك بالله يستنكفون وهذا دليل على ان دعوة الرسل كانت لاجل توحيد العبادة وترك الاشراك وبيان ان المستكبر من ذلك هو الذي يشرك ولا يوحد وقال تعالى فاعبد الله مخلصا له الدين اي من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر والاخلاص ان يقصد العبد بعمله وجه الله وحده والدين العبادة والطاعة فهو امر بتوحيد الله بانه لا شريك له الا لله الدين الخالص من شوائب الشرك وغيره وما سواه من الاديان فليس بدين الله الخالص الذي امر به قال قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله اي لا معبود بحق الا هو وفي الحديث ان الله لا يقبل الا الخالص ثم تلا هذه الآية اخرجه ابن مردويه عن يزيد الرقاشي فلما امر سبحانه بعبادته وحده والاخلاص ان الدين الخالص له لا لغيره بين بطلان الشرك الذي هو مخالف الاخلاص فقال والذين اتخذوا من دونه اولياء الموصول عبارة عن المشركين الظالمين ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى اي تقريبا والمراد بالزلفى الشفاعة كما حكاه الواحدي عن المفسرين والاستثناء مفرغ من اعم العلل والمعنى ان الذين لم يخلصوا العبادة لله وحده بل شابوها بعبادة غيره قائلين ما نعبدهم لشيء من الاشياء الا ليقربونا اليه سبحانه ويشفعوا لنا ان الله يحكم بينهم اي بين اهل الاديان يوم القيامة فيجازي كلا بما يستحقه او بين المخلصين للدين وبين الذين لم يخلصوا بل اشركوا او تسامحوا فيما هم فيه يختلفون من التوحيد والشرك فان كل طائفة تدعي ان الحق معها وان الباطل مع غيرها

٥ وكل يدعي وصلا لليلى + وليلى لا تقر لهم بذاكا +

وما احسن ما قيل

٥ ستعلم ليلى اي دين تداينت + واي غريم في التقاضي غريمها +

وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون وقال تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين اي من الشرك والرياء ونحوهما وامرت لان اكون اول المسلمين من هذه الامة وكذلك كان صلى الله عليه وآله وسلم فانه اول من خالف دين آبائه ودعا الى التوحيد ومنع من الشرك الى قوله قل الله اعبد مخلصا له ديني غير مشوب بشرك ولا رياء ولا غيرهما فاعبدوا ما شئتم اي تعبدوه من دونه الامر للتهديد والتقريع والتوبيخ كقوله اعملوا ما شئتم وفيه ايذان بانهم لا يعبدون الله ويعبدون غيره وقال تعالى قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون اي بعد مشاهدة الآيات الدالة على توحيده وانفراده ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك من الرسل لئن اشركت يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصا ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين لبية

والانذار للعباد من الشرك لانه اذا كان موجبا لاحباط عمل الانبياء على الفرض والتقدير فهو محبط لعمل غيرهم بالطريق الاولى وقيل هذا خاص بالانبياء لان الشرك منهم اعظم ذنبا من الشرك من غيرهم بل الله فاعبده هذا رد على المشركين حيث امروه بعبادة غير الله تعالى وكن من الشاكرين لانعامه عليك بما هداك اليه من التوحيد والدعاء الى دينه **وقال تعالى** وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اي ذليلين صاغرين وهذا وعيد شديد لمن استكبر عن دعاء الله ودعا غير الله في الشدائد والحوائج وعن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء هو العبادة ثم قرأ هذه الآية اخرجه الترمذي وقال حسن صحيح والبخاري في الادب المفرد وابو داود والنسائي وابن ماجة وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه وابو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب واحمد وابن ابي شيبة وعبد بن حميد وسعيد بن منصور والطبراني وهذا الحديث نص في محل النزاع وتفسير مرفوع لا ينبغي العدول عنه **وقال تعالى** ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا اله الا هو اي الباقي الذي لا يفنى المتفرد بالالوهية وهذا التركيب يفيد الحصر فادعوه اي اعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة والعبادة من الشرك الى قوله قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون اي تعبدون من دون الله **وقال تعالى** واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون من دون الله وتشركون به الا الذي فطرني اي خلقني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه اي جعل كلمة التوحيد باقية في عقب ابراهيم وهم ذريته فلا يزال يوجد فيهم من يوحد الله وفاعل جعلها ابراهيم وذلك حيث وصاهم بالتوحيد وامرهم ان يدينوا به كما في قوله ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب وقيل الفاعل هو الله تعالى قلت ولا مانع من حمل اللفظ على المعنيين قال قتادة الكلمة لا اله الا الله لا يزال من عقبه من يعبد الله الى يوم القيامة ويوحده ويدعو الى توحيده وقال عكرمة هي الاسلام لعلهم يرجعون اي رجاء ان يرجع اليها من يشرك منهم بدعاء من يوحد قال القرطبي في ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ محمد صلى الله عليه وآله وسلم فارزقني ومن اخلفه من بعدي توحيدا لا يزال ولا يزول ولا يفنى ابدا ولا يحول **وقال تعالى** ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا اي عبادة الله وحده والعمل بشرائعه صراط مستقيم هذا تمام كلام عيسى عليه السلام فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا وهم الذين اشركوا بالله ولم يعملوا بشرائعه من عذاب يوم اليم اي الم عذابه وهو يوم القيامة **وقال تعالى** ولا تجعلوا مع الله الها آخر تخصيص على اعظم ما يجب

ان يعبدوه وهو حرامه ثم من الشرك بالله اي لكونه يدريسين الى قوله وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون اي يوحدون ويعرفون الله بالوحدانية واخلاص العبادة له وعدم الشرك به تعالى
في شيء من الاشياء وقال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة اي خصلة حميدة تقتدون بها في ابراهيم
اي في افعاله واقواله والذين معه من اصحابه الموحدين المؤمنين بالله وحده اذ قالوا لقومهم انا برآؤا
منكم اي من دينكم الشرك ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة بالافعال
والبغضاء بالقلوب ابدا اي هذا دائما معكم ما كنتم على شرككم وكفركم حتى تؤمنوا بالله وحده وتتركوا
ما انتم عليه من الشرك فاذا فعلتم ذلك صارت تلك العداوة موالاة والبغضاء محبة فيه ايه هكذا
ينبغي لكل موحد مع كل مشرك في كل زمان وفي كل مصر وقطر ان يقول ويفعل وفيه اشارة الى ايثار
عداوة اهل الشرك وبغضهم على موالاتهم ومحبتهم وقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين قال الشهاب الاخلاص عدم الشرك وانه ليس بمعنى الاخلاص المتعارف حنفاء اي مائلين
عن الاديان كلها الى دين التوحيد وهو ملة الاسلام قال في فتح البيان الحنيف المطلق هو الذي يكون مائلا
عن اصول الملل الخمسة اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين وعن فروعها من جميع النحل
الى الاعتقادات الحقة وعن توابعها من الخطأ والنسيان الى العمل الصالح وهو مقام التقى وعن المكروهات
الى المستحبات وهو المقام الاول من الورع وعن الفضول شفقة على خلق الله وهو ما لا يعني الى ما يعني وهو
المقام الثاني من الورع عما يجر الى الفضول وهو مقام الزهد فالآية جامعة لمعاني الاخلاص الناظر احدهما
الى الحق والثاني الى الخلق اعني ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة اي دين الملة المستقيمة
والشريعة المتبعة وقال تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم من
دليل يدل على جواز ذلك اي الشرك وما للظالمين بالاشراك من نصير ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله
وقال تعالى أإله مع الله اي هل معبود معه سبحانه حتى تقرن به وتجعل شريكا له في العبادة بل هم
قوم يعدلون يسوون بالله غيره ويعدلون عن الحق وهو التوحيد الى الباطل وهو الشرك ولعل بل هم
عن الخطاب الابلغ في تخطئة رأيهم وقال تعالى ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون
فيه ايذان بانه لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده وقال تعالى
انما تعبدون من دون الله اوثانا لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع وتخلقون افكا اي تكذبون الذين تعبدون

من دون الله لا يملكون لكم رزقا اي شيئا منه فابتغوا عند الله الرزق واطلبوه من فضله واعبدوه
اي وحدوه ولا تعبدوا غيره سبحانه والآية الشريفة جامعة لبيان الشرك في العبادة وفي التصرف

وعن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من امتي بالمشركين
وحتى تعبد قبائل من امتي الاوثان قال بعض اهل العلم يعني ان الشرك على نوعين أحدهما ان ينحت صورة
فيعبده وهذا يقال له في اللسان العربي الصنم والثاني ان يعبد مكانا او شجرا او حجرا او خشبة او قرطاسا
ينسب الى اسم احد من الكبراء والعظماء وهذا يقال له في لغة العرب الوثن ويدخل فيه القبر واللحد
ومكان الاربعين والقضبان والتعزية والاعلام وما يقال له بالهندية شده ومهدي الامام قاسم والشيخ
الجيلي ومنصة الامام ومجلس الاستاذ والشيخ فان اهل الشرك يعظمون هذه الاشياء وينذرون هناك
نذورا ويطلبون المرادات بالسفر اليها وكذلك الطاق المنسوب الى اسم الشهيد او السيد والراية والمدفع
الذي ينذرون عليه التيس ويحلفون به ومثلها الامكنة التي عرفت باسم الامراض والاسقام كمكان
الجدري ومكان آلهة الهنود التي يقال لها بالهندية مساني او بهواني او كالي او براهي فهذه كلها يصدق
عليها مسمى الوثن وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان المسلمين الذين يشركون عند قرب
الساعة شركهم يكون من هذا القبيل فانهم يعتقدون هذه الاشياء ويؤمنون بها ويعظمونها بخلاف
المشركين الآخرين كمشركي العرب والهنود فان اكثرهم عابد الصنم يعني يعظمون الصور وكل طائفة من
هاتين الطائفتين مشركة بالله العلي العظيم عدو لرسوله الكريم وانه سيكون في امتي كذابون ثلثون
كلهم يزعم انه نبي الله وانا خاتم النبيين لا نبي بعدي فيه معجزة ظاهرة وآية بينة لرسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فقد وقع ما اخبر به بعده صلى الله عليه وآله وسلم ووجد الكذابون الثلثون اوائل وسيوجد
سائرهم وقد ذكر اسماءهم صاحب الاذاعة فيها والبرزنجي في الاشاعة والزعم
يشمل من صرح بنبوته ومن لم يصرح واضمرها في نفسه فيدخل في الحديث كل داعية الى الضلالة والهوى
والناهية عن شرع النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ومنهم من طالت فتنته في هذا الزمان الحاضر
في بلاد الهند واضل ناسا كثيرا واخرجهم من النور الى الظلمات وجمع مالا عددا وسافر الى قرى كثيرة
وصاحب امراء الدولة الضالة واستعان بهم في اشاعة طريقه المبني على المذهب الدهري مع انكار
المعاد الجسماني وابطال وجود الملائكة والجن بزعمه الباطل وانتصر له جمع من الاوغاد فويل لكل

همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلده كلا لينبذن في الحطمة وما ادراك ما الحطمة

نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة انها عليهم مؤصدة في عمد ممددة وبالجملة كل مضل ومدع الى سبيل غير سبيل الاسلام الذي درج عليه سلف هذه الامة وائمتها داخل في هذا الخبر من بدء زمان النبوة الى اخر ايام الدنيا كائنا من كان وفي اي مكان وزمان كان وسواء كان من الذين يعدون من اهل العلم او من الجهلاء السفهاء عبيد الدينار والدرهم الا ترى هذا الرجل المشار اليه كيف بلغ في الجهل منتهاه وهو يزعم انه نبي للطائفة النيچرية والحمقاء الذين لا عقل لهم ولا دين يصغون الى كلامه ويمشون على أثره طلبا للثروة الدنيا ودخلا في مجالس الولاة الرؤساء فما اصدق هذا الخبر على هؤلاء المتنبي وهذا الخبر نص صريح في كون نبينا صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الرسل اجمعين وانه لا نبي بعده ابدا اصلا ويؤيده قوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين ومن كمال فضل الله تعالى على هذه الامة المرحومة ان كل من ادعى نبوة او رسالة في قطر من الاقطار او افق من الافاق لم تنفق دعواه وقام جمع من العباد المخلصين لرد مقالته حتى جاء الحق وزهق الباطل وسطع نور الاسلام واضمحل الكفر في كل مقام انظر الى هذا الرجل المتنبي كيف ردوا عليه حتى افحموه ولكن اذا لم يستحي احد فليفعل ما شاء وليقل ما اراد وان ربك لبالمرصاد ولا تزال طائفة من امتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى ياتي امر الله رواه ابو داود والترمذي وفي معناه احاديث اخر كلها يدل على بقاء الاسلام الى اخر الايام من الدنيا الفانية وعلى ان اهله لا يزالون على الحق الحقيق بالاتباع ظاهرون على اهل الباطل والضلال لا يصل اليهم ممن خالفهم ضرر ولا تقصير وهذا ايضا معجزة ظاهرة واية باهرة لقوم يؤمنون وجماعة يفهمون الشرائع ويعقلون وقد كان كما اخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم وسيكون فيما بعد ولله الحمد الا ترى علماء الكتاب والسنة كيف ظهروا في كل عصر ومكان من الدنيا على كل من خالفهم فغلبوا على اعداء الله تعالى وهم هم وكان حقا علينا نصر المؤمنين وهم في كل زمان مع قلة العدد والعدد وكثرة العدو والكمد سائرون دائرون يناظرهم اهل الشرك تارة والمبتدعة من المقلدة وغيرهم تارة والدهرية والفرقة الضالة الدنية والامامية الرافضة مرة والنيچرية الكفرة الفجرة اخرى وهم يجيبون كل واحدة من هذه الطوائف الجامدة على الضلالة جوابا شافيا ويردون عليها ردا مشبعا ويذبون عن الشريعة الحقة ذبا كاملا الا ترى ابناء هذا الزمان من مقلدة المذاهب لا سيما هؤلاء الحنفية الساكنة في ديار الهند كيف تكلموا في

اثبات تقليد الامام وجاء له بكل حشيش ولا يزال يجمع منهم يؤلف رسائل ويسود قراطيس في
رد العاملين بالكتاب والسنة والمتمسكين بهما عداوة للاسلام العتيق واذاعة لبدعتهم في كل فرق
ولكن الله ينصر عبده ويهزم الاحزاب وحده وينجز وعده فلا يضره من خالفه بل يزيد كل يوم شان
الموحدين ويكثر عددهم في العالمين والمقلدة هم الاذلون وان جندنا لهم الغالبون **وعن**
ابى الطفيل قال سئل علي رضي الله عنه هل خصكم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بشيء اي من امر
ظاهر او باطن فقال ما خصنا بشيء لم يعم به الناس الا ما في قراب سيفي هذا القراب بالكسر وعاء يكون
فيه السيف فاخرج صحيفة فيها لعن الله من ذبح لغير الله الحديث رواه مسلم قال بعض اهل العلم
هذا يدل على ان من ذبح حيوانا منسوبا الى احد من دون الله فهو ملعون ومطرود من رحمة الله
الواسعة التي شملت كل شيء وعمت كل ميت وحي وكان علي كرم الله وجهه كتب احاديث عديدة في
صحيفة جعلها في قراب سيفه فمنها هذا الحديث وانما فعل هذا اهتماما بشان هذه المسئلة وغيرها
كانها مما لا ينبغي ان ينسى في وقت من الاوقات فهذا الحديث دليل على ان ذبح الحيوان وازهاق
روحه على اسم احد من الامور التي خصها سبحانه وتعالى لتعظيمه فلا يجوز ان يذبح حيوان على اسم احد
كائنا من كان وفي اي مكانة ومنزلة من الصلاح والفلاح كان الا على اسم الله الذي خلق ذلك الحيوان
وهذا الانسان ومن خالف هذا او ذبحه على اسم غيره ولغيره فقد اشرك بالله وصار ملعونا على لسان
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وقد كثر الذبح في هذا الزمان على اسماء سموها هؤلاء واباؤهم
ما انزل الله بها من سلطان فاستحوذ عليهم الشيطان وذهب من اكثر الناس الايمان فانا لله وانا اليه
راجعون ومن هذا الذي لا يقدر على خلق ذباب وان استنقذ منه الذباب شيئا لا ينقذه ضعف
الطالب والمطلوب ثم يذبح له حيوان هو اكبر من الذباب والله ما قدروا الله حق قدره وقد تقدم
الكلام على ما اهل به لغير الله قريبا فراجعه وعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار حتى يعبد اللات والعزى اللات صنم كان لثقيف والعزى
صنم كان لغطفان فقلت يا رسول الله ان كنت لاظن حين انزل الله هو الذي ارسل رسوله بالهدى و
دين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ان ذلك تام قال انه سيكون من ذلك ما شاء الله
ثم يبعث الله ريحا طيبة فتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيبقى من لا خير فيه

فيرجعون الى دين آبائهم رواه مسلم في صحيحه قال بعض اهل العلم يعني ان الله تعالى اخبر في كتابه في سورة براءة من ظهور هذا الدين دين الاسلام على الاديان كلها وان كرهه اهل الشرك ففهمت عائشة من هذه الآية ان هذا الدين يكون باقيا الى يوم القيامة وظاهرا على الملل كلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ظهوره لابد ان يكون ولكن الى ما شاء الله ثم يرسل الله ارادة منه ريحا طيبة تتوفى كل من كان في قلبه قليل من الايمان ويبقى من الناس من لا يكون فيه من خير شيء لا تعظيم الله تعالى ولا سلوك سبيل رسوله بل شوقهم اتباع رسوم الآباء والاجداد وتقليد الرجال الاموات والاستاد فان اولئك لا ينتفعون بهذه الاسباب في الاشراك بالله تعالى الا ان آبائهم واجدادهم كانوا مشركين غالبا فمن استند بهم في الدين واستبد برأيه في فهم الشرع المبين فقد صار مشركا وصار مثله في الضلالة فهذا الحديث الشريف دل اوضح دلالة على انه يروج في آخر الزمن الشرك القديم كما راج في هذا العصر بل من قبل غالبية الشرك الجديد والمراد بالاول عبادة الاصنام وبالثاني عبادة الاوثان وقد تقدم الفرق بينهما وان الرسوم الجارية في جهلة المسلمين غالبها من هذا القسم الاخير وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الخبر ان القسم الاول ايضا سيقع في هذه الامة وقد وجدت علامات ما اخبر به الصادق المصدوق في هذا العصر وظهرت طلائعه في الآفاق وسطعت مقدماته في العالم الا ترى ان المسلمين كما يعاملون معاملة الشرك مع انبيائهم واوليائهم وشهدائهم فكذلك راج الشرك القديم ايضا فيهم فانهم يعظمون اصنام الكفار ويسلكون على رسومهم كالاستفسار من البرهمن في الامور والتفاؤل بالطيور وبساعات الدهر والاعتقاد بالجدري ونحوها كعبادة المساني وهنومان ولونا الدباغة وككابير والهتف باسمائهم والاعتياد باعياد الهنود كهولي ودوالي وبمراسم المجوس كنوروز ومهرجان والعبرة بكون القمر في العقرب وتحت الشعاع فان هذه من مراسم كفار الهند والفرس قد شاعت وراجت في جهلة المسلمين ومن هنا ثبت ان باب الشرك انما فتح على هؤلاء بالتمسك برسوم الآباء والاجداد وترك الاعتصام بالكتاب والسنة واخرج مسلم عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخرج الدجال فيبعث الله عيسى بن مريم فيطلبه فيهلكه ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الارض احد في قلبه مثقال ذرة من خير او ايمان الا قبضته فيبقى شرار الناس في خفة الطير واحلام السباع اي يكونون في سرعتهم الى الشر وقضاء

الشهوات والفسادات كالطير وفي ظلم بعضهم على بعض والسفك والقتل في اخلاق السباع كذا في مجمع البحار لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول الا تستحيون فيقولون فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الاوثان وهم في ذلك دارّ اي كثير رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور الحديث قال بعض اهل العلم يعني انه يموت المؤمنون في آخر الزمان ويبقى سفهاء الناس وحمقاؤهم يريدون ان ياكلوا اموال الناس ليلا ونهارا لا يعرفون الحسن ولا القبيح فيقول لهم الشيطان ان كونهم لا على دين اصلا محل الحيا فيشوقهم الى ايثار الدين فيختارون باغواء ابليس اللعين عبادة الاوثان ولا يسلكون مسلك كتاب الله ولا مسلك سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بل يستبدون بآرائهم وينحتون سبلا للدين فيقعون في الشرك ويبتلون بالضلال المبين ولكن الله تعالى لا يمنعهم من الرزق بل يرزقهم ويوسعهم فيه ويحسّن عيشهم والحالة هذه فيزيدون في الشرك زعما منهم انهم كلما زادوا في عبادة الاوثان ويزيدون فيه يقضى لهم الحوائج ويحصل لهم المرادات والمقاصد فينبغي المؤمن ان يخاف مكر الله ولا يامن كيده فان العبد قد يشرك بالله وياتي بالذنوب ويدعو غيره وهو يستدل عليه بقضاء الحاجة وانجاح المرام واسعاف المراد من حيث لا يشعر بل يدري انه على سبيل حق وطريق صواب فثبت انه لا اعتبار بحصول المراد وعدم حصوله بل الدين الحق دين التوحيد وهو المستحق ان لا يترك بحال من الاحوال واذا تقرر هذا فقد عرفت ان الحديث دل على ان الآدمي وان غرق في بحر الذنوب وصار وقحا لعانا فحاشا لم يقصر في اكل مال الآخر ولم يميز بين الحسن والقبيح فانه مع هذه الحال ايضا خير من المشرك الذي يعبد غير الله ويدعوه فان الشيطان يضلهم عنها ويهديهم الى هذه الطريق الموصلة الى صراط الجحيم انتهى وانك اذا تاملت في شان ابناء هذا الزمان وجدتهم في اعظم الاشراك واكبر الذنوب وهم مرزوقون منعمون في ارغد عيش واطيب حياة ولا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا بل ينكرون معروفا ويعرفون منكرا وهم في خفة الطير واحلام السباع اذا قال لهم احد اتبع كتاب الله وسنة رسوله عادوه وردوا عليه ورموه بكل حجر ومدر واذا قيل لهم انما الدين التمسك بكتب الفروع والتحقق بالتقليد الشخصي وما خالف ذلك فهو مذهب من لا مذهب له فرحوا به وضافوه واكرموه وهو عندهم من العلماء الراسخين واما من لا يقلد احدا من الرجال ولا يلتفت الى رأي احد ولا اجتهاده

والبيان بهذا من أشراط الساعة الكبرى وقد أظلت وتمت المائة الثالثة عشر من الهجرة المقدسة على صاحبها الصلوة والتحية والله أعلم ماذا يكون بعدها وإلى ما يؤول أمر الدين اللهم أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية هذا الحديث متفق عليه ومعنى تضطرب تتحرك والأليات بفتحتين جمع ألية وهي في الأصل اللحمة تكون في أصل العضو وقيل هي اللحمة المشرفة على الظهر والفخذ وهي لحم المقعد والمعنى حتى يرتدوا فتطوف نساؤهم حول ذي الخلصة قال في النهاية هو بيت كان فيه صنم لدوس وخثعم وبجيلة وغيرهم وقيل هي الكعبة اليمانية التي كانت في اليمن فأنفذ إليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جرير بن عبد الله فخربها وقيل اسم الصنم نفسه ويحدثه الخصا دون اسم الجنس والمعنى أنهم يرتدون إلى جاهليتهم في عبادة الأوثان فتسعى نساء بني دوس طائفات حول ذي الخلصة فترتج أكفالهن مضطربة ألياتهن كما كانت عادتهن في الجاهلية قاله في المرقاة شرح المشكوة وقال بعض أهل العلم إن دوسا اسم لقوم من العرب وكان فيهم صنم اسمه ذو الخلصة فصار في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الناس يعبدونها مرة أخرى ويطوف حولها نساؤهم مضطربة الأليات والأعجاز فدل هذا الحديث على أن طواف شيء غير بيت الله تعالى شرك ورسم من رسوم الكفار والله تعالى مسائل بهذه العادة أبدى وأقول يكون طواف ذي الخلصة عند قرب الساعة وهو من أشراطها ولكن الشأن كل الشأن في حال أنا شاهدنا الذين يطوفون حول قبور الأنبياء والأولياء والمشايخ والأئمة والشهداء وغيرهم من الصلحاء ويرونه من الأعمال الصالحة النافعة لهم في الدنيا والدين مع أن نعلم هذا من الشرك بمكان لا يخفى على من له أدنى إلمام بمدارك الشرع الشريف ومفاهيم الكتاب والسنة وعظمهما بل هم لا يقتصرون على ذلك الطواف حتى يعبدوا الصاحب القبر ويركعوا له ويسجدوا له كبرت وظلم محض وضلال صرف نعوذ به من الحور والجحود وما أشبه الليلة بالبارحة وبه العصمة من دعاوي الإيمان مع هذا الحال والشأن فسبحان الله وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

باب في رد الإشراك في العادات من الكتاب العزيز

قال الله تعالى ان يدعون من دونه الا اناثا اي ما يدعون من دون الله الا اصناما لها اسماء مؤنثة كاللات والعزى ومناة قاله ابي بن كعب وقيل المراد بالاناث الاموات التي لا روح لها كالخشبة والحجر قاله ابن عباس قال الزجاج الموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن المؤنث تقول هذه الحجر تعجبني وهذه الدرهم تنفعني وقد يطلق الانثى على الجمادات وقيل المراد بالاناث الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله قال الضحاك اتخذوهن اربابا وصوروهن صور الجواري فحلوا وقلدوا وقالوا هؤلاء يشبهن بنات الله الذي نعبده يعنون الملائكة وقرئ الا وثنا بضم الواو والثاء جمع وثن روي هذه عن عائشة وقرء ابن عباس الا اثنا جمع وثن ايضا وعلى جميع القرأت فهذا الكلام خارج مخرج التوبيخ للمشركين والازراء عليهم والتضعيف لعقولهم لكونهم عبدوا من دون الله نوعا ضعيفا وقال الحسن كان لكل حي من احياء العرب صنم يعبدونه ويسمونها انثى بني فلان فانزل الله هذه الاية وان يدعون من دونه الا شيطانا مريدا وهو ابليس لعنه الله لانهم اذا اطاعوه فيما سوّل لهم فقد عبدوه والمريد المتمرد العاتي من مرد اذا عتا قال الازهري المريد الخارج عن الطاعة قال ابن عباس لكل صنم شيطان يدخل في جوفه ويترأى للسدنة والكهنة ويكلمهم لعنه الله اصل اللعن الطرد والابعاد وهو في العرف ابعاد مقترن بسخط وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا اي لاجعلن قطعة مقدرة من عباد الله تحت غوايتي وفي جانب اضلالي حتى اخرجهم من عبادة الله الى الكفر به عن مقاتل بن حيان قال هذا ابليس يقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة وعن الربيع بن انس مثله قلت وهذا صحيح معنى ويؤيده قوله تعالى لادم يوم القيامة اخرج من ذريتك بعث النار فيقول يارب وما بعث النار فيقول الله تعالى اخرج من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين فعند ذلك تشيب الاطفال من شدة الهول اخرجه مسلم فنصيب الشيطان هو بعث النار والمعنى لاتخذن منهم حظا مقدرا معلوما فكل ما اطيع فيه ابليس فهو نصيبه ومفروضه واصل الفرض القطع وهذا النصيب هم الذين يتبعون خطواته ويقبلون وساوسه ولاضلنهم الاضلال الصرف عن طريق الهداية الى طريق الغواية والمراد به التزيين والوسوسة والا فليس اليه من الضلال شيء قال بعضهم لو كان الاضلال الى ابليس لاضل جميع الخلق ولامنينهم والمراد بالاماني التي يمنيهم بها الشيطان هي الاماني الباطلة الناشئة عن تسويله ووسوسته وقال ابن عباس يريد تسويف التوبة وتاخيرها وقال الكلبي امنيهم انه لا جنة ولا نار ولا بعث وقيل ادراك الجنة مع المعاصي وقيل ازين لهم ركوب الاهواء

والأحوال الداعية إلى العصيان، وقيل طول البقاء في الدنيا ونعيمها ليؤثروها على الآخرة، ولا مانع من
حمل اللفظ على الجميع. ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام أي ولآمرنهم بتبتيك آذانها أي تقطيعها
فليبتكنها بموجب أمري، والبتك القطع، ومنه سيف باتك أي قاطع، وقد فعل الكفار ذلك امتثالاً
لأمر الشيطان واتباعاً لرسمه فشقوا آذان البحائر والسوائب كما ذلك معروف. قال قتادة: التبتيك في البحيرة
والسائبة لطواغيتهم. ولآمرنهم فليغيرن خلق الله بموجب أمري لهم، واختلف أهل العلم في هذا
التغيير ما هو، فقالت طائفة: هو الخصي وفقء العين وقطع الآذان، وقال آخرون: إن المراد هو أن الله سبحانه
خلق الشمس والقمر والأحجار والنار ونحوها من المخلوقات لما خلقها له فغيرها الكفار بأن جعلوها آلهة
معبودة، وبه قال الزجاج، وقيل المراد تغيير الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وقيل نفي الأنساب واستلحاقها
أو تغيير الشيب بالسواد، أو بالتحريم والتحليل، أو بالتخنث، أو تغيير دين الإسلام. قلت: ولا مانع من حمل الآية
الشريفة على جميع هذه المعاني حملاً شمولياً أو بدلياً، لأن كل ما يصدق عليه مسمى تغيير خلق الله ولم يرد
به الشرع فالآية شاملة له، وقد رخص طائفة من العلماء في خصي البهائم إذا قصد بذلك زيادة الانتفاع
به لسمن أو غيره، وكره ذلك آخرون، فأما خصي بني آدم فحرام، وقد كره قوم شراء الخصي. قال القرطبي: لم يختلفوا
أن خصي بني آدم لا يحل ولا يجوز، وأنه مثلة وتغيير لخلق الله، وكذلك قطع سائر أعضائهم في غير حد
ولا قود، قاله أبو عمر بن عبد البر. وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي عن ابن عمر قال: نهى رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم عن خصي البهائم والخيل. وأخرج ابن المنذر والبيهقي عن ابن عباس في الآية قال: خلق الله دين الله.
وعن الضحاك وسعيد بن جبير مثله، وعن الحسن قال: الوشم ووصل الشعر. والأولى العموم وأن اللفظ يعم
من ذلك كما أشرنا إليه. وهذه الجمل الخمسة المحكية عن اللعين مما نطق به لسانه مقالاً أو حالاً، وما فيها من
اللامات لحسن بين القسم. ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله باتباعه وامتثال ما يأمره به وإيثار ما يدعوه
إليه من دون اتباع لما أمر الله به ولا امتثال له، وقيل الولي من الموالاة وهو الناصر، فقد خسر بتضييع
رأس ماله الفطري خسراناً مبيناً واضحاً ظاهراً، لأن طاعة الشيطان توصله إلى نار جهنم المؤبدة عليه
وهي غاية الخسران. يعدهم أي المواعيد الباطلة كطول العمر، ويمنيهم الأماني العاطلة في الدنيا، وما يعدهم
الشيطان أي ما يوقعه في خاطرهم من الوساوس الفاسدة إلا غروراً لغرهم به ويظهر لهم فيه النفع وهو
ضرر محض. قال ابن عرفة: الغرور ما رأيت له ظاهراً تحبه وله باطن مكروه. أولئك إشارة إلى أولياء الشيطان

بمراعاة معنى من مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا اي معدلا من حاص يحيص وقيل ملجأ ومخلصا
ومحيدا ومهربا والمحيص اسم مكان وقيل مصدر قال بعض العلماء في بيان معنى هذه الآية يعني ان يدعون
من دونه الا اناثا انما يقصدون في خيالهم النساء فمنهم من يسمى واحدة منهن باسم حضرة بي بي مثلا و
ومنهم من يسميها بي بي آسيا ومنهم من يسميها بي بي اوتاولى وبعضهم يسمى احدا منهن لال پري او سياه پري
يعني الجنية الحمراء او الجنية السوداء ومنهم من يسميها سيتلا يعني الحصبة او مساني او كالي وبالجملة فهم
يتخيلون مثل هذه الخيالات وليس هناك في نفس الامر وفي اصل الحقيقة امرأة ولا رجل انما هو
خيال مجرد وشيطان محض يتصل اليه نذورهم كلها فحق لا يبذلون النذور للاناث وهي واصلة الى
الشيطان ولا فائدة منها للناذرين في الدنيا ولا في الدين كيف والشيطان مطرود من باب الله مرجوم
من حضرته فما له ولنفع منه في الدين وهو عدو للانسان لا يشاء الخير له ابدا وانه قد قال في تجاه الله سبحانه
اني لاتخذن عبادا كثيرا لك عبيد النفس واني لاضلنهم عن طريق الصواب الى ان يتبعوا خيالاتهم ويجعلوا
الحيوانات على اسمي ويثبتوا عليها علامات على كونها نذرا لي كبتك الآذان وتقليد اعناقها بالخيوط
وتلوين نواصيها بالحناء ونحوه والقاء الوشاح على وجهها ووضع الفلس في الفم والحاصل ان وضع العلامة
على اي حيوان كان بانه لنذر فلان داخل في ذلك وايضا قال الشيطان اني آمرهم بان يغيروا الصورة التي
خلقها الله تعالى على هيأتها ثم اغير باصرة الانسان المخلوق عليها فمنهم من يجعل جعدا على الرأس
على اسم احد ومنهم من يثقب انفه او اذنه ومنهم من يحلق لحيته زينة للحيا ومنهم من يحلق المحاسن
والحواجب والشوارب كلها اظهارا الكمال في الفقر والشيخوخة ومنهم من يرسل الشوارب اطالة لها و
منهم من يقص شعور المحاسن الى غير ذلك من التغيرات الفاحشة والباطنة ومن هذا الوشم والقص والتفليج
والوصل في الشعور فكل ذلك تغير لخلق الله تعالى ووساوس من الشيطان الرجيم وكلها خلاف مراد الله
ومراد رسوله وخلاف مرضاتهما فمن ترك الله واتخذ الشيطان العدو وليا له وسلك سبيله واتبع خطواته
واقتفى آثار اضلاله وضلاله فقد صار مغبونا وعاد مغرورا لان الشيطان عدو للبشر باغض لجميع بني آدم ولا
قدرة له غير القاء الوساوس في قلوب الناس فشأنه ان يعدهم المواعيد الكاذبة بانه في الاعتقاد بفلان يكون كذا وفي
الاعتقاد بفلان يحصل كذا ويمنيهم الاماني البعيدة بانه ان كان له المال بقدر كذا يبني حديقة كذا او محلة كذا او يصنع
كذا ونحوها فيضطر الانسان ويتخبط وينسى الله سبحانه عنده هم مثل هذه الاماني والامال ويسعى

الى الشيطان واوليائه تحصيلا لمراداته وقضاء لحاجاته ولا يكون الا ما قدره الله في حقه وقضاه ولا ينفع الاعتقاد ولا النذور في فلان ولفلان اصلا وما ذلك الا وسواس الشيطان وغروره واغواؤه وخدعته للانسان وعاقبة هذه الامور هو الاعراض عن الله سبحانه والاقبال على العدو والوقوع في شرك الشرك والنصب والعناء والصيرورة من اهل النار والتقيد بصيده بحيث لا يمكن الخلاص منه وان شاءه بجامع قلبه وقالبه ونعوذ بالله منه وقال تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة اي آدم قاله جمهور المفسرين والتأنيث باعتبار لفظ النفس وهذا كلام مبتدأ يتضمن ذكر نعم الله على عباده وعدم مكافأتهم لها بما يجب من الشكر والاعتراف بالعبودية وانه المنفرد بالالوهية والربوبية وجعل منها اي من هذه النفس وقيل من جنسها كما في قوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا والاول اولى زوجها وهي حوى خلقها من ضلع آدم عليهما السلام ليسكن علة للجعل اي لاجل ان يانس اليها ويطمئن بها فان الجنس الى جنسه اسكن وبه آنس وكان هذا في الجنة كما وردت بذلك الاخبار ثم ابتدأ سبحانه بحالة اخرى كانت بينهما في الدنيا بعد هبوطهما فلما تغشاها اي آدم زوجه والتغشي كناية عن الوقاع اي فلما جامعها كنى به عن الجماع احسن كناية لان الغشيان اتيان الرجل المرأة وقد غشيها وتغشاها اذا علاها وتجللها حملت حملا خفيفا اي علقت به بعد الجماع والمشهور ان الحمل بالفتح ما كان في بطن او على شجرة والحمل بالكسر خلافه وقد حكي في كل منهما الكسر والفتح فمرت به اي استمرت بذلك الحمل تقوم وتقعد وتمضي في حوائجها لا تجد به ثقلا ولا مشقة ولا كلفة وقرئ فمرت به بالتخفيف اي جزعت لذلك وقرئ فمارت به من المور وهو المجيء والذهاب قال سمرة حملا خفيفا لم يستبن فمرت به لما استبان حملها وقال ابن عباس فمرت به اي شكت احملت ام لا فلما اثقلت اي صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها دعوا الله اي دعا آدم وحواء ربهما ومالك امرهما لئن آتيتنا صالحا عن ابي صالح قال اشفقا ان يكون بهيمة فقالا لئن آتيتنا بشرا سويا وعن مجاهد نحوه وعن الحسن قال غلاما سويا اي مستوي الاعضاء خاليا عن العوج والعرج ونحوهما وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة وفي هذا الدعاء دليل على انهما قد علما ان ما حدث في بطن حوى من اثر ذلك الجماع هو من جنسهما وعلما بثبوت النسل المتأثر عن ذلك السبب

فلما آتاهما صالحا اي ما طلباه من الولد الصالح واجاب سبحانه دعاءهما جعلا له شركاء فيما آتاهما قرأ سائر اهل الكوفة بالجمع وقرأ اهل المدينة على التوحيد اي شركا وانكره الاخفش واجيب عنه

بانها صحت على حذف المضاف اي جعلا له ذا شرك اوذوي شرك وقال ابو عبيدة معناه حظا
ونصيبا واسماء اتيهما الله تعالى على ذلك لانها نظرت الى السبب دون المسبب قال كثير من المفسرين انه
جاء ابليس الى حواء وقال لها ان ولدت ولدا فسميه باسمي فقالت وما اسمك قال الحارث ولو سمى لها
نفسه لعرفته فسمته عبد الحارث فكان هذا اشراكا في التسمية ولم يكن شركا في العبادة وقد روي هذا
بطرق والفاظ عن جماعة من الصحابة ومن بعدهم ويدل له حديث سمرة عن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم قال لما ولدت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فانه يعيش
فسمته عبد الحارث فعاش فكان ذلك من وحي الشيطان وامره
اخرجه احمد والترمذي وحسنه وابو يعلى وابن جرير وابن ابي حاتم والروياني والطبراني وابو الشيخ
والحاكم وصححه وابن مردويه وفيه دليل على ان الجاعل شركا فيما آتاهما هو حوى دون آدم عليه السلام
وقوله جعلا له شركاء بصيغة التثنية لا ينافي ذلك لانه قد يسند فعل الواحد الى اثنين بل الى جماعة
لادنى ملابسة وهو شائع في كلام العرب وفي الكتاب العزيز من ذلك الكثير الطيب ذكره صاحب تفسير
فتح البيان فراجعه وحاصل الكلام الطويل المسوق في هذه الآية المذكور في التفاسير ان ما وقع فانما
وقع من حوى لا من آدم ولم يشرك آدم قط ولا نبي غيره فان الانبياء والرسل معصومون من الاشراك بالله
تعالى في شيء من الاشياء وان كان صدور الصغائر منهم سائغا مع التنبيه لهم عليها في الحال ولكن الشان
كل الشان في كونه مصدر الاكبر الكبائر الذي بعثت الرسل للنهي عنه ولاجله انزلت الكتب فتعالى
الله عما يشركون سمى الله سبحانه في هذه الآية ما وقع من حوى في تسمية الولد بعبد الحارث شركا فدلت
الآية الشريفة على كون الشرك في التسمية ككونه في صفات اخرى لله تعالى وعلى ان اول من وقع منه الشرك
في بني آدم هو حوى فكان هذا الداء العضال في نوع البشر من زمن ابي البشر ولم يخل عصر منه ولهذا
عظم الله مقام التوحيد ووعد اهله بالغفران وان كانوا عصاة واي عصاة واوعد اهل الشرك وان كانوا
في العبادة والصلاح في اعلى مكان ومن هنا يقال ان التوحيد راس الطاعات وان الشرك راس السيئات
قال بعض اهل العلم في بيان معنى هذه الآية يعني ان الله هو الذي خلق الانسان اولا وجعل له زوجا
والعجب بينما ثم اذا كان لهم رجاء الولد يدعونه سبحانه ويعدون انهم يشكرونه ان آتاهم ولدا كاملا
غير ناقص الخلقة فلما يعطيهم الاولاد يدعون غيره ويعبدونه وينذرون لمن دون الله فمنهم من يذهب

به الى مدفن القبور او الى مكان لنذر الفقراء من هو ومنهم من يجعل على باسمه قرنا لاحد
باسمه ومنهم من يلبس خيطا لاحد منهم ومن يلبس حديدا في الرجل باسم احد ومنهم من يصوم ايام
على اسم احد ومنهم من يسمى ولده نبي بخش او امام بخش او پير بخش او سيد بخش او گنگا بخش او عبد
فلان كعبد الحسين او الحسن او المسيح او غلام فلان كغلام محيي الدين وغلام معين الدين ونحو ذلك و
مرادهم بلفظ الغلام في هذه الاسماء العبد دون الولد والعمل بالنية لا باللفظ فالله سبحانه لا يحتاج الى
نذورهم اصلا فانه سبحانه اغنى الاغنياء من اشرك به في عمل يتركه وعمله ولكن هؤلاء المشركين يصرفون
بانعامهم هذه خطأ ودينا من جنابه العلي وحضرته المقدسة انتهى وربما استحق الاحاد والكبر
سبحانه حتى لا يسبون الاولاد الى من اعطاها وخلقها ويصفونها في التسمية تارة الى مخلوق دني ونحو
واخرى الى ما لا يرجى فيه بل الى بعض الامراض وبعض الانهار كالحصبة ونهر گنگ ونحوه ولم يدروا ان البشر
هو اشرف الكائنات جميعا وان كل ما سواه لهم ودونه في الشرف فاي سفاهة اشد من ان يعظم اشرفها
ادونها ويسجد العالي السافل واي جهل اقبح من ان يتذلل ويخضع ويخشع المخلوق الاعلى الاكرم للادنى
الارذل ومن كان في العقل والفهم بهذه المثابة فهو بمعزل عن الالتفات والخطاب والله اعلم بالصواب

وقال تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا هذا بيان نوع آخر من انواع كفرهم وجهلهم
واشراكهم لانهم على الله سبحانه اي جعلوا لله سبحانه مما خلق من حروثهم ونتاج دوابهم وهي الابل والبقر
والغنم نصيبا ولالهتهم نصيبا من ذلك اي فسموا يصرفونه في سدنتها والقائمين بخدمتها فاذا ذهب شيء
لالهتهم بآفة في ذلك عوضوا عنه مما جعلوه لله وبالعكس على ذلك قال ابن عباس جعلوا لله من
ثمارهم وما لهم نصيبا وللشيطان والاوثان نصيبا فان سقط من ثمرهم ما جعلوه لله في نصيب الشيطان تركوه
وان سقط مما جعلوه للشيطان في نصيب الله ردوه الى نصيب الشيطان وان انفجر من سقي ما جعلوه لله في
نصيب الشيطان تركوه وان انفجر من سقي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله ردوه فهذا ما جعلوا لله من الحرث وسقي الماء
واما ما جعلوه للشيطان من الانعام فهو قول الله ما جعل الله من بحيرة الآية وقال مجاهد جعلوا لله حرثا ولشركائهم حرثا
فما ذهب به الريح مما سموه لله الى جزء اوثانهم تركوه وقالوا الله غني عن هذا وما ذهبت به الريح من اجزاء اوثانهم الى جزء الله
اخذوه والانعام التي سموها لله البحيرة والسائبة فقالوا هذا لله بزعمهم الزعم الكذب وقرئ بضم الزاي وهما
لغتان وانما نسب الكذب في هذه المقالة مع ان كل شيء لله لان هذا الجعل لم يأمرهم به فهو

مجرد اختراع منهم قال الازهري واكثر ما يكون الزعم فيما يشك فيه ولا يتحقق وقال بعضهم هو كناية عن الكذب وقال المرزوقي اكثر ما يستعمل فيما كان باطلا او فيه ارتياب وقال ابن القوطية زعم زعما قال خبرا لا يدرى احق هو ام باطل قال الخطابي ولهذا قيل زعم مطية الكذب وهذا لشركائنا اي للاصنام فما كان لشركائهم اي ما جعلوه لها من الحرث والانعام فلا يصل الى الله اي الى المصارف التي شرع الله الصرف فيها كالصدقة وصلة الرحم وقراء الضيف وما كان لله فهو يصل الى شركائهم اي يجعلونه لآلهتهم وينفقونه في مصالحها ساء ما يحكمون اي حكمهم في ايثارهم آلهتهم على الله سبحانه وترجيحهم جانب الاصنام على جانب الله تعالى في الرعاية والمحافظة وهذا اسفه منهم وقيل معنى الآية انهم كانوا اذا ذبحوا ما جعلوه لله ذكروا عليه اسم اصنامهم واذا ذبحوا ما لاصنامهم لم يذكروا عليه اسم الله فهذا معنى الوصول الى الله والوصول الى شركائهم قال بعض العلماء يعنى ان الله هو الذي خلق الحرث والانعام فلما يخرجون منها جزء لله تعالى كذلك ينذرون منها جزء لغيره سبحانه ايضا والاحتياط الذي ياتون به فيما نذروه لغير الله تعالى لا يحتاطون مثله فيما يجعلونه لله وهذا هو الشرك المحض وفيه زيادة ادب وتعظيم للالهة الباطلة بالنسبة الى الاله الحق الخالق للجميع **وقال تعالى** وقالوا هذه انعام وحرث حجر هذا بيان نوع من جهالاتهم وضلالاتهم وهذه اشارة الى ما جعلوه لآلهتهم والتانيث باعتبار الخبر وهو قوله انعام فهي وحرث خبر عن اسم الاشارة والحجر بكسر اوله وسكون ثانيه وقرئ بضم الحاء والجيم وبفتح الحاء واسكان الجيم وقرئ حرج بتقديم الراء على الجيم من الحرج وهو الضيق والحجر على اختلاف القراآت فيه هو مصدر بمعنى محجور كذبح وطحن بمعنى مذبوح ومطحون يستوى فيه الواحد والكثير والمذكر والمؤنث واصله المنع فمعنى الآية هذه انعام وحرث ممنوعة يعنون انها لاصنامهم قال مجاهد يعني بالانعام البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي قال ابن عباس الحجر ما حرموا من الوصيلة وقال قتادة والسدي حجر اي حرام لا يطعمها الا من نشاء وهم خدام الاصنام والرجال دون النساء بزعمهم لا حجة لهم فيه فجعلوا انصباء الآلهة اقساما ثلثة الاول ما ذكره بقوله حجر والثاني ما ذكره بقوله وانعام حرمت ظهورها اي البحيرة والسائبة والوصيلة والحام حموا ظهورها عن الركوب والقسم الثالث انعام لا يذكرون اسم الله عليها عند الذبح وهي ما ذبحوا لآلهتهم فانهم كانوا يذبحونها باسم اصنامهم لا باسم الله قلت وزاد مشركو الهند على هذا فذبحوا ما جعلوه لاوثانهم من قبور الصلحاء وانصابهم على اسم الله ونووا بها اياها

فكانوا في تيههم في السفه والجهل والبعد من الحق والقرب من سوء الادب وقيل المراد انهم لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير والاول اولى افتراء عليه اي اختلاقا وكذبا على الله سبحانه والتقدير لاجل الافتراء على الباري تعالى وقيل التقدير افتروا ذلك افتراء وقيل قالوا ذلك حال افترائهم وهي تشبه الحال المؤكدة سيجزيهم بما كانوا يفترون اي بافترائهم او بالذي يفترونه وفيه وعيد و تهديد لهم قال بعض اهل العلم في معنى هذه الآية يعني انهم يجعلون خيالا منهم بعض الاشياء حجرا ويقولون لا يطعمه فلان وفلان ويطعمه فلان وفلان ويمتنعون من ركوب تلك الانعام والحمل عليها لكونها منذورة للاصنام فيتحفظون منها ادبا لالهتهم الباطلة وفي خيالهم ان الله تعالى يرضى عنهم بذلك ويقضي لهم حاجاتهم بسببه فهذا كله افتراء واختلاق يعاقبون عليه ومثل هؤلاء مشركو الهند من المسلمين فانهم ايضا قالوا هذه البقرة او الغنم او الدجاجة او الطعام حجر لا ياكلها فلان ويأكلها فلان من الرجال او النساء ومنهم من يذبح تلك على اسم الكبراء كما كانوا امامهم ومنهم من يذبحها على اسم الله وفي نيته غير الله تعالى وهذا الاخير ايضا حرام لانه يصدق عليه انه مما اهل به لغير الله فمن صنع مثل هذا الصنيع واتى به فقد ثبت له الشرك وصار من المشركين وقالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب وقيل هو اللبن واللفظ اوسع من ذلك خالصة لذكورنا اي حلال لهم ومحرم على ازواجنا من النساء فيدخل في ذلك البنات والاخوات ونحوهن وان يكن الذي في بطون الانعام ميتة فهم فيه اي في الذي في البطون شركاء ياكل منه الذكور والاناث سيجزيهم الله وصفهم اي بوصفهم الكذب على الله وقيل يجزيهم جزاء وصفهم انه حكيم عليم لاجل حكمته وعلمه لا يترك جزاءهم الذي هو من مقتضيات الحكمة وقد وصف الله تعالى في كتابه انواعا من ضلالتهم وشركهم بالله وهذا منها وهي اصول للاشراك نبه بها على ما سواها من ذلك الباب الواسع الذي يعسر عده واستقراؤه في هذا المختصر ومن رزقه الله علما نافعا وفهما صحيحا وقلبا سليما يدرك الشرك وخفاياه وخبايا الكفر وزواياه ومن لم يجعل الله له نورا ولم يشرح صدره للاسلام فكل شرك عنده هو الاسلام وكل توحيد هو الخروج عن دائرة الايمان الا ترى اهل البدعة كيف ينالون من اهل السنة ويسمونهم باسماء قبيحة زعما منهم انهم على الحق وان المخالف لهم على الباطل وكذلك المقلدون يطعنون اهل الاتباع بالسنتهم ويرمونهم على الضلال وانهم على الصواب فذا الامر

كما قيل رمتني بدائها وانسلت وقال تعالى ما جعل الله هذا الكلام مبتدأ يتضمن الرد على اهل
الجاهلية فيما ابتدعوه وجعل هنا بمعنى سمى كما قال تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا قاله ابن عطية والمعنى ما
انزل الله ولا حكم به وقال الزمخشري وابو البقاء انها تكون بمعنى شرع ووضع اي ما شرع الله ولا امر
قيل ما صير الله من بحيرة مشروحة مأخوذة من البحر وهو شق الاذن قال ابن سيد الناس البحيرة هي التي
خليت بلا راع وقيل هي التي يجعل درها للطواغيت فلا يحتلبها احد من الناس وجعل شق اذنها علامة
لذلك قاله سعيد بن المسيب قال الشافعي كانوا اذا انتجت الناقة خمسة ابطن اناثا بحرت اذنها
فحرمت وبه قال ابو عبيدة زاد فلا تركب ولا تحلب ولا تطرد عن مرعى ولا ماء واذا لقيها الضعيف
لم يركبها وقيل ان الناقة اذا انتجت خمسة ابطن فان كان الخامس ذكرا بحروا اذنه فاكله الرجال
والنساء وان كان الخامس انثى بحروا اذنها وكانت حراما على النساء لحمها ولبنها وقيل اذا انتجت
خمسة ابطن من غير تقييد بالاناث شقوا اذنها وحرموا ركوبها ودرها وقيل غير ذلك ووجه الجمع
بين هذه الاقوال ان العرب كانت تختلف افعالها في البحيرة ولا اي وما جعل من سائبة اي مسيبة
مخلاة وهي الناقة تسيب او البعير بسبب نذر للرجل ان سلمه الله من مرض او بلغه منزله فلا يحبس
عن رعي ولا ماء ولا يركبه احد قاله ابو عبيدة وقيل هي التي تسيب لله فلا قيد عليها ولا راعي لها وقيل
هي التي تابعت بين عشر اناث ليس بينهن ذكر فعند ذلك لا يركب ظهرها ولا يجز وبرها ولا يشرب لبنها
الا الضيف قاله الفراء وقيل كانوا يسيبون العبد فيذهب حيث يشاء لا يد عليه لاحد ولا اي وما جعل
من وصيلة قيل هي ناقة ولدت انثى بعد انثى وقيل هي الشاة كانت اذا ولدت انثى فهي لهم وان ولدت
ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم وقيل كانوا اذا
ولدت الشاة سبعة ابطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبح فاكل منه الرجال والنساء وان كانت
انثى تركت في الغنم وان كان ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم تذبح لمكانها وكان لحمها حراما على
النساء الا ان تموت فيأكلها الرجال والنساء وقيل هي الناقة تبكر فتلد انثى ثم تثني بولادة انثى اخرى
ليس بينهما ذكر فيتركونها لآلهتهم ويقولون قد وصلت انثى بانثى ولا جعل من حام هو الفحل الحامي
ظهره عن ان يركب وينتفع به وكانوا اذا ركب ولد ولد الفحل قالوا احمى ظهره فلا يركب وقيل هو الفحل
اذا نتج من صلبه عشرة قالوا حمى ظهره فلا يركب ولا يمنع من كلأ ولا ماء وقيل هو الفحل ينتج من بين

أولاده عشر إناث، رواه ابن عطية، وقيل هو الفحل يولد من صلبه عشرة أبطن، وهو قول ابن عباس وابن مسعود، وإليه مال أبو عبيدة والزجاج، وقال الشافعي إنه الفحل يضرب في مال صاحبه عشر سنين، وقال ابن دريد هو الفحل ينتج له سبع إناث متواليات فيحمي ظهره فيفعل به ما تقدم، وقد عرفت اختلافات أهل اللغة في هذه الأشياء وأنه باعتبار اختلافات مذاهب العرب وآرائهم الفاسدة فيها، وبالجملة فكل ما يصدق عليه مسمى هذه أو واحدة منها على مذهب من مذاهبهم فهي داخل في حكمها. وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت ولا يحلبها أحد من الناس والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء والوصيلة الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل بأنثى ثم تثني بعد بأنثى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر والحامي فحل الإبل يضرب الضراب المعدود فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شيء وسموه الحامي وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً ورأيت عمرواً يعني عمرو بن لحي يجر قصبه أي أمعاءه في النار وهو أول من سيب السوائب أخرجه الشيخان ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وصفهم الله تعالى بأنهم ما قالوا ذلك إلا افتراء على الله وكذباً لا لشرع شرعه الله لهم ولا لعقل دلهم عليه وسبحان الله العظيم ما أرك عقول هؤلاء وأضعفها يفعلون هذه الأفاعيل التي هي محض الرقاعة ونفس الحمق وهذا شأن ملائهم من رؤسائهم وكبرائهم وأكثرهم أي أراذلهم وعوامهم الذين يتبعونهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يشهد به سياق النظم لا يعقلون أن هذا كذب باطل وافتراء من الرؤساء على الله سبحانه حتى يخالفوهم ويهتدوا إلى الحق بأنفسهم فاستمروا في أشد التقليد وهذا بيان لقصور عقولهم وعجزهم عن الاهتداء بأنفسهم وإذا قيل لهم أي لعوامهم المعبر عنهم بالأكثر تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول أي إلى كتاب الله وسنة رسوله وحكمهما قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا هذه أفعال آبائنا وسننهم التي سنوها لنا وصدق الله سبحانه حيث يقول أو لو كان آباؤهم جهلة ضالين لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون والمعنى أن الاقتداء إنما يصح بالعالم المهتدي الذي يبني قوله على الحجة والبرهان والدليل وآباؤهم ما كانوا كذلك فكيف يصح الاقتداء بهم وقد صارت هذه المقالة التي قالتها الجاهلية نصب أعين المقلدة وعصاهم التي

يتوكأون عليها بان دعاهم داعي الحق وصرخ بهم صارخ الكتاب والسنة فاحتجوا بمن قلدوه ممن هو مثلهم في التعبد بشرع الله مع مخالفة قوله لكتاب الله او لسنة رسوله هو كقول هؤلاء وليس الفرق الا في مجرد العبارة اللفظية لا في المعنى الذي عليه تدور الافادة والاستفادة اللهم غفرا كذا في تفسير فتح البيان والآية الشريفة دالة على ان هذا الجعل افتراء من الكفار على الله وانهم لا يعقلون وعلى ان الشرك شاع فيهم من قبل التقليد فكان تقليد الآباء هو الحامل على هذا الافتراء وقد كان اباءهم المقلدين بفتح اللام مثلهم في الجهل والضلال وهذا بخلاف مقلدي المذاهب فان اهل التقليد الرجال هم الجاهلون المبتدعون الضالون ومقلدوهم بفتح اللام هم الائمة العالمون المهتدون والوزر على هؤلاء لا عليهم لانهم نهوا عن تقليدهم وتقليد غيرهم في دين الله المبين فكانوا سالمين عن الجرح والقدح وانما سرى هذا المرض في هؤلاء من تقليد الآباء الذين كانوا لا يعلمون شيئا ولا يهتدون سبيلا وبالجملة المقصود من ايراد هذه الآية ههنا هو الرد على جاعلي بحيرة وسائبة ووصيلة وحام ومن قلدهم في مثل هذا الاشراك قال بعض اهل العلم في معنى هذه الآية انه استنبط منها ان جعل حيوان من الحيوانات على اسم احد من الكبراء ووضع علامته عليه وتعيين بعض الانعام لبعض وبعضها لبعض كما يقال ان هذه البقرة للسيد احمد وهذه الدجاجة لزين خان وهذه الغنم للشيخ سدو ونحو ذلك كل هذا من رسوم الجاهلية وافعال السفهاء المشركين وهو خلاف ما حكم الله به عباده من اخلاص توحيد الالوهية له سبحانه وليس هذا الحكم منحصرا في ما سماه في الآية بل هي اصول الرسوم المضلة الموقعة في الشرك ينبه بها على ما هو مثلها او نحوها من المراسم والمواسم المستحدثة في الدين مما لم يأذن به الله ولا رسوله ولا ورد في الشرع المبين ولا افتى به احد من الائمة المجتهدين المرحومين **وقال تعالى** ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام معناه لا تحللوا ولا تحرموا لاجل قول تنطق به السنتكم من غير حجة قال مجاهد اي في البحيرة والسائبة وقيل يعني قولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى الوحي عن ابي نضرة قال قرأت هذه الآية في سورة النحل فلم ازل اخاف الفتيا الى يومي هذا قلت صدق رحمه الله تعالى فان هذه الآية تتناول بعموم لفظها فتيا من افتى بخلاف ما في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كما يقع كثيرا من مؤثري الرأي المقدمين له على الرواية او الجاهلين لعلم القرآن والحديث الواقفين على الفروع التي اشتملت

على آراء الرجال وهي غير مستندة إلى كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا ينطق عن الهوى إن
هو إلا وحي يوحى كالمقلدين للمذاهب والمبتدعين فإنه تعالى يبين جهلهم وغباهم ويمنعهم من وصف
الشنيع الكذب فإنهم المفترون بغير علم من الله ولا هدى ولا كتاب منير فهم يضلون ويضلون
وهم ومن يستفتيهم كما قال القائل شعر كبهيمة عمياء قاد زمامها أعمى على عوج الطريق الحائر
وأخرج الطبراني عن ابن مسعود قال عسى رجل يقول إن الله أمر بكذا أو نهى عن كذا فيقول الله
عز وجل كذبت أو يقول إن الله حرم كذا وأحل كذا فيقول الله كذبت لتفتروا هي لام العاقبة لا لام
الغرض أي فيعقب ذلك افتراؤكم على الله الكذب بالتحليل والتحريم وإسناد ذلك إليه من غير
أن يكون منه إن الذين يفترون على الله الكذب أي افتراء كان لا يفلحون بنوع من أنواع الفلاح
والفوز بالمطلوب لا في الدنيا ولا في الآخرة بدليل ما بعده متاع قليل ولهم عذاب أليم يردون إليه
في الآخرة قال بعض أهل العلم في معنى هذه الآية يعني لا تفتروا من حكم الله سبحانه شيئا فإن
الأمر الفلاني ينبغي أن يفعل والفلاني ينبغي أن لا يفعل فإن تحليل شيء وتحريمه إنما هو شأن الله
تعالى فقط فمن وصف شيئا بالحلة أو الحرمة من تلقاء نفسه فقد افترى على الله ومن تخيل أن
في فعل كذا وكذا أثرا لا من يحصل المراد وإلا يضيع العمل فيه فهذا الخيال منه شغل لأنه لا يحصل
المراد ما الافتراء على الله تعالى إذا بهذه الآية تدل على أن من يقول إنه لا ينبغي أن يأكل الإنسان
ورق التنبول في شهر الله المحرم ولا يلبس الثوب الأحمر ولا يأكل الرجال من صحن منسوب إلى الحضرة
صحنك بي بي فاطمة رضي الله عنها
الفاخرة ولا بد في طعام منسوب لها من كذا وكذا المقبول والخضراوات وكذا الحتى والخادم لا
تأكله أمة ولا من تحت نكاح رجل آخر ولا من هو من الأرذال والفجار ولا يصح نذر الشيخ عبد الحق إلا
توشه
من الحلواء وإنه لا بد في صنعتها من احتياط حتى لا يصيب منها من يستعمل القليان ونذر الشاه
بديع الدين المدار لا يكون إلا طعاما فيه طحين وسكر وسمن وكذا ما يبذل على القلندر وليمي
تحمى ولأصحاب الكهف دينى اللحم والخبز وإنه لا بد من كذا وكذا أو رسم في العرس فكذا وكذا أو رسوم
في الموت ولا يجلس من بعد الموت في مجلس الهناء ولا العزاء أصلا ولا يصنع علاو ولا يلبس فلان
اچار
ثوبا مصبوغا بالكتم وفلان المصبوغ بالعصفر وأن هذا كله كذب وافتراء على دين الله تعالى وصاحبه
مفتر كذاب ما شئنا في مصيبة الشرك بذا حل في حكم الله الذي لا مجال لأحد أن يدخل فيه تشريع

شرعا جديدا من قبل نفسه وهو اه وعلى نفسها براتش تجي وقال تعالى حرمت عليكم الميتة والدم

ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت لغيره سبحانه كأن قال هذا الشيء باسم اللات والعزى او باسم الشيخ الفلاني والمزار الفلاني فحرم الله كل شيء رفع به الصوت لا على اسمه سبحانه حيوانا كان او غيره لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الى قوله وما ذبح على النصب اي ما قصد بذبحه النصب ولم يذكر اسمها عند ذبحه بل قصد تعظيمها فقط بذبحه فعلى بمعنى اللام اي لاجلها قال القطب وهو على هذا داخل فيما اهل به لغير الله وخص بالذكر لتاكيد تحريمه ولدفع ما كانوا يظنونه من ان ذلك لتشريف البيت وتعظيمه وقيل ليس هذا مكررا اذ ذاك فيما ذكر عند ذبحه اسم الصنم وهذا فيما قصد بذبحه تعظيم الصنم من غير ذكره وعلى هذا فالاية الشريفة نص على تحريم كل ما ذبح لغير الله يذكر اسمه عليه او لم يذكر ويدخل فيه كل ما يرفع به الصوت لولي او شيطان او جني كبقرة السيد احمد الكبير وغنم الشيخ سدّو ودجاجة زين خان ونحوه فكل ذلك حرام اكله سواء ذكر اسم الله عند ذبحه او لم يذكر فان ذكر اسم غير الله عند ذبحه ايضا فهو اخبث الاشياء واحرم المآكل قال ابن فارس النصب حجر كان ينصب فيعبد وتصبّ عليه دماء الذبائح وقيل واحد النصب نصاب كحمار وحمر قال مجاهد هي حجارة كانت حوالي مكة يذبحون عليها وقال ابن عباس هي الاصنام المنصوبة وقال تعالى

قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا اي انكم تحكمون بتحليل البعض و تحريم البعض فان كان بمجرد التشهي والهوى فهو محجوب باتفاق العقلاء مسلمهم وكافرهم وان كان لاعتقادكم انه حكم الله فيكم وفيما رزقكم فلا تعرفون ذلك الا بطريق موصلة الى الله ولا طريق يتبين به الحلال من الحرام الا من جهة الرسل الذين ارسلهم الله الى عباده والمعنى اخبروني الذي انزل الله اليكم من رزق اي زرع وضرع وغيرهما فجعلتم بعضه حراما كالبحيرة والسائبة وبعضه حلالا كالميتة وذلك كما كانوا يفعلونه في الانعام والحرث حسبما سبق حكاية ذلك عنهم في سورة الانعام من الكتاب العزيز قل أالله اذن لكم في هذا التحليل والتحريم والهمزة للانكار ام على الله تفترون اي تكذبون عليه في نسبة الاذن اليه قال الكرخي وكفى به زاجرا لمن افتى بغير اتقان كبعض فقهاء هذا الزمان انتهى وقد افتى بعض علماء الهند ممن مات بحلة بقرة السيد احمد الكبير وغنم الشيخ سدّو وبدليل ذبحهما على اسم الله وان رفع بها الصوت لغير الله وهذا من الجهل بمكان لا يخفى على من له ادنى معرفة بمدارك الشرع

قال في فتح البيان وفي هذه الاية الشريفة ما يصك مسامع المتصدرين للافتاء لعباد الله في شريعته بالتحليل والتحريم والجواز وعدمه مع كونهم من المقلدين الذين لا يعقلون حجج الله تعالى ولا يفهمونها ولا يدرون ما هي ومبلغهم من العلم الحكاية لقول قائل من هذه الامة قد قلدوه في دينهم وجعلوه شارعا مستقلا ما عمل به من الكتاب والسنة فهو المعمول به عندهم وما لم يبلغه او بلغه ولم يفهمه حق فهمه واخطأ الصواب في اجتهاده وترجيحه فهو في حكم المنسوخ عندهم المرفوع حكمه عن العباد مع كون من قلدوه متعبدا بهذه الشريعة كما هم متعبدون بها ومحكوما عليه باحكامها كما هم محكوم عليهم بها وقد اجتهد برأيه وادى ما عليه وفاز باجرين مع الاصابة وباجر مع الخطأ وانما الشأن في جعلهم لرأيه الذي اخطأ فيه شريعة مستقلة ودليلا معمولا به وقد اخطأ في هذا خطأ بينا وغلط غلطا فاحشا فان الترخيص للمجتهد في اجتهاد رأيه يخصه وحده ولا قائل من اهل الاسلام المعتد باقوالهم انه يجوز لغيره ان يعمل به تقليدا له واقتداء به وما جاء به المقلدة في تقرير هذا الباطل فهو من الجهل العاطل. قال النسفي الاية زاجرة عن التجوز فيما يسأل من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وان لا يقول احد في شي جائز او غير جائز الا بعد ايقان واتقان والا فهو مفتر على الديان انتهى قلت فانك اذا تتبعت فتاوى فقهاء الزمان وجدت غالبها عارية عن الدليل مبنية على قال وقيل فيها التحليل لما حرمه الشارع وتحريم ما احله ولا سيما اطال مريد والمتاخر ذيول الاباحة الى غاية لا تحصى واتى فقهاء الرأي والتقليد بجواز ما لم يأذن به الله وصار هذا عادة للعوام وهم يقتتلون عليه اذا افتى احد من اهل الحق بعدم جوازه فوقعوا بهذا الاعتقاد في شرك الشرك وهم يظنون انهم مؤمنون فكان الامر كما قال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون اللهم كما رزقتنا من العلم ما نميز به بين الحق والباطل فارزقنا من الانصاف ما نظفر عنده بما هو الحق عندك يا واهب الخير ونبعد عن الشرك في العادات والعبادات ا بها ونحيى على التوحيد ونموت عليه انك على ما تشاء قدير وبالاجابة جدير **وقال تعالى** وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينا انما يتبعون ظنا ويظنون انهم آلهة تشفع لهم وان الظن لا يغني من الحق شيئا وان هم الا يخرصون الخرص التخمين ويستعمل بمعنى الكذب لغلبته في مثله والحاصل ان هذا الظن صار من عادتهم وصاروا بسببه من المشركين فكان ديدنهم حمد ما غير الله وعبادته على ظن شفاعته لهم وهذا هو الخرص والكذب **وقال تعالى** له دعوة الحق والذين يدعو

من دونه اي غير الله عز وجل وهم الاصنام والاولياء ونحوهم لا يستجيبون لهم بشيء مما يطلبونه منهم كائنا ما كان الا كباسط كفيه الى الماء اي كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه من بعيد فانه لا يجيبه لانه جماد لا يشعر بحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ولا يدري انه طلب منه ليبلغ فاه بارتفاعه من البئر اليه ولهذا قال وما هو اي الماء ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي يضل عنهم ذلك الدعاء اذا احتاجوا اليه لان اصواتهم محجوبة عن الله فلا يجدون منه شيئا ولا ينفعهم بوجه من الوجوه بل هو ضائع ذاهب والمراد بالدعاء هنا العبادة فالمعنى ان عبادة المشركين بالله شيئا من الاشياء الضائعات **وقال تعالى** وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون اي تتضرعون وتستغيثون وتلجؤون في كشفه فلا كاشف له الا هو ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون فيجعلون معه الها آخر من صنم او وثن او شيخ او ولي او كبير او طاغوت **وقال تعالى** ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم اي للجمادات والشياطين والاولياء والشهداء والائمة والطواغيت اي يجعلون لهم نصيبا من اموالهم بالنذور ونحوها يتقربون به اليهم قال مجاهد يعلمون ان الله خلقهم ويضرهم وينفعهم ثم يجعلون لما لا يعلمون انه يضرهم وينفعهم نصيبا مما رزقناهم وقال قتادة هم مشركوا العرب جعلوا لاوثانهم وشياطينهم مما رزقهم الله وجزؤوا من اموالهم جزءا فجعلوه لهم وعن السدي قال هو قولهم هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وبالجملة اذا جعل الآدمي جزءا من ماله لغير الله كائنا من كان وبذله في سبيله نذرا لقضاء حاجة له من شفاء مريض او حصول ولد او انجاح مرام فقد اتى بالشرك الواضح الجلي وقد صار هذا الشرك عادة للناس في هذا العصر قل من نجا منهم **وقال تعالى** واذا مسكم الضر يعني خوف الغرق في البحر ضل من تدعون من الالهة وذهب عن خواطركم ولم يوجد لاغاثتكم ما كنتم تدعون من دونه من صنم او جن او ملك او بشر او شهيد او ولي او حجر او مدر في حوادثكم الا اياه وحده فانكم تعتقدون نجاتكم برحمته واغاثته ومعنى الآية ان المشركين من عادتهم انهم يعتقدون في سائر معبوداتهم انها نافعة لهم في غير هذه الحالة فاما في هذه الحالة فان كل واحد منهم يعلم بالفطرة علما لا يقدر على مدافعته انه لا فعل لهم فلما نجاكم من الغرق واوصلكم الى البر اعرضتم عن الاخلاص لله وتوحيده ورجعتم الى دعاء آلهتكم والاستغاثة بها وكان الانسان كفورا اي كثير الكفران لنعمة الله **وقال تعالى** فاذا ركبوا في الفلك اي اذا انقطع رجاؤهم من الحياة وخافوا الغرق رجعوا الى الفطرة دعوا الله وحده مخلصين له الدين

حدث ما يتحيرون فيه عند ذلك دعاء معبودهم لعلمهم انه لا يكشف هذه الشدة العظيمة الا
هو عز اسمه سبحانه فلما نجاهم الى البر امنوا من الغرق اذا هم يشركون اي عادوا الى الشرك ودعوا غير الله
سبحانه ليكفروا بما اتيناهم من نعمة الانجاء وليتمتعوا فسوف يعلمون عاقبة ذلك الامر وما فيه من
الوبال الاليم وفيه تهديد للمشركين عظيم وقال تعالى واذا مس الناس ضر اي قحط وشدة وفقر او
مرض ونحوها دعوا ربهم ان يرفع ذلك عنهم واستغاثوا به منيبين اي راجعين ملتجئين اليه لا يعولون
على غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة باجابة دعائهم ورفع تلك الشدائد عنهم اذا فريق منهم بربهم
يشركون اي فاجأ فريق منهم الاشراك وهم الذين دعوه مخلصين مما كانوا فيه وهذا الكلام مسوق
للتعجب من حالهم وما صاروا اليه من الاعتراف بوحدانية الله سبحانه عند نزول الشدائد
والرجوع الى الشرك عند رفع ذلك عنهم ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ما يتعقب هذا التمتع
الزائل من العذاب الاليم ام انزلنا عليهم سلطانا اي حجة فهو يتكلم بما كانوا به يشركون اي ينطق باشراكهم
بالله سبحانه او بالامر الذي كانوا بسببه يشركون وقال تعالى واذا مس الانسان ضر اي ضر كان في جسمه
او ماله او اهله او ولده من بلاء او مرض او فقر او خوف او شدة لان اللفظ مطلق فلا معنى لتقييده
دعا ربه منيبا اليه اي راجعا اليه مستغيثا به في دفع ما نزل به تاركا لما كان يدعوه ويستغيث به من ميت او
حي او صنم او وثن او امام او شهيد او شيخ او ولي او كبير او غير ذلك في حال الرخاء لعلمه بانهم بمعزل
عن القدرة على كشف ضره ثم اذا خوله نعمة منه اي اعطاه وملكه نسي ما كان يدعو اليه من قبل
اي نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه من قبل ان يخوله ما خوله وقيل نسي الدعاء الذي كان يتضرع به وتركه او نسي ربه
الذي كان يدعوه ويتضرع اليه ثم جاوز ذلك الى الشرك بالله وهو معنى قوله سبحانه وجعل لله اندادا اي شركاء من الاصنام
او غيرها يستغيث بها ويعبدها وقال السدي يعني اندادا من الرجال يعتمد عليهم في جميع اموره انتهى ويدخل في ذلك الانبياء
والاولياء وغيرهم ممن يعبدهم المشركون ويستنصرون بهم وينادونهم في الشدائد ولقضاء
الحوائج ليضل عن سبيله اي ليضل الناس عن طريق الله التي هي الاسلام والتوحيد ثم امر الله سبحانه
رسوله صلى الله عليه وسلم ان يهدد من كان متصفا بتلك الصفة فقال قل تمتع بكفرك اي بشركك قليلا
اي تمتعا قليلا او زمانا قليلا فان متاع الدنيا وما فيها قليل انك من اصحاب النار اي مصيرك اليها
عن قريب وانك ملازمها ومعدود من اهلها على الدوام وفي هذه الآية من التهديد امر عظيم وقال

تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة معنى اشمأزت نفرت وقيل انقبضت وقيل انكرت وقيل قست والاول اولى وكان المشركون اذا قيل لهم لا اله الا الله انقبضوا كما حكى الله تعالى عنهم في قوله واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا واذا ذكر الذين من دونه من اللات والعزى اذا هم يستبشرون اي يفرحون به ويبتهجون وكذلك المشركون من المؤمنين اذا ذكرت لهم التوحيد ودلائله وتليت عليهم آيات الكتاب العزيز وادلة السنة المطهرة الواردة في رد الشرك وانواعه رأيتهم تشمئز قلوبهم عن سماعها واذا ذكرت اولياءهم وكراماتهم وكشوفاتهم اتيت بحكايات مختلقة تدل على تصرفهم في الخلق وانجائهم المريدين عن الشدائد والآفات وبينت ان السفر الى قبورهم والنذور لهم ينفع لكذا وكذا صاروا فرحين مستبشرين وقالوا لك ما احسن عقيدتك وما احق طريقتك واخذوا في ذم الذين اثبتوا التوحيد وانكروا طرائق الشرك والبدع والرسوم والمراسم وطعنوا فيهم وفي كتبهم المؤلفة في هذا الباب وردوا عليهم وعليها بما استطاعوا ورموهم بكل حجر ومدر وهذا من جهلهم بالشرائع وتسويل الشيطان لهم اعمالهم وافق الهم هذه والله المستعان وبه التوفيق

باب في رد الاشراك في العادات من السنة المطهرة

وهذا الباب واسع جدا وفيه فصول

فصل في بيان الاشراك في الكواكب والنجوم

عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلوة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل اي عقب مطر فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال اصبح من عبادي مؤمن وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي النوء واحد الانواء وهي منازل القمر قال ابو السعادات هي ثمان وعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة منها منزلة ومنه قوله تعالى والقمر قدرناه منازل وكانت العرب تزعم ان مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر وينسبونه اليها ويقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وانما سمي نوءا لانه اذا سقط الساقط منها ناء الطالع بالمشرق اي نهض وطلع وقد روى احمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن ابي حاتم

والضياء في المختارة عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتجعلون رزقكم يقول شكركم أنكم تكذبون تقولون مطرنا
بنوء كذا وكذا أو بنجم كذا وكذا وهذا أولى ما فسرت به الآية وروي ذلك عن ابن عباس وقتادة والضحاك و
عطاء الخراساني وغيرهم وهو قول جمهور المفسرين وفي حديث أبي مالك الأشعري يرفعه أربع في
أمتي من أمر الجاهلية وذكر منها الاستسقاء بالنجوم رواه مسلم والمراد بالاستسقاء هنا نسبة المطر
إلى النوء وهو سقوط النجم كما أخرج أحمد وابن جرير عن جابر السوائي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم يقول أخاف على أمتي ثلاثا استسقاء بالنجوم وحيف السلطان وتكذيبا بالقدر قال
بعض أهل العلم فأما إن قال قائلهم مطرنا بنجم كذا أو بنوء كذا فلا يخلو إما أن يعتقد أن له تأثيرا في نزول
المطر فهذا شرك وكفر وهو الذي يعتقده أهل الجاهلية كاعتقادهم أن دعاء الميت والغائب يجلب
لهم نفعا أو يدفع عنهم ضرا فهذا هو الشرك الذي بعث الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالنهي
عنه وقتال من فعله كما قال تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله والفتنة الشرك
وإما أن يقول مطرنا بنوء كذا مثلا مع اعتقاده أن المؤثر هو الله وحده لكنه أجرى العادة بوجود المطر
عند سقوط ذلك النجم فالصحيح أنه يحرم نسبة ذلك إلى النجم ولو على طريق المجاز فقد صرح ابن مفلح في الفروع
بأنه يحرم قول مطرنا بنوء كذا وجزم بتحريمه ولم يذكر خلافا وذلك أن القائل لذلك نسب ما هو فعل الله الذي لا يقدر
عليه غيره إلى خلق مسخر لا ينفع ولا يضر ولا قدرة له على شيء فيكون ذلك شركا أصغر وأصغر الشرك أكبر من جميع الكبائر فضلا عن
الكبيرة والمراد أن الأمة ستفعل هذا الفعل إما مع العلم بتحريمه أو مع الجهل به مع كونه من أعمال الجاهلية المذمومة المكروهة
المحرمة والمراد بالجاهلية هنا ما قبل البعثة سموا بذلك لفرط جهلهم وكل ما يخالف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فهو جاهلية فقد
حالهم بعد رسول الله صلعم في كثير من أمورهم أو أكثرها وذلك لعدم الإدراك بتدبر القرآن ومعرفة السنة ولبعضهم مصنف لطيف ذكر
فيه ما خالف فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهل الجاهلية فبلغ مائة وعشرين مسألة قال شيخ الإسلام في هذا الحديث
أخبر أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم ذما لمن لم يتركه وهذا يقتضي أن كل ما كان من أمر الجاهلية
وفعلها فهو مذموم في دين الإسلام وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها ومعلوم
أن إضافتها إلى الجاهلية خرجت مخرج الذم وهذا كقوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى فإن في ذلك
ذما للتبرج وذما لحال الجاهلية الأولى وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة قال الطيبي لعلهم

في كفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين احدهما هو كفر بالله سبحانه سالب لاصل الايمان وفيه وجهان
احدهما من قال معتقدا بان الكوكب فاعل مدبر منشئ للمطر كزعم اهل الجاهلية فلا شك في كفره وهو قول الشافعي والجماهير وثانيهما
انه قال معتقدا بانه من الله تعالى وبفضله وان النوء علامة له فهذا لا يكفر لانه بقوله هذا كانه قال
مطرنا في وقت كذا قال والاظهر انه مكروه كراهة تنزيه لانه كلمة موهمة مترددة بين الكفر والايمان
فيساء الظن بصاحبها ولانه شعار الجاهلية والقول الثاني كفران لنعمة الله لاقتصاره على اضافة الغيث
الى الكوكب انتهى مؤمن بالكوكب متفق عليه ذكره صاحب المشكوة في باب الكهانة ويؤيده حديث
ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ما انزل الله من السماء من بركة الا اصبح فريق من الناس
بها كافرين ينزل الله الغيث فيقولون بكوكب كذا وكذا رواه مسلم قال بعض اهل العلم ان من يؤمن
ان مجاري امور العالم بتاثير الكواكب فهو عند الله من منكر الله تعالى وداخل في عبدة الكواكب ومن يؤمن
ان ذلك كله من الله فالله يجعله من عباده المتقين ويخرجه عن زمرة العابدين للكواكب فهذا الحديث
دل على ان الايمان بسعد الساعات وشومها ومراعاة التواريخ للسعادة والنحوسة والايقان بقول
المنجم من ادى الشرك الجلي لانه يعتقد ان هذه متعلقة بالنجوم والاعتقاد بها من افعال عابدي
الكواكب فمن قال بتاثير كوكب واضاف اليه شيئا من الاحوال الجارية في العالم فقد اشرك بالله
وامن بالكوكب وصار من المشركين وخرج عن جماعة الموحدين قال في فتح المجيد في شرح هذا الحديث
اذا اعتقد ان للنوء تاثيرا في انزال المطر فهذا كافر لانه اشرك في الربوبية والمشرك كافر وان لم يعتقد
ذلك فهو من الشرك الاصغر لكونه نسب نعمة الله الى غيره سبحانه ولان الله لم يجعل النوء سببا لانزال
المطر فيه وانما هو فضل من الله ورحمة يحبسه اذا شاء وينزله اذا شاء قال ودل الحديث على انه لا يجوز
لاحد ان يضيف افعال الله الى غيره ولو على سبيل المجاز وهذا لحال اهل التوحيد قال بعض العلماء
ان نسبة النعمة الى غير الله كفر ولهذا قطع بعض اهل العلم بتحريمه وان لم يعتقد تاثير النوء في انزال
الامطار وانما كان من كفر النعمة لعدم نسبتها الى الذي انعم بها ونسبتها الى غيره كما قال تعالى يعرفون
نعمة الله ثم ينكرونها قال القرطبي في شرح حديث زيد بن خالد وكانت العرب اذا طلع نجم من المشرق
وسقط اخر من المغرب فحدث عند ذلك مطر او ريح فمنهم من ينسبه الى الطالع ومنهم من ينسبه
الى الغارب نسبة ايجاد واختراع ويطلقون على ذلك القول المذكور في الحديث فنهى الشارع

على اطلاق ذلك لئلا يعتمد احد اعتمادهم ولا يتشبه بهم في نطقهم بذلك انتهى وعن ابي سعيد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو امسك الله القطر عن عباده خمس سنين ثم ارسله لاصبحت
طائفة من الناس كافرين يقولون سقينا بنوء المجدح رواه النسائي المجدح بكسر الميم وسكون الجيم وفتح الدال
من الانواء التي لا تكاد تخطئ وهو ثلاثة كواكب كالاثافي والمجدح هي خشبة في راسها خشبتان معترضتان
يجدح بها السويق اي يضرب ويخلط والمعنى انه يقال لهم ان كان هذا النوء في مدة خمس سنين مثلا
هل كان يطلع كل سنة ام لا وهل له تاثير دائما ام لا وبهذا يظهر بطلان قولهم باليقين وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال النبي صلى الله عليه
وآله وسلم اصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة الله وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا فنزلت
هذه الآية فلا اقسم بمواقع النجوم الآيات قال مجاهد مواقع النجوم مطالعها ومشارقها واختاره ابن جرير
قال ابن كثير في الآية هذا القرآن منزل من الله رب العالمين وليس كما يقولون انه سحر او كهانة او شعر
بل هو الحق الذي لا مرية فيه وليس وراءه حق نافع انتهى فهذه الآية دليل على رد التنجيم لقوله سبحانه
في آخرها وتجعلون رزقكم انكم تكذبون ومعلوم ان المشركين ينسبون رزقهم الذي سببه المطر
الى نوء نجم ولا يعتقدون ان الله هو الرزاق وليس للنوء والنجم والكوكب في ذلك فعل بل كل من عند الله
فما لهؤلاء المشركين لا يفقهون حديثا قال البخاري في صحيحه قال قتادة خلق الله هذه النجوم لثلاث
زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تاول فيها بغير ذلك اخطأ واضاع نصيبه
وتكلف ما لا علم له به وفي رواية رزين وتكلف ما لا يعنيه وما لا علم له به وما عجز عن علمه الانبياء والملائكة
وعن الربيع ابن زياد مثله وزاد والله ما جعل الله في نجم حياة احد ولا رزقه ولا موته وانما يفترون
على الله الكذب ويتعللون بالنجوم قلت ذلك الاثر علقه البخاري في صحيحه واخرجه عبد الرزاق
وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وغيرهم واخرجه الخطيب في كتاب النجوم عن قتادة ولفظه
قال انما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال جعلها زينة للسماء وجعلها يهتدى بها وجعلها رجوما
للشياطين فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال رأيه واخطأ حظه واضاع نصيبه وتكلف ما لا علم
له به وان ناسا جهلة بامر الله قد احدثوا في هذه النجوم كهانة من اعرس بنجم كذا وكذا كان كذا
وكذا ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ولعمري ما من نجم الا يولد به الاحمر والاسود والطويل

والقصير والحسن والدميم وما علم هذه النجم وهذه الدابة وهذا الطائر بشيء من هذا الغيب ولو ان احدا علم الغيب لعلمه ادم عليه السلام الذي خلقه الله بيده واسجد له ملائكته وعلمه اسماء كل شيء انتهى فتامل ما انكره هذا الامام مما حدث من هذه المنكرات في عصر التابعين وما زال الشر يزداد في كل عصر بعدهم حتى بلغ الغاية في هذه الاعصار وعمت به البلوى في جميع الامصار فمقل منها ومستكثر وعز في الناس من ينكره بل منهم من ينصر هذا الاعتقاد الفاسد بنوع من التاويل الكاسد والتقرير البارد وعظمت المصيبة في الدين فانا لله وانا اليه راجعون ويدل لما قال قتادة رضي الله عنه قوله سبحانه ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقوله تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اما السماء الدنيا فان الله خلقها من دخان وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وزينها بمصابيح وجعلها رجوما للشياطين وحفظا من كل شيطان رجيم رواه ابن مردويه ومعنى علامات دلالات على الجهات يهتدي بها الناس في ذلك كما قال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر اي لتعرفوا بها جهة قصدكم وليس المراد انه يهتدى بها في علم الغيب كما يعتقده المنجمون فمن زعم فيها غير ما ذكر الله في كتابه من هذه الثلاث فقد اخطأ حيث زعم شيئا ما انزل الله به من سلطان واضاع نصيبه من كل خير لانه شغل نفسه بما يضره ولا ينفعه فان قيل المنجم قد يصدق قيل صدقه كصدق الكاهن يصدق في كلمة ويكذب في مائة وصدقه ليس عن علم بل قد يوافق قدرا فيكون فتنة في حق من صدقه وقد جاءت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بابطال علم التنجيم كما سياتي وفي التحذير منه وهي كثيرة جدا وكره قتادة رضي الله عنه تعلم منازل القمر ولم يرخص ابن عيينة فيه ورخص فيه احمد واسحق وجوزه مجاهد وابراهيم النخعي وقال الخطابي ما يعلم به الزوال وجهة القبلة من طريق المشاهدة فانه غير داخل فيما نهي عنه وقال ابن رجب المأذون في تعلمه علم التسيير لا علم التاثير فانه باطل محرم قليله وكثيره واما التسيير فيتعلم منه ما يحتاج اليه في الاهتداء الى الطرق ومعرفة القبلة عند الجمهور انتهى واقول الاحوط ان لا يتعلم منه شيئا وان تعلم فلا يعتقده على خلاف مراد الله وما ذهب اليه الجمهور فهو آئل الى قوله تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون ولا خلاف في جوازه ومعرفة القبلة واوقات الصلوات بالساعات النجومية وسير الكواكب

معرفة اوقات الصلوة بالساعات

على ما لم يعهد من السنة والسلف بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وقد عينت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اوقات الصلوات الخمس وعرفها بما لا يخطي فيه قروي ولا بدوي ولا امرأة ولا صبي فضلا عن اهل البلد واهل النهى فما لنا ولهذه الساعات المعولة لدى الامراء اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل والصباح يغني عن المصباح وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اقتبس بابا من علم النجوم لغير ما ذكر الله فقد اقتبس شعبة من السحر المنجم كاهن والكاهن ساحر والساحر كافر اي فالمنجم كافر رواه رزين وفي رواية اخرى عنه يرفعه من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد رواه احمد وابو داود وابن ماجة قال بعض اهل العلم ان الله ذكر النجوم في كتابه وبين انها للزينة والرجم والاهتداء ولم يذكر انها متصرفة في العالم وان امر العالم يجري على حسب تاثيراتها ولم يبين ان الخير والشر منها فمن نبذ الامر الاول وتبع الامر الثاني ويستفيد منها علم الغيب ويقضي به فهو في حكم من يستفهم من البراهمة الجن ثم يلقيه الى الناس فمن تعلم علم النجوم وجعل يلقي الى الناس ما علمه في زعمه من الغيوب فقد صار كالكاهن وساواه في وحدة الطريق والكاهن يصحب الجن كالساحر ولا يحصل الصحبة ثم الا بالاعتقاد فيهم ودعائهم عند الشدة ونذر الطعام لهم وهذا كله شرك بالله وكفر به والمنجم والكاهن والساحر كلهم سائرون طرق الكفر والضلال سالكون مسالكه في ما يأتون به ويذرون قال شيخ الاسلام التنجيم هو الاستدلال بالاحوال الفلكية على الحوادث الارضية وقال الخطابي علم النجوم المنهي عنه هو ما يدعيه اهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في مستقبل الزمان كاوقات هبوب الرياح ومجيء المطر وتغير الاسعار وما في معناها من الامور التي يزعمون انها تدرك معرفتها بسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها يدعون ان لها تاثيرا في السفليات وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاط لعلم قد استأثر الله به لا يعلم الغيب سواه هكذا في فتح المجيد وفي حديث ابي موسى يرفعه ثلاثة لا يدخلون الجنة الحديث وفيه ومصدق بالسحر رواه احمد وابن حبان في صحيحه والطبراني والحاكم وصححه واقره الذهبي قال في فتح المجيد ومنه اي من السحر التنجيم قال وهذا الحديث من نصوص الوعيد التي كره السلف تأويلها وقالوا امروها كما جاءت ومن تأولها فهو على خطر من التقول على الله واحسن ما يقال ان كل عمل دون الشرك والكفر المخرج

عن ملة الاسلام فانه يرجع الى مشيئة الله فان عذب به فقد استوجب العذاب وان غفر له فبفضل الله وعفوه ورحمته قال الذهبي في ذكر الكبائر ويدخل فيها تعلم السيمياء وعملها وعقد المرء عن زوجته ومحبة الزوج لامرأته وبغضها وبغضه واشباه ذلك بكلمات مجهولة قال وكثير من الكبائر بل عامتها الا الاقل يجهل خلق من الامة تحريمه وما بلغه الزجر فيه ولا الوعيد عليه انتهى

فصل في رد الاشراك في العرافة والكهانة والعيافة والطرق والطيرة

عن حفصة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اتى عرافا وهو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق ومكان الضالة ونحوهما فسأله عن شيء لم تقبل له صلوة اربعين ليلة رواه مسلم والمراد السؤال على وجه التصديق بخلاف من سأله على وجه الاستهزاء والتكذيب قال بعض العلماء في معنى هذا الحديث ان من يذهب الى من يدعي اظهار الامور الغيبية وتعريفها للناس ويسأله عن شيء منها فقد بطلت صلوته الى اربعين ليلة لانه فعل فعل الشرك والشرك يحبط الاعمال الصالحة ويضيع اجره وثوابه ويدخل في مفهوم هذا الحديث كل من يصدق عليه مسمى هذا التعريف من اصحاب النجوم والرمل والجفر والفال ومخرج الاسماء من الكتب المعدة لذلك الضلال واهل الكشف والاستخارة المدعين للتعريف والتعيين المخبرين بالامور المغيبة والمعرفين لها للناس قال في فتح المجيد ظاهر الحديث ان الوعيد مرتب على مجرد مجيئه اليه وسؤاله عنه سواء صدقه او شك في خبره فان في بعض روايات الصحيح من اتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلوة اربعين ليلة واذا كانت هذه حال السائل فكيف بالمسئول قال النووي وغيره معناه لا ثواب له فيها وان كانت مجزئة بسقوط الفرض عنه ولا بد من هذا التاويل في هذا الحديث فان العلماء متفقون على انه لا يلزم من اتى العراف اعادة صلاة اربعين ليلة انتهى حاصله وعن معاوية بن الحكم قال قلت يا رسول الله امورا كنا نصنعها في الجاهلية كنا نأتي الكهان قال فلا تأتوا الكهان قال قلت كنا نتطير قال ذلك شيء يجده احدكم في نفسه فلا يصدكم قال قلت ومنا رجال يخطون قال كان نبي من الانبياء يخط فمن وافق خطه فذاك رواه مسلم وفي الحديث النهي عن اتيان الكاهن والتطير وتعاطي علم الرمل وان هذا كله من مواقع الشرك ومظان الكفر وعن عائشة قالت سأل اناس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

عن الكهان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليسوا بشيء قالوا يا رسول الله فانهم يحدثون احيانا بالشيء يكون حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه قر الدجاجة فيخلطون فيها اكثر من مائة كذبة متفق عليه قال اهل اللغة القر ترديد الكلام في اذن المخاطب حتى يفهمه وقر الدجاجة صوتها اذا قطعته وفي رواية اخرى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الامر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند انفسهم رواه البخاري فيه ان الكهنة من اولياء الشيطان وانهم يزيدون على ما يسمعون منه وعن قطن بن قبيصة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال العيافة هي زجر الطير والتفاؤل باسمائها واصواتها وممرها والطرق هو الضرب بالحصى الذي يفعله النساء وقيل هو الخط في الرمل والطيرة من الجبت وهو السحر والكهانة وقيل هو كل ما عبد من دون الله والمعنى انها ناشئة من الشرك رواه ابو داود قال بعض اهل العلم هذه الامور الثلاثة من اعمال الشرك ورسومه بدليل هذا الحديث وعن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الطيرة شرك قاله ثلاثا وما منا الا ولكن الله يذهبه بالتوكل اي بسبب التوكل رواه ابو داود والترمذي وصححه وقال سمعت محمد بن اسمعيل يعني البخاري يقول كان سليمان بن حرب يقول في هذا الحديث وما منا الا هذا عندي قول ابن مسعود وهذا اصرح في تحريم الطيرة وانها من الشرك لما فيها من تعلق القلب على غير الله ومن قال انها تكره فالكراهة في اصطلاح السلف بمعنى الحرام قال في شرح السنن انما جعل الطيرة من الشرك لانهم كانوا يعتقدون ان الطيرة تجلب لهم نفعا او تدفع عنهم ضرا اذا عملوا بموجبها فكأنهم اشركوا مع الله تعالى وقال ابن القاسم الاصبهاني والمنذري في الحديث اضمار والتقدير وما منا الا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك انتهى وقال الحلبي انما حذف المستثنى لما يتضمنه من الحالة المكروهة وهذا من آداب الكلام والمعنى لكن لما توكلنا على الله في جلب نفع او دفع ضر اذهبه الله عنا بتوكلنا عليه وحده قال ابن القيم الصواب ان الطيرة نوع من الشرك قلت اطلاق الشرك عليها من النبي صلى الله عليه وآله وسلم يغني عن قول غيره شركه ويرد على من لا يقول بذلك قال بعض العلماء كانت الطيرة دائمة في العرب وكانوا يتطيرون ويعتقدون فيها فصرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

بانها شرك ليترك الناس تلك العادة القبيحة الشركية انتهى فالحديث دليل على كونها شركا وفي فتح المجيد الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء اسم مصدر من تطير طيرة كما يقال تخير خيرة ولم يجئ في المصادر على هذه الزنة غيرهما واصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع وابطله واخبر انه لا تاثير له في جلب نفع او دفع ضر قال المدائني سألت رؤبة بن العجاج ما السانح قال ما ولاك ميامنه قلت فما البارح قال ما ولاك مياسره والذي يجيء من امامك فهو الناطح والنطيح والذي يجيء من خلفك هو القاعد والقعيد ولما كانت الطيرة من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب لكونها من القاء الشيطان وتخويفه ووسوسته يتعلق القلب بها خوفا وطمعا ومنافاة للتوكل على الله الذي لا ينفع ولا يضر غيره واعتقاد النفع والضر في طائر ونحوه مما لا علم عنده ولا قصد وان كان من الشرك الاصغر فهو من اقبح الشرك وهو كاعتقاد المنجمين في النجوم التي سخرها الله تعالى اعتقدوا ان لها تاثيرا في الكون وهي خلق مسخر لا تنفع ولا تضر وكان ال فرعون اذا جاءتهم الحسنة واصابهم الخصب والسعة والعافية قالوا لنا هذه اي نحن الجديرون والحقيقون به ونحن اهله وان تصبهم سيئة اي بلاء وقحط يطيروا بموسى ومن معه فيقولون هذا بسبب موسى واصحابه اصابنا بشؤمهم فقال تعالى انما طائرهم عند الله اي ما قضى عليهم وقدّر وفي رواية عنه شؤمهم عند الله ومن قبله جاءهم هذا الشؤم بكفرهم وتكذيبهم باياته ورسله وقال تعالى طائركم معكم اي حظكم وما نابكم من شؤمكم بسبب كفركم ومخالفتكم الناصحين ليس هو من اجلنا ولا بسببنا بل ببغيكم وعدوانكم فطائر الباغي الظالم معه فما وقع به من الشرور فهو سببه الجالب له وذلك بقضاء الله وقدره وحكمته وعدله كما قال سبحانه افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ويحتمل ان يكون المعنى طائركم راجع اليكم فالتطير الذي حصل لكم انما يعود عليكم وهذا من باب القصاص في الكلام ونظيره قوله عليه السلام اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم ذكره الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى وبالجملة التطير من عمل اهل الجاهلية المشركين وقد ذمهم الله تعالى به ونهاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنه واخبر انه شرك انتهى **وعن** سعد بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا هامة ولا عدوى ولا طيرة قال ابن القيم رح يحتمل ان يكون نفيا او نهيا اي لا تطيروا ولكن قوله صلى الله عليه وآله وسلم

في حديث لا عدوى ولا صفر ولا هامة يدل على ان المراد النفي وابطال هذه الامور التي كانت الجاهلية تعاطاها والنفي في هذا ابلغ من النهي لان النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره والنهي انما يدل على المنع منه وفي صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنا اناس يتطيرون قال ذلك شيء يجده احدكم في نفسه فلا يصدنكم فاخبر ان تأذيه وتشاؤمه انما هو في نفسه وعقيدته لا في المتطير به فوهمه وخوفه واشراكه هو الذي يطيره ويصده لا ما رآه وسمعه فاوضح لامته الامر وبين لهم فساد الطيرة ليعلموا ان الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة ولا فيها دلالة ولا نصبها سببا لما يخافونه ويحذرونه ولتطمئن قلوبهم ولتسكن نفوسهم الى وحدانيته تعالى التي ارسل بها رسله وانزل لها كتبه وخلق لاجلها السموات والارض وعمر الدارين الجنة والنار فبسبب التوحيد فقطع صلى الله عليه وآله وسلم علق الشرك من قلوبهم لئلا يبقى فيها علقة منها ولا يتلبسوا بعمل من اعمال اهل الشرك البتة فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقى واعتصم بحبله المتين وتوكل على الله رب العالمين قطع هاجس الطيرة من قبل استقرارها وبادر خواطرها من قبل استمكانها قال عكرمة كنا جلوسا عند ابن عباس فمر طائر يصيح فقال رجل من القوم خير خير فقال ابن عباس لا خير و لا شر فبادره بالانكار عليه لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر وخرج طاوس مع صاحب له في سفر فصاح غراب فقال الرجل خير فقال طاوس واي خير عند هذا لا تصحبني انتهى حاصله وان تكن الطيرة في شيء ففي الدار والفرس والمرأة رواه ابو داود وقال في فتح المجيد قد ظن بعض الناس ان هذا الحديث وما في معناه يدل على جواز الطيرة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم الشؤم في ثلث المرأة والدابة والدار ونحو هذا وليس الامر هكذا انتهى قال ابن القيم اخباره صلى الله عليه وآله وسلم بالشؤم في هذه الثلث ليس فيه اثبات الطيرة التي نفاها الله وانما غايته ان الله سبحانه قد يخلق منها اعيانا مشؤومة على من قاربها وسكنها واعيانا مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر وهذا كما يعطي سبحانه الوالدين ولدا مباركا يريان الخير على وجهه ويعطي غيرهما ولدا مشؤوما يريان الشر على وجهه وكذلك ما يعطاه العبد من دابة ونحوها فكذلك الدار والمرأة والفرس والله سبحانه خالق الخير والشر والسعود والنحوس فيخلق بعض هذه الاعيان سعودا مباركة ويقضي بسعادة من قاربها وحصول اليمن والبركة له ويخلق بعضها نحوسا يتنحس بها من قاربها وكل ذلك بقضائه وقدره كما خلق سائر الاسباب وربطها

بسبباتها المتضادة والمختلفة كما خلق المسك وغيره من الارواح الطيبة ولذذها من قاربها من الناس و
خلق ضدها وجعلها سببا الالم من قاربها من الناس والفرق بين هذين النوعين مدرك بالحس
فكذلك في الديار والنساء والخيل فهذا لون والطيرة الشركية لون انتهى قال النووي اختلف العلماء
في حديث الشوم في ثلاث فقال مالك هو على ظاهره وان الدار قد يجعل الله تعالى سكناها سببا
للضرر او الهلاك وكذا اتخاذ المرأة المعينة او الفرس او الخادم قد يحصل الهلاك عنده بقضاء
الله تعالى وقدره وقال الخطابي قال كثيرون هو في معنى الاستثناء من الطيرة اي الطيرة منهي عنها
الا ان يكون له دار يكره سكنها او فرس او خادم فليفارق الجميع بالبيع ونحوه وطلاق المرأة وقال
آخرون شوم الدار ضيقها وسوء جيرانها واذاهم وشوم المرأة عدم ولادتها وسلاطة لسانها وتعرضها
للريب وشوم الفرس ان لا يغزى عليها اي في سبيل الله وقيل حرانها وغلاء ثمنها وشوم الخادم سوء
خلقه وقلة تعهده لما فوض اليه وقيل المراد بالشوم هنا عدم الموافقة قال عياض قال بعض العلماء
لهذه الفصول السابقة في الاحاديث ثلاثة اقسام احدها ما لم يقع الضرر به ولا اطردت له عادة
خاصة ولا عامة فهذا لا يلتفت اليه وانكر الشرع الالتفات اليه وهو الطيرة والثاني ما يقع عنده
الضرر عموما لا يخصه ونادرا لا يتكرر كالوباء فلا يقدم عليه ولا يخرج منه والثالث يخص ولا يعم
كالدار والفرس والمرأة فهذا يباح الفرار منه انتهى وقال ابن قتيبة وجهه ان اهل الجاهلية كانوا
يتطيرون فنهاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم واعلمهم ان لا طيرة فلما ابوا ان ينتهوا بقيت الطيرة في
هذه الاشياء الثلاث قال الحافظ ومشى ابن قتيبة على ظاهره ويلزم على قوله ان من تشاءم بشيء منها
نزل به ما يكره قال القرطبي ولا يظن به انه يحمله على ما كانت الجاهلية تعتقده بناء على ان ذلك
يضر وينفع بذاته فان ذلك خطأ وانما عنى ان هذه الاشياء هي اكثر ما يتطير به الناس فمن وقع في
نفسه منها شيء ابيح له ان يتركه ويستبدل به غيره انتهى وقد وقع في رواية في البخاري في النكاح
بلفظ ذكروا الشوم فقال ان كان في شيء ففي الخ ولمسلم ان يك من الشوم شيء حق وفي رواية اخرى
ان كان الشوم في شيء وكذا في حديث جابر عند مسلم وكذا في حديث سهل بن سعد عند البخاري
في كتاب الجهاد وذلك يقتضي عدم الجزم بذلك بخلاف ما في حديث ابن عمر بلفظ الشوم في
ثلث وبلفظ آخر انما الشوم في ثلاث ونحو ذلك مما تقدم قال ابن العربي معناه ان كان خلق الله الشوم

وفي ما جرى من بعض العادة فإنما يلحقها امر في هذه الاشياء قال المازري مجمل هذه الرواية
ان يكن الشؤم حقا فهذه الثلاث احق به بمعنى ان النفوس يقع فيها التشاؤم بهذه اكثر مما يقع بغيرها
وروى ابو داود في الطب عن ابن القاسم عن مالك انه سئل عن حديث الشؤم في ثلاث فقال كم من دار
سكنها ناس فهلكوا قال المازري فيحمله مالك على ظاهره والمعنى ان قدر الله ربما اتفق ما يكره عند
سكنى الدار فتصير في ذلك كالسبب فتسامح في اضافة الشيء اليه اتساعا وقال ابن العربي لم يرد مالك
اضافة الشؤم الى الدار وانما هو عبارة عن جري العادة فيها فاشار الى انه ينبغي للمرء الخروج عنها
صيانة لاعتقاده عن التعلق بالباطل وقيل معنى الحديث ان هذه الاشياء يطول تعذيب القلب
بها مع كراهة امرها لملازمتها بالسكنى والصحبة ولو لم يعتقد الانسان الشؤم فيها فاشار الحديث الى الامر بفراقها
ليزول التعذيب قال الحافظ وما اشار اليه ابن العربي في تاويل كلام مالك اولى وهو نظير الامر
بالفرار من المجذوم مع صحة نفي العدوى والمراد بذلك حسم المادة وسد الذريعة لئلا يوافق شيء
من ذلك القدر فيعتقد من وقع له ان ذلك من العدوى او من الطيرة فيقع في اعتقاد ما نهي عن
اعتقاده فاشير الى اجتناب مثل ذلك والطريق فيمن وقع له ذلك في الدار مثلا ان يبادر الى
التحول منها لانه متى استمر فيها ربما حمله ذلك على اعتقاد صحة الطيرة والتشاؤم قال ابن العربي ووصف
الدار بانها مشؤومة يدل على جواز ذكرها بقبيح ما وقع فيها من غير ان يعتقد ذلك كائنا فيها ولا يمتنع ذم محل
المكروه وان كان ليس منه شرعا قال الخطابي معناه ابطال مذهب الجاهلية في التطير فكانه قال
ان كانت لاحدكم دار يكره سكناها او امرأة يكره صحبتها او فرس يكره سيره فليفارقه وقيل ان المعنى
في ذلك ما رواه الدمياطي باسناد ضعيف في الخيل اذا كان الفرس ضروبا فهو مشؤوم واذا حنت
المرأة الى بعلها الاول فهي مشؤومة واذا كانت الدار بعيدة من المسجد لا يسمع منها الاذان فهي مشؤومة
وقيل كان ذلك في اول الامر ثم نسخ بقوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم
الا في كتاب من قبل ان نبرأها الآية حكاه ابن عبد البر قال الحافظ والنسخ لا يثبت بالاحتمال لا سيما مع امكان الجمع ولا سيما
وقد ورد في نفس هذا الخبر نفي التطير ثم اثباته في الاشياء المذكورة وقيل يحمل الشؤم على قلة الموافقة وسوء الطباع وهو كحديث سعد رفعه
[illegible] من سعادة المرء المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الهنيء ومن شقاوة المرء المرأة السوء والمسكن السوء والمركب
السوء اخرجه احمد وهذا يختص ببعض انواع الاجناس المذكورة دون بعض وبه صرح ابن عبد البر فقال

يكون لقوم دون قوم وذلك كله بقدر الله ثم قال المهلب ما حاصله ان المخاطب بقوله الشوم في ثلاثة من التزم التطير ولم يستطع صرفه عن نفسه فقال لهم انما يقع ذلك في هذه الاشياء التي تلازم في غالب الاحوال فاذا كان كذلك فاتركوها عنكم ولا تعذبوا انفسكم بها ويدل على ذلك تصديره الحديث بنفي الطيرة واستدل لذلك بما اخرجه ابن حبان عن انس رفعه لا طيرة والطيرة على من تطير وان تكن في شيء ففي المرأة الحديث وفي اسناده عتبة بن حميد وعتبة مختلف فيه ولا يرجح ما قدمناه من بناء العام على الخاص فيكون الحديث في قوة ليست الطيرة في شيء الا في الامور المذكورة وهذا هو الذي ذهب اليه جماعة ممن قدمنا النقل عنهم وقد زاد الدارقطني من طريق ام سلمة والسيف واسناده صحيح الى الزهري وهو رواه عن بعض اهل ام سلمة عنها قال الدارقطني والمبهم هو ابو عبيدة بن عبد الله بن زمعة سماه عبد الرحمن بن اسحق عن الزهري في روايته واخرجه ابن ماجه من هذا الوجه موصولا عن ام سلمة انها حدثت بهذا الحديث وزادت فيه والسيف وقد روى النسائي الحديث المتقدم في ذكر الامور المشومة فادرج فيه السيف وخالف فيه في الاسناد ايضا وجاء عن عائشة انها انكرت الحديث المذكور في شوم تلك الامور فروى ابو داود الطيالسي عنها في مسنده عن محمد بن راشد عن مكحول قال قيل لعائشة ان ابا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشوم في ثلثة فقالت لم يحفظ انه دخل وهو يقول قاتل الله اليهود يقولون الشوم في ثلاثة فسمع آخر الحديث ولم يسمع اوله ومكحول لم يسمع من عائشة فهو منقطع لكن روى احمد وابن خزيمة والحاكم من طريق قتادة عن ابي حسان ان رجلين من بني عامر دخلا على عائشة فقالا ان ابا هريرة قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الطيرة في الفرس والمرأة والدار فغضبت غضبا شديدا وقالت ما قاله وانما قال ان اهل الجاهلية كانوا يتطيرون من ذلك انتهى قال في الفتح ولا معنى لانكار ذلك على ابي هريرة مع موافقة غيره من الصحابة له في ذلك وقد تأولها غيرها على ان ذلك سيق لبيان اعتقاد الناس في ذلك لا انه اخبار من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بثبوت ذلك وسياق الاحاديث الصحيحة المتقدم ذكرها يبعد هذا التاويل قال ابن العربي هذا جواب ساقط لانه صلى الله عليه وآله وسلم لم يبعث ليخبر الناس عن معتقداتهم الماضية او الحاصلة وانما بعث ليعلمهم ما يلزمهم ان يعتقدوه انتهى قلت وفيه نظر لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وان

لم يبعث لذلك ولكنه حكى عن اهل الكتاب وخبرهم بعض افعالهم وانه الهم بل قد حكى الله عنهم في كتابه كقوله صلى الله عليه وسلم قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد ونحوه من الاحاديث وآيات الكتاب العزيز في ذلك كثيرة جدا والكلام ما اشتغل على ابي هريرة مترجع الى ان اول الحديث لا الى انه ليس بحديث اصلا فلا منافاة ولا تعارض بين الاحاديث فان ثبت حديث عائشة هذا عند اهل المعرفة بالحديث فذاك حجة دافعة للاشكال لان الزيادة من الثقة مقبولة وحديثها رضي الله عنها من باب الزيادة لا من باب المعارضة والله اعلم واما ما اخرجه الترمذي من حديث حكيم بن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا شؤم وقد يكون اليمن في المرأة والدار والفرس ففي اسناده ضعف ولكن لا ينزل عن درجة المتابعة والشهادة ولكن قضى القاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني رحمه الله بانه مخالف للاحاديث الصحيحة وقال فاحسن ما اسلفناه من الجمع ببناء العام على الخاص والله عز وجل اعلم انتهى وقال بعض اهل العلم في معنى حديث لا عدوى ولا هامة وحديث التشاؤم ما نصه كانت العرب تزعم ان عظام الميت اذا بليت تصير هامة تخرج من القبر وتأتي باخبار اهلها وقيل كانت تزعم ان روح القتيل الذي لا يدرك بثاره تصير هامة فتقول اسقوني اسقوني فاذا ادرك بثاره طارت فابطل صلى الله عليه وآله وسلم ذلك الاعتقاد وهامة بتخفيف الميم وهي اسم طير يتشاءم به الناس وهو طير كبير يضعف بصره في النهار ويطير بالليل ويصوت ويقال لها بوم وقال الفراء الهامة طير من طير الليل كانها البومة قال ابن الاعرابي كانوا يتشاءمون بها اذا وقعت على بيت احدهم يقول نعت لي نفسي او واحدا من اهل داري فجاء الحديث بنفي ذلك وابطاله انتهى والحديث دليل على رد من اعتقد ان الانسان يظهر بعد الموت في شكل حيوان نحو كاذب وايضا كانت العرب تزعم ان بعض الامراض كالحكة والجذام يتعدى ويلحق بالآخر فاخبر صلى الله عليه وآله وسلم ان هذا غلط ووهم منهم لا اصل له في نفس الامر وهذا يدل على بطلان ما هو معروف بين الناس من الاحتراز عن طفل به حصبة وحمية الاطفال الآخرين منه لئلا يتعدى من السقيم اليهم فذلك من رسوم الكفر لا ينبغي ان يعتقد به وهكذا كانت تزعم ان الامر الفلاني صار غير مبارك لفلان ولم يستقم له فاخبر صلى الله عليه وآله وسلم بان هذا غلط لا صحة له ولو فرض ان له تاثيرا فهذا التاثير ليس الا في ثلاثة اشياء الدار والفرس والمرأة فثبت من هذين الحديثين ان هذه الاشياء

قد تكون مباركة وقد لا تكون ولكن لم يعلمنا الشارع طريق العلم بها حتى نعلم ان هذه مباركة وذلك شوم فقول عامة الناس ان الدار التي تكون على صورة الاسد والفرس الذي يكون بجبهته كالكوكب والمرأة الجرعاء مشومات فهذا لا سند له ولا اصل والذي ينبغي للمسلمين ان لا يتوهموا ذلك واذا اشتروا امكانا اودارا او اشتروا فرسا او نكحوا امرأة يعني عورت ١٢ او جارية مملوكة فليسألوا الله تعالى خيرها وخير ما فيها ويستعيذوا من شرها وشر ما فيها ولا يزعموا في شيء انه صار لهم صالحا او غير صالح وفي حديث انس يرفعه قال رجل يا رسول الله انا كنا في دار كثير فيها عددنا واموالنا فتحولنا الى دار قل فيها عددنا واموالنا فقال صلى الله عليه وآله وسلم ذروها ذميمة رواه ابو داود والمعنى ذروها حال كونها مذمومة لان هواءها غير موافق لكم وعن يحيى بن عبد الله بن بحير قال اخبرني من سمع فروة بن مسيك يقول قلت يا رسول الله عندنا ارض يقال لها ابين وهو في الاصل اسم رجل ينسب اليه عدن يقال عدن ابين وقيل قرية الى جانب بحر اليمن وهي ارض ريفنا اي ارض ذات زرع وخصب وميرتنا اي طعامنا المجلوب المنقول من بلد الى بلد وان وباءها شديد فقال دعها عنك فان من القرف بالتحريك مداناة المرض التلف رواه ابو داود وهذا من باب الطب لا من باب العدوى فان صلاح الهواء له مدخل في صلاح البدن قيل وباؤها شومها فامره بالتحول دفعا لما توهمه من العدوى قاله السيد وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا طيرة وخيرها الفال قالوا وما الفال قال الكلمة الصالحة يسمعها احدكم متفق عليه ولهما عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفال قالوا وما الفال قال الكلمة الطيبة والمعنى لا عبرة بتعدية الاسقام من احد الى احد ولا بالتطير تشاؤما وتفاؤلا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتفاءل ولا يتطير اي لا يتشاءم وكان يحب الاسم الحسن رواه في شرح السنة قال ابو السعادات الفال مهموز وهو فيما يسر ويسوء والطيرة لا تكون الا فيما يسوء وربما استعملت فيما يسر يقال تفاءلت بكذا وتفاولت على التخفيف وقد اولع الناس بترك الهمزة تخفيفا وانما احب الفال لان الناس اذا املوا فائدة الله ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف او قوي فهم على خير واذا قطعوا املهم ورجاءهم من الله تعالى كان ذلك من الشر واما الطيرة فان فيها سوء الظن بالله وتوقع البلاء والتفاؤل ان يكون رجل مريض

معنى الفال والطيرة

يسمع آخر يقول يا سالم او يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول يا واجد فيقع في ظنه انه يبرأ من مرضه او يجد
ضالته فيسمى هذا الفال قال الكلمة الطيبة انتهى ويدل له ايضا حديث انس ان النبي صلى الله عليه وآله
وسلم كان يعجبه اذا خرج لحاجته ان يسمع يا راشد يا نجيح رواه الترمذي وفيه دلالة على ان الفال
ليس من الطيرة المنهي عنها قال ابن القيم ليس في الاعجاب بالفال ومحبته شيء من الشرك بل ذلك
ابانة عن مقتضى الطبيعة وموجب الفطرة الانسانية التي تميل الى ما يوافقها ويلائمها كما اخبرهم صلى
الله عليه وآله وسلم انه حبب اليه من الدنيا النساء والطيب وكان يحب الحلواء والعسل ويحب
حسن الصوت بالقرآن والاذان ويستمع اليه ويحب معالي الاخلاق ومكارم الشيم وبالجملة كان
يحب كل كمال وخير وما يفضي اليهما والله سبحانه قد جعل في غرائز الناس الاعجاب بسماع الاسم الحسن
ومحبته وميل نفوسهم اليه وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفلاح والسلام
والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر ونحو ذلك فاذا قرعت هذه الاسماع استبشرت بها النفس
وانشرح لها الصدر وقوي بها القلب واذا سمعت اضدادها اوجبت لها ضد هذه الحال فاحزنها
ذلك واثار لها خوفا وطيرة وانكماشا وانقباضا عما قصدت له وعزمت عليه فاورث لها ضررا
في الدنيا ونقصا في الايمان ومقارفة الشرك وقال الحليمي وانما كان صلى الله عليه وآله وسلم يعجبه
الفال لان التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق والتفاؤل حسن ظن به والمؤمن مأمور بحسن الظن
بالله تعالى على كل حال وعلى كل حال ولابي داود بسند صحيح مرسلا عن عروة بن عامر قال ذكرت الطيرة عند
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال احسنها الفال ولا ترد مسلما قال الطيبي تعريض بان الكافر
بخلافه يعني لا تمنع الطيرة مسلما عن حاجته فانه ليس من شان المسلم وانما هي من شان الكافر ويدل له
حديث بريدة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يتطير من شيء فاذا بعث عاملا سأل عن اسمه فاذا
اعجبه اسمه فرح به ورئي بشر ذلك في وجهه وان كره اسمه رئي كراهية ذلك في وجهه واذا دخل قرية سأل عن
اسمها فان اعجبه اسمها فرح به ورئي بشر ذلك في وجهه وان كره اسمها رئي كراهة ذلك في وجهه رواه ابو داود
واسناده حسن وقد فيه استعمال الفال قال ابن القيم اخبر صلى الله عليه وآله وسلم ان الفال من الطيرة وهو خيرها فابطل الطيرة
واخبر ان الفال منها ولكنه خير منها ففصل بين الفال والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع احدهما ومضرة الآخر
ونظير هذا منعه من الرقى بالشرك واذنه في الرقية اذا لم يكن فيها شرك لما فيها من المنفعة الخالية من المفسدة فاذا رأى احدكم ما يكره

فليقل اللهم لا يأتي بالحسنات الا انت ولا يدفع السيئات الا انت ولا حول ولا قوة الا بك اي لا تأتي الطيرة بالحسنات ولا تدفع المكروهات بل انت وحدك لا شريك لك الذي تأتي بها وتدفعها والحسنات هنا النعم والسيئات المصائب كقوله سبحانه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه الآية الى قوله ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك ففيه نفي تعلق القلب بغير الله في جلب نفع او دفع ضر وهذا هو التوحيد وهو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة وتصريح بانها لا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا ويعد من اعتقدها سفيها مشركا وفي قوله ولا حول الخ استعانة بالله تعالى على فعل التوكل وعدم الالتفات الى الطيرة التي قد تكون سببا لوقوع مكروه عقوبة لفاعلها وذلك الدعاء انما يصدر عن حقيقة التوكل الذي هو اقوى الاسباب في جلب الخيرات ودفع المكروهات والحول التحول والانتقال من حال الى حال والقوة على ذلك بالله وحده لا شريك له ففيه التبري منهما ومن المشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته وهذا هو التوحيد في الربوبية وهو الدليل على توحيد الالوهية الذي هو افراد الله تعالى بجميع انواع العبادة وهو توحيد القصد والارادة وقد تقدم بيان ذلك مفصلا بحمد الله ولاحمد من حديث ابن عمرو من ردته الطيرة عن حاجته فقد اشرك وذلك ان الطيرة من التشاؤم بالشيء المرئي او المسموع فاذا رده شيء من ذلك عن حاجته التي عزم عليها كارادة السفر وعقد النكاح ونحوهما فمنعه عما اراده وسعى فيه ما رأى وسمع تشاؤما فقد دخل في الشرك ولا يخلص توكله على الله لالتفاته الى ما سواه فيكون للشيطان منه نصيب وله من الشرك حظ قالوا فما كفارة ذلك قال ان تقول اللهم لا خير الا خيرك ولا طير الا طيرك ولا اله غيرك ورواه الطبراني ايضا وفي اسناده ابن لهيعة وبقية رجاله ثقات وبالجملة فاذا قال ذلك واعرض عما وقع في قلبه ولم يلتفت اليه كفر الله عنه ما وقع في قلبه ابتداء لزواله عن قلبه بهذا الدعاء المتضمن للاعتماد على الله وحده والاعراض عما سواه وتضمن هذا الحديث ان الطيرة لا تضر من كرهها ومضى في طريقه التوحيدي واما من لم يخلص توكله على الله واسترسل مع الشيطان في ذلك فقد يعاقب بالوقوع بما يكره لانه اعرض عن واجب الايمان بالله وان الخير بيده كله فهو الذي يجلب لعبده نفعا بمشيئته وارادته وهو الذي يدفع عنه الضر وحده بقدرته ولطفه واحسانه فلا خير الا منه وهو الذي يدفع الشر عن عبده فما اصابه من ذلك فبذنبه كما قال سبحانه ما اصابك من

حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك (ق) روى احمد من حديث الفضل بن عباس انما الطيرة ما امضاك او ردك (ق) روي مرفوعا ايضا وفي سنده انقطاع وهذا امر الطيرة المنهي عنها لانها ما يحمل الانسان على المضي فيما اراده ويمنعه من المضي فيما اراده كذلك واما الفال الذي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحبه ففيه نوع بشارة ولطيفة غيبية فيسر به العبد ولا يعتمد عليه بل على الله بخلاف ما يمضيه او يرده فان للقلب عليه نوع اعتماد فافهم الفرق

والله اعلم

فصل في رد العدوى ونحوها

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا عدوى ولا هامة ولا صفر فقال اعرابي يا رسول الله فما بال الابل تكون في الرمل كأنها الظباء فيخالطها البعير الاجرب فيجربها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن اعدى الاول رواه البخاري (ق) وفي رواية اخرى عنه عند مسلم مرفوعا بلفظ لا عدوى ولا هامة ولا نوء ولا صفر (ق) وفي حديث جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا عدوى ولا صفر ولا غول رواه مسلم قال ابن السعادات العدوى اسم من الاعداء كالدعوى يقال اعداه الداء يعديه اعداء اذا اصابه مثل ما يصاحب الداء (ق) وفي رواية لمسلم ان ابا هريرة كان يحدث بحديث لا عدوى ويحدث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا يورد ممرض على مصح ثم ان ابا هريرة اقتصر على هذا الحديث وامسك عن حديث لا عدوى فراجعوه وقالوا سمعناك تحدثه فابى ان يعترف به قال ابو سلمة الراوي عنه فلا ادري انسي ابو هريرة او نسخ احد القولين الآخر وقد روى حديث لا عدوى جماعة من الصحابة انس بن مالك وجابر بن عبد الله والسائب بن يزيد وغيرهم (ق) وفي بعض روايات هذا الحديث وفر من المجذوم كما تفر من الاسد قال الشوكاني لانه اذا وقع من راوي الحديث بعد ان رواه عنه الثقة لا يكون قادحا كما تقرر في علم اصول الحديث لاحتمال النسيان فكيف اذا رواه عنه الثقات فكيف اذا شاركه فيما رواه غيره قال وقد روى حديث لا عدوى مسلم وابو داود من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة واخرجه ايضا ابو داود من طريق ابي صالح عن ابي هريرة واخرجه ايضا مسلم من طريق جابر واخرجه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي وابن ماجه من حديث انس واخرجه ابو داود من حديث سعد

بن مالك وهذا الحديث قد رواه عن ابي هريرة غير ابي سلمة ورواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
غير ابي هريرة كما بيناه انتهى وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث واحسن ما قيل فيه قول البيهقي وتبعه
ابن الصلاح وابن القيم وابن رجب وابن مفلح وغيرهم ان قوله لا عدوى معناه لا عدوى على الوجه
الذي يعتقده اهل الجاهلية من اضافة الفعل الى غير الله تعالى وان هذه الامور تعدي بطبعها
والا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من الامراض سببا لحدوث ذلك ولهذا قال
فر من المجذوم وقال لا يورد ممرض على مصح وقال في الطاعون من سمع به في ارض فلا يقدم عليه وكل
ذلك بتقدير الله ولأحمد والترمذي عن ابن مسعود مرفوعا لا يعدى شيء قالها ثلاثا فقال اعرابي
يا رسول الله النقبة من الجرب تكون بمشفر البعير او بذنبه في الابل العظيمة فتجرب كلها فقال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن اجرب الاول لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر خلق الله كل نفس
وكتب حياتها ومصائبها ورزقها فاخبر صلى الله عليه وآله وسلم ان ذلك كله بقضاء الله تعالى
وقدره والعبد مامور باتقاء اسباب الشر اذا كان في عافية فكما انه يومر ان لا يلقي نفسه في الماء
وفي النار مما جرت العادة انه يهلك او يضر فكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم والقدوم
على بلد الطاعون فان هذه كلها اسباب للمرض والتلف فالله سبحانه هو خالق الاسباب ومسبباتها
لا خالق غيره ولا مقدر سواه ولا متصرف الا اياه واما اذا قوي التوكل على الله والايمان وقدره فقويت
النفس على مباشرة بعض هذه الاسباب اعتمادا على الله ورجاء منه ان لا يحصل به ضرر ففي هذه
الحال تجوز مباشرة ذلك لا سيما اذا كانت مصلحة عامة او خاصة وعلى هذا يحمل الحديث الذي
رواه ابو داود والترمذي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اخذ بيد مجذوم فادخلها معه في القصعة
ثم قال كل بسم الله وتوكلا عليه وقد اخذ به الامام احمد وروي ذلك عن عمر وابنه وسلمان رضي الله
عنهم ونظير ذلك ما روي عن خالد بن الوليد رضي الله عنه من اكل السم ومنه مشي سعد بن ابي وقاص
وابي مسلم الخولاني على متن البحر قاله ابن رجب رح قال الطيبي العدوى ههنا مجاوزة العلة من صاحبها
الى الغير يقال اعدى فلان فلانا من خلقة او من علة به وذلك على ما ذهب المتطببة في علل سبع وقد
اختلف العلماء في تأويل هذا فمنهم من يقول ان المراد منه نفي ذلك وابطاله على ما يدل عليه ظاهر
الحديث ومنهم من يرى انه لم يرد ابطالها كما يدل عليه قوله فر من المجذوم الحديث وانما اراد بذلك

نعم ما اعتقدوا من ان العلل المتعدية مؤثرة لا محالة فعلمهم انه ليس كذلك بل هو متعلق بالمشيئة
ان شاء كان وان شاء لم يكن ويشير الى هذا المعنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم فمن اعدى الاول
وبين بقوله فر من المجذوم ان مداناة ذلك من اسباب العلة فليتقه اتقاءه من الجدار المائل انتهى
حاصله قال الشوكاني رح في اتحاف المهرة في الكلام على حديث لا عدوى ولا طيرة العدوى والطيرة
المذكورتان في هذه الاحاديث نكرتان في سياق النفي والنكرة الواقعة كذلك من صيغ العموم كما تقرر
في الاصول فكأنه صلى الله عليه وآله وسلم قال ليس شيء من افراد العدوى والطيرة ثابتا ومما يقوي
هذا العموم حديث ابن مسعود الطيرة شرك وما منا الخ وقد تقدم وقال النووي في شرح مسلم في الكلام
على حديث لا يورد ممرض على مصح قال العلماء الممرض صاحب الابل المراض ومعنى الحديث لا يورد ابله
على ابل صاحب الابل الصحاح لانه ربما اصابها المرض بفعل الله تعالى وقدره الذي اجرى به العادة
لا بطبعها فيحصل لصاحبها ضرر بمرضها وربما حصل له ضرر اعظم من ذلك باعتقاد العدوى
بطبعها فيكفر والله اعلم انتهى واشار الى نحو هذا الكلام ابن بطال وقال البيهقي ليس للعدوى بل للتأذي
بالرائحة الكريهة ونحوها حكاه ابن رسلان في شرح السنن وقال ابن الصلاح وجه الجمع ان هذه الامراض
لا تعدي بطبعها ولكن الله سبحانه جعل مخالطة المريض الصحيح سببا لاعدائه مرضه ثم قد يتخلف ذلك
عن سببه كما في غيره من الاسباب قال الحافظ ابن حجر في شرح النخبة والاولى في الجمع ان يقال ان نفيه
صلى الله عليه وآله وسلم للعدوى باق على عمومه وقد صح قوله لا يعدي شيء شيئا وقوله لمن عارضه
بالبعير الاجرب ورد عليه بقوله فمن اعدى الاول يعني ان الله ابتدأ ذلك في الثاني كما ابتدأه في
الاول واما الامر بالفرار من المجذوم فمن باب سد الذرائع لئلا يتفق للشخص الذي يخالطه شيء
من ذلك بتقدير الله ابتداء لا بالعدوى المنفية فيظن ان ذلك بسبب مخالطته فيعتقد صحة العدوى
فيقع في الحرج فامر بتجنبه حسما للمادة انتهى وقد ذكر مثل هذا في فتح الباري في كتاب الجهاد منه
والمناسب للعمل الاصولي ان تحمل الاحاديث الواردة باثبات العدوى في بعض الامور والامر
بالتجنب والفرار مخصصا لعموم حديث لا عدوى وما ورد في معناه كما هو شأن العام والخاص فيكون
المراد في الاحاديث في قوله لا عدوى الا في هذه الامور وقد تقرر في الاصول انه يبنى العام على
الخاص مع جهل التاريخ وادعى بعضهم انه للجماع والناسخ في هذه الاحاديث [illegible] لا ما لم

من ان يجعل الله سبحانه في بعض الامراض خاصة يحصل بها العدوى عند المخالطة دون بعض وقد ذهب الى نحو هذا مالك وغيره انتهى كلام الشوكاني وتقدم الكلام على معنى هامة ولا صفر بفتح الفاء روى ابو عبيدة في غريب الحديث عن روبة انه قال هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس وهي اعدى من الجرب عند العرب وقال الشوكاني حية في البطن تصيب الانسان اذا جاع فتؤذيه فكانت العرب تزعم انها تعدى وعلى هذا فالمراد بنفيه ما كانوا يعتقدونه من العدوى وممن قال بهذا سفيان بن عيينة والامام احمد والبخاري وابن جرير وقال آخرون المراد به تاخير المحرم الى شهر صفر وهو النسيء فالنفي لما كان اهل الجاهلية يفعلونه من النسيء فكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه ويتكلمون فيه من الشروع في الاعمال كالنكاح والبناء فابطله الاسلام وهو قول مالك وروى ابو داود عن محمد بن راشد عمن سمعه يقول ان اهل الجاهلية كانوا يتشاءمون في صفر ويقولون انه شهر مشؤم فابطل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك قال ابن رجب ولعل هذا القول اشبه الاقوال والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهى عنها وكذا التشاؤم بيوم من الايام كيوم الاربعاء وتشاؤم اهل الجاهلية بشوال في النكاح خاصة انتهى قال بعض اهل العلم كان قد اشتهر في جهال العرب ان من كان به مرض جوع الكلب وهو المرء الذي ياكل ولا يشبع فانه يدخل في بطنه شيطان او خبيث ياكل ويقال له صفر فابطل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا الاعتقاد وبين انه لا اصل لذلك فثبت بهذا ان خيال بعض الناس واعتقادهم ان مع بعض الامراض يكون بلاء كالحصبة وصبياني بالهندية غلط محض ووهم صرف وكذلك كان اشتهر فيهم ان شهر صفر غير مبارك لا ينبغي ان يفعل فيه شيء وهذا ايضا باطل فالقول بان ثلاث عشر يوما من شهر صفر ايام تكليف وانه تنزل فيها البلايا والرزايا شرك واضح وهكذا القول بان الشهر الفلاني والتاريخ الفلاني واليوم الفلاني غير مبارك وفيه شؤم من ابطل الباطلات فمن اعتقد شيئا من هذه الرسوم فقد صار مشركا بالله تعالى انتهى واما الغول الوارد في حديث جابر المتقدم فهو واحد الغيلان وهي جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم ان الغول في الفلاة يتراءى للناس فيتغول تغولا اي يتلون تلونا في صور شتى ويغولهم اي يضلهم عن الطريق فيهلكهم فنفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابطله وقيل نفى اغتياله لا وجوده كذا في الطيبي قال في فتح المجيد يقال المنفي ليس وجود الغول بل ما تزعمه العرب من تصرفه في نفسه

ان يكون المعنى بقوله لا غول انها لا تستطيع ان تضل احدا مع ذكر الله والتوكل عليه ويشهد له الحديث الآخر لا غول ولكن السعالي صحرة الجن اي ولكن في الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل ومنه الحديث اذا تغولت الغيلان فبادروا بالاذان اي ادفعوا شرها بذكر الله وهذا يدل على انه لم يرد بنفيها عدمها ومنه حديث ابي ايوب كان لي تمر في سهوة فكانت الغول تجيء فتأكل منه انتهى وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم كما تفر من الاسد رواه البخاري تعليقا في صحيحه من حديث سعيد بن ميناء بلفظ قال سمعت ابا هريرة يقول الخ قال الشوكاني في شرح المنتقى ظاهر الحديث انه لا يجب اعتقاد ثبوت العدوى في شيء من الاشياء ولا التطير من امر من الامور ولكنه قد ورد ما يوهم ثبوت ذلك في الطاعون كحديث عمرو بن الشريد بن السويد الثقفي عن ابيه عند مسلم والنسائي وابن ماجة قال كان في وفد ثقيف رجل مجذوم فارسل اليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم انا قد بايعناك فارجع ومن ذلك حديث لا يورد ممرض على مصح وقد تقدم قال القاضي عياض قد اختلفت الآثار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قصة المجذوم فثبت عنه الحديثان المذكوران وعن جابر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اخذ بيد مجذوم فوضعها معه في القصعة وقال كل ثقة بالله وتوكلا عليه رواه ابن ماجة وفي رواية اخرى عنه بلفظ اكل مع مجذوم وقال له كل ثقة بالله تبارك وتعالى الخ وعن عائشة قالت كان لنا مولى مجذوم فكان يأكل في صحافي ويشرب في اقداحي وينام على فراشي قال بعض اهل العلم في معنى هذا الحديث يعني ان اعتمدنا على الله وتوكلنا عليه سبحانه فمن شاء امرضه ومن شاء عافاه لا ينبغي لنا ان نجتنب من الاكل مع مريض اي مريض كان ونعتقد ان المرض يعدي من مريض الى غيره انتهى قال وقد ذهب عمر وغيره من السلف الى الاكل معه ورأوا ان الامر باجتنابه منسوخ والصحيح الذي قاله الاكثرون ويتعين المصير اليه انه لا نسخ بل يجب الجمع بين الحديثين وحمل الامر باجتنابه والفرار منه على الاستحباب والاحتياط واما الاكل معه ففعله لبيان الجواز والله اعلم كذا في شرح مسلم للنووي والحديث الذي اشار اليه بانه صلى الله عليه وآله وسلم اكل مع المجذوم اخرجه ابو داود والترمذي وابن ماجة قال الترمذي غريب لا نعرفه الا من حديث يونس [illegible] عن المفضل [illegible]

شيخ بصري اوثق من هذا واشهر روى شعبة هذا الحديث عن حبيب بن الشهيد عن ابي بريدة ان عمر رضي الله عنه اخذ بيد مجذوم وحديث شعبة عنه اشبه عندي واصح انتهى قال الدار قطني تفرد به مفضل البصري اخو مبارك عن حبيب بن الشهيد عنه يعني عن ابن المنكدر قال ابن عدي الجرجاني لا اعلم يرويه عن حبيب بن الشهيد غير مفضل بن فضالة وقالوا تفرد بالرواية عنه يونس بن محمد انتهى والمفضل بن فضالة البصري كنيته ابو مالك قال يحيى بن معين ليس بذاك وقال النسائي ليس بالقوي و قال ابو حاتم يكتب حديثه وذكره ابن حبان في الثقات قال القاضي عياض قال بعض العلماء في هذا الحديث وما في معناه يعني حديث الفرار من المجذوم دليل على انه يثبت للمرأة الخيار في فسخ النكاح اذا وجدت زوجها مجذوما او حدث به جذام قال وايضا قالوا يمنع من المسجد والاختلاط بالناس قال وكذلك اختلفوا في انهم اذا كثروا هل يؤمرون ان يتخذوا لانفسهم موضعا منفردا خارجا عن الناس ولا يمنعون من التصرف في منافعهم وعليه اكثر الناس او لا يلزمهم التنحي قال ولم يختلفوا في القليل منهم يعني في انهم لا يمنعون قال ولا يمنعون من صلاة الجمعة مع الناس ويمنعون من غيرها قال ولو استضر اهل قرية فيهم جذماء بمخالطتهم في الماء فان قدروا على استنباط ماء بلا ضرر امروا به والا استنبط لهم الآخرون او اقاموا من يستقي لهم والا فلا يمنعون وتقدم كلام النووي على حديث لا يورد ممرض على مصح فراجعه واذا تقرر هذا فالمتجه على من علم بان هذا الثوب ونحوه كان لمجذوم او من مرضه يشبه مرضه في العدوى انه لا يبيعه الا بعد البيان للمشتري او بعد ان يغسله غسلا يزول به الاثر الذي يخشى تعديه الى الغير والتأذي برائحته ولا شك ان البيع بدون بيان نوع من الغرر الذي ثبت النهي عنه في الاحاديث الصحيحة للقطع بان الغالب من الناس ينفر من السلعة التي يقال انها لمجذوم او نحوه اشد النفور ويمتنع من اخذها ولو بادون الاثمان وهذا معلوم مشاهد موجود في الطبائع وخلاف ذلك لا يوجد الا في اندر الاحوال ولا اعتبار بالنادر فاي غرر اعظم من هذا واي خداع اشد منه وقد تقدم عن عياض عن اكثر الناس ان المجذومين يتخذون لانفسهم موضعا منفردا عن الناس ولا شك ان التضرر بذلك اخف من التضرر بلبس ثيابهم والاكل والشرب في آنيتهم ومن حاول الجمع بين الاحاديث بغير ما ذكرناه فكلامه ايضا غير مخالف لهذا فانه اذا كان الامر بالفرار من المجذوم لاجل ما يحصل من التأذي برائحته فثيابه كذلك وهكذا اذا كان الامر بالفرار منه

يحصل من الذريعة وربما كان عدم البيان ذريعة الى الاعتقاد شوائب من الشرك في رب المعبود و
هو مثال عامته ثم يعلم بعد ذلك ان الثوب الذي لبسه كان لحوم الدم فانه ربما كان ذلك سببا لحصول
الاعتقاد دائما

فصل في رد الاشراك بالاستشفاع بالله على احد من مخلوقاته

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال اتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعرابي فقال جهدت الانفس وضاعت العيال ونهكت الاموال وهلكت الانعام فاستسق الله لنا فانا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك فقال استشفعت بفلان على فلان تتشفع الى الله وشفعه اجاب شفاعته وما قيل ان الشفاعة انضمام الى آخر ناصرا له وسائلا عنه الى ذي سلطان عظيم فمنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يستشفع بالله تعالى على احد وقال سبحان الله سبحان الله فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه اصحابه ثم قال ويحك انه لا يستشفع بالله على احد من خلقه فانه تعالى رب كل شيء ومليكه والامر كله بيده لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولا راد لما قضى وما كان الله ليعجزه شيء في السموات والارض والخلق وما في ايديهم كله ملكه يصرف فيه كيف يشاء وهو الذي يشفع الشافع اليه وليس هو شافعا الى احد وليعد الانكار على الاعرابي قوله وسبح الله كثيرا وعظمه لان هذا القول لا يليق بالخالق سبحانه وعزه شان الله اعظم من ذلك ويحك اتدري ما الله ان عرشه على سمواته لهكذا او قال باصابعه مثل القبة وانه ليئط به اطيط الرحل بالراكب رواه ابو داود وقال بعض اهل العلم في معنى هذا الحديث انه وقع القحط في بلاد العرب فجاء اعرابي وذكر الشدة وطلب الدعاء وقال نريد الشفاعة منك عند الله وشفاعة الله عندك فدهش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قوله هذا وخاف خوفا شديدا وصار يسبح وتغير وجوه الناس من خشيته صلى الله عليه وآله وسلم وثنائه على الله عظمة له سبحانه ثم افهم الاعرابي ان اذا ذهب احد الى احد للشفاعة انما يكون لكون الشفيع ذا اعتبار وذا جاه عنده ويكون المشفوع اليه يقبل شفاعته لرعاية خاطره وتطييب قلبه فاذا قال انا نستشفع بالله عليك ونستشفع بك على الله فكأنه اعتقد ان الرسول مختار وان الله سبحانه شفيع له اليه وهذا غلط محض وفيه كسر لشان الله الرفيع لان شأنه سبحانه ارفع من الجميع والانبياء والرسل كلهم عاجزون لديه عبيد له وعرشه قد احاط جميع السموات والارض كالقبة الحاضرة

لما تحته وفيه وضع بهذه العظمة لا يتحمل عظمته تعالى بل يأط من كمال عظمته وتمام جلالته اطيط الرحل براكبه لا طاقة لاحد من مخلوقاته ان يفصح عن عظمته وبيان كبريائه او يجول وهمه وخياله في ميدان جلالته ورفعته واذا كان الحال كذلك والحالة هذه فمن ذاك الذي يكون دخيلا عنده ويدخل في امور سلطنته العليا بل هو الملك ملك الملوك من دون جنود وعساكر ووزير ومشير له وظهير يفعل في ان واحد آلاف الوف من الامور فماله وللشفاعة عند احد ومن يقدر بين يديه ان يجلس مختارا او يصير دخيلا في شيء من امره وخلقه هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد الرسل وخاتمهم واشرفهم خلقا واكرمهم وجاهة لما سمع من اعرابي قولا يخالف عظمته صار خائفا دهشا واخذ في التسبيح وفي بيان جلالته من العرش الى الفرش فقس على هذا الناس الذين ينطقون بما يشعر كانهم اقرباء لذلك الملك ملك الملوك او لهم معرفة ومودة كمودة احدهم لاحد ويعتدون في الاقوال ويتجاوزون حدود المقال فيقول بعضهم ومعاذ الله منه اني اشتريت ربي بفلس ومنهم من يقول اني اكبر منه سبحانه بسنتين ومنهم من يقول ان تجلى ربي في غير صورة شيخي لا انظر اليه ومنهم من نظم شعرا معناه اني جريح الفؤاد من محبة الرسول فانا رقيب الله تعالى في هذه المحبة و قال بعضهم كن مع الله مجنونا ومع محمد صلى الله عليه وآله وسلم صاحيا ومنهم من يفضل الحقيقة المحمدية على حقيقة الالوهية الى غير ذلك مما هو كفر بواح وضلال صرف وشرك بحت اعاذنا الله منه وقد ثبت من هذا الحديث ان الختم المشهور بين الناس الذي يقولون فيه يا شيخ عبد القادر شيئا لله لا ينبغي ان يقال ذلك لان فيه الاتيان بالله شفيعا عند الشيخ والشيخ وان كان كبير الاولياء ولكن الله سبحانه اكبر من كل كبير واعلى من ان يستشفع به لدى امير او فقير نعم لو قال يا الله اعطني شيئا كذا او كذا للشيخ عبد القادر لكان جائزا عند بعض الفقهاء فالذي يجب على كل مسلم ويحق له وينبغي ان لا يتلفظ بحرف فضلا عن كلمة فيها رائحة الشرك او نتن اساءة الادب مع خالق الكل جل جلاله وعم نواله فان شانه سبحانه اعظم الشؤون وانه اغنى الاغنياء واملك الملوك قد يأخذ على ذرة ويعفو لذرة ومن تفوه في الظاهر بالفاظ فيها ترك الادب واساءته ثم قال ان المراد منها غير الظاهر فهذا خطأ منه فاحش وغلط واضح لان لاستعمال المعميات والالغاز مواضع اخر كثيرة غير هذا الموضع ليس هذا بضروري في جنابه الاقدس الاعلى الا ترى ان احدا من الناس

لا يستحق باسمه ولا السلطان رماه ولا الهوى أمه وأما اليسع مدامع الاحاف الاحتكا لا مع الا ب
والسلطان انتهى والحديث أصله دليل على علوه سبحانه على الخلق واستوائه على عرشه العظيم وأنه فوق
السموات لا حيا ولا في الأرض وفيه تفسير الاستواء بالعلو كما فسره الصحابة والتابعون والأئمة خلافاً
للمعطلة والجهمية والمعتزلة ومن أخذ عنهم كالأشاعرة ونحوهم ممن ألحد في أسماء الله تعالى وصفاته
وصرفها عن المعنى الذي وضعت له ودلت عليه من إثبات صفات الله تعالى التي دلت على كماله
جل وعلا كما عليه السلف الصالح والأئمة ومن تبعهم ممن تمسك بالسنة فإنهم أثبتوا
ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من صفات كماله على ما يليق بجلاله
وعظمته وجماله وكبريائه إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل وهذه المسألة مما وقع فيه القلاقل
والزلازل الكثيرة قديماً وحديثاً وجمعت فيها كتب وتصنيفات كثيرة أحسنها كتاب الجيوش والصلات
في بيان الأسامي والصفات فإنه جامع لإثبات هذا الباب متضمناً ما هو الحق الحقيق بالقبول
والصواب قال الشوكاني رح في الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد وأما التشفع بالمخلوق فلا
خلاف بين المسلمين أنه يجوز طلب الشفاعة من المخلوقين فيما يقدرون عليه من أمور الدنيا وثبت
بالسنة المتواترة واتفاق جميع الأمة أن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم هو الشافع المشفع وأنه يشفع للخلائق
يوم القيامة وأن الناس يستشفعون به ويطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربه ولم يقع الخلاف إلا
في كونها للمحدودين المذنبين أو لزيادة ثواب المطيعين ولم يقل أحد من المسلمين بنفيها قط وفي
سنن أبي داود أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إنا نستشفع بالله عليك ونستشفع بك على
الله فقال شأن الله أعظم من ذلك إنه لا يستشفع به على أحد من خلقه فأقره على قوله نستشفع بك
على الله وأنكر عليه قوله نستشفع بالله عليك قال الكلام على هذه الأطراف يتوقف على إيضاح الألفاظ
التي هي مبنى الاختلاف والالتباس منها الاستغاثة بالغين المعجمة والثاء المثلثة ومنها التوسل
ومنها الاستعانة بالعين المهملة والنون ومنها التشفع فأما الاستغاثة فهي طلب الغوث وهو إزالة
الشدة كالاستنصار وهو طلب النصر ولا خلاف أنه يجوز أن يستغاث بالمخلوق فيما يقدر على
الغوث فيه من الأمور ولا يحتاج مثل ذلك إلى استدلال فهو في غاية الوضوح وما أظنه يوجد
فيه خلاف ومنه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه وكما قال وإن استنصروكم

في الدين فعليكم النصر كما قال وتعاونوا على البر والتقوى واما ما لا يقدر عليه الا الله فلا يستغاث فيه الا به كغفران الذنوب والهداية وانزال المطر والرزق ونحو ذلك كما قال تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله وقال انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وقال يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض وعلى هذا يحمل ما اخرجه الطبراني في معجمه الكبير انه كان في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم منافق يؤذي المؤمنين فقال ابو بكر رضي الله عنه قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا المنافق فقال صلى الله عليه وآله وسلم انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله فمراده صلى الله عليه وآله وسلم انه لا يستغاث به فيما لا يقدر عليه الا الله واما ما يقدر عليه المخلوق ليعينه على حمل حجر او يحول بينه وبين عدوه الكافر او يدفع عنه سبعا صائلا او لصا او نحو ذلك وقد ذكر اهل العلم انه يجب على كل مكلف ان يعلم ان لا غياث ولا مغيث على الاطلاق الا الله سبحانه وان كل غوث من عنده واذا حصل شيء من ذلك على يد غيره فالحقيقة له سبحانه ولغيره مجاز ومن اسمائه المغيث والغياث قال الحليمي الغياث هو المغيث واكثر ما يقال غياث المستغيثين ومعناه المدرك عباده في الشدائد اذا دعوه ومجيبهم ومخلصهم وفي خبر الاستسقاء في الصحيحين اللهم اغثنا اللهم اغثنا يقال اغاثه غياثا وغوثا وهو في معنى المجيب والمستجيب قال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم الا ان الاغاثة احق بالافعال والاستجابة بالاقوال وقد يقع كل منهما موقع الآخر قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في بعض فتاواه ما لفظه والاستغاثة بمعنى ان يطلب من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما هو اللائق بمنصبه لا ينازع فيه مسلم ومن نازع في هذا المعنى فهو اما كافر واما مخطئ ضال واما بالمعنى الذي نفاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو ايضا مما يجب نفيها ومن اثبت لغير الله ما لا يكون الا لله فهو ايضا كافر اذا قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها ومن هذا الباب قول ابي يزيد البسطامي استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق وقول الشيخ ابي عبد الله القرشي استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون واما الاستعانة فهي طلب العون ولا خلاف انه يجوز ان يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه من امور الدنيا كان يستعين به على ان يحمل معه متاعه او يعلف دابته او يبلغ رسالته واما ما لا يقدر عليه الا الله جل جلاله

ولا يستعان فيه الا به ومنه إياك نعبد وإياك نستعين وأما التشفع فيأتي الكلام عليه ونحوه
وأما التوسل الى الله سبحانه من خلقه في مطلب يطلبه العبد من ربه فقد قال الشيخ عز الدين
انه لا يجوز التوسل الى الله تعالى الا بالنبي صلى الله عليه وسلم ان صح الحديث فيه ولعله يشير الى الحديث الذي اخرجه
النسائي في سننه والترمذي وصححه وابن ماجة وغيرهم ان اعمى اتى الى النبي صلى الله عليه وآله
وسلم فقال يا رسول الله اني اصبت في بصري فادع الله لي فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم
توضأ وصل ركعتين ثم قل اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبيك محمد يا محمد اني استشفع بك
في رد بصري اللهم شفع النبي فيّ وقال فان كان لك حاجة فمثل ذلك فرد الله بصره وللناس في معنى
هذا الحديث قولان احدهما ان التوسل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب لما قال كنا اذا اجدبنا نتوسل
بنبينا اليك فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا وهو في صحيح البخاري وغيره فقد ذكر عمر رضي الله عنه
انهم كانوا يتوسلون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته في الاستسقاء ثم توسل بعمه العباس بعد
موته وتوسلهم هو استسقاؤهم بحيث يدعو ويدعون معه فيكون هو وسيلتهم الى الله تعالى والنبي
صلى الله عليه وآله وسلم كان في مثل هذا شافعا وداعيا لهم والقول الثاني ان التوسل به صلى الله
عليه وآله وسلم يكون في حياته صلى الله عليه وآله وسلم وبعد موته وفي حضرته ومغيبه ولا يخفاك
انه قد ثبت التوسل به صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وثبت التوسل بغيره بعد موته باجماع
الصحابة اجماعا سكوتيا لعدم انكار احد منهم على عمر رضي الله عنه في توسله بالعباس رضي الله عنه
قال وعندي لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم كما زعمه الشيخ عز الدين
ابن عبد السلام لامرين الاول ما عرفناك به من اجماع الصحابة رضي الله عنهم والثاني ان التوسل
الى الله باهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل باعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة اذ لا يكون
الفاضل فاضلا الا باعماله فاذا قال القائل اللهم اني اتوسل اليك بالعالم الفلاني فهو باعتبار
ما قام به من العلم وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حكى عن الثلاثة
الذين انطبقت عليهم الصخرة ان كل واحد منهم توسل الى الله باعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة
فلو كان التوسل بالاعمال الفاضلة غير جائز او كان شركا كما يزعمه المتشددون في هذا الباب
كابن عبد السلام ومن قال بقوله من اتباعه لم تحصل الاجابة من الله لهم ولا سكت النبي

صلى الله عليه وآله وسلم عن انكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم وبهذا تعلم ان ما يورده المانعون من التوسل الى الله تعالى بالانبياء والصالحين من نحو قوله تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ونحو قوله تعالى فلا تدعوا مع الله احدا ونحو قوله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء ليس بوارد بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو اجنبي عنه فان قولهم ما نعبدهم الخ مصرح بانهم عبدوهم لذلك والمتوسل بالعالم مثلا لم يعبده بل علم ان له مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذلك وكذلك قوله ولا تدعوا الخ فانه نهى عن ان يدعى مع الله غيره كان يقول بالله وبفلان والمتوسل بالعالم مثلا لم يدع الا الله وانما وقع منه التوسل اليه بعمل صالح عمله بعض عباده كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح اعمالهم وكذلك قوله والذين يدعون من دونه الآية فان هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم ولم يدعوا ربهم الذي يستجيب لهم والمتوسل بالعالم مثلا لم يدع الا الله ولم يدع غيره دونه ولا دعا غيره معه واذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الادلة الخارجة عن محل النزاع خروجا زائدا على ما ذكرناه كاستدلالهم بقوله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله فان هذه الآية الشريفة ليس فيها الا انه تعالى هو المتفرد بالامر في يوم الدين وانه ليس لغيره من الامر شيء والمتوسل بنبي من الانبياء او عالم من العلماء هو لا يعتقد ان لمن توسل به مشاركة لله جل جلاله في امر يوم الدين ومن اعتقد هذا العبد من العباد سواء كان نبيا او غير نبي فهو في ضلال مبين وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله ليس لك من الامر شيء وبقوله قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا فان هاتين الآيتين مصرحتان بانه ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من امر الله شيء وانه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فكيف يملك لغيره وليس فيهما منع التوسل به او بغيره من الانبياء او الاولياء او العلماء وقد جعل الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم المقام المحمود مقام الشفاعة العظمى وارشد الخلق ان يسألوه ذلك ويطلبوه منه وقال له سل تعطه واشفع تشفع وقيد ذلك في كتابه العزيز بان الشفاعة لا تكون الا باذنه ولا تكون الا لمن ارتضى وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين يا فلان ابن فلان لا املك لك من الله شيئا يا فلانة بنت فلان لا املك لك من الله شيئا فان هذا ليس فيه الا التصريح بانه صلى الله عليه وآله وسلم لا يستطيع نفع من اراد الله تعالى ضره ولا ضر من اراد الله نفعه وانه لا يملك لاحد من قرابته فضلا عن غيرهم شيئا من الله وهذا معلوم لكل

مسلم فليس فيه انه لا يتوسل به الى الله فان ذلك هو طلب الامر ممن له الامر والنهي وانما اراد الطالب ان يقدم بين يدي طلبته ما يكون سببا للاجابة ممن هو المتفرد بالعطاء والمنع وهو مالك يوم الدين قال والحاصل ان طلب الحوائج من الاحياء جائز اذا كانوا يقدرون عليها ومن ذلك الدعاء فانه يجوز استمداده من كل مسلم بل يحسن ذلك وكذلك الشفاعة من اهل الدين وردت الشريعة بانهم يشفعون لكن ينبغي ان يعلم ان دعاء من يدعو له لا ينفع الا باذن الله وارادته ومشيئته وكذلك شفاعة من يشفع لا تكون الا باذن الله كما ورد بذلك القرآن الكريم فهذا التقييد للمطلق لا ينبغي العدول عنه بحال انتهى كلام الشوكاني رح والذي تحصل من كلامه هذا ان التوسل بالصلحاء من الانبياء والاولياء والعلماء فيما ورد به الشرع وبعمله سلف هذه الامة وائمتها جائز لا شرك فيه ولا منافاة بين هذا وبين ما تقدم من الكلام على الشفاعة في هذا الكتاب ومنع الاستشفاع بالله عن احد من خلقه فانه فكل مسئلة من هذه المسائل واقعة موقعها وانما نشأ الخلاف بخلط بعض منها ببعضها وقد ورد في بعض ادعية النبوة اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك والاحوط الاقوال واصح الاعمال في هذا الباب القصر على المورد ان صح لان اكثر الخلائق لا يعلمون ما يدخل في هذا من الشرك كيف والشرك اخفى من دبيب النمل كما ورد بذلك الحديث

فصل في رد الشرك العادي في التسمية والمشيئة والحلف ونذر المعصية والسجدة لغير الله تعالى

عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان احب اسمائكم الى الله عبد الله وعبد الرحمن رواه مسلم قال بعض اهل العلم ويدخل في هذا الحديث التسمية بعبد القدوس وعبد الخالق وعبد المحسن وعبد الهادي والله اعلم فكل اسم فيه اضافة الى اسم من اسماء الله الحسنى بحيث لا يطلق ذلك الاسم على غيره سبحانه فهو احسن شيء ولهذا ورد في حديث ابي هريرة عند البخاري يرفعه اخنى الاسماء يوم القيامة عند الله رجل يسمى ملك الاملاك وفي رواية لمسلم قال اغيظ رجل على الله يوم القيامة واخبثه رجل كان يسمى ملك الاملاك لا ملك الا الله ومعنى اخنى افحش واخس ومعنى اغيظ اكثر من يغضب عليه وانما اخبر عن قبح ذلك لان هذا اللفظ انما يصدق على الله تعالى فهو ملك الاملاك لا مالك اعظم ولا اكبر منه مالك الملك ذو الجلال والاكرام

وكل ملك يؤتيه الله من شاء من عباده فهو عارية ليسترجعها الى المعير وهو الله تعالى ينزع الملك ممن ملكه تارة ويؤتي من شاء تارة فيصير لا حقيقة له سوى اسم زائل مسماه واما رب العالمين فملكه دائم باق كامل لا انتهاء له بيده القسط يخفضه ويرفعه يحفظ على عباده اعمالهم بعلمه المحيط بكل شيء ويحفظ ما تكتبه الحفظة عليهم فيجازي كل عامل بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر كما ورد في الحديث اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله واليك يرجع الامر كله اسألك من الخير كله واعوذ بك من الشر كله وفي رواية اخنع مكان اخنى ولفظ اخبث يدل على ان هذا اللقب خبيث عند الله فاجتمعت في حق من لقب به هذه الامور اعني الخنى والخنع والغيظ والغضب والخبث لتعاظمه في نفسه وتعظيم الناس له بهذه الكلمة التي هي من اعظم التعظيم فصار اخبث الخلق وابغضهم الى الله واحقرهم لان الخبيث البغيض عند الله يوم القيامة فيكون هنالك اخبث الخلق وابغضهم الى الله واحقرهم لتعاظمه على خلق الله بنعم الله واخنع بمعنى اوضع قال سفيان بن عيينة مثل شاهان شاه عند العجم وانما مثل به سفيان لانه عبارة عن ملك الاملاك بلغة العجم ويدخل فيه كل لقب وكل اسم معناه معنى هذا الاسم كمهاراج بالهندية وما يؤدي معنى ذلك بلغة اخرى وقد صرح في الحديث نفسه وجه المنع من هذه التسمية وهو اختصاص الرب بالملكية وانه لا ملك الا اياه فمن سمى ولده باسم فيه تزكية النفس او الاضافة الى غير الله تعالى فقد جاء بالسيئة وبعد عن منازل التوحيد وقد غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اسماء جماعة من الرجال والنساء في اقل وادون من هذا كما في حديث زينب بنت ابي سلمة قالت سميت برة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تزكوا انفسكم الله اعلم باهل البر منكم سموها زينب رواه مسلم وهذا يدل على كراهة التسمية بمثل محي الدين وقطب الدين وفخر الدين وعظيم الدين ونحوها لوجود التزكية في ذلك وفي حديث ابن عباس قال كانت جويرية اسمها برة فحول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اسمها جويرية وكان يكره ان يقال خرج من عند برة رواه مسلم وعن ابن عمر ان بنتا يقال لها عاصية فسماها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جميلة رواه مسلم وعن سهل بن سعد قال اتي بالمنذر بن ابي أُسيد الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين ولد فوضعه على فخذه فقال ما اسمه قال فلان قال لا لكن اسمه المنذر متفق عليه وعن عائشة قالت ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم

يكون بغير الاسم القبيح رواه الترمذي وعن عبد الحميد بن جبير بن شيبة قال جلست الى سعيد بن المسيب
فحدثني ان جده حزنا قدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما اسمك قال اسمي حزن قال بل انت سهل
قال ما انا بمغير اسما سمانيه ابي قال ابن المسيب فما زالت الحزونة فينا بعد رواه البخاري وفي المال الحادي
والغرض انه ينبغي للمسلم ان يسمي اولاده بالاسماء التي هي احب الى الله تعالى واهتدى لما امر رسوله صلى الله
عليه وآله وسلم ولا يسميهم باسماء التركية او القبيحة او الاشكال او ما فيه رائحة الشرك وبعد علماء
الناس في الاسامي الى ان جعلوها شركا كما تسمى الاولاد بعبد الحسين وغلام فلان ومعنى الغلام
في عرفهم العبد فصاروا بذلك مشركين وما قدروا الله حق قدره وكذلك احدثوا الفاظ التزكية
للملقب بها او تعظيمه والرضا اي هذا الكنى لهم سلطان جاه ونحوه وهذا من بدع الالفاظ ومستكرهها
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسموا باسماء الانبياء واحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن
واصدقها حارث وهمام واقبحها حرب ومرة رواه ابو داود عن ابي وهب الجشمي وفي حديث بريدة
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تقولوا للمنافق سيد فانه ان يك سيدا فقد اسخطتم ربكم
رواه ابو داود ومعناه ان يكن سيدا وجب طاعته وذلك موجب لسخطه تعالى وقيل اراد لكم هذا
القول اسخطتم ربكم فوضع الكون موضع القول وقيل معناه ان يك سيدا اي ذا مال وجاه دنيوي
اسخطتم الله لانكم عظمتم من لا يستحق التعظيم وان لم يكن كذلك فقد كذبتم واقررتم الى النفاق وكما ورد
النهي عن الاسماء القبيحة وكذلك ورد النهي عن تسمية الشيء بالاسم المزكي فقد ورد في حديث ابي هريرة
مرفوعا لا تسموا العنب الكرم ولا تقولوا يا خيبة الدهر فان الله هو الدهر رواه البخاري وهذا يدل على منع
تسمية الاشياء المحرمة وغيرها بما لا تستحق من التزكية والمدح والثناء وكذلك ورد النهي عن التكني بالكنى
القبيحة عن شريح بن هانئ عن ابيه انه لما وفد الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع قومه سمعهم يكنونه
بابي الحكم الكنية ما صدر باب او ام ونحو ذلك واللقب ما ليس كذلك كزين العابدين ونحوه فدعاه رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان الله هو الحكم اي ان الله سبحانه هو الحاكم في الدنيا والآخرة يحكم بين خلقه
في الدنيا بوحيه الذي انزله على انبيائه ورسله وما من قضية الا وفيه لله حكم بما انزل على نبيه من الكتاب
والحكمة وقد نشر الله معرفة اكثر ذلك لاكثر العلماء من هذه الامة فانها لا تجتمع على ضلالة فان العلماء
وان اختلفوا في بعض الاحكام فلا بد ان يكون المصيب فيهم واحدا من وفقه الله تعالى في الحكم

واعطاه ملكة يقتدر بها على درك الصواب من اقوال العلماء يسر له ذلك بفضله ومنه عليه واحسانه اليه فما اجلها من عطية نسأل الله من فضله واليه الحكم اي في الدنيا والاخرة كما قال تعالى فما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله وقال وان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الاية فالحكم الى الله هو الحكم الى كتابه والحكم الى رسوله هو الحكم اليه في حياته والى سنته بعد وفاته فلم تكنى ابا الحكم قال

ان قومي اذا اختلفوا في شيء اتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين بحكمي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما احسن هذا معناه والله اعلم ان ابا شريح لما عرف سنه قومه انه صاحب انصاف وتحر للعدل بينهم ومعرفة ما يرضيهم من الجانبين صار عندهم مرضيا قال في فتح المجيد وهذا امر لاصلح لان مداره على الرضا لا على الالزام ولا على احكام الكهان واهل الكتاب من اليهود والنصارى ولا على الاستناد الى اوضاع اهل الجاهلية من احكام كبرائهم واسلافهم التي تخالف حكم الكتاب والسنة كما قد يقع اليوم كثيرا كحال الطواغيت الذين لا يلتفتون الى حكم الله ولا الى حكم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وانما المعتمد عندهم ما حكموا به باهوائهم وآرائهم وقد يلتحق بهذا البعض المقلدة لمن لا يسوغ تقليده فيعتمد على قول من قلده ويترك ما هو الصواب الموافق لاصل السنة والكتاب والله المستعان فما لك من الولد قال

قال لي شريح ومسلم وعبد الله قال فمن اكبرهم قال قلت شريح قال فانت ابو شريح رواه ابو داود والنسائي قال بعض اهل العلم في معنى هذا الحديث ان فصل المنازعة ورفع الخصومة هو شان الله تعالى في الحقيقة فانه يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون وليس ذلك الى احد من مخلوقاته ولا يقدر عليه احد من دون الله فلا ينبغي ان يستعمل لفظا هو يليق بشان الله تعالى في حق من هو مخلوق له ومحكوم عليه منه انتهى اي كقولهم مالك العالمين واقضى القضاة وارحم الراحمين واكرم الاكرمين وابي القضاء والقدر وابي الحكم والامر وما في معنى ذلك كالرازق والرب والمعبود والغني المطلق وفي الحديث تقديم الاكبر في الكنية وغيرها غالبا وجاء هذا المعنى في غير حديث والله اعلم وقد روى احمد وابو داود عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء آبائكم فاحسنوا اسماءكم وفي هذا الارشاد الامة الى تحسين الاسماء ولا حسن في اسم اذا كان فيه شيء مما كرهه الشرع او نهى عنه او منع منه او سخط عليه الرب ويدل له حديث بشير بن ميمون عن عمه اسامة بن اخدري ان رجلا يقال له اصرم كان في النفر الذين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال اصرم قال بل انت زرعة رواه

تغيير الاسماء القبيحة

ابو داود قال وغيّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم اسم العاص وعزيز وعتلة وشيطان والحكم وغراب وحباب وشهاب قال وتركت اسانيدها للاختصار انتهى وعن مسروق قال لقيت عمر فقال من انت قلت مسروق بن الاجدع قال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الاجدع شيطان رواه ابو داود وابن ماجه والحديث دل على النهي عن التسمية باللفظ القبيح وتمام الكلام على هذا البحث في كتابنا الجوائز والصلات فراجعه رسالة لا تجد مثلها في الكتب المتداولة ان شاء الله تعالى وعن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان اي لما فيه من التسوية بين الله وبين عباده ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان لان ثم للتراخي وانما قدرنا كان قبل ثم لدفع توهم الاشتراك في الحكم ولو بالتراخي ايضا فتأمل هذا فانه مسلك دقيق وبالتحقيق حقيق وفي رواية منقطعا قال لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقولوا ما شاء الله وحده رواه في شرح السنة قال الطيبي فان قلت كيف رخص ان يقال ما شاء الله ثم شاء فلان ولم يرخص في اسمه صلى الله عليه وآله وسلم قلت فيه وجهان احدهما انه دفعا لمظنة التهمة في قولهم ما شاء الله وشاء محمد وثانيهما انه راس الموحدين ومشيته مغمورة في مشيئة الله تعالى مضمحلة فيها قال علي القاري اقول اصل السؤال مدفوع لانه صلى الله عليه وآله وسلم داخل في عموم فلان فمعناه ان يقول ما شاء الله ثم شاء فلان ولا يجوز ان يقال ما شاء الله وشاء محمد فحينئذ الاولى خطأ فاحش لانهم لو قالوا ما شاء الله وشاء محمد لكان شركا جليا لا مظنة للتهمة التي ذكرها والجواب الثاني في نفس الامر صحيح لكن لا يفيد جوازا لاتيان بالواو مع ان مشيئة غيره صلى الله عليه وآله وسلم ايضا مضمحلة في مشيئة الله انتهى قال بعض اهل العلم معنى هذا الحديث ان كل ما يختص بشأن الله ولا دخل لاحد من المخلوق فيه فينبغي ان لا يلحق به احد من الخلق وان كان اعظم وبلغ من الرتبة العظمى ما بلغ وكان من المقربين في اعلى مكان فلا ينبغي ان يقول ان شاء الله ورسوله يكون كذا او كذا امر لان الامر مجاري امور العالم كلها بيد الله تعالى وهو المتصرف فيها والمختار لها لا بيد الرسول ولا في مشيئته وارادته فما لنا وللتشريك الرسول في مثل هذا الموضع وكذلك ان سأل احد عن احد وقال متى يكون عرس فلان وكم الاوراق في الشجر وكم نجم على السماء فلا يقول في جوابه الله ورسوله اعلم بذلك او هكذا احكم الله ورسوله في الامر الفلاني لان الامر والخلق كل واحد منهما لله وحده لا شريك له ليس شيء منهما الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا يعلم الغيب الا الله والعلم بعدد نجوم السماء واوراق الاشجار وتعداد الرمال وساعة العرس ونحوها من

بجملة العلم بالامور الغيبية التي استأثر الله بها من دون عباده وان الله تعالى قد علم رسوله صلى الله عليه وآله
وسلم احكام الشرائع وقضى بها العباده على لسانه وامر الامة بطاعته لا بعبادته واثبات الغيب واضافته
الغائب والامور اليه انتهى فمن اعتقد خلاف ذلك فقد صار من اهل الشرك وكان من المشركين باب
عن ابن عباس رض ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ما شاء الله وشئت قال اجعلتني لله ندا بل ما شاء الله
وحده رواه النسائي فيه بيان ان من سوى العبد بالله ولو في الشرك الاصغر فقد جعله ندا لله شاء
ام ابى وان كان هذا اشركا لوجود التسوية بين الخالق والمخلوق في العطف بالواو وعن قتيلة ان يهوديا
اتى الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال انكم تشركون تقولون ما شاء الله وشاء محمد وتقولون والكعبة فامرهم النبي
صلى الله عليه وآله وسلم اذا ارادوا ان يحلفوا ان يقولوا ورب الكعبة وان يقولوا ما شاء الله ثم شئت رواه النسائي
وصححه وفيه قبول الحق ممن جاء به كائنا من كان وفيه بيان النهي عن الحلف بالكعبة مع انها بيت الله الحرام
التي حجها وقصدها للحج والعمرة فريضة وهذا يبين ان النهي عن الشرك بالله عام لا يصلح منه شيء لا لملك
مقرب ولا لنبي مرسل ولا للكعبة التي هي بيت الله في ارضه وفيه ان العبد وان كان له مشيئة فمشيئته
تابعة لمشيئة الله ولا قدرة له على ان يشاء شيئا الا اذا كان الله قد شاءه كما قال تعالى وما تشاؤن الا ان
يشاء الله رب العالمين وقال لمن شاء منكم ان يستقيم وفي هذه الايات والاحاديث رد على القدرية
والمعتزلة نفاة القدر الذين يثبتون للعبد مشيئة تخالف ما اراده الله تعالى من العبد وشاءه وانهم مجوس
هذه الامة واما اهل السنة والجماعة فتمسكوا بالكتاب والسنة في هذا الباب وغيره واعتقدوا
ان مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله في كل شيء مما يوافق ما شرعه الله ومما يخالفه من افعال العبد واقوالهم
فالكل بمشيئته وارادته فما وافق شرعه رضيه واحبه وما خالفه كرهه من العبد كما قال تعالى ان تكفروا
فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وفيه بيان ان الحلف بالكعبة شرك فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
اقر اليهودي على قوله انكم تشركون ولابن ماجة عن ابى الطفيل اخي عائشة لامها قال رأيت كأني
على نفر من اليهود فقلت انكم لانتم القوم لولا انكم تقولون عزير ابن الله قالوا وانتم القوم لولا انكم تقولون
ما شاء الله وشاء محمد ثم مررت بنفر من النصارى فقلت انكم لانتم القوم لولا انكم تقولون المسيح ابن الله
قالوا وانتم القوم لولا انكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد قال فلما اصبحت اخبرت بها من اخبرت ثم
اتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاخبرته فقال هل اخبرت بها احدا قلت نعم قال فحمد الله واثنى عليه

ثم قال اما بعد فان الطفيل راى رؤيا اخبر بها من اخبر منكم وانكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا ان انهاكم عنها فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده انتهى الحديث وهذه الرؤيا حق اقرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعمل بمقتضاها فنهاهم ان يقولوا ما شاء الله وشاء محمد وامرهم ان يقولوا ما شاء الله وحده ولا ريب ان هذا اكمل في الاخلاص وابعد من الشرك من ان يقولوا ثم شاء فلان لان فيه التصريح بالتوحيد المنافي للتشريك من كل وجه فالبصير يرغب في اعلى مراتب الكمال في مقام التوحيد والاخلاص وقد ورد في بعض الطرق انه كان يمنعه الحياء منهم وبعد هذا الحديث الذي حدث به الطفيل من رؤياه خطبهم صلى الله عليه وآله وسلم فنهى عن ذلك نهيا بليغا فما زال صلى الله عليه وآله وسلم يعلمهم حتى اكمل الله له الدين واتم له النعمة وبلغ البلاغ المبين وفيه معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة والرؤيا وان كانت مناما فهي وحي يثبت بها ما يثبت بالوحي امرا ونهيا اذا اقرها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والله اعلم وعن ابن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من حلف بغير الله فقد اشرك رواه الترمذي ومعناه اشرك غير الله به في التعظيم البليغ فكأنه مشرك اشراكا جليا فيكون هذا زجرا بالمبالغة قال السيد وقال ابن الهمام من حلف بغير الله كالنبي والكعبة لم يكن حالفا اتفاقا اي لا يصح حلفه لكنه اتى بالشرك الواضح وعن عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم رواه مسلم الطواغي جمع طاغية من الطغيان والمراد بها الاصنام لانها سبب الطغيان وقيل كل ما عبد من دون الله فهو من الطواغي وهذا ارجح ويدخل فيه الحلف باسم كل معظم من الملوك والرؤساء والشيوخ والاولياء والانبياء وغيرهم وانما خص ذلك بالذكر تنبيها على ما كانوا عليه من عادة الجاهلية في الحلف بها وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت متفق عليه قال النووي الحكم في النهي عن الحلف بغير الله تعالى ان الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى فلا يضاهى به غيره ويكره الحلف بغير اسماء الله تعالى وصفاته سواء في ذلك النبي والكعبة والملائكة والامانة والحياة والروح وغيرها ومن اشدها كراهة الحلف بالامانة واما الله سبحانه فله ان يقسم بما شاء من مخلوقاته تنبيها على شرفه وقد جاء عن ابن عباس لان احلف بالله تعالى مائة مرة فآثم خير من

ان احلف بغيره فابر قال عياض فان قيل هذا الحديث مخالف لقوله صلى الله عليه وآله وسلم افلح
وابيه فجوابه ان هذه الكلمة تجري على اللسان لا يقصد بها اليمين بل هو من جملة ما يزاد في الكلام لمجرد
التقرير والتاكيد ولا يراد به القسم كما يزاد صيغة النداء لمجرد الاختصاص دون القصد الى النداء
انتهى والاظهر ان هذا اللفظ وقع قبل ورود النهي او بعده لبيان الجواز ليدل على ان النهي ليس للتحريم
كذا في المرقاة واقول الاصل في النهي التحريم وتقدير العبارة افلح ورب ابيه وعن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من حلف فقال في حلفه باللات والعزى فليقل لا اله الا الله ومن قال
لصاحبه تعال اقامرك فليتصدق متفق عليه يحتمل ان يكون معناه انه سبق لسانه فليتدارك بكلمة
التوحيد لانه صورة الكفر والا فان كان على قصد التعظيم فهو كفر وارتداد يجب العود عنه بالدخول
في الاسلام قاله في اللمعات قال بعض اهل العلم كانت العرب في الجاهلية تحلف بالاصنام فمن جرى
على لسانه من المسلمين مثل هذا على طريق العادة فعليه ان يتلفظ بكلمة الاسلام وهذا الحديث دل
على النهي عن الحلف بغير الله وان جرى به اللسان يتوب عنه في الفور وكل حلف جرى به الرسم في اهل
الشرك والكفر اذا حلف به احد يقع الخلل في ايمانه وفي حديث ثابت بن الضحاك قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من حلف على ملة غير الاسلام كاذبا فهو كما قال الحديث متفق عليه وظاهر
هذا الحديث انه يصير كافرا اما بمجرد الحلف او بعد الحنث كذا قال الطيبي والظاهر انه ان حلف على الماضي
يكفر بمجرد الحلف وان حلف على المستقبل يكفر بعد الحنث وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم لا تحلفوا بآبائكم ولا بامهاتكم ولا بالانداد ولا تحلفوا بالله الا وانتم صادقون رواه
ابو داود والنسائي المراد بالانداد الشركاء اي شركاء كانوا من جن او انسان او جماد حي او ميت قال ابن عمر
اكثر ما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحلف لا ومقلب القلوب رواه البخاري وفي حديث ابي سعيد الخدري رض
قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا اجتهد في اليمين قال لا والذي نفس ابي القاسم بيده رواه ابو داود
وعن ابي هريرة قال كانت يمين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا حلف لا واستغفر الله رواه ابو داود
وابن ماجة اي استغفر الله ان كان الامر على خلاف ذلك وفي الباب احاديث وفيما ذكرناه مقنع و
بلاغ لمن القى السمع وهو شهيد وبالجملة حاصل هذه الاحاديث ان الحلف بغير الله شرك والناس في
هذا مستمرون ترى كثيرا منهم يحلفون بكل من يعظمونه في الدين او الدنيا او يعتقدونه من الفقراء

حلف الشعراء

نذر المعصية

الذبح لغير الله

[illegible]

والمشايخ بل بكل ما عظمه الكفار والمشركون وهذا من ابطل الباطلات وادخل الاشراكات واما
حلف الشعراء في كلامهم المنظوم باشياء من انواع الازهار والرياحين واعضاء الحبائب واشباههم
فكناية تجري مجرى ما هو من لغو اليمين الذي لا يؤاخذ عليه لان القصد لم يتعلق بتعظيمها وانما جاؤا
بها لمجرد تحسين الكلام وترويق البيان هذا هو الظاهر والاحوط ان يجتنب عن مثل هذا الاستعمال
ايضا ليبقى سالما من شوائب الشرك سليم العقائد من روائح الكفر وعن ثابت بن الضحاك قال نذر رجل
على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان ينحر ابلا ببوانة فاتى رسول الله صلعم فاخبره فقال رسول الله صلعم
هل كان فيها وثن من اوثان الجاهلية يعبد قالوا لا قال فهل كان فيها عيد من اعيادهم قالوا لا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اوف بنذرك فانه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم
رواه ابو داود قال بعض اهل العلم دل الحديث على انه لا ينبغي ان ينذر الا لله وحده واذا نذر لله
به واما اذا نذر لغير الله فلا يوفى به لان النذر لغيره تعالى معصية والاصرار عليه اشد منه وكل مكان
وموضع يذبح فيه لغير الله او يعبد هناك دونه سبحانه او كان عيدا لاحد من المشركين والكفار فلا
يذهب هناك ولا يذبح ثمه وان كان هذا الذبح لله تعالى لا لغيره لان التقوى عن صنع التشبه باهل
الكفر واجب وسواء في ذلك ان تكون النية في ذلك صالحة او سيئة حسنة او قبيحة يدل له حديث
من تشبه بقوم فهو منهم ويشير الى ذلك قوله سبحانه ومن يتولهم منكم فانه منهم ومسائل التشبه
كثيرة لا ياتي عليها الحصر في هذا المقام وقل من نجا منه واحسن الكتب المحررة لها كتاب اقتضاء الصراط
المستقيم لمخالفة اصحاب الجحيم لشيخ الاسلام ابن تيمية رح والمقصود هنا من ايراد هذا الحديث ان في
نذر المعاصي شبه الشرك والتشبه باهله فينبغي الاجتناب منه وفي الباب احاديث كثيرة اشتملت عليها
دواوين السنة المطهرة عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في نفر
من المهاجرين والانصار فجاء بعير فسجد له فقال اصحابه يا رسول الله تسجد لك البهائم والشجر فنحن احق
ان نسجد لك فقال اعبدوا ربكم واكرموا اخاكم ولو كنت آمرا احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان
تسجد لزوجها الحديث رواه احمد معناه اعبدوا ربكم بتخصيص السجدة له فانها غاية العبودية ونهاية
العبادة وعظموا اخاكم تعظيما يليق له بالمحبة القلبية والاكرام المشتمل على الاطاعة لا العبادة وفيه اشارة
الى قوله تعالى وما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله

ولكن كونوا ربانيين الى قوله ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم واما سجدة البعير فخرق للعادة واقع بتسخير الله تعالى وامره فلا مدخل له صلى الله عليه وآله وسلم في فعله والبعير معذور حيث انه مامور من ربه كما امر الله تعالى ملائكته ان يسجدوا لآدم عليه السلام واطلق صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث لفظ الاخ على نفسه المقدسة ومثله في الكتاب العزيز في حق الانبياء كثير وليس في هذا الاطلاق استخفاف له صلى الله عليه وآله وسلم كما زعم بعض الجهلة من الامة قال بعض اهل العلم في معنى هذا الحديث يعني ان الانسان كلهم اخوة فيما بينهم فالكبير منهم اخ كبير ينبغي تعظيمه على حسب كبره والله سبحانه اكبر من كل فيختص بالعبادة وغاية التعظيم وقد دل هذا الحديث على ان الانبياء والاولياء واخلاف الائمة والمشائخ والشهداء وغيرهم من عباد الله المقربين بشر وعباد له سبحانه عاجزون واخوان لنا مكرمون اعطاهم الله تعالى الكرامة والفضيلة علينا فهم اخوة كبار لنا وعلينا اطاعتهم وامتثال اوامرهم ونواهيهم فيما جاؤا به من عند الله وقالوا انما شرعه الله لنا ونحن اصغر منهم وعلينا ان نعظمهم تعظيم الانسان لانسان اخر عظيم منه مفضل عليه لا ان نعظمهم تعظيم العبد لله سبحانه وتعالى وفي الحديث ان بعض البهائم والاشجار يعظم بعض عباد الله من الانبياء والصلحاء فياتي الاسد مثلا على باب احد والفيل على عتبة آخر والذئب على دار صالح منقادا له وهذا لا يصلح للاستناد في عبادة ذلك الصالح وتعظيمه كتعظيم الله تعالى بل الذي ينبغي ان يعظم عباد الله المقربين المكرمين كما علم الله لنا من اكرامهم واصل لنا في الشرع فعله ولم يرد الشرع بمجاورة القبور والعكوف عليها والطواف بها والسجدة اليها فان رأى اسد انه مجاورها ليلا ونهارا فلا يستدل بذلك لان الانسان لا يليق له ان يتخذ فعل الحيوان له خصلة عن قيس بن سعد قال اتيت الحيرة بلدة قديمة بظهر الكوفة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم هو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك فقلت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احق ان يسجد له فاتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت اني اتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فانت احق بان يسجد لك فقال لي ارأيت لو مررت بقبري اكنت تسجد له فقلت لا فقال لا تفعلوا قال ذلك اظهارا لعظم الربوبية واستشعار المذلة العبودية والمعنى لا تفعلوا في الحياة كذلك اي لا تسجدوا لي فان السجدة عبادة مختصة بالله تعالى لا تليق لمخلوق قال الطيبي اي اسجد للحي الذي لا يموت ولمن ملكه لا يزول فانك انما تسجد لي الآن مهابة واجلالا لي فاذا صرت رهين رمس امتنعت عنه فلا ينبغي السجدة الا للحي الذي

لا يموت لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن
من حق رواه أبو داود ورواه أحمد عن معاذ بن جبل قال بعض أهل العلم معناه أني أموت بعد مدة
وأقبر تحت التراب فأنى لي السجدة إنما السجدة تليق للذات الباقية الدائمة التي لا تموت ولا تفقد أبداً ولا
تأخذه سنة ولا نوم وهو الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم له ما في السموات وما في الأرض وفي هذا الحديث
دليل على النهي عن السجدة لحي وميت كائناً من كان وكذلك لشيء أو مكان لأحدهم لأن كل حي إن مات
يوماً ومن مات فقد كان حياً في وقت مقيداً بالبشرية فكيف يستقيم أنه بعد الممات صار إلهاً مستحقاً للعبودية
بل العبد عبد وإن مشى على الماء والإله إله وإن لم يعبد فالإله القدير والأمر وإذا تقرر هذا فاعرف أن السجدة
لغير الخالق شرك في العبادة وحيث اعتادها غالب الناس لملوكهم ورؤسائهم صارت شركاً في العادة أيضاً أي
لا يجوز للسلطان والأمير كائناً من كان وكانوا يسجدون لملوك الهند المسلمين منهم والهنود وكان السلطان
نور الدين جهانكير ملك الهند من نسل تيمور الأعرج يحب السجدة إليه من جميع رعاياه حتى أن الشيخ أحمد السرهندي
المعروف بمجدد الألف الثاني لما أبى عن السجدة له وأنكر عليه ذلك وقال إن السجدة لا تجوز إلا للخالق البشر غضب عليه السلطان
وقيده في قلعة كواليار وقصته هذه معروفة مرقومة في كتب التواريخ وغيرها
وسمعت أنهم يسجدون اليوم لملك الصين ويعظمونه كتعظيم المعبود لهم وهذا من الشرك والكفر بمكان
لا يخفى على أحد ممن له عقل سليم وفهم مستقيم وفتوى بعض الفقهاء بجواز سجدة التحية للسلاطين والملوك
مردودة عليه مضروب بها في وجهه بنص أحاديث الباب ولم يرد قط ما يدل على جوازها في هذا
الشرع لغير الله تعالى ولا موجب لصرف ظواهر النصوص عن معانيها إلى التأويلات البادرة الركيكة [illegible] صلى الله عليه وسلم

فدع كل قول دون قول محمد ... فما آمن في دينه كمخاطر

فصل في رد الشرك العادي في إطلاق لفظ العبد والأمة ونحوها وصنع التصاوير

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي
كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقل العبد ربي ولكن
ليقل سيدي وفي رواية ليقل سيدي ومولاي وفي رواية ولا يقل العبد لسيده مولاي فإن مولاكم الله

رواه مسلم قال بعض اهل العلم معناه لا يقول مملوك لسيده انك مالكي لان مالك الكل هو الله تعالى وحده لا شريك له ولا يقول السيد لمملوكه انك عبدي وانت امتي لان هذا شان الله وكلهم عبيده واماؤه ليس احد بمالك احدا ولا احد عبد لاحد والحديث دل على النهي عن مثل هذه المحاورة فيما بينهم مع وجود الملك فيما بين السيد والمملوك فضلا عن يصير عبدا لاحد كذبا ومجازا فيسمى مثلا بعبد النبي وعبد الرسول وعبد السلطان وامة فلان ويقول في مخاطبة اهل الفضل يا مالك يا رازق يا رب يا مربي المحب ونحوها كما يقال بالفارسية مثلا بندهٔ حضور وبندگان عالي وپرستار خاص وآشنا پرست وغريب پرور وخداوند خدايگان ومثل ذلك ان يقول لاحد انك مالك مالي وروحي واني في يدك افعل ما شئت فهذا كله كذب محض وشرك بحت ينبغي الفرار منه ومن اتى به فقد ثبت عليه الشرك نعوذ بالله منه ولكن هذا الشرك قد عم وطم في هذا الزمان الاخير الى غاية لا ينجي منه فقير ولا امير الا من رحمه الله وجرت عادة الكتاب بتحرير مثل هذه الالفاظ الشركية البدعية في القاب الامراء والملوك وآدابهم في الطروس والتوقيعات والخطابات اللهم غفرا والحديث فيه دلالة على النهي عن استعمال لفظ العبد والامة والرب ورخصة في قول لفظ الغلام والجارية والفتى وهذه الالفاظ المنهي عنها وان كانت تطلق لغة لكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عنها تحقيقا للتوحيد لما فيها من التشريك في اللفظ لان الله تعالى هو رب العباد وسيدهم ومولاهم جميعا فاذا اطلق هذا على غيره فكان المطلق عليه شاركه في هذا الاسم فنهي عنه لذلك وان لم يقصد بذلك التشريك في الربوبية والسيادة والولاية التي هي اوصاف الله تعالى حقيقة وانما المعنى ان هذا ما اشاكله فيطلق عليه اللفظ بهذا الاعتبار فالنهي عنه حسما لمادة الشرك بين الخالق والمخلوق وتحقيقا لاخلاص التوحيد المطلوب وتبعيدا عما يوهم الاشراك ولو في اللفظ والعبارة وهذا من محاسن مقاصد الشريعة الحقة والملة الصادقة لما فيه من تعظيم الرب وابعاده عن مشابهة الخلق وتنزيهه عن التمثيل فارشدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى ما يقوم مقام هذه الالفاظ وهو ما تقدم قال تعالى ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا ففي اطلاق هذه الالفاظ على غير المعبود بحق تشريك في اللفظ وفي العادة الجارية فيما بينهم فنهاهم عن ذلك تعظيما له سبحانه وادبا معه تعالى وبعدا عن روائح الشرك وشوائب الكراهة وارشد الى القول بفتاي وفتاتي وغلامي وهذا من باب حماية المصطفى جانب التوحيد

وحاله فقد بلغ امته كل ما امر به نعم وحذرهم عن كل ما فيه نقص في الدين وبغض لتوحيد رب
العالمين فلا حاجة الا الى تعليمه ولا شرع لاحد زعم منه والظاهر من الحديث ان النهي من اطلاق
لفظ السيد والمولى صادر عن حيادة ومعدم عليه ووردت لفظ الغلام فيه فيفهم منه اطلاقه
وعلى هذا اتضح ان يقال هذا الولد لك غلام لي او له واما ما يفعل بعض اهل العلم عن تسمية الصبيان مثل
غلام فلان كغلام علي وغلام محي الدين وغلام رسول وغلام النبي لكون لفظ الغلام عندهم وفي
اعتقادهم بمعنى العبد ولا عبرة بالمباني انما العبرة بالمعاني ولا تبدل الحقائق بتبديل الاسماء بالحكم
الحكم ومثاله ان الخمر حرام فان سماه احد كرما لا يحل باطلاق هذا الاسم عليه وكذا الربا تحريمه وقد
يسميها بعض الجهال منافع فيعد الاحلال لها ابدا او ان تبدل الاسم والرسم لم يغير ومثل هذا الاستعمال
في قوم ليس عندهم معنى العبد فلا باس يفهمون منه المعنى اللغوي ويطلقونه عليه فتأمل في دقته تجده
كلاما نفيسا فارقا بين الاستعمال الحق والاطلاق الباطل وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم فانما انا عبده فقولوا عبد الله ورسوله متفق عليه
الاطراء هو المبالغة في المديح والغلو في الثناء ومجاوزة الحد في الوصف والكذب فيه قاله ابن الاثير وقال
بعض اهل العلم في معنى الحديث ان الفضائل والكمالات والمحاسن التي اعطاها الله تعالى لاصفيائه من
فيها ولكنها كلها تحصل اذا ارسل الى رسول الله لانه لا مرتبة افضل واعلى في حق البشر من الرسالة وكل
ما سواها من المراتب هي ادنى منها ومع ذلك معنى الرسول ادميا ولا يصير الها وانما فخره في كونه عبدا
لله الذي ارسله فلا تظهر فيه شأن الالهية ولا يتحد معه فينبغي ان لا يثنى على احد بمثل هذا الثناء ولا ينبغي
في حقه مثل هذا القول الا ترى ان النصارى انما كفروا بمثل هذا الاطراء وصاروا مردودين عن حضرة
الاله فنهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امته عن ان يسلكوا مسلكهم ويتجاوزوا في وصفه وصفة
وثنائه الحد المضروب له ويصيروا كالنصارى في الرد ولكن الاسف على هذه الامة اليوم فانها لم تقبل
قول رسولها في هذا الباب وصارت كالنصارى في القول والخطاب والعمل لان النصارى كانوا قالوا
ان الله تعالى تجسد بعيسى عليه السلام فهو انسان من وجه واله من وجه ومثل هذا قال بعض هذه
الامة والعربية في النظم كما قال قائله

فی الجمله هر لحظه می آمد و میرفت هر قرن که دیدی
در عاقبت آن شکل عرب وار برآمد دارای جهان شد

وقال العرفي الشاعر ؎

تقدير بيک ناقه نشانيد دو محمل ٭ سلماى حدوث تو وليلاى قدم را
تا جمع امكان و وجوبت نوشتند مورد متعين نشد اطلاق اسم را

بل نسب بعض الجهلة البطلة الكذابين الى جنابه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال بنفسه انا احمد بلا ميم وكذا اخترع بعضهم عبارات عربية ادرج فيها من جنس هذه الخرافات كثيرة وسماها خطبة الافتخار واضافها الى علي المرتضى كرم الله وجهه سبحانك هذا بهتان عظيم اقصى الله هؤلاء الكذابين وسوّد وجوههم فقد صنعوا مثل ما صنعت النصارى وقالوا بقولهم حتى كما ان النصارى يقولون ان تدبير هذا العالم وعالم الآخرة بيد المسيح عليه السلام وفي قدرته واختياره ومن آمن به والتجأ اليه لا يحتاج الى العبادة ولا يضره ذنب ولا حاجة له في ميز الحلال من الحرام بل هو سائبة الله تعالى فليفعل ما شاء يشفع له عيسى عليه السلام في الآخرة وينجيه من عذاب الله تعالى وعقابه فهكذا قال جهلة هذه الامة وبطلتهم وجاؤا بمثل هذه العقيدة في جنابه صلى الله عليه وسلم بل في حق الائمة واولياء الامة بل في حق كل مولوي وشيخ نعوذ بالله من ذلك انتهى وهذه مقالاتهم في كتبهم المؤلفة في احوال الاولياء وهذه قصائدهم في مدح الصلحاء الاصفياء اشتملت على اطرائهم الى غاية فضلوهم على الله تعالى واثبتوا لهم كل قدرة وتصرف وامر في الخلق قال الشوكاني في الدر النضيد فانظر رحمك الله ما وقع من كثير من هذه الامة من الغلو المنهي عنه المخالف لما في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كما يقوله صاحب البردة رح ؎

يا اكرم الخلق ما لي من الوذ به سواك عند حدوث الحادث العمم

فانظر كيف نفى كل ملاذ ما عدا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وغفل عن ذكر ربه ورب رسوله صلعم انا لله وانا اليه راجعون وهذا باب واسع قد تلاعب الشيطان بجماعة من اهل الاسلام حتى ترقوا الى خطاب غير الانبياء عليهم السلام بمثل هذا الخطاب ودخلوا من الشرك في ابواب بكثير من الاسباب من ذلك قول من يقول مخاطبا لابن العجيل ؎

هات لي منك يا ابن موسى اغاثة عاجلا في سيرها حثاثة

فهذا محض الاستغاثة التي لا تصلح لغير الله بميت من الاموات قد صار تحت اطباق الثرى منذ مئين من السنين ويغلب على الظن ان مثل هذا البيت والبيت الذي قبله انما وقعا من قائلهما لغفلة وعدم تيقظ

ولا مقصد لها الا تعظيم جانب النبوة والولاية ولو بجعلها لتنبيها وحمادا قرا بالخطا وكثيرا ما يعرض
ذلك لاهل العلم والادب والفطنة وقد سمعنا ورأينا فمن وقف على شيء من هذا الجنس الحي
من الاحياء فعليه ايقاظه بالحجج الشرعية فان رجع والا كان الامر فيه كما اسلفناه وأما اذا كان
القائل قد صار تحت اطباق الثرى فينبغي ارشاد الاحياء الى ما في ذلك الكلام من الخلل وقد وقع
في البردة والهمزية شيء كثير من هذا الجنس ووقع ايضا لمن تصدى لمدح نبينا صلى الله عليه وآله وسلم
ومدح الصالحين والائمة الهادين ما لا ياتي عليه الحصر ولا يتعلق بالاستكثار منه فائدة فليس
المراد الا التنبيه والتحذير لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب انتهى قال في فتح المجيد
اي المشركون الا مخالفة امره وارتكاب نهيه وعظموه بما نهاهم عنه وحذرهم منه وناقضوه اعظم
مناقضة وضاهوا النصارى في غلوهم وشركهم ووقعوا في المحذور وجرى منهم من الغلو والشرك
شعرا ونثرا ما يطول عده وصنفوا فيه مصنفات وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية الامام عن بعض اهل
زمانه انه جوز الاستغاثة بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم في كل ما يستغاث فيه بالله وصنف في ذلك
مصنفا رده شيخ الاسلام ورده هنا موجود بحمد الله وقال انه يعلم مفاتيح الغيب التي لا يعلمها الا الله
وذكر اشياء من هذا النمط ونعوذ بالله من عمى البصيرة وقد اشتهر في نظم البوصيري قوله ؎

يا اكرم الخلق ما لي من الوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم

وما بعده من الابيات التي مضمونها اخلاص الدعاء واللياذ والرجاء والاعتماد في اضيق الحالات واعظم
الاضطرار لغير الله فناقضوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في ارتكاب ما نهى عنه اعظم مناقضة وشاقوا الله
ورسوله اعظم مشاقة وذلك ان الشيطان اظهر لهم هذا الشرك العظيم في قالب محبة الرسول صلى الله
عليه وآله وسلم وتعظيمه واظهر لهم التوحيد والاخلاص الذي بعثه الله به في قالب تنقيصه وهؤلاء المشركون
هم المتنقصون الناقصون افرطوا في تعظيمه بما نهاهم عنه اشد النهي وفرطوا في متابعته التي كان قد امرهم
بها في كل نقير وقطمير فلم يعبأوا باقواله وافعاله ولا رضوا بحكمه ولا سلموا له وانما يحصل تعظيم الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم ومحبته بتعظيم امره ونهيه والاهتداء بهديه واتباع سنته والدعوة الى دينه
الذي دعا اليه ونصرته وموالاة من يعمل به ومعاداته

ورسوله علما وعملا وارتكبوا ما نهى عنه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم قولا وفعلا والله المستعان انتهى قلت وقد وقع من هذا الجنس اي الغلو القبيح والاطراء في ثناء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وثناء المشائخ الصلحاء والاساتذة الكرام شيء كثير في اللغة الفارسية والهندية في هذا الزمان من شعراء العصر وتبع فيه الآخر الاول ولم يلتفتوا الى ايقاظ من ايقظهم ولم يصغوا الى كلام من وعظهم في ذلك وزجرهم عن مثل هذا المدح والتوصيف بل رموه بكل حجر ومدر وقالوا ان المانع من جنس هذا الكلام مستخف بالرسول عليه الصلوة والسلام وهم اشد استخفافا له صلى الله عليه وآله وسلم باحداث مثل هذه الالفاظ المبتدعة والاوصاف المختلقة التي لم يرد بها الشرع الشريف قط ولم يأذن بها الله وما انزل الله بها سلطانا هذا شاعر الهند غلام امام المتخلص بالشهيد قد صار تحت اطباق الثرى غلا في بيان قصص النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومدائحه صلى الله عليه وآله وسلم نظما ونثرا بلغة الفرس والهند وتبعه من تبعه من الجهلة بالدين والسلمة المشركين أليس يكفي في مدحه صلى الله عليه وآله وسلم ما وردت به السنة الصحيحة من الخصائص والاوصاف الكمالية وهي مدونة في دواوين الاسلام وما وصفه به رب العالمين الذي جعله خاتم الرسل وسيد الاولين والآخرين وقال في كتابه المبين وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لا يبلغ مدح احد الى هذا المدح ولا يتصور المزية فيه على هذا الكلام الجامع الحافل الصادر من خالق السموات والارضين فعليك يا هذا ان لا تمدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا بما مدحه الله تعالى في كتابه العزيز وافصحت به دواوين السنة المطهرة الصحيحة الثابتة عند اهل العلم بها والمعرفة لها ففيها ما يشفي ويكفي واجتنب مما جاء به الغالون المطرون وبادر اليه افكارهم المبتلاة بريب المنون ع

فدع عنك نهبا صيح في حجراته وهات حديثا ما حديث الرواحل

عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال انطلقت في وفد بني عامر الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فقلنا انت سيدنا فقال السيد الله تعظيما لربه وتواضعا لنفسه فحول الامر فيه الى الحقيقة مراعاة لآداب الشريعة والطريقة اي الذي يملك نواصي الخلق ويتولى امرهم ويسوسهم هو الله سبحانه وهذا لا ينافي سياسته المجازية الاضافية المخصوصة بالافراد الانسانية حيث قال انا سيد ولد آدم اي لا اقول افتخارا بل تحدثا بنعم الله واخبارا بما اخبرني به الله تعالى

فقلنا وافضلنا فضلا واعظمنا طولا فقال قولوا قولكم او بعض

قولكم اي مجموع ما قلتم او هذا القول ونحوه يعني اقتصروا على احدى الكلمتين من غير حاجة الى المبالغة

بها ويمكن أن يكون المعنى بل قولوا بعض قولكم مبالغة في التواضع وقيل قولوا قولكم الذي جئتم لأجله
وقصدتموه ودعوا غيره مما لا يعنيكم ولا يستجرينكم الشيطان رواه أبو داود أي لا يتخذنكم جريا بفتح الجيم
وكسر الراء وتشديد الياء أي كثير الجري في طريقه ومتابعة خطواته وقيل هو من الجرأة أي لا يجعلكم
ذوي شجاعة على التكلم بما لا يجوز وفي النهاية لا يغلبنكم فيتخذكم جريا أي رسولا ووكيلا والحاصل أنه
نهاهم عن الاشتغال بالمدائح المنهي عنها ونهى عن الغلو والمبالغة والإطراء والإغراق في
توصيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأن ذلك من خطوات الشيطان وإذا ثبت هذا النهي
في حقه صلى الله عليه وآله وسلم فغيره أولى به قال بعض أهل العلم في معنى هذا الحديث يعني سوء الأدب
عند مدح أحد من الكبراء فلا يوصف إلا بما يوصف به الناس ويختصر في ذلك ولا يجول في ميدان
المدائح كالفرس الحرون لئلا يقع سوء الأدب في جنابه تبارك وتعالى ولفظ السيد له معنيان أحدهما
أن السيد هو الذي يكون مالكا ومختارا بنفسه ووحده ولا يكون محكوما عليه من أحد بل يكون
حاكما مستقلا بذاته كسلاطين الملوك في الدنيا في الأمر إنما هو شأن الله تعالى ليس غيره سيد بهذا المعنى
وثانيهما أن السيد يعني الآخر ولكن له فضل على عامة الرعايا ممتاز منهم بالمزايا يرجع إليه حكم الحاكم
أولا ثم يبلغ إليهم من لسانه وبواسطته كرئيس القرى وقهرمان المحلات وحامي السرقة والنبي بهذا
المعنى سيد الأمة والإمام سيد أهل عصره والشيخ سيد المريد به والعالم سيد التلامذته والمجتهد سيد المتبعين
فإن هؤلاء الكبار الكرام يمسكون بحكم الله تعالى أولا بأنفسهم ثم يبلغونه إلى أصاغرهم ويعلمونهم
وهكذا إنه صلى الله عليه وآله وسلم سيد أهل العالم أجمعهم وأكثرهم وأنفعهم ومرتبته عند الله عز وجل
أعلى من الجميع وأكرم من الكل وهو صلى الله عليه وآله وسلم أقوم الخلق وأكرمهم في القيام بأحكام الله تعالى
وكل الناس محتاجون إليه في تعلم سبل الله وشرائعه وعلى هذا يصح أن يقال له سيد العالم بل يجب أن يعتقد
فيه هذه السيادة العامة الشاملة للجميع وأما بناء على المعنى الأول فليس هو صلى الله عليه وآله وسلم
سيد نملة واحدة فضلا عن غيرها لأنه عليه السلام لا يقدر على التصرف في نملة من تلقاء نفسه وبالجملة
الغلو في مدائح الأنبياء والصلحاء نوع من أنواع الشرك الخفي ولذلك قال تعالى يا أهل الكتاب لا تغلوا
في دينكم والغلو هو الإفراط في التعظيم بالقول والاعتقاد والمعنى لا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله
الله تعالى فيها التي لا يتعدى إلا بالله والخطاب وإن كان لأهل الكتاب فإنه عام يتناول جميع الأمة تحذيرا لهم

من ان يفعلوا مثل فعل النصارى في عيسى وفعل اليهود في عزير عليهما السلام كما قال تعالى الم يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل الاية وتقدم حديث لا تطروني كما اطرت النصارى قريبا وسيأتي حديث انس في النهي عن الرفع فوق المنزلة فكل من وصف نبيا او وليا بما لم يجز فقد غلا واتخذه الها وضاهى النصارى في شركهم واليهود في تفريطهم فان النصارى غلوا في المسيح واليهود عادوه وسبوه ونقصوه فالنصارى افرطوا واليهود فرطوا قال شيخ الاسلام من تشبه من هذه الامة باليهود والنصارى وغلا في الدين بافراط فيه وتفريط فقد شابههم قال وعلى عليه السلام حرق الغالية من الرافضة فامر باخاديد خدت لهم عند باب كندة فقذفهم فيها واتفق الصحابة على قتلهم لكن مذهب ابن عباس ان يقتلوا بالسيف من غير تحريق وهو قول اكثر العلماء وجمهور المحدثين قلت وكان هذا التحريق على غلوهم في مدحه رضي الله عنه حيث اعتقدوا فيه ما ليس بثابت فكذلك كل من يغلو في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويطري في وصفه بما ليس بجائز في الشرع ولم يرد به دليل وجاوز فيه الى حد الغلو والاغراق فهو مستحق القتل وازهاق الروح عند العلماء بالاتفاق ووصفه هذا المنهي عنه قبيح اشد القباحة واما احاديث السكارى فما احقها بان تطوى على غرها ولا تروى وانما الكلام فيمن يعقل ويأكل ويفهم ويقول الشعر ويعرف معناه ثم لا يجتنب من مثل هذه الكبائر الموصلة له الى حد الكفر البواح بل يعتقده حسنة من حسناته ويفتخر بقوله في المحافل والمجالس نعوذ بالله من الخذلان وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني لا اريد ان ترفعوني فوق منزلتي التي انزلنيها الله تعالى هذا انص في محل النزاع وفيه دلالة على النهي عن الغلو في المدائح والاوصاف التي لم يرد بها الشرع ولم ياذن بها الله انا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله رواه رزين هذا بيان المنزلة التي انزلها الله تعالى رسوله الكبير اي قوله اي عبد الله ورسول ولا ترفعوني فوق هذه المنزلة كما رفعت النصارى عيسى بن مريم عليهما السلام وكما رفعت ادباء هذه الامة وشعراؤها في كلامهم المنثور والمنظوم وبلغوا به الى غاية تستلزم اساءة الادب في حضرة الله عز وجل بل منزلتي الرفيعة التي منحنيها سبحانه وتعالى هي هذه العبودية والرسالة منه الى خلقه فمن رفعني فوق ذلك واخرجني من دائرة العبودية لله تعالى ورسالته وجاء بما يفيد المزية على هذا فقد بعد عن سواء السبيل واتى بما هو غير ثابت من الله الجليل ووقع بسبب ذلك في حبالة الشيطان شرك

الشرك قال بعض أهل العلم في معنى هذا الحديث يعني كما أن الكبراء والسادة الآخرين يعرجون بنبيهم
في مدائحهم وما قصروا حتى يجعلوه لم يفعله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي كذلك الأمر
لا يقرض لهم في المدائح ثم أصبح المطرون حتى لم يدعهم والنبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمته رؤوف
رحيم وعليهم شفيق ولم يكن له شغل إلا إصلاح دين أمته وإنقاذهم من مهالكهم ويخبرهم بما علم أن
أمتي له معصية عظيمة في ويشكرون إحسانهم إليهم وقد جرت العادة أن الإنسان إذا امتدح شخصه ويحسن
صالح في شأنه ويتجاوز الحد في مدحه وإطرائه فأرشد صلى الله عليه وآله وسلم أمته إلى النهي عن التجاوز
في مدحه لأن في هذا إثبات أوصاف الألوهية في رسول الإله وهو يبطل الإيمان ويهدم الإسلام ويعطل
الدين ويجعل المادح عدوا له صلى الله عليه وآله وسلم فقال إني لا أرضى بعده المبالغة والإطراء الحادث
في المدح والثناء بل إني عبد لا إله ولا خالق ولا رازق ولا متصرف ولا مالك ولا شريك الباري في القدرة
والعلم والحياة ونحوها من الصفات الواجبة التي اختصت به سبحانه وقد ولدت من أبوي كما تولد
الناس من أمهاتهم وإنما أنا متكلم رضي من هذه العبودية وامتيازي من الناس هو علمي
بأحكام الله وعمله الناس الآخرين مما يليق بهم أن يتعلموا مني شرائع الله تعالى رب العالمين ولا ترفعوني
فوق هذه المرتبة إلى الله الأبدي ويؤيده حديث ابن عباس مرفوعا إياكم والغلو فإنما أهلك من كان
قبلكم الغلو رواه أحمد والترمذي وابن ماجه قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا عام في جميع أنواع
الغلو في الاعتقادات والأعمال والأقوال الأتي ويزيده إيضاحا قوله صلى الله عليه وآله وسلم هلك
المتنطعون قالها ثلاثا رواه مسلم والمتنطع المتعمق في الشيء المتكلف البحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين
فيما لا يعنيهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم ومن التنطع الإطالة والإطراء في مدائح الأنبياء والصلحاء
وقال ابن الأثير هم المتعمقون الغالون في الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم مأخوذ من النطع وهو الغار
الأعلى من الفم ثم استعمل في كل متعمق قولا وفعلا قال النووي فيه كراهة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف
الفصاحة واستعمال وحشي اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم انتهى وإنما قال ذلك ثلاثا
مبالغة في التعليم والإبلاغ وبالجملة هذا الحديث كما شمل أهل الكلام والرأي والفقه والقياس كذلك
شمل الشعراء والناظمين والناثرين في مدائح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الآتين مما لم يجر في
الدين من الغلو القبيح والوصف السيء في شأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهم يطيرون في هواء المعاني

متعشقون في ابداع المباني يفتخر احدهم بايجاد تركيب و ترتيب مبان ومعان لم يسبق اليها ويدعي الادب
بمراحل وعن القدس بمعزل وقد اشتمل على اوصاف ضاهت اوصاف الله بل ربت عليها ومنهم من يصفه
صلى الله عليه وآله وسلم بسمات اختارها الشعراء لمعاشيقهم من وصف الخط والخال وتشبيههما بالظلام والكفر
ونحوهما معاذ الله من الخذلان اين هذا من ذلك تكاد السموات يتفطرن وتنشق الارض هل يصح في عقل
او شرع ان يجعل رسول الامة او نبيا معشوقا ظالما او محبوبا كافرا او قاتلا لمحبه بالعين الشهلاء او ذا سالبا
للبه بالغنج والدلال والفروع السوداء ونحو ذلك قاتلهم الله انى يؤفكون ولولا انا رأينا مثل هذا الصنيع في
كلام من يدعي محبة الرسول ويلقب نفسه بعاشق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقول فيه شعرا يشتمل
على مثل هذه الكفريات الصريحة والباطلات الخبيثة وهو على السنة الناس اشتهر وبه كل حمار افتخر
لما تعرضنا بذكر ذلك والله سبحانه منتقم ممن هنالك وعن عائشة رضي الله عنها انها اشترت نمرقة بضم
النون وفتح الراء وهي وسادة صغيرة وقيل هي مرفقة فيها تصاوير فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم قام على الباب فلم يدخل فعرفت في وجهه الكراهية قالت فقلت يا رسول الله اتوب الى الله والى رسوله
ماذا اذنبت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بال هذه النمرقة قالت قلت اشتريتها لك لتقعد
عليها وتوسدها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة
يقال لهم احيوا ما خلقتم وقال ان البيت الذي فيه الصورة لا تدخله الملائكة متفق عليه قال بعض اهل
العلم يعني ان المشركين يعبدون الاصنام والاوثان فلهذا يستقذر الملائكة من الصور المنحوتة ويتنفر عنها
الرسل والانبياء عليهم السلام ايضا والمصورون يعذبون في الآخرة لانهم جمعوا اسباب عبادة الاوثان
فعلم من هذا الحديث ان ما يفعله جهلة المسلمين من تعظيم تصاوير انبيائهم وائمتهم واوليائهم ومشائخهم
واحبائهم واولادهم ونسائهم وعشائرهم وقبائلهم ويحفظونها عندهم رجاء للبركة او تذكارا للاحبة
فذلك ضلال بحت وغرق في بحر الشرك والانبياء والملائكة ساخطون عليهم باغضون لهم بل لا يدخلون
في بيت فيه تصوير لاحد من هؤلاء وغيرهم استقذارا منه واحترازا عن دنسه ورجسه فالذي ينبغي للمسلم
ان يخرج هذه التصاوير من بيته ويبعدها عن نفسه واهله وانه ليفرح الرسول عليه السلام ويدخل الملائكة
في بيته على الدوام وتنتشر بركات قدومهم اليه وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ان اشد الناس عذابا يوم القيامة من قتل نبيا او قتله نبي او قتل احد والديه والمصورون وعالم لم ينتفع بعلمه

رواه البيهقي في شعب الايمان دل الحديث على ان المصورين داخلون في هؤلاء الذين هم اشد الناس عذابا
في اليوم الآخر وهم اصحاب الكبائر العظمى بل اهل الشرك الجلي الواضح الا ترى انه يريد وسم الربوبية لا رسولا
ولا نبيا امثال الاسطال التي تصلي عليها المسلم وامام ربته الذي كان باتباعه صلى الله عليه والسلام والمصور
اسوء حالا منهما لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قتله بقتال الانبياء ويؤيد بحديث ابن مسعود قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشد الناس عذابا عند الله المصورون متفق عليه وفي الحديث ايضا
وعيد شديد لغير المصورين من اهل كونه فيه وهم قتيل النبي وقاتله وقاتل لاحد الابوين والعالم الغير المنتفع
بعلمه وهو الذي لم يعمل بنفسه بما علم ولم يعلم غيره ما علم لا باللسان ولا بالبيان ولا بكتابة البيان وعن
ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قال الله تعالى ومن اظلم
ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة او ليخلقوا حبة او شعيرة متفق عليه المراد بالذرة النملة
الصغيرة وما اتم هذه الحجة فانه لا يقدر احد من المخلوق ان يخلق شيئا من ذلك بل لا يمكن لاحد ان ياتي بمثله
ويصدق في هذا الكلم محجوجون بهذه الحجة النيرة اللامعة لمعان الشمس في نصف النهار قال
بعض اهل العلم في معنى هذا الحديث يعني ان المصورين يدعون الالهية في هذه الستر لكونهم يريدون
ان يصنعوا اشياء مثل ما صنعه الخالق القدير فهم مسيئو الادب بالله عز وجل ودعواهم هذه كذب
صريح وجهل واضح كيف وهم عاجزون من ان يخلقوا ذرة او يقدروا عليها وليسوا الا ناقلين لما رسم
ذلك واتعبوا في الشرك الواضح لانهم بانهم شركاء البارئ في اختراع هذه الصور وقد حشد والعادة في
الصور اسباب العبادة غير الله تعالى واما حكم الصور على طريقة اهل الفروع وحكمها وقسمتها الى صورة حاكية
وغير حاكية فعليك بكتب الفروع وقد قضى صاحب دليل الطالب على ارجح المطالب من الوطر فيه وانما
مرادنا في هذا الموضع بيان الشرك العادي السائر الدائر في عامة الناس من المسلمين المشركين الغافلين
عن مسائل الدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول كل
مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفسا فيعذبه في جهنم قال ابن عباس فان كنت لا بد فاعلا
فاصنع الشجر وما لا روح فيه متفق عليه فيه جواز تصوير غير الحيوان والاولى تركه ايضا لكن التاسف
على اهل هذا الزمان فقد راجت فيهم التصاوير في كل شيء حتى الاواني والملابس وظروف الطعام
والشراب وغيرهما والبيوت والاثاث الكتابة ونحوها مما لا ياتي عليه الحصر فاشكو الى اهل الدين

الاجتناب منه لعموم البلوى وخصوص الحكومة فانا لله وانا اليه راجعون وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران واذنان تسمعان ولسان ينطق يقول اني وكلت بثلثة بكل جبار عنيد اي معاند متكبر وكل من دعا مع الله الها اخر وعبده بعبادة اي عبادة كانت صغيرة او كبيرة جلية او خفية وبالمصورين الذين يصورون الحيوانات في القراطيس والثياب وجميع الاشياء رواه الترمذي وقد قرن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم المصورين في هذا الحديث بالمشركين والظالمين المتكبرين وهذا وعيد عظيم لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه والاحاديث في هذا الباب كثيرة جدا وفيما اوردناه كفاية وبلاغ لمن القى السمع وهو شهيد

باب في رد بقية انواع الشرك مما تقدم اجمالا او لم يتقدم اصلا

وفيه فصول

فصل في شرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلايا ودفعها ومعنى رفع الشيء ازالته بعد نزوله ومعنى دفع الشيء منعه قبل نزوله

عن عمران بن حصين رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه واله وسلم راى رجلا في يده حلقة وفي رواية الحاكم دخلت على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وفي عضدي حلقة من صفر فالمبهم في هذه الرواية هو عمران راوي الحديث قال ما هذه يحتمل ان يكون الاستفهام للاستفصال عن سبب لبسها او يكون للانكار وهو اظهر قال من الواهنة قال ابو السعادات الواهنة عرق يأخذ بالمنكب وفي اليد كلها فيرقى منها وقيل مرض يأخذ في العضد وهي تاخذ الرجال دون النساء قال انزعها فهي عنه لانه انما اتخذها على انها تعصمه من الالم وفيه اعتبار المقاصد والنزع هو الجذب بقوة فانها لا تزيدك الا وهنا اخبر انها لا تنفعك بل تضرك وتزيدك ضعفا وكذلك كل امر نهي عنه فانه لا ينفع غالبا وان نفع بعضه في اعتقاده الكاذب فضرره اكبر من نفعه فانك لو مت وهي عليك ما افلحت ابدا لانه شرك استعان صاحبه بغير الله تعالى والفلاح هو الفوز والظفر والسعادة وفي هذا شاهد لكلام الصحابة ان الشرك الاصغر اكبر من الكبائر وانه لم يعذر بالجهالة وفيه الانكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك رواه احمد بسند لا باس به

ولأحمد عنه عن عقبة بن عامر مرفوعا من تعلق تميمة ان ملها معلقا كما ئلبه وطلحيا ودع من حصين قال ابن رزين خرزة كانوا يعلقونها يرون أنها تدفع عنهم الآفات وهذا جهل وضلالة إذ لا مانع ولا دافع غير الله تعالى وقال ابن السعادات التمائم جمع تميمة وهي خرزة كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم فأبطلها الإسلام فلا أتم الله له دعاء عليه ومن تعلق ودعة بفتح الواو وسكون المهملة قال في مسند الفردوس الودع شيء يخرج من البحر يشبه الصدف يتقون به العين فلا ودع الله له بفتح الدال أي لا جعله في دعة وسكون وقال ابن السعادات هذا دعاء عليه وروى هذا الحديث أيضا أبو يعلى والحاكم وقال صحيح الإسناد وأقره الذهبي وفي رواية لأحمد من تعلق تميمة فقد أشرك وهذا أصح من الأول ورواه الحاكم أيضا بنحوه ورواته ثقات قال ابن الأثير إنما جعلها شركا لأنهم أرادوا دفع المقادير المكتوبة عليهم وطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون وفي لفظ دخل حذيفة على مريض فرأى في عضده سيرا فقطعه أو انتزعه ثم قال وما يؤمن الآية كان الجهال يعلقون التمائم والخيوط ونحوها لدفع الحمى فاستدل حذيفة بالآية على أن هذا شرك ففيه صحة الاستدلال على الشرك الأصغر بما أنزل الله في الشرك الأكبر لشمول الآية له ودخوله في مسمى الشرك وفي رواية عن حذيفة بلفظ أنه دخل على مريض فلمس عضده فإذا فيه خيط فقال ما هذا قال شيء رقي لي فيه فقطعه وقال لو مت وهو عليك ما صليت عليك وفيه إنكار مثل هذا وإن كان يعتقد أنه سبب من الأسباب لا يجوز منها إلا ما أباحه الله ورسوله مع عدم الاعتماد عليها أما التمائم والخيوط والحروز والطلاسم ونحو ذلك مما يعلقه الجهلة الطغاة فهو شرك يجب إنكاره وإزالته بالقول والفعل وإن لم يأذن فيه صاحبه وفي هذه الآثار عن الصحابة ما يبين كمال علمهم بالتوحيد وما ينافيه من أنواع الشرك أو ينافي كماله

فصل في رد شرك الرقى والتمائم

عن أبي بشير الأنصاري أنه كان مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بعض أسفاره قال الحافظ ابن حجر لم أقف على تعيينه فأرسل رسولا هو زيد بن حارثة رواه الحارث بن أسامة في مسنده كما قال الحافظ أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر بفتحتين واحد أوتار القوس وكان أهل الجاهلية

اذا خلق الوتر ابدلوه بغيره فقلدوا به الدواب اعتقاداً منهم انه يدفع عن الدابة العين او قلادة الا قطعت رواه الشيخان في الصحيحين والشك فيه من الراوي هل قال شيخه قلادة من وتر او قال قلادة واطلق ولم يقيد ويؤيد الاول ما روي عن مالك انه سئل عن القلادة فقال ما سمعت بكراهتها الا في الوتر ولابي داود قلادة بغير شك قال البغوي في شرح السنة تاول مالك امره عليه السلام بقطع القلائد على انه من اجل العين وذلك انهم كانوا يشدون تلك الاوتار والتمائم والقلائد ويعلقون عليها العوذ ويظنون انها تعصمهم من الآفات فنهاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنها واعلمهم انها لا ترد من امر الله شيئاً وقال ابو عبيد كانوا يقلدون الابل الاوتار لئلا تصيبها العين فامرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بازالتها اعلاماً لهم بان الاوتار لا ترد شيئاً وكذا قال ابن الجوزي وغيره قال الحافظ ويؤيده حديث عقبة المتقدم وهي ما علق من القلائد خشية العين ونحو ذلك انتهى وعن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الرقى والتمائم والتولة شرك رواه احمد وابو داؤد وفيه قصة ولفظ ابي داود عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود ان عبد الله رأى في عنقي خيطاً فقال ما هذا قلت خيط رقي لي فيه قالت فاخذه ثم قطعه ثم قال انتم آل عبد الله لاغنياء عن الشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الخ فقلت لقد كانت عيني تقذف وكنت اختلف الى فلان اليهودي فاذا رقى سكنت فقال عبد الله انما ذلك عمل الشيطان كان ينخسها بيده فاذا رقى كف عنها انما كان يكفيك ان تقولي كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اذهب الباس رب الناس واشف انت الشافي لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً ورواه ايضاً ابن ماجة وابن حبان والحاكم وقال صحيح واقره الذهبي والمراد بالرقى في هذا الحديث هي التي تسمى العزائم وخص منه الدليل ما خلا من الشرك فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العين والحمة يشير الى ان الرقى الموصوفة بكونها شركاً هي التي يستعان فيها بغير الله واما اذا لم يذكر فيها الا اسماء الله تعالى وصفاته واياته والماثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذلك جائز حسن او مستحب ليس بشرك ويدل له حديث عوف بن مالك عند مسلم قال كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال اعرضوا علي رقاكم ما لم يكن فيه شرك وفي الباب احاديث كثيرة قال الخطابي كان عليه السلام قد رقى ورُقي وامر بها واجازها فاذا كانت بالقرآن او باسماء الله تعالى فهي مباحة او مامور بها وانما جاءت الكراهة والمنع فيما كان منها بغير لسان العرب

فانه ربما كانت تغزو والوتر لا يدحاله الترك قلت ومن ذلك ما كان على مذاهب الجاهلية التي يتعاطونها
وانما انقع عنهم افات يعتقدون ذلك من قبل الجن ومعاونتهم قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كلام
مجهول ليس لاحد ان يرقي به فضلا ان يدعو به ولو عرف معناه لانه يكره الدعاء بغير العربية وانما يرخص لمن
لا يحسن العربية فاما جعل الالفاظ الاعجمية شعارا فليس من دين الاسلام وقال السيوطي قد اجمع العلماء
على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط ان يكون بكلام الله او باسمائه وصفاته وباللسان العربي وبما يعرف
معناه وان يعتقد ان الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى انتهى والتمائم شيء يعلق على الاولاد من العين
وقال الخلخالي التمائم جمع تميمة وهي ما يعلق باعناق الصبيان من خرزات وعظام لدفع العين وهذا
منهي عنه لانه لا دافع الا الله ولا يطلب دفع المؤذيات الا بالله وباسمائه قال بعض العلماء لكن اذا كان
المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه منهم ابن مسعود
رضي الله عنه انتهى اقول ان العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من
القرآن واسماء الله تعالى وصفاته فقالت طائفة يجوز ذلك وهو قول ابن عمرو بن العاص وهو ظاهر
ما روي عن عائشة وبه قال ابو جعفر الباقر واحمد في رواية وحملوا الحديث على التمائم التي فيها شرك
وقالت طائفة لا يجوز ذلك وبه قال ابن مسعود وابن عباس وهو ظاهر قول حذيفة وعقبة بن عامر
وابن عكيم وبه قال جماعة من التابعين منهم اصحاب ابن مسعود واحمد في رواية اختارها كثير من
اصحابه وجزم به المتاخرون واحتجوا بهذا الحديث وما في معناه قال بعض العلماء وهذا هو الصحيح لوجوه
ثلاثة تظهر للمتامل الاول عموم النهي ولا مخصص للعموم الثاني سد الذريعة فانه يفضي الى تعليق من ليس
كذلك الثالث انه اذا علق فلا بد ان يمتهنه المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك
قال وتامل هذه الاحاديث وما كان عليه السلف يتبين لك بذلك غربة الاسلام خصوصا ان عرفت
عظيم ما وقع فيه الكثير بعد القرون المفضلة من تعظيم القبور واتخاذها المساجد والاقبال اليها بالقلب
والوجه وصرف الدعوات والرغبات والرهبات وانواع العبادات التي هي حق الله تعالى اليها من دونه
كما قال تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين و
ان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله ونظائرها في القرآن اكثر من
ان تحصر انتهى قلت غربة الاسلام شيء وحكم المسألة شيء آخر والوجه الثالث المتقدم لمنع التعليق ضعيف

جدا لانه لا مانع من نزع التمائم عند قضاء الحاجة ونحوها ساعة ثم يعلقها والراجح في الباب ان ترك
التعليق افضل في كل حال بالنسبة الى التعليق الذي جوزه بعض اهل العلم بناء على ان يكون بما ثبت لا بما لم
يثبت لان التقوى له مراتب وكذا الاخلاص وفوق كل رتبة في الدين رتبة اخرى والمحصلون لها قل
ولهذا ورد في الحديث في حق السبعين الفا يدخلون الجنة بغير حساب انهم هم الذين لا يرقون ولا
يسترقون مع ان الرقى جائزة وردت بها الاخبار والآثار والله اعلم بالصواب والمتقي من يترك ما
ليس به باس خوفا مما فيه باس واما التولة فهي شيء مصنوع يزعمون انه يحبب المرأة الى زوجها والرجل
الى امرأته وبهذا فسرها ابن مسعود راوي الحديث كما في صحيح ابن حبان قالوا يا ابا عبد الرحمن هذه الرقى
والتمائم قد عرفناها فما التولة قال شيء يصنعه النساء يتحببن الى ازواجهن قال الحافظ التولة بكسر التاء
وفتح الواو واللام مخففا شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها وهو ضرب من السحر والله اعلم وانما كان
من الشرك لما يراد به من دفع المضار وجلب المنافع من غير الله تعالى وفي حديث ابن عكيم مرفوعا من تعلق
شيئا وكل اليه رواه احمد والترمذي وابو داود والحاكم قال بعض العلماء التعلق يكون بالقلب ويكون
بالفعل ويكون بهما والمعنى وكله الله الى ذلك الشيء الذي تعلقه فمن تعلق بالله وانزل حوائجه به والتجأ
اليه وفوض امره كله اليه كفاه وقرب اليه كل بعيد ويسر له كل عسير ومن تعلق بغيره او سكن الى رأيه
وعقله ودوائه وتمائمه ونحو ذلك وكله الله الى ذلك وخذله وهذا معروف بالنصوص والتجارب
قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وعن عطاء الخراساني قال لقيت وهب بن منبه وهو يطوف بالبيت
فقلت حدثني حديثا احفظه عنك في مقامي هذا واوجز قال نعم اوحى الله الى داود عليه السلام يا
داود اما وعزتي وعظمتي لا يعتصم بي عبد من عبيدي دون خلقي اعرف ذلك من نيته فتكيده السموات
السبع ومن فيهن والارضون السبع ومن فيهن الا جعلت له من بينهن مخرجا اما وعزتي وعظمتي لا يعتصم
عبد من عبيدي بمخلوق دوني اعرف ذلك من نيته الا قطعت اسباب السماء من يده واسخت الارض
من تحت قدميه ثم لا ابالي باي واد هلك رواه احمد بسنده وروي ايضا عن رويفع قال قال لي
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا رويفع لعل الحياة تطول بك فاخبر الناس ان من عقد لحيته
او تقلد وترا او استنجى برجيع دابة او عظم فان محمدا بريء منه فيه دليل على وجوب اخبار الناس ليس
هذا مختصا برويفع بل كل من كان عنده علم ليس عند غيره مما يحتاج اليه الناس وجب عليه اعلامهم

قال اشتراكه هو وغيره في علم ذلك فالدلالة فرض كفاية قاله ابن رسلان في شرح سنن ابي داود وقوله رويفع علم من اعلام النبوة فان رويفعا طالت حياته الى سنة ست وخمسين فمات سنة ٥٦ ببرقة من اعمال مصر اميرا عليها وهو من الانصار في اللحية بكسر اللام لا غير وجمعها لحى بالكسر والضم قاله الجوهري قال الخطابي اما نهيه صلى الله عليه وآله وسلم عن عقد اللحية فيفسر على وجهين احدهما انهم كانوا يعقدونها في الحرب كانوا يعقدون لحاهم وذلك من زي بعض الاعاجم يفتلونها ويعقدونها قال ابو السعادات اي تكبرا وعجبا ثانيهما ان معناه معالجة الشعر ليتعقد ويتجعد وذلك من فعل الجاهلية اهل التأنيث قال ابن رسلان الاولى حمله على عقد اللحية في الصلوة كما دلت عليه رواية محمد بن الربيع وفيها ان من عقد لحيته في الصلوة قلت هذه الرواية لا تدل على تخصيصه فيها بل تدل على ان فعله في الصلوة اشد من فعله خارج الصلوة والنهي وقع على نفس عقدها اعم من ان يكون في الصلوة او في موضع آخر غيرها او تقليد الوتر بجعله قلادة في عنق الدابة وفي رواية محمد بن الربيع او تقلد وترا يريد تميمة فاذا كان هذا منهيا عنه في الحي فكيف من تعلق بالميت وقلده وسأل عنه قضاء الحوائج وتفريج الكربات قال النووي معنى قوله فان محمدا بريء منه بريء من فعله قال بعض العلماء هذا خلاف الظاهر والنووي يحرف كثيرا ما يتأول الحديث بصرفه عن ظاهره غفر الله له وعن سعيد بن جبير قال من قطع تميمة من انسان كان كعدل رقبة رواه وكيع وله عند اهل العلم حكم الرفع لان مثل ذلك لا يقال بالرأي والخبر مرسل لان سعيد تابعي وفيه فضل قطع التمائم لانها شرك ووكيع بن الجراح ثقة امام صاحب تصانيف منها الجامع روى عنه الامام احمد وطبقته مات سنة ١٩٧ وله عن ابراهيم النخعي كانوا اي اصحاب ابن مسعود رضي الله عنه يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن وهم كعلقمة والاسود وابي وائل والحارث بن سويد وعبيدة السلماني ومسروق والربيع بن خثيم وسويد بن غفلة وغيرهم وهم من سادات التابعين وهذه الصيغة يستعملها ابراهيم في حكاية اقوالهم كما بين ذلك الحفاظ منهم العراقي

فصل في رد شرك من يتبرك بشجر او حجر ونحوهما كبقعة وقبر ؛

قال تعالى افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فيه دلالة على ان التبرك بالاحجار والاشجار شرك وكانت اللات لثقيف والعزى لقريش وبني كنانة ومناة لبني هلال قال ابن هشام كانت لهذيل وخزاعة وقرئ اللات بتخفيف التاء وتشديدها فعلى الاول سموها من الاله والعزى

من العزيز قال ابن كثير اللات كانت صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف له استار وسدنة وحوله فناء معظم عند اهل الطائف وهم ثقيف ومن تابعها يفتخرون به على من عداهم من احياء العرب بعد قريش قال ابن هشام فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار وعلى الثاني قال ابن عباس اللات كان رجل يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره ذكره البخاري وفي رواية كان يبيع السويق والسمن عند صخرة فلما مات عبدت ثقيف تلك الصخرة اعظاما لصاحب السويق وعن مجاهد نحوه وقال فلما مات عبدوه رواه سعيد بن منصور وكذا ابن ابي حاتم عن ابن عباس انهم عبدوه وبنحو هذا قال جماعة من اهل العلم ولا منافاة بين القولين فانهم عبدوا الصخرة والقبر كليهما تألها وتعظيما ولمثل هذا بنيت المشاهد والقباب في هذه الامة على القبور واتخذت اوثانا وفيه بيان ان اهل الجاهلية كانوا يعبدون الصالحين والصخرات واما العزى فقال ابن جرير كانت شجرة عليها بناء واستار بنخلة بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها كما قال ابو سفيان يوم احد لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم وروى النسائي وابن مردويه عن ابي الطفيل قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة بعث خالد بن الوليد الى نخلة وكانت بها العزى وكانت على ثلث سمرات فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها ثم اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاخبره فقال ارجع فانك لم تصنع شيئا فرجع خالد فلما ابصرته السدنة وامعنوا في الجبل وهم يقولون يا عزى يا عزى فاتاها خالد فاذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب على راسها فعممها بالسيف حتى قتلها ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخبره فقال تلك العزى قال ابو صالح كانوا يعلقون عليها السيور والعهن رواه عبد بن حميد وابن جرير قلت وكل هذا بل ما هو اعظم منه يقع في هذه الازمنة عند ضرائح الاموات واشجار المشاهد فما اشبه الليلة بالبارحة واما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والاوس والخزرج يعظمونها ويهلون منها للحج واصل اشتقاقها من اسم المنان وقيل لكثرة ما يمنى اي يراق عندها من الدماء للتبرك بها قال البخاري في حديث عروة عن عائشة انها صنم بين مكة والمدينة قال ابن هشام فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا فهدمها عام الفتح وقال ابن كثير بعث خالد بن الوليد في غزوة بني المصطلق فكسرها فمعنى الآية الشريفة كما قال القرطبي افرايتم هذه الالهة انفعت او ضرت حتى تكون شركاء لله انتهى وبالجملة فالتبرك بالشجر

والتبرك بالحجر ان كان من الشرك الاكبر فهو واضح وان كان من الشرك الاصغر فالسلف يستدلون بما
نزل في الاكبر على الاصغر ومناسبة الدليل بالمدلول عليه من جهة ان عبادهم للاوثان انما كانوا
يعتقدون حصول البركة منها بتعظيمها ودعائها والاستعانة بها والاعتماد عليها في حصول ما يرجونه
منها او يأملونه ببركتها وشفاعتها الى غير ذلك من الشرك بقبور الصالحين كاللات وبالاشجار والاحجار
كالعزى ومناة فهذه الجملة من افعال اولئك المشركين مع تلك الاوثان فمن فعل مثل ذلك واعتقده
في حجر او شجر او قبر فقد ضاهاهم في ما كانوا يفعلون على ان الواقع من مشركي هذه الامة مع معبوديهم
ومعظميهم من القبور والمشاهد والقباب والحجارة اعظم مما وقع من اولئك وفي حديث ابي واقد
الليثي رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى حنين ونحن حدثاء عهد بالكفر
وفي رواية اخرى عن عمرو بن عوف عند ابن ابي حاتم وابن مردويه والطبراني قال غزونا مع رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يوم الفتح ونحن الف ونيف حتى اذا كنا بين حنين والطائف الحديث ومعنى حدثاء
عهد قريب العهد بالكفر فيه دليل على ان غيرهم ممن تقدم اسلامه من الصحابة لا يجهل هذا وان المنتقل
من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يأمن ان يكون في قلبه بقية من تلك العادة وللمشركين سدرة يعكفون عندها
العكوف هو الاقامة على الشيء في المكان ومنه قول ابراهيم الخليل عليه السلام ما هذه التماثيل التي انتم لها
عاكفون وكان عكوف المشركين عند تلك السدرة تبركا بها وتعظيما لها وينوطون بها اسلحتهم اي يعلقونها
عليها للبركة وفي حديث عمرو وكانوا يناطون بها السلاح فسميت ذات انواط وكانت تعبد من دون الله وفي هذا
بيان ان عبادتهم لها هي التعظيم والعكوف والتبرك وبهذه الامور عبدت الاشجار ونحوها فقلنا يا رسول الله
اجعل لنا ذات انواط قال ابن الاثير سألوه ان يجعل لهم مثلها فنهاهم عن ذلك وانواط جمع نوط وهو مصدر
سمي به المنوط وظنوا ان هذا امر محبوب عند الله يقصد والتقرب به اليه سبحانه والا فهم اجل قدرا
من ان يقصدوا مخالفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الله اكبر وفي رواية سبحان الله والمراد تعظيمه تعالى
وتنزيهه عن الشرك باي نوع كان مما لا يجوز ان يطلب او يراد به الا الله وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
يستعمل التكبير والتسبيح في حال التعجب تعظيما لله وتنزيها له سبحانه اذا سمع من احد ما لا يليق به تعالى
مما فيه هضم للربوبية ونقص في الالوهية وهكذا ينبغي لمن يوحد الله ولا يشرك به شيئا ان يكبر او
يسبح عند سماع ما لا ينبغي ان يقال في الدين انها السنن بضم السين اي الطرق والمراد هنا تقليد من قبلكم

من اهل الشرك والضلال قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الها كما لهم
آلهة شبه مقالتهم هذه بقول بني اسرائيل لتركبنها حذو النعل بالنعل بجامع ان كلا طلب ان يجعل له
ما يألهه ويعبده من دون الله وان اختلفت العبارتان فالمعنى واحد وقد تقرر في محله ان تغيير
الاسم لا يغير المسمى ففيه خوف الشرك وفيه ان الانسان قد يستحسن شيئا يظنه مقربا الى الله تعالى
وهو مبعده من رحمته ومدنيه من سخطه واذا كان يقع مثل هذا الحال والقال في سلف الامة من
الصحابة رضي الله عنهم فما ظنك بهذا الزمان الاخير الفاسد الكثير الآفات ولا يعرف هذا على
الحقيقة الا من عرف ما وقع في هذه الازمنة والعصور من كثير من المسمين بالعلماء والعباد والموالي
والاهالي مع ارباب القبور وغلوهم في تعظيمها والخضوع لها والعكوف بها والبناء عليها والباسها
بالثياب الفاخرة وصرف جل الاكرام لها بالحضور لديها في المواسم والاعراس ونحوها ويحسبون انهم
على شيء وليسوا في الحقيقة على شيء الا على الذنب الاكبر الذي لا يغفره الله تعالى ابدا والوزر الاعظم
الذي هو الشرك الجلي والكفر الواضح قال ابو شامة في كتاب البدع والحوادث ومن هذا القسم ايضا
ما قد عم الابتلاء به من تزئين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد وسرج مواضع مخصوصة في
كل بلد يحكي لهم حاك انه رأى في منامه بها احدا ممن شهر بالصلاح والولاية فيفعلون ذلك ويحافظون
عليه مع تضييعهم فرائض الله وسننه ويظنون انهم متقربون بذلك ثم يتجاوزون هذا الى ان يعظم
وقع تلك الاماكن في قلوبهم فيعظمونها ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لها وهي من عيون
واشجار وحائط واحجار وفي دمشق من ذلك مواضع متعددة كعوينة الحمى خارج باب توما والعمود
المخلق داخل الباب الصغير والشجرة الملعونة خارج النصر في باب قارعة الطريق سهل الله قطعها واجتثاثها
من اصلها فما اشبهها بذات انواط الواردة في الحديث انتهى وذكر العلامة ابن القيم رح نحو ما ذكره
ابو شامة ثم قال فما اسرع اهل الشرك الى اتخاذ الاوثان من دون الله ولو كانت ما كانت ويقولون
ان هذا الحجر وهذه الشجرة وهذه العين تقبل النذر اي العبادة من دون الله تعالى فان النذر عبادة
وقربة يتقرب بها الناذر الى المنذور له انتهى وسيأتي في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ما يتعلق بهذا
الباب وفي هذه الجملة من الفوائد ان ما يفعله من يعتقد في الاشجار والقبور والاحجار من التبرك
بها والعكوف عندها والذبح لها هو الشرك ولا اغترار بفعل العوام وقول الطغام وعمل اللئام ولا استبعاد

في كون الشرك بالله يقع في هذه الامة لانه اذا كان بعض الصحابة ظنوا ذلك حسنا وطلبوا من النبي
صلى الله عليه وآله وسلم حتى بين لهم ان ذلك كقول بني اسرائيل وقال انكم قوم تجهلون فكيف لا يخفى على
من هو دونهم في العلم والفضل باضعاف مضاعفة مع غلبة الجهل وبعد العهد من آثار النبوة
وقرب الزمان بالساعة بل خفي عليهم عظائم الشرك في الالهية والربوبية فاكثروا من فعله واتخذوه
قربة وفيها ان الاعتبار في الاحكام بالمعاني لا بالمباني وبالمسميات لا بالاسماء ولهذا جعل صلى الله
عليه وآله وسلم طلبتهم كطلبة بني اسرائيل ولم يلتفت الى كونهم سموها ذات انواط فالشرك وان
سمي شركه ما سماه فان ذلك هو الشرك كمن يسمي دعاء الاموات والتماس الحاجات منهم والذبح لهم
والنذر ونحو ذلك تعظيما ومحبة وحسن اعتقاد فهذا عين الاشراك بالله ولا يغني تغيير الاسم شيئا
الا ترى ان الخمر يصير حلالا بتسميتها ماء الكرم ام يحل الربا بتسميته نفعا وهذا الباب واسع جدا وكم من
مسميات شركية وبدعية احدث لها اهلها اسماء حسنة والقابا صالحة واستحلوها ظنا منهم
انه لا وزر عليهم فيه وان هذا التلبيس يخرجهم من اعتراض الشرع بل من عذاب الله فما احق هؤلاء بما
قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حق سائلي ذات انواط انكم قوم تجهلون فنص عليهم بالجهل
وسجل عليهم بعدم العلم ولا اقبح من الجهل ولا اظلم من الجاهل لتركبن سنن من كان قبلكم بضم الباء وسنن
اي طرقهم ومناهجهم وقد يضم وفتح السين على الافراد رواه الترمذي وصححه وفيه ان اخر هذه
الامة يقلد من قبلها من الامم الضالة ويأتي بما اتته من الافعال الشركية والكفرية التي تخرجهم من النور
الى الظلمات ومن السنة البيضاء الى مهالك البدعات والمحدثات قال في فتح المجيد هذا الخبر صحيح
والواقع من كثير من هذه الامة يشهد له وفيه علم من اعلام النبوة من حيث انه وقع كما اخبر به صلى
الله عليه وآله وسلم وفي الحديث النهي عن التشبه باهل الجاهلية واهل الكتاب فيما كانوا يفعلونه الا
ما دل الدليل على انه من شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفيه ان الشرك لا بد ان يقع في هذه الامة
خلافا لمن ادعى خلاف ذلك وفيه ان كل ما ذم الله به اليهود والنصارى فانه لهذه الامة ليحذروه
وفيه انه صلى الله عليه وآله وسلم لم يعذرهم بالجهل بل رد عليهم بهذا مشبها وغضب وغلظ الامر
عليهم وفيه سد الذرائع وان سنة اهل الكتاب يهودهم ونصاراهم مذمومة كسنة المشركين
والمجوس ملحق باهل الكتاب في غالب الاحكام كانهم هم انتهى وأما ما ادعاه بعض المتاخرين من انه

يجوز التبرك بآثار الصالحين فممنوع من وجوه منها ان السابقين الاولين من الصحابة ومن بعدهم لم يكونوا يفعلون ذلك مع غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا في حياته ولا بعد موته ولو كان خيرا لسبقونا اليه وافضل الصحابة هم الخلفاء الراشدون وقد شهد لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجنة وكذا البقية العشرة ولاهل بدر وغيرهم ولكن لم يفعل احد من الصحابة والتابعين مع احد من هؤلاء السادة هذه الفعلة ولا فعله التابعون مع سادتهم وقادتهم في العلم والدين ما يفعله هؤلاء الجهلة بالشرع المبين مع انهم الاسوة للامة والقدوة للائمة ولا يجوز ان يقاس احد من الامة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن ذا الذي يبلغ شأوه وقد كان له صلى الله عليه وآله وسلم في حال حياته خصائص كثيرة لا يصلح ان يشاركه فيها غيره ومنها ان المنع من ذلك سد لذريعة الشرك لان الشرك اخفى من دبيب النمل ومنها ان الله لا يثيب على فعل لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يرشد اليه وان كان حسنا عند احد ولم ير فيه قبحا فان الحسن والقبح شرعيان لا عقليان ولا دخل للاجتهاد والقياس في كون الشيء محكوما عليه بالاستحسان والقباحة انما ذلك الى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم

فصل في شرك الذبح لغير الله وقد تقدم الكلام عليه في باب الاشراك في العبادة ايضا

قال تعالى قل ان صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له قال ابن كثير يامره تعالى ان يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون له اي انه اخلص لله صلاته وذبيحته لان المشركين يعبدون الاصنام ويذبحون لها فامره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والانقياد بالقصد والنية والعزم على الاخلاص لله تعالى قال مجاهد النسك الذبح في الحج والعمرة وقال سعيد بن جبير نسكي ذبحي وكذا قال الضحاك وقال غيره اي ما آتيه في حياتي وما اموت عليه من الايمان والعمل الصالح لله خالصا لوجهه لا شريك له وبذلك الاخلاص امرت وانا اول المسلمين من هذه الامة لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قال ابن كثير وهو كما قال فان جميع الانبياء قبله كانت دعوتهم الى الاسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى وما ارسلنا قبلك من رسول

الا اوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وفي ذلك آيات في هذا المعنى وبالجملة ان الله تعالى تعبد عباده
بان يتقربوا اليه بالنسك كما تعبدهم بالصلوة وغيرها من انواع العبادات فان الله تعالى امرهم ان يخلصوا
جميع انواع العبادة له دون كل ما سواه فاذا تقربوا الى غيره بالذبح او غيره من انواع العبادة فقد
جعلوا لله شريكا في عبادته وظاهر في قوله لا شريك له نفي ان يكون لله شريكا في هذه العبادات
ونصها الذبح وهو واضح بحمد الله تعالى وقال تعالى فصل لربك وانحر قال شيخ الاسلام ابن تيمية
امره ان يجمع بين هاتين العبادتين وهما الصلوة والنسك الدالتان على القرب والتواضع والافتقار
وحسن الظن وقوة اليقين وطمانينة القلب الى الله والى عدته عكس حال اهل الكبر والنفرة واهل الغنا
عن الله تعالى الذين لا حاجة لهم في صلاتهم الى ربهم والذين لا ينحرون له خوفا من الفقر ولهذا
جمع بينهما في قوله ان صلاتي ونسكي والنسك الذبيحة لله تعالى ابتغاء وجهه فانهما اجل ما يتقرب به
الى الله فانه اتى فيهما بالفاء الدالة على السبب لان فعل ذلك سبب للقيام بشكر ما اعطاه الله من
الكوثر واجل العبادات البدنية الصلوة واجل العبادات المالية النحر وما يجتمع للعبد في
الصلوة لا يجتمع له في غيرها كما عرفه ارباب القلوب الحية وما يجتمع له في النحر اذا قارنه الايمان
والاخلاص من قوة اليقين وحسن الظن امر عجيب وكان صلى الله عليه وآله وسلم كثير النحر
وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باربع كلمات لعن الله
من ذبح لغير الله لعن الله من لعن والديه لعن الله من آوى محدثا لعن الله من غير منار الارض رواه
مسلم من طرق وفيه قصة ورواه احمد عن ابي الطفيل قال قلنا لعلي اخبرنا بشيء اسره اليك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما اسر الي شيئا كتمه الناس ولكن سمعته يقول لعن الله من ذبح لغير الله لعن الله من آوى محدثا
لعن الله من لعن والديه لعن الله من غير تخوم الارض يعني منارها واللعن البعد عن مظان الرحمة
ومواطنها واللعين والملعون من حقت عليه اللعنة او دعي عليه بها قال ابو السعادات اصل اللعن
الطرد والابعاد من الله ومن الخلق السب والدعاء قال ابن تيمية ان الله يلعن من استحق اللعنة بالقول
كما يصلي على من استحق الصلوة من عباده قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الى قوله تحيتهم يوم يلقونه
سلام وقال ان الله لعن الكافرين الى قوله ملعونين والقرآن كلامه سبحانه اوحاه الى جبريل عليه
السلام وبلغه رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجبريل سمعه منه فالصلوة تامة الله والله المصلي

قال وظاهر قوله وما اهل به لغير الله انه ما ذبح لغيره تعالى مثل ان يقال هذا ذبيحة لكذا او اذا
كان هذا هو المقصود فسواء لفظ به او لم يلفظ وتحريم هذا اظهر من تحريم ما ذبحه للحم وقال فيه باسم المسيح و
نحوه كما ان ما ذبحناه متقربين به الى الله كان ازكى واعظم مما ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله فاذا حرم
ما قيل فيه باسم المسيح والزهرة فلان يحرم ما قيل فيه لاجل المسيح والزهرة او قصد به ذلك اولى فان العبادة لغير الله
اعظم كفرا من الاستعانة لغير الله وعلى هذا فلو ذبح لغير الله متقربا اليه يحرم وان قال فيه باسم الله
كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الامة الذين قد يتقربون الى الكواكب بالذبح والنحر ونحو ذلك
وان كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال لكن يجتمع في الذبيحة مانعان الاول انها مما اهل لغير الله
به والثاني انها ذبيحة المرتدين ومن هذا الباب ما يفعله الجاهلون بمكة المكرمة من الذبح للجن ولهذا
روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه نهى عن ذبائح الجن انتهى معناه قال الزمخشري كانوا اذا
اشتروا دارا او بنوها او استخرجوا عينا ذبحوا ذبيحة خوفا ان تصيبهم الجن فاضيفت اليهم الذبائح
لذلك وذكر ابراهيم المروزي ان ما ذبح عند استقبال السلطان تقربا اليه افتى اهل بخارا بتحريمه
لانه مما اهل به لغير الله والحاصل ان الذابح لغير الله ملعون والذبيحة ذبيحة مرتد يحرم اكلها واما
شرح بقية الحديث فموضعه غير هذا الموضع وحاصله ان ضام المحدث اليه والحامي له ملعون
والمحدث روي بالكسر وبالفتح فعلى الاول معناه نصر جانيه وآواه واجاره من خصمه وحال بينه
وبين ان يقتص منه وعلى الثاني هو الامر المبتدع نفسه ومعناه الرضا به والصبر عليه فانه اذا
رضي بالبدعة واقر فاعلها ولم ينكر عليه فقد آواه قال ابن القيم هذه تختلف باختلاف مراتب الحدث
بنفسه فكل ما كان الحدث في نفسه اكبر كانت الكبيرة اعظم انتهى وفي هذا من الوعيد على اهل
البدعة وذم البدع ما لا يقادر قدره وتنكير المحدث يعم كل محدث من اي شخص كان وفي اي مكان
كان وكذلك مغير المنار ملعون على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمراد بالمنار بفتح
الميم علامات حدودها ومعالمها كذا في النهاية والمراد بالمعالم التي يهتدى بها في الطريق وقيل
هو ان يدخل رجل في ملك غيره فيقتطعه ظلما والظاهر انه عام لجميع الارض وقيل خاصة بحدود
الحرم والاول ارجح والتخوم بفتح التاء جمعه تخم بضمتين والمعنى ان يقدمها او يؤخرها فيكون هذا
من ظلم الارض الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ظلم شبرا من الارض طوقه

يوم القيامة من جميع ارضيه ففي هذا جواز لعن اهل الظلم من غير تعيين واما لعن الفاسق المعين
ففيه قولان احدهما انه جائز اختاره ابن الجوزي وغيره والثاني انه لا يجوز واختاره ابو بكر عبد العزيز
وشيخ الاسلام رحمهم الله تعالى وهو المتجه ان شاء الله تعالى جمعا بين الروايات وفي الحديث لعن
لمن لعن ابويه وان عليا يكون ملعونا وهذا الوعيد لا يبالغ مداه وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم قال من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب
الرجل ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه فيسب امه وعن طارق بن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم قال دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب اي من اجله وطارق هو البجلي الا
قال ابو داود رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يسمع منه شيئا قال الحافظ اذا ثبت انه لقي النبي
صلى الله عليه السلام فهو صحابي واذا ثبت انه لم يسمع منه فروايته مرسل صحابي وهو مقبول على الراجح
وكانت وفاته على ما جزم به ابن حبان سنة ثلاث وثمانين قالوا وكيف ذلك يا رسول الله كانهم
تعجبوا منه فسألوه عن هذا الامر العجيب لانهم قد علموا ان الجنة لا يدخلها احد الا بالاعمال الصالحة
كما قال تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وان النار لا يدخلها احد الا بالاعمال السيئة فكأنهم تقالوا
ذلك واحتقروه فبين لهم صلى الله عليه وآله وسلم ما صيّر هذا الامر الحقير عندهم عظيما يستحق عليه
هذا الجنة ويستحق الآخر عليه النار قال مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه احد حتى يقرب له شيئا
الصنم ما كان منحوتا على صورة والمعنى لا يمر به ولا يتعداه احد حتى يجعل له قربانا وان قل والظاهر
ان هذين الرجلين كانا من بني اسرائيل فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحدث عنهم كثيرا
فقالوا لاحدهما قرب قال ليس عندي شيء اقرب قالوا له قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار وفيه
بيان عظم الشرك ولو في شيء قليل وانه يوجب النار كما قال تعالى انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه
الجنة ومأواه النار الا ترى الى هذا لما قرب لهذا الصنم ارذل الحيوان واخسه وهو الذباب كان
جزاؤه النار لاشراكه في عبادة الله اذ الذبح على سبيل القربة والتعظيم عبادة والحديث دل على الحذر
من الوقوع في الشرك وعلى ان الانسان قد يقع فيه وهو لا يدري انه من الشرك الذي يوجب النار
وفيه ان جزاء قليل الشرك كجزاء كثيره وان الله قد يؤاخذ عبده على شيء حقير قليل لا يظنه سبب
المؤاخذة عنده وفيه انه دخل النار بسبب لم يقصده ابتداء وانما فعله تخلصا من شر اهل الصنم

وفيه ان ذلك الرجل كان مسلما قبل ذلك والا فلو لم يكن مسلما لم يقل دخل النار في ذباب وفيه
ان عمل القلب هو المقصود الاعظم حتى عند عبدة الاوثان وقالوا للآخر قرب فقال ما كنت لاقرب
لاحد شيئا دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة رواه احمد فيه بيان فضيلة التوحيد
والاخلاص وفيه معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين كيف صبر على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم
مع كونهم لم يطلبوا منه الا العمل الظاهر وهذا الحديث شاهد للحديث الصحيح الاخر الجنة اقرب
الى احدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك وقد استدل بعض اهل العلم على منع الذبح لله بمكان يذبح
فيه لغيره سبحانه بقوله تعالى لا تقم فيه ابدا قال المفسرون نهى الله رسوله عن الصلوة في مسجد الضرار
وامته تبع له في ذلك ثم حثه على الصلوة بمسجد قبا الذي اسس من اول يوم على التقوى ووجه الدلالة
ان المواضع المعدة للذبح لغير الله يجب اجتناب الذبح فيها لله كما ان هذا المسجد لما اعد للمعصية صار
محل غضب لاجل ذلك فلا تجوز الصلوة فيه لله وقد قرن الصلوة والذبح في الكتاب والسنة فهذا
قياس صحيح يؤيده حديث ثابت بن الضحاك قال نذر رجل ان ينحر ابلا ببوانة فسال النبي صلى الله عليه
واله وسلم فقال هل كان فيها وثن من اوثان الجاهلية يعبد قالوا لا قال فهل كان فيها عيد من اعيادهم
قالوا لا فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اوف بنذرك فانه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا
فيما لا يملك ابن ادم رواه ابو داود باسناد على شرطهما بوانة بضم الباء وقيل بفتحها قال البغوي موضع
في اسفل مكة دون يلملم وقال ابو السعادات هضبة من وراء ينبع وفي الحديث المنع من الوفاء بالنذر
اذا كان في المكان وثن ولو بعد زواله وفيه ان المعصية قد تؤثر في الارض وكذلك الطاعة وفيه
رد المسئلة المشكلة الى المسئلة البينة ليزول الاشكال واستفصال المفتي اذا احتاج اليه وان تخصيص
البقعة بالنذر لا باس به اذا خلا من الموانع والمنع منها اذا كان فيها عيد من اعيادهم ولو بعد زواله
وانه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة لانه نذر معصية وانه لا نذر في معصية الرب ولا فيما
لا يملكه ابن ادم قال شيخ الاسلام ابن تيمية رح العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد
عائد بعود السنة او الاسبوع او الشهر ونحو ذلك والمراد هنا الاجتماع المعتاد من اهل الجاهلية فالعيد
يجمع امورا منها يوم عائد كيوم الفطر ويوم الجمعة ومنها اجتماع فيه ومنها اعمال تتبع ذلك من العبادات
والعادات وقد يختص العيد بمكان بعينه وقد يكون مطلقا وكل من هذه الامور قد يسمى عيدا

فالزمان كقول النبي صلى الله عليه واله وسلم في يوم الجمعة ان هذا يوم جعله الله للمسلمين عيدا
والاجتماع والاعمال كقول ابن عباس شهدت العيد مع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم والمكان
كقوله صلى الله عليه واله وسلم لا تتخذوا قبري عيدا وقد يكون لفظ العيد اسما لمجموع اليوم والعمل
فيه وهو الغالب كقول النبي صلى الله عليه واله وسلم دعهما يا ابا بكر فان لكل قوم عيدا انتهى
والحديث دل على الحذر من مشابهة المشركين في اعيادهم ولو لم يقصده سدا للذريعة والمنع
مما هو وسيلة الى الشرك وهذا يرشدك الى انه لا يجوز الاجتماع للمسلمين مع المشركين في مراسمهم
ومواسمهم واعيادهم وان كانت سالمة عن الاعمال الشركية في العبادة والعادة لان شرع تكثير
سوادهم معصية ولكن قد تسامح اهل الزمان في هذا الباب واجتمعوا معهم في كل شيء مما زينه لهم
الشيطان وسولت لهم انفسهم الامارة بالعصيان ولم يعلموا ان المعاصي بريد الكفر وفيه ان الذبح
لله في المكان الذي يذبح فيه المشركون لغيره سبحانه او في محل اعيادهم وموضع مواسمهم ومواضع
اجتماعهم معصية وهذا المعنى ان كون البقعة مكانا لعيدهم او لوثن من اوثانهم او بنصب من
انصابهم مانع من الذبح بها ولو نذره وكذا اعني كل عبادة لله وهذا النذر معصية لو وجد في المكان
بعض الموانع والعوائق وما كان كذلك فلا يجوز الوفاء به باجماع العلماء واختلفوا هل تجب كفارة
على من لم يف بها وامتنع عن اجرائه هذا قف وهو المذهب المروي عن ابن مسعود وابن عباس وبه قال
ابو حنيفة رحمه الله تعالى واصحابه لحديث عائشة مرفوعا لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين رواه
احمد واهل السنن واحتج به احمد واسحق وقال الشافعي لا كفارة عليه وروي ذلك عن مسروق والشعبي والسابح
لحديث الباب ولم يذكر فيه الكفارة وجوابه ان الكفارة ذكرها في الحديث المتقدم والمطلق يحمل
على المقيد ومن الشرك النذر لغير الله لانه عبادة يجب الوفاء به اذا نذر لله فيكون النذر لغيره
سبحانه شركا في العبادة وقد تقدم الكلام عليه في الجملة قال تعالى يوفون بالنذر وهذا يدل على حسن
الوفاء به ومدح من فعل ذلك طاعة ووفاء بما تقرب به اليه والمعنى ان النذر من العبادة فيكون صرفه
لغيره شركا فاذا نذر لطاعة وجب عليه الوفاء بها والنذر قربة الى الله تعالى ولهذا امدح الموفين به فان
نذر لمخلوق تقربا اليه وتعظيما له لا تعبدا لله او لكشف ضره ونحو ذلك فقد اشرك في عبادته سبحانه
شركا صريحا كما ان من صلى لله وصلى لغيره فقد اشرك ووجه الدلالة من الاية الشريفة على هذا المعنى

ان الله مدح الموفين بالنذر والله لا يمدح الا على فعل واجبا ومستحبا وترك محرم وذلك هو العبادة فمن جاء به لغير الله تقربا به اليه فقد اشرك فتامل وقال تعالى وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه قال ابن كثير يخبر بانه عالم بجميع ما يعمله العاملون من النفقات والمنذورات وتضمن ذلك مجازاته على ذلك اوفر الجزاء للعاملين به ابتغاء وجهه اذا علمت ذلك فهذه النذور الواقعة من عباد القبور تقربا بها اليهم ليقضوا حوائجهم او ليشفعوا لهم شرك في العبادة بلا ريب كما قال تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الآية وسبق تفسير هذه الآية في الكتاب فراجعه قال شيخ الاسلام رحمه الله واما النذر لغير الله كالنذر للاصنام والشمس والقمر والقبور ونحو ذلك فهو بمنزلة ان يحلف بغير الله من المخلوقات والحالف بالمخلوقات لا وفاء عليه ولا كفارة وكذلك الناذر للمخلوقات فان كليهما شرك والشرك ليس له حرمة بل عليه ان يستغفر الله من هذا ويقول ما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حلف باللات والعزى فليقل لا اله الا الله قال وهذا النذر معصية باتفاق المسلمين لا يجوز الوفاء به وكذلك اذا نذر مالا للسدنة او المجاورين العاكفين بتلك البقعة فان فيهم شبها من السدنة التي كانت عند اللات والعزى ومناة يأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والمجاورون هناك فيهم شبه من الذين قال فيهم ابراهيم الخليل عليه السلام ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون والذين اجتاز بهم موسى عليه السلام وقومه كما قال تعالى وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم فالنذر لاولئك السدنة والمجاورين في هذه البقاع نذر معصية وفيه شبه من النذر لسدنة الصلبان والمجاورين عندها او لسدنة الابدال التي في الهند والمجاورين عندها قال الرافعي في شرح المنهاج واما النذر للمشاهد التي على قبر ولي او شيخ او على اسم من حلها من الاولياء او تردد في تلك البقعة من الصلحاء فان قصد الناذر بذلك وهو الغالب او الواقع من قصود العامة تعظيم البقعة والمشهد او الزاوية او تعظيم من دفن بها او نسبت اليه او بنيت على اسمه فهذا النذر باطل غير منعقد فان اعتقد ان لهذه الاماكن خصوصيات ويرون انها مما يدفع بها البلاء ويستجلب بها النعماء ويستشفى بالنذر لها من الادواء حتى انهم ينذرون لبعض الاحجار لما قيل انه استند اليها عبد صالح وينذرون لبعض القبور السرج والشموع والزيت ويقولون القبر الفلاني او المكان الفلاني يقبل النذر يعنون بذلك انه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض او قدوم غائب او

سلامة ماله أو غيره فهو من أنواع نذر الجاهلية فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه بل نذر
الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقا ومن ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل عليه
السلام ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء فإن الناذر لا يقصد بذلك إلا الإيقاد على التربة تبركا
وتعظيما ظانا أن ذلك قربة فهذا مما لا ريب في بطلانه والإيقاد المذكور محرم سواء انتفع به هنالك منتفع
أم لا وقال الشيخ قاسم في شرح درر البحار النذر الذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد كأن يكون
للإنسان غائب أو مريض أو له حاجة فيأتي إلى قبر بعض الصلحاء ويجعل على رأسه سترة ويقول يا سيدي
فلان إن رد الله غائبي أو عوفي مريضي أو قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا أو من الفضة كذا أو من
الطعام كذا أو من الماء كذا أو من الشمع أو الزيت كذا فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه منها أنه نذر لمخلوق
والنذر له لا يجوز لأنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق ومنها أن المنذور له ميت والميت لا يملك شيئا
ومنها أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله واعتقاد ذلك كفر إلى أن قال إذا علمت هذا فما يؤخذ
من الدراهم والشمع والزيت وغيرها وينقل إلى ضرائح الأولياء تقربا إليهم فحرام بإجماع المسلمين نقل ذلك
عنه ابن نجيم في البحر الرائق ونقله المرشدي في تذكرته وغيرهما عنه وزاد وقد ابتلي الناس بهذا لا سيما في
مولد البدوي وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي في الرد على من أجاز الذبح والنذر للأولياء عند الذبح والنذر
إن كان على اسم فلان فهو لغير الله فيكون باطلا وفي التنزيل ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قل إن صلاتي
ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له والنذر لغير الله إشراك مع الله كالذبح لغيره انتهى وأقوال
كلام العلماء أهل المعرفة بالحق والدليل في هذا الباب كثير ولا حاجة بنا إلى نقله فإن الكتاب والسنة
يغنيان عن ذلك وقد روي عن عائشة رضي الله عنها في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه وقد أجمع العلماء على أن من نذر نذرا
بشرط يرجوه كأن شفى الله مريضي فعلي أن أتصدق بكذا أو نحو ذلك وجب عليه إن حصل له ما علق نذره
على حصوله قال المحقق وحكي عن أبي حنيفة رح أنه لا يلزمه الوفاء إلا بما جنسه واجب بأصل الشرع
كالصوم وأما ما ليس كذلك كالاعتكاف فلا يجب عليه الوفاء به انتهى وهذا ظاهر قوله رح ولكن لفظ
السنة المطهرة أوسع من ذلك قال البخاري من نذر أن يعصي الله فلا يعصه وليكفر عن يمينه وقد أجمع
العلماء على أنه لا يجوز الوفاء بنذر المعصية قال الحافظ رح اتفقوا على تحريم النذر في المعصية

وتنازعوا هل ينعقد موجبا للكفارة ام لا انتهى وقد يستدل بالحديث على صحة النذر في المباح
كما هو مذهب احمد وغيره ويؤيده ما رواه ابو داود عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده واحمد
والترمذي عن بريدة ان امرأة قالت يا رسول الله اني نذرت ان اضرب على راسك بالدف فقال
اوفي بنذرك وأما نذر اللجاج والغضب فهو يمين عند احمد فيخير بين فعله وكفارة يمين لحديث عمران
بن حصين مرفوعا لا نذر في غضب وكفارته كفارة يمين رواه سعيد واحمد والنسائي فان نذر مكروها
كالطلاق استحب ان يكفر ولا يفعله هكذا في فتح المجيد وفي الروضة الندية شرح الدرر البهية انما
يصح النذر اذا ابتغى به وجه الله فلا بد ان يكون قربة ولا نذر في معصية الله لانه قد ورد النهي عن النذر
كما في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عمر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن النذر وقال
انه لا يرد شيئا وانما يستخرج به من مال البخيل وفيهما ايضا من حديث ابي هريرة نحوه ثم ورد الاذن
بالنذر في الطاعة والنهي عنه في المعصية كما في الصحيحين من حديث عائشة المتقدم وعلى ذلك يحمل
قوله تعالى يوفون بالنذر وقد اخرج الطبري بسند صحيح عن قتادة في قوله تعالى يوفون بالنذر قال
كانوا ينذرون طاعة الله من الصلوة والصيام والزكوة والحج والعمرة وما افترض عليهم فسماهم ابرارا
وورد بلفظ الحصر انه لا نذر الا فيما ابتغي به وجه الله كما اخرجه احمد وابو داود وغيرهما من حديث
عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا نذر الا فيما ابتغي به وجه الله واخرج
مسلم من حديث ابن عباس يرفعه من نذر نذرا في معصية فكفارته كفارة يمين واخرج احمد واهل السنن
من حديث عائشة مرفوعا لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين والاحاديث في هذا الباب كثيرة قال ومن
النذر في المعصية ما فيه مخالفة للتسوية بين الاولاد او مفاضلة بين الورثة مخالفة لما شرعه الله و
ما لم يأذن به الله كالنذر على المساجد لتزخرف او على اهل المعاصي ليستعينوا بذلك على معاصيهم ومن
اوجب على نفسه فعلا لم يشرعه الله لم يجب عليه وعلى هذا اهل العلم وكذلك ان كان النذر مما شرعه الله
وهو لا يطيقه لم يجب عليه الوفاء به ومن نذر نذرا لم يسمه او كان معصية او لا يطيقه فعليه كفارة
يمين ومن نذر بقربة وهو مشرك ثم اسلم لزمه الوفاء ولا ينفذ النذر الا من الثلث واذا مات الناذر
بقربة ففعلها عنه ولده اجزأه ذلك انتهى الحاصل منه وادلة هذه المسائل مذكورة فيه فان شئت
راجعه ومن الشرك الاستعاذة بغير الله وقد تقدم الكلام عليها وهي الالتجاء والاعتصام ولهذا

يعني المستعاذ به معاذاً وملجأً فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يهلكه إلى ربه ومالكه واعتصم
واستجار به والتجأ إليه وهذا تمثيل وإلا فما يقوم بالقلب من الالتجاء إلى الله والاعتصام به والانطراح
بين يدي الرب والافتقار إليه والتذلل لديه أمر لا تحيط به العبارة قاله الحافظ ابن القيم رح وقال
ابن كثير الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر والعياذ يكون لدفع الشر
واللياذ لطلب الخير انتهى قال في فتح الحميد هي من العبادات التي أمر الله تعالى عباده بها كما قال سبحانه
وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم وأمثال ذلك في القرآن كثير كقوله تعالى
أعوذ برب الفلق أعوذ برب الناس فمن صرف شيئاً من هذه العبادة لغير الله فقد جعله شريكاً لله
في عبادته ونازع الرب في إلهيته كما أن من صلى لله وصلى لغيره يكون عابداً لغير الله ولا فرق وسيأتي
تقريره إن شاء الله تعالى قال تعالى وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً
وذلك أن الرجل من العرب كان إذا أمسى بواد قفر وخاف على نفسه قال أعوذ بسيد هذا الوادي
من سفهاء قومه يريد كبير الجن قال مجاهد كانوا إذا هبطوا وادياً يقولون نعوذ بعظيم هذا الوادي
فزاد ذلك الكفار طغياناً قال ابن كثير فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم
خوفاً وإرهاباً وذعراً حتى يبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذاً بهم كما قال قتادة كان الرجل يخرج بأهله
فيأتي الأرض فينزلها فيقول أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضر فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي
قال فإذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجن الأذى عند ذلك وذكر عن عكرمة نحو ذلك انتهى قال في
فتح الحميد قد أجمع العلماء على أنه لا يجوز الاستعاذة بغير الله وقال علي القاري بالجن فقد تقدم إنكار
على ذلك وذكر الآية وقال تعالى يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس الآية فاستمتاع الإنسي بالجني
في قضاء حوائجه وامتثال أوامره وإخباره بشيء من المغيبات في تعظيمه إياه واستعاذته به وخضوعه
له انتهى وفيه أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية من كف شر أو جلب خير لا يدل على أنه ليس من الشرك
وعن خولة بنت حكيم قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات
الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك رواه مسلم فيه أن الله شرع لأهل
الإسلام أن يستعيذوا به بدلاً عما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن قال بعض العلماء لأن
الاستعاذة بالمخلوق شرك سواء كان جنياً أو غيره واستدل العلماء بهذا الحديث على أن كلمات الله

غير مخلوقة لانها لو كانت مخلوقة لما جازت الاستعاذة بها ولانه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه استعاذ بها وامر بذلك ومعنى التامات كما قال القرطبي الكاملات التي لا يلحقها نقص ولا عيب كما يلحق كلام البشر وقيل معناها الكافية الشافية وقيل هي هنا القران فان الله اخبر عنه انه هدى وشفاء وهذا الامر على جهة الارشاد الى ما يدفع به الاذى وحيث كان هذا استعاذة بصفات الله تعالى صار هذا الامر من باب المندوب اليه المرغب فيه وعلى هذا فحق على المستعيذ بالله وباسمائه الحسنى و صفاته العليا ان يصدق الله فى الالتجاء اليه ويتوكل في ذلك عليه ويحضر ذلك في قلبه فمتى فعل ذلك وصل الى منتهى طلبه ومغفرة ذنبه قال شيخ الاسلام ابن تيمية رح وقد نص الائمة كاحمد وغيره على انه لا يجوز الاستعاذة بمخلوق ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والتعاويذ التي لا يعرف معناها خشية ان يكون فيها استعاذة بمخلوق وذلك شرك قال ابن القيم ومن ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ به و تقرب اليه بما يحب فقد عبده وان لم يسم ذلك عبادة ويسميه استخداما وصدق هو استخدام منه للشيطان فيصير من خدمه وعابديه وبذلك يخدمه الشيطان لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة فان الشيطان لا يخضع له ولا يعبده ابدا كما يفعله هو به قال واما قوله من شر ما خلق فمعناه من كل شر من اي مخلوق قام به الشر من حيوان او غيره انسيا كان او جنيا او هامة او دابة او ريحا او صاعقة اي نوع كان من انواع البلاء فى الدنيا والاخرة وما هنا موصولة وليس المراد به العموم الاطلاقي بل المراد التقييدي الوصفي اي من شر كل مخلوق فيه شر وصفه لا من شر كل ما خلق الله فان الجنة والملائكة والانبياء ليس فيهم شر اصلا ابدا والشر يقال على شيئين على الالم وعلى ما يفضي اليه قال القرطبي هذا خبر صحيح وقول صادق علمنا صدقه دليلا وتجربة فاني منذ سمعت هذا الخبر عملت به فلم يضرني شيء الى ان تركته فلدغتني عقرب بالمهدية ليلا فتفكرت في نفسي فاذا اني قد نسيت ان اتعوذ بتلك الكلمات انتهى ه

فصل في ان من الشرك ان يستغيث بغير الله او يدعو غيره والاستغاثة

هي طلب الغوث وهو ازالة الشدة والاستعانة طلب العون

قال بعض العلماء الفرق بينها وبين الدعاء ان الاستغاثة لا تكون الا من المكروب والدعاء اعم منه ومن غيره فبينهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان في مادة وينفرد الدعاء عنها في مادة فكل استغاثة دعاء وليس كل دعاء استغاثة والدعاء نوعان دعاء عبادة ودعاء مسئلة ويراد في القران هذا

تارة وبتارة هذا ويراد به مجموعهما ايضا ودعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع او كشف ضر ولهذا انكر الله على من يدعو احدا من دونه ممن لا يملك ضرا ولا نفعا كقوله تعالى اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا وقوله قل اندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله الاية قال شيخ الاسلام كل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وقال تعالى قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون وقال تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وقال تعالى له دعوة الحق وامثال هذا في القران في دعاء المسألة اكثر من ان يحصر وهو يتضمن دعاء العبادة لان السائل اخلص سؤاله لله وذلك من افضل العبادات وكذلك الذاكر لله والتالي لكتابه ونحوه طالب من الله في المعنى فيكون داعيا عابدا فتبين بهذا ان دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة كما ان دعاء المسألة مستلزم لدعاء العبادة وقد قال تعالى عن خليله عليه السلام واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا الاية فصار الدعاء من انواع العبادة فان قوله وادعو ربي الى قوله شقيا كقول زكريا عليه السلام ولم اكن بدعائك رب شقيا وقد امر الله بالدعاء في مواضع من كتابه كقوله تعالى وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين وهذا هو دعاء المسألة المتضمن للعبادة فان الداعي يرغب الى المدعو ويخضع له ويتذلل بين يديه وغير ذلك مما يفعله ويعمله الداعي وضابط هذا ان كل امر شرعه الله لعباده وامرهم به ففعله لله عبادة فاذا صرف من تلك العبادة شيئا لغير الله فهو مشرك بالله مصادم لما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من قوله قل الله اعبد مخلصا له ديني ولشيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه في رسالته السنية فاذا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ممن انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم ان المنتسب الى الاسلام والسنة في هذه الازمان قد يمرق ايضا من الاسلام لاسباب منها الغلو في بعض المشائخ بل الغلو في علي بن ابي طالب كرم الله وجهه بل الغلو في المسيح عليه السلام فكل من غلا في نبي او رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل ان يقول يا سيدي فلان انصرني واغثني وارزقني واجبرني او انا في حسبك ونحو هذه الاقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل فان الله سبحانه انما ارسل الرسل وانزل الكتب ليعبد

وحده

وحده لا شريك له ولا يدعو معه الها والذين يدعون مع الله الها آخر مثل المسيح والملائكة والاصنام لم يكونوا يعتقدون انها تخلق الخلائق وتنزل المطر وتنبت النبات وانما كانوا يعبدونهم ويعبدون قبورهم او يعبدون صورهم يقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فبعث الله سبحانه رسله تنهى ان يدعى احد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة واستعانة قال ومن جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر اجماعا نقله عنه صاحب الفروع وصاحب الانصاف وصاحب الاقناع وغيرهم وذكره ابن تيمية رح في مسئلة الوسائط ونقلوه منه في الرد على ابن جرجيس قال ابن القيم ومن انواع الشرك طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والاستعانة منهم والتوجه اليهم وهذا اصل شرك العالم فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا لمن استغاث به او استعان منه او سأله ان يشفع له الى الله وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده قال الحافظ محمد ابن عبد الهادي في رده على ابن السبكي في قوله ان المبالغة في تعظيمه اي الرسول صلى الله عليه وسلم واجبة ان اريد بها المبالغة بحسب ما يراه كل احد تعظيما حتى الحج الى قبره والسجود له والطواف به واعتقاد انه يعلم الغيب وانه يعطي ويمنع ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع وانه يقضي حوائج السائلين ويفرج كربات المكروبين وانه يشفع فيمن شاء ويدخل الجنة من شاء فدعوى المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك وانسلاخ من جملة الدين قال في الفتاوى البزازية من كتب الحنفية قال علماؤنا من قال ان ارواح المشائخ حاضرة تعلم يكفر قال الشيخ صنع الله الحنفي في كتابه في الرد على مدعي التصرف للاولياء في الحياة وبعد الممات على سبيل الكرامة ما لفظه هذا وانه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون ان للاولياء تصرفات بحياتهم وبعد مماتهم ويستغاث بهم في الشدائد والبليات وبهم تكشف المهمات فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات مستدلين على ذلك بان هذا منهم كرامة وقالوا منهم ابدال ونقباء واوتاد ونجباء وسبعون وسبعة واربعون واربعة والقطب هو الغوث للناس وعليه المدار بلا التباس وجوزوا لهم الذبائح والنذور واثبتوا لهم فيها الاجور قال فهذا كلام فيه افراط وتفريط بل فيه الهلاك الابدي والعذاب السرمدي لما فيه من روائح الشرك المحقق ومصادمة الكتاب العزيز المصدق ومخالفة لعقائد الائمة وما اجتمعت عليه الامة وفي التنزيل ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى

ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا قال فأما قولهم إن للأولياء تصرفات
في حياتهم وبعد الممات فيرده قوله تعالى أإله مع الله ألا له الخلق والأمر لله ملك السموات والأرض
ونحوه من الآيات الدالة على أنه المنفرد بالخلق والتدبير والتصرف والتقدير ولا شيء لغيره بوجه من
الوجوه لا مثل الخلق ولا من الأمر بل الكل تحت ملكه وقهره تصرفا وإحياء وإماتة وخلقا وملكا وتمدح الرب
تبارك وتعالى بملكه في آيات من كتابه كقوله هل من خالق غير الله والذين تدعون من دونه لا يملكون
من قطمير لآية وذكر آيات في هذا المعنى ثم قال فقوله في الآيات كلها من دونه معناه من غيره وهو عام
يدخل فيه كل من اعتقدته من ولي وشيطان تستمده فإن من لم يقدر على نصر نفسه كيف يمد غيره قال
فكيف يتصور لغيره من ممكن أن يتصرف بل إن هذا القول وخيم وشرك عظيم قال وأما القول بالتصرف
بعد الممات فهو أشنع وأبدع من القول الأول وهو التصرف في الحياة قال جل ذكره إنك ميت وإنهم ميتون
الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى
أجل مسمى كل نفس ذائقة الموت كل نفس بما كسبت رهينة وفي الحديث إذا مات ابن آدم انقطع عمله
إلا من ثلاث الحديث فجميع ذلك وما هو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت وأن أرواحهم
ممسكة وأن أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان فدل ذلك على أن ليس للميت تصرف في ذاته فضلا
عن غيره فإذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره والله سبحانه يخبر أن الأرواح عنده وهؤلاء
الملحدون يقولون إن الأرواح مطلقة متصرفة قل أأنتم أعلم أم الله قال وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات
لهم من الكرامات فهو من المغالطة لأن الكرامة شيء من عند الله يكرم بها أولياءه لا قصد لهم فيه ولا تحدي
ولا قدرة ولا علم كما في قصة مريم عليها السلام وأسيد بن حضير وأبي مسلم الخولاني قال وأما قولهم فيستغاث
بهم في الشدائد فهذا أقبح مما قبله وأبدع لمصادمته قوله جل ذكره أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء
ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر وذكر آيات في هذا المعنى ثم قال فإنه
جل ذكره قرر أنه الكاشف للضر لا غيره وأنه متفرد بإجابة المضطرين وأنه المستغاث لذلك وأنه القادر
على دفع الضر القادر على إيصال الخير فهو المنفرد بذلك فإذا تعين هو جل ذكره خرج غيره من ملك ونبي
وولي وغيرهم قال والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية في قتال أو إدراك
عدو أو سبع أو نحوه كقولهم يا آل زيد يا للمسلمين بحسب الأفعال الظاهرة وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير

او في الامور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله لا يطلب فيها غيره قال واما كونهم معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب والصوفية الجهال وينادونهم ويستنجدون بهم فهذا من المنكرات فمن اعتقد ان لغير الله من نبي او ولي او روح او غير ذلك في كشف كربه او قضاء حاجة تأثيرا فقد وقع في وادي جهل خطير فهو على شفا حفرة من السعير واما كونهم مستدلين على ان ذلك منهم كرامات فحاش لله ان تكون اولياء الله بهذه المثابة فهذا ظن اهل الاوثان كذا اخبر الرحمن هؤلاء شفعاؤنا عند الله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ام اتخذوا من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون فان ذكر ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر من نبي وولي وغيره على وجه الامداد منه اشراك مع الله اذ لا قادر على الدفع غيره ولا خير الا خيره قال واما ما قالوه ان منهم الابدال والنقباء والاوتاد والنجباء وسبعين وسبعة واربعة والقطب هو الغوث للناس فهذا من موضوعات افكهم كما ذكره القاضي المحدث في سراج المريدين وابن الجوزي وشيخ الاسلام ابن تيمية رحمهم الله تعالى انتهى حاصله والحاصل ان اهل العلم ما زالوا ينكرون هذه الامور الشركية التي عمت بها البلوى واعتقدها اهل الاهواء ولو تتبعنا كلام العلماء المنكرين لهذه الامور الشركية لطال الكتاب والبصير النبيل يدرك الحق من ادنى دليل ومن قال قولا بلا برهان فقوله ظاهر البطلان مخالف لما عليه اهل الحق والايمان المتمسكين بمحكم القرآن المستجيبين لداعي الحق والايقان وقال تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك من الظالمين قال ابن عطية هذا الامر والمخاطبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم واذا كان كذلك فاحرى ان يحذر من ذلك غيره والخطاب خرج مخرج الخصوص وهو عام للامة قال ابن جرير في هذه الآية يقول تعالى ولا تدع يا محمد من دون معبودك وخالقك شيئا لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة ولا يضرك في دين ولا دنيا يعني بذلك الآلهة يقول لا تعبدها راجيا نفعها او خائفا ضرها فانها لا تضر ولا تنفع فان فعلت ذلك ودعوتها من دون الله فانك اذا من الظالمين اي المشركين بالله وهذه الآية لها نظائر كقوله سبحانه فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وقوله ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو ففي هذه الآيات ان كل مدعو يكون الها والالهية حق لله لا يصلح منها شيء لغيره ولهذا قال لا اله الا هو كما قال تعالى ذلك بأن الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل وان الله

هو العلي الكبير وهذا هو التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل لأجله كتبه كما قال وما أمروا إلا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين والدين كل ما يدان الله به من العبادات الباطنة والظاهرة وفسره ابن جرير في
تفسيره بالدعاء وهو فرد من أفراد العبادة على عادة السلف في التفسير يفسرون الآية ببعض أفراد معناها
فمن صرف منها شيئا لغيره أو صنم أو وثن أو غير ذلك فقد اتخذه معبودا أو جعله شريكا لله في الإلهية
التي لا يستحقها إلا هو كما قال تعالى ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه
لا يفلح الكافرون فتبين بهذه الآية ونحوها أن دعوة غيره تعالى كفر واضح وشرك جلي وضلال صريح
وقد دل قوله سبحانه وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله على أنه
سبحانه هو المتفرد بالملك والقهر والعطاء والمنع والضر والنفع دون كل ما سواه فيلزم من ذلك أن يكون
هو المدعو وحده المعبود وحده فإن العبادة لا تصلح إلا لمالك النفع والضر ولا يملك ذلك ولا شيئا
مما مالك غيره كائنا من كان من أوليائه وأعدائه فهو المستحق للعبادة والدعوة وحده دون من لا يضر ولا
ينفع وقال تعالى قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره وقال ما
يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها الآية فهذا مما أخبر الله به في كتابه من تفرده بالإلهية والربوبية ونفي
الأنداد فعطلوا ذلك وعباد القبور قد اعتقدوا نقيض ما أخبر الله به واتخذوهم شركاء لله في استجلاب المنافع
ودفع المكاره بسؤالهم إياهم وإقبالهم إليهم بالرغبة والرهبة والتضرع وغير ذلك من العبادات التي لا يستحقها
إلا الله وحده لا شريك له واتخذوهم شركاء في ربوبيته وإلهيته وهذا فوق شرك كفار العرب القائلين ما
نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى هؤلاء شفعاؤنا عند الله فإن أولئك يدعونهم ليشفعوا لهم ويقربوهم
إلى الله وكانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك وأما هؤلاء المشركون
فاعتقدوا في أهل القبور وفي مشاهد الأولياء ما هو أعظم من ذلك فجعلوا لهم نصيبا من التصرف في الملك
والتدبير في أهله وجعلوهم معاذهم وملاذهم في الرغبوت والرهبوت سبحان الله عما يشركون ونفقوا
حكايات دالة على تصرفهم وإيصال النفع إلى معتقديهم ومريديهم وهي كلها من أبطل الباطلات وأجهل
الجهالات وقال تعالى فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له أمر عباده بابتغاء الرزق عنده
وحده دون ما سواه ممن لم يملك لهم رزقا من السماوات والأرض فتقديم الظرف أفاد الاختصاص
واعبدوه من عطف العام على الخاص فإن طلب الرزق من الله من العبادة التي أمر بها قال ابن كثير

معناه ابتغوا عند الله الرزق لا عند غيره لانه المالك له وغيره لا يملك شيئا من ذلك واخلصوا له العبادة
وحده لا شريك له واشكروا له على ما انعم عليكم اليه ترجعون فيجازي كل عامل بعمله وقال في قوله تعالى
ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الايتين نفى سبحانه ان يكون احد اضل ممن يدعو غيره
واخبر انه لا يستجيب له ما طلب منه الى يوم القيامة والاية تعم كل من يدعو من دون الله كما قال سبحانه
قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا فاخبر في هذه الاية انه لا يستجيب
وانه غافل عن دعائه واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين فتناولت الاية كل داع
وكل مدعو من دون الله قال ابو جعفر بن جرير يقول تعالى واذا جمع الناس ليوم القيامة في موقف الحساب
كانت هذه الالهة التي يدعونها في الدنيا لهم اعداء لانهم يتبرؤن منهم وكانت لعبادتهم التي كانوا
يعبدونها في الدنيا جاحدين لانهم يقولون يوم القيامة ما امرناهم بعبادتنا ولا شعرنا بعبادتهم ايانا تبرأنا
اليك منهم يا ربنا كما قال سبحانه ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم اضللتم عبادي
هؤلاء ام هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك اولياء الخ قال من دون الله
اي من الملائكة والانس والجن وساق بسنده عن مجاهد قال عيسى وعزير والملائكة قال يقول الله قالت
الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله وعيسى تنزيها لك يا ربنا ما اضاف اليك
هؤلاء المشركون ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك اولياء نواليهم انت ولينا من دونهم انتهى قال
في فتح المجيد واكثر ما يستعمل الدعاء في الكتاب والسنة واللغة ولسان الصحابة ومن بعدهم من العلماء
في السؤال والطلب كما قال اهل اللغة وغيرهم الصلوة لغة الدعاء وقد قال تعالى والذين تدعون من دونه
ما يملكون من قطمير وقال تدعونه تضرعا وخفية وقال واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما
وقال واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقال لا يسأم الانسان من دعاء الخير وقال اذ تستغيثون ربكم
فاستجاب لكم وفي حديث انس مرفوعا الدعاء مخ العبادة وفي الحديث الصحيح الآخر ادعوا الله وانتم موقنون
بالاجابة وفي حديث آخر من لم يسأل الله يغضب عليه وفي آخر ليس شيء اكرم على الله من الدعاء رواه احمد
والترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم وصححه وقال الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات
والارض رواه الحاكم وصححه وقال سلوا الله كل شيء حتى الشسع اذا انقطع وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال افضل العبادة الدعاء وقرأ وقال ربكم ادعوني استجب لكم رواه ابن المنذر والحاكم وصححه وفي الحديث

اللهم اني اسالك بان لك الحمد لا اله الا انت المنان الحديث وفي آخر اللهم اني اسالك بانك انت الله
لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وامثال هذا في الكتاب والسنة
اكثر من ان يحصى في الدعاء الذي هو السؤال والطلب فمن جحد كون السؤال والطلب عبادة فقد صادم
النصوص وخالف اللغة واستعمال الامة سلفا وخلفا واما ما تقدم من كلام ابن تيمية رح وتلميذه ابن القيم
رحمهما الله تعالى من ان الدعاء نوعان دعاء مسألة ودعاء عبادة وما ذكرا فيهما من التلازم وتضمن
احدهما للآخر فذلك باعتبار كون الذاكر والتالي والمصلي والمتقرب بالنسك وغيره طالبا سائلا في المعنى
فيدخل في مسمى الدعاء بهذا الاعتبار وقد شرع الله تعالى في الصلاة الشرعية من دعاء المسألة ما لا تصح
الصلاة الا به كما في الفاتحة وبين السجدتين وفي التشهد وذلك عبادة كالركوع والسجود فتدبر هذا
المقام يتبين لك جهل الجاهلين بالتوحيد ومما يبين هذا المقام ويزيده ايضاحا قول العلامة رح في
قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى هذا الدعاء المشهور انه دعاء
المسألة قالوا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو ربه فيقول مرة يا الله ومرة يا رحمن فظن المشركون
انه يدعو الهين فانزل الله هذه الآية ذكر هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل ان الدعاء هاهنا بمعنى التسمية
والمعنى اي اسم سميتموه به من اسماء الله اما الله واما الرحمن فله الاسماء الحسنى وهذا من لوازم المعنى في الآية
وليس هو عين المراد بل المراد بالدعاء معناه المعهود المطرد في القرآن وهو دعاء السؤال ودعاء الثناء
واذا عرفت هذا فقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية يتناول نوعي الدعاء لكنه ظاهر في دعاء المسألة
متضمن لدعاء العبادة ولهذا امر باخفائه قال الحسن بين دعاء السر ودعاء العلانية سبعون
ضعفا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ولم يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين
ربهم وقوله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان يتناول نوعي الدعاء
وبكل منهما فسرت الآية قيل اعطيه اذا سألني وقيل اثيبه اذا عبدني وليس هذا من استعمال اللفظ
في حقيقته ومجازه بل هذا استعمال في حقيقته الواحدة المتضمنة للامرين جميعا وهذا ياتي في
مسألة الصلاة وانها نقلت عن مسماها في اللغة وصارت حقيقة شرعية واستعملت في هذه
العبادة مجازا للعلاقة بينها وبين المسمى اللغوي وهي باقية على الوضع اللغوي وضم اليها اركان وشرائط
وعلى ما قررناه لا حاجة لشيء من ذلك فان المصلي من اول صلاته الى آخرها لا ينفك عن دعاء

اما دعاء عبادة وثناء واما دعاء طلب ومسئلة وهو في الحالين دائر انتهى من البدائع ملخصا وقال تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء بيّن سبحانه ان المشركين من العرب ونحوهم قد علموا انه لا يجيب المضطر ولا يكشف السوء الا الله وحده فذكر ذلك تعالى محتجا عليهم في اتخاذهم الشفعاء من دونه وقال ءاله مع الله يعني يفعل ذلك فاذا كانت آلهتهم لا تجيبهم في حال الاضطرار فلا يصلح ان يجعلوها شركاء لله الذي يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء عنه وحده وهذا اصح ما فسرت به هذه الاية كنظائرها من قوله امن خلق السموات والارض الى قوله بل اكثرهم لا يعلمون ولاحقها الى قوله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فتأمل هذه الايات يتبين لك ان الله تعالى احتج على المشركين بما اقروا به على ما جحدوه من قصر العبادة جميعها عليه كما في فاتحة الكتاب اياك نعبد واياك نستعين قال ابن جرير يقول تعالى ام ما تشركون بالله خير ام الذي يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء النازل به عنه اءله سواه معه يفعل هذه الاشياء بكم وينعم عليكم هذه النعم قليلا ما تعتبرون حجج الله عليكم فلذلك اشركتم بالله غيره في عبادته وروى الطبراني انه كان في زمن النبي صلى الله عليه واله وسلم منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه واله وسلم من هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله عز وجل هذا المنافق هو عبد الله بن أبيّ كما صرح به ابن ابي حاتم في روايته والمراد ببعض الصحابة ابو بكر الصديق رضي الله عنه وانما اراد ذلك لانه صلى الله عليه واله وسلم كان يقدر على كف اذاه فقال صلى الله عليه واله وسلم ما تقدم وفيه النص على انه لا يستغاث بالنبي صلى الله عليه واله وسلم فضلا عن غيره ونص فكره ان يستعمل هذا اللفظ في حقه وان كان فيما يقدر عليه في حياته حماية لجناب التوحيد وجانب النبوة وسدا لذرائع الشرك وادبا وتواضعا لربه وتحذيرا للامة من وسائل الشرك في الاقوال والافعال فاذا كان هذا فيما يقدر عليه صلى الله عليه واله وسلم في حياته فكيف يجوز ان يستغاث به بعد وفاته ومماته ويطلب منه امور لا يقدر عليها الا الله كما جرى على السنة كثير من الشعراء كالبوصيري والبرعي وغيرهما من الاستغاثة بمن لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا حياة ولا موتا ولا نشورا ويعرضون عن الاستغاثة بالرب العظيم القادر على كل شيء الذي له الخلق والامر وحده وله الملك وحده لا اله غيره ولا رب سواه قال تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله في مواضع من القرآن قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا فاعرض هؤلاء عن القرآن ونبذوه وراءهم نسيا منسيا واعتقدوا نقيض ما دلت عليه هذه الايات المحكمات وتبعهم

على ذلك الضلال الخلق الكثير والجمع الغفير والجم الغفير وعم الشرك بالله دنيا والفتنة ضلالاً فانا

لله وإنا إليه راجعون ما أعظمها من مصيبة عمت بها البلوى وطالت بها الدعوى عند أهل الأهواء

حتى عاندوا أهل التوحيد ونبذوا أهل السنة والتقرب بالله المستعان وعليه التكلان وقال تعالى

أيشركون ما لا يخلق شيئًا وهم يخلقون قال المفسرون هذه الآية فيها توبيخ وتعنيف للمشركين في عبادتهم

مع الله تعالى ما لا يخلق شيئًا وهو مخلوق والمخلوق لا يكون شريكًا للخالق في العبادة التي خلقهم لها وبين

أنهم لا يستطيعون لهم نصرًا ولا أنفسهم ينصرون فكيف يشركون به من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر

نفسه وهذا برهان ظاهر ودليل باهر على بطلان ما كانوا يعبدونه من دون الله وهذا وصف كل

مخلوق حتى الملائكة والأنبياء والصالحين وأشرف الخلق محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان يستنصر

على المشركين ويقول اللهم أنت عضدي وأنت نصيري بك أحول وبك أصول وبك أقاتل وهذه الآية

كقوله سبحانه واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئًا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا ولا

يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا وقوله تعالى قل لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم

الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء وقوله تعالى قل إني لا أملك لكم ضرًا ولا رشدًا قل إني لن يجيرني

من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدًا إلا بلاغًا من الله ورسالاته وهذه الآيات كما ترى نص على بطلان

دعوة غير الله كائنًا من كان ولو كان نبيًا أو صالحًا فقد شرع الله إخلاص العبادة له والإنابة له ربًا وحده

فكيف يجوز أن يجعل العابد معبودًا مع توجيه الخطاب إليه بالنهي عن هذا الشرك كما قال لا إله إلا هو

وقال أمر أن لا تعبدوا إلا إياه وهذا الخطاب شامل لجميع العباد من الأنبياء والصلحاء وغيرهم وأمرهم

بإخلاص العبادة له سبحانه وحده ونفى أمر أن يعبد معه غيره أي عبادة كانت صغيرة أو كبيرة

ظاهرة أو باطنة وفي أي حالة تكون من بسط ومكره وعسر ويسر ورخاء وشدة وهذا هو دين الله الذي

بعث به رسله وأنزل به كتبه ووصى به لعباده وهو الإسلام المروي في صحيح البخاري عن رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم في جواب جبريل عليه السلام قال ما الإسلام قال أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا

الحديث وقد أخبر سبحانه في قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير عن حال المدعوين

من دونه أنهم لا يسمعون ولا يبصرون ويستوي في ذلك الملائكة والأنبياء والأصنام وغيرها فكل من

دعا غير الله ولو نبيًا فهذا حاله بين تعالى حال المدعوين من دونه مما يدل على عجزهم وضعفهم

وانهم قد انتفت عنهم الاسباب الشروط التي لا بد ان تكون في المدعو وهي الملك وسماع الدعاء والقدرة على استجابته فمتى لم يوجد احد هذه الشروط التامة بطلت دعوته فكيف اذا عدمت بالكلية فنفى عنهم الملك بقوله ما يملكون من قطمير قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطاء والحسن وقتادة القطمير اللفافة التي تكون على نواة التمر فلا يملكون من السموات والارض شيئا ولا بمقدار هذا القطمير وقال ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون وقال لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ونفى عنهم سماع الدعاء بقوله وان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم ما بين ميت وغائب عنهم مشتغل بما خلق له مسخر بما امر به كالملائكة ثم قال ولو سمعوا ما استجابوا لكم لان ذلك ليس اليهم فان الله لم ياذن لاحد من عباده في دعاء احد منهم باستقلال ولا بواسطة كما تقدم بعض ادلة ذلك في هذا الكتاب وقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم وهذا يدل على ان دعوة غير الله شرك جلي وقال تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا فهذا اخبار من الله تعالى بانكار المعبودين عن عابديهم وكونهم ضدا عليهم في هذه العبادة الشركية ولا يخبر بعواقب الامور ومآلها وما تصير اليه مثله سبحانه كما قال ولا ينبئك مثل خبير قال قتادة يعني نفسه تبارك وتعالى فانه اخبر بالواقع لا محالة قال بعض اهل العلم والمشركون لم يسلموا للعليم الخبير ما اخبر به عن معبوداتهم بل قالوا انها تملك وتسمع وتستجيب وتشفع وتعطي المرادات وتقضي الحاجات وتقبل النذور ولم يلتفتوا الى ما اخبر به اللطيف الخبير من ان كل معبود يعادي عابده يوم القيامة ويتبرأ منه وينكر عليه قال مجاهد في قوله تعالى ان كنا عن عبادتكم لغافلين يقول ذلك كل شيء كان يعبد من دون الله فالكيس يقبل هذه الايات التي هي الحجة والنور والبرهان بالايمان وصحيح الايقان وبالعمل بها بالقلب والاركان فيجرد اعماله لله وحده دون كل ما سواه ممن لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن غيره والسفيه يعتقد نقيض هذه الادلة البينات ويأولها بما لا يجدي شيئا ولا يسمن ولا يغني من جوع كقوله ان هذه الايات وردت في شأن الكفار والمشركين فما لنا ولها ولا يدري هذا الاحمق انه قد تقرر في الاصول باتفاق الائمة الفحول ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وان الحكم يتعدى بوجود الجامع بينه وبين غيره فكل من فعل فعلا هو من شأن اهل الكفر او قال قولا هو من مقالات الكفار فقد صار بذلك مصداقا لما ورد في شأنهم وحالهم وان زعم انه مسلم كما ان الكافر ان جاء بخصلة من خصال الاسلام او قال كلمة الاسلام

بلسانه ولم يصدق بها جنانه فانه لا يصير بهذا القدر من المسلمين فالسر شيء مشترك بين الآباء
والكفر كما قال تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون وإخلاص الله بالعبادة شيء لا يشاركه فيه
أحد من الكفار والمشركين ولا يتصف به إلا أهل التوحيد والاتباع كما قال سبحانه إنا أخلصناهم
بخالصة ذكرى الدار وعن أنس رضي الله عنه قال شج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد فقال كيف
يفلح قوم شجوا نبيهم فنزلت ليس لك من الأمر شيء رواه البخاري تعليقا ووصله أحمد والترمذي والنسائي
ومسلم قال ابن إسحاق في المغازي حدثني حميد الطويل عن أنس قال كسرت رباعية النبي صلى الله عليه و
آله وسلم يوم أحد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم وهو يقول كيف يفلح
قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله الآية قال أبو السعادات الشج في الرأس خاصة
في الأصل وهو أن يضربه بشيء فيجرحه ويشقه ثم استعمل في غيره من الأعضاء وذكر ابن هشام من حديث
أبي سعيد الخدري أن عتبة بن أبي وقاص هو الذي كسر رباعية النبي صلى الله عليه وآله وسلم السفلى وجرح
شفته السفلى وأن عبد الله بن شهاب الزهري هو الذي شجه في وجهه وأن ابن قمئة جرح
وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته وأن مالك بن سنان مص الدم من وجه رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وازدرده فقال له لن تمسك النار قال القرطبي الرباعية بفتح الراء وتخفيف الياء
هي كل سن بعد ثنية قال النووي وللإنسان أربع رباعيات قال الحافظ والمراد أنها كسرت فذهب منها
فلقة ولم تقلع من أصلها قال النووي وفي هذا وقوع الأسقام والابتلاء بالأنبياء عليهم السلام لينالوا
جزيل الأجر والثواب ولتعرف أممهم ما أصابهم من أهل الشرك ويتأسوا بهم قال القاضي وليعلم
أنهم من البشر تصيبهم محن الدنيا ويطرأ على أجسادهم ما يطرأ على أجسام البشر ليتيقن أنهم مخلوقون
مربوبون ولا يفتتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات ويلبس الشيطان من أمرهم ما لبسه على النصارى
وغيرهم انتهى ومعنى من العلى القهر والعبادة لهم قال ابن عطية كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لحقه
في تلك الحال يأس من فلاح كفار قريش فقيل له بسبب ذلك ليس لك من الأمر شيء أي عواقب الأمور
بيد الله فامض أنت لشأنك ودم على الدعاء لربك وقال ابن إسحاق ليس لك من الأمر في عبادي شيء
إلا ما أمرتك به فيهم فالحديث يدل على نفي الاختيار والتصرف عن غير الله تعالى في العباد وهذا في
حق النبي فما ظنك بغيره من أولياء الله تعالى وأوليائه وصحابته وقد رويت في سبب نزول الآية روايات

منها في البخاري عن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر اللهم العن فلاناً وفلاناً بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فانزل الله هذه الآية ورواه النسائي ايضاً وفي رواية يدعو على صفوان بن امية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت ليس لك من الامر شيء وفيه جواز الدعاء على المشركين باعيانهم في الصلوة وان ذلك لا يضر الصلوة وهؤلاء كانوا رؤس المشركين يوم احد فما استجيب له صلى الله عليه وآله وسلم فيهم بل تاب الله عليهم فاسلموا وحسن اسلامهم وفي هذا ان الامر كله بيد الله يهدي من يشاء بفضله ورحمته ويضل من يشاء بعدله وحكمته وهذه الحجج والبراهين مما يبين بطلان ما يعتقده عباد القبور وزوارها في الاولياء والصلحاء بل في الطواغيت والجبت من انهم يشفعون من جاءهم ويمنعون من لاذ بجاههم فسبحان من حال بينهم وبين فهم الكتاب العزيز والسنة المطهرة وذلك عدله سبحانه كما ان التوحيد فضله على عباده المؤمنين وهو الذي يحول بين المرء وقلبه ولا حول ولا قوة الا به وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين انزل الله عليه وانذر عشيرتك الاقربين فصعد الصفا وقال يا معشر قريش او كلمة نحوها اشتروا انفسكم لا اغني عنكم من الله شيئاً اي اشتروها بتوحيد الله تعالى واخلاص العبادة له وحده لا شريك له وطاعته فيما امر والانتهاء عما نهى عنه فان ذلك هو الذي ينجي من عذاب الله لا الاعتماد على الانساب والاحساب فان ذلك غير نافع عند رب الارباب واني لا استطيع ان انفعكم بشيء وفي هذا حجة على من تعلق على الانبياء والصلحاء ورغب اليهم ليشفعوا له وينفعوه او يدفعوا عنه فان ذلك هو الشرك الذي حرمه الله واقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالانذار عنه كما اخبر عن المشركين انهم قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله فابطل ذلك ونزه نفسه المقدسة عن هذا الشرك يا عباس بن عبد المطلب لا اغني عنك من الله شيئاً يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اغني عنك من الله شيئاً يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا اغني عنك من الله شيئاً رواه البخاري وهذا الحديث قد تقدم في الكتاب في بابه وفيه انه صلى الله عليه وسلم بين انه لا ينجي من عذاب الله الا الايمان الخالص الذي هو التوحيد والعمل الصالح الذي هو عدم الشرك وانه لا يجوز ان يسأل العبد الا ما يقدر عليه من امور الدنيا واما الرحمة والمغفرة والفوز بالجنة والنجاة من النار ونحو ذلك من كل ما لا يقدر عليه الا الله فلا يجوز ان يطلب الا منه سبحانه وان ما عند الله لا ينال الا بتجريد التوحيد المحض واخلاص العمل السديد له بما شرعه ورضيه

للسعادة ان يتقربوا به الى الله فاذا كان لا ينفع عمه ذاته وحميته وقرابته الا بذلك فمن ذلك الذي ينفعه مع عدم هذا الايمان والعمل بل غيره اولى بالحرمان عن هذا واحرى به وفي قصة عمه صلى الله عليه وآله وسلم ابي طالب والد علي كرم الله وجهه معتبر بالغ وبلاغ معتبر وهو الذي انزل الله تعالى في حقه انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وانظر هنا الى الواقع من كثير من الناس في العرب والعجم من اهل البدو والحضر من الالتجاء الى الموتى في القبور والاموات الذين لا يملكون الحياة لهم ولا النشور والتوجه اليهم بالدعوات والرغبات والقرابين والنذور وما اشبه هذا من العبادات والامور والحال انهم عاجزون قاصرون لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فضلا عن غيرهم فمن اين لهم ان يشفعوا لداعيهم او ينفعوا عابديهم وبهذا تبين انهم ليسوا على شيء ولا شيء لهم بل انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون اظهر لهم الشيطان الشرك في قالب محبة الصالحين وكل صالح يبرأ الى الله من هذا الشرك في الدنيا ويوم القيامة يقوم الاشهاد ولا ريب ان محبة الصالحين انما تحصل بالتشبه بهم في الدنيا والدين ومتابعتهم في طاعة رب العالمين لا باتخاذهم اندادا من دون الله يحبونهم كحب الله امرا كان لله وعبادة لغير الله وعداوة لله ورسوله والصالحين من عباده كما قال تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله الآية قال ابن القيم في هذه الآية نفى ان يكون قال لهم غير ما امره به وهو محض التوحيد فقال ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم ثم اخبر ان شهادته عليهم مدة مقامه فيهم وانه بعد الوفاة لا اطلاع له عليهم وان الله عز وجل هو المنفرد بعد الوفاة بالاطلاع عليهم فقال وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد ووصفه سبحانه بان شهادته فوق كل شهادة واعم انتهى وفي هذا بيان ان المشركين خالفوا ما امر الله به رسله من توحيده الذي هو دينهم الذي اتفقوا عليه ودعوا الناس اليه وفارقوهم فيه الا من فكيف يقال لمن دان بدينهم واطاعهم فيما امروا به من اخلاص العبادة لله وحده انه قد تنقصهم بهذا التوحيد الذي اطاع به ربه واتبع فيه رسله ونزه به ربه عن الشرك الذي هو هضم للربوبية وتنقص للالهية وسوء ظن برب العالمين والمشركون هم اعداء الرسل وخصماؤهم في الدنيا والآخرة وقد شرع الله لاتباعهم ان يتبرؤا من كل مشرك ويكفروا به ويبغضوه ويعادوه في ربهم ومعبودهم قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين وقال تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ومعنى فزع زال الفزع

عنها قاله ابن عباس وابن عمر والسلمي والشعبي والحسن وغيرهم قال ابن جبير الذي فزع عن قلوبهم الملائكة وانما فزع عنهم غشية تصيبهم عند سماع كلام الله بالوحي واختاره ابن جرير وغيره قال ابن كثير وهو الحق الذي لا مرية فيه لصحة الاحاديث فيه والآثار وقال ابو حيان تظاهرت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان قوله حتى اذا فزع انما هي في الملائكة اذا سمعت الوحي الى جبريل عليه السلام يأمره الله به سمعت كجر سلسلة الحديد على الصفوان فتفزع عند ذلك تعظيما وهيبة انهم اذا سمعوا كلام الله صعقوا ثم اذا افاقوا اخذوا يسألون وله سبحانه العلو الكامل علو القدر وعلو الذات من جميع الوجوه كما قال ابن المبارك لما قيل له بم نعرف ربنا قال بانه على عرشه بائن من خلقه تمسكا منه بالقرآن لقول الله تعالى الرحمن على العرش استوى وهو في سبعة مواضع من الكتاب ولهذه الآية ونحوها وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ووصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين اصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر او الكاهن فربما ادركه الشهاب قبل ان يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال اليس قد قال لنا يوم كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء المعنى اذا تكلم الله في الامر الذي يوحيه الى جبريل عليه السلام بما اراده كما صرح به في الحديث الآتي وكما روى سعيد بن منصور وابو داود وابن جرير عن ابن مسعود اذا تكلم الله بالوحي سمع اهل السموات صلصلة كجر السلسلة على الصفوان وروى ابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال لما اوحى الجبار الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم دعا الرسول من الملائكة ليبعثه بالوحي فسمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحي فلما كشف عن قلوبهم سألوا عما قال الله فقالوا الحق وعلموا ان الله لا يقول الا حقا والخضعان بفتحتين من الخضوع وفي رواية بضم الاول وسكون الثاني وهو مصدر بمعنى خاضعين والصفوان الحجر الاملس وينفذهم بفتح الياء وسكون النون وضم الفاء وبالذال المعجمة والاشارة بذلك الى القول والضمير في ينفذهم للملائكة اي ينفذ ذلك القول الملائكة اي يخلص ذلك القول ويمضي فيهم حتى يفزعوا منه وعند ابن مردويه من حديث ابن عباس فلا ينزل على اهل السماء الا صعقوا وعند ابي داود

وغيره مرفوعا اذا تكلم الله بالوحي سمع اهل السماء الدنيا صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون
فلا يزالون كذلك حتى ياتيهم جبريل الحديث والمراد بمسترق السمع الشياطين اي يختطفون الكلمة
التي قضاها الله يركب بعضهم بعضا وفي صحيح البخاري عن عائشة مرفوعا ان الملائكة تنزل في العنان وهو
السحاب فتذكر ما قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتوحيه الى الكهان ووصف سفيان بن عيينة
ركوب بعضهم فوق بعض بالتحريف والتبديد اي التفريق بين الاصابع والمعنى يسمع الفوقاني الكلمة فيلقيها
الى تحته وهلم جرا الى ان يلقيها على لسان الساحر او الكاهن والشهاب هو النجم الذي يرمى به اي ربما
ادرك الشهاب ذلك المسترق وهذا يدل على ان الرمي بالشهب كان قبل المبعث كما روى احمد في المسند
عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالسا في نفر من اصحابه زاد في رواية من الانصار
قال فرمي بنجم عظيم فاستنار قال ما كنتم تقولون اذا كان مثل هذا في الجاهلية قالوا كنا نقول الليلة
يولد عظيم او يموت عظيم قلت للزهري اكان يرمى بها في الجاهلية قال نعم ولكن غلظت حين بعث النبي
صلى الله عليه وآله وسلم فانه لا يرمى بها لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك اسمه اذا قضى امرا
سبح حملة العرش ثم سبح اهل السماء الذين يلونهم ثم الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح هذه السماء الدنيا
ثم يستخبر اهل السماء الذين يلون حملة العرش فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال
ربكم فيخبرونهم ويخبر اهل كل سماء سماء حتى ينتهي الخبر الى هذه السماء وتخطف الجن السمع فيرمون
فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون وزاد في رواية وينقصون فيكذب اي
الكاهن او الساحر معها مائة كذبة بفتح الكاف وفتح الذال قال فيقال اليس قد قال لنا يوم كذا وكذا
وكذا وفيه ان الشي اذا كان فيه شي من الحق فلا يدل على انه حق كله فكثيرا ما يلبس اهل الضلال الحق
بالباطل ليكون اقبل لباطلهم وفي هذا الحديث وما بعده وما في معناه اثبات علو الله على خلقه على ما
يليق بعظيم جلاله وانه تعالى لم يزل متكلما اذا شاء بالكلام وكلامه مسموع تسمعه الملائكة وهذا قول
اهل السنة قاطبة سلفا وخلفا كابرا عن كابر وابا عن جد خلافا للاشاعرة والجهمية ونفاة المعتزلة
فاياك ان تلتفت الى ما زخرفه اهل التعطيل وحسبنا الله ونعم الوكيل ثم مراده بايراد هذا الحديث وما بعده
في هذا المقام بيان حال الملائكة الذين هم ارقى واعظم من عُبِدَ من دون الله فاذا كان هذا حالهم مع الله
وهيبتهم منه وخشيتهم فكيف يدعوهم احد من دون الله فاذا كانوا لا يدعون مع الله استقلالا ولا وساطة

بالشفاعة فغيرهم ممن لا يقدر على شيء من الأموات والأصنام والأوثان والعباد الصلحاء والطواغيت الطلحاء وغيرهم أولى بأن لا يدعى ولا يعبد ففي هذا الرد على جميع فرق المشركين الذين يدعون مع الله من لا يداني الملائكة ولا يساويهم في صفة من صفاتهم وقد قال تعالى فيهم وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون الى قوله مشفقون فهذه حالهم وصفتهم وليس لهم من الربوبية والالهية شيء بل ذلك لله وحده لا شريك له **وعن** النواس بن سمعان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله ان يوحي بالامر تكلم بالوحي اخذت السموات منه رجفة او قال رعدة شديدة خوفا من الله عز وجل فاذا سمع ذلك اهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون اول من يرفع راسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما اراد ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل قال الحق وهو العلي الكبير قال فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي بالوحي الى حيث امره الله عز وجل رواه ابن ابي حاتم بسنده كما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره قال عكرمة اذا قضى الله امرا تكلم تبارك وتعالى رجفت السموات والارض والجبال وخرت الملائكة كلهم سجدا ومعنى اخذت رجفة اي ارتجفت وهو صريح في انها تسمع كلامه تعالى وقوله رعدة شك من الراوي والراء منها مفتوحة وذكر خوف الله ظاهر في ان السموات تخاف الله بما يجعل الله فيها من الاحساس ومعرفة من خلقها وقد اخبر تعالى ان هذه المخلوقات العظيمة تسبحه كما قال سبحانه تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم **وقال تعالى** تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا **وقال** وان منها لما يهبط من خشية الله وقد قرر العلامة ابن القيم رحمه الله ان هذه المخلوقات تسبح الله وتخشاه حقيقة واحتج بهذه الآيات ونحوها وفي البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اخذ في يده حصيات فسمع لهن تسبيحا وفي الصحيح قصة حنين جذع الذي كان يخطب عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل اتخاذ المنبر ومثل هذا كثير فذلك واضح في الدلالة على كونها ذوات حس وادراك ولعل ذلك هو المراد بالملكوت في قوله تعالى وبيده ملكوت كل شيء قيل ان نسمة الحيوان يقال لها روح وان نسمة غيره من الجمادات والنباتات يقال لها ملكوت ولكل شيء من الحيوان روح ولغيره ملكوت يقوم مقام الروح من الحيوان به يعرف خالقه ويسبحه وينزهه

وانه على كل شيء قدير وهو بكل شيء عليم والصعق هو الغشي وفي الحديث دليل على ان اول من يرفع راسه عند تكلم الله بالامر هو جبريل عليه السلام وهو الامين المامون على تبليغ الوحي وانه يخبر اهل السموات كلهم بذلك الامر الصادر وفيه ان الصعق والغشي يعمهم جميعا وان السموات ترجف من كلام الله وان جبرئيل هو الذي ينتهي بالوحي الى حيث امره الله وروى ابن جرير وغيره عن علي بن حسين ان اسم جبرئيل عبد الله واسم ميكائيل عبيد الله واسرافيل عبد الرحمن وكل شيء رجع الى ايل فهو معبد لله عز وجل وفي الحديث فضيلة جبريل عليه السلام كما قال تعالى انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين قال ابن كثير معناه انه لتبليغ رسول كريم قال ابو صالح في الآية يدخل جبريل في سبعين حجابا من نور بغير اذن ولاحمد باسناد صحيح عن ابن مسعود قال رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق يسقط من جناحه من الدر والياقوت ما الله به عليم فاذا كان هذا اعظم المخلوق فخالقه اعظم واجل واكبر واعلى فكيف يصح ان يسوى به غيره في العبادة دعاء وخوفا ورجاء وتوكلا وغير ذلك من العبادات التي لا يستحقها الا الله تعالى انظر الى حال هذه الملائكة وشدة خوفهم من الله وقد قال تعالى لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون الى قوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون الى قوله كذلك نجزي الظالمين وبالجملة فالاحاديث والآيات المذكورة والواردة في هذا الحديث تقرر التوحيد الذي هو مدلول شهادة ان لا اله الا الله فان الملك العظيم الذي تصعق الاملاك من كلامه وترجف السموات من قوله خوفا منه ومهابة وهو الكامل في ذاته وصفاته وملكه وغناه عن جميع خلقه وافتقارهم اليه ونفوذ قدرته وقهره فيهم لعلمه وحكمته لا يجوز شرعا ولا عقلا ان يجعل له شريك من خلقه في عبادته التي هي حقه عليهم وعلى جميع الكائنات نعمت حالا تقسيم وصفاتهم من القيام والركوع والسجود ونحوها فكيف يجعل المربوب ربا والعبد معبودا يا لله العجب اين ذهبت عقول هؤلاء المشركين وفي اي هوة اوقعتهم الشياطين سبحان الله عما يشركون قال تعالى ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا فاذا كان الجميع عبيد الله فلا يصلح ابدا ان يعبد بعض المخلوقات بعضا بلا دليل ولا برهان بل مجرد راي واختراع وابتداع وقد ارسل سبحانه رسله من اولهم الى آخرهم ناهين عن الشرك ناهين عن عبادة ما سوى الله هكذا في شرح سنن ابن ماجه

فصل في رد الشرك في الشفاعة

اي بيان ما اثبته القرآن منها وما نفاه وحقيقة ما دل القرآن الكريم على اثباته ونفيه

قال تعالى وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه من ولي ولا شفيع الاية الانذار معناه الاعلام باسباب المخافة والتحذير منها قال الفضيل بن عياض ليس كل خلقه عاتب انما عاتب الذين يعقلون وهم المؤمنون باليوم الآخر اصحاب القلوب المتعظة والاذن الراعية **وقال تعالى** قل لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها وليس لمن تطلب منه شيئا منها وانما تطلب ممن يملكها دون كل ما سواه لان ذلك عبادة وتاله لا يصلح الا لله قال البيضاوي لعله رد لما عسى ان يجيبوا به وهو ان الشفعاء اشخاص مقربون [illegible] وقبله ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون بين سبحانه في هذه الاية وامثالها ان وقوع الشفاعة على هذا الوجه منتف وممتنع وان اتخاذهم شفعاء شرك يتنزه الرب عنه وقد قال تعالى فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون فبين ان دعواهم انهم يشفعون لهم بتاليههم افك منهم وافتراء لا اصل له ويؤيد بطلان اتخاذ الشفعاء من دونه قوله له ملك السموات والارض لانه مالك الملك ويندرج في هذا ملك الشفاعة فاذا كان هو مالكها بطل ان تطلب ممن لا يملكها قال ابن جرير نزلت هذه لما قال الكفار ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى **وقال تعالى** من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه اي في الدار الآخرة لان الشفاعة انما تقع فيها باذنه كما قال سبحانه يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا فبين انها لا تقع لاحد الا بشرطين اذن الرب للشافع بالشفاعة ورضاه عن المأذون فيه وهو سبحانه لا يرضى من الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة الا ما اريد به وجهه وكان السبب لتقى ربه مخلصا له الدين غير شاك في رب العالمين كما يدل لذلك الحديث الصحيح الآتي قريبا **وقال تعالى** وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى قال ابن كثير هذه الآية كقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقوله يومئذ لا تنفع الشفاعة الخ فاذا كان هذا في حق الملائكة المقربين فكيف ترجون ايها الجاهلون شفاعة هذه الانداد عند الله وهو سبحانه لم يشرع عبادتها ولا اذن فيها بل قد نهى عنها على السنة جميع رسله وانزل بالنهي عنها جميع كتبه **وقال تعالى** قل ادعوا الذين زعمتم من دونه لا يملكون مثقال ذرة في السموات والارض الآيات قال ابن القيم في الكلام على هذه الآيات الشريفة وقد قطع الله الاسباب التي تعلق بها المشركون جميعا فالمشرك انما يتخذ معبوده لما يحصل

له من النفع والنفع لا يكون الا ممن فيه خصلة من هذه الاربعة الملك والشركة فيه والاعانة والظهير والشفاعة فان لم يكن مالكا كان شريكا للمالك فان لم يكن شريكا له كان معينا له وظهيرا فان لم يكن معينا ولا ظهيرا كان شفيعا عنده فنفى سبحانه المراتب الاربع نفيا مرتبا متنقلا من الاعلى الى الادنى فنفى الملك والشركة فيه والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك واثبت شفاعة لا نصيب فيها للمشرك وهي الشفاعة باذنه سبحانه فكفى بهذه الآية نورا وبرهانا وتجريدا للتوحيد وقطعا لاصول الشرك ومواده لمن عقلها والقرآن العظيم مملوء من امثالها ونظائرها ولكن اكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع منهم تحته وتضمنه له ويظنه في نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن ولعمر الله ان كان اولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم او شر منهم او دونهم وتقدمهم في الضلالة والبدعة وتناول القرآن الكريم لهم كتناوله لاولئك قال ومن انواع الشرك طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم وهذا اصل شرك العالم فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا لمن استغاث به وسأله ان يشفع له الى الله وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده فانه لا يقدر ان يشفع له عند الله الا باذنه سبحانه والله تعالى لم يجعل استغاثته وسؤاله الشفاعة سببا لاذنه وانما السبب له كمال التوحيد فجاء هذا المشرك بسبب منع الاذن وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها وهذه حالة كل مشرك فجمع المشركون بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة اهل التوحيد ونسبة اهله الى التنقص بالاموات وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك واولياءه الموحدين له بذمهم وعيبهم ومعاداتهم وتنقصوا من اشركوا به غاية التنقص اذ ظنوا انهم راضون منهم بهذا وانهم امروهم به وانهم يوالونهم عليه وهؤلاء هم اعداء الرسل في كل زمان ومكان وما اكثر المستجيبين لهم وما نجا من هذا الشرك الاكبر الا من جرد توحيده لله وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم الى الله واتخذ الله وحده وليه والهه ومعبوده فجرد حبه لله وخوفه لله ورجاءه وذله له وتوكله عليه واستعانته به والتجاءه اليه واستغاثته اياه وقصده له متبعا لامره متطلبا لمرضاته اذا سأل سأل الله واذا استعان استعان بالله واذا عمل عمل لله فهو لله وبالله ومع الله انتهى كلامه رحمه الله قال في فتح المجيد وهذا الذي ذكره هذا الامام هو حقيقة دين الاسلام كما قال سبحانه ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا انتهى واقول اللهم اسلك بنا مسالك خليلك ابراهيم

عليه السلام في توحيدك واخلاص العبادة لك والاجتناب عن الشرك واهله قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رح امام المسلمين وناصر سنة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآيات المتقدمة ونحوها نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفى ان يكون لغيره ملك او قسط منه او يكون عونا لله ولم يبق الا الشفاعة فبيّن انها لا تنفع الا لمن اذن له الرب كما قال ولا يشفعون الا لمن ارتضى فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن واخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة اولا ثم يقال له ارفع راسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع وقال له ابو هريرة رضي الله عنه من اسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله قال من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه فتلك الشفاعة لاهل الاخلاص باذن الله ولا تكون لمن اشرك بالله وحقيقتها ان الله سبحانه وتعالى هو الذي يتفضل على اهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من اذن له ان يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ولهذا اثبت الشفاعة باذنه في مواضع وقد بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم انها لا تكون الا لاهل التوحيد والاخلاص انتهى كلامه وفيه صفة الشفاعة المنفية والمثبتة وذكر الشفاعة الكبرى وهي المقام المحمود وبيان ما يفعله صلى الله عليه وآله وسلم وانه لا يبدأ بالشفاعة بل يسجد فاذا اذن الله له شفع وان اسعد الناس بها الموحدون وهي لا تكون للمشركين وحديث ابي هريرة هذا عند البخاري والنسائي ورواه احمد وصححه ابن حبان وفيه وشفاعتي لمن قال لا اله الا الله مخلصا يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه وشاهده في صحيح مسلم عن ابي هريرة ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة فهي نائلة ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا وكلام شيخ الاسلام المتقدم قائم مقام الشرح والتفسير لهذا الحديث الاخير وهو كاف للمجتهد واف للمقلد مع الايجاز البالغ والاقتصار السابغ وقد قيل في تعريف الاخلاص انه محبة الله وحده وارادة وجهه خاصة قال ابن القيم في معنى هذا الحديث تامله كيف جعل اعظم الاسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد عكس ما عند المشركين ان الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم فقلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما في زعمهم الكاذب واخبر ان سبب الشفاعة هو تجريد التوحيد فقط فحينئذ ياذن الله للشافع ان يشفع في فلان ومن جهل المشرك اعتقاده ان من اتخذه وليا او شفيعا انه يشفع له وينقذه من العذاب عند الله

الشفاعة ستة انواع

كما يكون خواص الملوك والولاة تشفع من والاهم ولم يعلموا انه لا يشفع لهم عنده الا باذنه ولا ياذن في الشفاعة الا لمن رضي قوله وعمله كما قال سبحانه في الفصل الاول من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وفي الفصل الثاني ولا يشفعون الا لمن ارتضى وبقي فصل ثالث وهو انه لا يرضى من القول والعمل الا توحيده واتباع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فهذه ثلاثة فصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها انتهى وقال رحمه الله تعالى ايضا ان الشفاعة ستة انواع فالاول الشفاعة الكبرى التي يتأخر عنها اولو العزم من الرسل عليهم السلام حتى تنتهي اليه فيقول انا لها وذلك حين يرغب الخلائق الى الانبياء ليشفعوا لهم الى ربهم حتى يريحهم من مقامهم في الموقف وهذه شفاعة يختص بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يشاركه فيها احد الثاني شفاعته لاهل الجنة في دخولها وقد ذكرها ابو هريرة في حديثه الطويل المتفق عليه الثالث شفاعته لقوم من العصاة من امته قد استوجبوا النار فيشفع لهم ان لا يدخلوها الرابع شفاعته في العصاة من اهل التوحيد الذين يدخلون النار بذنوبهم والاحاديث بها متواترة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد اجمع عليها الصحابة واهل السنة قاطبة وبدعوا من انكرها وصاحوا به من كل جانب ونادوا عليه بالضلال الخامس شفاعته لقوم من اهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفع درجاتهم وهذه مما لم ينازع فيه احد السادس شفاعته في بعض الكفار من اهل النار حتى يخفف عذابه وهذه خاصة بابي طالب وحده انتهى قلت لما كان المشركون في قديم الزمان وحديثه انما وقعوا في الشرك وابتلوا به لتعلقهم باذيال الشفاعة كان ذلك هضما لحق الربوبية ونقصا لعظمة الالوهية وسوء ظن برب العالمين لان المتخذ للشفعاء والانداد اما ان يظن ان الله سبحانه يحتاج الى من يدبر امر العالم من وزير او ظهير او عوين فهذا اعظم النقص لمن هو غني عن كل ما سواه بذاته وكل ما سواه فقير اليه بذاته واما ان يظن ان الله سبحانه انما تتم قدرته بقدرة الشفيع واما ان يظن انه لا يعلم حتى يعلمه الشفيع او لا يرضى حتى يجعله الشفيع راضيا او لا يكفي وحده او لا يفعل ما يريده العبد حتى يشفع عنده كما يشفع عند المخلوق او لا يجيب دعاء عباده حتى يسألوا الشفيع ان يرفع حاجاتهم اليه كما هو حال ملوك الدنيا وهذا اصل شرك الخلق او يظن انه لا يسمع دعاءهم حتى يرفع اليه الشفيع او يظن ان للشفيع عليه حقا فهو يقسم عليه بحقه فيتوسل اليه بذلك الشفيع كما يتوسل الناس الى الاكابر والملوك بمن يعز عليهم ولا تمكنهم مخالفته وهذا هو نقص الربوبية وهضم لحقها فلهذه الامور وغيرها اخبر سبحانه ان ذلك شرك

ونزه نفسه عنه فقال ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله

قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون فان قلت انما حكم سبحانه بالشرك على من عبد الشفعاء واما من دعاهم للشفاعة فقط فهو لم يعبدهم فلا يكون شركا قيل مجرد اتخاذ الشفعاء ملزوم للشرك والشرك لازم له كما ان الشرك ملزوم لتنقص الرب سبحانه والتنقص لازم له ضرورة شاء المشرك ام ابى وعلى هذا فالسؤال باطل من اصله لا وجود له وانما هو شيء قدره المشركون في اذهانهم فان الدعاء عبادة بل هو مخ العبادة فاذا دعاهم للشفاعة فقد عبدهم واشرك في عبادة الله شاء ام ابى **قال تعالى** انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء سبب نزول هذه الآية موت ابي طالب على ملة عبد المطلب كما في الحديث الآتي قال ابن كثير يقول تعالى انك يا محمد لا تهدي من احببت اي ليس اليك ذلك انما عليك البلاغ والله يهدي من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة كما قال تعالى ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء **وقال تعالى** وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين والمنفي هنا هداية التوفيق والقبول فان امر ذلك الى الله وهو القادر عليه واما الهداية المذكورة في قوله تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم فانها هداية الدلالة والبيان فهو المبين عن الله تعالى والدال على دينه وشرعه وفي الصحيحين عن ابن المسيب عن ابيه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده عبد الله بن ابي امية وابو جهل فقال له يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقالا له اترغب عن ملة عبد المطلب فاعاد عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاعادا فكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل الله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية وانزل الله في ابيطالب انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء المراد بحضور الوفاة حضور علاماتها ومقدماتها ويحتمل ان يكون المسيب حضر مع الاثنين فانهما من بني مخزوم وهو ايضا مخزومي وكان الثلاثة اذ ذاك كفارا فقتل ابو جهل على كفره واسلم الآخران ومعنى قل لا اله الا الله امره ان يقولها لعلم ابيطالب بما دلت عليه من نفي الشرك بالله واخلاص العبادة له وحده فان من قالها بعلم ويقين فقد برئ من الشرك والمشركين ودخل في الاسلام لانهم كانوا يعلمون ما دلت عليه وفي ذلك الوقت لم يكن بمكة الا الاسلام او الكفر فلا يقولها الا من ترك الشرك وبرئ منه ولما هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه الى المدينة كان فيها المسلمون الموحدون والمنافقون الذين

لتقولوها لأن المشركين يعرفون معناها لكن لا يعتقدونه لما في قلوبهم من العداوة والشك والريب ثم
مع المسلمين بظاهر الأعمال دون الباطن دينا كاليهود وقد أقرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما
صالحهم ووادعهم بأن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوا كما هو مذكور في كتب الحديث والسير والتاريخ
من المحاجة والمراد به بيان الحجة وفيه دليل على أن الأعمال بالخواتيم لأنه لو قالها في تلك الحالة معتقدا
ما دلت عليه لنفعته وقد ذكر الحجة الملعونة التي يحتج بها المشركون على المرسلين كقول فرعون لموسى
فما بال القرون الأولى وكقولهم إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون وإنما أعاد النبي
صلى الله عليه وآله وسلم الكلمة وأعادا لأنهما عرفا أن أبا طالب لو قالها لتبرأ من ملة عبد المطلب لأن
ملته هي الشرك بالله في الإلهية وأما الربوبية فقد أقروا بها كما مر مرارا وقد قال عبد المطلب لأبرهة
أنا رب الإبل وللبيت رب سيمنعه منك وهذه المقالة منهما عند قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم
لعمه قل لا إله إلا الله استكبار عن العمل بمدلولها كما قال تعالى عن أمثالهم من أولئك المشركين إنهم كانوا
إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون فرد عليهم بقوله بل
جاء بالحق وصدق المرسلين فبين سبحانه أن استكبارهم عن قول لا إله إلا الله لدلالتها على نفي عبادتهم
الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله فإن دلالة هذه الكلمة على نفي ذلك دلالة تضمن ودلالتها
عليه وعلى الإخلاص دلالة مطابقة ومن حكمة الرب تعالى في عدم هداية أبي طالب إلى الإسلام
ليبين لعباده أن ذلك إليه وهو القادر عليه دون من سواه فلو كان عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم
الذي هو أفضل خلقه من هداية القلوب وتفريج الكروب ومغفرة الذنوب والنجاة من العذاب
من النار شيء لكان أحق الناس بذلك وأولاهم به عمه الذي كان يحوطه ويحميه وينصره ويؤويه
فسبحان من بهرت حكمته العقول وأرشد العباد إلى ما يدلهم على معرفته وتوحيده وإخلاص العمل له
وتجريده والظاهر أن أبا طالب قال أنا فغير الراوي استقباحا للفظ المذكور إلى قوله فكان آخر ما قال
هو على ملة عبد المطلب قال الحافظ ابن حجر وهي من التصرفات الحسنة وفي هذا الحديث رد على من زعم
إسلام أبي طالب وإسلام عبد المطلب وأسلافه ومضرة أصحاب السوء على الإنسان ومضرة تعظيم
الأسلاف أي إذا دخل المشروع بحيث تجعل أقوالهم حجة يرجع إليها عند التنازع وفي قوله صلى الله عليه
وآله وسلم لأستغفرن لك ما لم أنه عنك قال النووي فيه جواز الحلف من غير استحلاف وكان الحلف هنا

الصفعت ويبكي في صلاته وكان يمر بالآية في ورده بالليل فيمرض منها اياما يعودونه وكان تميم الداري يتقلب في فراشه لا يستطيع النوم الا قليلا خوفا من النار ثم يقوم الى صلاته فالاولياء يكونون كذلك و يكتبات في صفاتهم ما ذكره الله سبحانه وتعالى في سورة الرعد والمؤمنين والفرقان والذاريات والطور فالمتصفون بتلك الصفات هم الاولياء الاصفياء الذين قال تعالى فيهم انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وقال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله لا هؤلاء الكذابون اهل الدعوى والمنازعة برب العالمين فيما يختص به من الكبرياء والعظمة والجبروت وعلم الغيب والتصرف في الامور فجميع دعواهم لعلم الغيب كفر بواح فكيف يكون المدعي لذلك وليا له بل ولي الشيطان خارج عن دائرة الايمان ولقد عظم الضرر واشتد الخطب بهؤلاء المفترين الذين دسوا هذه العلوم الشركية والفنون الكفرية عن طوائف المشركين وافراخ الفلاسفة الملاعين ولبسوا بها على خفافيش القلوب وسفهاء الاحلام واضلوا كثيرا من الذين يظنون انهم خواص الناس فضلا عن العوام نسأل الله سبحانه السلامة والعافية في الدنيا والآخرة وقد عدّ العلامة الشوكاني رضي الله عنه في شرح مختصره الكاهن ممن يستحق القتل حدا فقال والكاهن لكون الكهانة نوعا من الكفر فلابد ان يعلم من كهانته ما يوجب الكفر وقد ورد ان تصديق الكاهن كفر فبالاولى الكاهن اذا كان معتقدا لصحة الكهانة قال وفي الباب احاديث ثم ذكر بعض ما تقدم وبالجملة ففيه انه لا يجتمع تصديق الكاهن مع الايمان بالقرآن قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوم يكتبون اباجاد وينظرون في النجوم ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاقٍ رواه الطبراني مرفوعا واسناده ضعيف ولفظه رب معلم حروف ابي جاد دارس في النجوم ليس له عند الله خلاق يوم القيامة ورواه حميد بن زنجويه عنه بلفظ رب ناظر في النجوم ومتعلم حروف ابي جاد ليس له عند الله خلاق وأرى بفتح الهمزة بمعنى اعلم وبضمها بمعنى اظن وكتابة ابي جاد وتعلمها لمن يدعي بها علم الغيب هو الذي يسمى علم الحرف وهو الذي فيه الوعيد فاما تعلمها للتهجي وحساب الجمل فلا باس به والمراد بالنظر في النجوم اعتقاد ان لها تاثيرا وفي هذا الاثر من الفوائد عدم الاغترار بما يوتاه اهل الباطل من معارفهم وعلومهم كما قال تعالى فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وأما النشرة بضم النون كما في القاموس فقال ابو السعادات هي ضرب من العلاج والرقية يعالج به من يظن ان به مسا من الجن سميت نشرة لانه ينشر بها عنه ما خامره من الداء اي يكشف ويزال قال

العين النشرة من السحر وقد نشرت عنه تنشيرا وفي الحديث فلعل طبا اصابه ثم نشره بقل
اعوذ برب الناس اي رقاه قال ابن الجوزي النشرة حل السحر عن المسحور ولا يكاد يقدر عليه الا
من يعرف السحر وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن النشرة فقال هي من
عمل الشيطان رواه احمد بسند جيد وابو داود وقال سئل احمد عنها فقال ابن مسعود يكره هذا
كله ورواه ايضا الفضل بن زياد في كتاب المسائل قال ابن مفلح اسناده جيد وحسنه الحافظ ايضا
والمراد النشرة التي كان اهل الجاهلية يصنعونها ومراد احمد ان ابن مسعود يكرهها كما يكره تعليق
التمائم مطلقا وفي البخاري عن قتادة قلت لابن المسيب رجل به طب او يؤخذ عن امرأته ايحل عنه او
ينشر قال لا باس انما يريدون به الاصلاح واما ما ينفع فلم ينه عنه الطب بكسر الطاء السحر يقال طب
الرجل بالضم اذا سحر ويقال كنوا عن السحر بالطب تفاؤلا كما يقال للديغ سليم وقال ابن الانباري الطب
من الاضداد يقال لعلاج الداء طب وللسحر طب ومعنى يؤخذ يحبس عن امرأته ولا يصل الى جماعها
والاخذة بضم الهمزة الكلام الذي يقوله الساحر والمراد بالاصلاح ازالة السحر وهذا محمول على النشرة
لا يعلم انها سحر وقال الحسن لا يحل السحر الا ساحر رواه ابن الجوزي في جامع المسانيد قال العلامة
ابن القيم رح النشرة حل السحر عن المسحور وهي نوعان حل مثله بسحر وهو من عمل الشيطان الى آخر ما قال
ومما جاء في صفة النشرة ما رواه ابن ابي حاتم وابو الشيخ عن ليث بن ابي سليم قال بلغني ان هؤلاء الآيات
شفاء من السحر باذن الله تقرأ في اناء فيه ماء ثم يصب على راس المسحور الآية التي في يونس فلما القوا
قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله الى قوله ولو كره المجرمون وقوله فوقع الحق وبطل ما كانوا
يعملون الى آخر الآيات الاربع وقوله انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى وقال ابن بطال
في كتاب وهب بن منبه انه يأخذ سبع ورقات من سدر اخضر فيدقها بين حجرين ثم يضربه بالماء
ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به يذهب عنه كل ما به وهو
جيد للرجل اذا حبس عن اهله قال في فتح المجيد قول العلامة ابن القيم الثاني النشرة بالرقية والتعوذات
والادوية المباحة جائزة يشير الى مثل هذا وعليه يحمل كلام من اجاز النشرة من العلماء والحاصل
ان ما كان من السحر فيحرم وما كان بالقرآن والدعوات والادوية المباحة فجائز والله اعلم وقد
عقد مسند الوقت الشيخ احمد ولي الله المحدث الدهلوي فصلا في كتابه القول الجميل في شيء من

فوائد سيده الوالد رح وذكر فيه اعمالا مجربة منها عمل ازالة السحر وغيره وهو النشرة في المعنى قال رح وسمعته يقول ثلث وثلثون اية تنفع من السحر وتكون حرزا من الشيطان واللصوص والسباع اربع ايات من اول البقرة واية الكرسي وايتان بعدها الى خالدون وثلث من اخر البقرة وثلث من الاعراف ان ربكم الله الى محسنين واخر بني اسرائيل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن وعشر ايات من اول الصافات الى لازب وايتان من سورة الرحمن يا معشر الجن الى تنتصران واخر الحشر لو انزلنا هذا القران وايتان من قل اوحي وانه تعالى جد ربنا الى شططا فهذه هي الايات المسماة بثلث وثلثين اية وكان سيدي الوالد يزيد عليها الفاتحة وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد والمعوذتين ويأخذ من اول السورة قل اوحي الى شططا انتهى وقد ذكر صاحب شفاء العليل هذه الايات بعينها فمن شاء الاطلاع عليها فليرجع اليه يجدها متعينة مفصلة وكل عمل ودعاء ينشر المرض والداء وينفع من الاسقام والادواء يصدق انه نشرة يجوز الانتفاع به ان كان من الفاظ القران والسنة او من الماثور من السلف الصلحاء الخالي عن اسماء الشرك وصفاته باللسان العربي والا كان حراما وشركا وفي الباب كتب ومؤلفات لاهل الدعوات تشتمل على رطب ويابس وعلى ما جاز ولم يجز فليتحر المؤمن الموحد عند الاحتيال بما فيها ما هو ثابت صحيح مبرء من كل شك وشبهة وليدع ما هو على غير طريقة الاسلام وانما هو فعل اهل العزائم والاوفاق الذين يكتبون التعاويذ في الهندسة والحروف والخطوط ونحوها فان ذلك لا يصلح لشيء وكذلك النفث في الخيوط المعقودة والله سبحانه كاف لعبده ان توكل عليه ولم يتعلق بغيره واكتفى بالادعية المسنونة والادوية المباحة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه وحيث ان الشرك الخفي من دبيب النمل يجب غاية التحري فيه والتجنب من انواعه واطرافه وما يشبه ذلك وبالله التوفيق وهو المستعان

فصل في ذكر عبادة بعض هذه الامة الاصنام والاوثان

وقد تقدم الكلام على ذلك في الجملة في باب رد الاشراك في العبادات

قال تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت قال عمر الفاروق الجبت السحر والطاغوت الشيطان وكذلك قال ابو العالية ومجاهد والحسن وغيرهم زاد ابن عباس الجبت الشيطان بالحبشية وعنه ايضا الجبت الشرك وعنه الجبت الاصنام وعنه الجبت حيي بن اخطب وعن الشعبي الجبت الكاهن وقال عكرمة وابو مالك الجبت الشيطان وعن مجاهد الجبت كعب بن الاشرف

قال الجوهري الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك وعلى هذا كل ما نصب من المواضع للعبادة من دون الله كائنا ما كان من الاوثان والاصنام والانصاب والقبور والمشاهد وغيرها جبت وطاغوت ويؤيده قول الخليل عليه السلام انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا مع قوله قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين وقوله اتعبدون ما تنحتون فعلم من هذا ان الوثن يطلق على الاصنام وغيرها مما عبد من دون الله وان هذا الجبت والطاغوت وفيه ان الايمان بهما في هذه الآية هل هو من اعتقاد قلب او موافقة اصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها وان هذا يوجد في هذه الامة **قال تعالى** وعبد الطاغوت قال احمد بن يحيى جمع عابد كنازل ونزل وشارب وشرب وكذلك هنا جمع عابد مثله عباد **وقال تعالى** قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا المراد انهم فعلوا مع العتبة بعد موتهم ما يذم فاعله لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد اراد تحذير الامة من ان يفعلوا مثل فعلهم وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن اخرجه الشيخان هذا سياق مسلم والسنن بفتح السين بمعنى الطريق والقذة بضم القاف واحدة القذذ وهو ريش السهم والمعنى انكم تتبعون طريقهم في كل ما فعلوه وتشبهون بهم فيه كما تشبه قذة السهم القذة الاخرى وقد وقع ما اخبر صلى الله عليه وآله وسلم وفي حديث اخر حتى لو كان فيهم من ياتي امه علانية لكان في امتي من يفعل ذلك اراد صلى الله عليه وآله وسلم ان امته لا تدع شيئا مما كان يفعله اهل الكتاب الا فعلته كله لا تترك منه شيئا ومن هنا قال سفيان بن عيينة من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى انتهى قال في فتح المجيد فما اكثر الفريقين لكن من رحمة الله ونعمته ان جعل هذه الامة لا تجتمع على ضلالة كما في حديث ثوبان رضي الله عنه الآتي قريبا انتهى قلت عدم اتباع بعض هذه الامة لهم صحيح وانما الشان في اكثر هذه الامة وانك اذا تتبعت مراسم القوم ومواسمهم رايت انه لا سنن لمن كان قبلنا الا وقد تلبس به اكثر هذه الامة بل جميعها وهي اعم من العبادات والعادات فهذه المساجد على القبور والمواليد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والاحتفال بها وبالاعراس ونحوها المروجة انما اشتقوها من سنن هؤلاء المشركين واتخذوها عادة وحسنة بين المسلمين فما احسن قول بعض اهل العلم

ان كل كفر مضى عليه الزمان ودرس صار اسلاما فليس في الدنيا شرك من الاشراك ولا بدعة من البدعات ولا كفر من الكفريات الا واصلها من الامم الماضية المشركين واهل الملل المبتدعين ثم دب هذا الداء في هذه الامة كما قيل الاصول تسري في الفروع فيا لله العجب من عدم مبالاة هذه الامة بهذه الامة مع تنبيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك واخباره عليه السلام امته بها وفي حديث ثوبان عند البرقاني في صحيحه واصله في صحيح مسلم مرفوعا انما اخاف على امتي الائمة المضلين واذا وقع عليهم السيف لم يرفع الى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من امتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من امتي الاوثان وانه سيكون في امتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم انه نبي وانا خاتم النبيين لا نبي بعدي ثوبان هو مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات بحمص سنة ٥٤ والبرقاني هو الحافظ الكبير احمد بن محمد بن غالب الخوارزمي الشافعي ولد سنة ٤٢٥ قال الخطيب كان ثبتا ورعا لم نر في شيوخنا اثبت منه صنف مسندا ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحان وجمع حديث الثوري وشعبة وطائفة والمراد بالائمة المضلين الامراء والعلماء والعباد الذين يحكمون في هذه الامة بغير علم فيضلونهم كما قال تعالى وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وكان بعض هؤلاء يقول لاصحابه من كان له حاجة فليأت الى قبري فاني اقضيها له ولا خير في رجل يحجبه عن اصحابه ذراع من تراب ونحو ذلك وهذا هو الضلال البعيد يدعو اصحابه الى ان يعبدوه من دون الله ويسألوه قضاء حاجاتهم وتفريج كرباتهم وقد قال سبحانه في كتابه العزيز يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره اقرب من نفعه وقال واتخذوا من دونه آلهة الى قوله ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وقال فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وامثال هذه في القرآن كثيرة تبين الهدى من الضلال ومن هذا الضرب من يدعي انه يصل مع الله الى حال تسقط عنه التكاليف او يقول ان الاولياء يُدعون ويستغاث بهم في حياتهم وبعد مماتهم وانهم ينفعون او يضرون ويدبرون او يتصرفون على سبيل الكرامات وانه يطلع على اللوح المحفوظ ويأخذ من المعدن ولا يحتاج الى ظاهر هذه الشريعة ويعلم اسرار الناس وما في ضمائرهم وان بناء المساجد والقباب على قبور الاولياء والصلحاء وايقادها بالسرج ونحو ذلك جائز وان تغطية الاجداث الصالحة بالغلف والاردية ونصب الاحجار المكتوب عليها وايثار الاسفار الى زيارتها مستحسنة فكل هذا من الغلو القبيح والافراط المذموم والشرك المردود لانه من جنس العبادة

لغير الله تعالى وعبادة غير الله شرك بواح وكفر صراح ومنهم من يقول لمريديه ان تصلوا الخمس وان لم تصلوا فما عليكم ومنهم من يبيح من معتقديه بعض ما نهى الله ويحلل لهم ما حرم الله تعالى فانا لله وانا اليه راجعون على من البدعات والطغيان بما كثرة ومنهم من يقول لاصحابه ان كل من لا شيخ له لا نجاة له في الآخرة ولا عون له في الدنيا وهذا من اكبر البهت والمحادة لله ولكتابه ولرسوله وهل حاجة لاحد ممن اسلم وجهه لله ان يتخذ شيخا غير من جعله الله شيخ الانبياء والرسل وقص على الناس كل ما حرمه واحل وبلغ جميع ما انزل الله به في كتابه العزيز ولم يغادر صغيرا ولا كبيرا من شر واثم الا احذر به امته وارشدهم الى كل خير وحذرهم عن كل شر كائنا الى يوم القيامة وهو سيد المرسلين وخاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم ولما كان حيا كان شيخا بنفسه المقدسة ولما توفي فسنته قدوة للمتقين واسوة للمسلمين اجمعين ولا نعني بهذا الكلام انكار بيعة الاسلام بالسادة الكرام على ارادة الانابة الى الله تعالى واختيار التقوى منه سبحانه بعد امتثال ثم قال في فتح المجيد اتى بلفظ انما التي تأتي للحصر لما لشدة خوفه على امته من الائمة المضلين وما وقع ذلك في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا على طريق اطلاع الله تعالى له على بعض غيوبه مما انه سيقع نظيرها في الحديث قبله من قوله لتتبعن سنن من كان قبلكم وقد بين الله في كتابه صراط المستقيم الذي هو سبيل المؤمنين الموحدين فكل من احدث حدثا ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فهو ملعون وحدثه مردود عليه كما قال صلى الله عليه وآله وسلم من احدث حدثا او آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وقال كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وهذه احاديث صحيحة وعليها مدار اصول الدين واحكامه وقد نهى الله عن الاحداث في مواضع من كتابه العزيز فقال اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه وقال ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ونظائر ذلك في القرآن كثيرة وعن زياد بن حدير قال قال لي عمر رضي الله عنه هل تعرف ما يهدم الاسلام قلت لا قال يهدمه زلة العالم وجدال المنافق بالكتاب وحكم الائمة المضلين رواه الدارمي وقال يزيد بن عميرة كان معاذ بن جبل رضي الله عنه لا يجلس مجلسا للذكر الا يقول الله حكم قسط هلك المرتابون وفيه واحذركم زيغة الحكيم فان الشيطان قد يقول الضلالة على لسان الحكيم وقد يقول المنافق كلمة الحق قلت لمعاذ وما يدريني رحمك الله ان الحكيم قد يقول كلمة الضلالة

والمنافق قد يقول كلمة الحق قال قال لي اجتنب من كلام الحكيم المشتبهات التي يقال ما هذه ولا يثنيك ذلك عنه فانه لعله يراجع الحق وتلق الحق اذا سمعته فان على الحق نورا رواه ابو داود وغيره انتهى قلت وقد اكثر الائمة المضلون في هذه الامة منذ زمن طويل وهم في هذا الزمن اكثر من كل شيء ولا منجي منهم الا الله اللهم انج المؤمنين من هؤلاء المضلين المشركين واما وقوع السيف في هذه الامة فاعلم ان بدايته كان بقتل عثمان رضي الله عنه ثم لم يرفع الى هذا الزمان في عصر من الاعصار وقطر من الاقطار ولا يرفع الى يوم القيامة ولكن قد يكثر وقد يقل ويكون في جملة ويرتفع عن اخرى واما عبادة هذه الامة الاوثان فهي واحد الاحياء وهي القبائل وفي رواية ابي داود حتى يلحق قبائل من امتي بالمشركين والمعنى انهم يكونون معهم ويرتدون برغبتهم عن اهل الاسلام ولحوقهم باهل الشرك والطغيان وهذا مشاهد اليوم فانك ترى الناس الكثير صاروا مسيحيين في الزي والكلام واثروا صحبة الطغام اللئام يحبون سنن من ليسوا من اهل الاسلام ويرغبون عن المسلمين وعن اوضاع الدين ومعنى الفئام مهموزة الجماعات الكثيرة قاله ابو السعادات وفي رواية ابي داود حتى تعبد قبائل من امتي الاوثان والحديث نص في لحوق بعض هذه الامة ان اكثرها بالمشركين في اخر الزمان قبل قيام الساعة ففيه الرد على من قال بخلافه من عباد القبور الجاحدين لما يقع منهم من الشرك بالله بعبادتهم الاولياء وقبورهم وهي الاوثان لهم في الحقيقة وان انكروا على ذلك بجهلهم بحقيقة التوحيد وما يناقضه من الشرك والتنديد فالتوحيد هو اعظم مطلوب والشرك هو اعظم الذنوب وكل مشرك ملحق بعبدة الاوثان كائنا من كان وفي اي مكان كان فان الوثن يعم كل ما يعبد من دون الرحمن من الجماد والنبات والحيوان وفي معنى هذا الحديث ما في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا لا تقوم الساعة حتى تضرب اليات نساء دوس على ذي الخلصة الحديث وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدونها في الجاهلية روى ابن حبان عن معمر قال ان عليه الان بيتا مبنيا مغلقا قال العلامة ابن القيم رح في قصة هدم اللات لما اسلمت ثقيف فيه انه لا يجوز ابقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وابطالها يوما واحدا وكذلك حكم المشاهد التي بنيت على القبور والتي اتخذت اوثانا تعبد من دون الله والاحجار التي تقصد للتبرك والنذر لا يجوز ابقاء شيء منها على وجه الارض مع القدرة على ازالتها وكثير منها بمنزلة اللات والعزى

ومناة واعظم شركا عندها وبها منها فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة وغلب الشرك على اكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم وصار المعروف منكرا والمنكر معروفا والسنة بدعة والبدعة سنة وطمست الاعلام واشتدت غربة الاسلام وقل العلماء وغلب السفهاء وتفاقم الامر واشتد الباس وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين ولاهل الشرك والبدع مجاهدين الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين انتهى زاد في فتح المجيد قلت فاذا كان هذا في القرن السابع وقبله فما بعده اعظم فسادا انتهى واقول جاء هذا الفساد من بعد القرون الثلثة المشهود لها بالخير ولم يكن زمن من هذه الامة الا ثم ما تاهذا الا وقد زاد فيه غربة الاسلام وقوة الشرك والاثام الى ان يقتضي في هذا العصر كثرة ولم يبق منه الا الاسم والرسم وصار الملك تحت ايدي غير الاسلام وصار علماء المسلمين اليوم يجادلون فيما بينهم ولا يرضون داعيا الى من سواهم حتى يردوا عليهم او يفسقوهم او يخرجوهم من الملة بل همتهم النقض على ابناء جنسهم بمجرد كونهم من اهل الاتباع خارجين عن تقليد الامام ابي حنيفة رضي الله عنه مثلا وان يرد على هؤلاء ملحد او احد من اهل الكتاب او الرافضة مثلا ولا يجيبون عليه ابدا انما يسارعون الى رد اهل الحق وطردهم لسانا وبيانا وهم في ذلك الطيش من دأب والجهل من تراب فاما هم الطواغيت فكان هذا الفعل من سلف هذه الامة على الوجه النادر حتى انك ترى اثارهم باقية الى الان كهدم ملوك الاسلام من معابد الهنود واليهود وبناهم هناك مساجد فكم قلعوا منصة التعزية وخرقوا الضرائح القرطاسية وجعلوا مكانها مدارس العلم لخالص النية وكم محوا انصابا واحجارا وكسروا اوثانا واصناما وجعلوها مكانا لعبادة الله وتدريس العلم واما الان فكم من مسجد يهدم اربابه ويبني مكانه بيع وصوامع بلا نكير من انسان فهذا كله من اثار حكم الائمة المضلين وسطوة الفرق الضالين والله اعلم بما سيكون بعد هذا والامر من يستطيع ان يقول عند ذلك من خادم ماذا او ما الذي ابن المثلث فقال القرطبي وقد جاء عددهم معينا في حديث حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكون في امتي كذابون دجالون سبع وعشرون منهم اربع نسوة اخرجه ابو نعيم وقال هذا حديث غريب انتهى وحديث ثوبان اصح من هذا قال عياض عُدّ من تنبأ من زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الان ممن اشتهر بذلك وعرف واتبعه جماعة يوجد هذا العدد فيهم ومن طالع كتب الاخبار والتواريخ عرف صحة

لتأكيد العزم على الاستغفار تطييبا لنفس أبي طالب وكانت وفاة أبي طالب بمكة قبل الهجرة بقليل قال ابن فارس مات أبو طالب ولرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوما وتوفيت خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها بعد موت أبي طالب بثمانية أيام والظاهر أن قوله سبحانه ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين خبر بمعنى النهي ونازل في أبي طالب فإن الإتيان بالفاء المفيدة للترتيب في قوله فأنزل بعد قوله لأستغفرن لك يفيد ذلك وقد ذكر العلماء لنزول هذه الآية أسبابا أخر فلا منافاة لأن أسباب النزول قد تتعدد قال الحافظ ابن حجر أما نزول الآية الثانية فواضح في قصة أبي طالب وأما نزول الآية التي قبلها ففيه نظر ويظهر أن المراد أن الآية المتعلقة بالاستغفار نزلت بعد أبي طالب بمدة وهي عامة في حقه وحق غيره يوضح ذلك ما يأتي في التفسير فأنزل الله بعد ذلك ما كان للنبي الخ ونزل في أبي طالب إنك لا تهدي وكله ظاهر في أنه مات على غير الإسلام ويضعف ما ذكره السهيلي أنه روي في بعض كتب المسعودي أنه أسلم لأن مثل ذلك لا يعارض الصحيح انتهى وفي الحديث دليل على تحريم الاستغفار للمشركين وموالاتهم ومحبتهم لأنه إذا حرم الاستغفار لهم فموالاتهم ومحبتهم أولى وفيه أيضا رد على عباد القبور الذين يعتقدون في الأنبياء والصالحين أنهم ينفعون ويضرون فيسألونهم غفران الآثام وكشف الكروب وهداية القلوب وغير ذلك من أنواع المطالب الدنيوية والأخروية ويعتقدون أن لهم التصرف بعد الموت على سبيل الكرامة وقد وقفت على رسالة لرجل منهم في ذلك ويحتجون بقوله لهم ما يشاؤن عند ربهم ويقول قائلهم في حق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ؎

فإن من جودك الدنيا وضرتها　　ومن علومك علم اللوح والقلم

وقال الآخر ؎

ما كان يعرف ألواحا ولا قلما　　وكان يعرف ما في اللوح والقلم

وقال آخر بالفارسية ؎

بقلم گر نرسید انگشتش　　بود لوح وقلم اندر مشتش

فإذا عرف الإنسان معنى هذه الآية ومن نزلت فيه تبين له بطلان قولهم وفساد شركهم لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الخلق وأقربهم من الله وأعظمهم جاها عنده ومع ذلك حرص واجتهد على هداية عمه أبي طالب في حياته وعند موته فلم يتيسر له ذلك ولم يقدر عليه ثم استغفر له بعد موته

فلم يغفر له بل نهاه الله عز وجل ففي هذا اعظم البيان واوضح البرهان على انه صلى الله عليه وآله وسلم لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا اعطاء ولا منعا وان الامر كله بيد الله تعالى الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويعذب من يشاء ويرحم من يشاء ويكشف الضر عمن يشاء ويصيب به من يشاء من عباده وهو الذي من جوده الدنيا والآخرة ومن علمه علم اللوح والقلم وما كان وما يكون وهو بكل شيء عليم ولو كان عنده صلى الله عليه وآله وسلم من هداية القلوب وغفران الذنوب وتفريج الكروب شيء لكان احق الناس به واولاهم من قام معه اتم القيام ونصره واحاطه من بلوغه ثمان سنين والى ما بعد النبوة بثمان سنين او اكثر بل قال الله تعالى له صلى الله عليه وآله وسلم قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله الى قوله يؤمنون وقال قل لا اقول لكم عندي خزائن الله فهل يجتمع في قلب عبد الايمان بهذه الآيات والاحاديث وما اشبهها والايمان بهذه الابيات الدالة على كون علم الغيب له صلى الله عليه وآله وسلم وما ضاهاها قاتل الله اعداء الاسلام واحباء الشرك كيف جاوزوا الحد في اطرائه والغلو فيه صلى الله عليه وآله وسلم بابي هو وامي وظنوا ان هذا الكلام استشفاع به عليه السلام وتوسل به في المقام ولم يعلموا انه صلى الله عليه وآله وسلم لا يشفع لاحد من المشركين واذا شفع لاحد من المؤمنين فلا يشفع الا بعد اذن الله له والله سبحانه لا ياذن له صلى الله عليه وآله وسلم في الشفاعة الا لمن ارتضى ولا يعلم احد من العباد انه سبحانه هل يرتضيه ام لا وهل ياذن فيه بالشفاعة لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ام لا فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا وقد تقدم الكلام على مسئلة الشفاعة في اوائل هذا الكتاب وما يصح منها وما لا يصح فراجعه وبالله التوفيق

فصل في بيان ما جاء في السحر والكهانة والنشرة

ونحوها وانها من وادي الاشراك بالله تعالى

قال تعالى ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق اي نصيب قاله ابن عباس قال قتادة وقد علم اهل الكتاب فيما عهد اليهم ان الساحر لا حظ له في الآخرة وقال الحسن ليس له دين ودلت الآية على تحريم السحر وكذلك هو محرم في جميع اديان الرسل عليهم السلام كما قال سبحانه ولا يفلح الساحر حيث اتى وقد نص اصحاب احمد انه يكفر بتعلمه وتعليمه والسحر في اللغة عبارة عما خفي ولطف سببه ولهذا جاء في الحديث ان من البيان سحرا وسمي السحر سحرا لانه يقع خفيا آخر الليل قال ابو محمد المقدسي في الكافي السحر

عن رقى وعقد يؤثر في القلوب والابدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه قال تعالى
فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وقال سبحانه ومن شر النفاثات في العقد يعني الساحرات
اللاتي يعقدن في سحرهن وينفثن في عقدهن ولولا ان السحر حقيقة لم يأمر بالاستعاذة منه وعن عائشة
رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سحر حتى ليخيل انه يفعل الشيء وما يفعله وانه قال لها
ذات يوم اتاني ملكان فجلس احدهما عند راسي والآخر عند رجلي فقال ما وجع الرجل قال مطبوب قال
ومن طبه قال لبيد بن اعصم في مشط ومشاطة في طلعة ذكر في بئر ذروان رواه البخاري وعن زيد
بن ارقم قال سحر النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجل من اليهود فاشتكى فاتاه جبريل فنزل عليه بالمعوذتين
وقال ان رجلا من اليهود سحرك والسحر في بئر فلان فارسل عليا فجاء به فامره ان يحل العقد ويقرأ
آية ويحل حتى قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانما نشط من عقال اخرجه عبد بن حميد في مسنده
واخرجه ابن مردويه من حديث عائشة مطولا وكذلك من حديث ابن عباس قيل وكانت مدة سحره
صلى الله عليه وآله وسلم اربعين يوما وقيل ستة اشهر وقيل عاما قال الحافظ ابن حجر وهو المعتمد قال
الراغب تاثير السحر في النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن من حيث انه نبي وانما كان في بدنه من حيث
انه انسان او بشر كما كان ياكل ويتغوط ويبول ويشتهي ويمرض فتاثيره فيه من حيث هو بشر لا من حيث
هو نبي وانما يكون ذلك قادحا في النبوة لو وجد للسحر تاثير في امر يرجع للنبوة كما ان جرحه وكسر ثنيته يوم
احد لم يقدح في ما ضمن الله له من عصمته في قوله والله يعصمك من الناس وكما لا اعتداد بما يقع في
الاسلام من غلبة بعض المشركين على بعض النواحي فيما ذكر من كمال الاسلام في قوله اليوم اكملت لكم دينكم
قال القاضي ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر انتهى
ومذهب اهل السنة ان السحر حق وله حقيقة ويكون بالقول والفعل ويؤلم ويمرض ويقتل ويفرق
بين الزوجين وتمام الكلام على هذا في حاشية الشيخ سليمان الجمل على الجلالين فراجعها وللمعوذتين
اثر عظيم في ازالة السحر فمن داوم على قراءتهما في الايام والليالي لا يضره السحر باذن الله تعالى واذا قرأ بهما
المسحور زال اثره ان شاء الله تعالى وفي حديث عائشة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث الحديث اخرجه مالك في الموطا ومن في الصحيحين من
طريقه واخرج الترمذي وحسنه وابن مردويه والبيهقي عن ابي سعيد الخدري قال كان رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم يتعوذ من عين الجان ومن عين الانس فلما نزلت سورتا المعوذتين اخذ بهما وترك
ما سوى ذلك قال في فتح البيان في تفسير قوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد النفاثات هن السواحر
اي ومن شر النفوس النفاثات او النساء النفاثات والنفث النفخ كما يفعل ذلك من يرقي
ويسحر قيل مع ريق وقيل بدون ريق وهو دليل على بطلان قول المعتزلة في انكار تحقق السحر وظهور اثاره
والعقد جمع عقدة وذلك انهن كن ينفثن في عقد الخيوط حين يسحرن بها قال ابو عبيدة النفاثات هن
بنات لبيد بن الاعصم اليهودي سحرن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال ابن عباس النفاثات السواحر
وعنه قال هو ما خالط السحر من الرقى واخرج النسائي وابن مردويه عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه
وآله وسلم قال من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد اشرك ومن تعلق شيئا وكل اليه وعنه
قال جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعودني فقال الا ارقيك برقية رقاني بها جبريل فقلت بلى بابي انت
وامي فقال بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء فيك من شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد
اذا حسد ورقى بها ثلاث مرات اخرجه ابن ماجه وابن سعد والحاكم وغيرهم وقد اختلفوا في جواز النفث في
الرقى والمعاذات الشرعية فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ويدل له حديث عائشة قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مرض احد من اهله نفث عليه بالمعوذات الحديث وانكر جماعة التفل
والنفث في الرقى واجازوا النفخ بلا ريق قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد قال النسفي
جوز الاسترقاء بما كان من كتاب الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ما كان بالسريانية والعبرانية
والهندية فانه لا يحل اعتقاده ولا الاعتماد عليه انتهى كلام فتح البيان وأما السحر فروى عبد الرزاق عن صفوان
بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تعلم شيئا من السحر قليلا كان او كثيرا كان آخر عهده
من الله وهو مرسل واختلفوا في كفر الساحر وقد ذهب جماعة من السلف الى انه يكفر وبه قال مالك
وابو حنيفة واحمد قال اصحابه الا ان يكون سحره بادوية وتدخين وسقي شيء يضر فلا يكفر وقال الشافعي
اذا تعلم السحر قلنا له صف لنا سحرك فان وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده اهل بابل من التقرب
الى الكواكب السبعة وانها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر وان كان لا يوجب الكفر فان اعتقد اباحته كفر
انتهى وفي الروضة الندية شرح الدرر البهية في باب من يستحق القتل حدا اما الساحر فلكون عمل
السحر نوعا من الكفر فعامله مرتد يستحق ما يستحقه المرتد وقد روى الترمذي والدارقطني والبيهقي والحاكم

من حديث جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حد الساحر ضربة بالسيف قال الترمذي والصحيح عن جندب موقوفا قال والعمل على هذا عند بعض اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيرهم وهو قول مالك بن انس وقال الشافعي الساحر اذا كان يعمل في سحره ما يبلغ به الكفر فاذا عمل عملا دون الكفر فلم نر عليه قتلا وفي اسناد هذا الحديث اسمعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف واخرج احمد وعبد الرزاق والبيهقي ان عمر بن الخطاب رض كتب قبل موته بشهر ان اقتلوا كل ساحر وساحرة والارجح ما قاله الشافعي لان الساحر انما يقتل لكفره فلابد ان يكون ما عمله من السحر موجبا للكفر قال في المسوى شرح الموطا السحر كبيرة قال تعالى وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر واختلف في ذلك اهل العلم فقال مالك واحمد يقتل الساحر وقال الشافعي ما تقدم ولو قتل الساحر رجلا بسحره واقر انى سحرته وسحري يقتل غالبا يجب عليه القود عند الشافعي ولا يجب عند ابي حنيفة ولو قال سحري قد يقتل و قد لا يقتل فهو شبه عمد ولو قال اخطأت اليه من غيره فهو خطأ تجب فيه الدية المخففة وتكون في ماله لانه ثبت باعترافه الا ان يصدقه العاقلة فتكون عليهم اقول لا شك ان من تعلم السحر بعد اسلامه كان بفعل السحر كافرا مرتدا وحده حد المرتد وقد تقدم وقد ورد في الساحر بخصوصه ان حده القتل و لا يعارض ذلك ترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم قتل لبيد بن عاصم الذي سحره فقد يكون ذلك قبل ان يثبت ان حد الساحر القتل وقد يكون ذلك لاجل خشية معرة اليهود وقد كانوا اهل شوكة حتى اباد هم الله وفل شوكتهم واقلهم واذلهم وقد عمل الخلفاء الراشدون على قتل الساحر وشاع ذلك وذاع ولم ينكره احد انتهى وفي تفسير فتح البيان في قوله سبحانه واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان يعني بالسحر ولم يعمل به وفيه تنزيه سليمان عليه السلام عن السحر ولم يتقدم ان احدا نسبه الى الكفر ولكن لما نسبه اليهود الى السحر صاروا بمنزلة من نسبه الى الكفر لان السحر يوجب ذلك وقالوا ان سليمان ملك الناس بالسحر ولهذا اثبت الله سبحانه كفر الشياطين فقال ولكن الشياطين كفروا اي بتعليمهم يعلمون الناس السحر وهو ما يفعله الساحر من الحيل والتخييلات التي يحصل بسببها للمسحور ما يحصل من الخواطر الفاسدة الشبيهة بما يقع لمن يرى السراب فيظنه ماء وما يظنه راكب السفينة او الدابة من ان الجبال تسير وهو مشتق من سحرت الصبي اذا خدعته وقيل اصله الخفاء فان الساحر يفعله خفية وقيل اصله الصرف لان السحر مصروف عن جهته وقيل اصله الاستمالة لان من سحرك

أسبابك. وقال الجوهري: السحر الأخذة، وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر، والساحر العالم. وقال العراقي
السحر نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الخواص هيكل
على صورة الشخص المسحور ويترصد له وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل
بسببها إلى الاستعانة بالشياطين، ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله العادة أحوال غريبة في الشخص المسحور. انتهى
وقد اختلفوا هل له حقيقة أم لا، فذهبت المعتزلة وأبو حنيفة إلى أنه خدع لا أصل له ولا حقيقة، وذهب من عداهم إلى أن له حقيقة
مؤثرة، وقد صح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سُحر، سحره لبيد بن الأعصم اليهودي حتى كان يخيل إليه
أنه يأتي الشيء ولم يكن قد أتاه، ثم شفاه الله سبحانه، والكلام في ذلك يطول. وقد عدّ رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم السحر من الكبائر وقرنه بالشرك كما في الصحيحين، وسيأتي في فتح البيان. وقد عرفت أن السحر نوع
من أنواع الإشراك، وأن حكم الساحر حكم المشرك المرتد، وتعلمه وتعليمه كبيرة من الكبائر يبلغ به صاحبه
إلى حد الكفر ويخرج عن الإسلام. وعن ابن مسعود: من أتى كاهنا أو ساحرا فصدقه بما يقول فقد كفر بما
أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم. أخرجه البزار بإسناد جيد، والحاكم وصححه. وأخرج البزار عن عمران
بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من تطير أو تُطير له، أو تكهن أو تُكهن له، أو سحر أو سُحر له
ومن عقد عقدة، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم
وفي قوله سبحانه: وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر، أبلغ إنذار وأعظم تحذير، أي أنه
متى أراد سيكون من تعلمه كافرا فلا تكفر، وفيه دليل على أن تعلم السحر كفر، وظاهره عدم الفرق بين المعتقد
وغير المعتقد، وبين من تعلمه ليكون ساحرا ومن تعلمه ليقدر على دفعه. ودلّ الحصر في قوله تعالى
وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله على أن الساحر لا يؤثر في أحد بسحره، بل إنما يظهر أثره بإذنه تعالى
وإرادته ومشيئته، فالمؤثر هو الله تعالى، فإن تأثيره لا بنفس السحر بذاته أصلا، وحينئذ فشأن الموحد
أن لا يتعلم السحر ولا يعلمه ولا يأتي ساحرا ولا يصدقه في شيء من عمله، بل يفوض أمره إلى الله في كل
ما هو فيه، وعليه التوكل، ويتعوذ بما أرشده الله سبحانه في كتابه وهو سورة المعوذتين. ومن خالف هذا فقد
صار من أهل الشرك وشريكهم في إثمهم وحكمه حكمهم، نعوذ بالله من ذلك. قال أهل العلم في قوله تعالى
يؤمنون بالجبت والطاغوت: الجبت السحر. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الجبت السحر، والطاغوت الشيطان
رواه ابن أبي حاتم وغيره. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال

اجتنبوا السبع الموبقات فقالوا يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات رواه البخاري ومسلم والموبقات بالباء الموحدة معناها المهلكات وسميت بها لانها تهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات وفي الآخرة من العذاب والمراد بالشرك بالله هو ان يجعل لله ندا يدعوه كما يدعو الله ويرجوه كما يرجو الله ويخافه كما يخاف الله وبدأ به لانه اعظم ذنب عصي الله به كما في الصحيحين عن ابن مسعود سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم اي الذنب اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك الحديث واخرج الترمذي بسند صحيح عن صفوان بن عسال وحسنه قال قال يهودي لصاحبه اذهب بنا الى هذا النبي فقال له صاحبه لا تقل نبي الحديث وفيه فسألاه عن تسع آيات بينات فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا تشركوا بالله شيئا ولا تسحروا الخ قال في فتح المجيد وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال كتب عمر بن الخطاب رض ان اقتلوا كل ساحر وساحرة فقتلنا ثلاث سواحر قال ظاهره انه يقتل من غير استتابة وهو كذلك على المشهور عن احمد وبه قال مالك لان علم السحر لا يزول بالتوبة وعن احمد يستتاب فان تاب قبلت توبته وبه قال الشافعي لان ذنبه لا يزيد على الشرك والمشرك يستتاب وتقبل توبته ولذلك صح ايمان سحرة فرعون وتوبتهم وصح عن حفصة انها امرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت رواه مالك في الموطأ وحفصة هي ام المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ماتت في شهر سنة ٤٥ وفي تاريخ البخاري عن ابي عثمان النهدي قال كان عند الوليد رجل يلعب فذبح انسانا وابان راسه فعجبنا فاعاد راسه فجاء جندب الازدي فقتله ورواه البيهقي في الدلائل مطولا وله طرق كثيرة واما انواع السحر فمنها الاحوال الشيطانية التي غرت كثيرا من العوام والجهال فاغتر بها كثير من الناس وظنوا انها تدل على ولاية من جرت على يده ومنهم من هو من اولياء الشيطان لا من اولياء الرحمن وفي هذا الباب كتاب الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان لشيخ الاسلام ابن تيمية رح عن قبيصة الهلالي انه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان العيافة والطرق والطيرة من الجبت اي السحر قال عوف العيافة زجر الطير والطرق الخط يخط في الارض والجبت قال الحسن رنة الشيطان رواه احمد واسناده جيد ولابي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه والمراد بزجر الطير التفاؤل باسمائها واصواتها ومرها وهو من عادات العرب يقال عاف يعيف عيفا اذا زجر وحدس وظن وهو في كثير من اشعارهم وقال ابو السعادات

الطرق هو الضرب بالحصى الذي يفعله النساء وقال القاضي الجبت في الاصل الفسل الذي لا خير فيه ثم استعير لما عبد من دون الله وللساحر والسحر ق رنة الشيطان كما قال الحسن في تفسير ابن مخلد على ما ذكره الحميدي عن مطرف ان ابليس رن اربع رنات رنة حين لعن ورنة حين اهبط ورنة حين ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورنة حين انزلت فاتحة الكتاب قال سعيد بن جبير لما لعن الله ابليس تغيرت صورته عن صورة الملائكة ورن رنة فكل رنة منها في الدنيا الى يوم القيامة رواه ابن ابي حاتم وعن ابن عباس قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة رن ابليس رنة اجتمعت اليه جنوده قال الحافظ الصغاني في المحاورة الرنين الصوت وقد رن يرن رنينا وبعد انطلقهم على قول الحسن وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد رواه ابو داود باسناد صحيح وكذا صححه النووي والذهبي ورواه احمد وابن ماجه قال ابو السعادات قبست العلم واقتبسته اذا علمته والشعبة الطائفة ومنه الحديث الحياء شعبة من الايمان اي جزء منه قال شيخ الاسلام صرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بان علم النجوم من السحر وقد قال تعالى ولا يفلح الساحر حيث اتى والمعنى كل ما زاد من تعلم علم النجوم زاد في السحر وان ما يعتقده في النجوم من التأثير باطل وكذا تأثير السحر باطل وللنسائي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد اشرك ومن تعلق شيئا وكل اليه وحسنه ابن مفلح قال بعض اهل العلم ان السحرة اذا ارادوا عمل السحر عقدوا الخيوط ونفثوا على كل عقدة حتى ينعقد ما يريده من السحر قال تعالى ومن شر النفاثات في العقد يعني السواحر التي يفعلن ذلك والنفث هو النفخ مع الريق وهو دون التفل النفث فعل الساحر فاذا تكيفت نفسه بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور ويستعين عليه بالارواح الخبيثة نفخ في تلك العقدة نفخا معه ريق يخرج من نفسه الخبيثة نفس ممازج للشر والاذى مقترن بالريق الممازج لذلك وقد تساعد هو والروح الشيطانية على اذى المسحور فيصيبه ان السحر باذن الله الكوني القدري لا الشرعي قال ابن القيم رحمه الله وقد نص في ان الساحر مشرك اذ لا يأتي السحر بدون الشرك كما حكاه الحافظ عن بعض اهل العلم ومن تعلق قلبه شيئا واعتمد عليه ورجاه وكله الله الى ذلك الشيء فمن تعلق ربه والهه وسيده ومولاه رب كل شيء ومليكه كفاه ووقاه وحفظه وتولاه فنعم المولى ونعم النصير قال تعالى اليس الله بكاف عبده

ومن تعلق على السحرة والشياطين وغيرهم من المخلوقات وكله الله الى من تعلقه هلك ومن تأمل في احوال الخلق ونظر بعين البصيرة رأى ذلك عيانا وهذا من جوامع الكلم وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الا هل انبئكم ما العضه هي النميمة القالة بين الناس رواه مسلم العضه بفتح العين وسكون الضاد قال ابو السعادات هكذا يروى في كتب الاحاديث والذي في كتب الغريب العضة بكسر العين وفتح الضاد قال الزمخشري اصلها العضهة فعلة من العضه وهو البهت فحذفت لامه كما حذفت من السنة والشفة وتجمع على عضين ثم فسره بقوله هي النميمة الخ فاطلق عليها العضة لانها لا تنفك عن الكذب والبهتان غالبا ذكر ذلك القرطبي وذكر عبد البر عن يحيى بن ابي كثير قال يفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة قال ابو الخطاب في عيون المسائل ومن السحر السعي بالنميمة والافساد بين الناس قال في الفروع ووجهه انه يقصد الاذى في كلامه وعمله على وجه المكر والحيلة فاشبه السحر وهذا يعرف بالعرف والعادة انه يؤثر وينتج ما يعمله السحر او اكثر فيعطى حكمه تسوية بين المتماثلين او المتقاربين لكن يقال الساحر انما يكفر بوصف السحر وهو امر خاص ودليله خاص وهذا ليس بساحر وانما يؤثر عمله ما يؤثره فيعطى حكمه الا فيما اختص به من الكفر وعدم قبول التوبة انتهى حاصله وهو يدل على تحريم النميمة وهو مجمع عليه قال ابن حزم اتفقوا على تحريم الغيبة والنميمة في غير النصيحة الواجبة وفيه دليل على انها من الكبائر والقالة قال ابو السعادات اي كثرة القول وايقاع الخصومة بين الناس ومنه الحديث ففشت القالة بين الناس قال ولهما عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان من البيان سحرا والمراد بالبيان البلاغة والفصاحة قال صعصعة بن صوحان صدق نبي الله فان الرجل يكون عليه الحق وهو الحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق وقال ابن عبد البر تأوله طائفة على الذم لان السحر مذموم وذهب اكثر اهل العلم وجماعة من اهل الادب الى ان هذا على طريقة المدح لان الله تعالى مدح البيان وقد قال عمر بن عبد العزيز لرجل سأله عن حاجة فاحسن المسألة فاعجبه قوله هذا والله السحر الحلال انتهى والاول اصح والمراد بالبيان الذي فيه تمويه على السامع كما قال الشاعر

في زخرف القول تزيين لباطله والحق قد يعتريه سوء تعبير

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ان من البيان لسحرا من وادي التشبيه البليغ لكون ذلك يعمل عمل السحر

فيجعل الحق في قالب الباطل والباطل في قالب الحق فيستميل به قلوب الجهال حتى يقبلوا الباطل وينكروا
الحق نسأل الله الثبات والاستقامة على الهدى وأما البيان الذي يوضح الحق ويقرره ويبطل الباطل
ويبينه فهذا هو الممدوح وهكذا حال الرسل وأتباعهم ولهذا علت مراتبهم في الفصائل وعظمت
حسناتهم وبالجملة فالبيان لا يحمد إلا إذا لم يخرج إلى حد الإسهاب والإطناب وتغطية الحق وتحسين
الباطل فإذا خرج إلى هذا فهو مذموم وعلى هذا تدل الأحاديث كحديث الباب وحديث إن الله
يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها رواه أحمد وأبو داود والحاصل
أن كل فصاحة وبلاغة تكون سعيدة للحق فهي السحر الحلال النافع وكل كلام مزخرف يقرب الباطل ويحبب
فهو السحر المحرم الضار ومن الأول كتب أئمة المحدثين وأهل الأدب من العلماء الموحدين كتصانيف
الشيخين العظيمين ابن تيمية وابن القيم والحافظين الكبيرين ابن حجر وابن عبد الهادي وأمثال هؤلاء من المتأخرين
ومن الثاني تأليفات أهل البدعة كالمعتزلة والشيعة ونحوهم ممن زخرفوا القول عندهم اللهم أرنا الحق
حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه وأما الكهانة فالكاهن هو الذي يأخذ
عن مسترق السمع وكانوا قبل المبعث كثيرا وأما بعد المبعث فإنهم قليل لأن الله تعالى حرس السماء
بالشهب وأكثر ما يقع في هذا ما يخبر به الجن من يتولاهم من الإنس عن الأشياء الغائبة مما يقع في الأرض
من الأخبار فيظنه الجاهل كشفا وكرامة وقد اغتر بذلك كثير من الناس يظنون ذلك المخبر لهم عن الجن
وليا لله وهو من أولياء الشيطان كما قال تعالى ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس
وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم
خالدين فيها الآية روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من أتى عرافا
فسأله عن شيء فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوما المراد ببعض الأزواج هي حفصة
رضي الله عنها ذكره أبو مسعود الثقفي لأنه ذكر هذا الحديث في الأطراف في مسندها وظاهر الحديث
أن الوعيد مرتب على مجيئه وسؤاله سواء صدقه أو شك في خبره فإن في بعض روايات الصحيح من أتى
عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوما وإذا كان هذا حال السائل فكيف بالمسئول قال
النووي وغيره معناه أنه لا ثواب له فيها وإن كانت مجزئة بسقوط الفرض عنه ولا بد من هذا التأويل
في هذا الحديث فإن العلماء متفقون على أنه لا يلزم من أتى العراف إعادة صلاة أربعين ليلة انتهى

حاصله وفي الحديث النهي عن اتيان الكاهن ونحوه قال القرطبي يجب على من قدر على ذلك من محتسب وغيره ان يقيم من
يتعاطى شيئا من ذلك من الاسواق وينكر عليهم اشد النكير وعلى من يجيء اليهم ولا يغتر بصدقهم في بعض الامور ولا بكثرة
من يجيء اليهم ممن ينتسب الى العلم فانهم غير راسخين في العلم بل من الجهال بما في اتيانهم من المحذور وعن ابي هريرة رضي الله
عنه عن النبي صلعم قال من اتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد صلعم رواه ابو داود وللاربعة والحاكم وقال صحيح على شرطهما
وعنه من اتى عرافا او كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد صلعم رواه احمد والبيهقي والحاكم ولا تعارض بين هذا وبين
الحديث المتقدم في عدم قبول الصلوة عند القائل بكفر دون كفر واما من يقول بظاهر الحديث فظاهر الحديث انه يكفر من
اعتقد صدقه باي وجه كان وكان غالب الكهان قبل النبوة انما كانوا يأخذون عن الشياطين قال القرطبي والمراد بما انزل على
محمد صلى الله عليه وآله وسلم الكتاب والسنة انتهى وهل الكفر في هذا الموضع كفر دون كفر فلا ينقل عن الملة ام يتوقف فيه
فلا يقال يخرج عن الملة ولا يخرج وهذا اشهر الروايتين عن احمد رح ولابي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفا
وهذا الاثر رواه البزار ايضا ولفظه من اتى كاهنا او ساحرا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم
وفيه دليل على كفر الكاهن والساحر لانهما يدعيان علم الغيب وذلك كفر والمصدق لهما يعتقد ذلك ويرضى به وذلك كفر ايضا
وعن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعا ليس منا من تطير او تطير له او تكهن او تكهن له او سحر او سحر له الحديث رواه البزار
باسناد جيد ورواه الطبراني باسناد حسن من حديث ابن عباس وفي ليس منا وعيد شديد يدل على
ان هذه الامور من الكبائر وتقدم ان الكهانة والسحر كفر ومعنى تطير فعل الطيرة ومعنى تطير له قبل
قول المتطير له وتبعه وكذا معنى تكهن او تكهن له اي الذي يأتي الكاهن ويصدقه ويتابعه وكذلك
من عمل الساحر له السحر فكل من تلقى هذه الامور عمن تعاطاها فقد برئ منه رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم لكونها اما شركا كالطيرة او كفرا كالكهانة والسحر فمن رضي بذلك وتابع فهو كالفاعل
لقبوله الباطل واتباعه قال البغوي العراف الذي يدعي معرفة الامور بمقدمات يستدل بها على
المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك انتهى وظاهر هذا انه هو الذي يخبر عن الوقائع كالسرقة وسارقها
والضالة ومكانها قال شيخ الاسلام ابن تيمية رح ان العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم
في معرفة الامور بهذه الطرق كالحازر الذي يدعي علم الغيب او يدعي الكشف قال والمنجم يدخل في
اسم العراف وعند بعضهم هو في معناه قال والمنجم ايضا يدخل في اسم الكاهن عند الخطابي وغيره
من العلماء وحكي ذلك عن العرب وعند آخرين من جنس الكاهن واسوأ حالا منه فيلحق به من جهة المعنى

وقال الامام احمد العراف طرف من السحر والساحر اخبث وقال ابو السعادات العراف المنجم والحازي
الذي يدعي علم الغيب وقد استأثر الله به قال ابن القيم من اشتهر باحسان الزجر عندهم سموه عائفا
وعرافا والمقصود من هذا ان من يدعي معرفة شيء من المغيبات فهو اما داخل في اسم الكاهن واما
مشارك له في المعنى فيلحق به وذلك ان اصابة المخبر في بعض الامور الغائبة في بعض الاحيان يكون
بالكشف ومنه ما هو من الشياطين ويكون بالفال والزجر والطيرة والضرب بالحصى والخط في الارض
والتنجيم والكهانة والسحر ونحو هذا من علوم الجاهلية ونعني بالجاهلية كل من ليس من اتباع الرسل عليهم
السلام كالفلاسفة والكهان والمنجمين وجاهلية العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه
وآله وسلم فان هذه علوم القوم ليس لهم علم بما جاءت الرسل وكل هذه الامور يسمى صاحبها كاهنا
وعرافا او في معناهم فمن اتاهم فصدقهم بما يقولون لحقه الوعيد وقد ورثت هذه العلوم عنهم
اقوام فادعوا بها علم الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه وادعوا انهم اولياء وان ذلك كرامة ولا ريب
ان من ادعى الولاية واستدل باخباره ببعض المغيبات فهو من اولياء الشيطان لا من اولياء الرحمن
اذ الكرامة امر يجريه الله على يد بعض عباده المؤمنين المتقين اما بدعاء او اعمال صالحة لا صنع للولي
فيها ولا قدرة له عليها بخلاف من يدعي انه ولي الله ويقول للناس اعلموا اني اعلم المغيبات او احضرها
فان مثل هذه الامور قد تحصل بما ذكرنا من الاسباب وان كانت الاسباب محرمة كاذبة في الغالب
ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وصف الكهان انهم يكذبون معها مائة كذبة فبين انهم يصدقون
مرة ويكذبون مائة وهكذا الحال من سلك سبيل الكهان ممن يدعي الولاية والعلم بما في ضمائر الناس
مع ان نفس دعواه دليل على كذبه لان في دعواه الولاية تزكية النفس المنهي عنها بقوله تعالى فلا تزكوا
انفسكم بل الله يزكي من يشاء وليس هذا من شان الاولياء بل شانهم الازدراء على نفوسهم وعيبهم
لها وخوفهم من ربهم فكيف يأتون الناس فيقولون اعرفوا انا اولياء وانا نعلم الغيب وفي ضمن ذلك
طلب المنزلة في قلوب الخلق واقتناص الدنيا بهذه الامور وحسبك بحال الصحابة رضي الله عنهم اجمعين
وهم سادة الاولياء وقادة الاصفياء ونخبة الصلحاء وخلاصة النبلاء وسلف الامة وائمتها هل
كان عندهم من هذه الدعاوى الطويلة والشطحات العريضة شيء لا والله بل كان احدهم لا يملك
نفسه اذا قرأ القرآن كالصديق رضي الله عنه وكان الفاروق رضي الله عنه يسمع نشيجه من وراء

هذا وقال الحافظ قد ظهر مصداق ذلك في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فخرج مسيلمة الكذاب باليمامة والاسود العنسي باليمن وفي خلافة ابي بكر طليحة بن خويلد في بني اسد بن خزيمة وسجاح في بني تميم وقتل الاسود قبل ان يموت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقتل مسيلمة في خلافة ابي بكر وتاب طليحة ومات على الاسلام في زمن عمر رضي الله عنه ونقل ان سجاح تابت. ايضا ثم خرج المختار بن ابي عبيد الثقفي وغلب على الكوفة في خلافة ابن الزبير واظهر محبة اهل البيت ودعا الناس الى طلب قتلة الحسين فتتبعهم وقتل كثيرا ممن باشر ذلك واعان عليه فاحبه الناس ثم ادعى النبوة وزعم ان جبريل عليه السلام ياتيه ومنهم الحارث الكذاب خرج في خلافة عبد الملك بن مروان فقتل وخرج في خلافة بني العباس جماعة وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقا فانهم لا يحصون كثرة لكون غالبهم ينشأ عن جنون اوسوداء وانما المراد من قامت لهم شوكة وبدا له شبهة كمن وصفنا وقد اهلك الله تعالى من وقع له منهم ذلك وبقي منهم من يلحقه باصحابه وآخرهم الدجال الكبير انتهى. اقول ذكر صاحب حجج الكرامة اسماء هذه الثلاثين الكذابين غالبا وعد منهم ذلك الرجل النابغ في هذا العصر ونص عليه بانه دجال كذاب وضاع زاعم فيه انه نبي وهذا يرده قوله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الباب وانا خاتم النبيين لا نبي بعدي قال الحسن اي الذي ختم به النبوة اي انه آخر الانبياء كما قال تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين وانما ينزل عيسى بن مريم عليهما السلام في آخر الزمان حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم مصليا الى قبلته فهو كاحد امته بل هو افضل هذه الامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده لينزلن فيكم ابن مريم حكما مقسطا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وايضا في حديث الباب بشارة عظمى ببقاء اهل الحق في هذه الامة الى قيام الساعة وفيه وعد بكون طائفة منه منصورة لا يضرها من خذلها ولا من خالفها قال يزيد بن هارون واحمد بن حنبل ان لم يكونوا هؤلاء اهل الحديث فلا ادري من هم قال ابن المبارك وعلي بن المديني واحمد والبخاري وغيرهم انهم اهل الحديث وعن ابن المديني ايضا في رواية هم العرب واستدل برواية من روى هم اهل الغرب وفسر الغرب بالدلو العظيمة لان العرب هم الذين يستقون بها قال النووي يجوز ان تكون هذه الطائفة جماعة متعددة من انواع المؤمنين ما بين شجاع وبصير بالحرب ومحدث وفقيه ومفسر وقائم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وزاهد و

عائدة ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد بل يجوز أن يكونوا في بعض دون بعض منه ويجوز إخلاء الأرض
من بعضهم أولاً فأولاً إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد فإذا انقرضوا جاء أمر الله انتهى ملخصاً
مع زيادة فيه قاله الحافظ وقد ذكر بعض أهل العلم في كتابه حجج الكرامة جماعة من هذه الطائفة من
زمن الصدر الأول إلى زمانه هذا بأسمائهم وعينهم بحسب القرون الخالية والسنين الماضية من
مساعيهم والفضائل قال القرطبي وفيه دليل على أن الإجماع حجة لأن الأمة إذا اجتمعت فقد دخل فيهم
الطائفة المنصورة أقول فلتعلم إذا اجتمعت الأمة ولكنه عسير جداً ولا نعلم مسألة من المسائل التي
كانت الأمة اجتمعت عليها إلا هذه الأصول أصول الإسلام الخمس الصلاة والصيام والزكاة والحج
والجهاد بل افترقت في هذه أيضاً حتى صارت أحزاباً متفرقة وجنوداً مجندة منها المؤتلف والمختلف
والمتعارف والمتناكر وحتى جاوزت اثنتين وسبعين فرقة والمراد بهذه الطائفة هم الذين هم على ما كان
عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في حياته وبعد حياتهم وأتباعه بالإحسان بعد مماته ومماتهم
من أي قوم كانوا وفي أي ديار ظهروا وبأي قول قالوا وهؤلاء قليل جداً كما يشير إلى ذلك عبارة الحديث
قال بعض أهل العلم فيه الآية العظيمة أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم وفيه
البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية واحتج بهذا الحديث الإمام أحمد على أن الاجتهاد لا ينقطع ما دامت
هذه الطائفة موجودة قلت ووجودها باق إلى أن يأتي الله بأمره كما في الحديث حتى يأتي أمر الله قال
بعض العلماء الظاهر أن المراد به ما ذكر من قبض من بقي من المؤمنين بالريح الطيبة ثم لا يبقى إلا شرار
الناس كما ذكر الحاكم أن عبد الله بن عمرو قال لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق هم شر أهل الجاهلية
قال عقبة بن عامر لعبد الله أعلم ما تقول وأما أنا فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا
تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم
على ذلك فقال عبد الله ويبعث الله ريحاً ريحها ريح المسك ومسها مس الحرير فلا تترك أحداً في قلبه مثقال
ذرة من إيمان إلا قبضته ثم يبقى شرار الناس فعليهم تقوم الساعة وفي صحيح مسلم لا تقوم الساعة حتى
لا يقال في الأرض الله الله وعلى هذا فالمراد بقوله في حديث عقبة وما أشبهه حتى تأتيهم الساعة ساعتهم
وهي وقت موتهم بهبوب الريح ذكره الحافظ وقد اختلفوا في محل هذه الطائفة فقال ابن بطال إنها تكون
في بيت المقدس كما رواه الطبراني من حديث أبي أمامة قيل يا رسول الله وأين هم قال ببيت المقدس

وقال معاذ بن جبل هم بالشام وفي كلام الطبري ما يدل على انه لا يجب ان تكون في الشام او في بيت المقدس دائما بل قد تكون في موضع اخر في بعض الازمنة قال في فتح المجيد ويشهد له الواقع وحال اهل الشام واهل بيت المقدس من ازمنة طويلة لا يعرف فيهم من قام بهذا الامر بعد شيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه واصحابه في القرن السابع واول الثامن فانهم في زمانهم كانوا على الهدى المستقيم وعلى الحق القويم يدعون اليه ويناظرون عليه ويجاهدون فيه ويحتملون المشاق والمصائب عليه ويصبرون على ما يصيبهم في سبيل الله وقد يجيء من امثالهم بعد بالشام من يقوم مقامهم بالدعوة الى الحق والتمسك بالسنة والله على كل شيء قدير انتهى قلت ودلالة هذا الحديث على هذا المعنى على فضيلة شيخ الاسلام اوضح من دلالة حديث لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من ابناء فارس على فضيلة الامام ابي حنيفة رح عرف هذا من عرف وجهله من جهل قال في فتح المجيد ومما يؤيد هذا ان اهل الحق والسنة في زمن الائمة الاربعة مع توافر العلماء في ذلك الزمان وقبله وبعده لم يكونوا في محل واحد بل هم في غالب الامصار في الشام منهم ائمة وفي الحرمين الشريفين وفي مصر وفي العراق واليمن وكلهم على الحق يناضلون ويجاهدون اهل البدع ولهم المصنفات التي صارت اعلاما لاهل السنة وحجة على كل مبتدع وعلى هذا فهذه الطائفة قد تجتمع وقد تفترق وقد تكون في الشام وقد تكون في غيره فان حديث ابي امامة وقول معاذ لا يفيد حصرها بالشام وانما يفيد انها تكون بالشام في بعض الازمان لا في كلها وكل جملة من هذا الحديث علم من اعلام النبوة فان كل ما اخبر به صلى الله عليه واله وسلم في هذا الحديث وقع كما اخبر

باب في بيان اتخاذ الانداد من دون الله وما يلي ذلك

قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله لما كانت محبته سبحانه هي اصل دين الاسلام الذي يدور عليه قطب رحاه فبكمالها يكمل وبنقصانها ينقص توحيد الانسان قال ابن القيم في تفسير هذه الاية في شرح المنازل اخبر تعالى ان من احب من دون الله شيئا كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله اندادا فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية فان احدا من اهل الارض لا يثبت هذا الند بخلاف ند المحبة فان اكثر اهل الارض قد اتخذوا من دون الله اندادا في الحب والتعظيم ثم قال تعالى والذين امنوا اشد حبا لله وفي تقدير الاية قولان احدهما والذين امنوا اشد حبا لله من اصحاب الانداد لاندادهم والهتهم التي يحبونها ويعظمونها من دون الله روى ابن جرير عن

مجاهد في قوله تعالى يحبونهم كحب الله مباهاة ومضاهاة للحق بالانداد والذين امنوا اشد حبا لله من الكفار لاوثانهم وروى عن ابن زيد قال هؤلاء المشركون اندادهم الهتهم التي عبدوا مع الله يحبونهم كما يحب الذين امنوا الله والذين امنوا اشد حبا لله من حبهم الهتهم والثاني والذين امنوا اشد حبا لله من المشركين بالانداد لله فان محبة المؤمنين خالصة ومحبة اصحاب الانداد قد ذهبت اندادهم بقسط منها والمحبة الخالصة اشد من المشتركة والقولان مرتبان على القولين في قوله تعالى يحبونهم كحب الله فان فيها قولين ايضا احدهما يحبونهم كما يحبون الله فيكون قد اثبت لهم محبة الله ولكنها محبة اشركوا فيها مع الله تعالى اندادهم والثاني ان المعنى يحبون اندادهم كما يحب المؤمنون الله ثم بين تعالى ان محبة المؤمنين لله اشد من محبة اصحاب الانداد وكان شيخ الاسلام ابن تيمية يرجح القول الاول ويقول انما ذموا بان شركوا بين الله وبين اندادهم في المحبة ولم يخلصوها لله كمحبة المؤمنين له وهذه التسوية المذكورة في قوله تعالى حكاية عنهم وهم في النار يختصمون لالهتهم واندادهم وهي محضرة معهم في العذاب تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ومعلوم انهم لم يسووهم برب العالمين في الخلق والربوبية وانما سووهم به في المحبة والتعظيم وهذا ايضا هو العدل المذكور في قوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اي يعدلون به غيره في العبادة التي هي المحبة والتعظيم وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وهذه تسمى اية المحنة قال بعض السلف ادعى قوم محبة الله فانزل الله اية المحنة يعني هذه اشارة الى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها فدليلها وعلامتها اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وفائدتها وثمرتها محبة المرسل لكم فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة ومحبته لكم منتفية وقال تعالى يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فذكر لهم اربع علامات احدها انهم اذلة على المؤمنين قيل معناه ارقاء رحماء مشفقين عليهم عاطفين عليهم فلما ضمن اذلة هذا المعنى عداه باداة على قال عطاء للمؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيده وعلى الكافرين كالاسد على فريسته اشداء على الكفار رحماء بينهم العلامة الثالثة الجهاد في سبيل الله بالنفس واليد واللسان والمال وذلك تحقيق دعوى المحبة العلامة الرابعة انهم لا تاخذهم في الله لومة لائم وهذا علامة صحة المحبة فكل محب ياخذه اللوم على محبوبه فليس بمحب على الحقيقة بل المحب شانه ان يقول ....

اجد الملامة في هواك لذيذة *** حبا لذكرك فليلمني اللوم

قال تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه فذكر المقامات الثلثة للحب وهو ابتغاء التقرب اليه والتوسل اليه بالاعمال الصالحة والرجاء والخوف يدل على ان ابتغاء الوسيلة امر زائد على رجاء الرحمة وخوف العذاب ومن المعلوم قطعا انه لا يتنافس الا في قرب من يحب قربه وحب قربه تبع لمحبة ذاته بل محبة ذاته اوجبت محبة القرب منه وعند الجهمية والمعطلة ما من ذلك كله شيء فانه عندهم لا تقرب ذاته من شيء ولا يقرب من ذاته شيء ولا يحب لذاته ولا يحب فانكروا حياة القلوب ونعيم الارواح وبهجة النفوس وقرة العيون و اعلى نعيم الدنيا والآخرة ولذلك ضربت قلوبهم بالقسوة وضرب دونهم ودون الله حجاب على معرفته ومحبته فلا يعرفونه ولا يحبونه ولا يذكرونه الا عند تعطيل اسمائه وصفاته فذكرهم اعظم آثامهم واوزارهم بل يعاقبون من يذكره باسمائه وصفاته ونعوت جلاله ويرمونهم بالادواء التي هم احق بها واهلها وحسب ذي البصيرة وحياة القلب ما يرى على كلامهم من القسوة والمقت والتنفير عن محبة الله تعالى ومعرفته وتوحيده سبحانه والله المستعان وقال رحمه الله تعالى ايضا لا تحد المحبة بحد اوضح من وجودها فالحدود لا تزيدها الا خفاء فحدها وجودها ولا توصف المحبة بوصف اظهر من المحبة وانما يتكلم الناس في اسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها و احكامها فاجمع ما قيل في ذلك ما ذكره ابو بكر الكتاني رح عن سيد الطائفة جنيد البغدادي قدس سره قال ابو بكر جرت مسئلة في المحبة بمكة اعزها الله في ايام الموسم فتكلم الشيوخ فيها وكان الجنيد اصغرهم سنا فقالوا هات ما عندك يا عراقي فاطرق راسه ودمعت عيناه ثم قال عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم باداء حقوقه ناظر اليه بقلبه احرق قلبه نور هيبته وصفا شربه من كاس وده وانكشف له الجبار من استار غيبه فان تكلم فبالله وان نطق فعن الله وان تحرك فبامر الله وان سكن فمع الله فهو بالله ولله ومع الله فبكى الشيوخ وقالوا ما على هذا مزيد جبرك الله يا تاج العارفين وذكر رحمه الله تعالى ان الاسباب الجالبة للمحبة عشرة **احدها** قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما اريد به **الثاني** التقرب الى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض **الثالث** دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال فنصيبه من المحبة على قدر هذا **الرابع** ايثار محابه على

عباداته سبب علامات الهوى **الخامس** مطالعة القلب لاسمائه وصفاته ومشاهدتها وتقلبه في
رياض هذه المعرفة ومباديها **السادس** مشاهدة بره واحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة
السابع وهي اعجبها انكسار القلب بين يديه **الثامن** الخلوة وقت النزول الالهي وتلاوة كتابه
وختم ذلك بالاستغفار والتوبة **التاسع** مجالسة المحبين الصادقين والتقاط اطائب ثمرات
كلامهم ولا يتكلم الا اذا ترجحت مصلحة الكلام وعلم ان فيه مزيدا لحاله ومنفعة لغيره **العاشر**
مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل فمن هذه الاسباب العشرة وصل المحبون الى منازل
المحبة ودخلوا على الحبيب انتهى وكتاب رياض المرتاض في باب السلوك الذي كتاب نفيس جدا فيه ما
تشتهي الانفس وتلذ الاعين وبالجملة فالاية الشريفة المذكورة كما تدل الى ايثار محبة الله تعالى على جميع
ما سواه فكذا تدل على ان محبة ما سواه شرك لا يصح ايمان احد حتى يبعد عنه ويخص محبته فيه سبحانه
وعظ الغير دافع في ترك الشرك على قدر المحبة فليحذر المؤمن الشحيح بدينه من ان يحب شيئا من دون الله
فان الانسان اذا احب غير الله تركه الله وسلمه الى ذلك الغير لانه سبحانه اغنى الاغنياء عن الشرك وقال

كتاب رياض المرتاض

تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها
احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم
ان يتوعد من احب اهله وماله وعشيرته وتجارته ومسكنه فآثرها او بعضها على فعل ما اوجبه الله عليه من الاعمال التي يحبها الله
ويرضاها كالهجرة والجهاد ونحو ذلك قال العماد بن كثير رح اي ان كانت هذه الاشياء احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله
فتربصوا اي انتظروا ماذا يحل بكم من عقابه روى احمد وابو داود واللفظ له من حديث ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اذا تبايعتم بالعينة واخذتم اذناب البقر ورضيتم بالزرع سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا الى دينكم
من ايثار محبة الله ورسوله وارادته على محبة العبد بنفسه فيحب ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه ويوالي فيه ويعادي فيه
ويتابع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم في اية المحبة ونظائرها وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين اخرجاه وهو متفق
عليه اي لا يؤمن احدكم الايمان الواجب الكامل حتى يكون الرسول احب اليه مما ذكر بل ولا يحصل هذا
الكمال الا بان يكون الرسول احب اليه من نفسه كما في حديث اخرجه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال يا رسول الله لانت احب الي من كل شيء الا من نفسي فقال والذي نفسي بيده حتى اكون احب اليك

من نفسك فقال له عمر فانك الان احب الي من نفسي فقال الآن يا عمر رواه البخاري فمن قال ان المنفي هو الكمال فان اراد الكمال الواجب الذي يذم تاركه ويعرضه للعقوبة فقد صدق وان اراد ان المنفي الكمال المستحب فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم قال في فتح المجيد واقول ظاهر الحديث نفي الايمان مطلقا ولا وجه لصرفه عن الظاهر وانما يصرفه عن ظاهره من ليس له هذه المرتبة في المحبة فيرى نفسه قاصرة عن بلوغ ذروتها فيحتاج الى تاويل الحديث رجاء لبقاء الايمان وابقاء عليه ولم يدر هذا المسكين ان بعض النقص في العمل لا ينافي الاحبية ان شاء الله عز وجل وان كانت الرتبة العليا هي كمال الاتباع وغاية الاجتناب عن الاشراك والذنوب والابتداع قال شيخ الاسلام ابن تيمية الامام رح من ادعى محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدون متابعته وتقديم قوله على قول غيره فقد كذب كما قال تعالى ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين فنفى الايمان عمن تولى عن طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لكن كل مسلم يكون محبا بقدر ما معه من الاسلام وكل مسلم لا بد ان يكون مؤمنا وان لم يكن مؤمنا الايمان المطلق لان ذلك لا يحصل الا لخواص المؤمنين قال وعامة الناس اذا اسلموا بعد كفر او ولدوا على الاسلام والتزموا شرائعه وكانوا من اهل الطاعة لله ورسوله فهم مسلمون ومعهم ايمان مجمل لكن دخول حقائق الايمان الى قلوبهم يحصل شيئا فشيئا ان اعطاهم الله ذلك والا فكثير من الناس لا يصلون الى اليقين ولا الى الجهاد ولو شككوا لشكوا ولو امروا بالجهاد لما جاهدوا اذ ليس عندهم من علم اليقين ما يدرأ عنهم الريب ولا عندهم من قوة الحب لله ورسوله ما يقدمونه على الاهل والمال فهؤلاء ان عوفوا من المحنة وماتوا دخلوا الجنة وان ابتلوا بمن يدخل عليهم شبهات توجب ريبهم فان لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب صاروا مرتابين وانتقلوا الى انواع من النفاق انتهى قال في فتح المجيد وفي هذا الحديث ان الاعمال من الايمان لان المحبة عمل القلب وفيه ان محبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واجبة تابعة لمحبة الله لازمة لها فانها محبة الله ولاجلها تزيد محبة الله في قلب المؤمن وتنقص بنقصها وكل من كان محبا لله فانما يحب في الله ولاجله كما يحب الايمان والعمل الصالح وهذه المحبة ليس فيها شيء من شوائب الشرك كالاعتماد عليه ورجائه في حصول مرغوب فيه او دفع مرهوب منه وما كان فيها ذلك فمحبته مع الله لما فيها من التعلق على غيره والرغبة اليه من دونه فبهذا يحصل التمييز بين المحبة في الله

ولاجله الذي هو من كمال التوحيد وتمام الاخلاص وبين المحبة مع الله التي هي محبة الانداد من دون الله المتعلقة بقلوب المشركين من الالهة التي لا تحق الا لله وحده وفيما عن انس رضي الله عنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما ومن احب عبدا لا يحبه الا لله ومن يكره ان يعود في الكفر بعد ان انقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار الحديث متفق عليه وفي رواية لا يجد احد حلاوة الايمان اخرجه البخاري وفي اخرى كما يكره ان يقذف في النار والمراد بالثلاث خصال ثلاث والحلاوة هنا هي التي يعبر عنها بالذوق لما يحصل به من لذة القلب ونعيمه وسروره وغذائه وهي شيء محسوس يجده اهل الايمان في قلوبهم قال السيوطي في التوشيح فيه استعارة تخييلية شبه رغبة المؤمن في الايمان بشيء حلو واثبت له لازم ذلك الشيء واضافه اليه وقال النووي معنى حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشاق وايثار ذلك على اعراض الدنيا ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يحيى بن معاذ حقيقة الحب في الله ان لا يزيد بالبر [illegible] بسوى ما يحبه الانسان بطبعه كحبه الولد والمال والازواج وغيرها [illegible] وقال الخطابي المراد بالمحبة هنا حب الاختيار لا حب الطبع كذا قال نعم ليس المراد بالحب هنا حب الطبع لان حب الانسان نفسه وولده طبع مركوز في غريزته خارج عن حد الاستطاعة بل اراد به حب الاختيار المستند الى الايمان الحاصل من الاعتقاد وحاصله ترجيح جانبه صلى الله عليه وآله وسلم في اداء حقه بالتزام دينه واتباع طريقته على كل من سواه كذا في المرقاة شرح المشكاة

واما المحبة الشركية التي تقدم بيانها فقليلها وكثيرها يأبى صدق محبة الله ومحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي بعض الاحاديث احب الله بكل قلبك ومن علامات هذه المحبة ان يحب ما يحبه الله ويكره ما يكرهه الله ويؤثر مرضاته على ما سواه ويسعى فيما يرضاه ما استطاع ويبعد عما حرمه الله ويكرهه اشد الكراهة

ويتابع رسوله في كل ما يأتي به ويذر ويمتثل امره ويترك نهيه كما قال سبحانه ومن يطع الرسول فقد اطاع الله فمن آثر امر غيره على امره ولو بتأويل مذهبي او توجيه قياسي وخالف ما نهى عنه ولم ينقطع عن تقليد فهي بذلك علم على عدم محبة الله ومحبة رسوله فان محبة الرسول من لوازم محبة الله فمن احب الله واطاعه احب الرسول واطاعه ومن لا فلا كما في آية المحبة ونظائرها وبالله التوفيق وقد اكثر الناس من العلماء والجهلاء بدعوى محبتهم لله ولرسوله وصاحوا بها لسانا وبيانا وهم يقدمون الرأي على الرواية

ويأتون بما يخالف صرائح النصوص القرآنية والادلة الحديثية ومنهم من يحتفل بالموالد في شهر ربيع الاول ومنهم من ينظم غزوات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومنهم من يقول قصائد في مدحه عليه السلام ويطري فيها بما يخرج عن دائرة الحق ونحو ذلك ويزعم ان هذا الصنيع منه علم للمحبة ولا يدري هذا المسكين ان الاتيان بالبدعة وبما يخالف السنة ليس محبة بل دليل على بغضه صلى الله عليه وآله وسلم ونعوذ بالله منه وكيف يرضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمن يخالفه ليلا ونهارا في الاعتقاد والعمل ولا يخاف الله عز وجل في مخالفته هذه وهل تصح المحبة بالمخالفة ام هي تكون في الموافقة الا ترى انه لا تستقيم المحبة المجازية مع المحبوب المجازي الا بالوفاق فكيف تستقيم المحبة الحقيقية مع المطلوب الحقيقي في الخلاف ؎ فان كنت لا تدري فتلك مصيبة + وان كنت تدري فالمصيبة اعظم قال شيخ الاسلام ابن تيمية رح اخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان هذه الثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان لان وجود الحلاوة لشيء يتبع المحبة له فمن احب شيئا واشتهاه اذا حصل له مراده فانه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك واللذة امر يحصل عقيب ادراك الملائم الذي هو المحبوب او المشتهى قال فحلاوة الايمان المتضمنة للذة والفرح يتبع كمال محبة العبد لله وذلك بثلاثة امور تكميل هذه المحبة وتفريعها ودفع ضدها فتكميلها ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما فان محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها باصل الحب بل لا بد ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما انتهى ومحبة الله تعالى تستلزم محبة طاعته فانه يحب من عبده ان يطيعه والمحب يحب ما يحبه محبوبه ولا بد ومن لوازم المحبة محبة اهل طاعته كمحبة انبيائه ورسله والصالحين من عباده فمحبة ما يحبه الله ومن يحبه الله وعمل ما يحبه الله من كمال الايمان كما في حديث ابن عباس الآتي قريبا ان شاء الله تعالى وفي هذا الحديث جمع ضمير الله وضمير رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وفيه قولان احدهما انه ثنى الضمير هنا ايماء الى ان المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة فانها وحدها لا تعتبر كيف ومن قال لا اله الا الله ولم يقل محمد رسول الله لا يصح ايمانه لان الايمان عبارة عن مجموع الشهادتين والا فيكون الخلق كله موحدا فان منكري الاله قليل جدا كما ان منكر الرسل كثير جدا ولا طريق الى محبة الله والى الاعتراف به الا بهداية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيجب ان يجمع بينهما في القول والعمل ويأتي بمحبتهما جميعا بصميم الجنان وناطق البيان حتى يصح له كمال الاسلام وتمام الايمان والثاني ان حديث الخطيب الذي نهى فيه عن الجمع كان اولا في زمن لم يكن

الايمان راسخا في قلوب اكثرهم فنهى عن ذلك حسما لمادة الاشتراك والاشراك وقيل نهي على طريقة الادب وجاز هذا على طريق الجواز وقيل هذا ورد على الاصل وحديث الخطيب اول فيكون هذا ابيح والاول اولى وفي قوله كما يكره ان يقذف في النار اشارة الى ان الامرين عنده يتساويان وفيه رد على الغلاة الذين يتوهمون ان صدور الذنب من العبد نقص في حقه مطلقا وان تاب منه والصواب انه ان لم يتب كان نقصا وان تاب فلا وفي الحديث التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولهذا كان المهاجرون والانصار رضي الله عنهم افضل هذه الامة واشرفها مع كونهم في الاصل كفارا مشركين عاصين فهداهم الله الى الاسلام ووضع عنهم اصر الاثام والاسلام يجب ما قبله وكذلك الهجرة كما صح الحديث بذلك **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما قال من احب في الله وابغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فانما تنال ولاية الله بذلك ولن يجد عبد طعم الايمان وان كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك وقد صارت عامة مواخاة الناس على امر الدنيا وذلك لا يجدي على اهله شيئا رواه ابن جرير موقوفا واخرج ابن ابي شيبة وابن ابي حاتم الجملة الاولى منه فقط و يؤيده الحديث المرفوع الاتي قريبا والمعنى من احب اهل الايمان بالله وطاعته من اجل ذلك وابغض من كفر بالله واشرك به وفسق عن طاعته لاجل ما فعلوه مما يسخط الله وان كانوا اقرب الناس اليه كما قال تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله الاية ومن لوازم محبة العبد لله ان من احب الله احب فيه ووالى اولياءه وعادى اهل معصيته وابغضهم وجاهد اعداءه ونصر انصاره وكلما قويت محبة العبد لله في قلبه قويت هذه الاعمال المترتبة عليها وبكمالها يكمل توحيد العبد ويكون ضعفها على قدر ضعف محبة العبد لربه فمقل ومستكثر ومحروم ولا تنال ولاية الله الا بتلبيه لسيده ولاحمد والطبراني عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا يجد العبد صريح الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله فاذا احب لله وابغض لله فقد استحق الولاية لله وفي حديث اخر اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله عز وجل اخرجه الطبراني ومعنى الحديث لا يحصل لعبد ذوق ولذة وسرور وان كثرت عباداته حتى يحب في الله ويبغض فيه سبحانه ويعادي فيه ويوالي فيه وفي حديث ابي امامة مرفوعا من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان رواه ابو داود ورواه الترمذي عن معاذ بن انس مع تقديم وتاخير وفيه فقد استكمل ايمانه

وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افضل الاعمال الحب في الله والبغض في الله
رواه ابو داود وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه انه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن افضل الايمان
قال ان تحب لله وتبغض لله وتعمل لسانك في ذكر الله الحديث رواه احمد قال في فتح المجيد قوله وقد
صارت عامة مؤاخاة الناس على امر الدنيا الخ معناه لا ينفعهم بل يضرهم كما قال تعالى الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين فاذا كانت البلوى قد عمت بهذا في زمن ابن عباس رضي الله عنهما في
خير القرون فما زاد الامر بعد ذلك الا شدة حتى وقعت الموالاة على الشرك والبدع والفسوق
والعصيان وقد وقع ما اخبر به صلى الله عليه وآله وسلم بقوله بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا وقد
كان الصحابة رضي الله عنهم من المهاجرين والانصار في عهد نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم وعهد ابي بكر
وعمر يؤثر بعضهم بعضا على نفسه محبة في الله وتقربا اليه كما قال تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان
بهم خصاصة وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال لقد رأيتنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وما منا احد يرى انه احق بديناره ودرهمه من اخيه المسلم رواه ابن ماجة وقال ابن عباس
في قوله تعالى وتقطعت بهم الاسباب هي المودة رواه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن
ابي حاتم والحاكم وصححه والمراد المودة التي كانت في الدنيا فتبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة كما
قال تعالى انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض
ويلعن بعضكم بعضا قال ابن القيم رح في قوله سبحانه واذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا هؤلاء
المتبوعين كانوا على الشرك واتباعهم ادعوا انهم على طريقتهم ومنهاجهم ثم مخالفون لهم سالكون غير طريقهم ويزعمون ان محبتهم
لم تنفعهم مع مخالفتهم فيتبرؤن منهم يوم القيامة فانهم اتخذوهم اولياء من دون الله وهذا حال كل من اتخذ من دون
الله وليجة واولياء يوالي لهم ويعادي لهم ويرضى لهم ويغضب لهم فان اعماله كلها باطلة يراها يوم
يوم القيامة حسرة عليه مع كثرتها وشدة تعبه فيها ونصبه اذ لم يجرد موالاته ومعاداته ومحبته
وبغضه وانتصاره وايثاره لله ورسوله فابطل الله عز وجل ذلك العمل كله وقطع تلك الاسباب
فينقطع يوم القيامة كل سبب ووصلة ووسيلة ومودة كانت لغير الله ولا يبقى الا السبب الواصل بين
العبد وربه وهو حظه من الهجرة اليه والى رسوله وتجريده عبادته وحده ولوازمها من الحب والبغض
والعطاء والمنع والموالاة والمعاداة والتقريب والابعاد وتجريد متابعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم

تجريدا مصادرة من شوائب الالتفات الى غيره فضلا عن التشريك بينه وبين غيره فضلا عن تقديم
قول غيره عليه فهذا السبب هو الذي يقطع صاحبه وبينه فهي النسبة التي بين العبد وبين ربه وهي
نسبة العبودية المحضة وهي آخيته التي يجول ما يجول واليها مرجعه ولا تتحقق الا بتجريد متابعة الرسل
اذ هذه العبودية انما جاءت على السنتهم وما عرفت الا بهم ولا سبيل اليها الا بمتابعتهم وقال تعالى
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا فهذه هي الاعمال التي كانت في الدنيا على غير سنة رسله
وطريقتهم ولغير وجهه يجعلها الله هباء منثورا لا ينتفع منها صاحبها بشيء اصلا وهذا من اعظم الحسرات
على العبد يوم القيامة ان يرى سعيه ضائعا وقد سعد اهل السعي النافع بسعيهم انتهى محصلا وحاصل
الكلام في هذا المقام ان محبة الله الخالصة للتوحيد والاخلاص ومحبة ما سواه داعية الى الشرك و
اتخاذ الانداد ومن احب غيره فقد قرب من الاشراك على قدر المحبة والوداد ان كثيرا فكثيرا وان
قليلا فقليلا وليس في الوجود شيء يساوي في الفضيلة والمنفعة محبة الله ولهذا آثرها صلى الله عليه
وآله وسلم ما لم يرتضه على غيرها وهاهنا نكتة لا بد من التنبيه عليها ذكرها العلامة الشوكاني في الفتح الرباني
وهي هذه قال رضي الله عنه فكرت بعض الليالي في حديث المتحابين في الله على منابر من نور فاستعظمت
هذا الجزاء مع حقارة العمل ثم راجعت الفكر فوجدت التحاب في الله من اصعب الامور واندرها وجودا
في الاشخاص الانسانية اعز من الكبريت الاحمر وذهب ما تصورته من الاستعظام للجزاء وبيان ذلك
ان التحاب الكائن بين نوع الانسان راجع عند امعان النظر الى محبة الدنيا لا يبعث عليه الا غرض
دنيوي فانك اذا عمدت الى الوداد الكامل من نوع المحبة وهو محبة الولد لوالده والوالد لولده واحد
الزوجين للآخر وجدته يئول الى محبة الدنيا لزواله بزوال الغرض الدنيوي مثلا لو كان الرجل ولدا كامل
الادوات والحواس الظاهرة والباطنة وجدته في الاشفاق عليه والمحبة له بمكان يقصر عنه العبارة
لانه يرجو منه بعد حين ان يقوم بما يحتاج اليه من حوائج الدنيا ولو عرض له الموت وهو بهذه الصفة
حصل مع والده ما تشاهده فيمن مات ولده من الغم والحزن والتحسر والتلهف والبكاء والعويل ولكن هذا
ليس الا لذلك الغرض الدنيوي ويوضح هذا انه لو حصل مع الولد عاهة من العاهات التي يغلب على
الظن استمرارها وعجز من كان به عن القيام بامور الدنيا كالعمى والاقعاد وحدث بالوالد عند ذلك
بعد اياسه من فائدته ربما يتمنى موته واذا مات كان الحزن مفقودا ان لم يحصل السرور والانتعاش

فلو كانت تلك المحبة لمحض القرابة مع قطع النظر عن الدنيا لوجدت الاتحاد في الشفقة بين الحالتين ولكن الامر على خلاف ذلك بالاستقراء مع ان القرابة لا تزول بزوال البصر مثلا انما الذي زال ما كان مؤملا من النفع الدنيوي وذلك ان المحبوب من الدنيا الا الولد لذاته ولا القرابة كذلك محبة الولد للوالد فانك تجد الولد قبل اقتداره مع كون والده هو القائم بجميع ذلك لبقاء قوته وعدم عجزه عن الاكتساب بمنزلة من محبة والده لا يقادر قدرها ولا يمكن تصور كنهها فاذا عرض موته حينئذ حصل مع الولد من الجزع والفزع ما تشاهده فمن كان كذلك فهو عند التحقيق انما يبكي لما فاته من المنافع التي كانت تصل اليه والى قرابته من والده وبرهان هذا انه لو بلغ الولد الى حد لا يحتاج معه في الدنيا الى احد وصار وجود والده كعدمه في ادخال المنافع الدنيوية عليه وعلى من يعول كان اهون مفقود عليه بل ربما حصل له بموته السرور ولا سيما اذا كان للاب شيء من الحطام وهذا على فرض بقاء قوة الاب وصحته وسلامته فالاب بات موجود حي سوي فلو كانت المحبة للقرابة لكانت هذه الحالة كالتي قبلها ولكن المحبة انما هي للدنيا فحيث تعلق بالاب الغرض الدنيوي كان له من المحبة ما ذكرناه اولا وحيث لم يتعلق به ذلك الغرض لم يكن له منها شيء كما ذكرناه ثانيا واما اذا بلغ الاب الى حد الضعف والقعود والعجز الكلي عن مباشرة الامور فربما يتمنى الولد موته والابوة والبنوة بحالها فالحاصل ان بكاء الاب على ولده بكاء على فوت دنياه الآجلة وبكاء الولد على والده بكاء لدنياه العاجلة ومن انكر هذا كرر النظر فيه وامعنه فانه يجده صحيحا وكذلك محبة الزوج لزوجته ليست الا لما يناله منها من اللذات الدنيوية فلو اصيبت بمصيبة اذهبت ما يدعو الى محبتها من جمال وكمال او حسن تدبير في الامور والمعايش وحرص على مال الزوج لوجدت الزوج يتمنى لها الموت ويعد ذلك من الفرج فان تطاول عليه الامر كان صبره عليها من اعظم المروءة والا فالغالب تطليقها فان حبيت[1] في تلك الحالة لكونها ذات اولاد فذلك ايضا لامر يرجع الى الدنيا وكذلك الزوجة مثله فيما سلف وكذلك المحبة بين الاجانب هي عند التحقيق راجعة جميعها الى غرض دنيوي وقد كشف هذا المعنى حكيم الشعراء ابو الطيب المتنبي حيث يقول ؎

كل دمع يسيل منها عليها . ويفك اليدين منها تخلى

ثم ذكر صفة كل واحد من المتحابين فكانه راجع الى غرض دنيوي ثم قال فان قلت هل لي صورة يصدق في مثلها الحديث قلت يصدق ذلك في مثل رجلين متحابين لمحض غرض اخروي كمن يتحابا لكونهما يجتمعان[2]

على الجهاد في سبيل الله والاجتماع على طلب العلم مع خلوص النية وحسن الطوية والتجرد عن حظوظ
وانسر فيحب كل واحد منهما الآخر لكونه يستوجب بعمله المحبة وكذلك سائر الثنائيات قد ذكر
كلاما طويلا في ذلك هذا حاصله والله اعلم انتهى قلت والمحصل القول في هذا الباب ان محبة الائمة
الصلحاء من الانبياء والاولياء والآل والاصحاب والعلماء والحفاظ والقراء ومن له وسيلة
دينية ومزية شرعية من وادي محبة الله لكونه محبتهم لوجه الله وفي الله ولله وخلي عن الغرض الدنيوي
في هؤلاء مفقود لان الموت يقطع العمل والامل ومحبة الاحياء من الازواج والاولاد والاقارب
والاحباب مظنة للغرض الدنيوي فان لم يعلق غرض بكل واحد من هؤلاء فمن احب احدا لذلك
فليس له من الاخلاص شيء ومن احب واحدا لاجل الله ولكونه عند الله مطيعا ثبت له من حسناته
وعليه يترتب الاجر الموعود ان شاء الله تعالى والمرء مع من احب الذي ينبغي لكل موحد مسلم مؤمن
صادق ان يجعل حبه كله لله وفي الله واذا حصل له هذا المقام فقد تخلص بالله محبة الانداد
وبرئ من الشرك ووصل الى مقام التوحيد خالص الوداد وصار مصداق قوله سبحانه والذين امنوا
اشد حبا لله وقوله يحبهم ويحبونه اللهم اجعل حبك احب الي من الماء البارد وارزقني حب من يحبك
وحب عمل ترضاه وفي التنزيل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وبالله التوفيق
وهو المستعان ؎

فصل من ابواب الشرك الرياء

قال الحافظ ابن حجر هو مشتق من الرؤية والمراد به اظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا
صاحبها والفرق بينه وبين السمعة ان الرياء لما يرى من العمل كالصلوة والسمعة لما يسمع كالقراءة والوعظ
والذكر ويدخل في ذلك التحدث بما عمله ؎

قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا فيه النهي والتحذير
عن الرياء في العمل لان العمل الصالح هو الذي ليس فيه رياء ولا سمعة والنكرة في سياق النهي تعم وهذا العموم
يتناول الانبياء والملائكة والصالحين والاولياء وغيرهم قال شيخ الاسلام ابن تيمية الامام رحمه الله
فقد فسر طائفة من السلف والخلف اللقاء بالمعاينة وقالوا اللقاء يتضمن رؤيته سبحانه وتعالى
يوم القيامة وذكر الادلة على ذلك شيخنا في هذا المقام وقال ابن القيم وهذه الآية كما انها تتضمن

لا اله سواه فكذلك ينبغي ان تكون العبادة له وحده لا شريك له كما تفرد بالالهية يجب ان يفرد
بالعبودية فالعمل الصالح هو الخالص من الرياء المقيد بالسنة انتهى ذآد في فتح المجيد وفي الآية دليل
على ان اصل الدين الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والمرسلين قبله هو افراده تعالى بانواع
العبادة كما قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون والمخالف لهذا الاصل الثابت
من هذه الآية اقسام اما طاغوت ينازع الله في ربوبيته والهيته ويدعو الناس لعبادته او طاغوت يدعو الناس
الى عبادة الاوثان او مشرك يدعو غير الله ويتقرب اليه بانواع العبادة او بعضها او شاك في
التوحيد اهو حق ام يجوز ان يجعل لله شريك في عبادته او جاهل يعتقد ان الشرك دين يقرب
الى الله قال وهذا هو الغالب على اكثر العوام الجهال وتقليدهم من قبلهم لما اشتدت غربة الدين
ونسي العلم بدين المرسلين انتهى واقول ومن انواع الرياء والسمعة الشركية طلب الجاه عند اولي الامر
وعلماء الزمان ومشائخ الوقت والاشتغال بالتاليف في الفروع ودعوى المجددية او الاجتهاد
في العوام مع عدم البلوغ الى ذلك المقام بقبول الجهال الاعلام وفقدان اسبابها والرد على افضل منه
للشهرة بين الجهلة وتحرير الجواب ليعتقد الناس فيه انه عالم كبير ولا يدري هذا المسكين ان المقلد
لا يكون عالما ابدا فضلا عن ان يكون مجددا او مجتهدا هذا امام المغرب ابن عبد البر نص على ان اطلاق
لفظ العالم على مقلد مذهب من المذاهب ليس بصحيح لان التقليد جهل وسفه والمقلد جاهل سفيه
ونقل على ذلك اجماع اهل العلم ولعل المراد بالائمة المضلين في الحديث هؤلاء المقلدون الذين
يظنون انهم مجددون مجتهدون وهم عن مدارك الشرع ومعالم السنة والكتاب بمراحل شاسعة
ويزعمون انهم بالفنون جميعها عالمون غاية مرادهم ان يشار اليهم بالبنان ونهاية رجائهم ان يعدوا
عند الاحمقين في الاعيان وهذا هو الرياء الجلي والسمعة الواضحة والرياء شرك ويدل عليه حديث انس
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال بحسب امرئ من الشر ان يشار اليه بالاصابع في دين او دنيا الا من عصمه الله
رواه البيهقي في شعب الايمان قال في اللمعات اما في الدنيا فظاهر واما في الدين فلانه مظنة حب الرياسة
واعتقاد الناس وتعظيمهم والشهوات الخفية النفسانية ومكائد النفس وغوائلها ومكر الشيطان
مما قل ان ينجو عنها الا الصديقون فالخمول والذهول هو الاولى والاسلم انتهى واما من لم يرد الجاه
وارادة الشهرة [illegible] [illegible] داعيا [illegible] فهذا له قسم [illegible] في

حديث ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا قال الله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك
فيه معي غيري تركته وشركه اخرجه مسلم يعني من قصد بعمله غيري من المخلوق كان من كان
تركته وشركه ولابن ماجه فانا منه بريء وهو للذي اشرك وعن ابي سعيد بن ابي فضالة عن رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا جمع الله الناس يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان
اشرك في عمل عمله لله احدا فليطلب ثوابه من عند غير الله فان الله اغنى الشركاء عن الشرك رواه
احمد وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن معاذ بن جبل يرفعه ان يسير الرياء شرك الخ
ان الله يحب الابرار الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يدعوا ولم يقربوا
قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة رواه ابن ماجة والبيهقي في شعب الايمان
وعن شداد بن اوس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من صلى يرائي فقد
اشرك ومن صام يرائي فقد اشرك ومن تصدق يرائي فقد اشرك رواه احمد وعنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اتخوف على امتي الشرك والشهوة الخفية قال قلت يا نبي
الله اتشرك امتك من بعدك قال نعم اما انهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا ولكن يراؤن
باعمالهم والشهوة الخفية ان يصبح احدهم صائما فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه رواه احمد
والبيهقي في شعب الايمان قال ابن رجب العمل لغير الله اقسام فتارة يكون رياء محضا كعمل المنافقين
كما قال تعالى واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من
مؤمن بالله وباليوم الآخر في فرض الصلوة والصيام وقد يصدر في الصدقة الواجبة او الحج وغيرهما
من الاعمال الظاهرة او التي يتعدى نفعها فان الاخلاص فيها عزيز وهذا العمل لا يشك مسلم انه حابط
وان صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء فان شاركه من اصله
فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه وذكر احاديث تدل على ذلك منها حديث شداد
بن اوس مرفوعا من صلى يرائي فقد اشرك ومن صام يرائي فقد اشرك ومن تصدق يرائي فقد اشرك
وان الله عز وجل يقول انا خير قسيم لمن اشرك بي شيئا فان عمله قليله وكثيره لشريكه الذي اشرك به
انا عنه غني رواه احمد وذكر احاديث في المعنى ثم قال فان خالط نية الجهاد مثلا نية غير الرياء مثل
اخذ الاجرة للخدمة او اخذ شيء من الغنيمة او التجارة نقص بذلك اجر جهادهم ولم يبطل بالكلية قال

الامام احمد التاجر والمستاجر والمكري اجرهم على قدر ما يخلص من نياتهم في غزوتهم ولا يكونون
مثل من جاهد بنفسه وماله في سبيل الله لا يخلط به غيره وقال ايضا فيمن ياخذ جعلا على الجهاد
اذا لم يخرج لاجل الدراهم فلا باس كانه خرج لدينه ان اعطي شيئا اخذه وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما
انه قال اذا اجمع احدكم على الغزو فعوضه الله رزقا فلا باس بذلك واما ان اعطي درهما غزا وان لم
يعط لم يغز فلا خير في ذلك وروي عن مجاهد انه قال في حج الجمال وحج الاجير وحج التاجر هو تام
لا ينقص من اجرهم شيئا اي لان قصدهم الاصلي كان هو الحج دون التكسب قال وان كان اصل العمل
لله ثم طرأ عليه نية الرياء فان كان خاطرا ودفعه فلا يضره بغير خلاف وان استرسل معه فهل
يحبط عمله ام لا ويجازى على اصل نيته في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف حكاه احمد وابن جرير
ورجحا ان عمله لا يبطل بذلك وانه يجازى بنيته الاولى وهو مروى عن الحسن وغيره وفي هذا المعنى
جاء حديث ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه سئل عن الرجل يعمل العمل من الخير يحمده الناس
عليه فقال تلك عاجل بشرى المؤمن رواه مسلم انتهى حاصل كلام ابن رجب رح وفي حديث ابي سعيد
رضي الله عنه يرفعه الا اخبركم بما هو اخوف عليكم عندي من المسيح الدجال قالوا بلى قال الشرك
الخفي يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل رواه احمد ورواه ابن ماجة بلفظ عن
ابي سعيد الخدري قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نتذاكر المسيح الدجال
فقال الا اخبركم بما هو اخوف عليكم عندي من المسيح الدجال فقلنا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفي
ان يقوم الرجل فيصلي فيزيد صلاته لما يرى من نظر الرجل قال في اللمعات هذا على سبيل التمثيل و
ليس الرياء منحصرا فيه وانما كان هذا الخوف لان في الدجال علامات ظاهرة على كذبه عند اهل العلم
واما الرياء ففي امره غاية الخفاء قال بعض المشائخ ادراك الرياء اصعب من دبيب النمل في الليلة الظلماء
على الصخرة السوداء او كما قال انتهى وروى ابن خزيمة في صحيحه عن محمود بن لبيد قال خرج علينا رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ايها الناس اياكم وشرك السرائر قالوا يا رسول الله وما شرك
السرائر قال يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهدا لما يرى من نظر الرجل اليه فذلك شرك السرائر
وفي رواية عنه عند احمد ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك
الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء وزاد البيهقي في شعب الايمان يقول الله لهم

يوم يجازي العباد بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء او خيرا انتهى
انما سماه خفيا لان صاحبه يظهر ان عمله لله وقد قصد به غيره او شركه فيه وزين صلاته لاجله قال شداد بن اوس كنا
نعد الرياء على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشرك الاصغر رواه ابن ابي الدنيا في كتاب الاخلاص وابن جرير في التهذيب
والطبراني والحاكم وصححه قال العلامة ابن القيم رح واما الشرك الاصغر فكيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله
وقول الرجل للرجل ما شاء الله وشئت وهذا من الله ومنك وانا بالله وبك ومالي الا الله وانت
وانا متوكل على الله وعليك ولولا الله وانت لم يكن كذا وكذا وقد يكون هذا شركا اكبر بحسب حال
قائله ومقصده انتهى ولا خلاف في ان الاخلاص شرط لصحة العمل وقبوله وكذلك المتابعة كما
قال فضيل بن عياض رح في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا اي اخلصه واصوبه قيل يا ابا علي
ما اخلصه واصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن
خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا فالخالص ما كان لله والصواب ما كان على السنة انتهى
وما اجمع هذا القول من هذا الفاضل العارف وانفعه واخصره والحقه بان تعيه اذن واعية
قال في فتح المجيد وفي الحديث من الفوائد شفقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على امته ونصحه
لهم وان الرياء اخوف ما يخاف على الصالحين من فتنة الدجال فاذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
يخاف على سادات الاولياء مع قوة ايمانهم وعلمهم فغيرهم ممن هو دونهم باضعاف اضعاف
اولى بالخوف من هذا الشرك الاصغر والاكبر انتهى فتأمل يا هذا في حالك واعلم ان الى الله مصيرك
ومن نصيبك وفي القبر مقيلك فما قيلك

فصل ومن باب الشرك ارادة الانسان

بعمله الدنيا وهذا يفارق الرياء بكونه عملا صالحا اراد به عرضا من الدنيا كمن يجاهد ليأخذ مالا كما
في الحديث الآتي قريبا

قال تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون قال
ابن عباس رضي الله عنهما يعني من كان يريد ثواب الدنيا وما لها نوف لهم ثواب عملهم بالصحة والسرور
في المال والاهل والولد وهم لا ينقصون ثم نسخها قوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها
ما نشاء لمن نريد رواه النحاس في ناسخه ومعنى قوله نسخها قيدها فلم تبق الآية على اطلاقها وقال

قتادة يقول من كانت الدنيا همه وطلبته ونيته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي الى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء واما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة ذكره ابن جرير بسنده ثم ساق حديث ابي هريرة الطويل وفيه حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تبارك وتعالى اذا كان يوم القيامة نزل الى اهل القيامة ليقضي بينهم وكل امة جاثية فاول من يدعو به رجل جمع القرآن ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله للقارئ الم اعلمك ما انزلت على رسولي قال بلى يا رب قال فماذا عملت فيما علمت قال كنت اقوم آناء الليل وآناء النهار فيقول الله كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله له بل اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له الم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد قال بلى يا رب قال فما عملت فيما آتيتك قال كنت اصل الرحم واتصدق فيقول الله كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله بل اردت ان يقال فلان جواد فقد قيل ذلك ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقال له في ماذا قتلت فيقول امرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله له كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله له بل اردت ان يقال فلان جريء وقد قيل ذلك ثم ضرب رسول الله على ركبتي فقال يا ابا هريرة اولئك الثلاثة اول خلق الله تسعر بهم يوم القيامة النار وعن انس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه امره ولا ياتيه منها الا ما كتب له رواه الترمذي ورواه احمد والدارمي عن ابان عن زيد بن ثابت وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين السنتهم احلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله ابي يغترون ام علي يجترئون فبي حلفت لابعثن على اولئك منهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران رواه الترمذي وفي الباب احاديث ومعنى يختلون يخدعون ويطلبون وهذا الحديث علم من اعلام النبوة فقد وقع كما اخبر به صلى الله عليه وآله وسلم وقد اخبر بذلك قبل ذلك عز وجل في كتابه فقال يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل الآية ففي هذه الآية الشريفة ان هؤلاء ارادوا بعملهم وعلمهم الدنيا وهذا امر الشرك لان كل

عمل ولم يقصد به وجه الله وإنما أراد به متاع الدنيا ورضى الملا نحوه من الشرك مكان لا يخفى أعاذنا الله من ذلك قال بعض أهل العلم ذُكر عن السلف في هذه أنواع مما يفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه فمن ذلك العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صدقة وصلاة وصلة وإحسان إلى الناس وترك ظلم ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصاً لله في زعمه لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته أو حفظ أهله وعياله أو إدامة النعم عليهم ولا همة له في رضاء الله ولا في طلب الجنة ولا في الهرب من النار فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا وليس له في الآخرة نصيب وهذا النوع ذكره ابن عباس فيما تقدم الثاني وهو أكبر من الأول وأخوف وهو الذي ذكره مجاهد في الآية أنها نزلت فيه وهو أن يعمل أعمالاً صالحة ونيته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة الثالث أن يعمل عملاً صالحاً يقصد به مالاً مثل أن يحج لمال يأخذه أو يهاجر لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها أو يجاهد لأجل المغنم أو يتعلم لأجل مدرسة أهله أو مكسبهم أو رياستهم أو يتعلم القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد كما هو واقع كثير مشاهد في الناس الرابع أن يعمل بطاعة الله مخلصاً في ذلك لله وحده لا شريك له لكنه على عمل يكفره كفراً يخرجه عن الإسلام مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله أو تصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة ومثل كثير من الذين فيهم كفر أو شرك أو رياء وبدعة تخرجهم من الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة لكنهم على أعمال من الشركيات والبدعيات وفساد الاعتقاد تخرجهم من دائرة الإسلام والنور وتدخلهم في الظلمات والديجور وتمنع قبول أعمالهم وكان السلف يخافون من هذا أشد الخوف قال بعضهم لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت لأن الله يقول وإنما يتقبل الله من المتقين بقي أن يقال إذا عمل الرجل الصلوات الخمس وأدى الزكاة وصام وحج ابتغاء وجه الله طالباً ثواب الآخرة ثم بعد ذلك عمل أعمالاً قاصداً بها الدنيا مثل أن يحج فرضه لله ثم يحج بعده لأجل الدنيا كما هو واقع فهو لما غلب عليه منهما وقد قال بعضهم القرآن كثيراً ما يذكر أهل الجنة الخلص وأهل النار الخلص ويسكت عن صاحب الشائبتين وهو هذا وأمثاله انتهى وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة إن أعطي رضي وإن لم يعط

سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله اشعث رأسه مغبرة قدماه ان كان في الحراسة كان في الحراسة وان كان في الساقة كان في الساقة ان استاذن لم يؤذن له وان شفع لم يشفع تعس بكسر العين ويجوز الفتح بمعنى سقط والمراد هنا هلك قاله الحافظ ابن حجر وقال في موضع آخر هو ضد سعد اي شقي وقال ابو السعادات تعس يتعس اذا عثر وانكب لوجهه وهو دعاء عليه بالهلاك والدينار هو المعروف من الذهب كالمثقال في الوزن ووزنة الدينار درهم وثمن درهم والدرهم من الفضة قدره الفقهاء بالشعير وزنا وعندنا منه درهم من ضرب بني امية وهو خمسون حبة شعير وخمسا حبة سماه عبد اله لكونه هو المقصود بعمله فكل من توجه بقصده لغير الله فقد جعله شريكا لله في عبوديته كما هو حال الاكثر قال ابن الاثير الخميصة ثوب خز او صوف معلم وقيل لا تسمى خميصة الا ان تكون سوداء معلمة وتجمع على خمائص والخميلة بفتح الخاء المعجمة ذات الخمل ثياب لها خمل من اي شيء كان قال الحافظ ابن حجر انتكس هو بالمهملة اي عاوده المرض وقال ابن الاثير اي انقلب على راسه وهو دعاء عليه بالخيبة قال الطيبي فيه الترقي بالدعاء عليه لانه اذا تعس انكب على وجهه فاذا انقلب انتكس على راسه بعد ان سقط ومعنى شيك اصابته شوكة فلا يقدر على استخراجها بالمنقاش قاله ابو السعادات والمراد ان من كان هذا حاله فانه يستحق ان يدعى عليه بما يسوءه في العواقب ومن كانت هذه حالته فلا بد ان يجد اثر هذه الدعوات من الوقوع فيما يضره في عاجل دنياه وآجل آخرته قال شيخ الاسلام ابن تيمية رح سماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الدينار والدرهم وغيرهما وذكر فيه ما هو دعاء بلفظ الخبر وهو قوله تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش وهذه حال من اذا اصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح لكونه تعس وانتكس فلا نال المطلوب ولا خلص من المكروه وهذه حال من عبد المال وقد وصف ذلك بانه ان اعطي رضي وان منع سخط كما قال تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون فرضاهم لغير الله وسخطهم لغير الله وهكذا حال من كان متعلقا برياسة او بصورة ونحو ذلك من اهواء نفسه ان حصل له رضي وان لم يحصل له سخط فهذا عبد ما يهواه من ذلك وهو رقيق له اذ الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته فما استرق القلب استعبده فهو عبده الى ان قال وهكذا ايضا طالب المال فان ذلك يستعبده ويسترقه وهذه الامور نوعان

ثم لم يحتج إليه العبد كما يحتاج إلى طعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك فيجب أن يطلبه
من الله ويرغب إليه فيه فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه وبساطه
الذي يجلس عليه من غير أن يستعبده فيكون هلوعا ومنها ما لا يحتاج إليه العبد فهذه ينبغي أن لا
يعلق قلبه بها فإذا تعلق قلبه بها صار مستعبدا لها وربما صار مستعبدا ومعتمدا على غير الله فلا يبقى
معه حقيقة العبودية لله ولا حقيقة التوكل عليه بل فيه شعبة من العبادة لغير الله وشعبة
من التوكل على غير الله وهذا من أحق الناس بقوله صلى الله عليه وآله وسلم تعس عبد الدرهم تعس
عبد الدينار الحديث وهذا هو عبد لهذه الأمور ولو طلبها من الله فإن الله إذا أعطاه إياها رضي وإن
منعه إياها سخط وإنما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله ويسخطه ما يسخط الله ويحب ما يحبه الله ورسوله
ويبغض ما يبغضه الله ورسوله ويوالي أولياء الله ويعادي أعداء الله وهذا الذي استكمل الإيمان
انتهى ملخصا وقد تصدى صاحب فتح المجيد لشرح باقي هذا الحديث ولعمري إنه ليس في ذكره مزيد
فائدة **وقال تعالى** فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون قال في فتح المجيد الند المثل والنظير
فجعل الند لله هو صرف أنواع العبادة أو شيء منها لغير الله كحال عبدة الأوثان الذين يعتقدون فيمن
دعوه أنه ينفعهم ويدفع عنهم ويشفع لهم وهذه الآية في سياق قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا
ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون إلى قوله فلا تجعلوا لله أندادا قال العماد ابن كثير في
تفسيره قال أبو العالية لا تجعلوا لله عدلا شركاء وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة والسدي وأبو مالك
وإسمعيل بن أبي خالد وقال ابن عباس لا تشركوا بالله شيئا من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون
أنه ربكم لا يرزقكم غيره وقد علمتم أن الذي يدعوكم الرسول إليه من توحيده هو الحق لا شك فيه
وكذا قال قتادة وغيره وعن مجاهد لا تجعلوا لله أكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله وقال
ابن زيد الأنداد الآلهة التي جعلوها معه وجعلوا لها مثل ما جعلوا له وعن ابن عباس أندادا أشباها وعن مجاهد وأنتم
تعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل وفي معنى هذه الآية حديث الحارث الأشعري في مسند أحمد عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن وكأنه
أبطأ بهن فقال له عيسى عليه السلام إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فإما أن تبلغهن وإما أن
فقال يا أخي لا تفعل إني أخشى إن سبقتني بهن أن أعذب أو يخسف بي قال فجمع يحيى بن زكريا بني إسرائيل في بيت المقدس

حتى امتلأ المسجد فقعد على الشرفات فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله امرني بخمس كلمات ان اعمل بهن وامركم ان تعملوا بهن اولهن ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا فان مثل من اشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بورق او ذهب ثم اسكنه دارا فقال اعمل وارفع الي فجعل يعمل ويؤدي غلته الى غير سيده فايكم يسره ان يكون عبده كذلك وان الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا وامركم بالصلوة فان الله ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت فاذا صليتم فلا تلتفتوا وامركم بالصيام فان مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة من مسك كلهم يجدون ريح المسك وان خلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك وامركم بالصدقة فان مثل ذلك كمثل رجل اسره العدو فشدوا يده الى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال لهم هل لكم ان افتدي نفسي منكم فجعل يفتدي نفسه بالقليل والكثير حتى فك نفسه وامركم بذكر الله كثيرا فان مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعا في اثره فاتى حصنا حصينا فتحصن فيه وان العبد احصن ما يكون من الشيطان اذا كان في ذكر الله قال وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وامركم بخمس الله امرني بهن الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله فانه من خرج عن الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الا ان يرجع ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثي جهنم قالوا يا رسول الله وان صلى وصام قال وان صلى وصام وزعم انه مسلم فادعوا المسلمين باسمائهم بما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله قال في فتح المجيد وهذا حديث حسن والشاهد منه في هذه قوله وان الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا انتهى قلت والمراد بالجماعة في هذا الحديث هي جماعة الصحابة نهاهم عن ان يخرجوا من طريقة هذه الجماعة قيد شبر لانها لم تكن اذ ذاك جماعة اخرى ويدل له حديث ما انا عليه واصحابي وهذه الجماعة هي الفرقة الناجية بنص النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونظيرها في هذا العصر وبعد القرون الثلثة المشهود لها بالخير جماعة اهل السنة وهم اصحاب الحديث فانهم سالكون مسالك الاصحاب والآل ماشون على طريق السلف والصدر الاول ومن زعم ان المراد بالجماعة جماعة اهل مذهب خاص من مقلدي المذاهب الاربعة وغيرهم فقد ابعد النجعة وليس بيده دليل يصلح للالتفات اليه والتعويل عليه ثم قال في فتح المجيد وهذه الآية دالة على توحيد الله تعالى بالعبادة له وحده لا شريك له وقد استدل بها كثير من المفسرين على وجود الصانع وهي دالة على ذلك بطريق الاولى والآيات الدالة على هذا المرام

في القرآن الكريم كثيرة جدا وسئل ابو نواس عن ذلك فانشد

تأمل في نبات الارض وانظر ... الى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين فاترات ... باحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ... بان الله ليس له شريك

وقال ابن المعتز

فيا عجبا كيف يعصى الاله ... ام كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية ... تدل على انه واحد

وعن ابن عباس في الآية قال الانداد هو الشرك اخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو ان تقول والله وحياتك يا فلانة وحياتي وتقول لولا كليبة هذا لاتانا اللصوص ما شاء الله وشئت وقول الرجل لولا الله وفلان لا تجعل فيها فلان هذا كله شرك رواه ابن ابي حاتم رضي الله عنه ان هذا كله من الشرك وهو الواقع اليوم على السن كثير ممن لا يعرف التوحيد ولا الشرك فتنبه لهذه الامور فانها من المنكرات العظيمة التي يجب النهي عنها والتغليظ فيها لكونها اكبر من الكبائر ومن ابطل الباطلات هذه الامة ونبه بالادنى من الشرك على الاعلى منه

فصل ومن انواع الحلف بغير الله

وفي ذلك حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من حلف بغير الله فقد كفر او اشرك رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم او شك من الراوي او بمعنى الواو وهذا يكون من الكفر الذي هو دون الكفر الاكبر كما هو من الشرك الاصغر وورد مثل هذا عن ابن مسعود وقال لان احلف بالله كاذبا احب الي من ان احلف بغيره صادقا ومن المعلوم ان الحلف بالله كاذبا من الكبائر لكن الشرك اكبر من الكبائر وان كان اصغر فاذا كان هذا حال الشرك الاصغر فكيف بالشرك الاكبر الموجب للخلود في النار كدعاء غير الله والاستغاثة به والرغبة اليه والرهبة منه وانزال حوائجه به كما هو حال الاكثر من هذه الامة في هؤلاء الاموات وما يتعلق من تعظيم القبور وتشييدها وبناء القباب عليها واتخاذها مساجد وبناء المشاهد باسم الميت لعبادة من بنيت باسمه وتعظيمه والاقبال عليه بالقلوب والاقوال

والاعمال وقد عظمت البلوى بهذا الشرك الاكبر الذي لا يغفره الله وتركوا ما دل عليه القرآن العظيم من النهي عن هذا الشرك وما يوصل اليه **قال تعالى** ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب الى قوله وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين فكفرهم تعالى بدعوتهم من كانوا يدعونه من دونه في الدار الدنيا وقد قال تعالى ان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا **وقال تعالى** قل انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا وهؤلاء المشركون عكسوا الامر فخالفوا ما بلغ به الامة واخبر عن نفسه صلى الله عليه وآله وسلم فعاملوه بما نهاهم من الشرك بالله والتعلق على غير الله حتى قال قائلهم

يا اكرم الخلق ما لي من الوذ به　　سواك عند حلول الحادث العمم
ان لم تكن في معادي آخذا بيدي　　فضلا والا فقل يا زلة القدم
فان من جودك الدنيا وضرتها　　ومن علومك علم اللوح والقلم

فانظر الى هذا الجهل العظيم حيث اعتقد انه لا نجاة له الا بعياذه ولياذه بغير الله وانظر الى هذا الاطراء الفخيم المتجاوز عن الحد الذي نهى عنه من جاء به هذا القائل في حقه وهو صلى الله عليه وآله وسلم بابي هو وامي بقوله لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله رواه مالك وغيره وقد قال تعالى قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك وانظر الى هذه المعارضة العظيمة لكتاب الله والسنة والمحادة لله ورسوله وهذا الذي قاله هذا الشاعر هو الذي في نفوس كثير خصوصا من يدعي العلم والمعرفة بالفقه والمذهب الفلاني والفلاني وراوا قراءة هذه المنظومة ونحوها لذلك وتعظيمها من القربات فانا لله وانا اليه راجعون وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان رواه ابو داود بسند صحيح وذلك لان المعطوف بالواو يكون مساويا للمعطوف عليه لكونها انما وضعت لمطلق الجمع فلا تقتضي ترتيبا ولا تعقيبا وتسوية المخلوق الذليل بالخالق الجليل شرك ان كان في الاصغر مثل هذا فهو اصغر وان كان في الاكبر فهو اكبر كما حكى الله سبحانه عنهم في الدار الآخرة تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين بخلاف المعطوف بثم فان العطف بها يكون للتراخي عن المعطوف عليه بمهلة فلا محذور لكونه صار تابعا قال

الى الغير يعني يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك بل يقول أعوذ بالله ثم بك وقد تقدم الفرق بين ما يجوز وما لا يجوز من ذلك وبين الغائب في الحي الخاص الذي له قدرة وسبب في الشيء وهو الذي يجري في حقه مثل ذلك وأما في حق الأموات الذين لا إحساس لهم بمن يدعوهم ولا قدرة لهم على نفع ولا ضر فلا يقال في حقهم شيء من ذلك ولا يجوز التعلق عليهم لشيء مما يجيء من الوحي والقرآن يبين ذلك وينادي بأنه يجعلهم آلهة إذا سألوا شيئاً منهم أو رغب إليهم أحد بقوله أو عمله الباطن والظاهر فمن تدبر القرآن ورزق فهمه صار على بصيرة من دينه والقرآن الشريف لا يوجد سرا وإنما يوجد بأسباب ذكرها بعض الأعلام في قوله ؎

أخي لن تنال العلم إلا بستة ‌ ‌ ‌ ‌ سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة ‌ ‌ ‌ ‌ وإرشاد أستاذ وطول زمان

وأعظم من هذه الستة من رزقه الله الفهم والحفظ والتعب بعده في تحصيله فهو الموفق لمن يشاء من عباده كما قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وما أحسن ما قال العلامة ابن القيم ؎

والجهل داء قاتل وشفاؤه ‌ ‌ ‌ ‌ أمران في التركيب متفقان
نص من القرآن أو من سنة ‌ ‌ ‌ ‌ وطبيب ذاك العالم الرباني
والعلم أقسام ثلاث ما لها ‌ ‌ ‌ ‌ من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله ‌ ‌ ‌ ‌ وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينه ‌ ‌ ‌ ‌ وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكل في القرآن والسنن التي ‌ ‌ ‌ ‌ جاءت عن المبعوث بالقرآن
والله ما قال امرؤ متحذلق ‌ ‌ ‌ ‌ بسواهما إلا من الهذيان

ويدل لما في هذه الأبيات حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم العلم ثلاثة آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة وما سوى ذلك فهو فضل أو كما قال والمراد بالفضل زيادة لا حاجة إليها ولكن أكثر الناس في هذه الزيادة حتى أخذوا الزيادة والفضول وتركوا الأصول وكان أمر الله قدرا مقدورا وبالجملة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تحلفوا بآبائكم ومن حلف بالله فليصدق

ومن حلف له بالله فليرض ومن لم يرض فليس من الله رواه ابن ماجة بسند حسن وفيه النهي عن الحلف بغير الله عموما وهذا التصديق مما اوجبه الله على عباده وحضهم عليه في كتابه **قال تعالى** يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين **وقال** والصادقين والصادقات **وقال** ولو صدقوا الله لكان خيرا لهم وهو حال اهل البر كما قال سبحانه ولكن البر من آمن بالله الى قوله اولئك الذين صدقوا الخ ومعنى من حلف له بالله الخ انه اذا لم يكن له بحكم الشريعة على خصمه الا اليمين فاحلفه فلا ريب انه يجب عليه الرضاء واما اذا كان فيما يجري بين الناس مما قد يقع في الاعتذارات من بعضهم لبعض ونحو ذلك فهذا من حق المسلم على المسلم ان يقبل منه اذا حلف معتذرا او متبرئا من تهمة ومن حقه عليه ان يحسن به الظن اذا لم يتبين خلافه كما في الاثر عن عمر رضي الله عنه ولا تظن بكلمة خرجت من اخيك شرا وانت تجد لها في الخير محملا وفيه من التواضع والالفة والمحبة وغير ذلك من المصالح التي يحبها الله تعالى ما لا يخفى على من له فهم وذلك من اسباب اجتماع القلوب على طاعة الله ثم انه يدخل في حسن الخلق الذي هو اثقل ما يوضع في ميزان العبد كما في الحديث وهو من مكارم الاخلاق فتأمل ايها الناصح لنفسه ما يصلحك مع الله تعالى من القيام بحقوقه وحقوق عباده وادخال السرور على المسلمين وترك الانقباض عنهم والترفع عليهم فان فيه من الضرر ما لا يخطر بالبال ولا يدور في الخيال وبسط هذه الامور وذكر ما ورد فيها مذكور في كتب الادب وغيرها فمن رزق ذلك وعمل بما ينبغي العمل به وترك ما يجب تركه من ذلك دل على وفور دينه وكمال عقله والله الموفق المعين لعبده الضعيف المسكين ابن المسكين قال بعض اهل العلم في قوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها معنى ذلك ان الكفار اذا قيل لهم من رزقكم اقروا بان الله هو الذي رزقهم ثم ينكرون ذلك بقولهم رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا وروي نحو هذا عن ابن قتيبة وعن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي عن ابيه وعن عائشة وابن عباس وقتادة والزهري وابي الزبير قالوا انكارهم اياها ان يقول الرجل لولا فلان ما كان كذا وكذا ولولا فلان ما اصبت كذا وكذا واختار ابن جرير القول الاول وغيره اختار ان الآية تعم ما ذكره العلماء في معناها وهو الصواب ويدخل هذا فيها دخولا اوليا قال شيخ الاسلام ابن تيمية رح وهذا الكثير في الكتاب والسنة يذم سبحانه من يضيف انعامه الى غيره

وذلك به فيه قال بعض السلف هو كقولهم كانت الريح طيبة والملاح حاذقا ونحو ذلك مما هو جار على السنة كثير من الناس اتى هذا الكلام من شيخ الاسلام يدل على ان حكم هذه الآية عم من ينسب نعم الله تعالى اي نعمة كانت قليلة او كثيرة الى غيره تعالى

باب في مكائد الشيطان ومصائده

فصل ومن مكائده ومصائده ما فتن به عشاق الصور وتلك لعمر الله الفتنة الكبرى والبلية العظمى التي استعبدت النفوس لغير خلاقها وملكت القلوب لمن يسومها الهوان من عشاقها والقت الحرب بين العشق والتوحيد ودعت الى موالاة كل شيطان مريد وحالت بين النفوس وبين رشدها وصرفتها عن طريق قصدها فيا حسرة المحب الذي باع نفسه لغير الحبيب الاول بثمن بخس وشهوة عاجلة ذهبت لذتها وبقيت تبعتها

فصل اصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والارادة فهما مبدأ لجميع الافعال والحركات كما ان البغض والكراهة مبدأ كل كف وترك فالمحبة هي التي تحرك المحب في طلب محبوبه الذي يكمل حصوله له فتحرك محب الرحمن ومحب القرآن ومحب العلم والايمان ومحب الاوثان والصلبان ومحب النسوان والمردان ومحب الاوطان ومحب الاخوان فيثير من كل محب حركة الى محبوبه من هذه الاشياء فيتحرك عند ذكر محبوبه منها دون غيره ولذا تجد محب النسوان والصبيان ومحب قرآن الشيطان بالاصوات والالحان لا يتحرك عند سماع العلم وتلاوة القرآن حتى اذا ذكر له محبوبه اهتز له وربا وتحرك باطنه وظاهره شوقا اليه وطربا وكل هذه المحاب باطلة مضمحلة سوى محبة الله وما والاها من محبة رسوله وكتابه فهي التي تدوم وتدوم ثمرتها واذا انقطعت علائق المحبين واسباب تواصلهم لم ينقطع سببها قال تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب قال عطاء عن ابن عباس المودة وقال مجاهد تواصلهم في الدنيا وقال الضحاك تقطعت بهم الارحام وتفرقت بهم المنازل في النار وقال ابو صالح الاعمال والكل حق فان الاسباب هي الوصل التي كانت بينهم في الدنيا تنقطع بهم احوج ما كانوا اليها واما اسباب الموحدين المخلصين لله فاتصلت بهم ودام اتصالها بدوام معبودهم ومحبوبهم

فصل اذا تبين هذا فاصل المحبة المحمودة التي امر الله بها وخلق خلقه لاجلها هي محبته وحده

لاشريك له المتضمنة لعبادته دون عبادة ما سواه ولا يذوق طعم الايمان الا من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما ولذا اتفقت دعوة الرسل من اولهم الى آخرهم على عبادة الله وحده لاشريك له واصل العبادة وتمامها هو المحبة وافراد الرب سبحانه بها والمحبة نافعة وضارة فالمحبة النافعة هي التي تجلب لصاحبها ما ينفعه من السعادة والنعيم والمحبة الضارة هي التي تجلب لصاحبها ما يضره من السقام والالم فالحي العالم الناصح لنفسه لايؤثر محبة ما يضره ولا يقع له ذلك الا من فساد تصوره ومعرفته او من فساد قصده وارادته فالاول جهل والثاني ظلم والانسان خلق في الاصل جهولا ظلوما ولا ينفك عن الجهل والظلم الا بان يعلمه الله ما ينفعه ويلهمه رشده فمن اراد به الخير علمه ما ينفعه فخرج به من الجهل ونفعه بما علمه فخرج به عن الظلم ومن لم يرد به خيرا ابقاه على اصل الخلقة كما في المسند من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم القى عليهم من نوره فمن اصابه ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل والمقصود ان محبة الظلم والعدوان سببها فساد العلم او فساد القصد او فسادهما جميعا وقد قيل ان فساد القصد من فساد العلم والا فلو علم ما في الضار من المضرة ولوازمها حقيقة العلم لما آثره كمن علم من طعام انه مسموم فانه لا يقدم عليه ولو كان مشتهيا فضعف علمه لما في الضار من وجوه المضرة وضعف منه على اجتنابه يوقعه في ارتكابه ولهذا كان الايمان الحقيقي هو الذي يحمل صاحبه على فعل ما ينفعه وترك ما يضره فاذا لم يفعل هذا ولم يترك هذا لم يكن ايمانه على الحقيقة وانما معه من الايمان بحسب ذلك فان المؤمن بالنار حقيقة الايمان حتى كانه يراها لا يسلك طريقها الموصلة اليها فضلا عن ان يسعى بجهده والمؤمن بالجنة حقيقة الايمان لا تطاوعه نفسه ان يقعد عن طلبها

فصل اذا تبين هذا فالعبد احوج شيء الى معرفة ما يضره ليجتنبه وما ينفعه ليحرص عليه فيحب النافع ويبغض الضار فيكون محبته وكراهته موافقتين لمحبة الله وكراهته وهذا من لوازم العبودية وههنا طريقان العقل والشرع اما العقل فقد وضع الله سبحانه في العقول استحسان الصدق والعدل والاحسان والبر والعفة والشجاعة ومكارم الاخلاق واداء الامانات وصلة الارحام ونصيحة الخلق والوفاء بالعهد وحفظ الجار ونصر المظلوم والاعانة على نوائب الحق واستقباح اضداد ذلك ونسبة هذا الاستقباح والاستحسان الى العقول والفطر كنسبة استحسان شرب الماء

البارد عند الظمأ وأكل الطعام اللذيذ النافع عند الجوع ولبس ما يدفئه عند البرد فكذلك لا يمكنه أن يدفع عن نفسه وفطرته استحسان ذلك ونفعه فكذلك لا يدفع عن نفسه وفطرته استحسان صفة الكمال ونقصها واستقباح أضدادها ومن قال بأن ذلك لا يعلم بالعقل والفطرة وإنما عرف بمجرد السمع فقوله باطل قد بسطنا إبطاله في كتاب المفتاح من ستين وجها وبينا هناك دلالة القرآن والسنة والعقول والفطر على فساد هذا القول الطريق الثاني لمعرفة الضار والنافع من الأعمال السمع وهو أوسع وأبين وأصدق من الطريق الأول لخفاء صفات الأحوال وأحوالها ونتائجها وإن الطريق إلى ذلك على التفصيل ليس هو إلا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فأعلم الناس وأصحهم عقلا ورأيا واستحسانا من كان عقله ورأيه واستحسانه وقياسه موافقا للسنة كما قال مجاهد أفضل العبادة الرأي الحسن وهو اتباع السنة قال تعالى ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق وكان السلف يسمون أهل الآراء المخالفة للسنة وما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مسائل العلم الخبرية ومسائل الأحكام العملية أهل الشبهات والأهواء لأن الرأي المخالف للسنة جهل لا علم وهوى لا دين

فصل ومن المحبة النافعة محبة الزوجة وما ملكت يمين الرجل فإنها معينة على ما شرع الله النكاح وملك اليمين من إعفاف الرجل نفسه وأهله فلا تطمح نفسه إلى ما سواها من الحرام ويعفها فلا تطمح نفسها إلى غيره وكلما كانت المحبة بين الزوجين أتم وأقوى كان هذا المقصود أتم وأكمل قال تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها وقال ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه سئل من أحب الناس إليك فقال عائشة فالمحبة النافعة ثلاثة أنواع محبة الله والمحبة في الله ومحبة ما يعين على طاعة الله والمحبة الضارة ثلاثة أنواع المحبة مع الله ومحبة ما يبغضه الله ومحبة ما يقطع محبته عن محبة الله أو ينقصها فمحبة الله أصل المحبات المحمودة وأصل الإيمان والتوحيد والمحبة مع الله أصل الشرك والمحاب المذمومة ومحبة الصور المحرمة وعشقها من موجبات الشرك وكلما كان العبد أقرب إلى الشرك وأبعد من الإخلاص كانت محبته لعشق الصور أشد ولهذا أصاب امرأة العزيز ما أصابها من العشق لشركها ونجا منه يوسف الصديق بإخلاصه

قال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فالسوء العشق والفحشاء الزنا

فصل ومن ابلغ كيد الشيطان انه يمني بعض المفتونين بالصور انه انما يحب ذلك الامرد او تلك الاجنبية لله لا للفاحشة وهذه هي المخادنة المشار اليها في حق النساء بقوله تعالى غير مسافحات ولا متخذات اخدان وفي حق الرجال محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان وهذا من اعظم الضلال وتبديل الدين وجعل ما كرهه الله سبحانه محبوبا له وهو ايضا نوع من الشرك والمحبوب المتخذ من دون الله طاغوت وذلك الفعل شرك كاتخاذ الاوثان

فصل وهم اربعة اقسام قوم يعتقدون ذلك لله كالمنتسبين الى التصوف وكثير من الاتراك وقوم يعلمون ان ليس هذا لله ولكن يتسترون بذلك وهم من وجه اقرب الى المغفرة لما يرجى لهم من التوبة والقسم الثالث مقصودهم الفاحشة وقد يشتد بينهما الاتصال حتى يسمونه زواجا و يقع لمجان الفسقة ما يجري هذا المجرى شيء كثير كقولهم للامرد هو حبيب الله والملتحي عدو الله وترجيح وطي المردان على نكاح النسوان وصنف بعضهم كتابا في هذا الباب وقال في اثنائه باب في المذهب المالكي وذكر فيه جماع الذكور وقد علم ان مالكا من اشد الناس على فاعل ذلك فانه يجعل حد اللوطي القتل بكرا كان او ثيبا كما دلت عليه النصوص واتفق عليه اصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وان اختلفوا في كيفية قتله وسبب ذلك انه قد نقل عن مالك القول بجواز وطي الرجل زوجته في دبرها وهو ايضا كذب على مالك واصحابه وكتبهم مصرحة بتحريمه ونظير هذا الظن الكاذب ظن كثير من الجهال اباحة الفاحشة بالمملوك او انها ايسر من الفاحشة بغيره لتوهم ان ذلك مراد بقوله تعالى او ما ملكت ايمانهم حتى ان بعض النساء لتمكن عبدها من نفسها وتتاول القرآن على ذلك كما رفع الى عمر رضي الله عنه امرأة تزوجت عبدها وتاولت هذه الآية ففرق عمر بينهما وادبها وقال ويحك انما هذه للرجال ومنهم من يجعل ذلك موضع نزاع بين العلماء ويقول اختلافهم شبهة ومنهم من يقول هو مباح للضرورة ومنهم من بلغه خلاف العلماء في الحد عليه فتوهم ان ذلك خلاف في التحريم وقد تلاعب الشيطان باكثر هذا الخلق كتلاعب الصبيان بالكرة ومراتب الفاحشة متفاوتة بحسب مفاسدها وقد يقترن بالايسر اثر ما يجعله اعظم اثما مما هو فوقه كالعشق الذي يوجب اشتغال القلب بالمعشوق وتالهه وتعظيمه وتقديم طاعته على طاعة الله ورسوله

بالنسبة الى فعل الفاحشة فان المحبوبات لغير الله قد اثبت الشارع فيها اسم التعبد بقوله في الحديث الصحيح تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش ان اعطي رضي وان منع سخط رواه البخاري فسمى هؤلاء عبيد هذه الاشياء التي ان اعطوها رضوا وان منعوها سخطوا واذا شغفت الانسان محبة صورة لغير الله بحيث يرضيه وصوله اليها وظفره بها و يسخطه فوات ذلك كان فيه من التعبد لها بقدر ذلك فلذا يجعلون الحب مراتب اوله العلاقة ثم الصبابة ثم الغرام ثم العشق واخر ذلك التتيم وهو التعبد للمعشوق فيصير عبد المعشوق والله سبحانه انما حكى عشق الصور في القران عن المشركين كما حكى عن امرأة العزيز وعن قوم لوط فقال لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون واخبر بصرفه عن اهل الاخلاص فقال في حق يوسف عليه السلام كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين والزنا بالفرج وان كان اعظم من الالمام بالصغيرة كالنظر والقبلة واللمس لكن اصرار العاشق على محبة الفعل وتوابعه ولوازمه وتمنيه له وحديث نفسه انه لا يتركه واشتغال قلبه بالمعشوق قد يكون اعظم ضررا من فعل الفاحشة بشيء كثير وايضا فانه قد يتخلص من الكبيرة بالتوبة واما العشق اذا تمكن فانه يعز عليه التخلص منه كما قيل ؎

تالله ما اسرت لواحظك امرءا   الا وعز على الورى استنقاذه

ومعلوم ان هذا اعظم ضررا وفسادا من فاحشة يرتكبها مع كراهته لها وقلبه غير متعبد لمن ارتكبها منه وقد اخبر الله سبحانه ان سلطان الشيطان انما هو على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وان سلطانه انما هو على من اتبعه من الغاوين والغي اتباع الهوى والشهوات كما ان الضلال اتباع الظنون والشبهات واصل الغي من الحب لغير الله فانه يضعف الاخلاص ويقوي الشرك فاصحاب العشق الشيطاني لهم من تولي الشيطان والاشراك به بقدر ذلك لما فيهم من الاشراك بالله ولما فاتهم من الاخلاص له ففيهم نصيب من اتخاذ الانداد ولذا ترى كثيرا منهم عبد ذلك المعشوق متيما فيه يصرح في حضوره ومغيبه انه عبده فهو اعظم ذكرا له من ربه وحبه في قلبه اعظم من حب الله فيه فلو خير بين رضاه ورضى الله لاختار رضى معشوقه على رضى ربه ولقاء معشوقه احب اليه من لقاء ربه وتمنيه لقربه اعظم من تمنيه لقرب ربه وهربه من سخطه عليه اشد من هربه من سخط ربه عليه وتقدم مصالح معشوقه وحوائجه على طاعات ربه

فأي فضل من وقته فضلة وكان عنده قليل من الايمان صرف تلك الفضلة في طاعة ربه وان استغرق الزمان حوائج معشوقه ومصالحه صرف زمانه كله فيها واهمل امر الله ولا ريب في ان شئ لا من الذين اتخذوا من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وعشقهم يجمع المحرمات الاربع من الفواحش الظاهرة والباطنة والاثم والبغي بغير الحق والشرك بالله ما لم ينزل به سلطانا والقول على الله ما لا يعلم فكثيرا ما يوجد في هذا العشق من الشرك الاكبر والاصغر ومن قتل النفوس تغايرا على المعشوق واخذ اموال الناس بالباطل ليصرفها في رضى المعشوق ومن الكذب والظلم ما لا اخفاء به واصل ذلك كله من خلو القلب من محبة الله والاخلاص له ومن التشريك بينه وبين غيره في المحبة ومن محبة ما يحب لغير الله فيقوم ذلك بالقلب ويعمل بموجبه بالجوارح وهذا هو حقيقة اتباع الهوى قال بعض العلماء ليس شئ من المحبوبات يستوعب القلب الا محبة الله او محبة بشر مثلك اما محبة الله فهي التي خلق لها العباد وبها غاية سعادتهم وكمال نعيمهم واما البشر المماثل من ذكر او انثى فان فيه من المشاكلة والمناسبة بين العاشق وبينه ما ليس مثله بينه وبين جنس اخر من المخلوقات

فصل والفتنة بعشق الصور تنافي ان يكون دين العبد كله لله بل ينقص من كون دينه لله بحسب ما حصل له من فتنة العشق وربما اخرجت صاحبها من ان يبقى معه شئ من الدين لله

قال تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله والعبد مفتون في هذه الدار بشهواته ونفسه الامارة وشيطانه المغوي وما يراه ويشاهده فيما يعجز صبره ويتفق مع ذلك ضعف الايمان واليقين وضعف القلب ومرارة الصبر وذوق حلاوة العاجل وميل النفس الى زهرة الحيوة الدنيا وكون العوض مؤجلا في دار اخرى غير هذه الدار التي منها خلق وفيها نشأ فهو مكلف بان يترك شهوته الحاضرة المشاهدة لغيب طلب منه الايمان به

فو الله لولا الله يسعد عبده … بتوفيقه والله بالعبد ارحم
لما ثبت الايمان يوما بقلبه … على هذه العلات فالامر اعظم
ولا طاوعته النفس في ترك شهوة … مخافة نار جمرها يتضرم
ولا خاف يوما من مقام الهه … عليه بحكم القسط اذ ليس يظلم

فصل والفتنة نوعان فتنة الشبهات وفتنة الشهوات ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة وقلة العلم ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد وحصول الهوى **قال تعالى** إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق وهي فتنة المنافقين وفتنة أهل البدع على حسب مراتبهم في الابتداع ولا ينجي من هذه الفتنة إلا تجريد اتباع الرسول وتحكيمه في دق الدين وجله وظاهره وباطنه بالهدى دائرا على أقواله وأعماله فكل ما خرج عنهما فهو ضلال وأما فتنة الشهوات فتدفع بالصبر كما تدفع فتنة الشبهات باليقين فقوله تعالى وتواصوا بالحق إشارة إلى ما يدفع به الشبهات وقوله وتواصوا بالصبر إشارة إلى ما يدفع به الشهوات

فصل إذا سلم العبد من فتنة الشبهات والشهوات حصل له أعظم غايتين مطلوبتين بهما سعادته وفلاحه وكماله وهما الهدى والرحمة

قال تعالى فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما فجمع له بين الرحمة والعلم وذلك نظير قول أصحاب الكهف ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا فإن الرشد هو العلم بما ينفع والعمل به والرشد والهدى إذا أفرد كل منهما تضمن الآخر وإذا قرن بينهما كالآخر فالهدى هو العلم بالحق والرشد هو العمل به وضدهما الغي واتباع الهوى وقد يقابل الرشد بالضر والشر **قال تعالى** قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا وقال ومن الجن إنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا والقرآن هو الهدى والرحمة والشفاء والموعظة **قال تعالى** يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين والله سبحانه هو هادي خلقه ولكن المحل القابل للهدى هو قلب العبد المتقي المنيب إلى ربه الخائف منه الذي يبتغي رضاه ويهرب من سخطه فإذا أهداه الله وصل أثره إلى المحل قابل تأثر به فصار هدى له وشفاء ورحمة وموعظة بالوجود والفعل والقبول وإذا لم يكن المحل قابلا وصل إليه الهدى لم يؤثر فيه كما يصل الغذاء إلى محل غير قابل للاغتذاء فإنه لا يؤثر فيه شيئا بل لا يزيده إلا ضعفا وفسادا إلى فساده **قال تعالى** فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم **وقال** وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا والرحمة في حق المؤمنين عاجلة وآجلة فأما

فما يعطيهم الله في الدنيا من محبة الخير والبر وذوق طعم الايمان ووجدان حلاوته والفرح والسرور بان هداهم الله لما اضل عنه غيرهم ولما اختلف فيه من الحق باذنه وأما الآجلة فما اعد لهم في دار النعيم وههنا نكتة وهي ان الانسان قد يسمع ويرى ما يصيب كثيرا من اهل الايمان في الدنيا من المصائب وما ينال كثيرا من الفجار في الدنيا من الرياسة والمال وغير ذلك فيعتقد ان النعيم في الدنيا لا يكون الا للكفار والفجار وان المؤمنين حظهم من النعيم في الدنيا قليل وكذلك قد يعتقد ان العزة والنصرة في الدنيا قد تستقر للكفار والمنافقين على المؤمنين فاذا سمع في القرآن قوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقوله وان جندنا لهم الغالبون وقوله كتب الله لأغلبن انا ورسلي وقوله والعاقبة للمتقين ونحو هذه الآيات وهو ممن يصدق بالقرآن حمل ذلك على ان حصوله في الدار الآخرة فقط وقال اما الدنيا فانا نرى الكفار والمنافقين يغلبون فيها ويظهرون ويكون لهم النصر والظفر والقرآن لا يرد بخلاف الحس ويعتمد على هذا الظن اذا اديل عليه عدو من جنس الكفار والمنافقين او الفجرة الظالمين وهو عند نفسه من اهل الايمان والتقوى فيرى ان صاحب الباطل قد علا على صاحب الحق فاذا ذكر بما وعده الله من حسن العاقبة للمتقين قال هذا في الآخرة واما في الدنيا فصاحب الحق مغلوب مقهور واذا قيل له كيف يفعل الله تعالى هذا باوليائه واهل الحق فان كان ممن لا يعلل افعال الله بالحكم والمصالح قال يفعل الله في ملكه ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وان كان ممن يعلل الافعال قال فعل بهم هذا ليعوضهم بالصبر عليه ثواب الآخرة وعلو الدرجات وتوفية الاجر بغير حساب ولقد بلغنا وشاهدنا من كثير من هؤلاء من التظلم للرب واتهامه ما لا يصدر الا من عدو وكان الجهم يخرج باصحابه فيقفهم على الجذمى واهل البلاء ويقول انظروا ارحم الراحمين يفعل مثل هذا انكارا لرحمته كما انكر حكمته فليس لله عند جهم واتباعه حكمة ولا رحمة وقال بعض كبار القوم ما على الخلق اضر من الخالق

وكان بعضهم يتمثل

اذا كان هذا فعله في محبه   فماذا تراه في اعاديه يصنع

وقال لي غير واحد اذا تبت اليه وانبت وعملت صالحا ضيق على رزقي ونكد معيشتي واذا رجعت معصيته فاعطيت نفسي مرادها جاءني الرزق فقلت لبعضهم ليرى صدقك وصبرك وهل

انت صادق في اتيانك عليه فتصبر على بلائه فتكون لك العاقبة ام انت كاذب فترجع على عقبك وهذه الظنون الكاذبة مبنية على مقدمتين احداهما حسن ظن العبد بنفسه وبدينه واعتقاده وانه قائم بما يجب عليه تارك ما نهى عنه واعتقاده في خصمه وعدوه خلاف ذلك وانه تارك للمامور مرتكب للمحظور المقدمة الثانية اعتقاده ان الله سبحانه قد لا يؤيد صاحب الدين الحق وقد لا يجعل له العاقبة في الدنيا بوجه من الوجوه بل يعيش عمره مظلوما مقهورا مع قيامه بما امر به ظاهرا وباطنا فهو عند نفسه قائم بشرائع الاسلام وحقائق الايمان وهو تحت قهر اهل الظلم والفجور والعدوان فلا اله الا الله كم فسد بهذا الاغترار من عابد جاهل ومتدين لا بصيرة له ومنتسب الى العلم لا معرفة له بحقائق الدين فانه من المعلوم ان العبد وان آمن بالآخرة فانه طالب في الدنيا لما لا بد له منه من جلب النفع ودفع الضر بما يعتقد انه واجب او مستحب او مباح فاذا اعتقد ان الدين الحق واتباع الهدى والاستقامة على التوحيد ومتابعة السنة ينافي ذلك وانه يعادي جميع اهل الارض ويتعرض لما لا يقدر عليه من البلاء وفوات حظوظه ومنافعه العاجلة لزم من ذلك اعراضه عن الرغبة في كمال دينه وتجرده لله ولرسوله فيعرض عن حال السابقين المقربين بل قد يعرض عن حال المقتصدين من اصحاب اليمين بل قد يدخل مع الظالمين بل مع المنافقين وان لم يكن هذا في اصل الدين كان في كثير من فروعه واعماله كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا وذلك اذا اعتقد ان الدين الكامل لا يحصل الا بفساد دنياه من حصول ضرر لا يحتمله وفوات منفعة لا بد له منها لم يقدم على احتمال هذا الضرر ولا تفويت تلك المنفعة فسبحان الله كم صدت هذه الفتنة كثيرا من الخلق بل اكثرهم عن القيام بحقيقة الدين ولا شك ان اصل المقدمتين اللتين بنيت عليهما هذه الفتنة الجهل بامر الله ودينه ووعده ووعيده وحقيقة النعيم الذي هو غاية مطلوب النفوس وكمالها وبه ابتهاجها والتذاذها فتعرض عن القيام بحقيقة الدين وعن طلب حقيقة النعيم ويعتقد لجهله امر الدين انه قائم بالدين الحق عامل بالمامور ظاهرا وباطنا تارك للمحظور كذلك لجهله بالدين الحق وما لله عليه وما هو المراد منه واذا اعتقد ان صاحب الحق لا ينصره الله في الدنيا والآخرة بل قد تكون العاقبة في الدنيا للكفار والمنافقين فهذا من جهله

يوعد الله ووعيده فاما المقام الاول فان العبد كثيرا ما يترك واجبات لا يعلم بها ولا بوجوبها فيكون مقصرا في العلم وكثيرا ما يتركها بعد العلم بها وبوجوبها اما كسلا وتهاونا واما لنوع تاويل باطل او تقليد او لظنه انه مشتغل بما هو اوجب منها او لغير ذلك فواجبات القلوب اشد وجوبا من واجبات الابدان وآكد منها وكانها ليست من واجبات الدين عند كثير من الناس بل هي من باب الفضائل والمستحبات فتراه يتحرج من ترك واجب من واجبات البدن وقد ترك ما هو اهم من واجبات القلوب ويتحرج من فعل ادنى المحرمات وقد ارتكب من محرمات القلوب ما هو اشد تحريما بل ما اكثر من يتعبد لله بترك ما اوجب عليه فيتخلى وينقطع عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قدرته عليه ويزعم انه متقرب الى الله بذلك مجتمع على ربه تارك ما لا يعنيه فهذا من اَمقتِ الخلق الى الله مع ظنه انه قائم بحقائق الايمان وشرائع الاسلام بل ما اكثر من يتعبد لله بما حرم عليه ويعتقد انه طاعة وهو في ذلك شر ممن يعتقد ذلك معصية كاصحاب السماع الشعري الذين يتقربون به الى الله ويظنون انهم من اولياء الرحمن وهم في الحقيقة من اولياء الشيطان وما اكثر من يعتقد انه هو المظلوم المحق من كل وجه ولا يكون الامر كذلك بل يكون معه نوع من الحق ونوع من الباطل والظلم ومع خصمه نوع من الحق والعدل وحبك للشيء يعمي ويصم والانسان مجبول على حب نفسه فهو لا يرى الا محاسنها ومبغض لخصمه فهو لا يرى الا مساويه بل قد يشتد حبه لنفسه حتى يرى مساويها محاسن قال تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا والله سبحانه انما ضمن نصر دينه وحزبه واوليائه والعزة والعلو لاهل الايمان الذي بعث به رسله وانزل به كتبه قال تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين فاذا اصيب العبد بمصيبة في نفسه او ماله او باداله عدوه عليه فانما هي بذنوبه اما بترك واجب او فعل محرم وبهذا يزول الاشكال الذي يورده كثير من الناس على قوله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ويجيب عنه كثير منهم بانه لن يجعل لهم عليهم سبيلا في الآخرة ويجيب آخرون بانه لن يجعل الله لهم عليهم سبيلا في الحجة والتحقيق ان انتفاء السبيل عن اهل الايمان الكامل واذا ضعف الايمان صار لعدوهم عليهم من السبيل بحسب ما نقص من ايمانهم فهم جعلوا لهم عليهم السبيل بما تركوا من طاعة الله

فصل وأما المقام الثاني فكثير من الناس يظن أن أهل الدين الحق يكونون في الدنيا أذلاء مقهورين
مغلوبين دائما بخلاف من فارقهم ولا يثق بوعد الله بنصر دينه بل إما أن يجعله خاصا بطائفة دون
طائفة أو بزمان دون زمان أو يجعله متعلقا بالمشيئة وإن لم يصرح بها وهذا من عدم الوثوق
بوعد الله ومن سوء الفهم في كتابه والله سبحانه قد بين في كتابه أنه ناصر المؤمنين في الدنيا والآخرة
قال تعالى إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد **وقال تعالى**
ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون **وقال تعالى** إن الذين يحادون
الله ورسوله أولئك في الأذلين كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وهذا كثير في القرآن وقد بين سبحانه
فيه أن ما أصاب العبد من مصيبة أو إدالة عدو صغيرا أو كبيرا فسبب ذلك ذنوبه فبين سبحانه
في كتابه المقدمتين فإذا جمعت بينهما تبين لك حقيقة الأمر وزال الإشكال بالكلية واستغنيت
عن تلك التكلفات الباردة والتأويلات البعيدة فقرر سبحانه المقام الأول بوجوه من التقرير منها
ما تقدم ومنها أنه ذم من يطلب النصر والظفر من غير المؤمنين كقوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى أولياء إلى قوله فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى
أن تصيبنا دائرة إلى قوله ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون فأنكر
على من طلب النصر من غير حزبه وأخبر أن حزبه هم الغالبون ونظير هذا قوله بشر المنافقين بأن لهم
عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة
لله جميعا **وقال تعالى** يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون **وقال** من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه إلى غير ذلك من الآيات وأما في المقام الثاني فقال في قصة أحد
أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم **وقال تعالى**
إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا **وقال** وما أصابكم
من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير **وقال** ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس
ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون **وقال** وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها
وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون **وقال** أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير

ي قال ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك الى غير ذلك

فصل وتمام الكلام في هذا المقام العظيم يبين باصول جامعة نافعة

الاول ان ما يصيب المؤمنين من الشرور والمحن والاذى دون ما يصيب الكفار والواقع شاهد بذلك وكذلك ما يصيب الابرار في هذه الدنيا دون ما يصيب الفجار والفساق والظلمة

الاصل الثاني ان ما يصيب المؤمنين في الله مقرون بالرضاء والاحتساب فان فاتهم الرضاء فمعولهم على الصبر والاحتساب وذلك يخفف عنهم ثقل البلا

الاصل الثالث ان المؤمن اذا اوذي في الله فانه محمول عنه بحسب طاعته واخلاصه ومعان عليه

الاصل الرابع ان المحبة كلما تمكنت في القلب ورسخت كان اذى المحب في رضى محبوبه مستحلى والمحبون يفتخرون بذلك كما قال قائلهم

لئن ساءني ان نلتني بمساءة ؛ لقد سرني اني خطرت ببالك

الاصل الخامس ان ما يصيب الكافر والفاجر من العز والنصر والجاه دون ما يحصل للمؤمنين بل باطن ذلك ذل وكسر قال الحسن انهم وان هملجت بهم البغال وطقطقت بهم النعال فان ذل المعصية في قلوبهم ابى الله الا ان يذل من عصاه .

الاصل السادس ان ابتلاء المؤمن كالدواء له يستخرج منه الادواء ويستعد به لتمام الاجر وعلو المنزلة ومعلوم ان وجود هذا خير للمؤمنين من عدمه ولهذا كان اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاقرب اليهم فالاقرب يبتلى المرء على حسب دينه فان كان في دينه صلابة شدد عليه البلاء وان كان في دينه رقة خفف عنه ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على وجه الارض وما عليه سيئة

الاصل السابع انما يصيب المؤمن في هذه الدار من ادالة عدوه عليه وغلبته له في بعض الاحيان امر لازم لابد منه وهو كالحر الشديد والبرد الشديد والامراض والهموم والغموم لازم للطبيعة والنشأة الانسانية في هذه الدار حتى الاطفال والبهائم لما اقتضته حكمة احكم الحاكمين فلو تجرد الخير في هذا عن الشر لكان عالما غير هذا ونشأةً اخرى غير هذه النشأة وفاتت الحكمة التي مزج لاجلها بين الخير والشر وانما يكون تخليص هذا عن هذا وتمييزه في دار غير هذه الدار كما قال تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في

هم اولئك هم الخاسرون

الاصل الثامن ان ابتلاء المؤمنين بغلبة عدوهم لهم وقهرهم وكسرهم لهم احيانا فيه حكم عظيمة لا يعلمها على التفصيل الا الله فمنها استخراج عبوديتهم وذلهم وانكسارهم له وافتقارهم اليه وسؤاله نصرهم على اعدائهم ولو كانوا دائما منصورين قاهرين لبطروا واشروا والجمع لهم بين كونهم غالبين تارة وكونهم مغلوبين تارة واذا غلبوا تضرعوا الى ربهم وانابوا اليه واذا غلبوا اقاموا دينه وشعائره وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ومنها انهم لو كانوا دائما منصورين لدخل معهم من ليس قصده الدين ومتابعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وانما انضاف لاجل الغلبة والعزة ولو كانوا مقهورين مغلوبين دائما لم يدخل معهم احد فاقتضت الحكمة الالهية ان كانت لهم الدولة تارة وعليهم تارة فيتميز بذلك من يريد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ومن ليس له مراد الا الدنيا والجاه ومنها انه سبحانه يحب من عباده تكميل عبوديته على السراء والضراء وفي حال العافية والبلاء وله سبحانه على العباد في كلتا الحالتين عبودية بمقتضى تلك الحال لا تحصل الا بها ولا يستقيم القلب بدونها كما لا تستقيم الابدان الا بالحر والبرد والجوع والعطش والتعب والنصب واضدادها ومنها ان امتحانهم بادالة عدوهم عليهم يمحصهم ويخلصهم كما قال تعالى في حكمة ادالة الكفار يوم احد ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين الى قوله وسيجزي الله الشاكرين فذكر سبحانه انواعا من الحكم التي لاجلها اديل عليهم الكفار بعد ان ثبتهم وقواهم وبشرهم بانهم الاعلون بما اعطوا من الايمان وسلاهم بانهم وان مسهم القرح في طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقد مس اعداءهم القرح في عداوته وعداوة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ثم اخبرهم انه بحكمته سبحانه يجعل الايام دولا بين الناس فيصيب كلا منهم نصيبه منها كالارزاق والآجال ثم اخبرهم انه فعل ذلك ليعلم المؤمنين منهم وهو سبحانه بكل شيء عليم قبل كونه وبعد كونه ولكنه اراد ان يعلمهم موجودين مشاهدين فيعلم ايمانهم واقعا ثم اخبر سبحانه انه يحب ان يتخذ منهم شهداء فان الشهادة درجة عالية ومنزلة رفيعة لا تنال الا بالقتل في سبيله ثم اخبر سبحانه انه يريد تمحيص المؤمنين اي تخليصهم من ذنوبهم بالتوبة والرجوع اليه وانه يريد ان يمحق الكافرين ببغيهم وطغيانهم وعدوانهم اذا انتصروا ثم انكر عليهم حسبانهم دخول الجنة بغير جهاد ولا صبر ان

حكمته يابى ذلك

الاصل التاسع انه سبحانه انما خلق السموات والارض وخلق الموت والحيوة وزين الارض بما عليها ابتلاء لعباده ليعلم من يريده ويريد ما عنده ممن يريد الدنيا وزينتها **قال تعالى** وهو الذي خلق السموات والارض وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا **وقال** انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا الى غير ذلك من الايات والامتحان لابد منه للمؤمن والكافر فالمؤمن ليتبين هل هو صادق في ايمانه وغير المؤمن يمتحن في الاخرة بالعذاب وهي اعظم المحنتين هذا ان سلم من امتحانه بعذاب الدنيا ومصائبها فلابد من المحنة في هذه الدار وفي البرزخ وفي القيامة لكل احد ولكن المؤمن اخف محنة واسهل بلية فان الله يدفع عنه بالايمان ويرزقه من الصبر والثبات والرضاء والتسليم ما يهون محنته واما الكافر والفاجر فتشتد محنته وبليته وتدوم

الاصل العاشر هو ان الانسان مدني بالطبع لابد له ان يعيش مع الناس والناس لهم ارادات واعتبارات يطلبون منه ان يوافقهم عليها فان لم يوافقهم اذوه وعذبوه وان وافقهم حصل له الاذى والعذاب من وجه فلابد من الناس ومخالطتهم ولا ينفك عن موافقتهم او مخالفتهم وفي الموافقة الم وعذاب اذا كانت على باطل وفي المخالفة الم وعذاب ان لم يوافق اهواءهم ولاريب ان الم المخالفة لهم في باطلهم اسهل وايسر من الالم المرتب على موافقتهم واعتبر هذا بمن يطلبون منه الموافقة على ظلم او فاحشة او شهادة زور او المعاونة على محرم فان لم يوافقهم اذوه وظلموه وعادوه لكن تكون له العاقبة والنصر عليهم ان صبر واتقى وان وافقهم فرارا من الم المخالفة اعقبه ذلك من الالم اعظم مما فر منه والغالب انهم يسلطون عليه فينال من الالم اضعاف ما ناله من اللذة اولا بموافقتهم فمعرفة هذا ومراعاته من انفع ما للعبد فالم يسير يعقب لذة عظيمة دائمة اولى بالاحتمال من لذة يسيرة يعقبها الم عظيم دائم

الاصل الحادي عشر ان البلاء الذي يصيب العبد في الله لا يخرج عن اربعة اقسام في نفسه او في ماله او في عرضه او في اهله ومن يحب والذي في نفسه قد يكون بتلفها وبتالمها واشد هذه الاقسام المصيبة في النفس ومن المعلوم ان الخلق كلهم يموتون وغاية هذا المؤمن ان يستشهد في الله وتلك اشرف الموتات واسهلها فانه لا يجد الشهيد من الالم الا مثل الم القرصة

وليس في قتل الشهيد مصيبة زائدة على ما هو معتاد لبني آدم فمن عد مصيبة هذا القتل أعظم
من مصيبة الموت على الفراش فهو جاهل ولكن الفار يظن أنه بفراره يطول عمره فيتمتع بالعيش
وقد أكذب الله هذا الظن حيث يقول قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون
إلا قليلا إذ لا بد من الموت فيفوته لهذا القتل ما هو خير منه وأنفع من حياة الشهيد عند ربه
ثم قال قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا
وإذا كان هذا في مصيبة النفس فكذلك الأمر في مصيبة المال والعرض والبدن فإن من بخل
بماله أن ينفقه في سبيل الله وإعلاء كلمته سلبه الله إياه أو قيض له إنفاقه فيما لا ينفعه دنيا ولا أخرى
بل فيما يعود عليه بمضرته عاجلا وآجلا وإن حبسه وادخره منعه التمتع به ونقله إلى غيره فيكون له
مهنأة وعلى مخلفه وزره وكذلك من رفه بدنه وعرضه وآثر راحته على التعب لله وفي سبيله
أتعبه الله سبحانه أضعاف ذلك في غير سبيله ومرضاته وهذا أمر يعرفه الناس بالتجارب
قال أبو حازم لما يلقى الذي لا يتقي الله من معالجة الخلق أعظم مما يلقى الذي يتقي الله من معالجة
التقوى واعتبر ذلك بحال إبليس فإنه امتنع من السجود لآدم فرارا من أن يخضع له ويذل وطلب
إعزاز نفسه فصيره الله أذل الأذلين وجعله خادما لأهل الفسوق والفجور من ذريته فلم يرض
بالسجود له ورضي أن يخدم هو وبنوه فساق ذريته وكذلك عباد الأصنام أنفوا أن يتبعوا رسولا
من البشر ورضوا أن يعبدوا إلها من الأحجار وكذلك كل من امتنع أن يذل لله أو يبذل ماله في
مرضاته أو يتعب نفسه في طاعته لا بد أن يذل لمن لا يسوى ويبذل له ماله ويتعب نفسه
وبدنه في طاعته ومرضاته عقوبة له كما قال بعض السلف من امتنع أن يمشي مع أخيه خطوات
في حاجته أمشاه الله أكثر منها في غير طاعته

فصل في خاتمة لهذا الباب هي الغاية المطلوبة وجميع ما تقدم كالوسيلة إليها

وهي أن محبة الله سبحانه والأنس به والشوق إلى لقائه والرضا به وعنه أصل الدين وأصل
أعماله وإرادته كما أن معرفته والعلم بأسمائه وصفاته وأفعاله أجل علوم الدين فمعرفته أجل المعارف
وإرادة وجهه أجل المقاصد وعبادته أشرف الأعمال والثناء عليه بأسمائه وصفاته ومدحه
وتمجيده أشرف الأقوال وذلك أساس الحنيفية ملة إبراهيم وقد قال تعالى ثم أوحينا إليك

ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين فكان النبي صلى الله عليه واله وسلم يوصي اصحابه اذا اصبحوا ان يقولوا اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه واله وسلم وملة ابينا ابراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين فمحبته سبحانه بل كونه احب الى العبد من كل ما سواه على الاطلاق من اعظم واجبات الدين واكبر اصوله واجل قواعده ومن احب معه مخلوقا مثل ما يحبه فهو من الشرك الذي لا يغفر لصاحبه ولا يقبل معه عمل **قال تعالى**

ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله واذا كان العبد لا يكون من اهل الايمان حتى يكون عبده ورسوله احب اليه من نفسه واهله وولده ووالده والناس اجمعين ومحبته تبع لمحبة الله فما الظن بمحبته سبحانه وهو سبحانه لم يخلق الانس والجن الا لعبادته التي تتضمن كمال محبته وكمال تعظيمه والذل له ولاجل ذلك ارسل رسله وانزل كتبه وكما انه سبحانه ليس كمثله شيء فليس كمحبته واجلاله وخوفه محبة واجلال ومخافة فالمخلوق كلما خفته استوحشت منه وهربت منه والله سبحانه كلما خفته انست به وفررت اليه والمخلوق يخاف ظلمه وعدوانه والرب سبحانه انما يخاف عدله وقسطه وكذلك المحبة فان محبة المخلوق اذا لم تكن لله فهي عذاب للمحب ووبال عليه وما يحصل له بها من التألم اعظم مما يحصل من اللذة وكلما كانت ابعد عن الله سبحانه كان المها وعذابها اعظم هذا الى ما في محبته من الاعراض عنك والتجني عليك وعدم الوفاء لك اما لمزاحمة غيرك من المحبة له واما لكراهته ومعاداته لك واما لاشتغاله عنك بمصالحه وما هو احب اليه منك واما لغير ذلك من الآفات واما محبة الرب سبحانه فشانها غير هذا الشان فانه لا شيء احب الى القلوب من خالقها فمحبته نعيم النفوس وحيوة الارواح وقرة العيون وعمارة الباطن فليس عند القلوب السليمة والارواح الطيبة والعقول الزاكية احلى ولا الذ ولا اطيب ولا اسر ولا انعم من محبته والانس به والشوق الى لقائه والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة والنعيم الذي يحصل له بذلك اتم من كل نعيم كما اخبر بعض الواجدين عن حاله بقوله انه ليمر بالقلب اوقات اقول فيها ان كان اهل الجنة في مثل هذا انهم لفي عيش طيب وقال آخر انه ليمر بالقلب اوقات يهتز فيها طربا بانسه بالله وحبه له وقال آخر مساكين اهل الغفلة خرجوا من الدنيا وما ذاقوا اطيب ما فيها وقال آخر لو علم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف ووجدان هذه الامور

ودرجة أهم عن غيره شعبة وصعبا إن نقصت إدراك حال المحبوب في القرب منه وكلما كانت المحبة أكمل وإدراك المحبوب

أمر القرب منه أدرك كانت الحلاوة واللذة والسرور والنعيم أقوى فالعبد لا يجد ولا يصل إلا بالعبادة لربه ولو حصل

له جميع ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن إليها بل لا يزيده إلا فاقة وقلقا حتى يظفر بما خلق له

من كون الله سبحانه وحده نهاية مراده وغاية مطالبه فإن فيه فقرا ذاتيا إلى ربه من حيث

هو محبوبه ومعبوده كما أن فيه فقرا ذاتيا إليه من حيث هو ربه وخالقه ورازقه ومدبره فكلما

تمكنت محبة الله من القلب وقويت فيه أخرجت تألهه لما سواه وعبوديته له فأصبح حرا عبده

وصيانة على وجه إرادة وصيانة وما من مؤمن إلا وفي قلبه محبة لله وطمأنينة بذكره وتنعم

بمعرفته وشوق إلى لقائه وأنس بقربه وإن لم يحس به لاشتغال قلبه بغيره وانصرافه إلى ما هو

مشغول به فقوة ذلك وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه فالعبد في حال معصيته واشتغاله

عنه بشهوته تكون تلك اللذة والحلاوة الإيمانية قد استترت وتوارت أو نقصت أو ذهبت

فإنها لو كانت موجودة كاملة لما قدم عليها لذة وشهوة لا نسبة بينها وبينها بوجه ما بل هي أدنى من حبة

خردل بالنسبة إلى الدنيا وما فيها ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يزني الزاني حين يزني

وهو مؤمن فإن نور حقيقة الإيمان ومباشرته لقلبه يمنعه من أن يؤثر عليه ذلك القدر

الخسيس ويبقاه عما يتعبه وينقصه ولهذا أحسن العبد إذا كان مخلصا له مقبلا إليه مطمئنا

بذكره مشتاقا إلى لقائه قلبه منصرفا عن هذه المحرمات لا يلتفت إليها ولا يعول عليها ويرى استبداله

بها كاستبدال العر الخسيس بالجوهر النفيس ودفعه المسك بالرجيع

فصل في بيان كيد الشيطان لنفسه قبل كيده للأبوين

ثم لم يقتصر على ذلك حتى كاد ذريته نفسه وذرية آدم فكان مشؤوما على نفسه وعلى ذريته

وأوليائه وأهل طاعته من الجن والإنس أما كيده لنفسه فإن الله سبحانه لما أمره بالسجود

لآدم كان في امتثال أمره وطاعته سعادته وفلاحه فسولت له نفسه أن في سجوده لآدم غضاضة

عليه وهضما إذ يخضع ويقع ساجدا لمن خلق من طين وهو مخلوق من نار والنار بزعمه أشرف

من الطين فقارن ذلك حسده لآدم على ما خصه الله به من أنواع الكرامة فإنه خلقه بيده ونفخ

فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وميزه بذلك عن الملائكة وأسكنه جنته

وكان عدو الله يطيف به وهو صلصال كالفخار فيعجب منه ويقول لامر عظيم قد خلق هذا ولئن سلط علي لاعصينه ولئن سلطت عليه لاهلكنه فلما ان خلق آدم في احسن تقويم واجمل صورة وكملت محاسنه الباطنة بالعلم والحلم والوقار وتولى الله سبحانه خلقه بيده فجاء في احسن خلق واتم صورة طوله في السماء ستون ذراعا قد البس رداء الجمال والحسن والمهابة والبهاء فرأت الملائكة منظرا لم يشاهدوا احسن منه ولا اجمل فوقعوا سجودا له بامر ربهم تبارك وتعالى فشق الحسود قميصه من دبر واشتعلت في قلبه نيران الحسد فعارض النص بالمعقول بزعمه كفعل اوليائه من المبطلين وقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين اعتراضا على حكمة ربه وامتنع من السجود فجمع بين الجهل والظلم والكبر والحسد والمعصية ومعارضة النص بالرأي والعقل فاهان نفسه كل الاهانة من حيث اراد تعظيمها ووضعها من حيث اراد رفعتها واذلها من حيث اراد عزها ففعل بنفسه ما لو اجتهد اعظم اعدائه في مضرته لم يبلغ منه ذلك المبلغ ومن كان هذا غشه لنفسه فكيف يسمع منه العاقل ويقبل ويواليه قال تعالى

واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا

فصل واما كيده للابوين

فقد قص الله علينا قصته معهما وانه لم يزل يخدعهما ويمنيهما الخلود في الجنة حتى حلف لهما بالله جهد يمينه انه ناصح لهما حتى اطمأنا الى قوله واجاباه الى ما طلب منهما فجرى عليهما من المحنة والخروج من الجنة ما جرى ورد الله كيده وتدارك الابوين برحمته ومغفرته فاعادهما الى الجنة وعاد عاقبة مكره عليه ولا يحيق المكر السيء الا باهله وظن عدو الله ان الغلبة والظفر له في هذا الحرب ولم يعلم بكمين جيش ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ولا باقبال دولة ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وظن اللعين بجهله ان الله سبحانه يتخلى عن صفيه وحبيبه الذي خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته وعلمه اسماء كل شيء من اجل اكلة اكلها وما علم ان الطبيب قد علم المريض الدواء قبل المرض فلما احس المريض بادر الى استعمال الدواء ثم كاد احد ولدي آدم ولم يزل يتلاعب به حتى قتل اخاه واسخط اباه وعصى مولاه

سن القتل به فقال العوس وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما من نفس تقتل
ظلما الا كان على ابن ادم كفل من دمها لانه اول من سن القتل ثم جرى الامر على السداد
والامة واحدة والدين واحد فقال تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا قال
سعيد عن قتادة كان بين ادم ونوح عشرة قرون كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق ثم اختلفوا
ومثله عن ابن عباس وهو الصحيح في الاية وقد روي عن ابن عباس كانوا كفارا وهذا قول الحسن
وعطاء وهو منقطع عن ابن عباس والصحيح عنه خلافه وكان اول ما كاد به عباد الاصنام من جهة
العكوف على القبور وتصاوير اهلها ليتذكروهم بها كما قال تعالى وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن
ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا قال البخاري في صحيحه عن ابن عباس هذه اسماء رجال صالحين من قوم نوح لما
هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى
اذا هلك اولئك ونسخ العلم عبدت وقال ابن جرير عن محمد بن قيس قال كانوا قوما صالحين من بني ادم وكان لهم
اتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال اصحابهم لو صورناهم كان اشوق لنا الى العبادة اذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء
اخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم وقال هشام بن محمد بن السائب الكلبي
اخبرني ابي قال اول ما عبدت الاصنام ان ادم لما مات جعله بنو شيث ابن ادم في مغارة في الجبل
الذي اهبط اليه ادم بارض الهند يقال للجبل نود وهو اخصب جبل في الارض قال هشام فاخبرني
ابي عن ابي صالح عن ابن عباس قال فكان بنو شيث يأتون جسد ادم في المغارة فيعظمونه ويترحمون
عليه فقال رجل من بني قابيل يا بني قابيل ان لبني شيث دوارا يدورون حوله ويعظمونه وليس لكم
شيء فنحت لهم صنما فكان اول من عملها قال هشام فاخبرني ابي قال كان ود وسواع ويغوث ويعوق
ونسر قوما صالحين فماتوا في شهر فجزع عليهم ذوو اقاربهم فقال رجل من بني قابيل يا قوم هل لكم
ان اعمل لكم خمسة اصنام على صورهم غير اني لا اقدر ان اجعل فيها ارواحا قالوا نعم فنحت لهم خمسة
اصنام ونصبها لهم وكان الرجل يأتي اخاه وعمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن وكانت
عملت على عهد يرد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث بن ادم ثم جاء قرن اخر فعظموهم اشد من
تعظيم القرن الاول ثم جاء من بعدهم القرن الثالث فقالوا ما عظم اولونا هؤلاء الا وهم يرجون شفاعتهم
عند الله فعبدوهم واستحكم كفرهم فبعث الله اليهم ادريس بن يرد فدعاهم فكذبوه ورفعه مكانا عليا

ولم يزل امرهم يشتد كما قال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس حتى ادرك نوح فبعثه الله نبيا وهو يومئذ ابن اربعمائة سنة وثمانين سنة فدعاهم الى الله في نبوته عشرين ومائة سنة فعصوه وكذبوه فامره الله ان يصنع الفلك ففرغ منها وركبها وهو ابن ستمائة سنة وغرق من غرق ومكث بعد ذلك ثلثمائة سنة وخمسين سنة فكان بين ادم ونوح الفا سنة ومائتا سنة فاهبط الماء هذه الاصنام من ارض الى ارض حتى قذفها الى ارض جدة فلما نضب الماء بقيت على الشط فسفت الريح عليها حتى واريها قلت ظاهر القرآن يدل على خلاف هذا ان نوحا لبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما وان الله اهلكهم بالغرق بعد ان لبث فيهم هذه المدة قال الكلبي وكان عمرو بن لحي كاهنا وله رئي من الجن فقال له عجل السير والظعن من تهامة بالسعد والسلامة إئت جدة تجد فيها اصناما معدة فاوردها تهامة ولا تهب ثم ادع العرب الى عبادتها تجب فاتى جدة فاستثارها فحملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعا العرب الى عبادتها قاطبة فاجابه عوف ابن عذرة بن زيد اللات فدفع اليه ودا فحمله وكان بوادي القرى بدومة الجندل وسمى ابنه عبد ود فهو اول من سمي به وجعل عوف ابنه عامرا سادنا فلم يزل بنوه يسدنونه حتى جاء الله بالاسلام قال الكلبي فحدثني مالك ابن حارثة انه رأى ودا قال وكان ابي يبعثني باللبن اليه فيقول اسقه الهك فاشربه قال ثم رايت خالد بن الوليد كسره فجعله جذاذا وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث خالد بن الوليد لهدمه فحالت بينه وبين هدمه بنو عذرة وبنو عامر فقاتلهم فقتلهم وهدمه وكسره قال الكلبي فقلت لعامر بن حارثة صف لي ودا حتى كاني انظر اليه قال كان تمثال رجل كاعظم ما يكون من الرجال قد ذبر اي نقش عليه حلتان متزر بحلة مرتد باخرى عليه سيف قد تقلده وقد تنكب قوسا وبين يديه حربة فيها لواء وقصة فيها نبل يعني جعبة واجابت عمرو بن لحي مضر ونزار فدفع الى رجل من هذيل يقال له الحرث ابن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر سواعا كان بارض يقال لها رهاط من بطن نخلة يسدنه من يليه من مضر وفي ذلك يقول رجل من العرب تراهم حول قبلتهم عكوفا كما عكفت هذيل على سواع واجابته مذحج فدفع الى انعم بن عمرو المرادي يغوث وكان باكمة باليمن يعبده مذحج ومن والاها واجابت همدان فدفع الى مالك بن مرثد ابن خيران يعوق وكان بقرية يقال لها خيوان يعبده همدان ومن والاها من اليمن واجابت حمير فدفع الى رجل من ذي رعين يقال له معد يكرب نسرا وكان بموضع

من ساعتان له فلم يعبده غيره من والاشا ولم يزل يعبدونه حتى هدمه ذو وامن ثم لم تزل
هذه الأصنام تعبد حتى بعث الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهدمها وكسرها وفي صحيح البخاري
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه
في النار وكان أول من سيب السوائب وفي لفظ وغير دين إبراهيم وقال ابن إسحاق حدثني محمد بن
إبراهيم بن الحارث التيمي أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يقول لأكثم بن الجون الخزاعي يا أكثم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف
يجر قصبه في النار فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ولا بك منه فقال أكثم عسى أن يضرني
شبهه يا رسول الله قال لا إنك مؤمن وهو كافر إنه كان أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان
وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي قال ابن هشام وحدثني بعض أهل العلم
أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره فلما قدم مآب من أرض البلقاء وبها
يومئذ العماليق وهم ولد عملاق بن لاود بن سام بن نوح رآهم يعبدون الأصنام
فقال لهم ما هذه الأصنام التي تعبدون فقالوا نستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال
أفلا تعطوني منها صنما فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به
مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه قال هشام وحدثني أبي وغيره أن إسماعيل لما سكن مكة
وولد له بها أولاده فكثروا حتى ملأوا مكة ونفوا من كان بها من العماليق ضاقت عليهم مكة ووقعت
بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضا فتفسحوا في البلاد لالتماس المعاش وكان الذي
حملهم على عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل حجرا من حجارة الحرم
تعظيما للحرم وصبابة بمكة فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالبيت حبا للبيت وصبابة
به وهم على ذلك يعظمون البيت ومكة ويحجون ويعتمرون على إرث إبراهيم وإسماعيل ثم عبدوا
ما استحسنوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما
كانت عليه الأمم من قبلهم واستخرجوا ما كان يعبد قوم نوح وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم
وإسماعيل يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف بعرفة والمزدلفة
وإهداء البدن وكانت نزار تقول في إهلالها لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه

وما سلك وكان اول من غيّر دين اسمعيل فنصب الاوثان وسيّب السائبة ووصل الوصيلة وحمى
الحامي عمرو بن ربيعة وهو لحي بن حارثة وهو ابن خزاعة وكانت ام عمرو فهيرة بنت عامر بن الحرث
وكان الحرث هو الذي يلي امر الكعبة فلما بلغ عمرو بن لحي نازعه في الولاية وقاتل جرهم
بني اسمعيل فظفر بهم واجلاهم عن الكعبة ونفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة البيت ثم انه مرض
مرضا شديدا فقيل له ان بالبلقا من الشام حمة ان اتيتها برأت فاتاها فاستحم فيها فبرأ ووجد اهلها
يعبدون الاصنام فقال ما هذه فقالوا نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو فسألهم ان يعطوه
منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة واتخذت العرب الاصنام وكان اقدمها مناة وكان
منصوبا على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين مكة والمدينة وكانت العرب جميعها تعظمه وكانت
الاوس والخزرج ومن ينزل المدينه ومكة وما قارب من المواضع يعظمونه ويذبحون له ويهدون
له ولم يكن احد اشد اعظاما له من الاوس والخزرج قال هشام وحدثنا رجل من قريش عن ابي عبيدة
بن عبد الله بن ابي عبيدة عن محمد بن عمار بن ياسر قال كانت الاوس والخزرج ومن جاورهم من عرب
اهل يثرب وغيرها يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رؤسهم فاذا نفروا اتوه
فحلقوا عنده رؤسهم واقاموا عنده لا يرون لحجهم تماما الا بذلك وكانت مناة لهذيل وخزاعة
فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا كرم الله وجهه فهدمها عام الفتح ثم اتخذوا اللات
بالطائف وهي احدث من مناة وكانت صخرة مربعة وكانت سدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها
وكانت قريش وجميع العرب تعظمها وبها كانت العرب تسمي زيد اللات وتيم اللات وكانت في موضع
منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم فلم تزل كذلك حتى اسلمت ثقيف فبعث رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار ثم اتخذوا العزى وهي احدث من اللات اتخذها
ظالم بن اسعد فكانت بوادي نخلة في ذات عرق وبنوا عليها بيتا وكانوا يسمعون منه الصوت
قال هشام وحدثني ابي عن ابي صالح عن ابن عباس قال كانت العزى شيطانة تاتي ثلاث سمرات
ببطن نخلة فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة بعث خالد بن الوليد فقال ائت بطن
نخلة فانك ستجد ثلاث سمرات فاعضد الاولى فاتاها فعضدها فلما جاء اليه قال رايت شيئا قال
لا قال فاعضد الثانية فاتاها فعضدها ثم اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال هل رايت شيئا

قال لا فقال اعضد الثالثة فاتاها فاذا هو بحبشية نافشة شعرها واضعة يديها على عاتقها تصرف بانيابها وخلفها دبية فقال خالد كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك ثم ضربها ففلق راسها فاذا هي حممة ثم عضد الشجرة وقتل سادنها ثم اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاخبره فقال تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب قال هشام وكانت لقريش اصنام في جوف الكعبة وحولها واعظمها عندهم هبل وكان فيما بلغني من عقيق احمر على صورة الانسان مكسور اليد اليمنى ادركته قريش كذلك فجعلوا له يدا من ذهب وكان اول من نصبه خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وكان في جوف الكعبة وكان قدامه سبعة اقداح مكتوب في اولها صريح وفي الآخر ملصق فاذا شكوا في مولود اهدوا له هدية ثم ضربوا بالقداح فان خرج صريح الحقوه وان خرج ملصق دفعوه وكانوا اذا اختصموا في امر او ارادوا سفرا اتوه فاستقسموا بالقداح عنده وهو الذي قال له ابو سفيان يوم احد اعل هبل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قولوا الله اعلى واجل وكان لهم اساف ونائلة وهما رجل وامرأة فعلا الفاحشة في البيت فمسخهما الله حجرين فوضعا عند البيت ليتعظ بهما الناس فلما طال مكثهما وعبدت الاصنام عبدا معها واصنام كثيرة لدوس وبني الحارث وقضاعة ومزينة وطي وخولان وكان لبني ملكان صنم يسمى سعدا واتفقت له قصة مع رجل من بني ملكان قصده فنفرت منه ابله في كل وجهة فغضب ورماه بحجر وانشد

اتينا الى سعد ليجمع شملنا … فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد الا صخرة بتنوفة … من الارض لا يدعو لغي ولا رشد

وكان لعمرو بن الجموح صنم يعبده في داره فلما اسلم جماعة من قومه كانوا يدلجون على ذلك الصنم فيطرحونه في بعض العذرات فيلتمسه ثم يغسله ويطيبه فاذا امسى وناموا فعلوا معه شيئا من ذلك فلما كان ذات ليلة علق عليه سيفا وقال له امتنع بهذا السيف ان كان فيك خير فلما امسى عدوا عليه واخذوا السيف من عنقه ثم اخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل والقوه في بئر فلما رآه لا يدفع عن نفسه دعاه ذلك الى الاسلام وقال في ذلك شعر والله لو كنت الها لم تكن + انت وكلب وسط بئر في قرن + الى آخر ابيات له

فصل وتلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الاصنام له

له اسباب عديدة يلاعب بكل قوم على قدر عقولهم فطائفة دعاهم الى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صوروا تلك الاصنام على قبورهم ولهذا لعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم المتخذين على القبور المساجد والسرج ونهى عن الصلوة على القبور وسأل ربه سبحانه ان لا يجعل قبره وثنا يعبد ونهى امته ان يتخذوا قبره عيدا وقال اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وامر بتسوية القبور وطمس التماثيل فأبى المشركون الا خلافه في ذلك كله اما جهلا واما عنادا لاهل التوحيد وهذا السبب هو الغالب على عوام المشركين واما خواصهم فانهم اتخذوها بزعمهم على صور الكواكب المؤثرة في العالم عندهم وجعلوا لها بيوتا وسدنة فمنها بيت على راس جبل باصبهان ومنها ثلاثة بيوت بصنعاء بناها بعض المشركين على اسم الزهرة فخربها عثمان بن عفان ومنها بيت بناه قابوس الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة فخربه المعتصم واشد الامم في هذا النوع الهند قال يحيى بن بشر ان شريعة الهند وضعها لهم رجل يقال له برهمن ووضع له اصناما وجعل اعظم بيوتها بيتا بمدينة من مدائن السند وجعل فيه صنمهم الاعظم وزعم انه بصورة الهيولى الاكبر وفتحت هذه المدينة في ايام الحجاج فاراد المسلمون قلع الصنم فقيل ان تركتموه جعلنا لكم ثلث ما يجتمع له من المال فامر عبد الملك بتركه والهند يحج اليه من نحو الفي فرسخ ولا بد لمن يحجه ان يحمل معه من النقد ما يمكنه من مائة الى عشرة الاف فيلقيه في صندوق عظيم هناك واهل هذا المذهب من مشركي الصابئة وهم الذين ناظرهم ابراهيم في بطلان الشرك وكسر حجتهم بعلمه واصنامهم بيده وهم مذهب قديم واطوائف شتى منهم من يعبد الشمس ويزعم انها ملك من الملائكة لها نفس وعقل وهي اصل نور القمر والكواكب والموجودات السفلية كلها منها واتخذوا لها صنما بيده جوهرة على لون النار وله بيت خاص له وقوف كثيرة من القرى والضياع وله سدنة وحجبة يأتون البيت ويصلون فيه ويستشفون به فاذا طلعت الشمس سجدوا كلهم لها وكذا اذا غربت او توسطت في الفلك ولهذا يقارنها الشيطان في هذه الاوقات ليقع عبادتهم وسجودهم له ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن تحري الصلوة في هذه الاوقات وطائفة اخرى اتخذت للقمر صنما وزعموا انه المدبر للعالم السفلي ومنهم من يعبد اصناما اتخذ على صور الكواكب وروحانيتها بزعمهم ومتى اردت الوقوف على هذا فانظر في كتاب السر المكتوم في مخاطبة النجوم المنسوب الى ابن خطيب الري تعرف سر عبادة الاصنام وكيفية تلك العبادة وشرائطها

ومن اسباب عبادتها ايضا ان الشياطين تدخل فيها وتخاطبهم منها وتخبرهم ببعض المغيبات فجهلتهم يظنون ان الصنم نفسه هو المتكلم وعقلاؤهم يقولون تلك روحانيات الاجرام العلوية وهؤلاء هم اكثر اهل الارض ولذا صح عنه صلى الله عليه واله وسلم ان بعث النار من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون

فصل ومن اسباب عبادة الاصنام الغلو في المخلوق واعطاؤه فوق منزلته حتى جعل فيه حظ من الالهية وشبه بالله تعالى وهذا هو التشبيه الذي ابطله الله وبعث رسله بانكاره والرد على اهله فهو سبحانه ينفي وينهى ان يجعل غيره مثلا له وندا له لا ان يشبه هو بغيره اذ ليس في الامم المعروفة امة جعلته سبحانه مثلا لشيء من مخلوقاته وانما المعروف في طوائف اهل الشرك الغلو فيمن يعظمونه بتشبيهه بالخالق بل جعلوه شريك الاله وانه المعبود الذي يرجى ويخاف وكل مشرك فهو مشبه لالهه ومعبوده بالله سبحانه وان لم يشبهه به من كل وجه حتى ان الذين وصفوه بالنقائص والعيوب كقولهم ان الله فقير وان يده مغلولة وانه استراح لما فرغ من خلق العالم والذين جعلوا له ولدا وصاحبة لم يكن قصدهم ان يجعلوا المخلوق اصلا لم يشبهون به الخالق تعالى بل ضموا بهذه الاشياء استقلالا لا قصدا ان يكون غيره اصلا يشبهونه ولما كان وصفه سبحانه بهذه الامور من ابطل الباطل لكونها في نفسها نقائص وعيوبا لا من جهة البطلان في اتصافه بها التشبيه والتمثيل فلا يتوقف في بطلانه على ثبوت انتفاء التشبيه كما زعم بعض اهل الكلام الباطل حيث صرح بانه لا يقوم دليل عقلي على انتفاء النقائص والعيوب عنه وانما ينفى عنه لاستلزامها التشبيه والتمثيل وهؤلاء اذا قال لهم الواصفون لله تعالى بهذه الصفات نحن نثبتها له على وجه لا يماثل فيها خلقه بل نثبت له فقرا وصاحبة وايلادا لا يماثل فيها خلقه كما يثبتون ان له علما وقدرة وحياة وسمعا وبصرا لا يماثل فيه خلقه بقي لنا في هذا الكفر لكم فيما انتم فيه سواء لم يتمكنوا من ابطال قولهم وبين كفرهم في المناظرة فانهم قد اعطوهم انه لا يقوم دليل عقلي على انتفاء النقائص والعيوب وانما ننفي ما ينفى عنه لاجل التشبيه والتمثيل وهؤلاء اثبتوا له صفات على وجه لا يستلزم التشبيه فقال اولئك وهكذا نقول نحن فلما عرف بعضهم ان هذا لازم له لا محالة استروح الى دليل الاجماع وقال انما نفينا النقائص والعيوب عنه بالاجماع وعندهم ان الاجماع ادلته ظنية لا تفيد اليقين فليس عند القوم يقين وقطع بان الله سبحانه منزه عن النقائص والعيوب واهل السنة يقولون ان تنزيهه سبحانه عن العيوب والنقائص واجب لذاته كما ان اثبات صفات الكمال والحمد واجب له لذاته وهو المطرح في العقول

والفطر وجميع الكتب الالهية من كل شيء ومن العجب ان هؤلاء جاؤا الى ما علم بالاضطرار ان الرسل جاؤا به ووصف الله به ودلت عليه العقول والفطر والبراهين فنفوه وقالوا اثباته يستلزم التجسيم والتشبيه فلم يثبت لهم قدم البتة فيما يثبتونه له سبحانه وينفونه عنه وجاؤا الى ما علم بالاضطرار والفطر والعقول وجميع الكتب الالهية من تنزيه الله عن كل نقص وعيب فقالوا ليس في ادلة العقل ما ينفيه وانما ننفيه بما ننفي به التشبيه وليس في الخذلان فوق هذا بل اثبات هذه العيوب والنقائص مضاد لكماله المقدس وهو سبحانه موصوف بما يضادها ويناقضها من كل وجه ونفيها اظهر وابين للعقل من نفي التشبيه فلا يجوز ان نثبت له على وجه لا يشابه فيه خلقه والمقصود انه لم يكن في الامم من مثله بخلقه وجعل المخلوق اصلا ثم شبهه به وانما كان التمثيل والتشبيه في الامم وهذا التشبيه هو اصل عبادة الاصنام فاعرض عنه وعن بيان بطلانه اهل الكلام وصرفوا العناية الى انكار تشبيهه بالخلق الذي لم تعرف امة من الامم عليه وبالغوا فيه حتى نفوا عنه صفات الكمال وهذا موضع مهم نافع جدا يعرف الفرق بين ما نزه الرب سبحانه نفسه عنه وذم به المشركين المشبهين العادلين به خلقه وبين ما تنفيه الجهمية المعطلة من صفات كماله ويزعمون ان القرآن دل عليه والقرآن مملوء من ابطال ان يكون في المخلوقات من يشبه الرب او يماثله فهذا هو الذي قصد بالقرآن ابطاله لما عليه المشركون والمشبهون العادلون بالله غيره **قال تعالى** فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون **وقال** ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا فهؤلاء جعلوا المخلوق مثلا للخالق فالند الشبيه فلان ند فلان ونديده اي مثله وشبهه ومنه قول حسان

اتهجوه ولست له بند　　　فشركما لخيركما الفداء

ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمن قال له ما شاء الله وشئت اجعلتني لله ندا وقال جرير

اانتم تجعلون الي ندا　　　وما انتم لذي حسب نديد

وقد قال الله سبحانه وتعالى فلا تضربوا لله الامثال فنهاهم ان يضربوا امثالا له من خلقه ولم ينههم ان يضربوه هو مثلا لخلقه فان هذا لم يقله احد فان الله اجل واعظم واكبر في نظر الناس كلهم ولكن المشبهون المشركون يفعلون فيمن يعظمونه فيشبهونه بالخالق والله تعالى اجل في صدور جميع الخلق من ان يجعلوا غيره اصلا ثم يشبهونه بغيره فان الذي يشبهه بغيره ان قصد تعظيمه لم يكن في

هذا العظيم لانه مثل لعظم العظما بما هو دونه بل بما ليس بينه وبينه نسبة في العظمة والجلالة وتأمل لا ينحل هذا وان قصد التنقص شبهه بالناقصين المذمومين لا بالكاملين الممدوحين ومن هذا قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد ولم يكن له كفوا احد وكذا قوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير انما قصد به نفي ان يكون معه شريك او معبود يستحق العبادة والتعظيم ولم يقصد نفي صفات كماله وعلوه على خلقه وتكلمه بكتبه وتكليمه لرسله ورؤية المؤمنين له جهرة بابصارهم كما يرى الشمس والقمر في الصحو فانه سبحانه انما ذكر هذا في سياق رده على المشركين الذين اتخذوا من دونه اولياء فقال والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير ام اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه انيب فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فانظر وتأمل كيف ذكر هذا النفي تقريرا للتوحيد وابطالا لما عليه اهل الشرك من تشبيه آلهتهم واوليائهم به حتى عبدوهم فحرفها المحرفون وجعلوها ترسا لهم في نفي صفات كماله وحقائق اسمائه وافعاله

فصل ومن كيده وتلاعبه ما تلاعب بعباد النار حتى اتخذوها الها معبودا وقد قيل ان هذا من عهد قابيل وانه لما قتل اخاه هابيل هرب من ابيه آدم اتاه ابليس فقال له ان هابيل انما قبل قربانه واكلته النار لانه كان يخدمها ويعبدها فانصب انت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت نار فهو اول من نصب النار وعبدها وسرى هذا المذهب في المجوس فبنوا لها بيوتا كثيرة واتخذوا لها الوقوف والسدنة والحجاب ولم يدعوها تخمد لحظة واحدة واتخذ لها افريدون بيتا بطوس وآخر ببخارا واتخذ لها بهمن بيتا بسجستان واتخذ لها ابو قباذ بيتا بناحية بخارا وعباد النار يفضلونها على التراب ويصوبون رأي ابليس وقد رمي بشار بن برد بهذا المذهب لقوله في قصيدته .....

الارض سافلة سوداء مظلمة والنار معبودة مذ كانت النار

ويقولون انها اوسع العناصر حيزا واعظمها جرما واوسعها مكانا واشرفها جوهرا والطفها جسما ولا كون في العالم الا بها ولا نمو ولا انعقاد الا بممازجتها ومنهم من يبلغ عبادتهم لها ان يقربوا انفسهم لها فياتي الرجل بنفسه او بولده فيلبسه احسن الملابس وافخر الحلي ويركب على المراكب وحوله المعازف والطبول فيزف الى النار اعظم من زفاف العروس حتى اذا قابلها طرح نفسه فيها وضج الحاضرون ضجة عظيمة بالدعاء له وغبطة على ما فعل فلا يلبث الا يسيرا حتى ياتيهم الشيطان في صورته لا ينكرون منه شيئا فيوصيهم بالتمسك بهذا الدين وانه لم تمسه من الم النار شيء وصار الى الجنة ونعيم

فصل وطائفة اخرى عبدت الماء وقالت هو اصل كل شيء وبه كل ولادة ونمو وطهارة وعمارة وما من عمل الا يحتاج فيه اليه وتلاعب بعباد الحيوانات فعبد بعضهم الخيل وبعضهم عبد البقر وبعضهم البشر الاحياء والاموات وتلاعب بقوم فعبدوا الشجر وبطائفة فعبدوا الجن كما قال تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون وقال تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم وقال تعالى ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم يعني قد استكثرتم من اضلالهم واغوائهم قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم اضللتم منهم كثيرا فيجيبه اولياؤهم من الانس بقولهم ربنا استمتع بعضنا ببعض يعنون استمتاع كل نوع بالنوع الاخر فاستمتاع الجن بالانس طاعتهم لهم فيما يامرونهم به من الكفر والفسوق والعصيان فان هذا اكثر اغراض الجن من الانس واستمتاع الانس بالجن انهم اعانوهم على معصية الله والشرك به بكل ما يقدرون عليه من التزيين والدعاء وقضاء كثير من حوائجهم واستخدامهم بالسحر والعزائم وغيرها فاطاعهم الانس فيما يرضيهم من الشرك والفواحش واطاعتهم الجن فيما يرضيهم من التاثيرات والاخبار ببعض المغيبات فتمتع كل من الفريقين بالاخر وهذه الآية منطبقة على اصحاب الاحوال الشيطانية كالصوفية ونحوهم الذين يحسبهم الجاهل اولياء الرحمن بما يظهر لهم من الكشوفات والتاثيرات الشيطانية وانما هم اولياء الشيطان يغتر بهم الجاهل فيوالي اعداء الله ويعادي اولياءه

فصل ودين لقوم عبادة الملائكة وتلاعب بالثنوية فعبدوا النور وقالوا الصانع اثنان ففاعل الخير النور وفاعل الشر الظلمة ولهم مقالات في غاية القبح والتناقض ويقرب منهم المجوس يعظمون الانوار والنيران والماء والارض وهم فرق شتى وذكر تلاعبه بالصابئين وهم امة كثيرة وهم ينقسمون الى مؤمن وكافر **قال تعالى** ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر الآية وذكرهم في الامم الاربعة الذين ينقسم كل منهم الى ناج وهالك وذكرهم ايضا في الامم الستة الذين انقسمت جملتهم الى ناج وهالك فقال ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة فذكر الامتين اللتين لا كتاب لهم ولا ينقسمون الى شقي وسعيد وهم المجوس والمشركون في آية الفصل ولم يذكرهما في آية الوعد بالجنة وذكر الصابئين فيهما فعلم ان فيهم الشقي والسعيد وهم قوم ابراهيم واهل دعوته وكانوا بحران فهي دار الصابئة وكانوا قسمين صابئة حنفاء وصابئة مشركين والمشركون منهم يعظمون الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر ويصورونها في هياكلهم ولتلك الكواكب عندهم هياكل مخصوصة وهي المتعبدات الكبار كالكنائس للنصارى والبيع لليهود ولهذه الكواكب عندهم عادات ودعوات مخصوصة ويلبسون لها في تلك الهياكل ويجدون لها اصناما تخصها ويقربون لها القرابين ولها صلوات خمس في اليوم والليلة نحو صلوات المسلمين وطائفة منهم يصومون شهر رمضان ويستقبلون الكعبة ويعظمون مكة ويرون الحج اليها ويحرمون الميتة والدم ولحم الخنزير ويحرمون من القرابات في النكاح ما يحرمه المسلمون وعلى هذا المذهب كان جماعة من اعيان الدولة ببغداد منهم هلال بن المحسن الصابئ صاحب الديوان الانشائي وصاحب الرسائل المشهورة وكان يصوم مع المسلمين ويعيد معهم ويزكي ويحرم المحرمات وكان الناس يتعجبون من موافقته للمسلمين وليس على دينهم واصل دين هؤلاء فيما زعموا انهم يأخذون ديانات العالم ومذاهبهم ويخرجون من قبيح ما هم عليه قولا وعملا ولهذا سموا صابئة اي خارجين فقد خرجوا عن تقيدهم بجملة كل دين وتفصيله الا ما رأوه فيه من الحق ثم منهم من يقر بالنبوات جملة ويتوقف في التفصيل ومنهم من يقر بها جملة وتفصيلا ومنهم من ينكرها جملة وتفصيلا ثم قال المشركون منهم لا سبيل لنا الى الوصول الى جلاله الا بالوسائط فالواجب ان نتقرب اليه

بتوسط الروحانيات القريبة منه وهم الروحانيون والمقربون المقدسون عن المواد الجسمانية فنحن اربابنا وشفعاؤنا فنطهر انفسنا عن الشهوات الطبيعية ونهذب اخلاقنا عن علائق القوى الغضبية حتى تحصل المناسبة بيننا وبين الروحانيات فح نسأل حاجاتنا منهم ونصبو في جميع امورنا اليهم فنحصل لنفوسنا استعدادا واستمدادا من غير واسطة الرسل بل نأخذ من المعدن الذي اخذت منه الرسل قالوا والانبياء امثالنا في النوع وشركاؤنا في المادة يأكلون مما نأكل ويشربون مما نشرب وما هم الا بشر مثلنا يريدون ان يتفضلوا علينا وزادت الاتحادية اتباع ابن عربي وابن سبعين والعفيف التلمساني واحزابهم على هؤلاء بما قاله شيخ الطائفة محمد بن عربي ان الولي اعلى درجة من الرسول لانه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي الى الرسول به حينئذ واخوانهم من المشركين جعلوا انفسهم في ذلك التلقي بمنزلة الانبياء ولم يدعوا انهم فوقهم

فصل في ذكر تلاعبه بالدهرية وهم قوم عطلوا المصنوعات عن صانعها وقالوا ما حكاه الله عنهم ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وهم فرقتان فرقة قالت ان الخالق سبحانه خلق الافلاك متحركة اعظم حركة فدارت عليه فاحرقته ولم يقدر على ضبطها وامساك حركتها وفرقة قالت ان الاشياء ليس لها اول البتة وانما تخرج من القوة الى الفعل فاذا خرج ما كان بالقوة الى الفعل تكونت الاشياء مركباتها وبسائطها من ذاتها لا من شيء اخر وقالوا ان العالم لم يزل ولا يزال لا يتغير ولا يضمحل ولا يجوز ان يكون المبدع يفعل فعلا يبطل ويضمحل الا وهو يبطل ويضمحل مع فعله وهذا العالم هو الممسك لهذه الاجزاء التي فيه وهؤلاء هم المعطلة حقا وقد سرى هذا التعطيل الى سائر فرق المعطلة على اختلاف آرائهم في التعطيل كما سرى داء الشرك في سائر فرق المشركين على اختلاف مذاهبهم فيه وكما سرى جحد النبوة في سائر من جحد النبوة او صفة من صفاتها او اقر بها جملة وجحد مقصودها ولم ينج الا اتباع الرسول العارفون لحقيقة ما جاء به المتمسكون به دون ما سواه ظاهرا وباطنا فداء التعطيل وداء الاشراك وداء مخالفة الرسول وجحد ما جاء به او شيء منه هو منبع كل شر وفساد في العالم وليست فرقة من فرق اهل الالحاد والباطل والبدع الا وفي لها مشاق من هذه الاصول او من بعضها اسهم فان تنج منها تنج من ذي عظيمة + والا فاني لا اخالك ناجيا +

فصل وهذه البلايا ليست عامة لجميع الفلاسفة فان الفلسفة من حيث هي لا تقتضي ذلك

دت معنى صاحب الحكمة والفيلسوف محب الحكمة وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس
مختصا بمن خرج عن ديانات الانبياء وذهب الى ما يقتضيه مجرد العقل في زعمه واخص من ذلك
انه في عرف المتاخرين اسم لاتباع ارسطو وهم الذين هذب ابن سينا طريقتهم وهم فرقة شاذة
من فرق الفلاسفة حتى قيل انه لم يقل من الفلاسفة بقدم الافلاك غير ارسطو واصحابه فاما الاساطين
قبله فكانوا يقولون بحدوثها واثبات الصانع ومباينته للعالم وانه فوق العالم وفوق السموات
بذاته كما حكاه ابو الوليد بن رشد في كتابه مناهج الادلة وهو اعلم الناس في زمانه بمقالاتهم فقال
فيه القول في الجهة واما هذه الصفة فلم يزل اهل الشريعة من اول الامر يثبتونها لله سبحانه حتى
نفتها المعتزلة ثم تبعهم على نفيها متاخرو الاشاعرة كابي المعالي ومن اقتدى بقوله الى ان قال
والشرائع كلها مبنية على ان الله في السماوات منه تنزل الملائكة بالوحي الى النبيين وان من
السموات نزلت الكتب واليها كان الاسراء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وجميع الحكماء قد اتفقوا
على ان الله والملائكة في السماء كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك ثم ذكر تقرير ذلك بالمعقول وبين
بطلان الشبهة التي لاجلها نفتها الجهمية ومن وافقهم الى ان قال فقد ظهر لك من هذا ان اثبات
الجهة واجب بالشرع والعقل وان ابطاله ابطال الشرائع ولم يزل اساطينهم معظمين للرسل والشرائع
معترفين بان ما جاؤا به طور آخر وراء طور العقل وكانوا لا يتكلمون في الالهيات ويحيلون باب الكلام
فيها الى الرسل ويتكلمون على مناهي الرياضيات والطبيعيات ودقايقها وحكى ارباب المقالات ان
اول من عرف منه القول بقدم العالم ارسطو وكان مشركا يعبد الاصنام وله في الالهيات كلام
كله خطأ قد رده عليه طوائف المسلمين حتى الجهمية والمعتزلة والقدرية والرافضة وفلاسفة الاسلام
وانكر ان يعلم الله شيئا من الموجودات وقال لو علم شيئا لكمل بمعلوماته ولم يكن كاملا في نفسه وكان
يلحقه التعب من تصور المعلومات وتبعه من تستر باتباع الرسل وهو منحل من كل ما جاؤا به ويسمى
المعلم الاول لانه اول من وضع لهم التعاليم المنطقية وزعم ارسطو واتباعه ان المنطق ميزان المعاني
كما ان العروض ميزان الشعر وقد بين نظار الاسلام فساد هذا الميزان وعوجه وتخبيطه للاذهان
وصنفوا في رده وتهافته وآخر من صنف في ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية الف في رده وابطاله كتابين
بين فيهما تناقضه وتهافته وفساد كثير من اوضاعه ورايت فيه تصنيفا لابي سعيد

والمقصود ان الملاحدة درجت على اثر هذا المعلم حتى انتهت النوبة الى معلمهم ابي نصر الفارابي فوضع لهم التعاليم الصوتية كما ان المعلم الاول وضع لهم التعاليم الحرفية ثم وسع الفارابي الكلام في صناعة المنطق وشرح فلسفة ارسطو وهذبها والله عند هؤلاء كما قرره افضل متاخريهم وقدوتهم الذي يقدمونه على الرسل ابو علي بن سينا هو الموجود المطلق بشرط الاطلاق وليس له صفة ثبوتية تقوم به ولا يفعل شيئا باختياره ولا يعلم شيئا من الموجودات اصلا ولا يعلم عدد الافلاك ولا شيئا من المغيبات ولا كلام له يقوم به ومعلوم ان هذا انما هو خيال مقدر في الذهن لا حقيقة له وليس هو الرب الذي دعت اليه الرسل وعرفه الامم بل الرب الذي دعت اليه الملاحدة وجردته عن الماهية وعن كل صفة ثبوتية وكل فعل اختياري وانه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلا به ولا مباينا له ولا فوقه ولا تحته ولا امامه ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن شماله وقول هؤلاء الملاحدة اصلح من قول معلمهم ارسطو فان هؤلاء اثبتوا واجبا وممكنا وهو معلول له وصادر عنه صدور المعلول عن علته واما ارسطو فلم يثبته الا من جهة كونه مبدأ عقليا للكثرة وعلة غائية لحركة الفلك فقط وصرح بانه لا يفعل شيئا ولا يفعل باختياره وهذا الذي يوجد في كتب المتاخرين من حكاية مذهبه من وضع ابن سينا فانه قربه من دين الاسلام بجهده وغاية ما امكنه ان قربه من قول غلاة الجهمية واما الايمان بالملائكة فهم لا يعرفون الملئكة ولا يؤمنون بهم وانما الملك عندهم ما يتصوره النبي من اشكال نورانية هي العقول عندهم وهي مجردات ليست داخل العالم ولا خارجه ولا فوق السموات ولا تحتها ولا هي اشخاص تتحرك ولا تصعد ولا تنزل ولا تتكلم ولا تكتب اعمال العباد ولا احساس لها ولا حركة وربما يقرب بعضهم الى الاسلام فقال الملئكة هي القوى الخيرة الفاضلة في العبد والشياطين هي القوى الشرية الردية وكذلك الكتب ليس لله عندهم كلام انزله بواسطة الملك فانه ما قال شيئا ولا يقول ومن يتقرب منهم الى المسلمين يقول الكتب المنزلة فيض فاض من العقل الفعال على النفس المستعدة الفاضلة الزكية فتصورت تلك المعاني وتشكلت في نفسه بحيث توهمها اصواتا وخطابا وربما قوي الوهم حتى يراها اشكالا نورانية تخاطبه وربما قوي الوهم حتى يخيلها لبعض الحاضرين فيرونها ويسمعون خطابها ولا حقيقة لشيء من ذلك في الخارج

والنبوة عندهم ثلاث خصائص من استكملها فهو نبي أحدها قوة الحدس بحيث يدرك
الحد الأوسط بسرعة والثانية قوة التخييل بحيث يتخيل في نفسه أشكالا نورانية تخاطبه ويسمع
الخطاب منها ويخيلها إلى غيره والثالثة قوة التأثير بالتصرف في هيولى العالم وهذا يكون عندهم
بتجرد النفس عن العلائق واتصالها بالمفارقات من العقول والنفوس المجردة وهذه الخصائص
تحصل بالاكتساب ولهذا طلب النبوة من تصوف على مذهبهم كابن سبعين وابن هود
وأمثالهما والنبوة عندهم نوع من السياسة وأكثرهم لا يرضى بها ويقول الفلسفة نبوة الخاصة
والنبوة فلسفة العامة وأما الإيمان باليوم الآخر فهم لا يقرون بانفطار السموات وانتثار
الكواكب وقيامة الأبدان ولا يقرون بأن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام وأوجد
العالم بعد عدمه ولا يعيد أجسادهم وأمثالها

فصل والفلاسفة لا تختص بأمة وإن كان الذين اعتنى الناس بحكاية مقالاتهم فلاسفة
اليونان وهم أمة لهم مملكة وعلماؤهم ولاسيما من ملوكهم الإسكندر المقدوني وهو ابن فيلبس
وليس بالإسكندر ذي القرنين الرجل الصالح الموحد الذي قص الله نبأه في القرآن وبينهما قرون
كثيرة وأما هذا المقدوني فكان مشركا يعبد الأصنام هو وأهل مملكته وكان بينه وبين المسيح نحو ألف
وستمائة سنة وكان أرسطاطاليس وزيره وهو الذي غزا دارا بن دارا ملك الفرس وثل عرشه وفرق
جمعه ثم رحل إلى الصين والهند وبلاد الترك وكان لليونانيين في دولته عز وسطوة بسبب وزيره
أرسطو وشيخهم سقراط أحد تلامذة فيثاغورس وكان من عبادهم ومتألهيهم وجاهرهم بمخالفتهم
في عبادة الأصنام وقابلهم بالحجج والبراهين على بطلان عبادتها فثارت عليه العامة واضطر
الملك إلى قتله وأودعه السجن ليكفهم عنه ثم لم يرض المشركون إلا بقتله فسقاه السم بعد مناظرات
طويلة جرت له معهم وكذلك أفلاطون كان معروفا بالتوحيد وإنكار عبادة الأصنام وإثبات
حدوث العالم وكان تلميذ سقراط ولما هلك سقراط قام مقامه ولكن لم [illegible]
[illegible] وانتهت النوبة في الملاحدة إلى ابن سينا وكان كما أخبر عن نفسه
قال أنا وأبي من أهل دعوة الحاكم فكان من القرامطة الباطنية الذين لا يؤمنون بمبدأ ولا معاد
ويسترون بالتشيع والانتساب إلى أهل البيت ويبطنون الإلحاد وكانوا يقتلون أهل العلم

والايمان ويدعون اهل الاتحاد وفي زمنهم ولخواصهم وضعت رسائل اخوان الصفا ولما انتهت النوبة الى نصير الشرك الطوسي وزير الملاحدة شفا نفسه من اتباع الرسول فعرضهم على السيف فقتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين واستبقى الفلاسفة والمنجمين والسحرة ونقل اوقاف المساجد اليهم ونص في كتبه قدم العالم وبطلان المعاد وانكار صفات الرب من العلم والقدرة ونحوها واتخذ للملاحدة مدارس ورام جعل اشارات امام الملحدين ابن سينا مكان القرآن فلم يقدر على ذلك فقال هي قرآن الخواص وذاك قرآن العوام ورام تغيير الصلوة وجعلها صلوتين فلم يتم له الامر وتعلم السحر في آخر الامر والتعطيل كان متوارثا بين هؤلاء من عهد فرعون الى ان بعث الله عبده ورسوله المسيح فجدد لهم الدين وبين معالمه ودعاهم الى عبادة الله وحده فعادوه وكذبوه ورموه وامه بالعظائم وراموا قتله فرفعه الله اليه وطهره عنهم فاقام الله له انصارا واستقام امرهم على السداد نحو ثلثمائة سنة ثم اخذ دين المسيح في التغيير حتى لم يبق في ايدي النصارى منه شيء حتى كانت لهم مجامع يرومون بها الاجتماع على دين فيفترقون على الاختلاف والتلاعن في الاعتقادات الباطلة وكان فيهم من دين المسيح بقايا كالختان والاغتسال من الجنابة وتعظيم السبت وتحريم الخنزير وتحريم ما حرمته التورية الا ما احل لهم بنصها فآل الامر بعد ذلك الى ان استحلوا الخنزير واحلوا السبت وعوضوا منه الاحد وتركوا الختان والاغتسال من الجنابة وكان المسيح يصلي الى بيت المقدس فصلوا هم الى المشرق ولم يعظم المسيح صليبا قط كما عظموه وعبدوه ولم يصم صومهم هذا ابدا ولا شرعه بل هم وضعوه على هذا العدد ونقلوه الى زمن الربيع فجعلوا ما زادوا فيه من العدد عوضا عن نقله من الشهور الهلالية الى الشهور الرومية وتلبسوا بالنجاسات وكان المسيح في غاية الطهارة وقصدوا بذلك مراغمة اليهود وتقربوا الى اهل الفلسفة وعباد الاصنام بان وافقوهم في بعض الامر ليستنصروا بهم على اليهود وحاصل عقيدتهم التي اتفق عليها اكثرهم بان جمعهم ملكهم قسطنطين ما يأتي ذكره وكان من اسباب ذلك الاجتماع ان بطريق الاسكندرية منع اريوس من دخول الكنيسة ولعنه فخرج الى قسطنطين مستعديا عليه وتناظرا بين يديه فقال لاريوس اشرح مقالتك فقال اقول ان الاب كان اذ لم يكن الابن ثم احدث الابن فكان كلمة له الا انه محدث ثم فوض الامر الى ذلك الابن فكان هو خالق السموات والارض وما بينهما كما قال في انجيله اذ يقول

وهو في بطنها على التمام والاتحاد فكان مولده لا لما انقطع من ابن تلك الكلمة المقدسة بعد من مريم العذراء ومن روح القدس فصار ذلك مسيحا واحدا فالمسيح الان معنيان كلمة وجسد الا انهما جميعا مخلوقان فقال بطريق الاسكندرية فكيف وجب عليكم العبادة من خلقنا او عبادة من لم يخلق فقال اريوس بل عبادة من خلقنا فقال فعبادة الابن الذي خلقنا وهو مخلوق اوجب من عبادة الاب الذي ليس بمخلوق بل يصير عبادة الاب الخالق كفرا وعبادة الابن المخلوق ايمانا فاستحسن الملك والحاضرون قول البطريق ومن معه وامر الملك ان يلعنوا اريوس واهل مقالته ولما انصرف البطريق قال الملك احضر البطارقة والاساقفة حتى يكون لنا مجمع نشرح فيه الدين فحشرهم قسطنطين من سائر الآفاق فاجتمع عنده بعد سنة وشهرين الفان وثمانية واربعون اسقفا وكانوا مختلفي الآراء متباينين في الاديان فلما اجتمعوا كثر اللغط فاتفق منهم ثلثمائة وثمانية عشر اسقفا على راي واحد فناظروا بقية الاساقفة فظهروا عليهم فعقد الملك لهؤلاء الثلثمائة مجلسا خاصا وجلس في وسطهم واخذ خاتمه وسيفه وقضيبه ودفعها اليهم وقال لهم قد سلطتكم على المملكة فاصنعوا ما فيه قوام دينكم وصلاح امتكم فباركوا عليه وقلدوه سيفه وقالوا اظهر دين النصرانية وذب عنه ودفعوا اليه الامانة التي اتفقوا على وضعها فلا يكون عندهم نصراني من لم يقر بها ولا يتم له قربان الا بها وهي هذه نؤمن بالله الواحد الاب مالك كل شيء صانع ما يرى وما لا يرى وبالرب الواحد يسوع ابن الله الواحد بكر الخلائق كلها الذي ولد من ابيه قبل العوالم كلها وليس بمصنوع اله حق من اله حق من جوهر ابيه الذي بيده اتقنت العوالم وخلق كل شيء الذي من اجلنا معشر الناس ومن اجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار انسانا وحمل به وولد من مريم البتول واولم واوجع وقتل وصلب ودفن وقام في اليوم الثالث وصعد الى السماء وجلس عن يمين ابيه وهو مستعد للمجيء تارة اخرى للقضاء بين الاموات والاحياء ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج من ابيه روح محيية وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قدسية جاثلقية وبقيامة ابداننا وبالحياة الدائمة الى ابد الآبدين واتفقوا على هذه العقيدة وعلى لعن من خالفهم وذهب اريوس يدعو الى مقالته وثبت النصارى على امانة الثلثمائة ثم حملها عطيا وصار بها الى بيت المقدس ولما اجتمعوا قال اريوس ان اولئك المتعبدين الى البطلان ووافقه كثير من الذين معه وتواطوا عليه قصدوه حتى كادوا يقتتلون ثم كان لهم مجمع ثالث بعد ثمان وخمسين سنة من المجمع الاول اجتمع الوزراء والقواد الى الملك وقالوا ان مقالة الناس قد فسدت وغلب عليهم مقالة اريوس فجمع الاساقفة فاجتمع

بقسطنطينية منهم مائة وخمسون فنظروا في مقالة اريوس وكان من مقالته ان روح القدس
مخلوق مصنوع ليس باله فقال بترك الاسكندرية ليس لروح القدس عندنا معنى غير روح الله
وليس روح الله شيء غير حيوته فاذا قلنا ان روح القدس مخلوق فقد قلنا ان روح الله مخلوق واذا قلنا ان
روح الله مخلوق فقد قلنا ان حيوته مخلوقة فقد جعلناه غير حي ومن جعله غير حي فقد كفره ومن كفره
وجب عليه اللعن فلعنوا باجمعهم اريوش واشياخه واتباعه ثم كان لهم مجمع رابع بعد احدى و
خمسين سنة من هذا المجمع على نسطورس وكان مذهبه ان مريم ليست بوالدة الاله على الحقيقة و
لكن ثمه ابنان الاله الذي هو موجود من الاب والاخر انسان الذي هو موجود من مريم وان هذا
الانسان الذي يقول انه المسيح متوحد مع ابن الاله وابن الاله ليس ابنا على الحقيقة ولكن على
سبيل الكرامة واتفاق الاسمين فبلغ ذلك بتاركة سائر البلاد فاتفقوا على تخطيته وجرت بينهم
مراسلات في ذلك واجتمعوا وارسلوا اليه للمناظرة فامتنع فاوجبوا عليه اللعن فلما الحقوه غضب له
بترك انطاكية فجمع اساقفته الذين قدموا معه وناظرهم فقطعهم وتقاتلوا ووقع الحرب ثم وقع الصلح
وانفذ والعن نسطورس ولم تزل مجامعهم تشتمل على مثل تلك الاقوال واذا كان هذا حال
المتقدمين مع قرب عهدهم بالمسيح وكون الدولة لهم فما ظنك بالمتاخرين منهم وهذه الامة ارتكبت
محذورين عظيمين لا يرضى بهما ذو عقل احدهما الغلو في المخلوق حتى جعلوه شريك الخالق جزأ منه
والها اخر معه الثاني تنقص الخالق وسبه ورميه بالعظائم حيث زعموا انه تعالى نزل من العرش
ودخل في فرج امرأة واقام هناك تسعة اشهر ثم خرج رضيعا صغيرا حتى انتهى الحال الى ان صفعته
اليهود وصلبوه تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وعذرهم في ذلك اقبح من قولهم فان اصل معتقدهم
ان ارواح الانبياء كانت في الجحيم في سجن ابليس من عهد ادم الى زمن المسيح بسبب خطيئة ادم وكان
كلما مات واحد من بني ادم اخذه ابليس وسجنه في النار بذنب ابيه فلما اراد الله خلاصهم تحيل
على ابليس فنزل عن كرسي عظمته والتحم ببطن مريم حتى ولد وشب وصار رجلا فمكن اعداءه اليهود
من نفسه حتى صلبوه وقتلوه فخلص انبياءه ورسله وفداهم بنفسه الا من انكر صلبه او شك فيه
وقال بان الاله يجل عن ذلك فهو في سجن ابليس معذب حتى يقر بذلك فجحدوا الرب وعطلوه عن
القدرة على تخليص الانبياء ونسبوا اليه الظلم لحبسهم بذنب ابيهم ونسبوا اليه ما لا يليق باحاد

المخلوقين فضلا عن الخالق جل وعز وهم يعظمون الصليب لانه صلب عليه ولو كان لهم عقل لكان الصليب حقيقا بالاذلال على تقدير زعمهم يستحق التحريق والاهانة

فصل وربما انهم ليسوا على شيء من الدين وانما مدار امرهم على نصب حبائل الحيل ليقتنصوا بها عقول العوام ويستدروا اموالهم فمن ذلك ما يعملونه في عيدهم المسمى عيد النور ببيت المقدس يجتمعون الى بيت فيه قنديل معلق لا نار فيه فاذا تلى احبارهم الانجيل ورفعوا اصواتهم وابتهلوا بالدعاء اذا بنار قد نزلت من سقف البيت فتقع على ذبالة القنديل فيشرق ويشتعل فيضجون ضجة واحدة ويأخذون في البكاء والتشهيق قال ابو بكر الطرطوشي فلما كان بعض السنين نمى هذا الخبر الى والي بيت المقدس في ذلك العام يسمى سقمان فانفذ الى بتاركتهم اني نازل اليكم في يوم هذا العيد لاكشف حقيقة ما تقولون فان كان حقا ولم يتضح لي وجه الحيلة فيه اقررتكم عليه وعظمته معكم وان كان مخرقة وتعلقا على مكر اوقعت بكم ما تكرهون فصعب ذلك عليهم جدا وسألوه الا يفعل فابى فحملوا اليه مالا عظيما فاخذه واعرض عنهم قال الطرطوشي ثم اجتمعت بابي محمد بن الاقدم بالاسكندرية فحدثني انهم يأخذون خيطا دقيقا من نحاس ويجعلونه في وسط قبة البيت الى رأس الفتيلة التي في القنديل ويدهنونه بدهن البلسان والبيت مظلم بحيث لا يدرك الناظرون الخيط النحاس وقد عظموا ذلك البيت فلا يمكنون احدا من دخوله وفي رأس القبة رجل فاذا قسسوا ودعوا القى على ذلك الخيط النحاس شيئا من نار النفط فتجري النار مع دهن البلسان حتى تلقى الفتيلة ومن حيلهم ايضا انه كان بارض الروم في زمن المتوكل كنيسة اذا كان يوم عيدها يحج الناس ويجتمعون عند صنم فيها فيتأملون ثدي ذلك الصنم في ذلك اليوم فيخرج منه اللبن وكان يجتمع للسادن في ذلك اليوم مال عظيم فبحث الملك عنها فانكشف امرها فوجد القيم قد ثقب من وراء الحائط ثقبا الى ثدي الصنم وجعل فيها انبوبة من رصاص والصقها بالجبس ليخفى امرها فاذا كان يوم العيد فتحها وصب اللبن فيها فيجري الى الثدي فيقطر منه فيعتقد الجهال ان هذا سر في الصنم وانها علامة من الله لقبول قربانهم فلما انكشف له امر بضرب عنق السادن ومحق الصور من الكنائس ثم من عجائب ما وقع من هذه الامة انهم زادوا جمعة في ابتداء صومهم يصومونها لهرقل ملك بيت المقدس وذلك ان الفرس لما ملكوا بيت المقدس وقتلوا النصارى وهدموا الكنائس اعانهم اليهود واكثروا من قتل النصارى معهم بل كانوا اكثر فتكا فيهم من الفرس فلما سار هرقل استقبله اليهود بالهدايا

وسألوه ان يكتب لهم عهدا ففعل فلما دخل بيت المقدس شكى اليه من فيه من النصارى ما فعله اليهود بهم فقال لهم هرقل وما تريدون مني قالوا تقتلهم قال كيف اقتلهم وقد كتبت لهم عهدا وانتم تعلمون ما في نقض العهد فقالوا انك حين اعطيتهم العهد لم تدر ما فعلوا من قتل النصارى وهدم الكنائس وقتلهم قربان الى الله ونحن نحمل عنك هذا الذنب ونسئل المسيح ان لا يواخذك به ونجعل لك جمعة كاملة في بدء الصوم نصومها ونترك فيها اكل اللحم ما دامت النصرانية ونكتب بذلك الى جميع الآفاق فاجابهم وقتل من اليهود حول بيت المقدس وجبل الخليل ما لا يحصى كثرة واهل بيت المقدس واهل مصر يصومون تلك الجمعة وبقية اهل الشام والروم يتركون اكل اللحم فيها ويصومون الاربعاء والجمعة ومن تلاعبه بهم اعيادهم فانها كلها موضوعة محدثة بآرائهم فمنها عيد ميكائيل سببه انه كان بالاسكندرية صنم وكان جميع من بمصر والاسكندرية يعيدون له عيدا عظيما فاراد بترك منهم كسره فامتنعوا فاحتال عليهم فقال ان هذا الصنم لا ينفع ولا يضر فلو جعلتم هذا العيد والذبائح لميكائيل ملك الله لشفع لكم عند الله فاجابوه الى ذلك والى كسر الصنم فنقلهم من كفر الى كفر وكذا عيد الصليب وهو على زعمهم في الوقت الذي ظهر فيه صليب عيسى الذي صلب عليه بعد ان خفي عليهم وجعل اليهود موضعه مزبلة لما كان النصارى يترددون اليه ويتبركون به ويحكون في ذلك حكاية لا اصل لها ويقضي بفسادها العقل لطول المدة ولا يبقى العود تحت التراب ثلثمائة وثمانية وعشرين سنة فانه يبلى لدون هذه المدة لغير ذلك مما اشتملت عليه تفاصيل هذه الحكاية من النكارة واما تلاعبه بهم في صلوتهم فمن وجوه احدها صلوة كثير منهم بالنجاسة والجنابة والمسيح برئ من هذه الصلوة ومنها صلوتهم الى مشرق الشمس ومعلوم ان عيسى ع انما كان يصلي الى بيت المقدس ومنها تصليبهم على وجوههم عند الدخول في الصلوة

فصل في تلاعبه بالامة الغضبية وهم اليهود

قال تعالى بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب **وقال تعالى** قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وقال ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون وقد امرنا الله سبحانه ان نقول في صلوتنا اهدنا

الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وتنتظر أن النبي صلى
الله عليه وآله وسلم أنه قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون فأول تلاعبه بهم أن قالوا
في عهد نبيهم مع قرب العهد بنجاتهم وإغراق فرعون وقد رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم اجعل
لنا إلها كما لهم آلهة ثم عبادتهم للعجل وقد شاهدوا ما حل بالمشركين من العقوبة وشاهدوا
صانعه يصنعه ويصوغه ويصليه النار ويضربه بالمطرقة ويسطو عليه بالمبرد وجعلوه إله
موسى أيضا ونسبوا إليه عبادة الحيوان بل شاهدوه أذل الحيوانات ونسبوا إليه الخطأ والضلال فنسبه
فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي قال ابن عباس أي ضل وأخطأ الطريق وفي رواية عنه ذهب
يطلبه فضل ولم يعلم مكانه وقال السدي أي ترك إلهه ههنا وذهب يطلبه قال محمد بن جرير
كان سبب اتخاذهم العجل ما رويناه عن ابن عباس قال لما هجم فرعون على البحر وكان على فرس أدهم
حصان هاب الحصان أن يقتحم في البحر فتمثل له جبريل على فرس أنثى فلما رآها الحصان تقحم خلفها
قال وعرف السامري جبريل فقبض قبضة من أثر فرسه من تحت حافرها وكان السامري من
قوم يعبدون البقر فكان حب عبادة البقر في نفسه وكان قد أظهر الإسلام في بني إسرائيل

ومن تلاعب الشيطان بهم في حياة نبيهم ما قصه الله في كتابه من قولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله 7
جهرة أي عيانا وكذلك قولهم لنبيهم اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون وتبديلهم ما أمروا
أن يقولوه عند دخول باب بيت المقدس ودخولهم على أستاههم وقد أمروا أن يدخلوه سجدا
وامتناعهم من العمل بما في التوراة حتى نتق عليهم الجبل كأنه ظلة

فصل ومن تلاعبه بهم أنهم كانوا في التيه وقد ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى
فملوا ذلك وذكروا عيش الثوم والبصل والعدس والبقل والقثاء فسألوا ذلك وهذا من سوء اختيارهم
لأنفسهم وقلة بصرهم بالأغذية النافعة وعدولهم إلى الأغذية الضارة القليلة الغذاء ومن تلاعبه
بهم أن ألقى إليهم أن الرب محجور عليه في نسخ الشرائع وكانت هذه الشبهة الشيطانية ترسا لهم
جحد نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقرروا ذلك بأن النسخ يستلزم البداء وهو على الله
محال وقد أكذبهم الله سبحانه في نص التوراة كما أكذبهم في القرآن قال تعالى كل الطعام
كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها

ان كنتم صادقين الى آخر الآيات المتضمنة للتصريح بكذبهم فانه اخبر ان الطعام كله كان حلا لبني اسرائيل قبل نزول التورية سوى ما حرم اسرائيل على نفسه منه ومعلوم ان بني اسرائيل كانوا على شريعة ابيهم اسرائيل وملته وان الذي كان لهم حلالا انما هو باحلال الله على لسان اسرائيل والانبياء بعده الى حين نزول التورية ثم جاءت التورية بتحريم كثير من المآكل التي كانت حلالا لبني اسرائيل قبل نزول التورية وهم يعلمون ذلك ثم قال تعالى قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين هل تجدون فيها ان اسرائيل حرم على نفسه ما حرمته التورية عليكم ام تجدون فيها تحريم ما خصه بالتحريم وهو لحوم الابل والبانها خاصة واذا كان انما حرم هذا وحده وكان ما سواه حلالا له ولبنيه وقد حرمت التورية كثيرا منه ظهر كذبكم

فصل قالت الامة الغضبية قد حظرت التورية امورا كانت مباحة من قبل ولم تأت باباحة محظور والنسخ الذي يمنعه هو ما اوجب اباحة محظور او ما اوجب تحريم ما كان مباحا قالوا وشريعتكم جاءت باباحة كثير مما حرمته التورية مع انه انما حرم لما فيه من المفسدة ويبطل شبهتهم هذه بثبوت رفع البراءة الاصلية ورفع الاباحة بالتحريم فانه تغيير لما كان عليه الحكم الاستصحابي والشرعي بحكم آخر لمصلحة اقتضت تغييره ولا فرق بين تغيير الاباحة بالتحريم والتحريم بالاباحة والشبهة التي عرضت لهم في احد الموضعين هي بعينها في الموضع الآخر فان اباحة الشيء في الشريعة تابع لعدم مفسدته اذ لو كانت فيه مفسدة راجحة لم تأت الشريعة باباحته فاذا حرمته الشريعة الاخرى وجب قطعا ان يكون تحريمه فيها هو المصلحة كما كان اباحته في الشريعة الاولى هي المصلحة فان تضمن اباحة المحرم في الشريعة الاولى اباحة المفاسد وحاشى الله تضمن تحريم المباح في الشريعة الاولى تحريم المصالح وكلاهما باطل فاذا جاز ان تاتي شريعة بتحريم ما كان ابراهيم ومن بعده يستبيحه فجائز ان تاتي شريعة اخرى بتحليل بعض ما كان في التورية محظورا وبهذه الشبهة الداحضة ردت الامة الغضبية نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونبوة عيسى ثم يقال لهم ايضا الاكل المحرم اما ان يكون تحريمه لعينه بحيث يمنع اباحته في اي زمان او يكون تحريمه لما تضمنه من المفسدة فان كان الاول لزم ان يكون ما حرمته التورية محرما على جميع الانبياء في كل زمان ومكان من عهد نوح الى خاتم الانبياء وان كان التحريم والاباحة تابعين للمصالح فهي تختلف بالزمان والمكان والحال فيكون الشيء الواحد حراما في ملة دون ملة ووقت دون

وقت وفي مكان دون مكان وعلى حال دون حال **قال تعالى** ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير
منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شيء قدير الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فاخبر تعالى
ان عموم قدرته وملكوته وتصرفه في مملكته وخلقه لا يمنعه ان ينسخ ما يشاء ويثبت ومن العجب انهم
مع حجرهم على الله ان ينسخ ما يشاء من شريعة موسى وغيره قد صاروا تسلموا في اكثر ما هم عليه مما شرعه
احبارهم من ذلك انهم يقولون بتحريم مواكلة من لم يكن على دينهم ومناكحته والاكل من ذبيحته
لان علماءهم علموا ان دينهم لا يبقى مع كونهم تحت الذلة الا بتنفيرهم عن مخالطة اهل سائر الاديان
والتوراة انما حرمت عليهم مناكحة عبدة الاصنام والشرك وحرم عليهم الذبائح التي يتقرب بها للاصنام
لانها مما لم يذكر اسم الله عليه واما الذبائح التي لم تذبح قربانا فلم تحرمها التوراة فما بال هؤلاء لا ياكلون
ذبائح المسلمين وهم يذكرون اسم الله عليها وقد الف علماؤهم كتابين يسمى احدهما المشنا وقدره نحو
ثمانمائة ورقة والآخر يسمى التلمود ومقداره نصف حمل بغل ولم يكن مؤلفه واحدا بل الفه جيل بعد
جيل وهما مشتملان على ما احدثوه مما لم يكن في التوراة واختلقوا ايضا كتابا في الذباحة وصعبوا فيه
من التشديدات والآصار ما لا اصل له من ذلك ان ينفخ الرئة حتى تمتلئ هواء ويتاملونها هل
يخرج الهواء من ثقب منها ام لا فان خرج منها الهواء حرموها وان كان بعض اطراف الرئة لاصقا ببعض
لم ياكلوها وامروا الذي يتفقد الذبيحة ان يدخل يده في بطن الذبيحة ويتامل باصابعه فان وجد
القلب ملتصقا الى الظهر او احد الجانبين ولو كان الالتصاق بعرق دقيق كالشعرة حرموه ويسمونه طريفا
يعنون بذلك انه حرم واكله حرام وهذه التسمية من اصل بلائهم وذلك ان التوراة حرمت عليهم
اكل الطريفا وهي الفريسة التي يفترسها الاسد والذئب او غيرهما من السباع وهو الذي عبر عنه
القرآن بقوله وما اكل السبع والدليل على ذلك انه قال في التوراة ولحم في الصحراء فريسة لا تاكلوا
وللكلب القوه واصل لفظ طريفا طاروف وقد جاءت هذه اللفظة في التوراة في قصة يوسف لما
جاءوا اخوته على قميصه بدم كذب وزعموا ان الذئب افترسه واما قال في التوراة ولحم في
الصحراء فريسة لا تاكلوا والعلة ان الفريسة انما توجد في الصحراء وكان سبب نزول هذا عليهم
انهم كانوا ذوي اخبية يسكنون البر لانهم مكثوا يترددون في التيه اربعين سنة وكانوا
لا يجدون طعاما الا المن والسلوى وهو طائر صغير يشبه السماني وفيه من الخاصية ان اكل لحمه

يلين القلب فأن هذا الطائر يموت اذا اسمع الرعد فالهمه الله ان يسكن جزائر البحر التي لا يكون بها مطر ولا رعد فكان اغتذاءهم به كالدوا للقسوة قلوبهم والمقصود هنا تقدّيهم في التسمية بالطريفا ووضعهم لها في غير محلها والقصد بما ابتدعوه التنفير من سائر الامم وايهام الانفراد بالمعرفة وكلما كان الواحد من علمائهم اكثر تكلفا كان عندهم هو العالم الرباني وما من جماعة منهم في بلدة الا واذا اقدم عليهم عالم من اهل دينهم من بلاد بعيدة يظهر لهم الخشونة في دينهم والمبالغة في الاحتياط ولا يزال يستنكر شيئا من احوالهم وينسبهم الى عدم التشدد في الدين وقصده اما الترأس عليهم واما تحصيل شيء من المآرب واذا اراد المقام عندهم تامل سكين ذباحهم ويقول انا لا آكل الا من ذبيحة يدي ولا يزال كذلك فاذا اقدم عليهم قادم وخاف المقيم ان يعترضه ذلك القادم تلقاه واكرمه وسعى في موافقته وتصديقه فيستحسن ما فعله الاول ويقول لهم لقد اعظم الله ثواب فلان اذ قوى ناموس الدين في قلوب هذه الجماعة وشيّد اشياح الشرع عندهم واذ التقيه يظهر من مدحه وشكره والدعاء له وان كان القادم الثاني منكرا لما جاء به الاول من التشديد والتضييق لم يقع عندهم بموقع وربما نسبوه الى الجهل او رقة الدين لانهم يرون التضييق وتحريم الحلال هو الدين فهم ابدا يعتقدون الصواب والحق مع من تشدد هذا اذا كان القادم من فقهائهم فاما اذا كان من عبادهم واحبارهم فهناك ترى العجب العجاب من الناموس الذي يعتمده والسنن التي يحدثها ويلحقها بالفرائض فتراهم مسلمين له وهو يحتلب درّهم ويجتلب درهمهم

فصل ومن تلاعبه بهم انهم اذا شق عليهم شيء من التكاليف طلبوا التخلص منه بوجوه الحيل فان اعيتهم الحيل قالوا انما كان علينا لما كان لنا الملك والرياسة فمن ذلك ان من احكام شريعتهم انه اذا اقام اخوان في موضع ومات احدهما ولم يعقب ولدا فلا تخرج امرأة الميت الى رجل اجنبي بل ولد حموها ينكحها واول ولد يولد ينسب الى اخيه الدارج فان كان مبغضا لها او كانت هي زاهدة في نكاحه فعلوا حيلة وهي ان تحضر عند الحاكم ويلقنها ان تقول ان ابن حمي ابى ان يقيم لاخيه مقاما في بني اسرائيل لم يرد نكاحي فيحضره هناك ويكلفه ان يقول ما اردت نكاحها فتتناول المرأة نعله فتخرجه من رجله وتمسكه بيدها وتبصق في وجهه وتنادي عليه كذا فليصنع بالرجل الذي لا يبني بيت اخيه ويدعى بعد ذلك بالمخلوع وبنوه بني المخلوع فيلزمونها بالكذب عليه ان اراد نكاحها وكرهته هي فاذا القته

هذه الالفاظ التي يأمرونه بالكذب ولعل ذلك سؤاله ووصيته فيأمرونه بان يكذب لم يمكنهم ان تكذبوا عليه والزموه ان يكذب حتى سلطوها ان يستحق في رحمه وتخزيه ويسمون هذه مسئلة الثيات والحالوس وقد تقدم من التنبيه على حيلهم في استباحة محارم الله ما عرفت فهم بيت الحيل والكيد والمكر والخبث وقد ارادوا قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصعد احدهم على سطح واخذ رحى ارادوا اطرحها عليه وهو جالس في ظل حائط فاتاه الوحي بذلك وظاهروا عليه اعداءه وارادوا قتله بالسم فاعلمه الله به ومكروا به وسحروه حتى كان يخيل اليه انه يفعل الشيء ولم يفعله ولم يزالوا في الكيد والمكر ومن تلاعبه بهم انهم ينتظرون قائما من ولد داود اذا حرك شفته بالدعاء مات جميع الامم وزعموا انه المسيح الذي وعدوا به وهم في الحقيقة انما ينتظرون مسيح الضلالة ومن الدجال فهم اكثر اتباعه والا فمسيح الهدى عيسى بن مريم صلوات الله عليه يقتلهم ولا يبقي منهم احدا والامم الثلاث تنتظر منتظرا يخرج في آخر الزمان فانهم وعدوا به والمسلمون ينتظرون المسيح عيسى بن مريم وينتظرون خروج المهدي من اهل بيت النبوة يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا اه

فصل ومن تلاعب الشيطان بهذه الامة الغضبية انهم في العشر الاول من الشهر الاول من كل سنة يقولون في صلواتهم لم يقول الامم اين الههم انتبه كم تنام يا رب استيقظ من رقدتك وانما اتوا على هذه الكفريات من شدة ضجرهم من الذل والعبودية وانتظار فرج لا يزداد منهم الا بعدا ان يظنون انها تقع من الله موقع عظيم ومن ذلك انهم ينسبون الى الله الندم على ما يفعل من ذلك قولهم في التوراة التي بايديهم وندم الله على خلق البشر وشق عليه وعاد في رأيه وذلك عندهم في قصة نوح زعموا انه لما رأى تعالى فساد قوم نوح وان كفرهم وشرهم قد عظم ندم على خلق البشر وكثير منهم يقولون انه بكى على الطوفان حتى رمد وعادته الملائكة وانه عض على انامله حتى جرى الدم وقد واجهوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه بمثل هذه الكفريات فقال قائل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استراح فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فانزل الله تكذيبا لهم ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون

فصل ومن تلاعبه بهم انهم يقدحون في الانبياء وقد آذوا موسى في حياته ونسبوه الى ما

برأه الله منه ونهى الله عن مثل فعلهم فقال يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله

مما قالوا وكان عند الله وجيها وثبت في الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال كانت بنو
اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالت بنو اسرائيل
ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه آدر فذهب موسى يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه
قال فجمح موسى باثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى سوأته وقالوا والله ما بموسى باس وقيل
في تفسير الآية انه صعد موسى وهارون الجبل فمات هارون فاتهموه بقتله فامر الله الملائكة
فحملته وشافهت بني اسرائيل موته وقد بالغوا في عداوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالقول
والفعل وقدحوا في كثير من الانبياء ومن ذلك ما نسبوه الى النص التورية انه لما اهلك الله قوم لوط
ولم ينج الا لوط عليه السلام وابنتاه قالت احدى بنتيه للاخرى هلم نسقي ابانا خمرا ونضاجعه لنستبقي
من ابينا نسلا واعجب من ذلك ان في التورية التي بايديهم ان يهودا ابن يعقوب زوج ولده الاكبر
بامرأة يقال لها ثامار وكان ياتيها مستدبرا فغضب الله من فعله فاهلكه فزوج بها يهودا ولده الاخر
فكان يعزل عنها علما منه بان اول مولود ينسب الى اخيه فكره الله منه ذلك فاماته فامرها يهودا
باللحاق ببيت ابيها حتى يكبر ولد صغير له ويتم عقله حذرا من ان يصيبه ما اصاب اخويه فاقامت في
بيت ابيها وصعد يوما الى منزل له فلبست زوجة ابنه زي الزواني وتعرضت له فراودها ورهن عندها
عصاه وخاتمه باجرها ودخل بها فعلقت منه فلما اخبر يهودا ان زوجة ابنه علقت من الزنا اذن
باحراقها فبعثت اليه بخاتمه وعصاه فاعتذر بانه لم يعرفها ولم يستحل معاودتها قالوا ومن ولدها
من ذلك الزنا داود النبي عليه السلام ومن اكاذيبهم ان الزوج اذا راجع زوجته بعد ان طلقها
ونكحت غيره كان اولادهما اولاد زنا قالوا والمسلمون اولاد زنا بهذه الواسطة قالوا وعبد الله بن سلام
هو الذي وضع ذلك قصد به ان يجعل اولاد المسلمين اولاد زنا قالوا وكان محمد قد رأى احلاما تدل
على انه صاحب دولة فسافر الى الشام في تجارة لخديجة اجتمع باحبار يهود وقص عليهم احلامه فعلموا
انه صاحب دولة فاصحبوه عبد الله بن سلام فقرأ عليه علوم التورية ونسبوا الفصاحة والاعجاز الذي
في القرآن الى عبد الله بن سلام وهذا غير مستنكر من امة قدحت في معبودها ونسبته الى ما لا يليق
بجلاله ورمت انبياءه بالعظائم كقولهم عيسى عليه السلام ولد غية ونسبتهم لامه الى الفجور وقولهم

في لوط أنه وطئ ابنتيه وهو سكران ونسبة السحر إلى سليمان وأنه ملك ساحر وقولهم في يوسف إنه حل سراويله وقعد منها مقعد الرجل من امرأته فانشق الحائط ورأى أباه يعقوب عاضاً على أنامله فلم يقم حتى نزل عليه جبريل فقال يا يوسف تكون من الزناة وأنت معدود عند الله من الأنبياء فلم يرتدع عن الفاحشة إلا بذلك وفي هذا إحالة اللوم وقولهم إن عيسى كان يداوي المرضى بالأدوية ويوهم أن ذلك حصل بمعجزة ومن العجائب في التوراة التي بأيديهم لا يزول الملك من آل يهوذا إلى أن يأتي المسيح وفيه من هذا إقرارهم بنبوة المسيح فإنهم كانوا أصحاب دولة وانقضى ملكهم بظهوره وقالوا هو ولد ليوسف النجار لغية لا لرشدة إلا أنه عرف الاسم الأعظم مع قولهم بأن موسى عليه السلام اطلع على الاسم المركب من اثنين وأربعين حرفاً وبه شق البحر وأتى بالآيات والمعجزات ولم يجعلوا ذلك قادحاً في نبوته كما توصلوا به إلى القدح في نبوة عيسى عليه السلام حتى قال بعضهم موسى أعلمه الله بذلك وعيسى إنما تعلمه من حيطان بيت المقدس فهذا من مكابرتهم وبهتهم لرسل الله

فصل وقد اختلف في التوراة التي بأيديهم هل هي مبدلة أم التبديل وقع في التأويل دون التنزيل على ثلاثة أقوال فقالت طائفة كلها أو أكثرها مبدل وغلا بعضهم حتى قال يجوز الاستجمار بها وقالت طائفة من أئمة الحديث والفقه والكلام إنما وقع التبديل في التأويل قال البخاري في صحيحه يحرفون يزيلون وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله ولكنهم يتأولونه على غير تأويله وهي اختيار الرازي أيضاً وسمعت شيخنا يقول وقع النزاع بين الفضلاء فأجاز هذا المذهب ووهى غيره فأنكر عليه فأقام خمسة عشر دليلاً على فساده ومن حجة هؤلاء أن التوراة قد طبقت مشارق الأرض ومغاربها وانتشرت جنوباً وشمالاً ولا يعلم عدد نسخها إلا الله فيمتنع التواطؤ على التبديل والتغيير في جميع تلك النسخ حتى لا يبقى في الأرض نسخة إلا مبدلة وهذا مما يحيله العقل قالوا وقد قال الله لنبيه قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين قالوا وقد اتفقوا على ترك فريضة الرجم ولم يمكنهم تغييرها من التوراة ولهذا لما قرأوها على النبي صلى الله عليه وسلم وضع القارئ يده على آية الرجم فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفعها فإذا هي تلوح تحتها وتوسطت طائفة فقالوا قد زيد فيها وغير أشياء يسيرة جداً واختاره شيخنا في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح قال وهذا كما في التوراة عندهم أن الله سبحانه قال لإبراهيم

اذبح ابنك بكرك او وحيدك اسحق قلت والزيادة باطلة من وجوه عشرة الاول ان بكره ووحيده اسمعيل باتفاق الملل الثلاث الثاني انه سبحانه امر ابراهيم ان ينقل هاجر وابنها اسمعيل عن سارة ويسكنها في برية مكة لئلا تغار سارة فامره بابعاد السرية وولدها عنها فكيف يامر بعد هذا بذبح ابن سارة وابقاء ابن السرية هذا مما لا تقتضيه الحكمة الثالث ان قصة الذبح كانت بمكة قطعا ولذا جعل الله سبحانه ذبح الهدايا والقرابين بمكة تذكيرا للامة بما كان من ابراهيم مع ولده هنالك الرابع ان الله بشر سارة ام اسحق باسحق ومن ورائه يعقوب فبشرها بهما جميعا فكيف يامر بعد ذلك بذبح اسحق وقد بشر ابويه بولد ولده الخامس ان الله لما ذكر قصة الذبح وتسليمه نفسه لله واقدام ابراهيم على ذبحه وفرغ من قصته قال بعدها وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فشكر الله له استسلامه وبذل ولده له وجعل من اياته على ذلك ان اتاه اسحق فنجا اسمعيل من الذبح وزاد عليه اسحق السادس ان ابراهيم عليه السلام سأل ربه الولد فاجاب دعاءه وبشره به فلما بلغ معه السعي امره بذبحه قال تعالى وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فهذا دليل على ان هذا الولد انما بشر به بعد دعائه وسؤاله ربه ان يهب له ولدا وهذا المبشر به هو المامور بذبحه قطعا بنص القران واما اسحق فانه بشر به من غير دعوة منه بل على كبر السن وكون مثله لا يولد له وانما كانت البشارة به لامرأته سارة ولذا تعجبت من حصول الولد منها وانظر تفاوت سياق البشارتين فانه في الاولى قال اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم وفي الثانية ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت يا ويلتا أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا اتعجبين من امر الله وكون مخرج احدى البشارتين غير مخرج الاخرى والبشارة الاولى كانت له والثانية كانت لها والبشارة الاولى هي التي امر فيها بذبح من بشر به فيها دون الثانية السابع ان ابراهيم لم يقدم باسحق الى مكة البتة ولم يفرق بينه وبين امه وكيف يامر الله ان يذهب بابن امرأته فيذبحه بموضع ضرتها وفي بلدها ويدع ابن ضرتها الثامن ان الله لما اتخذ ابراهيم خليلا والخلة تتضمن ان يكون قلبه كله متعلقا به ليس فيه سعة لغيره فلما سأل الولد و

اسمعيل فتعلق به شعبة من قلبه فاراد خليله ان تخلص تلك الشعبة له فامره بذبح ولده فلما امتثل
خلصت تلك الخلة فنسخ الامر بذبحه لحصول الغرض وهو العزم وتوطين النفس على الامتثال ومن
المعلوم ان هذا انما يكون في اول الاولاد لا في آخرها فلما حصل هذا المقصود مع الولد الاول لم يحتج الى
مثله مع الولد الآخر فانه لو زاحمت محبة الولد الآخر الخلة لامر بذبحه فلو كان المأمور بذبحه هو الولد
الآخر لكان تقريره في الاول على مزاحمة الخلة به مدة طويلة ثم امره بما يزيل المزاحم بعد ذلك وهو
خلاف مقتضى الحكمة فليتأمل التاسع ان ابراهيم انما رزق اسحق على الكبر واسماعيل رزقه في عنفوان
شبابه والعادة ان القلب اعلق بالاول العاشر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يفتخر بانه ابن الذبيحين
يعني اباه عبد الله وجده اسمعيل والمقصود ان هذه اللفظة مما زادوه في التورية والسبب في ذلك
ان موسى عليه السلام صان التورية عن بني اسرائيل خوفا من اختلافهم بعده في تأويلها وتفرقهم
احزابا وانما دفعها الى الائمة بني لاوي الاسرة واحدة اشتملت على ذم طبائعهم وانهم سيخالفون شريعة
التورية وان السخط يأتيهم بعد ذلك لتكون شاهدة عليهم ولم يكن حفظ التورية فرضا عليهم ولا سنة
بل كان الواحد يحفظ فصلا منها والآخر يحفظ فصلا آخر فلما قتل بخت نصر من يحفظ اكثر التورية
من الائمة الهارونيين واحرق هياكلهم جمع عزير من محفوظاته ما اجتمعت منه هذه التورية التي
بايديهم واملاء ذلك غيبا عليهم ولذا بالغوا في تعظيمه حتى غلوا فيه فهذه التورية الموجودة عندهم من
املاء عزير فيها كثير من التورية لم تكن او لم تبق تامة قد مزجها الله فلحقها امور ثلاثة الاول بعض الزيادة
والنقصان الثاني اختلاف الترجمة الثالث اختلاف التأويل ونذكر من ذلك امثلة المثال الاول
ما تقدم من قوله ولحم في الصحراء فريسة لا تأكلوا وللكلب القوه وتقدم بيان تحريفهم له المثال الثاني
قوله في التورية نبيا اقيم لهم من وسط اخوتهم مثلك فتأولوه وقالوا هي بشارة نبي من بني اسرائيل وهو
باطل من وجوه الاول انه لو اراد ذلك لقال من انفسهم الثاني ان المعهود من الاخوة في التورية خلاف
ما قالوا ففي الجزء الاول من السفر الخامس انتم عابرون من تخوم اخوتكم بني العيص القدس في سعير واياكم
ان تطمعوا في شيء من ارضهم فاذا كان بنو العيص اخوة لبني اسرائيل فكذلك بنو اسمعيل الثالث ان
هذه البشارة لو كانت لشمويل او غيره من بني اسرائيل لم يصح ان يقال بنو اسرائيل اخوة بني اسرائيل
الرابع انه قال اقيم لهم نبيا مثلك وفي موضع آخر انزل عليهم تورية مثل تورية موسى ومعلوم ان النبي من بني اسرا

من نزل عليه توريته مثل تورية موسى الاعجمي والمسيح لكن المسيح من انفس بني اسرائيل المثال الثالث قوله في التورية جاء الله من طور سينا واشرق نوره من سعير واستعلن من جبال فاران ومعه ربوات المقدسين وهم يعلمون ان جبل سعير جبل السراة الذي يسكنه بنو العيص الذين آمنوا بعيسى وان هذا الجبل كان مقام المسيح وان سينا هو جبل الطور واما جبال فاران فهم يحملونها على جبال الشام تحريفا والا فانها جبال مكة وفاران من اسماء مكة وعليه نص التورية ان اسمعيل لما فارق اباه اقام في برية فاران وانكحته امه امرأة من ارض مصر فثبت بنص التورية ان جبال فاران مسكن ولد اسمعيل فاذا كانت التورية قد اشارت الى نبوة تنزل على جبال فاران لزم انها تنزل على ولد اسمعيل لانهم سكانها ومن المعلوم انها لم تنزل على غير محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهذه فصول مختصرة في كيد الشيطان وتلاعبه بالامم ليعرف بها المسلم قدر رحمة الله عليه وما من به عليه من العلم والايمان انتهى من اغاثة اللهفان للحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى ملخصا

تم بحمد الله سبحانه وحسن توفيقه طبع النصيب الاول من كتاب
الدين الخالص في الخامس والعشرين من شعبان سنة ۱۳۰۲ الهجرية ويليه
طبع النصيب الآخر منه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه وسلم

۱۲/۷۰

اصلاح اغلاط النصیب الاول من الدر الخالص حسب الوسع والطاقة

صفحہ	سطر	خطا	صواب	صفحہ	سطر	خطا	صواب	صفحہ	سطر	خطا	صواب
۳	۱۳	استظی	استنظی	۵۳	۱۰	وبالحق	والحق	۷۰	۲۰	الکلام	الکتاب
۹	۱۱	المائنۃ	ت	۵۸	۱	اثنین	اثنتین	۷۱	۹	کان	کاف
〃	۱۸	تقضیه	نقضیه	〃	۱۳	لایمان	الایمان	〃	۱۸	صدقوۃ	صدقوۃ
۱۰	۱۴	آي	اي	〃	۱۴	وقدطهرت	واذاطهرت	۷۳	۱۳	اکان	کان
۱۱	۱۰	هو	الاهو	۶۵	۳	غلاته	تفسیرغلاته	۸۱	۲۳	لاینل	لاینال
۱۲	۱۳	من لبس	ممن لبس	〃	۷	سار	ساء	۸۳	۱۸	ولاحبابه مخصوص	[illegible]
۱۷	۷	الله	لله	〃	۱۵	یشیم	یشم	〃	۱۹	سکت	السکیت
〃	۲۳	سوائ	سواء	۶۶	۷	الاستنال	الامتثال	۸۶	۲۰	احرزتُ	إحرزتُ
۱۸	۳	قال تعالی	وقال تعالی	〃	۹	الطائفة	طائفة	۸۹	۱۰	الالله	الاالله
۱۹	۲۳	وخمسین	[illegible]	〃	〃	نورک	نورک	〃	۱۲	رمیت	رمت
۲۱	۵	والقلم	والقلم	〃	۱۰	بترتب	یترتب	۹۰	۱۵	منزله	منزلة
۲۵	۳	ان یکون	عن ان یکون	〃	۱۳	هذا	هذه	۹۲	۱۵	شمه	اشمه
۲۷	۱۹	تعالی	تعالی اعظم	〃	۱۹	یکفی	لایکفی	۹۳	۱۱	لیهدیه ویحببه	یهدیه ویجنبه
۲۹	۷	لکل	فکل	۶۷	۳	الائمة	ائمة	۹۹	۹	الوتر	صلوة المغرب
۳۳	۹	نان	فان	〃	۱۱	الاخذ	الأخذ	۱۰۱	۱۷	ذلک	تلک
۳۴	۲۳	احد عشر	حادی عشرة	〃	۱۲	لایقوی	لایقوی	۱۰۳	۴	التوبر	التنویر
۳۵	۳	یاجیه	یناجیه	〃	۲۲	اجمال	الکمال	۱۰۷	۵	جعل	اجعل
۳۸	۱۱	حقیقتہ	حقیقیة	۶۸	۱	طریق	طرق	〃	〃	الله	الها
۴۶	۱۳	لاشارة	الاشارة	〃	۹	الیما	الی ان	۱۰۸	۱۵	من عبد	مراتب
۴۷	۲۱	حلقه	خلفه	۶۹	۱۶	فیامر	بما امر	۱۱۱	۱۳	علما	عما
۴۹	۹	ان	لبیان	۷۰	۳	الاتباع	اتباع	〃	۲۱	فجا	فجاء
۵۱	۲۲	تشبیها	تشبیها	〃	۸	علی من	علی کل من	۱۱۵	۲۱	نشاة	ہ

صفحه	سطر	خطا	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب
١١٧	١٧	مستفاد	مستفاض	١٦٥	٣	افتر	اقتر	٢٢٢	٥	علم	على
١١٩	١٧	اتلون	لتلون	١٦٦	١٦	تتبيين	تبيين	٢٢٥	٣	مااحبر	مااحدوا
〃	١٨	الستة	الصقة	١٦٨	١	والا	+	٢٣	١٦	بحا	لها
〃	٢١	يحتقون	يمتعون	〃	٦	ولاتوجد الا عن تامله	+	٢٣١	٢	هن الامر	من الامر
〃	٢٢	لتردل	لرول	١٧	٢١	وان	فان	〃	٥	قالوا	قالوا
١٢٥	٨	الديى	الدين	١٧٣	〃	به و	به و	〃	٢١	نفسكم	انفسهم
١٢٦	٩	له	لها	〃	٢٣	وهو	وهو	٢٣٣	٣	بالحراء	للحراء
١٢٨	١٣	اَحّل	اَحَّل	١٧٦	١	سواما	سواء	٢٣٦	٢٣	ادعو	ادعوا
〃	٢٣	عسرا	حسر	〃	٢	〃	〃	٢٣٧	٨	〃	〃
١٢٩	〃	الطائف	الطائر	١٧٩	١٢	يستطيع ان تعا	تستطيع ان تعا	٢٣٨	٦	دياهر	دياهم
١٣٣	٢	لسوم	لسوء	١٨١	٧	فرة	مرة	٢٣٩	〃	انسالا	انسا
١٣٥	١٣	متحم	متحتم	〃	٢٢	قمهومه	مفهومه	٢٤٢	١٢	ديوي	ديوي
١٣٦	١١	قوله	فعله	٢٠١	١٣	عتهم	عنهم	٢٤٦	٣	المتون	المسون
١٣٧	١٣	لطائفة	لطائفه	٢٠٣	٢٠	كلا	فلا	٢٤٩	٨	مرتدام	مرتدا
١٤٥	١١	سواحدة	مواحدة	٢٠٥	〃	لان	لاق	٢٥٠	١٨	المتركين	المتركينه
١٥٣	١٥	ليقربوى	ليقربوني	٢٠٨	٢٣	الاالله	الالله	٢٥٣	١٧	بجور	تجور
〃	〃	يلحطوى	يلحطوني	٢٠٩	١٩	الواب	التواب	〃	٢٣	عدلو	عدل
١٥٦	٣	تصع	تصع	٢١٣	٣	ادلام	اوازلام	٢٥٥	١٠	السمر	السمر
〃	١١	قلدا	قلدوا	٢١٨	١٢	الا	الاما	٢٦٧	٣	فاصلح	فاعل
١٦٠	١٩	نترك	يترك	٢١٩	٩	اساء	اساء	〃	٩	والطبراني	+
١٦١	٧	رأي	رأى	٢٢	١٥	قال	قال	٢٧٣	〃	تمسه	لمسه
〃	١١	الامس	علم الامس	٢٢١	٧	يعلون	يعلمون	〃	٢١	والله	وبالله
١٦٣	١	ولم يصلوا	وهم يصلون	〃	٢٣	مايوحى	الامايوحى	٢٧٨	١٣	تمرت به	تمرت به

صفحہ	سطر	خطا	صواب	صفحہ	سطر	خطا	صواب	صفحہ	سطر	خطا	صواب
۲۷۸	۱۵	فهرت به	فهرت به	۳۶۶	۲	کلما	کل ما	۳۹۵	۹	ولا یخرج	اولا یخرج
۲۸۲	۶	فلان فلان	فلان وفلان	″	۱۵	الهیه	الهیة	″	۲۱	کالحاذد	کالحازد
۲۸۸	۱۱	باعثه	باعثة	۳۶۷	۱۳	کأنتا	کانوا	″	۲۳	خالا	حالًا
۲۹۴	۳	الساس	الناس	۳۶۹	۱۰	[illegible]	[illegible]	۳۹۸	۱۸	فیذقها	فیدقها
″	۱۳	الی نوء	نوء	۳۷۲	۱	بجناته	بجنانه	۴۰۱	۶	ثام	قثام
۳۰۴	۱۲	اهلها	اهله	″	۱۱	اعبد	عبد	۴۰۲	۲۲	الحکم	الحکیم
″	″	بثأره	بشاره	۳۷۶	۱۶	فتح	سکون	۴۰۳	۲۰	فیه انه	فیها انه
۳۰۷	۲	تأتی	یاتی	۳۷۷	۳	اتخذوا	اتخذ	۴۰۴	۱۶	کسرا	کسروا
″	″	تدفعها	یدفعها	″	۷	فیکن	فیکون	۴۰۵	۱۸	منه	منها
۳۱۳	۱	بریده	بریدة	۳۷۸	۲	یجبر	یخبر	۴۰۶	۱۹	المسك	ریحُ المسك
″	۴	حبیب	حبیب	″	۱۵	اسمرو	واسمر	۴۰۷	۱	لایجب	لایجب
۳۱۴	۲۰	دخیل	دخیلا	۳۸۰	۱	الاربعة	الاربع	۴۱۰	۷	دخلوا	دخل
۳۱۷	۹	ذلك	ذلك فهو جائز	″	″	الظهورٌ	الظهور	″	۱۳	جهاد	جهاد
۳۲۳	″	تحالف	تخالف	۴۱۱ ۳۸۰	۲	الشفاعةُ	الشفاعةٌ	۴۱۱	۱۴	وان اعطاهم	ان اعطاهم
۳۳۱	۴	عن بصیر	عن ابن بصیر	۳۸۲	۳	دعاها	وعاها	۴۱۴	۲	تاول	یاول
۳۳۸	۱۶	المتطح	المتنطع	″	۹	الغار	النار	۴۱۶	۱	الاالتفات	الالتفات
″	۲۲	لم یخبر	لم یجز	۳۸۳	۳	ام الی	ام ابی	۴۱۷	۱	تحلی	ث
۳۴۲	۴	قلاتم	فلاأتم	۳۸۴	۱۰	استکبار	استکبارا	۴۱۷	۱۷	فالغائب	فالغالب
۳۴۴	۱	کفروا	کفرا	″	۱۷	یأویه	یؤویه	۴۳۰	۱۳	کحل	کحال
۳۴۶	۲	حذوا	حذو	۳۸۷	۴	لیخیل	لیخیل الیه	۴۳۱	۱۶	الرجل	رجل
۳۵۰	۲۰	لیحذره	لتحذره	۳۸۸	۱۴	النغر	النخر	۴۳۳	۱۲	رسول الله	رسول الله صلی الله علیه واله وسلم
۳۵۲	۴	شریکا	شریك	۳۹۳	۷	عبدالبر	ابن عبدالبر	۴۳۴	۱۸	وانما	انما
۳۵۸	۲۰	جنسه	جنسه	۳۹۴	۱۲	مسترق	مستقی	۴۳۳	۲۰	ینقضها	ینقصها
								۴۳۶	″	یصرح	یصرخ
								۴۳۸	۵	الرسور	الرسول

فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله

الدين الخالص

١٣٠٢

طبع فی المطبع الاحمدی الواقع فی اقلیم الهند

فهرس مقاصد النصيب الاخر من كتاب الدين الخالص

صفحه	مقصد	صفحه	مقصد
٣٠	باب في الاعتصام بالسنة والاجتناب عن البدعة	٢٣١	منقبة سعد بن معاذ رضي الله عنه
٣١	باب في ذكر حقيقة الايمان	٢٣٣	منقبة الانصار رضي الله عنهم
٧٥	باب في ذكر الايمان بالقدر	٢٣٤	منقبة اهل بدر والحديبية واهل بيعة الرضوان
١٠٩	باب في بيان العلم وانواعه	٢٣٥	منقبة فاطمة رضي الله عنها
١٢٧	باب في وجوب طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم	٢٣٦	منقبة الامامين الهمامين الحسن والحسين رضي الله عنهما
١٩١	باب في ذكر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم اجمعين	٢٥١	منقبة العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه
٢١٦	مناقب ابي بكر الصديق رضي الله عنه	٢٥٢	منقبة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
٢١٩	مناقب عمر الفاروق رضي الله عنه	〃	منقبة جعفر رضي الله عنه
٢٢٣	مناقب عثمان رضي الله عنه	〃	منقبة زيد بن حارثة رضي الله عنه
٢٢٦	مناقب علي كرم الله وجهه	٢٥٣	منقبة اسامة بن زيد رضي الله عنهما
٢٢٧	منقبة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه	٢٥٥	منقبة خديجة عليها السلام
〃	منقبة الزبير رضي الله عنه	〃	منقبة عائشة الصديقة رضي الله عنها
٢٢٨	منقبة ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه	٢٥٧	مناقب اهل البيت الكرام عليهم السلام
〃	منقبة سعد بن مالك رضي الله عنه	٢٦٢	منقبة الصحابة رضي الله عنهم
٢٢٩	منقبة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه	٢٧	منقبة العرب
٢٣٠	منقبة العشرة المبشرة بالجنة رضي الله عنهم	٢٧٢	منقبة اهل الحديث النبوي رضي الله عنهم
〃	منقبة ابي ذر ومقداد وسلمان رضي الله عنهم	٢٧٧	منقبة المجتهدين رحمهم الله تعالى
〃	منقبة النقباء الاربعة عشر	٢٨٢	باب في ذكر بدعات النساء
٢٣١	منقبة ذي الرهما رضي الله عنه	٣٢٩	باب في سؤال عن زيارة القبور

صفحہ	مقصد	صفحہ	مقصد
۳۳۲	فصل	۴۷۴	فصل ذكر تفصيل القول في التقليد
۳۴۸	فصل	۵۳۴	فصل في تحرير الافتاء والحكم في دين الله الخ
۳۵۱	باب في سؤال عن التوسل بالاموات	۵۴۵	باب في رد بدعات الرسوم
۳۶۲	باب في رد بدعات التقليد	۵۸۸	باب في بيان الافراط في التزين
۴۷۲	باب في تفصيل القول في الرد	۶۲	خاتمة الكتاب وتوفية الحساب